Ataunnabi.com

تفسير الخازن

المسمى

لباب التأويل في معاني التنزيل

للإمام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الشهير بالخازن
المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

ومعه

تفسير البغوي

المسمى

معالم التنزيل

للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود
الفراء البغوي الشافعي
المتوفى سنة ٥١٦ هـ

ضبطه وصححه

عبد السلام محمد علي شاهين

الجزء الأول

المحتوى

أول سورة الفاتحة - آخر سورة آل عمران

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣ - ٠٠/١٢١٢/٤٧٨١٣٧٣

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الأشياء فقدرها تقديراً، وصور شكل الإنسان فأحسنه تصويراً، ومنحه العقل وجعله سميعاً بصيراً وشرفه بما عرفه به من العلم ونور قلبه تنويراً وهداه، إلى معرفته فيا لها نعمة وفضلاً كبيراً، وأطلق لسانه فأذعن بشكره تحميداً وتهليلاً وتكبيراً، وأرسل محمداً ﷺ إلى كافة الخلق بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه كتاباً منيراً، وأودعه حكمة وحكماً وترغيباً وتحذيراً، وألهم حفاظه تلاوة له وتحبيراً، وعلم عباده علومه تفهيماً وتبصيراً، وضرب فيه الأمثال ليزيل جهالة وتحييراً، وجعله برهاناً واضحاً وصواباً لائحاً ووفر فضله توفيراً، في الصدور محفوظاً وبالألسنة متلواً وفي الصحف مسطوراً، يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً، وجعل كل بليغ عن الإتيان بسورة مثله حسيراً. **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾**.

(أحمده) على تواتر إنعامه حمداً كثيراً وأتوكل عليه مفوضاً أمري إليه ومستجيراً، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب قائلها مطمئناً مستنيراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كساه من فضله عزاً ومهابة وتوقيراً صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

(وبعد) فإن الله جلّ ذكره ونفذ أمره أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيراً للمؤمنين ونذيراً للمخالفين أكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة، وأتم به مكارم الأخلاق، ونشر فضله في الآفاق وأنزل عليه نوراً هدى به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة، وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة المصنّف

قال الشيخ الإمام الأجل السيد محيي السُّنّة ناصر الحديث مفتي الشرق والغرب: أبو محمد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي رضي الله عنه وعن والديه، الحمد لله ذي العظمة والكبرياء والعزّة والبقاء والرّفعة والعلاء والمجد والثناء، تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدّس عن الأمثال والنظراء، والصلاة والسلام على نبيّه وحبيبه وصفيّه محمد خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء عدد ذرّات الثرى ونجوم السماء، الحمد للّه الملك السلام المؤمن المهيمن العلاّم شارع الأحكام ذي الجلال والإكرام الذي أكرمنا بدين الإسلام ومنَّ علينا بنبيّنا محمد عليه التحية والسلام، وأنعم علينا بكتابه المفرّق بين الحلال والحرام، والصلاة والسلام على حبيبه وخيرته من خلقه محمد سيّد الأنام عدد ساعات الليالي والأيام وعلى آله وأصحابه، عدد نجوم الظلام وعلى جميع الأنبياء والملائكة البررة الكرام.

أما بعد، فإنّ الله جلّ ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وبشيراً للمؤمنين، ونذيراً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وبالخسران لمن أعرض عنه بعدما سمعه عجز الخلائق عن معارضته حين تحداهم على أن يأتوا بسورة من مثله في مقابلته، ثم سهل على عباده المؤمنين مع إعجازه تلاوته ويسر على الألسن قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر، وضرب فيه الأمثال ليتدبر، وقص فيه من أخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر، ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا بإقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر آياته في قراءته ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه إلاّ بدراية تفسيره وأحكامه ومعرفة حلاله وحرامه وأسباب نزوله وأقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه، فإنه أرسخ العلوم أصلاً وأسبغها فرعاً وفصلاً وأكرمها نتاجاً وأنورها سراجاً فلا شرف إلاّ وهو السبيل إليه ولا خير إلاّ وهو الدال عليه وقد قيض الله تعالى له رجالاً موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا في سائر علومه المصنفات، وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظراً للخلف واقتداء بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم. ولما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الإمام العالم الكامل محيي السنة قدوة الأمة وإمام الأئمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين أبو محمد الحسين بن مسعود البغويّ قدس الله روحه ونور ضريحه من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها وأنبلها وأسناها جامعاً للصحيح من الأقاويل عارياً عن الشبه والتصحيف والتبديل محلى بالأحاديث النبوية، مطرزاً بالأحكام الشرعية موشى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة مرصعاً بأحسن الإشارات مخرجاً بأوضح العبارات، مفرغاً في قالب الجمال بأفصح مقال، فرحم الله تعالى مصنفه وأجزل ثوابه وجعل الجنة متقلبه ومآبه.

ولما كان هذا الكتاب كما وصفت أحببت أن أنتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصراً جامعاً لمعاني التفسير ولباب التأويل والتعبير حاوياً لخلاصة منقوله متضمناً لنكته وأصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة، ولم أجعل لنفسي تصرفاً سوى النقل والانتخاب، مجتنباً حد التطويل والإسهاب وحذفت منه الإسناد لأنه أقرب إلى تحصيل المراد فما أوردت فيه

للمخالفين أكمل به ديوان النبوّة، وختم به ديوان الرسالة، وأتمَّ به مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، وأنزل عليه بفضله نوراً هدى به من الضلالة وأنقذ به من الجهالة، حَكم بالفلاح لمَن تبعه، وبالخسران لِمَن أعرض عنه بعدما سمعه، وأعجز الخليقة عن معارضته، وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته، ثم سهّل على الخلق مع إعجازه تلاوتَه، ويسّر على الألسن قراءته، أمر فيه وزجر وبشّر وأنذرَ وذكر المواعظ لِيُتذكّر، وقصّ عن أحوال الماضين لِيُعتبر، وضرب فيه الأمثال لِيُتدبّر، ودلّ على آيات التوحيد لِيُتفكّر، ولا حصول لهذه المقاصد إلاّ بدراية تفسيره وإعلامه، ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه، ومعرفة خاصّه وعامّه، ثم هو كلام معجز وبحر عميق لا نهاية لأسرار علومه، ولا إدراكَ لحقائق معانيه، وقد ألّف أئمة السلف في أنواع علومه كُتباً كلٌ على قدر فهمه ومبلغ علمه نظراً للخلق، فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافّتهم.

فسألني جماعة من أصحابي المخلصين وعلى اقتباس العلم مقبلين كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم إليه معتمداً على فضل الله تعالى وتيسيره، ممتثلاً وصيّة رسول الله ﷺ فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنّ رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدّين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»، واقتداءً بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاء على الخلق وليس على ما فعلوه مزيد، ولكن لا بدّ في كل زمان من تجديد ما طال به العهد، وقصر المطالبين فيه الجدّ والجهد، تنبيهاً للمتوفقين وتحريضاً للمتثبطين،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

من الأحاديث النبوية والأخبار المصطفوية على تفسير آية أو بيان حكم، فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليهما مدار الشرع وأحكام الدين عزوته إلى مخرجه، وبينت اسم ناقله، وجعلت عوض كل اسم حرفاً يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن أبي داود والترمذي والنسائي فإني أذكر اسمه بغير علامة وما لم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسند له انفرد به قلت روى البغوي بسنده، وما رواه البغوي بإسناد الثعلبي قلت: روى البغوي بإسناد الثعلبي، وما كان فيه من أحاديث زائدة وألفاظ متغيرة ناعتمده فإني اجتهدت في تصحيح ما أخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الأصول لابن الأثير الجزري، ثم إني عوضت عن حذف الإسناد شرح غريب الحديث، وما يتعلق به ليكون أكمل فائدة في هذا الكتاب وأسهل على الطلاب، وسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب. وينبغي لكل مؤلّف كتاباً في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شيء كان معضلاً أو جمعه إن كان متفرقاً، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم وتأليف أو إسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت وسميته [لباب التأويل في معاني التنزيل] والله تعالى أسأل التوفيق لإتمام ما قصدت، وإليه أرغب في تيسير ما أردت، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني إنه هو السميع العليم، وهو حسبي ونعم الوكيل، عليه توكلت وإليه أنيب، وقبل أن أشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه:

(م) عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم

فجمعت بعون الله تعالى وحُسن توفيقه فيما سألوا كتاباً متوسطاً بين الطويل الممل، والقصير المخل، أرجو أن يكون مفيداً لمَن أقبل على تحصيله مزيداً، وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر هذه الأمة، ومن بعده من التابعين، وأئمة السلف مثل: مُجاهد وعِكرمة وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري رضي الله عنهما، وقتادة وأبي العالية ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم والكلبي والضحّاك، ومقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان والسدي وغيرهم، فأكثرها مما أخبرني الشيخ أبو سعيد أحمد بن محمد الشّرَيحي الخوارزمي فيما قرأته عليه، عن الأستاذ أبي إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه، أما تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن، الذي قال فيه النبي ﷺ: «اللّهمّ علّمه الكتابَ وقال: اللّهمّ فقّهه في الدين»، وقال أبو إسحاق: أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن حامد، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطوائفي، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا عبد الله بن صالح: أن معاوية بن صالح حدّثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن عبد الله بن عباس، وقال: أنا أبو القاسم الحسن بن حبيب، ثنا عبد الله بن محمد الثقفي أنا أبو جعفر محمد بن نَضْرَوَيْه المازني، أنا محمد بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية سعد العوفي، قال: حدّثني عمّي الحسين بن الحسن بن عطية، حدّثني أبي عن جدّي عطية عن ابن عباس، وقال الثعلبي: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابوري، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي الصريمي المروزي، أنا أبو العباس أحمد بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل» وفي رواية: كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة، وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إنّ تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (م) عن عمر بن الخطاب قال أما إن نبيكم ﷺ قال: «إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين» وعن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على عليّ فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث قال: أوقد فعلوها قلت نعم قال أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم والفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور. أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب وإسناده مجهول وفي الحارث مقال.

(قوله هو الفصل) أي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل أي هو جد كله ليس فيه شيء من الهزل، والجبار في صفة الآدمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس، قصمه الله أي أهلكه.

(قوله وهو حبل الله المتين) الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الأمان فإذا اعتصم به الإنسان آواه الله تعالى إلى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب، والصراط المستقيم الطريق

الحضر الصيرفي، أنا أبو داود سليمان بن معبد السنجي، أنا علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي، عن عكرمة عن ابن عباس.

وأما تفسير مجاهد بن حبر المكّي: قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطّة، ثنا عبد الله بن محمد بن زكريا ثنا سعيد بن يحيىٰ بن سعيد الأموي، ثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وأما تفسير عطاء بن أبي رباح: قال ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حسن النيسابوري، ثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن ياسين بن الجراح الطبري، أنا أبو محمد بن بكر بن مستهل الدمياطي، ثنا عبد الغني بن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى بن عبد الرحمن الصغاني، عن أبي جريج عن عطاء بن أبي رباح.

وأما تفسير الحسن البصري قال: حدّثني أبو القاسم الحسن البصري قال: حدّثني أبو القاسم الحسين بن محمد بن عبد الله بن الملكيب، حدّثني أبي أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الصلة المعروف بابن شبود المقدئي، ثنا سعيد بن محمد، ثنا المنهل بن واصل عن أبي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

وأما تفسير قتادة قال: أنا أبو محمد عبد الله بن حامد محمد بن الأصبهاني، أنا أبو علي حامد بن محمد بن الهروي، ثنا أبو يعقوب إسحق بن الحسن بن ميمون الحربي، ثنا أبو محمد الحسين بن محمد المروزي، ثنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الواضح، ومعنى لا تزيغ به الأهواء أي لا يميل عن الحق، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتمتع فيه وهو عليه شاق له أجران».

(قوله الماهر بالقرآن) يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة، وقوله: مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لأنه يسفر برسالات الله إلى أنبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يأمر، به ومعنى كونه من الملائكة أن له منازل في الجنة يكون فيها رفيقاً لهم. وقوله: يتعتع أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه. له أجران: يعني يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه أن له أجراً أكثر من الماهر، بل الماهر أفضل منه وأكثر أجراً (ق) عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب، وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب، وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود، ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس قال: قال رجل يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال «الحالّ المرتحل». قال: وما الحال المرتحل؟ قال: «الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل». أخرجه الترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند الله آخر آية تقرؤها» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا

شبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة، وقال ثنا عائشة أبو القاسم الحبيبي: أنا أبو زكريا العنبري، ثنا جعفر بن محمد سوار، أنا محمد بن رافع عن عبد الرزّاق عن معمر عن قتادة بن دعامة السدوسي.

وأما تفسير أبي العالية واسمه رفيع بن مهران، قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسّر أنا أبو عمر أحمد بن محمد بن منصور العمركي بن حسن، ثنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مزيد السَّرْخَسِي أنا أبو علي الحسن محمد بن موسى الأزْدي، عن عمّار بن الحسن بن بشير الهمداني، عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي عالية الرّياحي.

وأما تفسير القرظي، قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب عن أُبي، ثنا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي، ثنا رجاء بن عبد الله، أنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي.

وأما تفسير زيد بن أسلم قال: أنا الحسن بن محمد بن الحسن قال: كتب إليّ أحمد بن كامل بن خلف بن محمد بن جرير الطبري حدّثتهم، قال: ثنا يونس بن عبد الأعلى الصيرفي، أنا عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

وأما تفسير الكلبي: فقد قرأت بمرو على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة أربع وستّين وأربعمائة، قال: أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن محمد بن يونس الخطيب الكشمهيني، في محرّم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجاً ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا» أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار» أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب وليس له إسناد صحيح (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به» معنى أذن في اللغة استمع ولا نحمله على الإصغاء فإنه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارىء القرآن وإجزال ثوابه في ذلك ولأن سماع الله لا يختلف فموجب تأويل الحديث، وقوله يتغنى بالقرآن أي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة، وقيل معناه يستغنى به عن الناس، والقول الأول أولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن».

الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتي القرآن فنسيه ولم يتعهده:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» وفي رواية: من قال في القرآن برأيه؛ أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليتخذ له مباءة أي منزلاً من النار. عن جندب بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في كتاب الله عزّ وجلّ برأيه فأصاب فقد أخطأ» أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث غريب وسأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى ﴿وفاكهة وأبّاً﴾ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم. قال العلماء: النهي عن

سنة خمسين وأربعمائة، قال: أنا أبو إسحق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معروف الهرمروزي، ثنا محمد بن علي الأنصاري المفسّر ثنا علي بن إسحق وصالح بن محمد السمرقندي، قالا: ثنا محمد بن مروان عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي نضر عن أبي صالح أنا ذاذان مولى أُم هانىء بنت أبي طالب عن ابن عباس.

وأما تفسير الضحّاك بن مزاحم الهلالي، قال: أنا أستاذ إسحق الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي، ثنا أبو عمر وأحمد بن محمد العمركي بن حسن، ثنا جعفر بن محمد سوار ثنا أحمد بن محمد بن جميل المروزي، ثنا أبو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحّاك.

وأما تفسير مقاتل بن حيان قال: أنا عبد الله بن حامد الوزاني ثنا أحمد بن محمد بن عبدوس، ثنا إسماعيل بن قتيبة ثنا أبو خالد يزيد بن صالح الفرّاء النيسابوري، حدّثنا بكير بن معروف البلخي الأزدي، ثنا أبو معاذ عن مقاتل بن حيان.

وأما تفسير مقاتل بن سليمان قال: أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد المهرجاني، أنا أبو محمد عبد الخالق بن الحسن بن محمد السقيطي المعروف بابن أبي رؤية، ثنا عبد الله بن ثابت بن يعقوب المقري، هكذا المقري، أبو محمد قال: ثنا أبو محمد حدّثني أبو الهُذيل بن حبيب أبو صالح الزيداني، عن مقاتل بن سليمان.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

القول في القرآن: الرأي إنما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو إما أن يكون عن علم أو لا، فإن كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس، وإن كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بأن تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه. فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فأما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط إلي معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم، فإن الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعا النبي ﷺ لابن عباس فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فكان أكثر ما نقل عنه التفسير (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها» (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة إن تعاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت الإبل المعلقة التي حبست بالعقال» وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن ففيه الحث على تعاهده بكثره التلاوة والتكرار لئلا ينسى (ق) عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القرآن فإنه أشد تفصِّياً من صدور الرجال من النعم من عقلها» وفي رواية لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي.

(قوله بئسما لأحدكم): أي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه إنما كره نسبة النسيان إلى النفس لأجل أن الله تعالى هو المقدر للأشياء كلها وهو الذي أنساه وإياه. وقيل أصل النسيان الترك فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت إلى نسيانه، وقوله: بل نُسّيَ هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسوء تعهده القرآن وقوله أشد تفصياً أي خروجاً من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الإبل في عقلها أي تخلصاً من العقال وهو الحبل الذي تربط به، عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلّا لقي الله يوم القيامة

وأما تفسير السّدي قال: ثنا أبو القاسم حسن بن محمد بن الحسن، أنا أبو الطيب محمد بن عبد الله بن مبارك الشعيري، ثنا أحمد بن محمد بن نصر اللياد، ثنا عمرو بن طلحة القناد، عن أسباط عن السدي.

وأما ما نقلته عن المبتدأ لِوهب بن منبّه، وعن المغازي لمحمد بن إسحق: فأخبرينه أبو سعيد الشّريحي قال: أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، قال: أنبأني أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحق الأزهري، أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن إسحق بن راهويه بن أخت أبي عُوانة، أنا أبو الحسن محمد بن حمد بن البراء العبدي، قال: قرأت على أبي عبد الله عبد المنعم بني إدريس، عن أبيه عن وهب بن منبّه، وأنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلي ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، أنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحق بن يسار المدني، وأنا أبو سعيد الشريحي، قال أبو إسحق الثعلبي: أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن عقيل الأنصاري، أنا أبو الحسن علي بن الفضل الخزاعي، أنا أبو شعيب بن عبد الله بن الحسن الحرّاني، أنا النقيلي أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحق.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أجذم». أخرجه أبو داود الأجذم. قيل هو مقطوع اليد، وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عرضت على أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت على ذنوب أمتي فلم أر فيها ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها» أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو».

أراد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله إلى أرض العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتب كتاباً إليهم فيه آية من القرآن فلا بأس بذلك لأن النبي ﷺ كتب إلى هرقل ملك الروم: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾**.

عن عمران بن حصين أنه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس» أخرجه الترمذي عن صهيب قال قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه» أخرجه الترمذي وقال ليس إسناده بالقوي. عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف:

(خ) عن زيد بن ثابت قال: بعث إليَّ أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إنْ عمر جاءني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: فقال لي أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن،

فهذه أسانيد أكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة وهي مسموعة من طرق سواها، تركت ذكرها حذراً من الإطالة، وربما حكيت عنهم أو عن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولاً سمعته بغير هذه الأسانيد بعضها في موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى عزّ وجلّ.

ثم إن النّاس كما أنهم مُتَعَبّدُون باتّباع أحكام القرآن، وحفظ حدوده فهم مُتعبدُون بتلاوتِهِ وحفظ حروفه على سُنن خط المصحف، أعني الإمام الذي اتّفقت عليه الصحابة وأنْ لا يجاوزوا فيما يوافق الخط ما قرأ به القرّاء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين، واتفقت الأئمة على اختيارهم، وقد ذكرت في الكتاب قراءة مَن اشتهر منهم بالقراآت واختياراتهم، على ما قرأته على الإمام أبي نَصْر محمد بن أحمد بن علي المقري المرُوزي، رحمة الله عليه، تلاوةً وروايةً، قال: قرأت على أبي القاسم ظاهر بن علي الصرفي، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران بإسناده المذكور، في كتابه المعروف بكتاب العناية، وهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وأبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن المدنيان، وأبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكّي، وأبو عمران عبد الله بن عامر الشامي، وأبو عمرو زبان بن العلاء المازني العطار، وأبو محمد بن يعقوب بن إسحق الحضرمي البصريان،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فقلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر، وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، ورأيت في ذلك الذي رأيا.

قال: فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الأنصاري، فلم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر براءة فألحقتها في سورتها.

قال: فكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

قال بعض الرواة: اللخاف يعني الخزف (خ) عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد أنه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري من المؤمنين ﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ فألحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته رجلين، زاد في رواية قال ابن شهاب: اختلفوا يومئذٍ في التابوت

وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي، وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيّات، وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفيون.

فأما أبو جعفر فإنه أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة وغيرهما، وهم قرأوا على أُبي بن كعب، وأما نافع فإنه قرأ على أبي جعفر القاري، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج قرأ على أبي هريرة، وقرأ أبو هريرة على أُبيّ بن كعب، وأمّا عبد الله بن كثير فإنه قرأ على مجاهد بن جبير، وقرأ مجاهد على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أُبيّ بن كعب، وقرأ أُبيّ بن كعب على رسول الله ﷺ، وأما عبد الله بن عامر. فإنه قرأ على المغيرة بن أبي شعاب المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان بن عفّان، وأما عاصم فإنه قرأ على أبي عبد الرحمن السُلَمي، وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب، قال عاصم: فكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فأقرأ على ذرّ بن حُبيش، وكان ذَر قد قرأ على عبد الله بن مسعود، وأما حمزة فإنه قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى وسليمان بن مهران الأعمش وعمدان بن الأعين وغيرهم، وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى على جماعة من أصحاب علي، وقرأ سليمان بن الأعمش على يحيىٰ بن وثاب، وقرأ يحيىٰ على جماعة من أصحاب عبد الله، وقرأ عمدان على أبي الأسود الـدؤلي، وقرأ أبو الأسود الـدؤلي على عثمان وعلي، وأما الكسائي فإنه قرأ على حمزة، وأما يعقوب فإنه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فقال زيد التابوه وقال عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه التابوت فإنه بلسان قريش.

(شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما) (قوله بعث إلى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة) أي لأوان قتلهم وأراد به الوقعة التي كانت باليمامة في زمن أبي بكر الصديق. وهي وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن. واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة، ولها عمائر وهي في عداد أرض نجد (قوله استحرَّ القتل) أي كثر، وينسب المكروه إلى الحر والمحبوب إلى البرد. وشرح الصدر سعته وقبوله الخير (قوله فتتبعت القرآن جمعه من الرقاع) جمع رقعة، وهي ما يكتب فيها، والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه، واللخاف حجارة بيض رقاق واحدته لخفة. (قوله يغازي أهل الشام) أي مع أهل الشام في فتح إرمينية بكسر الهمزة وتخفيف الياء لا غير، سميت بارمين بن لمطي بن لومن بن يافث بن نوح وهو أول ما نزل بها سميت باسمه وآذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها. وقال ابن جني فيها خمسة موانع من الصرف: التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والألف والنون، وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة.

(قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة) أو مع أبي خزيمة الأنصاري. وفي الحديث الآخر فقدت آية من سورة الأحزاب إلى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾** الآية فاعلم أن المذكور في الحديث الأول غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان، فأما المذكور في الحديث الأول فهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمر بن مالك بن النجار الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها، وتوفي في خلافة عثمان، وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة، كذا ذكره ابن عبد البر.

وأما المذكور في الحديث الثاني فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الأوسي الأنصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدراً، وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب.

قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الخُراساني، وقرأ سلاّم على عاصم، فذكرت قراءة هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها. وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وِفاق آية أو بيان حكم، فإنَّ الكتاب يطلب بيانه من السُّنَّة، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفّاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير، فأرجو أن يكون مباركاً على مَن أراده وبالله التوفيق.

فصل في فضائل القرآن وتعليمه

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شُريح، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن علقمة بن مرثد، قال: سمعت سعد بن عبيدة يحدّث عن أبي عبد الرحمن السُّلمي عن عثمان، قال شعبة: قلت: عن النبي ﷺ؟ قال: نعم، قال: «خيركم مَن تعلّم القرآن وعلّمه» صحيح أخرجه البخاري عن الحجّاج بن منهال عن شعبة، أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي، أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد حموية السرخسي، أنا أبو إسحق إبراهيم بن حزيم الشاشي، أنا أبو محمد عبد بن حميد الشاشي، ثنا حسين بن علي الجعفي، قال: سمعت حمزة الزيّات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور، قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

(قوله فقدت آية من سورة الأحزاب إلى قوله فوجدنا مع خزيمة) معناه أنه كان يطلب نسخ القرآن من الأصل الذي كتب بأمر النبي ﷺ وبين يديه فلم يجد تلك الآية إلاّ مع خزيمة، وليس فيه إثبات القرآن بقول الواحد لأن زيداً كان قد سمعها من رسول الله ﷺ وعلم موضعها من سورة الأحزاب بتعليم رسول الله ﷺ كما صرح به الحديث قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم لأن القرآن العظيم كان محفوظاً عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن أنس قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار أبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لأنس من أبو زيد؟ قال أحد عمومتي أخرجاه في الصحيحين اسم أبي زيد سعد بن عبيد. وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة قال: حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه أنه استحرَّ القتل بقراء القرآن، فثبت بمجموع هذه الأحاديث أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن رسول الله ﷺ وإنما ترك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض أحكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته أدى ذلك إلى الاختلاف واختلاط أمر الدين، فحفظ الله كتابه في القلوب إلى أنقضاء زمن النسخ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم، وثبت بالدليل الصحيح أن الصحابة إنما جمعوا القرآن بين الدفين كما أنزله الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً. والذي حملهم على جمعه ما جاء مبيناً في الحديث وهو أنه كان مفرقاً في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا إلى خليفة رسول رب العالمين ﷺ أبي بكر فدعوا إلى جمعه، فرأى في ذلك رأيهم فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم، فكتبوا كما سمعوه من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا أو أخروا شيئاً ووضعوا له ترتيباً لم يأخذوا من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية، تكتب عقب آية كذا في سورة كذا، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن

عليّ رضي الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أمَا إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، مَن تركه من جبار قصمه الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن ـ أي: لم يتوقفوا ـ في قبوله، وأنه كلام الله تعالى إذ سمعته حتى قالوا: إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنّا به، مَن قال به صدق ومَن عمل به أُجِر، ومَن حَكم به عدل، ومَن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم»، خذها إليك يا أعور، قال أبو عيسى: هذا الحديث لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، وإسناده مجهول، والحرث فيه مقال، أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن السمعاني، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي، ثنا حميد بن زنجويه ثنا إسحاق بن عيسى، قال: سمعت ابن لهيعة يقول: ثنا مسرح بن عاهان قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لو كان القرآن في إهاب ما مسّته النار»، قيل معناه: مَن حمل القرآن وقرأه لم تمسّه النار يوم القيامة، أنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه، ثنا جعفر بن عوف أنا إبراهيم بن مسلم عن أبي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن، وقد صح في حديث ابن عباس أن النبي ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان، وأنه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين. ويقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل عليه السلام، وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقي فيها ما بقي. ولهذا أقام أبو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف، وألزمه بها لأنه قرأ على النبي ﷺ في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القرآن سبباً لبقائه في الأمة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقاً لوعده في حفظه على ما قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ واعلم أن الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر، ثم كان ينزله مفرقاً على لسان جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ مدة رسالته نحو ما عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما شاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه في التلاوة والمصحف، فأما ترتيب نزوله على رسول الله ﷺ فأول ما نزل من القرآن بمكة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾. ثم ﴿نٓ والقلم﴾ ثم ﴿يا أيها المزمل﴾. ثم المدثر. ثم ﴿تبت يدا أبي لهب﴾. ثم ﴿إذا الشمس كورت﴾. ثم ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾. ثم ﴿والليل إذا يغشى﴾ ثم ﴿والفجر﴾. ثم ﴿والضحى﴾. ثم ﴿ألم نشرح﴾ ثم ﴿والعصر﴾ ثم ﴿والعاديات﴾ ثم ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ثم ﴿ألهاكم التكاثر﴾ ثم ﴿أرأيت الذي﴾ ثم ﴿قل يا أيها الكافرون﴾. ثم ﴿الفيل﴾. ثم ﴿قل هو الله أحد﴾. ثم ﴿والنجم﴾. ثم ﴿عبس﴾. ثم سورة القدر. ثم سورة البروج. ثم التين. ثم ﴿لإيلاف قريش﴾. ثم ﴿القارعة﴾. ثم القيامة. ثم الهمزة. ثم المرسلات. ثم قٓ. ثم سورة البلد. ثم ﴿الطارق﴾ ثم ﴿اقتربت الساعة﴾ ثم ﴿صٓ﴾. ثم الأعراف. ثم الجن. ثم يسٓ. ثم الفرقان. ثم فاطر. ثم مريم. ثم طه. الواقعة. ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص. ثم سورة بني إسرائيل. ثم يونس. ثم هود ثم يوسف. ثم الحجر. ثم الأنعام. ثم والصافات. ثم لقمان. ثم سبأ. ثم الزمر. ثم المؤمن. ثم السجدة. ثم حمٓ عسقٓ. ثم الزخرف. ثم الدخان. ثم الجاثية. ثم الأحقاف. ثم الذاريات. ثم الغاشية. ثم الكهف. ثم النحل. ثم نوح. ثم إبراهيم. ثم الأنبياء. ثم ﴿قد أفلح المؤمنون﴾. ثم تنزيل السجدة.

الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلّموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين والشفاء النافع، وعصمة لمَن تمسّك به ونجاة لمَن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيُقوّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرد، فاتلوه فإن الله عزّ وجلّ يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما أني لا أقول: آلٓمٓ ولكن الألف واللام والميم. رواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعاً أنا أبو جعفر أحمد ابن أبي أحمد بن مقوية، أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسني الحرّاني فيما كتب إليّ، أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجدي، ثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن الصدلي، ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا علي بن عاصم عن إبراهيم الهَجَري، عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ بمعناه، أنا الإمام أبو علي الحسين بن القاضي ثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن نامويه الأصفهاني، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن يحيىٰ القاضي الزهري بمكة، أنا محمد بن إسماعيل بن سالم الصائغ أنا سليمان بن داود الهاشمي، ثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب الزهري عن عامر بن واثلة بن الطفيل، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعسفان وكان عمر استعمله على مكة، فقال له عمر: مَن استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزى، قال: ومَن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل قارىء القرآن عالم بالفرائض قاضٍ بالكتاب، فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قال: «إن الله يرفع بالقرآن أقواماً ويضع به آخرين»، صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب، أنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ثم الطور ثم الملك. ثم الحاقة. ثم ﴿سأل سائل﴾. ثم ﴿عم يتساءلون﴾ ثم النازعات. ثم ﴿إذا السماء انفطرت﴾. ثم ﴿إذا السماء انشقت﴾. ثم الروم. ثم العنكبوت، واختلفوا في آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنين، وقال مجاهد: ويل للمطففين، فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات. وأمّا ما نزل بالمدينة فإحدى وثلاثون سورة، فأول ما نزل بها سورة البقرة. ثم الأنفال. ثم آل عمران. ثم الأحزاب. ثم الممتحنة. ثم النساء. ثم ﴿إذا زلزلت الأرض﴾. ثم الحديد. ثم سورة محمد ﷺ. ثم الرعد. ثم سورة الرحمن. ثم ﴿هل أتى على الإنسان﴾. ثم الطلاق. ثم ﴿لم يكن﴾ ثم الحشر. ثم الفلق. ثم الناس. ثم ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ثم النور. ثم الحج. ثم ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ ثم المجادلة. ثم الحجرات. ثم التحريم. ثم الصف. ثم الجمعة. ثم التغابن. ثم الفتح. ثم التوبة. ثم المائدة. ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة واختلفوا في الشورى فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة، وسنذكر ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى.

فصل في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك:

(ق) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها فقال رسول الله ﷺ أرسله، اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعه يقرؤها فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» ثم قال النبي ﷺ: «اقرأ يا عمر» فقرأت بقراءتي التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه».

يعقوب بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن سعد الترابي، أنا أبو بكر بن محمد بن عبد الصمد الترابي المعروف بابن أبي الهيثم، أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي سنة أربع وثمانين وثلثمائة، أنا أبو يزيد محمد بن يحيىٰ بن خالد أنا إسحق بن إبراهيم الحنظلي، أنا جرير يعني ابن عبد الحميد عن قابوس ابن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح حسن، أنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الزياني ثنا حميد بن زنجويه، أنا أبو أيوب الدمشقي ثنا سعد: أن ابن يحيىٰ ثنا عبد الله بن أبي حُميد عن أبي الحاكم الهُذلي عن واثلة بن الأسقع، عن رسول الله ﷺ قال: «أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأُعطيت مكان الإنجيل المئين، وأُعطيت مكان الزبور المثاني، وأُعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي، وأعطاني ربي المفصل نافلة»، غريب.

فصل في فضائل تلاوة القرآن

أنا عبد الواحد بن أحمد بن المليحي أنا أبو محمد أنا عبد الرحمن بن أبي شُرَيح، أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد، أنا شعبة عن قتادة عن ذُرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مثل الماهر بالقرآن مثل السَّفَرة الكرام البَرَرَة، ومثل الذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران»، صحيح.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

(قوله فكدت أساوره في الصلاة) أي أو أثبه وأقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت.

(قوله فلببته بردائه) هو بتشديد الباء الأولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول إلى ما تجوزه العربية، وأما أمر النبي ﷺ عمر بإرساله فلأنه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره، ولأن عمر إنما نسبة إلى مخالفته في القراءة والنبي ﷺ كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر، ولأنه إذا قرأ وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق.

(قوله إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه) قال العلماء: سبب إنزاله على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل، واختلفوا في المراد بسبعة أحرف فقيل: هو توسعه وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الأكثرون: هو حصر العدد في سبعة أحرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والأمثال والأمر والنهي، وقيل: هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وإمالة لأن العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه.

وقال أبو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب تميمها ومعدها وهي أفصح لغات العرب وأعلاها، وقيل: هي لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن، وقيل: السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة، وقيل: بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى ﴿**وعبد الطاغوت**﴾ و﴿**نرتع ونلعب**﴾ و﴿**باعد بين أسفارنا**﴾ و﴿**بعذاب بئيس**﴾ وقيل هي سبع قراءات وهو الصحيح الموافق للحديث لأن هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي ﷺ وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواتراً. وإن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة. فأما من قال إن المراد بالأحرف سبعة معان مختلفة كالأحكام والأمثال والقصص فخطأ محض لأن النبي ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف وقد تقرر إجماع المسلمين على أنه

وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الإسناد: (الذي يقرأ وهو ماهر به مع السَّفَرة الكرام البَرَرَة). أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو عمر بكر بن محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة، ثنا أبو علي الحسين بن الفضل البجلي ثنا عفّان، ثنا أبَان بن يزيد ثنا قتادة عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول: «مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحان ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها»، صحيح أخرجه البخاري عن قتيبة عن أبي عُوانة عن قتادة، أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الزياتي، ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عاصم ـ يعني ـ ابن بهدلة عن ذَر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «يقال يعني لصاحب القرآن إقرأ وارقَ ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرأها»، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح حسن. أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه، ثنا النضر بن شُميل ثنا هشام الدستوائي، عن يحيىٰ بن كثير عن أبي سلاّم عن أبي أُمامة أنه حدّثه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إقرأ القرآن فإنه يأتي شافعاً لأصحابه، إقرأ الزهراوين: البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف تُحاجّان عن صاحبهما، إقرأ البقرة فإن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يحرم إبدال آية أمثال بآية أحكام، وقول من قال إن المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم ففاسد أيضاً وخطأ للإجماع على أنه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» معنى الحديث لم أزل أطلب من جبريل أن يطلب من الله عزّ وجلّ الزيادة في الأحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عزّ وجلّ فيزيده حتى انتهى إلى السبعة (م) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلّي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ فحسن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله عزّ وجلّ فرقاً فقال لي: يا أبي أرسل إليّ أن اقرأ على حرف واحد فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فرد إليّ الثانية أن اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فرد إليّ الثالثة أن أقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم ترغب إلى الناس كلهم حتى إبراهيم.

(قوله فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية) معناه وسوس لي الشيطان تكذيباً للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لأنه كان في الجاهلية غافلاً ومشككاً فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب. وقيل: معناه أنه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في قلبه تكذيباً لم يعتقده وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها الإنسان لا يؤاخذ بها.

(قوله ضرب في صدري ففضت عرقاً) قال القاضي عياض: ضربه ﷺ في صدره تثبيتاً له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم.

(قوله وكأنما انظر إلى الله تعالى فرقاً) الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما أزال عنه ذلك الخاطر.

أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة». صحيح. أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه، ثنا أبو نعيم ثنا بشير بن مهاجر العنوي، ثنا عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «تعلّموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البَطلة» ثم سكت ساعة ثم قال: «تعلّموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوين وإنهما تظلّان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صوافٍّ، وأن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشقّ عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول له أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك بالهواجر وأسهرت ليلتك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من ورائي كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخُلْد بشماله، ويُوضع على رأسه تاج الوقار ويُكسى والداه حُلّتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بِمَ كسبنا هذا؟ فيقول لهما: بأخذِ وَلدكما القرآن، ثم يُقال: إقرأوا واصعدوا في درج الجنة وغُرفها فهو في صعودها ما دام يقرأ هزّاً كان أو ترتيلاً»، غريب. أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أيوب الدمشقي، ثنا إسماعيل بن عباس ثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «مَن استمع إلى آية من كتاب الله عزّ وجلّ كُتبت له حسنةٌ مُضاعفة، ومَن قرأ آيةً من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة» أخبرنا الإمام أبو علي حسين بن محمد القاضي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا أبو

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

(قوله ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها) معناه مسألة مجابة قطعاً وأما باقي الدعوات فمرجوة الإجابة وليست قطعية الإجابة والله أعلم. روى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه ويروي لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع» قيل في معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله. وقيل في معناه الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة. وقيل الظهر التلاوة باللسان كما أنزل، والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وإخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض.

(قوله ولكل حد مطلع) معناه، مصعد يصعد إليه من معرفة علمه. وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره «وفوق كل ذي علم عليم» والله أعلم.

فصل في معنى التفسير والتأويل:

فأما التفسير فأصله في اللغة من الفسر، وهو كشف ما غطى، وهو بيان المعاني المعقولة فكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير. وقد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها تفسير. وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها. وأما التأويل فاشتقاقه من الأول وهو الرجوع إلى الأصل يقال أولته فأول أي صرفته فانصرف، وهو رد الشيء إلى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية. والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم.

(القول في الاستعاذة) ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن

بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، ثنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي، أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيحبّ أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلِفَاتٍ عِظَام سِمان؟» قلنا: نعم يا رسول الله! قال: «فثلاث آيات يقرؤهنّ أحدكم في صلاته خيرٌ له من ثلاثِ خَلِفَاتٍ عِظَام سِمان». صحيح. أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي، ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو الأسود ثنا ابن لهيعة عن زبان هو ابن فائد عن سهل هو ابن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ القرآن فأحكمه وعمل بما فيه أُلبس والده يوم القيامة تاجاً ضوءُه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل به؟». أنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا محمد بن عبد الله الصفار ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البولي، ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن حثيمة عن رجل أن عمران بن حصين مرّ على رجل يقرأ على قوم، فلما قرأ، سأل، فقال عمران: إنّا لله وإنّا إليه راجعون سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون الناس به»، رواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد عن سفيان عن الأعمش عن حثيمة عن الحسن، عن عمران بن حصين قال: وقال محمد بن إسماعيل هو حثيمة البصري الذي روى عنه جابر الجعفي، وليس هو حثيمة بن عبد الرحمن.

فصل في وعيد مَن قال في القرآن برأيه من غير علم

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي، أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي، أنا أبو

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ ومعنى أعوذ بالله ألتجىء إليه وأمتنع به مما أخشاه من عاذ يعوذ، والشيطان أصله من شطن أي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط إذا هلك واحترق غضباً والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والإنس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم فعيل بمعنى فاعل أي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أي مرجوم بالشهب عند استراق السمع، وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الأعلى. وأما حكم الاستعاذة ففيه مسائل.

المسألة الأولى: اتفق الجمهور على أن الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمداً أو سهواً، ويستحب لقارىء القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضاً. وحكي عن عطاء وجوبها سواء كانت في الصلاة أو غيرها. وقال ابن سيرين إذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في إسقاط الوجوب، دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى: ﴿فاستعذ﴾ والأمر للوجوب، وأن النبي ﷺ واظب على التعوذ فيكون واجباً، ودليل الجمهور أن النبي ﷺ لم يعلم الأعرابي الاستعاذة في جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز. وأجيب عن قوله تعالى: ﴿فاستعذ﴾ بأن معناه عند جماهير العلماء إذا أردت القراءة فاستعذ كقوله: «إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا» معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة. وأجيب عن مواظبة النبي ﷺ بأنه ﷺ واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها.

المسألة الثانية: وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان في الصلاة أو خارجها، وحكي عن النخعي أنه بعد القراءة، وهو قول داود وإحدى الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: «كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. ثم يقول: الله أكبر كبيراً، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث أشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال

إسحاق إبراهيم بن حزيم الشاشي، ثنا أبو محمد عبيد بن حميد ثنا عبد الرزاق، أنا الثوري عن عبد الأعلى عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»، أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري، أنا أبو سعيد أحمد بن الفضل الفقيه، أنا أبو عبد الله الحسين بن البصري ثنا أبو الفضل العباس بن محمد الدوري، أخبرنا يحيىٰ بن حمّاد ثنا أبو عوانة عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَن قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار»، أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حموية، أنا إبراهيم بن خزيم أنا عبد بن حميد، ثنا حبّان بن هلال ثنا سهيل أخو حزم القطعي، ثنا أبو عمران الحوفي، عن جند بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»، غريب، وسُئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبا﴾ [عبس: ٣١] فقال: وأيّ سماء تُظلّني وأيّ أرض تُقلّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟! وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة، قال حمّاد: قلت لأبي أيوب: ما معنى قول أبي الدرداء رضي الله عنه، فجعل يتفكّر، فقلت: هو أن ترى له وجوهاً فتهاب الإقدام عليه، فقال: هو ذاك.

قال شيخنا الإمام رحمه الله: قد جاء الوعيد في حق مَن قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال منْ قِبَلِ نفسه شيئاً من غير علم، فأمّا التأويل وهو صرف الآية إلى معنًى مُحتمل يُوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أحمد لا يصح ولأبي داود والنسائي عن أبي سعيد نحوه. وعن جبير بن مطعم أنه رأى النبي ﷺ صلّى صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيرا ثلاثاً وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخة ونفثه وهمزه، قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة» أخرجه أبو داود وقيل الموتة الجنون لأن من جن فقد مات عقله. وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته. ، واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ وأجيب عنه بما تقدم. وقال مالك: لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة. لنا ما تقدم من الأدلة.

المسألة الثالثة: المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وبه قال أبو حنيفة لموافقة قوله تعالى: ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ ولحديث جبير بن مطعم. وقال أحمد الأولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعاً بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ ولحديث أبي سعيد. وقال الثوري والأوزاعي: الأولى أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم، وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء يشغله عن الله تعالى. ومن لطائف الاستعاذة أن قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة البارىء عزّ وجلّ وأنه هو الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد أيضاً بأن الشيطان عدو مبين، ففي الاستعاذة التجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر، وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلّا الله تعالى والله أعلم.

والسُّنّة من طريق الاستنباط فقد رُخص فيه لأهل العلم، أما التفسير وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، فلا يجوز إلّا بالسّماع بعد ثبوته من طريق النقل، وأصل التفسير من التفسرة، وهي الدليل، من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علّة المريض، كذلك المفسِّر يكشف عن شأن الآية وقصتها، واشتقاق التأويل: من الأوْل، وهو الرجوع، يُقال: أوّلته فأوّل، أي: صرفته فانصرف. أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم البراني أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيـىٰ أن إسحق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن واصل بن حيان، عن ابن هذيل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حدّ مطلع» ويُروى: «لكل حرف حدّ ولكل حدّ مطلع». واختلفوا في تأويله، قيل: الظهر لفظ القرآن، والبطن تأويله، وقيل: الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعُوقبوا، فهو في الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير أن يفعل أحد مثل ما فعلوا فيحلّ به ما حلّ بهم، وقيل: معنى الظهر والبطن التلاوة والتفهّم، يقول: لكل آية ظاهر وهو أن تقرأها كما أُنزلت، قال الله تعالى: ﴿ ورتّلِ القرآنَ ترتيلاً ﴾ [المزّمل: ٤]، وباطن وهو التدبّر والتفكّر، قال الله تعالى: ﴿ كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدَّبرُوا آياتهِ ﴾ [صٓ: ٢٩]، ثم التلاوة تكون بالتعلّم، والحفظ بالدرس، والتفهّم يكون بصدق النيّة وتعظيم الحرمة، وطيب الطعمة، وقوله: «لكل حرف حدّ» أراد به من حدّ في التلاوة والتفسير لا يجاوز، ففي التلاوة لا يُجاوز المصحف وفي التفسير لا يجاوز المسموع، وقوله: «لكل حدّ مطلع» أي: مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، ويُقال: المطلع الفهم، وقد يفتح الله على المدبّر والمتفكّر في التأويل والمعاني ما لا يفتح على غيره، وفوق كل ذي علم عليم وما توفيقي إلّا بالله العزيز الحكيم.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تفسير سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة وأربعون حرفاً. واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول أكثر العلماء. وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد. وقيل نزلت مرتين بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة أسماء وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وفضله. (فأول ذلك فاتحة الكتاب) سميت بذلك لأن بها افتتح القرآن، وبها تفتتح كتابة المصاحف، وبها تفتتح الصلاة. (الثاني سورة الحمد) سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث أم القرآن) وأم الكتاب، سميت بذلك لأنها أصل القرآن وأم كل شيء أصله، وقيل هي إمام لما يتلوها من السور. (الرابع السبع المثاني) سميت بذلك لأنها تثنى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة، وقيل لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لأنها أنزلت مرتين (الخامس الوافية) سميت بذلك لأنها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم غيرها من السور (السادس الكافية) سميت بذلك لأنها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها.

سُورَة الفَاتِحَة

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأُمّ القرآن، والسبع المثاني، سُمِّيت فاتحة الكتاب لأنه تعالى بها افتتح القرآن، وأُمّ الكتاب: لأنها أصل القرآن، منها بُدىء القرآن، وأُمّ الشيء أصله، ويُقال لمكّة: أُمّ القرى، لأنها أصل البلاد، دُحيت الأرض من تحتها، وقيل: لأنها مقدمة وإمام يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في الصحف وبقراءتها في الصلاة، والسبع المثاني: لأنها سبع آيات باتفاق العلماء، وسُمِّيت مثاني لأنها تثنّى في الصلاة، فتُقرأ في كل ركعة، وقال مجاهد: سُمِّيت مثاني لأنّ الله تعالى استثناها لهذه الأمة فدخرها لهم، وهي مكيّة على قول الأكثرين، وقال مجاهد: مدنيّة، وقيل: نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة، ولذلك سُمِّيت مثاني، والأوّلُ أصح أنّها مكيّة لأن الله تعالى منّ على الرسول ﷺ بقوله: ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ [الحجر: ٨٧]، والمراد منها: فاتحة الكتاب، وسورة الحِجْرِ مكيّة، فلم يكن يمنّ عليه بها قبل نزولها.

قوله: ﴿ بسم الله ﴾ الباء زائدة يخفض ما بعدها، مثل مِنْ وعَنْ، والمتعلق به محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: ابدأ بسم الله أو قل بسم الله، وأُسقطت الألف من الاسم طلباً للخفّة لكثرة استعمالها، وطوّلت الباء قال

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فصل: في ذكر فضلها:

(خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، ثم أتيته فقلت يا رسول إلي إني كنت أصلي فقال: ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال لي لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له يا رسول ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ورواه مالك في الموطأ عنه وقال فيه إن النبي ﷺ نادى أبي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خرج على أبيّ وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح عن أبيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهو مقسومة بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل» أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني» أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال: بينا جبريل قاعد عند رسول الله ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته (قوله سمع نقيضاً) هو بالقاف والضاد المعجمة أي صوتاً كصوت فتح الباب (م) عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام» قال فقلت يا أبا هريرة إنا أحياناً نكون وراء الإمام فغمز ذراعي وقال: اقرأ بها في نفسك يا فارسي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى علي عبدي، وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدني وربما قال فوض إليَّ عبدي، وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما

القطيبي: ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف مُعظَّم، كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتّابه: طوّلوا الباء وأظهروا السين وفرِّجوا بينهما ودوّروا الميم تعظيماً لكتاب الله عزّ وجلّ، وقيل: لمّا أسقطوا الألف ردّوا طُول الألف على الباء ليكون دالًّا على سقوط الألف، ألا ترى أنه لمّا كتب الألف في: ﴿ اقرأ باسم ربِّك ﴾ [العلق: ١] رُدّت الباء إلى صيغتها، ولا يحذف الألف إذا أُضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء، والاسم هو المسمّى وعينه وذاته، قال الله تعالى: ﴿ إنّا نبشّرك بغلام اسمه يحيىٰ ﴾ [مريم: ٧]، أخبر أن اسمه يحيىٰ ثم نادى الاسم فقال: ﴿ يا يحيىٰ ﴾ [مريم: ١٢]، وقال: ﴿ ما تعبدون من دونه إلّا أسماء سمّيتموها ﴾ [يوسف: ٤٠]، وأراد الأشخاص المعبودة، لأنهم كانوا يعبدون المسمّيات وقال: ﴿ سبّح اسم ربّك ﴾ [الأعلى: ١]، و﴿ تبارك اسم ربّك ﴾ [الرحمن: ٧٨]، ثم يُقال للتسمية أيضاً اسم، فاستعماله في التسمية أكثر من المسمّى، فإن قيل: ما معنى التسمية من الله لنفسه؟ قيل: هو تعليمٌ للعباد كيف يستفتحون القراءة، واختلفوا في اشتقاقه، قال المبرّد من البصريين: هو مشتق من السموّ وهو العلوّ، فكأنه على علا معناه وظهر عليه وصار معناه لا تحته، وقال ثعلب من الكوفيين: هو من الوسم والسِّمة وهي العلامة وكأنه علامة لمعناه وعلامة للمسمّى، والأول أصح لأنه يُصغّر على سُمي، ولو كان من السمت لكان يُصغّر على الوسيم كما يُقال في الوعد وعيد، ويُقال في تصريفه: سمّيت، ولو كان من الوسم لقيل: وسمت.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

سأل، وإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

(قوله: فهي خداج) أي ناقصة (قوله: فغمز ذراعي) أي كبس ساعدي بيده. (قوله قسمت الصلاة) أراد بالصلاة هنا القراءة لأنه فسرها بها ولأن القراءة ركن من أركانها وجزء من أجزائها. (قوله: نصفين) حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة إلى المعنى لا إلى اللفظ لأن هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسألة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. (قوله: حمدني عبدي ومجدني) أي أثنى علي لأن الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم (قوله: وربما قال فوض إلي عبدي) وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض أمره إلى فلان إذا رده إليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وأنها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وستأتي هذه المسألة إن شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة، والله أعلم.

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره: أبدأ بسم الله أو باسم الله أبدأ أو أقرأ، وإنما طولت الباء في بسم الله وأسقطت الألف طلباً للخفة، وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الألف المحذوفة وأثبتت الألف في قوله تعالى: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لقلة استعماله وقيل إنما طولوا الباء لأنهم أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى وقيل إن عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله وأظهروا السين ودوروا الميم تعظيماً لكتاب الله عز وجل. والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى: ﴿إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال ﴿سبح اسم ربك، وتبارك اسم ربك﴾ وهذا القول ليس بقوي، والصحيح المختار أن الاسم غير المسمى وغير التسمية،

قوله تعالى: ﴿ الله ﴾ قال الخليل وجماعة: هو اسم علمٍ خاصٌّ لله عزّ وجلّ لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد، مثل زيد وعمرو، وقال جماعة: هو مشتق، ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل: من أله إلاهة أي: عبد عبادة، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ ويذرك وآلهتَك ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي: عبادتك معناه أنه المستحق للعبادة دون غيره، وقيل: أصله أله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ﴾ [المؤمنون: ٩١]، قال المبرّد: هو قول العرب: ألهت إلى فلان أي سكنت إليه، قال الشاعر:

ألهت إليها والحوادث جمّة

فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، يقال: ألهت إليه أي: فزعت إليه، وقال الشاعر:

ألهت إليها والركائب وقف

وقيل: أصل الإلّه ولاه، فأُبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح وأشاح، اشتقاقه من الوله لأن العباد يولهون إليه، أي يفزعون إليه في الشدائد ويلجؤون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أُمه، وقيل: هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد مَن يعزّ عليك.

قوله: ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر، واختلِفوا فيهما، منهم مَن قال: هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم، ومعناهما ذو الرحمة، وذكر أحدهما بعد الآخر

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فالاسم ما تعرف به ذات الشيء، وذلك لأن الاسم هو الأصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشيء المسمى به، فثبت بهذا أن الاسم غير المسمى وأيضاً قد تكون الأسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾. وقد يكون الاسم واحداً والمسميات به كثيرة كالأسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وأيضاً فقوله: ﴿فادعوه بها﴾ أمر أن يدعي الله تعالى بأسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به. وأجيب عن قوله تعالى: ﴿إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ بأن المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم. وأجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بأن معنى هذه الألفاظ يقتضي إضافة الاسم إلى الله تعالى وإضافة الشيء إلى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه أسمائه وكون الاسم غير التسمية هو أن التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء، والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر. واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو، فاسم الشيء ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه، فكأنه علا على معناه وصار علماً له. وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكأنه علامة لمسماه، وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه أوسام وأجمعوا على أن تصغيره سمي وجمعه أسماء وأسام (الله) هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه أحد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى: ﴿هل تعلم له سمياً﴾ يعني لا يقال لغيره الله، وقيل هو مشتق من أله يأله إلاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله «ويذرك وآلهتك» أي وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره. وقيل: من الوله وهو الفزع لأن الخلق يولهون إليه أي يفزعون إليه في حوائجهم، قال بعضهم:

ولهت إليكم في بلايا تنوبني ... فألفتكم فيها كرائم محتد

وقيل أصله أله، يقال: ألهت إلى فلان أي سكنت إليه فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، وقيل أصله ولاه فأبدلت الواو همزة سمي بذلك لأن كل مخلوق وإله نحوه إما بالتخير أو بالإرادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الأشياء يدل عليه، «وإن من شيء إلا يسبح بحمده» ومن خصائص هذا الاسم أنك إذا حذفت منه شيئاً بقي الباقي يدل عليه فإن حذفت الألف بقي الله، وإن حذفت اللام وأثبت الألف بقي إله، وإن حذفتهما بقي له وإن

تطميعاً لقلوب الراغبين، وقال المبرّد: هو إنعام بعد إنعام وتفضّل بعد تفضّل، ومنهم مَن فرّق بينهما فقال: للرحمن معنى العموم، وللرحيم معنى الخصوص، فالرحمن بمعنى الرزّاق في الدنيا، وهو على العموم لكافّة الخلق، والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص، ولذلك قيل في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فالرحمن مَن يصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم مَن يصل رحمته إليهم على الخصوص، ولذلك يدعى غير الله رحيماً ولا يدعى رحماناً، فالرحمن عامّ المعنى خاصّ اللفظ، والرحيم عامّ اللفظ خاصّ المعنى، والرحمة إرادةُ الله الخيرَ لأهله، وقيل: هي ترك عقوبة مَن يستحقها وإسداء الخير إلى مَن لا يستحق، فهي على الأول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل، واختلفوا في آية التسمية فذهب قرّاء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيّمن والتبرّك، وذهب قرّاء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها ليست من الفاتحة وليست من سائر السور، فإنما كتبت للفصل، وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلّا سورة التوبة، وهو قول الثّوري وابن المبارك والشافعي في قول، لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن، واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات والآية الأولى عند مَن يعدّها من الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم وابتداء الآية الأخيرة صراط الذين، ومَن لم يعدّها من الفاتحة قال: ابتداؤها الحمد لله ربّ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

حذفت الألف واللامين معاً بقي هو والواو عوض عن الضمة. وذهب بعضهم إلى أن هذا الاسم هو الاسم الأعظم لأنه يدل على الذات وباقي الأسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، قيل: هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وإنما جمع بينهما للتأكيد، وقيل: ذكر أحدهما بعد الآخر تطميعاً لقلوب الراغبين إليه، وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور الكافي للمؤمنين في الآخرة فهو على الخصوص، ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ورحمة الله إرادة الخير والإحسان لأهله، وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب وإسداء الخير والإحسان إلى من لا يستحق فهو على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة فعل، وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب، وقيل: الرحمن بتبيين الطريق، والرحيم بالعصمة والتوفيق.

فصل: في حكم البسملة:

وفيه مسألتان: (**الأولى**) في كون البسملة الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة. اختلف العلماء في ذلك، فذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في أولها سوى سورة براءة، وهو قول ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحمد في إحدى الروايتين عنه وإسحاق، ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن أبي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب. وذهب الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة إلى أن البسملة ليست بآية من الفاتحة، زاد أبو داود ولا من غيرها من السور، وإنما هي بعض آية في سورة النمل، وإنما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة، وللشافعي قول إنها ليست من أوائل السور مع القطع بأنها من الفاتحة. فأما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث أنس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين» قالوا ولأن أول ما نزل به جبريل: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ولم يذكر البسملة في أولها فدلّ على أنها ليست منها قالوا ولأن محل القرآن لا يثبت إلا بالتواتر والاستفاضة ولأن الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الإخلاص

العالمين وابتداء الآية الأخيرة غير المغضوب عليهم، واحتجّ مَن جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كُتبت في المصحف بخط القرآن وبما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي، أنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، وأنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبد المجيد عن ابن جريج أخبرني أبي عن سعيد بن جبير: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ [الحجر: ٨٧] هي أمّ القرآن قال أبي وقرأها على سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة، قال سعيد: قرأها عليٌّ وابن عباس كما قرأتُها عليك ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة، قال ابن عباس: فذخرها لكم فما أخرجها لأحد قبلكم ومَن لم يجعلها من الفاتحة، احتجّ بما ثنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي أنا زاهر بن أحمد ثنا أبو إسحق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أنه قال: قمت وراء أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفّان كلهم كانوا لا يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم إذا افتتح الصلاة، قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ لا يعرف خَتْمَ السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم، عن ابن مسعود قال: كنّا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم، وقال الشعبي: كان رسول الله ﷺ يكتب في بدء الأمر على رسم قريش باسمك اللّهمَّ حتى نزل ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها﴾ [هود: ٤١]، فكتب بسم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمساً. وأما حجة من ذهب إلى إثباتها في أوائل السور من جهة النقل فقد صح عن أم سلمة «أن النبي ﷺ قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها» وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ قال هي فاتحة الكتاب قيل فأين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم أخرجهما ابن خزيمة وغيره، وروى عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم» أخرجه أبو داود والحاكم أبو عبدالله في مستدركه وقال فيه: إنه صحيح على شرط الشيخين. وروى الدارقطني عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ تم الحمد لله فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها» قال الدارقطني في رجال إسناده كلهم ثقات وروى موقوفاً، وروى الدارقطني عن أم سلمة «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها قطعها آية آية وعدَّها عد الأعراب، وعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم» وأخرج مسلم في أفراده عن أنس قال: «بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ غفا غفوة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال أنزلت عليّ آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ الحديث. قال البيهقي: أحسن ما احتج به أصحابنا في أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأنها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وأنهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم أنهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست في القرآن، قال: وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لأمّ القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه إنه كان يقول لما كتبت في المصحف لم لم تقرأ وروى الشافعي عن ابن عباس أنه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن. وفي أفراد البخاري

الله حتى نزلت ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ [الإسراء: ١١٠]، فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت ﴿إنه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [النمل: ٣٠]، فكتب مثلها.

قوله: ﴿**الحمد لله**﴾ لفظه خبر كأنه يخبر عن المستحِق للحمد هو الله عزّ وجلّ وفيه تعليم الخلق، تقديره: قولوا الحمد لله، والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة، يُقال حمدت فلاناً على ما أسدى إليّ من نعمة، وحمدته على عِلمه وشجاعته، والشكر لا يكون إلّا على النعمة، والحمد أعمّ من الشكر إذ لا يقال: شكرت فلاناً على علمه، فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامداً، وقيل: الحمد باللسان قولاً والشكر بالأركان فعلاً، قال الله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتّخذ ولداً﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ [سبأ: ١٣]، يعني: اعملوا الأعمال لأجل الشكر، فشكراً مفعولاً له وانتصب باعملوا.

قوله: ﴿**لله**﴾ اللام فيه للاستحقاق كما يُقال الدار لزيدُ قوله: ﴿**ربِّ العالمينَ الرحمنِ الرحيم**﴾، فالربّ يكون بمعنى المالك كما يُقال لمالك الدار: ربُّ الدار، ويقال: ربّ الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح يقال: ربّ فلانٌ الضيعةَ يربّها إذا أتمّها وأصلحها، فهو ربّ مثل طب وبر، فالله تعالى مالك العالمين ومُربّيهم، ولا يقال للمخلوق: هو الربّ معرّفاً، إنما يُقال: ربّ كذا مضافاً، لأنّ الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل، والعالمين: جمع عالَم والعالم جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، واختلفوا في العالَمين، قال ابن عباس: هم الجن والإنس، لأنهم مكلّفون بالخطاب، قال الله تعالى: ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان: ١]، وقال قتادة

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

من حديث أنس «أنه سئل كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ قال كانت مدّاً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم» فقد ثبت بهذه الأدلة الصحيحة الواضحة أن البسملة من الفاتحة من كل موضع ذكرت فيه وأيضاً فأجمع الصحابة على إثباتها في المصاحف، وأنهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد ﷺ قرآناً وتدوينه مخافة من أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه، ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين، وإن كان قد ورد أنه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن في أوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين.

المسألة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والإسرار:

إذا ثبت بما تقدم من الأدلة أن البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والإسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية؛ وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير. ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر ويزيد بن أسلم وعمر ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد وإليه ذهب الشافعي وهو أحد قولي ابن وهب صاحب مالك ويحكى أيضاً عن ابن المبارك وأبي ثور. وممن ذهب إلى الإسرار بها من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم. ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي وإبراهيم النخعي وقتادة والأعمش والثوري وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم. أما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وأنس وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة «أن النبي ﷺ جهر بالبسملة فمنهم من

ومجاهد والحسن: جميع المخلوقين، قال الله تعالى: ﴿ قال فرعون وما ربُّ العالمين قال ربّ السموات والأرض وما بينهما ﴾ [الشعراء: ٢٣ و٢٤]، واشتقاقه من العلم والعلامة، سُمُّوا به لظهور أثر الصنعة فيهم، قال أبو عبيد: هم أربع أُمم، الملائكة والإنس والجن والشياطين، مشتق من العلم، ولا يقال للبهائم: عالم لأنها لا تعقل واختلفوا في مبلَغِهم، قال سعيد بن المسيب: لله ألف عالَم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر، وقال مقاتل بن حيان: لله ثمانون ألف عالَم، أربعون ألفاً في البحر وأربعون ألفاً في البرّ، وقال وهب: لله ثمانية عشر ألف عالَم، الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب إلّا كفسطاط في صحراء، وقال كعب الأحبار: ولا يحصي عدد العالمين أحدٌ إلّا الله، قال: ﴿ وما يعلم جنودَ ربِّك إلّا وهو ﴾ [المدّثر: ٣١].

قوله: ﴿ مالِكِ يومِ الدين ﴾، قرأ عاصم والكسائي ويعقوب ﴿ مالك ﴾ وقرأ الآخرون «ملِك» قال: قوم معناهما واحد مثل فرِهين وفارهين وحذِرين وحاذرينَ، ومعناهما الربّ، يقال: ربّ الدار ومالكها، وقيل: المالك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر عليه أحدٌ غير الله، قال أبو عبيدة: «مالك» أجمع وأوسع لأنه يقال: مالك العبد والطير والدواب، ولا يقال ملِكَ هذه الأشياء، ولأنّه لا يكون مالك لشيء إلّا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه، وقال قوم: ملك أولى لأن كل ملك مالك، وليس كل ملك ملكاً، ولأنه أوفق لسائر القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ [المؤمنون: ١١٦، طه: ١١٤] و﴿ الملك القدوس ﴾ [الحشر: ٢٣، الجمعة: ١] و﴿ ملك الناس ﴾ [الناس: ٢] قال ابن عباس ومقاتل والسدي: ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب، وقال قتادة: الدين الجزاء، ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعاً، كما يقال: كما تدين تُدان،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الإسرار بها عن النبي ﷺ إلا روايتان إحداهما ضعيفة وهي رواية عبدالله بن مغفل والأخرى عن أنس وهي في الصحيح وهي معللة بما أوجب سقوط الاحتجاج بها، وروى نعيم بن عبدالله المجمر قال: «صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول إذا سلم إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ» أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال أما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي ﷺ وروى الدارقطني بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «كان إذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم» وذكر الحديث قال الدارقطني إسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس قال كان النبي ﷺ: «يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم» أخرجه الدارقطني وقال ليس في روايته مجروح وأخرجه الحاكم أبو عبدالله وقال إسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم» أخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في إسناده مجروح وأخرجه الترمذي وقال ليس إسناده بذلك قال الشيخ أبو شامة أي لا يماثل إسناده ما في الصحيح ولكن إذا انضم إلى ما تقدم من الأدلة رجح على ما في الصحيح وعن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم» أخرجه الدارقطني وقال إسناده صحيح وفيه عن محمد بن أبي السري العسقلاني قال: صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصى صلاة الصبح والمغرب، فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها، وسمعت المعتمر يقول: ما آلوي أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك: وقال أنس بن مالك ما آلوي أن أقتدي بصلاة رسول الله ﷺ أخرجه الدارقطني وقال: كلهم ثقات. وأخرجه الحاكم أبو عبدالله وقال: رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات. قلت وفي الباب أحاديث وأدلة وإيرادات وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق. قوله عز وجل: ﴿**الحمد لله**﴾ لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر أن المستحق للحمد هو الله تعالى، ومعناه الأمر أي قولوا **الحمد** لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه و**الحمد** والمدح أخوان، وقيل بينهما فرق وهو أن المدح قد يكون قبل الإحسان وبعده و**الحمد** لا يكون إلا بعد الإحسان، وقيل إن المدح قد يكون منهياً عنه، وأما الحمد فمأمور به، والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الأفعال، تقول: حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون إلا على النعمة، فالحمد أعم من الشكر، إذ لا تقول شكرت فلاناً على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامداً، وقيل: الحمد باللسان قولاً، والشكر

قال محمد بن كعب القرظي: ملك يوم لا ينفع فيه إلّا الدِّين، وقال يَمَانُ بن ريان: الدِّين القهر، يُقال دِنته فدان، أي: قهرته فذلّ، وقيل: الدِّين الطاعة، أي: يوم الطاعة، وإنما خُصّ يومُ الدين بالذكر مع كونه مالكاً للأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلّا له، قال الله تعالى: ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وقال: ﴿ لمَن الملك اليوم لله الواحد القهّار ﴾ [غافر: ١٦]، وقال: ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ [الانفطار: ١٩]، وقرأ أبو عمرو: ﴿ الرحيم ملك ﴾ بإدغام الميم في الميم، وكذلك يُدغم كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريبي المخرج سواء كان الحرف ساكناً أو متحرّكاً إلّا أن يكون الحرف الأول مشدّداً أو منوّناً أو منقوصاً أو مفتوحاً أو تاء الخطاب قبله ساكن من غير المثلين فإنه لا يدغمها وإدغام المتحرك يكون في الإدغام الكبير، وافقه حمزة في إدغام المتحرّك في قوله: ﴿ بيت طائفة ﴾ [النساء: ٨١] ﴿ والصّافّات صفّاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً ﴾ [الصّافّات: ١ ـ ٣] و﴿ الذاريات ذرواً ﴾ [الذاريات: ١]، وأدغم التاء فيما بعدها من الحروف وافقه حمزة برواية رجاء وخلف والكسائي إلّا في الراء عند اللام والدال عند الجيم، وكذلك لا يدغم حمزة الدال عند السين والصاد والزاي، ولا إدغام لسائر القرّاء إلّا في أحرف معدودة.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بالأركان فعلاً، والحمد ضد الذم واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني أنه المستحق للحمد لأنه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الإطلاق ﴿رب العالمين﴾ الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء أي مالكه ويكون بمعنى التربية والإصلاح، يقال: رب فلان الضيعة يربها إذا أصلحها فالله تعالى، مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم، ولا يقال الرب للمخلوق معرفاً بل يقال رب الشيء مضافاً. والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه، وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق. وقال ابن عباس: هم الجن والإنس لأنهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والجن والإنس ولا يقال للبهائم عالم لأنها لا تعقل. واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله ألف عالم ستمائة عالم في البحر وأربعمائة في البر. وقيل ثمانون ألف عالم أربعون ألفاً في البر ومثلهم في البحر. وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء. الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة، وإنما سمي بذلك لأنه دال على الخالق سبحانه وتعالى ﴿الرحمن الرحيم﴾ فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد، والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن، ويقال لغيره من العباد رحيم. فإن قلت قد سمي مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وهو قول شاعرهم فيه: وأنت غيث الورى لا زلت رحماناً. قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت إلى قولهم هذا. فإن قلت: قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية. قلت: ليعلم أن العناية بالرحمة أكثرها من غيرها من الأمور وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وأنه هو المتفضل بها على خلقه. قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ يعني أنه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء. والمالك هو المتصرف بالأمر والنهي، وقيل: هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى. وقيل: مالك أوسع من ملك لأنه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الأشياء ولأنه لا يكون ملكاً لشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون مالكاً لشيء ولا يملكه وقيل ملك أولى، لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين، قال ابن عباس: مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب. وقيل؛ الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه إلا الدين وقيل الدين القهر. يقال: دنته فدان أي قهرته فذل. فإن قلت: لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكاً للأيام كلها؟ قلت: لأن ملك

قوله: ﴿ إيّاك ﴾، إيّا كلمة ضمير خُصّتْ بالإضافة إلى المضمر، ويستعمل مقدّماً على الفعل، فيقال: إياك أعني وإياك أسأل، ولا يستعمل مؤخراً إلاّ منفصلاً فيقال: ما عنيت إلاّ إياك.

قوله: ﴿ نعبد ﴾ أي: نوحّدك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلّل والخضوع وسُمّي العبد عبداً لذلّته وانقياده يقال: طريق معبد أي: مُذلّل، ﴿ وإيّاك نستعين ﴾، نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا، فإن قيل: لِمَ قدّم ذكر العبادة على الاستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة، فلهذا يلزم مَن يجعل الاستطاعة قبل الفعل، ونحن نحمد الله ونجعل التوفيق والاستعانة مع الفعل، فلا فرق بين التقديم والتأخير ويقال: الاستعانة نوع تعبُّد فكأنه ذكر جملة العبادة أوّلاً، ثم ذكر ما هو من تفاصيلها.

قوله: ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾، اهدنا: أرشدنا، وقال عليّ وأُبيّ بن كعب: ثبّتنا، كما يُقال للقائم: قم حتى أعود إليك، أي: دم على ما أنت عليه، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية، بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن الإلطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السُّنّة.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا أمر يومئذ إلا لله تعالى كما قال تعالى: ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ وقال: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ وقد يسمى في دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة. قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ رجع من الخبر إلى الخطاب، وفائدة ذلك من أول السورة إلى هنا ثناء والثناء في الغيبة أولى. ومن قوله: إياك نعبد دعاء والخطاب في الدعاء أولى. وقيل فيه ضمير أي قولوا: إياك نعبد والمعنى إياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك. والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل، وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده. وقيل: العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدي به الفرض لتعظيم الله تعالى، فقول العبد إياك نعبد معناه لا أعبد أحداً سواك، والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لأنه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة إلا في الخضوع لله تعالى لأنه مولى أعظم النعم وهي إيجاد العبد من العدم إلى الوجود ثم هداه إلى دينه فكان العبد حقيقاً بالخضوع والتذلل به ﴿وإياك نستعين﴾ أي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا. فإن قلت: الاستعانة على العمل إنما تكون قبل الشروع فيه فلم أخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه؟. قلت ذكروا فيه وجوهاً أحدها أن هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير. الثاني أن الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانياً. الثالث كأن العبد يقول شرعت في العبادة فإني أستعين بك على إتمامها فلا يمنعني من إتمامها مانع. الرابع إن العبد إذا قال إياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فأردف ذلك بقوله وإياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي أرشدنا، وقيل ثبتنا، وهو كما تقول للقائم قم حتى أعود إليك ومعناه دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية يعني سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لأن الألطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب أهل السنّة والصراط الطريق، قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

﴿ الصراط ﴾: وصراط قُرِىء بالسين رواه أويس عن يعقوب وهو الأصل سُمّي سراطاً لأنه يسرط السابلة، ويُقرأ بالزاي وقرأ حمزة بإشمام الزاي وكلها لغات صحيحة، والاختيار الصاد عند أكثر القرّاء لموافقة المصحف.

والصراط المستقيم: قال ابن عباس وجابر: هو الإسلام وهو قول مقاتل، وقال ابن مسعود: هو القرآن، ورُوِيَ عن عليّ مرفوعاً «الصراط المستقيم كتاب الله» وقال سعيد بن جبير: طريق الجنّة، وقال سهل بن عبد الله: طريق السُّنّة والجماعة، وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله ﷺ، وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحباه، وأصله في اللغة الطريق الواضح.

﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ أي: مننت عليهم بالهداية والتوفيق، قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: هم كلّ مَن ثبّته الله على الإيمان من النبيّين والمؤمنين الذين ذكر الله تعالى في قوله: ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين ﴾ [النساء: ٦٩] الآية، وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن غيّروا دينهم، وقال عبد الرحمن: هم النبي ومَن معه، وقال أبو العالية: هم الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال عبد الرحمن بن زيدان: رسول الله ﷺ وأهل بيته، وقال شَهْرُ بن حوشب: هم أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته؛ قرأ حمزة «عليهم ولديهم وإليهم» بضم هاآتها، ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تثنيةً وجمعاً إلّا قوله: ﴿ بين أيديهنَّ وأرجلهنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٢]، وقرأ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أي على طريقة حسنة، قال ابن عباس: هو دين الإسلام، وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعاً. وقيل السنّة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ هذا بدل من الأول، أي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق، وهم الأنبياء والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيّروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد ﷺ وأهل بيته ﴿غير المغضوب عليهم﴾ يعني غير صراط الذين غضبت عليهم. والغضب في الأصل هو ثوران دم القلب لإرادة الانتقام ومنه قوله ﷺ: «اتقوا الغضب فإنه جمرة تتوقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه» وإذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين ﴿ولا الضالين﴾ أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى. عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال» أخرجه الترمذي، وذلك لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال: ﴿من لعنه الله وغضب عليه﴾ وحكم على النصارى بالضلال فقال: ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ وقيل: غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنّة والله أعلم.

فصل: في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسألتان: الأولى:

السنّة للقارىء بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفصولاً عنها بسكتة، وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال في المد: ويرحم الله عبداً قال آمينا. وقال في القصر: آمين فزاد الله ما بيننا بعداً. ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب. وقال ابن عباس: معناه كذلك يكون. وقيل: هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله

الآخرون بكسرهما، فمَن ضمّ الهاء ردّها إلى الأصل لأنها مضمومة عند الانفراد، ومَن كسرها فلأجل الياء الساكنة والياء أُخت الكسرة، وضمّ ابن كثير وأبو جعفر كل ميم جمعٍ مشبعاً في الوصل إذا لم يلقها ساكن، فإن لقيها ساكن فلا يُشبع، ونافع يخير، ويضم ورش عند ألف القطع، وإذا تلقته ألفُ وصل وقبل الهاء كسر أو ياء ساكنة ضمّ الهاء والميم حمزة والكسائي وكسرهما أبو عمرو، كذلك يعقوب إذا انكسر ما قبله، والآخرون يقرؤون بضمّ الميم وكسر الهاء لأجل الياء أو لكسر ما قبلها وضمّ الميم على الأصل.

قوله: ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ يعني: غير صراط الذين غضبت عليهم، والغضب هو إرادة الانتقام من العصاة، وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين.

﴿ ولا الضالّين ﴾ أي: وغير الضالّين عن الهدى، وأصل الضلال الهلاك والغيبوبة، يقال: ضلّ الماء في اللبن إذا هلك وغاب، و«غير» ههنا بمعنى لا، ولا بمعنى غير، ولذلك جاز العطف عليها، كما يُقال: فلان غير محسن ولا مجمل، فإذا كان غير بمعنى سوى، فلا يجوز العطف عليها بلا، لا يجوزُ في الكلام: عِندي سوى عبدِ اللّهِ ولا زيد، وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: صراط مَن أنعمت عليهم، لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب، فقال: مَنْ لعنه الله وغضب عليه، وحكم على النصارى بالضلال، غير المغضوب عليهم وغير الضالّين، وقيل: ﴿ المغضوب عليهم ﴾ هم اليهود والضالّون هم النصارى، فقال: ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال سهل بن عبد الله: غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالّين عن السُّنّة، والسُّنّة للقارىء أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة: « آمين »، مفصولاً عن الفاتحة بسكتة، وهو مخفّف ويجوز ممدوداً ومقصوراً،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تعالى على عباده به يدفع عنهم الآثام (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» قال ابن شهاب: وكان رسول الله ﷺ يقول آمين وفي رواية للبخاري «أن الإمام إذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(قوله: فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة). معناه وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم، وقيل: وافقهم في الصفة والخشوع والإخلاص والقول الأول هو الصحيح. واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة.

(قوله غفر له ما تقدم من ذنبه): يعني تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر وقول ابن شهاب: كان رسول الله ﷺ يقول آمين معناه أن هذه صيغة تأمينه ﷺ.

المسألة الثانية في حكم الفاتحة: اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء إلى وجوب الفاتحة وأنها متعينة في الصلاة ولا تجزىء إلا بها، واحتجوا بما روى عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب» أخرجاه في الصحيحين وبحديث أبي هريرة: «من

ومعناه اللّهمّ اسمعْ واستجب، وقال ابن عباس وقتادة: معناه كذلك يكون، وقال مجاهد: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقيل: هو طابع الدعاء، وقيل: هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم، الخاتم الكتاب يمنعه من الفساد وظهور ما فيه. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن القاضي، وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي قالا: أنا أبو بكر أحمد بن حسن الحيري أنا أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني، ثنا محمد بن يحيىٰ ثنا عبد الرزّاق أنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «إذا قال الإمام: ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾، فقولوا: آمين، فإن الملائكة تقول: «آمين، وأن الإمام يقول آمين فَمَن وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه» صحيح.

فصل في فضل فاتحة الكتاب

أنا أبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكتاني أنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي، أنا أبو عثمان عمر بن عبد الله البصري ثنا محمد بن عبد الله الوهاب، ثنا خالد بن مخلد القطراني حدّثني محمد بن جعفر بن أبي كثير هو أخو إسماعيل بن جعفر عن ابن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه، عن أبي هريرة قال: مرّ رسول الله ﷺ على أُبيّ بن كعب وهو قائم يُصلّي فصاح به فقال: تعال يا أُبيّ فعجّل أُبيّ في صلاته، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ما منعك يا أُبيّ أن تجيبني إذْ دعوتك، أليس الله يقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ [الأنفال: ٢٤]»؟ قال أُبيّ: لا جرم يا رسول الله، لا تدعوني إلّا أجبتك وإن كنت مصليّاً، قال: «أتحبّ أن أُعلّمك سورةً لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها»؟ فقال أُبيّ: نعم يا رسول الله! فقال: «لا تخرج من باب المسجد حتى تعلمها» والنبيّ ﷺ يمشي يريد أن يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له أُبيّ: السورة يا رسول الله، فوقف فقال: «نعم! كيف تقرأ في صلاتك»؟ فقرأ أُبيّ أُمّ القرآن، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أُنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وإنما هي السبع من المثاني التي أتاني الله عزّ وجلّ»، هذا حديث حسن صحيح، أخبرنا أبو بكر محمد بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثاً غير تمام» الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب أبو حنيفة إلى أن الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾ وبقوله ﷺ في حديث الأعرابي المسيء صلاته «ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن» أخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الأحاديث. فإن قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزىء صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب» أخرجه الدارقطني وقال إسناده صحيح وعنه «أن رسول الله ﷺ أمره أن يخرج فينادي لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد» أخرجه أبو داود. وأجيب عن حديث الأعرابي بأنه محمول على الفاتحة فإنها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة، والله أعلم.

عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن حسين الحدادي، أنا أبو يزيد محمد بن يحيىٰ بن خالد أنا إسحق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا يحيىٰ بن آدم ثنا أبو الأحوص عن عمّار بن ذريق، عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل إذا سمع نقضاً من فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب فتح من السماء ما فتح قطّ، قال: فنزل منه ملك فأتى النبيّ ﷺ فقال: «أبشرْ بنورين أُوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منهما إلاّ أعطيته»، صحيح. أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي حدّثنا زاهر بن أحمد السرخسي، أنا أبو إسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن: أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَن صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج غير تمام»، قال: فقلت: يا أبا هريرة إنّي أحياناً أكون وراء الإمام؟ فغمز ذراعي وقال: اقرأ بها يا قارىء في نفسك فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عزّ وجلّ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل»، قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا يقول العبد: ﴿ **الحمد لله ربّ العالمين** ﴾ يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾، يقول الله: أثنى عليّ عبدي، يقول العبد: ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد: ﴿ **إيّاك نعبد وإيّاك نستعين** ﴾، يقول الله عزّ وجلّ: هذه الآية بيني وبين عبدي، فلعبدي ما سأل، يقول العبد: ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين** ﴾ يقول الله: فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل». صحيح.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تفسير سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

قال ابن عباس: هي أول ما نزل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ فإنها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف.

فصل: في فضلها:

(م) عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» قال معاوية بن سلام بلغني أن البطلة السحرة (قوله اقرؤوا الزهراوين) سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر. قوله: كأنهما غمامتان أو غيايتان: قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى أن ثوابهما يأتي كغمامتين (قوله: فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي

سُوْرَة البَقَرَة

﴿ الٓمٓ ﴾ قال الشعبي وجماعة: الٓمٓ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سرُّ القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها، قال أبو بكر الصديق: في كل كتاب سرّ وسرّ الله في القرآن أوائل السور، وقال علي: إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي، قال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال: يا داود إن لكل كتاب سرّ وإن سرّ القرآن فواتح السور فدعْها، وسَلْ عمّا سوى ذلك، وقال جماعة: معلومة المعاني، فقيل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم: ١]: الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق، وقيل في ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ [الأعراف: ١]: أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بن أنس في ﴿ الٓمٓ ﴾: الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد، وقال محمد بن كعب: الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: معنى ﴿ الٓمٓ ﴾ أنا الله أعلم، ومعنى ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ أنا الله أعلم وأفضل، ومعنى ﴿ الٓرٰ ﴾ [يونس: ١، هود: ١،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تصف أجنحتها عند الطيران يحاجان. المحاجة المجادلة والمخاصمة وإظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مبيناً يقال أبطل إذا جاء بالباطل. وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقي السور، وأنه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين. وقال: إنما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الأول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» وعنه قال قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ﴾ قيل إن حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سر الله في القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي. وأورد على هذا القول بأنه لا يجوز أن يخاطب الله عباده بما لا يعلمون، وأجيب عنه بأنه يجوز أن يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فإنه مما لا يعقل معناه؛ والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الإيمان بها ولا يلزم البحث عنها. وقال آخرون من أهل العلم: هي معروفة المعاني. ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى فالألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه، ويؤيد هذا أن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريد كلها قال الراجز:

قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

قولها: قاف أي وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها، والإيجاف الإسراع في السير قال ابن عباس: الٓمٓ أنا الله أعلم. وقيل: هي أسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم ألا ترى أنك تقول الٓر وحمٓ ونٓ فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها، ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعاً وقيل أسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس: هي أقسام فقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة

يوسف: ١، إبراهيم: ١، الحجر: ١] أنا الله أرى، ومعنى ﴿الٓمٓرٰ﴾ [الرعد: ١] أنا الله أعلم وأرى. قال الزجّاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريدها كقولهم:

قلت لها قفي فقالت لي قاف

أي: وقفت، وعن سعيد بن جبير قال: هي أسماء الله تعالى مقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول ﴿الٓمٓرٰ﴾ [الرعد: ١] و﴿حمٓ﴾ [الجاثية: ١، الأحقاف: ١، غافر: ١، فصّلت: ١، الدخان: ١، الزخرف: ١] و﴿نٓ﴾ [القلم: ١] فيكون الرحمن، وكذلك سائرها إلاّ أنّا لا نقدر على وصلها، وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن، وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء السور، وبيانه أن القائل إذا قال قرأت الٓمٓصٓ عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالٓمٓصٓ، ورُوِيَ عن ابن عباس: أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة ومبادىء أسمائه الحسنى.

قوله: ﴿ذلك الكتاب﴾ أي: هذا الكتاب وهو القرآن، وقيل: هذا فيه مضمر أي هذا ذلك الكتاب، قال الفرّاء: كان الله قد وعد نبيه ﷺ أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يخلق عن كثرة الردّ، فلما أنزل الله القرآن قال: هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أُنزله عليك في التوراة والإنجيل، وعلى لسان النبيّين من قبلك، وهذا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وإنما اقتصر على بعضها وإن كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمد لله، وتريد أنك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف أو هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ وقيل إن الله تعالى لما تحداهم بقوله: ﴿فاتوا بسورة من مثله﴾ وفي آية ﴿بعشر سور مثله﴾ فعجزوا عنه أنزل هذه الأحرف ومعناه أن القرآن ليس هو إلاّ من هذه الأحرف وأنتم قادرون عليها فكان يجب أن تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من عند البشر. وقيل: إنهم لما أعرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الأحرف فكانوا إذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا إلى ما يجيء به محمد فإذا أصغوا إليه وسمعوه رسخ في قلوبهم، فكان ذلك سبباً لإيمانهم، وقيل: إن الله تعالى غير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة خطابه إلاّ باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه. واعلم أن مجموع الأحرف المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفاً في تسع وعشرين سورة وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهي نصف حروف المعجم، وسيأتي الكلام على باقيها في مواضعها إن شاء الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿**ذلك الكتاب**﴾ أي هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه إضمار، والمعنى هذا الكتاب الذي وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه ﷺ أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد، فلما أنزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك به وقيل إن الله وعد بني إسرائيل أن ينزل كتاباً ويرسل رسولاً من ولد إسماعيل. فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وبها من اليهود خلق كثير أنزل الله تعالى هذه الآية ﴿**الٓمٓ ذلك الكتاب**﴾ أي هذا الكتاب الذي وعدت به على لسان موسى أن أنزله على النبي الذي هو من ولد إسماعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتاباً لأنه يجمع الحروف بعضها إلى بعض والكتاب اسم من أسماء القرآن ﴿**لا ريب فيه**﴾ أي لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق، وقيل: هو خبر بمعنى النهي أي لا ترتابوا فيه. فإن قلت قد ارتاب به قوم فما

للتقريب وذلك للتبعيد، وقال ابن كيسان: إن الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سوراً كذّب بها المشركون ثم أنزل سورة البقرة فقال: ذلك الكتاب يعني ما تقدّم البقرة من السور، لا شك فيه، والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق، وهذا الدرهم ضرب فلان، أي: مضروبه، وأصل الكتاب الضمّ والجمع، ويقال للجند كتيبة، لاجتماعها وسُمّي الكتاب كتاباً لأنه جمع حرف إلى أحرف. قوله تعالى: ﴿ **لا ريب فيه** ﴾، أي: لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق، وقيل: هو خبر بمعنى النهي أي: لا ترتابوا فيه لقوله تعالى: ﴿ **فلا رفث ولا فسوق** ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، قرأ ابن كثير فيه بالإشباع في الوصل، وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلاً ما لم يلها ساكن، ثم إن كان الساكن قبل الهاء ياء يشبعها بالكسر ياءً، وإن كان غيرها يشبعها بالضم واواً، ووافقه حفص في قوله: ﴿ فيه مهاناً ﴾ [الفرقان: ٦٩] فأشبعه.

قوله تعالى: ﴿ **هدى للمتقين** ﴾، يدغم الغنّة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحمزة والكسائي، زاد حمزة والكسائي عند الياء، وزاد حمزة عند الواو، والآخرون لا يدغمونها، ويخفي أبو جعفر النون والتنوين عند الخاء والغين، هدًى للمتّقين، أي: هو هدى، أي: رشد وبيان لأهل التقوى، وقيل: هو نصب على الحال، أي: هادياً تقديره لا ريب فيه في هدايته للمتّقين، والهدى ما يهتدي به الإنسان للمتّقين، أي: للمؤمنين قال ابن عباس: المتّقي مَن يتّقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجز بين شيئين، ومنه يُقال: اتقى بترسه أي: جعله حاجزاً بين نفسه وبين ما يقصده، وفي الحديث: كنّا إذا اشتدّ البأس

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

معنى لا ريب فيه. قلت معناه أنه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك ﴿هدى للمتقين﴾ الهدى عبارة عن الدلالة وقيل دلالة بلطف وقيل الهداية الإرشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في هدايته والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس: المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين الشيئين، يقال: اتقى بترسه إذا جعله حاجزاً بينه وبين ما يقصده وفي الحديث «كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ» معناه أنا كنا إذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله ﷺ حاجزاً بيننا وبين العدو فكأن المتقي يجعل امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه حاجزاً بينه وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيراً من أحد. وقيل: التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض. وقيل: التقوى ترك الإصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة. وقيل: التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل: التقوى الاقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه وفي الحديث «جماع التقوى في قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية» وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وخص المتقين بالذكر تشريفاً لهم، لأن مقام التقوى مقام شريف عزيز، لأنهم هم المنتفعون بالهداية، ولو لم يكن للمتقين فضل إلاّ قوله تعالى هدى للمتقين لكناهم. فإن قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون. قلت هو كقولك للعزيز الكريم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة له إلى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ أي يصدقون بالغيب، وأصل الإيمان في اللغة التصديق قال الله تعالى: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي بمصدق فإذا فسر الإيمان بهذا فإنه لا يزيد ولا ينقص لأن التصديق لا يتجزأ حتى يتصور كما له مرة ونقصانه أخرى. والإيمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، وإذا فسر بهذا فإنه يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم، وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسألة وهي أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى

اتّقينا برسول الله ﷺ أي: إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزاً بيننا وبين العدو، فكأنَّ المتّقى يجعل امتثالَ أمر الله والاجتناب عمّا نهاه حاجزاً بينه وبين العذاب، قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار: حدّثنا عن التقوى، فقال: هل اخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: حذّرت وتشمّرت، قال كعب: وذلك التقوى، وقال شهر بن حوشب: المتّقي الذي يترك ما لا بأس به حذراً لما به بأس، وقال عمر بن عبد العزيز: التقوى تركُ ما حرّم الله وأداءُ ما افترض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير، وقيل: هو اقتداء بالنبي ﷺ، وفي الحديث: «جماع التقوى» في قوله تعالى: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾[النحل: ٩٠] الآية، وقال ابن عمر: التقوى أن لا ترى نفسك خيراً من أحد، وتخصيص المتّقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى.

قوله تعالى: ﴿ الـذين يؤمنون ﴾ موضع الذين خفض، نعتاً للمتّقين يؤمنون يصدقون، ويترك همزة أبو عمرو وورش، والآخرون يهمزونه، وكذلك يتركان كل همزة ساكنة هي فاء الفعل نحو يؤمن ومؤمن إلاّ أحرفاً معدودة، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب، قال الله تعالى: ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمصدق لنا، وهو في الشريعة: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فسُمّي الإقرار والعمل إيماناً لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه، والإسلام هو الخضوع والانقياد فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً إذا لم يكن معه تصديق، قال الله تعالى: ﴿ قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [الحجرات: ١٤]، وذلك لأن الرجل قد يكون مستسلماً في الظاهر غير مصدق في الباطن ويكون مصدقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر، وقد اختلف جواب النبيّ ﷺ عنهما حين سأله جبريل عليه السلام، وهو ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد التوبة الزراد

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تصديقه العمل بموجب الإيمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من أركان الدين هل يسمى مؤمناً أم لا؟ فيه خلاف، والمختار عند أهل السنة أنه لا يسمى مؤمناً لقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» فنفى عنه اسم الإيمان أو كمال الإيمان وأنكر أكثر المتكلمين زيادة الإيمان ونقصانه، وقالوا: متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكاً وكفراً. وقال المحققون من متكلمي أهل السنة: إن نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الأعمال ونقصانها وبهذا أمكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الإيمان ونقصانه وبين أصله من اللغة. وقال بعض المحققين: إن نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الأدلة والبراهين وقلة إمعان النظر في ذلك ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى وأثبت من إيمان غيرهم لأنهم لا تعتريهم شبهة في إيمانهم ولا تزلزل، وما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك، إذ لا يشك عاقل أن نفس تصديق أبي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الأمة وقيل إنما سمي الإقرار والعمل إيماناً لوجه المناسبة لأنه من شرائعه، والدليل على أن الأعمال من الإيمان ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» أخرجاه في الصحيحين. البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة إلى العشرة والشعبة القطعة من الشيء وإماطة الأذى عن الطريق وهو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه. والحياء بالمد وهو انقباض النفس عن فعل القبيح وإنما جعل من الإيمان وهو اكتساب لأن المستحيي ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الإيمان، وقيل الإيمان مأخوذ من الأمن فسمي المؤمن مؤمناً لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله. والإسلام هو الانقياد والخضوع فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً إن لم يكن معه تصديق وذلك أن الرجل قد يكون مسلماً في الظاهر غير مصدق في الباطن (ق) عن

البخاري، أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، ثنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، ثنا أبو أحمد عيسى بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا كهمس بن الحسن، عن عبد الله بن بريدة عن يحيـىٰ بن يعمر قال: كان أول مَن تكلم في القدر يعني بالبصرة معبد الجهني، فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن نريد مكة قلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه ما يقول هؤلاء، فلقينا عبد الله بن عمر فاكتنفته أنا وصاحبي ـ اكتنفوا أي: أحاطوا ـ أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فعلمت أنه سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبَلنا أُناس يتفقرون هذا العلم ويطلبونه، يزعمون أن لا قدر إنما الأمر أُنف، قال: فإذا لقيتَ أولئك فأخبرهم أنّي منهم بريء وأنهم منّي بُراء، والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أُحدٍ ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قَبِلَ الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشرّه، ثم قال: حدّثنا عمر بن الخطاب، قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذْ أقبل رجلٌ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منّا أحد فأقبل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ وركبته تمسّ ركبته، فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام تشهدُ أن لا إلَه إلّا الله وأن محمداً رسول الله، وتُقيمُ الصلاة وتُؤتي الزكاة وتصومُ رمضانَ وتحجُّ البيتَ إنِ استطعت إليه سبيلاً»، فقال: صدقت، فتعجبنا من سؤاله وتصديقه، ثم قال: فما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنّة والنار وبالقدر خيره وشرّه»، فقال: صدقت، ثم قال: فما الإحسان؟ قال: «أنْ تعبدَ الله كأنّك تراه فإنّك إن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: صدقت، ثم قال: فأخبرني عن الساعة، فقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «أن تلد الأمةُ رَبّتها وأن ترى الحُفاةَ العُراة رِعاء الشاء يتطاولون في بنيان المدر»، قال: صدقت، ثم انطلق، فلما كان بعد ثالثة قال لي رسول الله ﷺ: «يا عمر هل تدري مَنِ الرجل»؟ قال: قلت اللّهُ ورسولُهُ أعلمُ قال: «ذلك جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم، وما أتاني في صورة

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الإيمان «قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر» قال يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال «أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها. إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها، وإذا كانت الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها، وخمس لا يعلمهن إلاّ الله» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ إلى قوله: ﴿عليم خبير﴾ قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله ﷺ: «ردوا عليَّ هذا الرجل» فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئاً فقال رسول الله ﷺ: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم» وفي أفراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه، وقد تقدم الكلام على معنى الإيمان والإسلام. وبقي أشياء تتعلق بمعنى الحديث، فقوله كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً أي ظاهراً، وقوله: أن تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء. وقيل في الجامع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فإن اللقاء يحصل بمجرد الانتقال إلى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفي تقييده بالآخر وجه آخر وهو أن خروجه إلى الدنيا بعث من الأرحام وخروجه من القبر إلى الآخرة بعث آخر. قوله ما الإحسان هو هنا الإخلاص في العمل وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام لأن من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير إخلاص لم يكن محسناً، وقيل أراد بالإحسان المراقبة وحسن الطاعة، فإن من راقب الله حسن عمله، وهو المراد بقوله، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبلها. قوله: إذا ولدت

إلاّ عرفتُه فيها إلاّ في صورته هذه»، قال الفرّاء: فالنبي ﷺ جعل الإسلام في هذا الحديث اسماً لِمَا ظهر من الأعمال، والإيمان اسماً لِمَا بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، وتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجمّاعها الدين، ولذلك قال: «ذلك جبرائيل أتاكم يعلّمكم أمر دينكم»، والدليل على أن الأعمال من الإيمان، ما أخبر أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن علي بن الشاة، ثنا أبو أحمد بن محمد بن قريش بن سليمان، ثنا بشير بن موسى ثنا خلف بن الوليد عن جرير الرازي، عن سهل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أفضلها قول لا إلّه إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»، الإيمان مأخوذ من الأمان فسُمّي المؤمن مؤمناً لأنه يُؤمِّن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمِّن العباد من عذابه.

﴿ بالغيب ﴾، والغيب: مصدرٌ وُضع موضع الاسم، فقيل للغائب: غيب، كما قيل للعادل: عدل، وللزائر: زور، والغيب ما كان مغيباً من العيون، قال ابن عباس: الغيب ههنا كل ما أُمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان، وقيل: الغيب ههنا هو الله تعالى، وقيل: القرآن وقال الحسن: الآخرة وقال زر بن حبيش وابن جريج: الوحي، نظيره: ﴿ أعنده علم الغيب ﴾ [النجم: ٣٥]، وقال ابن كيسان: بالقدر، وقال عبد الرحمن بن يزيد: كنّا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ وما سبقوا به فقال عبد الله: إن أمر محمد كان بيننا لمَن رآه والذي لا إلّه غيره ما آمن أحدٌ قطّ إيماناً أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿ الٓمٓ ذلك الكتاب ﴾، إلى قوله: ﴿ المفلحون ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش: «يومنون»، بترك الهمزة، وكذلك يترك أبو جعفر كل همزة ساكنة إلاّ في ﴿ أنبئهم ﴾ [البقرة: ٣٣]، و﴿ ينبئهم ﴾ [المائدة: ١٤،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأمة ربها يعني سيدها والمعنى أن الرجل تكون له الأمة فتلد له ولداً فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها، ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء وإسكان الهاء من البهم وهي الصغار من أولاد الضأن، والمعنى أنه يبسط المال على أهل البادية وأشباههم حتى يتباهون في البناء ويسودون الناس فذلك من أشراط الساعة والله أعلم. قوله تعالى ﴿بالغيب﴾، والغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم، فقيل: الغائب غيب وهو ما كان مغيباً عن العيون قال ابن عباس: الغيب هنا كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان. وقيل: الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالآخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال عبدالرحمن بن يزيد كنا عند عبدالله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ وما سبقونا به فقال عبدالله بن مسعود إن أمر محمد ﷺ كان بيناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ ﴿الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ إلى قوله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ﴿ويقيمون الصلاة﴾ أي يداومون عليها في مواقيتها بحدودها وإتمام أركانها وحفظها من أن يقع فيها خلل في فرائضها وسننها وآدابها، يقال: قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطى حقوقه، والمراد به الصلوات الخمس. والصلاة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أي ادع لهم وأصله من صليت العود إذا لينته فكأن المصلي يلين ويخشع. وفي الشرع اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية ﴿ومما رزقناهم﴾ أي أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والنصيب ﴿ينفقون﴾ أي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله، ويدخل فيه إنفاق الواجب كالزكاة والنذر والإنفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والإنفاق في الجهاد إذا وجب عليه والإنفاق في المندوب، وهو

الأنعام: ١٠٨ و١٥٩، النور: ٦٤، المجادلة: ٦ و٧، الحجر: ٤٩]، و﴿ نبئنا ﴾ [يوسف: ٣٦]، ويترك أبو عمرو كلها إلا أن يكون علامةً للجزم نحو ﴿ نبئهم ﴾ [القمر: ٢٨، الحجر: ٥١]، و﴿ أنبئهم ﴾ [البقرة: ٣٣]، و﴿ تسؤهم ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، و﴿ تسؤكم ﴾ [المائدة: ١٠١]، و﴿ إن نشأ ﴾ [الشعراء: ٤، سبأ: ٩، يٓس: ٤٣]، و« ننسأها »، ونحوها أو يكون خروجها من لغة إلى أخرى نحو: « مؤصدة »، و« رِئْيا »، ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت قبل فاء الفعل، إلاّ: « تؤوي »، و« تؤويه »، ولا يترك من عين الفعل إلاّ: « الرؤيا »، وبابه إلاّ ما كان على وزن فعل.

قوله: ﴿ ويقيمون الصلوٰة ﴾، أي: يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها، يقال: قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطياً حقوقه، أو المراد بها الصلوات الخمس، ذُكر بلفظ الواحد كقوله تعالى: ﴿فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ﴾ [البقرة: ٢١٣]، يعني: الكتب، والصلاة في اللغة: الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ فصل عليهم ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي: ادعُ لهم، وفي الشريعةُ اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء، وقيل في قوله تعالى: ﴿ إن الله وملائكته يُصلّون على النبي ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، الآية، إن الصلاة من الله في هذه الآية الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الدعاء.

قوله: ﴿ ومما رزقناهم ﴾، أي: أعطيناهم، والرزق اسم لكل ما يُنتفع به حتى الولد والعبد، وأصله في اللغة: الحظ والنصيب.

﴿ ينفقون ﴾: يتصدقون، قال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، ومنه نَفاق السوق، لأنه يُخرج فيه السلعة عن اليد، ومنه نَفَقَتِ الدابّة: إذا خرجتْ روحها، فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

صدقه التطوع ومواساة الإخوان، وهذه كلها مما يمدح بها وأدخل من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفاً عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الإنفاق.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ أي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الأنبياء من قبل كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء كلها فيجب الإيمان بذلك كله ﴿وبالآخرة﴾ يعني بالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها ﴿هم يوقنون﴾ من الإيقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون أنها كائنة.

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿أولئك﴾ أي الذين هذه صفتهم ﴿على هدى من ربهم﴾ أي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب أي الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر:

لو كان حيٌّ مدرك الفلاح   أدركه مُلاعب الرماح

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وإدراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل: إن الحديد بالحديد يفلح، أي يقطع، فعلى هذا يكون المعنى أولئك

قوله: ﴿ والذين يؤمنون بما أُنزل إليك ﴾، يعني: القرآن. ﴿ وما أُنزل مِنْ قبلك ﴾: من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزّلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويترك أبو جعفر وابن كثير وقالون وأهل البصرة ويعقوب كلَّ مدّ يقع بين كل كلمتين، والآخرون يمدّونها، وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتب.

قوله: ﴿ وبالآخرة ﴾، أي: بالدار الآخرة، سُميت الدنيا: دنيا لدنوّها من الآخرة، وسُمّيت الآخرة: آخرة لتأخّرها وكونها بعد الدنيا. ﴿ هم يُوقنون ﴾، أي: يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان وهو العلم، وقيل: الإيقان واليقين علم عن استدلال، ولذلك لا يُسمّى الله موقناً ولا علمه يقيناً إذْ ليس علمه عن استدلال.

قوله: ﴿ أولئك ﴾، أي: أهل هذه الصفة، وأُولاء: كلمة معناها الكناية عن جماعة نحو: هم، والكاف للخطاب، كما في حرف ذلك. ﴿ على هدًى ﴾، أي: رُشد وبيان وبصيرة. ﴿ مِنْ رَبِّهم وأولئك هم المفلحون ﴾: الناجون والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء، أي: باقون في النعيم المقيم، وأصل الفلاح: القطع والشق، ومنه سُمي الزَّراع: فلاحاً، لأنه يشق الأرض، وفي مثل: الحديد بالحديد يفلح، أي: يشق، فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿ إن الذين كفروا ﴾، يعني مشركي العرب، قال الكلبي: يعني اليهود، والكفر عن الجحود، وأصله: من الستر ومنه سُمّي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسُمّيَ الزَّراع كافراً لأنه يستر الحبّ بالتراب، فالكافر يستر

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة. واعلم أن الله عزّ وجلّ صدر هذه السورة بأربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة آية أنزلها في المنافقين فأما التي في الكفار فقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا﴾ أي جحدوا وأنكروا وأصل الكفر في اللغة الستر والتغطية، ومنه سمي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته قال الشاعر، في ليلة كفر النجوم غمامها، أي سترها والكفر على أربعة أضرب: كفر إنكار وهو أن لا يعرف الله أصلاً ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من إله غيري، وكفر جحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس، وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعر له:

ولقـــد علمـــت بـــأن ديـــن محمـــد ... مـــن خيـــر أديـــان البـــريـــة دينـــا

لـــولا المـــلامـــة أو حـــذار مسبـــة ... لـــوجـــدتنـــي سمحـــاً بـــذاك مبينـــا

وكفر نفاق، وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه، فجميع هذه الأنواع كفر. وحاصله أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيئاً مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد ﷺ أو أحداً من الرسل فهو كافر فإن مات على ذلك فهو في النار خالداً فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب. وقيل في اليهود ﴿سواء عليهم﴾ أي متساوٍ لديهم ﴿أأنذرتهم﴾ أي خوفتهم وحذرتهم والإنذار إعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذراً ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الأزلي أنهم لا يؤمنون. ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ أي طبع الله

الحق بجحوده، والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر به، وكفرُ الجحود هو أنْ لا يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود، قال الله تعالى: ﴿ فلما جاءهمْ ما عرفوا كفرُوا به ﴾ [البقرة: ٨٩]، وكفرُ العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقـد علمت بـأن دين محمـد ... من خيـر أديـان البـريّـة دينـا

لـولا الملامـة أو حـذار مسبّـة ... لـوجـدتني سمحـاً بـذاك مبينـا

وأما كفر النفاق فهو أن يقرّ باللسان ولا يعتقد بالقلب، وجميع هذه الأنواع سواء في أن مَن لقي اللَّهَ تعالى بواحد منها لا يغفر له. قوله: ﴿ سواء عليهم ﴾: متساوٍ لديهم ﴿ أأنذرتهم ﴾: خوّفتهم وحذّرتهم، والإنذار: إعلام مع تخويف وتحذير، فكل منذر معلّم وليس كل معلّم منذراً، وحقّق ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي الهمزتين في ﴿ أأنذرتهم ﴾، وكذلك كل همزتين تقعان في أول الكلمة، والآخرون يلينون الثانية، ﴿ أم ﴾: حرف عطف على الاستفهام، ﴿ لم ﴾: حرف جزم لا يلي إلّا الفعل، لأن الجزم يختصّ بالأفعال. ﴿ تنذرهم لا يؤمنون ﴾: وهذه الآية في أقوام حقّت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله، ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

﴿ ختمَ اللَّهُ ﴾ أي: طبع الله ﴿ على قلوبهم ﴾ فلا تعني خيراً ولا تفهمه، وحقيقة الختم: الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه ومنه الختم على الباب، قال أهل السُّنّةُ أي: حكم على قلوبهم بالكفرِ لما سبق من علمه الأول فيهم، وقال المعتزلة: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها، ﴿ وعلى سمعهم ﴾، أي: على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وأراد على أسماعهم كما قال على قلوبهم، وإنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. ﴿ وعلى أبصارهم غِشاوة ﴾: هذا ابتداء كلام، غشاوة أي: غطاء فلا يرون الحق.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عليها فلا تعي خيراً ولا تفهمه وأصل الختم التغطية وحقيقة الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج، منه ومنه ختم الكتاب. قال أهل السنة: ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الأزلي فيهم وإنما خص القلب بالختم لأنه محل الفهم والعلم ﴿وعلى سمعهم﴾ أي وختم على موضوع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه كأنها مستوثق منها بالختم أيضاً، وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل إنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ هذا ابتداء كلام والغشاوة الغطاء، ومنه غاشية السرج أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ يعني في الآخرة وقيل الأسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى. وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الإنسان ويعيبه ويشق عليه وقيل هو الإيجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الإنسان من مراده ومنه الماء العذب لأنه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير. قوله عزّ وجلّ: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك أنهم أظهروا كلمة الإسلام ليسلموا بها من النبي ﷺ وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود. وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالإيمان ويقربه وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها، والناس جمع إنسان سمي به لأنه عهد إليه فنسي قال الشاعر. سميت إنساناً لأنك ناسي، وقيل سمي إنساناً لأنه يستأنس بمثله ﴿وباليوم الآخر﴾ أي وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الأيام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا آخر قال الله تعالى رداً على المنافقين ﴿وما هم بمؤمنين﴾ نفى عنهم الإيمان بالكلية.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩﴾

﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ أي يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر وأصله في اللغة لإخفاء والمخادع

وقرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿أبصـارهم﴾ بالإمالة وكذلك كلّ ألف بعدها راء مجرورة في الأسماء كانت لام الفعل يُميلانها، ويميل حمزة منها ما فيه الراء «كالقرار» ونحوه، زاد الكسائي إمالة (جبارين، والجوار، مأواكم، ومن أنصاري، ونسارع) وبابه، وكذلك يميل هؤلاء كل ألف بمنزلة لام الفعل أو كانت علماً للتأنيث إذا كان قبلها راء، فعلم التأنيث مثل: (الكبرى، والأخرى)، ولام الفعل مثل: (ترى، وفترى)، يكسرون الراء منها.

﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ أي: في الآخرة، وقيل: القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العُقبى، والعذاب: كل ما يعني الإنسان ويشقّ عليه، قال الخليل: العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده، ومنه الماء العذب لأنه يمنع العطش.

قوله: ﴿ ومِنَ الناسِ مَنْ يقول آمنّا بالله ﴾: نزلت في المنافقين عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول ومعتب بن قشير وجدّ قيس وأصحابهم، حيث أظهروا كلمة الإسلام لِيَسْلمُوا من النبيّ ﷺ وأصحابه، واعتقدوا خِلافها، وأكثرهم من اليهود، والناس: جمع إنسان، سُمّي به لأنه عُهد إليه فنسي، كما قال الله تعالى: ﴿ ولقدْ عهِدنا إلى آدم من قبلُ فنسي ﴾ [طه: ١١٥]، وقيل: لظهوره من قولهم أي أبصرت، وقيل: لأنه يستأنس به، ﴿ وباليوم الآخر ﴾ أي: بيوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾.

﴿ يُخادعون الله ﴾ أي: يخالفون الله، وأصل الخداع في اللغة الإخفاء، ومنه المخدع للبيت الذي يُخفى فيه المتاع، فالمخادع يظهر خلاف ما يضمر، والخداع من الله في قوله: ﴿ وهو خادعهم ﴾ [النساء: ١٤٢] أي: يُظهرُ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق، وهو خادعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة. فإن قلت المخادعة مفاعلة، وإنما تجيء في الفعل المشترك، والله تعالى منزه عن المشاركة قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص، فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن أن يكون منه خداع. فإن قلت: كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والأسرار؟ فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله؟. قلت إن الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله ﷺ وذلك تفخيم لأمره وتعظيم لشأنه، وقيل أراد به المؤمنين وإذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك أنهم ظنوا أن النبي ﷺ والمؤمنين لم يعلموا حالهم ولتجري عليهم أحكام الإسلام في الظاهر وهم، على خلافه في الباطن ﴿وما يخدعون إلّا أنفسهم﴾ أي إن الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة إلّا خادعين أنفسهم، وقيل: إن وبال ذلك الخداع راجع إليهم لأن الله تعالى يطلع نبيه ﷺ على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى. والنفس ذات الشيء وحقيقته. وقيل للدم نفس لأن به قوة البدن ﴿وما يشعرون﴾ أي لا يعلمون أن وبال خداعهم راجع عليهم.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤﴾

﴿في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضاً لأنه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن ﴿فزادهم الله مرضاً﴾ يعني أن الآيات

لهم ويُعجّل لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة، وقيل: أصل الخداع: الفساد، معناه يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضمروا من الكفر، وقوله: ﴿ وهو خادعهم ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي: يُفسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما يصيرهم إليه من عذاب الآخرة، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ يخادعون الله ﴾، والمفاعلة للمشاركة وقد جلّ الله تعالى عن المشاركة في المخادعة؟ قيل: قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك: عافاك الله وعافيت فلاناً وطارقت النعل، وقال الحسن: معناه يُخادعون رسول الله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿ إن الذين يؤذون الله ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، أي: أولياء الله، وقيل: ذِكرُ الله ههنا تحسينٌ، والقصد بالمخادعة الذين آمنوا، كقوله تعالى: ﴿ فإنّ للّهِ خُمُسَهُ وللرسول ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقيل: معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم. ﴿ والذين آمنوا ﴾، أي: ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمنّا وهم غير مؤمنين، ﴿ وما يخدعون ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿ ما يخدعون ﴾. كالحرف الأول وجعلوه من المفاعلة التي يختصّ بالواحد، وقرأ الباقون ﴿ وما يخدعون ﴾ على الأصل ﴿ إلّا أنفسهم ﴾، لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله يُطلع نبيّه ﷺ على نفاقهم فيُفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العُقبى، ﴿ وما يشعرون ﴾ أي: لا يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم وأن وَبَالَ خِداعهم يعود عليهم.

﴿ في قلوبهم مرض ﴾: شك ونفاق، وأصل المرض الضعف، سُمّي الشك في الدنيا مرضاً لأنه يُضعف الدينَ كالمرض يُضعف البدنَ، ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾، لأن الآيات كانت تنزل تترى آيةً بعد آية، كلما

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

كانت تنزل تترى، أي آية بعد آية فلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفراً ونفاقاً ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبهم ﴿بما كانوا يكذبون﴾ أي بتكذيبهم الله ورسوله في السر، وقرىء بالتخفيف أي بكذبهم إذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني المنافقين وقيل اليهود والمعنى إذا قال لهم المؤمنون ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ أي بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ يعني يقولونه كذباً ﴿ألا﴾ كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب ﴿إنهم هم المفسدون﴾ يعني في الأرض بالكفر وهو أشد الفساد ﴿ولكن لا يشعرون﴾ وذلك لأنهم يظنون أن ما هم عليه من النفاق وإبطان الكفر صلاح وهو عين الفساد. وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني المنافقين وقيل اليهود ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ يعني المهاجرين والأنصار. وقيل عبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمني أهل الكتاب، والمعنى أخلصوا في إيمانكم كما أخلص هؤلاء في إيمانهم لأن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ أي الجهال. فإن قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء. قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾ يعني الجهال. وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم وإنما سمى الله المنافقين سفهاء لأنهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء ﴿ولكن لا يعلمون﴾ يعني أنهم كذلك. قوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ يعني هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار ﴿قالوا آمنا﴾ كإيمانكم ﴿وإذا خلوا﴾ أي رجعوا. وقيل هو من الخلوة ﴿إلى﴾ قيل بمعنى الباء أي بـ ﴿شياطينهم﴾ وقيل بمعنى مع أي مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم

كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ وأمّا الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتْهم رِجْساً إلى رجسهم ﴾ [التوبة: ١٢٥]، قرأ ابن عامر وحمزة ﴿ فزادهم ﴾، بالإمالة، وزاد حمزة إمالة (زاد) حيث وقع، (وزاغ، وخاب، وطاب، وحاق، وضاق)، والآخرون لا يُميلونها، ﴿ ولهم عذابٌ أليم ﴾: مؤلم يخلص وجعُه إلى قلوبهم، ﴿ بما كانوا يَكذبون ﴾: ما للمصدر، أي: بتكذيبهم الله ورسوله في السرّ، وقرأ الكوفيون يكذبون بالتخفيف، أي: بكذبهم إذا قالوا: آمنّا وهم غير مؤمنين، (وإذا قيل) قرأ الكسائي (قيل، وغيض، وجيء، وحِيل، وسِيق، وسِيئت)، بِرَوْمِ أوائلهنّ الضم، ووافق أهل المدينة في (سِيء، وسِيئت) ووافق ابن عامر في (سِيق، وحِيل، وسِيء، وسِيئت)، لأن أصلها قُوِل بضم القاف وكسر الواو، مثل قُتِل، وكذلك في أخواته، فأُشير إلى الضمّة لتكون دالّةً على الواو المنقلبة، والباقون يكسر أوائلهنّ، استثقلوا الحركة على الواو، فنقلوا كسرتها إلى فاء الفعل وانقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها.

﴿ وإذا قيل لهم ﴾، يعني: للمنافقين، وقيل: لليهود، أي: قال لهم المؤمنون: ﴿ لا تفسدوا في الأرض ﴾، بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، وقيل: معناه لا تكفروا، والكفر أشد فساداً في الدين، ﴿ قالوا إنّما نحنُ مصلحون ﴾: يقول هذا القول كذباً كقولهم آمنّا وهم كاذبون.

﴿ ألا ﴾: كلمة تنبيه ينبّه بها المخاطب، ﴿ إنّهم هم المُفسِدُون ﴾ أنفسَهم بالكفر، والناسَ بالتعويق عن الإيمان، ﴿ ولكنْ لا يشعرون ﴾ أي: لا يعلمون أنهم مفسدون، لأنهم يظنون أنّ الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح، وقيل: لا يعلمون ما أعدّ الله لهم من العذاب.

﴿ وإذا قيل لهم ﴾ أي: للمنافقين، وقيل لليهود: ﴿ آمنوا كما آمن الناس ﴾: عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب، وقيل: كما آمن المهاجرون والأنصار، ﴿ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ أي: الجهّال، فإن قيل: كيف يصحّ النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء؟ قيل: إنهم كانوا يُظهِرون هذا القول فيما

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قال ابن عباس وهم خمسة نفر: كعب بن الأشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة من بني أسلم، وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبدالله بن السوداء بالشام، ولا يكون كاهن إلاّ ومعه شيطان تابع لهم، وقيل لهم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين في تمردهم ﴿قالوا إنا معكم﴾ أي على دينكم ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ أي بمحمد وأصحابه بما نظهر لهم من الإسلام لنأمن شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم. قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبدالله بن أبي لأصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم؟ فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تميم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله ﷺ في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً يا ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ. فقال له علي: اتق الله يا عبدالله ولا تنافق فإن المنافقين شر خليقة الله. فقال مهلاً يا أبا الحسن إني لا أقول هذا نفاقاً والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبدالله لأصحابه كيف رأيتموني فعلت؟ فأثنوا عليه خيراً.

ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ

بينهم لا عند المؤمنين، فأخبر الله نبيَّهُ ﷺ والمؤمنين بذلك فردَّ اللَّهُ عليهم فقال: ﴿ **ألَا إنّهم همُ السّفهاءُ ولكنْ لا يعلمون** ﴾، أنهم كذلك، والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم، من قولهم: ثوب سفيه، أي: رقيق، وقيل: السفيه: الكذاب الذي يتعمّد بخلاف ما يعلم.

قرأ أهل الكوفة والشام ﴿ **السفهاءُ ألَا** ﴾ بتحقيق الهمزتين، وكذلك كل همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا أو اختلفتا، والآخرون يحقّقون الأولى ويلينون الثانية في المختلفتين طلباً للخفّة، فإن كانتا متفقتين مثل: (هؤلاء، وأولياء، وأولئك، وجاء أمر ربّك)، قرأ أبو عمرو والبَزّي عن ابن كثير بهمزة واحدة، وقرأ أبو جعفر وورش والقواش ويعقوب بتحقيق الأولى وتليين الثانية، وقرأ قالون بتليين الأولى وتحقيق الثانية لأن ما يستأنف أُولى بالهمزة مما يُسكت عليه.

﴿ **وإذا لَقُوا الذين آمنوا** ﴾، يعني: هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار: ﴿ **قالوا آمنّا** ﴾ كإيمانكم ﴿ **وإذا خَلَوْا** ﴾ رجعوا، ويجوز أن يكون من الخلوة، و﴿ **إلى** ﴾، بمعنى: الباء، أي: بشياطينهم، وقيل: إلى بمعنى مع، كما قال الله تعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ [النساء: ٢] أي: مع أموالكم. ﴿ **شياطينهم** ﴾، أي: رؤسائهم وكَهَنَتِهم، قال ابن عباس: وهم خمسة نفر من اليهود: كعب بن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة في بني أسلم، وعبد الدار في جُهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبد الله بن السوداء بالشام، ولا يكون كاهن إلاّ ومعه شيطان تابع له، والشيطان المتمرّد العاتي من الجن والإنس ومن كل شيء، وأصله البُعد، يقال: بئر شطون، أي: بعيدة العمق، سُمّي الشيطان شيطاناً لامتداده في الشر وبعده من الخير، وقال مجاهد: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين، ﴿ **قالوا إنّا معكم** ﴾، أي: على دينكم ﴿ **إنّما نحنُ مُستهزءُون** ﴾ بمحمد ﷺ وأصحابه بما نُظهر من الإسلام. قرأ أبو جعفر (مستهزؤن، ويستهزؤن، وقل استهزؤوا، وليطفؤا، وليواطؤا، ويستنبؤنك، وخاطين، وخاطون، ومتكين ومتكون فمالون، والمنشون)، بترك الهمزة فيهنّ.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ
وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

﴿**الله يستهزىء بهم**﴾ أي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمي الجزاء باسمه لأنه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فإذا انتهوا إليه سدّ عنهم وردوا إلى النار ﴿**ويمدهم**﴾ أي يتركهم ويمهلهم. والمد والإمداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما يأتي المد في الشر والإمداد في الخير ﴿**في طغيانهم**﴾ أي في ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد ﴿**يعمهون**﴾ أي يترددون في الضلالة متحيرين ﴿**أولئك**﴾ يعني المنافقين ﴿**الذين اشتروا الضلالة بالهدى**﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان وإنّما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعاً على سبيل الاستعارة لأن الشراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر. فإن قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى. قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلي الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها. والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء ﴿**فما ربحت تجارتهم**﴾ أي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها ﴿**وما كانوا مهتدين**﴾ أي مصيبين في تجارتهم، لأن رأس المال هو الإيمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى. وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم. قوله عزّ وجلّ ﴿**مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً**﴾ المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولاً آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره، ولهذا ضرب الله تعالى الأمثال في كتابه، وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان، لأنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه، ولأن المثل تشبيه الخفي بالجلي، فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الإيضاح، وشرطه أن يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد ناراً لينتفع بها ﴿**فلما أضاءت**﴾ يعني النار ﴿**ما حوله**﴾ يعني حول المستوقد ﴿**ذهب الله بنورهم**﴾ فإن قلت كيف وحد أولاً ثم جمع ثانياً. قلت يجوز وضع الذي يوضع الذين كقوله:

﴿ **الله يستهزىء بهم** ﴾، أي: يجازيهم جزاء استهزائهم، سمي الجزاء باسمه لأنه بمقابلته، كما قال الله تعالى: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠]، قال ابن عباس: هو أن يفتح لهم باب من الجنة فإذا انتهوا إليه سُدّ عنهم ورُدّوا إلى النار، وقيل: هو أن يُضرب للمؤمنين نورٌ يمشون على الصراط فإذا وصل المنافقون إليه حيل بينهم وبين المؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ [سبأ: ٥٤]، وقال الله تعالى: ﴿ فضرب بينهم بسور له باب ﴾ [الحديد: ١٣]، الآية. وقال الحسن: معناه أن الله يظهر المؤمنين على نفاقهم. ﴿ **ويَمدّهم** ﴾: يتركهم ويمهلهم، والمدّ والإمداد واحد، وأصله الزيادة إلّا أن المدَّ كثيراً ما يأتي في الشر، والإمداد في الخير، قال الله تعالى في المدّ: ﴿ ونَمِدُّ له من العذاب مدّاً ﴾ [مريم: ٧٩]، وقال في الإمداد: ﴿ وأمددناكم بأموال وبنين ﴾ [الإسراء: ٦]، ﴿ وأمددناهم بفاكهة ﴾ [الطور: ٢٢]. ﴿ **في طغيانهم** ﴾ أي: في ضلالتهم، وأصل الطغيان: مجاوزة الحدّ، ومنه: طغى الماء. ﴿ **يعمهون** ﴾، أي: يتردّدون في الضلالة متحيّرين.

﴿ **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** ﴾: أي: استبدلوا الكفر، بالإيمان، ﴿ **فما ربحت تجارتهم** ﴾، أي: ما ربحوا في تجارتهم، أضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها كما تقول العرب: ربح بيعك وخسرت صفقتك. ﴿ **وما كانوا مهتدين** ﴾: من الضلالة، وقيل: مصيبين في تجارتهم.

﴿ **مثلهم** ﴾: شَبَهُهُمْ، وقيل: صفتهم، والمَثَلُ قولٌ سائر في عُرف الناس يُعرَف به منه الشيء، وهو أحد أقسام القرآن السبعة، ﴿ **كمثل الذي** ﴾: يعني الذين بدليل سياق الآية، ونظيره: ﴿ والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ وقيل إنما شبه قصتهم بقصة المستوقد، وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذي استوقد ناراً ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ قال ابن عباس: نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي في ظلمة حائراً متخوفاً، فكذلك حال المنافقين أظهروا كلمة الإيمان فأمنوا بها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم في الغنائم فذلك نورهم، فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف. وقيل: ذهاب نورهم عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ. وقيل ذهاب نورهم في القبر أو على الصراط. فإن قلت ما وجه تشبيه الإيمان بالنور والكفر بالظلمة؟ قلت: وجه تشبيه الإيمان بالنور أن النور أبلغ الأشياء في الهداية إلى المحجة القصوى وإلى الطريق المستقيم وإزالة الحيرة وكذلك الإيمان هو الطريق الواضح إلى الله تعالى وإلى جنانه، وشبه الكفر بالظلمة لأن الضال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لا يزداد إلّا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة إلّا حيرة. وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم: إحداها أن المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره فإذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمته فكأنهم لما أقروا بالإيمان من غير اعتقاد قلوبهم كان إيمانهم كالمستعار. الثانية أن النار تحتاج في دوامها إلى مادة الحطب لتدوم فكذلك الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة أن الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الإنسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك. ثم وصفهم الله تعالى فقال ﴿صم﴾ أي عن سماع الحق لأنهم لا يقبلونه وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه ﴿بكم﴾ أي خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه ﴿عمي﴾ أي لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيره له كمن لا بصر له فهو أعمى، كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وأن ينظروا إليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب إدراكه قال الشاعر:

صـــمٌّ إذا سمعـــوا خيـــراً ذكـــرت بـــه وإن ذكـــرت بســـــوء كلهـــــم أذن

هم المتّقون﴾ [الزمر: ٣٣]، ﴿ استوقد ناراً ﴾: أوْقَدَ ناراً، ﴿ فلما أضاءت ﴾ النار ﴿ ما حوله ﴾، أي: حول المستوقد، وأضاء لازمٌ ومتعدٍّ، يقال: أضاء الشيءُ بنفسه وأضاء غيره، وهو هنا متعدٍّ، ﴿ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يُبصرون ﴾، قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك والسدي: نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طُفئت نارُه فبقي في ظلمة خائفاً متحيِّراً، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أَمِنُوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادُوا إلى الظلمة والخوف، وقيل: ذهاب نورهم في القبر، وقيل: في القيامة حيث يقولون: ﴿ للذين آمنوا انْظرونا نقتبسْ من نوركم ﴾ [الحديد: ١٣]، وقيل: ذهاب نورهم بإظهار عقيدتهم على لسان النبيِّ ﷺ، فضرب النار مثلاً، ثم لم يقل: أطفأ الله نارهم لكن عبّر بإذهاب النور عنه، لأن النار نورٌ وحرارةٌ فيذهب نورُهم وتبقى الحرارةُ عليهم، وقال مجاهد: إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة، وقال عطاء ومحمد بن كعب: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبيِّ ﷺ واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به، ثم وصفهم الله فقال:

﴿ صُمٌّ ﴾ أي: هم صُمٌّ عن الحق لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا، ﴿ بُكمٌ ﴾ خُرسٌ عن الحق لا يقولونه، أو أنهم لمّا أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق، ﴿ عُميٌ ﴾ أي: لَا بصائرَ لهم، ومَن لا بصيرة له كمَن لا بصر له، ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ عن الضلالة إلى الحق.

﴿ أو كصيِّب ﴾ أي: كأصحاب صيب، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين، بمعنى: إن شئت مثّلهم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿فهم لا يرجعون﴾ أي عن ضلالتهم ونفاقهم. قوله تعالى: ﴿أو كصيِّب﴾ أي كأصحاب صيِّب وهو المطر، وكل ما أنزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب ﴿من السماء﴾ أي من السحاب لأن كل ما علاك فأظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها، وإنما ذكر الله تعالى السماء وإن كان المطر لا ينزل إلّا منها ليرد على من زعم أن المطر ينعقد من أبخرة الأرض فأبطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم أن المطر ليس من أبخرة الأرض كما زعم الحكماء ﴿فيه﴾ أي الصيِّب ﴿ظلمات﴾ جمع ظلمة ﴿ورعد﴾ هو الصوت الذي يسمع من السحاب ﴿وبرق﴾ يعني النار التي تخرج منه. قال ابن عباس: الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب. وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب إذا تبددت جمعها وضمها فإذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق، وقيل الرعد تسبيح الملك. وقيل اسمه ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق﴾ جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل من يسمعها أو يغشى عليه، وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء. عن ابن عمر «أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ﴿حذر الموت﴾ أي مخافة الهلاك ﴿والله محيط بالكافرين﴾ أي عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويعذبهم. ﴿يكاد البرق﴾ أي يقرب، يقال كاد يفعل ولم يفعل ﴿يخطف أبصارهم﴾ أي يختلسها. والخطف استلاب الشيء بسرعة ﴿كلما﴾ أي متى ما جاء ﴿أضاء لهم﴾ يعني البرق ﴿مشوا فيه﴾ أي في إضاءته ونوره ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ أي وقفوا متحيرين، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين، ووجه التمثيل أن الله عزّ وجلّ شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات أن الساري لا يمكنه المشي فيها، ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمطر هو القرآن لأنه حياة القلوب كما أن المطر حياة الأرض، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق. والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون

بالمستوقد، وإن شئت بأهل الصيِّب، وقيل: أو بمعنى الواو يريد، وكصيِّب، كقوله تعالى: ﴿ أو يزيدون ﴾ [الصّافّات: ١٤٧]، بمعنى: ويزيدون، والصيِّب: المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب، فعيل من صاب يصوب، أي: نزل ﴿ من السماء ﴾ أي: من السحاب، وقيل: هي السماء بعينها، والسماء كلّ ما علاك فأظلّك، وهي من أسماء الأجناس يكون واحداً وجمعاً. ﴿ فيه ﴾ أي: في الصيِّب، وقيل: في السماء، أي: في السحاب، ولذلك ذكره، وقيل: السماء يُذكّر ويُؤنّث، قال الله تعالى: ﴿ السماء منفطر به ﴾ [المزّمّل: ١٨]، وقال: ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ [الانفطار: ١]، ﴿ ظلماتٌ ﴾: جمع ظلمة ﴿ ورعد ﴾: وهو الصوت الذي يُسمع من السحاب، ﴿ وبرق ﴾: وهو النار التي تخرج منه، قال عليّ وابن عباس وأكثر المفسّرين: الرعد اسم ملك يسوق السحاب، والبرقُ لمعانُ سَوْطٍ من نور، يزجُر بِهِ الملكُ السحابَ، وقيل: الصوت زجر السحاب، وقيل: تسبيح الملك، وقيل: الرعد نطق الملك والبرق ضحكه، وقال مجاهد: الرعد اسم الملك، ويقال لصوته أيضاً: رعد، والبرق: اسم ملك يسوق السحاب، وقال شَهْرُ بن حَوْشب: الرعد ملك يزجر فإذا تبدّدتْ ضمّها فإذا اشتدّ غضبه طارت من فِيِهِ النار فهي الصواعق، وقيل: الرعد صوت انحراق الريح بين السحاب، والأول أصح. ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهمْ من الصواعق ﴾: جمع صاعقة، وهي الصيحة التي يموت مَن يسمعها أو يُغشى عليه، ويقال لكل عذاب مُهلك: صاعقة، وقال: الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله على مَن يشاء، رُوِيَ عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «اللّهمّ لا تقتلنا بغضبك ولا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة أن تميل قلوبهم إليه لأن الإيمان به عندهم كفر والكفر موت، وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للإسلام، فالمطر هو الإسلام، والظلمات ما فيه من البلاء والمحن، والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق ما فيه من الوعد، ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ يعني المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذراً من الهلاك ﴿والله محيط بالكافرين﴾ يعني لا ينفعهم الهرب لأن الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم.

يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾

﴿يكاد البرق﴾ يعني دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلمة أضاء لهم يعني المنافقين، وإضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان ﴿مشوا فيه﴾ يعني على المسالمة بإظهار كلمة الإيمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم، ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ يعني إذا رأوا شدة وبلاء تأخروا ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ أي بصوت الرعد ﴿وأبصارهم﴾ بوميض البرق. وقيل: أي لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم وأبصارهم الباطنة ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه. قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس: يا أيها الناس خطاب لأهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة، وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين ﴿اعبدوا ربكم﴾ قال ابن عباس: وحدوا

تُهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك» قوله: ﴿ حذر الموت ﴾، أي: مخافة الهلاك، ﴿ والله محيط بالكافرين ﴾، أي: عالم بهم وقيل: جامعهم قال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم، وقيل: مهلكهم، دليله قوله تعالى: ﴿ إلّا أن يُحاط بكم ﴾ [يوسف: ٦٦]، أي: تُهلكوا جميعاً ويُميل أبو عمرو والكسائي الكافرين في محل النصب أو الخفض، ولا يُميلان، ﴿ أول كافر به ﴾ [البقرة: ٤١].

﴿ يكاد البرق ﴾، أي: يقرب، يقال: كاد يفعل إذا قرب ولم يفعل، ﴿ يخطف أبصارهم ﴾: يختلسها، والخطف استلابٌ بسرعة، ﴿ كلّما ﴾: كل حرف جملة، ضُمّ إلى مَا الجزاء فصار أداةً للتكرار، ومعناهما متى ما، ﴿ أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾، أي: وقفوا متحيّرين، فالله تعالى شبّههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة أصابهم مطرٌ فيه ظلمات، من صفتها أن الساري لا يمكنه المشي فيها، ورعد من صفته أن يضمّ السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هَوْله، وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدّة توقّده، فهذا مَثَلٌ ضربه الله للقرآن، وصنيعِ الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطهر حياة الأبدان، والظلمات: ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خُوّفوا به من الوعيد، وذكر النار والبرق ما فيه من الهُدى والبيان والوَعد وذكر الجنة، فالكافرون يسدّون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه، لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت، يكاد البرق يخطف أبصارهم أي: القرآن يُبهر قلوبهم، وقيل: هذا مثل ضربه الله للإسلام، فالمطر: الإسلام، والظلمات: ما فيه من البلاء والمِحن، والرعد: ما

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ربكم وكل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد. وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلُّل ولا يستحقها إلّا من له غاية الإفضال والإنعام وهو الله تعالى ﴿**الذي خلقكم**﴾ أي ابتدع خلقكم على غير مثال سبق ﴿**والذين من قبلكم**﴾ أي وخلق الذين من قبلكم ﴿**لعلكم**﴾ لعل وعسى حرفا ترجّ وهما أي كل منهما من الله واجب ﴿**تتقون**﴾ أي لكي تنجوا من العذاب، وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿**الذي جعل لكم الأرض فراشاً**﴾ أي خلق لكم الأرض بساطاً ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها، والحزن ما غلظ من الأرض ﴿**والسماء بناء**﴾ أي سقفاً مرفوعاً قيل إذا تأمل الإنسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج إليه فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والإنسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه، فيجب على الإنسان المسخر له هذه الأشياء شكر الله تعالى عليها ﴿**وأنزل من السماء**﴾ يعني السحاب ﴿**ماء**﴾ يعني المطر ﴿**فأخرج به**﴾ أي بذلك الماء ﴿**من الثمرات**﴾ يعني من ألوان الثمرات وأصناف النبات ﴿**رزقاً لكم**﴾ أي وعلفاً لدوابكم ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً**﴾ يعني أمثالاً تعبدونهم كعادته، والندّ المثل ﴿**وأنتم تعلمون**﴾ يعني أنكم بعقولكم تعلمون أن هذه الأشياء والأمثال لا يصح جعلها أنداداً لله، وأنه واحد خالق لجميع الأشياء وأنه لا مثل له ولا ضد له.

قوله تعالى: ﴿**وإن كنتم في ريب**﴾ أي إن كنتم في شك لأن الله تعالى عليم أنهم شاكون ﴿**مما نزلنا على عبدنا**﴾ أي محمد ﷺ لما تقرر إثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وأنه الواحد الخالق وأنه لا ضد له ولا ندّ أتبعه بإقامة الحجة على إثبات نبوة محمد ﷺ ما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة، وأنه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما تدّعون فيه، وقوله على عبدنا إضافة تشريف لمحمد ﷺ وأن القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى ﴿**فأتوا**﴾ أمر تعجيز ﴿**بسورة**﴾ والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة، ومنه سور البلد لارتفاعه، سميت سورة لأن القارىء ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن ﴿**من مثله**﴾ أي مثل القرآن، وقيل الضمير في مثله راجع إلى عبدنا، يعني من مثل محمد ﷺ أميّ لم

فيه من الوَعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق: ما فيه من الوعد، ﴿ **يجعلون أصابعهم في آذانهم** ﴾ [البقرة: ١٩]. **يعني**: أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاءً وشدّةً هَرَبُوا حَذَراً من الهلاك، والله محيط بالكافرين: جامعهم، **يعني**: لا ينفعهم هَرَبُهم لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم، ﴿ **يكاد البرق** ﴾ **يعني**: دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة، ﴿ **كلّما أضاء لهم مشوا فيه** ﴾ **يعني**: أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا فإذا ماتوا عادُوا إلى الظلمة، وقيل: معناه كلّما نالُوا غَنيمةً وراحةً في الإسلام ثَبَتُوا وقالوا: إنّا معكم، وإذا أظلم عليهم يعني: رأَوا شِدَّةً وبلاءً تأخروا وقاموا، أي: وقفوا، كما قال الله تعالى: ﴿ وِمنَ النّاس مَنْ يعبدُ اللّهَ على حَرْف ﴾ [الحج: ١١]، ﴿ **ولو شاء اللّهُ لذهبَ بسمعهم** ﴾، أي: بأسماعهم ﴿ **وأبصارهم** ﴾ الظاهرة، كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، وقيل: لذهب بما استفادوا من العِزّ والأمان الذي لهم بمنزلة السمع والبصر، ﴿ **إنّ الله على كل شيء قدير** ﴾: قادر، قرأ ابن عامر وحمزة: «**شاء، وجاء**»، حيث كان بالإمالة.

قوله تعالى: ﴿ **يا أيّها الناس** ﴾، قال ابن عباس: يا أيها الناس: خطاب أهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة، وهو ههنا عامّ إلّا من حيث إنه لا يدخله الصِّغار والمجانين. ﴿ **اعبدوا** ﴾: وحّدوا، قال ابن عباس: كلّ ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد، ﴿ **ربكم الذي خلقكم** ﴾: والخَلْقُ اختراع الشيء على غير مثال سبق، ﴿ **والذين مِنْ قبلكم** ﴾، أي وخلق الذين من قبلكم، ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾: لكي تنجوا من العذاب،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن أحد، ورد الضمير إلى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدي وإنما وقع الكلام في المنزل ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأتوا أنتم بسورة مما يماثله ويجانسه، ولو كان الضمير مردوداً إلى محمد ﷺ لقال وإن ارتبتم في أن محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً مثل محمد ﷺ، ويدل على كون القرآن معجزاً ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الإيجاز والإطالة فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الأول، وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الأشعار والخطب والرسائل ولهذا تحديت العرب به، فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الأشعار والخطب والرسائل، حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ﴿**وادعوا شهداءكم من دون الله**﴾ أي استعينوا بآلهتكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى إن كان الأمر كما تقولون أنها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من أمر محمد ﷺ وإلّا فاعلموا أنكم مبطلون في دعواكم أنها إلهة. وقيل معناه وادعوا أناساً يشهدون لكم ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أن محمداً ﷺ تقوله من تلقاء نفسه.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟

وقيل: معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر وَوِقاية من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء، كما قال: ﴿ فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكر أو يخشى ﴾ [طه: ٤٤]، أي: ادعوه إلى الحق وكُونا على رجاء التذكّر، وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء، قال سيبويه: لعلّ وعسى حَرْفا ترجٍّ وهُمَا من الله واجب.

﴿ **الذي جعل لكم الأرض فراشاً** ﴾، أي بساطاً، وقيل: مناماً، وقيل: وِطَاءً، أي ذلّلها ولم يجعلها حَزْنةً لا يمكن القرار عليها، والجعل ههنا بمعنى: الخلق، ﴿ **والسماء بناءً** ﴾: سقفاً مرفوعاً، ﴿ **وأنزل من السماء** ﴾، أي: من السحاب، ﴿ **ماءً** ﴾، وهو المطر، ﴿ **فأخرج به من الثمرات** ﴾: من ألوان الثمرات وأنواع النبات، ﴿ **رزقاً لكم** ﴾: طعاماً لكم وعَلَفاً لدوابّكم، ﴿ **فلا تجعلوا لله أنداداً** ﴾، أي: أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله، وقال أبو عبيدة: النّد الضّد، وهو من الأضداد، والله تعالى بريء من المِثْل والضِد، ﴿ **وأنتم تعلمون** ﴾: أنّه واحدٌ خالقُ هذه الأشياء.

﴿ **وإن كنتم في رَيب** ﴾، أي: وإن كنتم في شك، لأن الله تعالى علم أنهم شاكّون ﴿ **مما نزّلنا** ﴾، يعني: القرآن، ﴿ **على عبدنا** ﴾: محمد، ﴿ **فأتوا** ﴾: أمرُ تعجيزٍ، ﴿ **بسورة** ﴾، والسورة قِطعة من القرآن معلومة الأول والآخِر، من أسارت، أي: أفضلت، حذفت الهمزة، وقيل: السورة اسم للمنزلة الرفيعة، ومنه سور البلد لارتفاعه، سُمّيت سورة لأن القارىء ينال بقراءتها منزلةً رفيعةً حتى يستكمل المنازل باستكماله سور القرآن، ﴿ **مِنْ مِثْله** ﴾، أي: مثل القرآن، ومِنْ: صلة، كقوله تعالى: ﴿ قلْ للمؤمنين يَغُضُّوا مِنْ أبصارهم ﴾ [النور: ٣٠]، وقيل: الهاء في مثله راجعة إلى محمد ﷺ، يعني: مِنْ مِثْلِ محمدٍ ﷺ أُمّيّ لا يُحسِن الخط والكتابة، ﴿ **وادْعُوا شهداءكم** ﴾، أي: واستعينوا بآلهتكم التي تعبدونها، ﴿ **مِنْ دُون الله** ﴾، وقال مجاهد: ناساً يشهدون لكم، ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾: أنّ محمداً ﷺ تقوّلَه من تلقاء نفسه، فلما تحدّاهم عجزوا، فقال:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

﴿فإن لم تفعلوا﴾ أي فيما مضى ﴿ولن تفعلوا﴾ فيما بقي وهذه الآية دالة على عجزهم وأنهم لم يأتوا بمثله ولا بمثل شيء منه. وذلك أن النفوس الأبية إذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لأتوا به فحيث لم يأتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي ﷺ وبان عجزهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة، والقرآن من جنس كلامهم، وكانوا حراصاً على إطفاء نوره وإبطال أمره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبى الذراري وأخذ الأموال والقتل وإذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله ﷺ وإذا كان الأمر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى: ﴿فاتقوا النار﴾ أي فآمنوا واتقوا بالإيمان النار ﴿التي وقودها﴾ أي حطبها ﴿الناس والحجارة﴾ قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر التهاباً. وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها. وقيل أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت من الحجارة وإنما قرن الناس مع الحجارة لأنهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها أنها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم ﴿أعدت﴾ أي هيئت ﴿للكافرين﴾ قوله عزّ وجلّ: ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ أي أخبر المؤمنين، وهذا أمر للنبي ﷺ. والبشارة إيراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لأن الإنسان إذا فرح بشيء وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله: ﴿وبشرهم بعذاب أليم﴾ ولكن هو في السرور والخير أغلب ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي الفعلات الصالحات وهي الطاعات. قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء: العلم والنية والصبر والإخلاص. وقال عثمان بن عفان: وعملوا الصالحات

﴿ فإن لم تفعلوا ﴾، فيما مضى ﴿ ولنْ تفعلوا ﴾، أبداً فيما بقي، وإنّما قال ذلك لبيان الإعجاز، وأن القرآن كان معجزة النبيّ ﷺ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله، قوله: ﴿ فاتّقوا النار ﴾، أي: فآمنوا واتقوا بالإيمان النارَ، ﴿ التي وَقودها الناس والحجارة ﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسّرين: يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر التهاباً، وقيل: جمع الحجارة، وهو دليل على عِظَم تلك النار، وقيل: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة، كما قال: ﴿ إنكم وما تعبدون منْ دونِ اللّهِ حَصَبُ جهنم ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ﴿ أُعِدّتْ ﴾: هُيِّئت ﴿ للكافرين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وبشّر الذين آمنوا ﴾، أي: أخبر، والبشارة: كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويُستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب، ﴿ وعملوا الصالحات ﴾، أي: الفعلات الصالحات، يعني: المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات، قال عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه: وعملوا الصالحات، أي: أخلصوا الأعمال، كما قال: ﴿ فليعمل عملاً صالحاً ﴾ [الكهف: ١١٠] أي: خالياً عن الرياء، قال معاذ: العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء: العلم والنيّة والصبر والإخلاص، ﴿ أنّ لهم جنّات ﴾: جمع الجنّة، والجنّة: البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سُمّيت بها لاجتنانها وتسترها بالأشجار، وقال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم، ﴿ تجري من تحتها ﴾ أي: من تحت أشجارها ومساكنها ﴿ الأنهار ﴾، أي: المياه في الأنهار، لأن النهر لا يجري، وقيل: من تحتها أي: بأمرهم، لقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ وهذه الأنهار تجري من تحتي بأمري ﴾ [الزخرف: ٥١]، والأنهار جمع نهر، سُمّي به لسعته وضيائه، ومنه النهار، وفي الحديث: «أنها الجنة تجري في غير أخدود». ﴿ كُلّما ﴾: متى ما، ﴿ رُزِقوا ﴾: أُطعموا ﴿ منها ﴾ أي: من الجنة، ﴿ مِنْ ثمرة ﴾ أي: ثمرة، ومِنْ: صلة، ﴿ رزقاً ﴾: طعاماً، ﴿ قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل ﴾، وقبل رفع على الغاية، قال الله تعالى: ﴿ لله

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أي أخلصوا الأعمال يعني عن الرياء ﴿أن لهم جنات﴾ جمع جنة وهي البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتنابها وتسترها بالأشجار والأوراق. وقيل: الجنة ما فيه نخيل والفردوس ما فيه كرم ﴿تجري من تحتها﴾ أي من تحت أشجارها ومساكنها ﴿الأنهار﴾ أي تجري المياه في الأنهار لأن الأنهار لا تجري وقيل معناه تجري بأمرهم وفي الحديث «إن أنهار الجنة تجري في غير أخدود» أي في غير شق والخد الشق ﴿كلما رزقوا﴾ أي أطعموا ﴿منها﴾ أي من الجنة ﴿من ثمرة رزقاً﴾ أي طعاماً ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ أي في الدنيا، وقيل: إن ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى ﴿وأتوا به﴾ أي بالرزق ﴿متشابهاً﴾ قال ابن عباس مختلفاً في الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضاً في الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في الطعم (م) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك» وفي رواية «ورشحهم المسك». قوله: يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس أي يجري على ألسنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شيء كما أن النفس لا يشغل عن شيء قوله طعامهم جشاء، يعني أن فضول طعامهم يخرج في الجشاء وهو تنفس المعدة. والرشح العرق وقوله العرق. وقوله تعالى ﴿ولهم فيها﴾ أي في الجنات ﴿أزواج﴾ أي من الحور العين ﴿مطهرة﴾ يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الأقذار وقيل هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوي الأخلاق قيل في الجنة جماع ما شئت ولا ولد ﴿وهم فيها خالدون﴾ أي لا يخرجون منها ولا يموتون. والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع له (ق) عن

الأمر مِنْ قَبْلُ ومِنْ بعدُ ﴾ [الروم: ٤] قيل: من قبل في الدنيا، وقيل: الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعـم، فإذا رُزِقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى، ﴿ وأُتُوا به ﴾: رزقاً ﴿ متشابهاً ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابهاً في الألوان مختلفاً في الطعوم، وقال الحسن وقتادة: متشابهاً أي: يشبه بعضها بعضاً في الجودة، أي: كلها خيار لا رذالة فيها، وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا، غير أنها أطيب، وقيل: متشابهاً في الاسم مختلفاً في الطعم، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: ليس في الدنيا مما في الجنة إلّا الأسامي، أنا أبو حامد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا أبو عبد الله محمد بن الصفار، أنا أحمد بن محمد بن عيسى البزي، أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثّوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون، يُلهمون الحمد والتسبيح كما تُلهمون النفس، طعامهم الجشاء ورشحهم المسك».

قوله تعالى: ﴿ ولهم فيها ﴾: في الجنان ﴿ أزواج ﴾: نساء وجوارٍ، يعني: من الحور العين، ﴿ مُطهرة ﴾: من الغائط والبول والحيض والنفاس والبصاق والمخاط والمني والولد وكل قذر، قال إبراهيم النَّخْعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد، وقال الحسن: هنّ عجائزكم الغُمص العُمش طُهّرن من قذرات الدنيا، وقيل: مطهّرة عن مساوىء الأخلاق، ﴿ وهم فيها خالدون ﴾، دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها، أنا أبو عمرو وعبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النُّعيمي، أنا محمد بن يوسف العزيزي، أنا محمد بن إسماعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد، أنا جرير عن عمارة عن أبي زُرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زُمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرّي في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوّة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد وعلى صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء» وفي رواية «ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشياً» (ق) عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً» عن أبي هريرة قال: «قلت يا رسول الله ممّ خلق الله الخلق؟ قال من الماء، قلت الجنة ما بناؤها؟ قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم» أخرجه الترمذي بزيادة وقال ليس إسناده بذلك القوي. عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس» أخرجه الترمذي (م) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها

على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستّون ذراعاً في السماء» أنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شُرَيح أنا أبو القاسم البغوي، أنا علي بن الجعد أنا فُضيل هو ابن مرزوق، عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة مَن يدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن الكواكب في السماء، لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلّة يرى مخّ سوقهنّ دون لحومها ودمائها وحللها». أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي المروزي، أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الرحمن بن أبي شُريح أنا عبد الله بن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر، أنا إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الهمذاني عن حُميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنّة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»، صحيح، أخرجه محمد بن عبد الله بن محمد عن معاوية بن عمر عن أبي إسحاق عن حميد أنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أنا عبد الله بن مسلم أنا أبو بكر الجوريدي أنا أحمد بن الفرج الحمصي أنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، أنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المغافري عن سليمان بن موسى حدّثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألاَ هَلْ مِنْ مُشَمِّر للجنة، وإن الجنة لا خطر لها، وهي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ ورَيحانة تهتزّ، وقصر مشيّد ونهر مطّرد، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحُلَل كثيرة ومقام أبد في دار سليمة وفاكهة خضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهيّة»، قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمّرون لها، قال: «قولوا: إن شاء الله»، قال القوم: إن شاء الله، ورُوِي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنّة جردٌ مُرد كحل لا يفنى شبابهم ولا يبلى ثيابهم»، وأنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي، أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى، أنا إسحق الحنظلي أنا أبو معاوية أنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعيد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لسوقاً ليس فيها بيع ولا شراء إلاّ الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها، وإن فيها لمجتمع الحور العين ينادين بصوت لم يسمع الخلائق مثله نحن الخالدات فلا نبيد أبداً ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ونحن الراضيات فلا نسخط، فطوبى لمَن كان لنا وكنّا له أو نحن له»، ورواه أبو عيسى عن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً» عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾ سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود. ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة. وقيل قال المشركون إنا لا نعبد إلهاً يذكر هذه الأشياء وذلك لأن الكفار كانوا متفقين على إيذاء رسول الله ﷺ فقالوا ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿إن الله لا يستحي﴾ الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه. وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا أصله في وصف الإنسان، والله تعالى منزه عن ذلك كله فإذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك، وذلك لأن لكل فعل بداية ونهاية، فبداية الحياء هو التغير الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إليه ذلك الفعل القبيح، ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح، فإذا ورد وصف الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف، بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً أي لا يترك المثل لقول الكفار واليهود «ما» قيل ما صلة فيكون المعنى أن يضرب مثلاً بعوضة، وقيل ليس هي بصلة بل هي للإبهام والنكرة، والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر وله خرطوم

هنّاد وأحمد بن منيع عن أبي معاوية مرفوعاً وقال: هذا حديث غريب. أنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجّاج، أنا أبو عثمان سعد بن عبد الجبار البصري، أنا حمّاد بن مسلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهبّ ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حُسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بَعْدَنا حُسْناً وجمالاً فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بَعْدَنا حُسْناً وجمالاً».

قوله تعالى: ﴿ إِنّ اللهَ لا يستحي أنْ يَضْرِبَ مثلاً ما بعوضةً فما فوقها ﴾، سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لمّا ضرب المثل بالذّباب والعنكبوت فقال: ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لَنْ يخلقُوا ذُباباً ولو اجتمعوا له ﴾ [الحج: ٧٣]، وقال: ﴿ مثل الذين اتخذوا مِنْ دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ﴾ [العنكبوت: ٤١]، قالت اليهود: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ وقيل: قال المشركون: إنّا لا نعبد إلّهاً يذكر مثل هذه الأشياء، فأنزل الله تعالى: ﴿ إن الله لا يستحي ﴾، أي: لا يترك ولا يمنعه الحياء أن يضرب مثلاً يذكر شبهاً، ﴿ ما بعوضة ﴾، ما: صلة، أي: مثلاً بالبعوضة، وبعوضة: نصب بدل عن المثل، والبعوض صغار البق، سُمّيت بعوضة لأنها كانت بعض البق، ﴿ فما فوقها ﴾، يعني: الذباب والعنكبوت، وقال أبو عبيدة: أي: فما دونها، كما يُقال:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى أن الجمل يموت من قرصه فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو أعظم منهما في الجثة.

وقيل معناه فما دونها وأصغر منها، وهذا القول أشبه بالآية لأن الغرض بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً للدنيا بجناح البعوضة وهو أصغر منها، وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات، فقيل: هو أحقر من ذرة وأجمع من نملة وأطيش من ذبابة وألح من ذبابة ﴿**فأما الذين آمنوا**﴾ يعني بمحمد ﷺ والقرآن ﴿**فيعلمون أنه**﴾ يعني ضرب المثل ﴿**الحق**﴾ يعني الصدق ﴿**من ربهم**﴾ الثابت الذي لا يجوز إنكاره لأن ضرب المثل من الأمور المستحسنة في العقل وعند العرب ﴿**وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً**﴾ أي بهذا المثل ﴿**يضل به كثيراً**﴾ أي من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون به ضلالاً ﴿**ويهدي به كثيراً**﴾ يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون أنه حق ﴿**وما يضل به إلّا الفاسقين**﴾ يعني الكافرين وقيل المنافقين. وقيل اليهود، والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى: ﴿**الذين ينقضون**﴾ أي يخالفون ويتركون وأصل النقض الفسخ وفك المركب ﴿**عهد الله**﴾ أي أمر الله وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ﴿**من بعد ميثاقه**﴾ أي من بعد عقده وتوكيده وفي معنى هذا العهد أقوال أحدها أنه الذي أخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى: ﴿**ألست بربكم قالوا بلى**﴾ الثاني المراد به الذي أخذه على إجبار اليهود في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهداً أبرمه الله تعالى وأحكمه بما أنزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيده ﴿**ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل**﴾ يعني الإيمان بمحمد ﷺ وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود. وقيل أراد به قطع الأرحام التي أمر الله بوصلها ﴿**ويفسدون في الأرض**﴾ يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن ﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾ أي المغبونون. وأصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم.

فلان جاهل، فيقال: وفوق ذلك، أي: وأجهل. ﴿ **فأمّا الذين آمنوا** ﴾: بمحمد والقرآن، ﴿ **فيعلمون أنّه** ﴾، يعني: المثل هو ﴿ **الحق** ﴾: الصدق ﴿ **منْ رَبِّهم وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً** ﴾؟ أي: بهذا المثل، فلما حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع، ثم أجابهم فقال: ﴿ **يضلّ به كثيراً** ﴾ من الكفّار، وذلك أنهم يكذبون فيزدادون ضلالاً، ﴿ **ويهدي به** ﴾، أي: بهذا المثل ﴿ **كثيراً** ﴾ من المؤمنين فيصدقونه، والإضلال هو الصرف عن الحق إلى الباطل، وقيل: هو الهلاك، يقال: ضلّ الماء في اللبن إذا هلك، ﴿ **وما يضلّ به إلّا الفاسقين** ﴾: الكافرين، وأصل الفسق: الخروج، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها، قال الله تعالى: ﴿ ففسق عن أمر ربّه ﴾ [الكهف: ٥٠]، أي: خرج، ثم وصفهم فقال:

﴿ **الذين ينقضون** ﴾: يخالفون ويتركون، وأصل النقض: الكسر، ﴿ **عهد الله** ﴾: أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: ﴿ألستُ بربّكم قالوا بلى ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على النبيّين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ في قوله: ﴿ وإذْ أخذ الله ميثاق النبيّين ﴾ [آل عمران: ٨١]، الآية، وقيل: أراد به العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويُبيّنوا نعته، ﴿ **من بعد ميثاقه** ﴾: توكيده، والميثاق: العهد المؤكد، ﴿ **ويقطعونَ ما أمرَ اللَّهُ بِهِ أنْ يُوصل** ﴾، يعني: الإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الرّسل عليهم السلام لأنهم قالوا: ﴿ نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعض ﴾ [النساء: ١٥٠]، وقال المؤمنون: ﴿ لا نفرّق بين أحد منْ رسله ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقيل: أراد به الأرحام، ﴿ **ويفسدون في الأرض** ﴾: بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿ **أولئك هم الخاسرون** ﴾: المغبونون، ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجّب:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿كيف تكفرون بالله﴾ يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى: ﴿وكنتم أمواتاً﴾ يعني نطفاً في أصلاب آبائكم ﴿فأحياكم﴾ يعني في الارحام والدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ أي عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ يعني بعد الموت للبعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ أي تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم. قوله عز وجل: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الأرض جميعاً لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أي قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد، وقال ابن عباس: ارتفع وفي رواية عنه صعد. قال الأزهري معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك أن الله تعالى خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء. فإن قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ قلت: الدحو البسط فيحتمل أن الله تعالى خلق جرم الأرض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الأرض بعد ذلك، فإن قلت هذا مشكل أيضاً لأن قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعاً يقتضي أن ذلك لا يكون إلاّ بعد الدحو. قلت: يحتمل أنه ليس هنا ترتيب وإنما هو على سبيل تعداد النعم كقوله الرجل لمن يذكره ما أنعم به عليه: ألم أعطك؟ ألم أرفع قدرك؟ ألم أدفع عنك؟ ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم ﴿فسواهن سبع سموات﴾ خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتي ذكر خلق الأرض عند قوله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ في سورة حمّ السجدة إن شاء الله تعالى ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

﴿ كيف تكفرون بالله ﴾؟ بعد نصب الدلائل ووضوح البرهان، ثم ذكر الدلائل فقال: ﴿ وكنتم أمواتاً ﴾: نُطفاً في أصلاب آبائكم، ﴿ فأحياكم ﴾: في الأرحام والدنيا، ﴿ ثم يُميتكم ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿ ثم يُحييكم ﴾: للبعث، ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾، أي: تُردّون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم، قرأ يعقوب (ترجعون) كل القرآن بفتح الياء والتاء على تسمية الفاعل.

قوله تعالى: ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾، للحيّ لكي تعتبروا وتستدلّوا، وقيل: لكي تنتفعوا، ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾، قال ابن عباس وأكثر مفسّري السلف: أي ارتفع إلى السماء، وقال ابن كيسان والفرّاء وجماعة من النحويين: أي أقبل على خلق السماء، وقيل: قصد لأنه خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء، ﴿ فسوّاهنّ سبعَ سموات ﴾: خلقهنّ مستويات لا فطور فيها ولا صدوع، ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائي وقالون (وهْو، وهْي) بسكون الهاء إذا كان قبل الهاء: واوٌ أو فاء أو لام، زاد الكسائي وقالون (ثم هْو) وقالون أن يملّ هْو.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ
عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾

﴿**وإذ قال ربك**﴾ أي واذكر يا محمد إذ قال ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله، وقيل إذ زائدة والأول أوجه ﴿**للملائكة**﴾ جمع ملك وأصله مألك من المألكة والألوكة وهي لفظ البغوي وهي الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله تعالى خلق الأرض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض، فعبدوا دهراً طويلاً، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا، فبعث الله إليهم جناً من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم إبليس وهم خزان الجنان فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن إلى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة، وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علماً فكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا الملك إلّا لأني أكرم الملائكة عليه فقال له ولجنده ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ أي إني خالق خليفة يعني بدلاً منكم ورافعكم إليّ فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لأنه خلف الجن وجاء بعدهم. وقيل لأنه يخلفه غيره والصحيح إنه إنما سمي خليفة لأنه خليفة الله في أرضه لإقامة حدوده وتنفيذ قضاياه ﴿**قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ أي بالمعاصي ﴿**ويسفك الدماء**﴾ أي بغير حق كما فعل الجن. فإن قلت من أين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول؟ قلت يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بإخبار الله إياهم أو قاسوا الشاهد على الغائب، وقيل إنهم لما رأوا أن آدم خلق من أخلاط مركبة علموا أنه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك. وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة، وقالوا لمن خلقت هذه النار؟ قال لمن عصاني فلما قال إني جاعل في الأرض خليفة قالوا هو ذلك. فإن قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض. قلت ذهب بعضهم إلى أنهم غير معصومين واستدل على ذلك بوجوه منها قوله ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ ومن ذهب إلى

قوله تعالى: ﴿ وإذ قال ربك ﴾، أي: وقال ربك وإذْ زائدة، وقيل: معناه واذكر إذْ قال ربك، وكذلك كلّ ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله، وإذْ وإذا حرفا توقيت إلّا أن إذْ للماضي وإذا للمستقبل، وقد يُوضع أحدهما موضع الآخر، قال المبرّد: إذا جاء إذْ مع المستقبل كان معناه ماضياً، كقوله تعالى: ﴿ وإذ يمكر ﴾ [الأنفال: ٣٠]، يريد وإذ مكر، وإذا جاء إذا مع الماضي كانت معناه مستقبلاً، كقوله: ﴿ فإذا جاءت الطامّة ﴾ [النازعات: ٣٤]، ﴿ وإذا جاء نصر الله ﴾ [النصر: ١] أي: يجيء. ﴿ للملائكة ﴾، جمع ملك، وأصله مألك من المألكة والألوكة والألوك، وهي الرسالة، فقلب فقيل: ملأك، ثم حذفت الهمزة طلباً للخفّة لكثرة استعماله ونقلت حركتها إلى اللام، فقيل: ملَكٌ وأراد به الملائكة الذين كانوا في الأرض، وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبدوا دهراً طويلاً في الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خُزّان الجِنان اشتق لهم من الجنة رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علماً فهبطوا إلى الأرض فطردوا الجن إلى شعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفّف الله عنهم العبادة فأعطى الله إبليس الأرض، وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارةً في الأرض وتارةً في السماء وتارةً في الجنة فدخله العجب، وقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال إنما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الإنكار والاعتراض فإنهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى وإحاطة علمه بما خفي عليهم، ولهذا أجابهم بقوله ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ وقيل: إن العبد المخلص في حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في إعظام الله عز وجل: ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ أي نقول: سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل قال «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده» قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك. وقيل أصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى، ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة. ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك، فإنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك ﴿ونقدس لك﴾ أصل التقديس التطهير أن نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر أنفسنا لطاعتك وعبادتك ﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ قيل إنه جواب لقول الملائكة ﴿أتجعل فيها﴾ فقال تعالى: ﴿أعلم﴾ من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون. وقيل أعلم أن فيهم من يعبدني ويطيعني وهم الأنبياء والأولياء والصالحون، ومن يعصيني منكم وهو إبليس، وقيل أعلم أنهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم.

فصل: في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام:

قيل إن الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت من النور تقدر أن تتشكل بأشكال مختلفة، مسكنهم السموات عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلّا وملك واضع جبهته لله ساجداً» أخرجه الترمذي بزيادة، وقال حديث حسن غريب. وأما صفة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه: لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض أني خالق منك خليقة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني أدخلته الجنة، ومن عصاني أدخلته النار. قالت الأرض أتخلق مني خلقاً يكون للنار قال نعم. فبكت الأرض فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة، فبعث الله إليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها، فلما أتاها ليقبض منها قالت: أعوذ بعزة الله الذي أرسلك إليّ أن لا تأخذ مني شيئاً فرجع جبريل إلى مكانه وقال: يا رب استعاذت بك مني فكرهت أن أقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل: انطلق فأتني بقبضة منها فلما أتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل، فرجع إلى ربه فقال ما قالت له، فقال لعزرائيل انطلق فأتني بقبضة من الأرض فلما أتاها قالت له الأرض، أعوذ بعزة الله الذي أرسلك

المُلْك إلّا لأني أكرم الملائكة عليه فقال الله له ولجنده: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾، أي: بدلاً منكم ورافعكم إليّ فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة، والمراد بالخليفة ههنا آدم سمّاه خليفة لأنه خلف الجن، أي: جاء بعدهم، وقيل: لأنه يخلفه غيره، والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه، ﴿ قالوا أتجعل فيها مَنْ يفسد فيها ﴾: بالمعاصي، ﴿ ويسفك الدماء ﴾ بغير حق، أي: كما فعل بنو الجان فقاسوا الشاهد على الغائب، وإلّا فهم ما كانوا يعلمون الغيب، ﴿ ونحن نسبّح بحمدك ﴾، قال الحسن: نقول سبحان الله وبحمده هو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الآدميين وعليها يرزقون، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد، أنا محمد بن عيسى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجّاج أنا زهير بن حرب أنا جينان بن هلال، أنا وهيب أنا سعيد الجريري عن أبي عبد الله الجسري عن ابن الصامت عن أبي ذَر عن رسول الله ﷺ: سُئل أيّ الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده»، وقيل: نحن نصلّي بأمرك، قال ابن عباس: كلّ ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة، ﴿ ونقدس لك ﴾، أي: نثني عليك

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أن لا تأخذ مني شيئاً، فقال: وأنا أعوذ بعزته أن أعصي له أمراً. وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها، وصعد بها إلى السماء فسأله ربه عز وجل وهو أعلم بما صنع فأخبره بما قالت له الأرض وبما رد عليها فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لأخلقن مما جئت به خلقاً ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك. ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شاء الله ثم أخرجها فعجنها طيناً لازباً مدة ثم حمأ مسنوناً مدة ثم صلصالاً ثم جعلها جسداً وألقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لأنهم لم يكونوا رأوا مثله، وكان إبليس يمر عليه ويقول لأمر ما خلق هذا ونظر إليه فإذا هو أجوف فقال هذا خلق لا يتمالك، وقال يوماً للملائكة إن فضل هذا عليكم ما تصنعون؟ فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال إبليس في نفسه لئن فضل علي لأعصينه ولئن فضلت عليه لأهلكنه فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل في جسد آدم فنظرت فرأت مدخلاً ضيقاً فقال يا رب كيف أدخل هذا الجسد؟ قال الله عز وجل لها ادخليه كرهاً وستخرجين منه كرهاً فدخلت في يافوخه فوصلت إلى عينيه فجعل ينظر إلى سائر جسده طيناً فصارت إلى أن وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال: الحمد لله رب العالمين وهي أول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمك ربك يا أبا محمد ولهذا خلقتك. ولما بلغت الروح إلى الركبتين همّ ليقوم فلم يقدر، قال الله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ فلما بلغت إلى الساقين والقدمين استوى قائماً بشراً سوياً لحماً ودماً وعظاماً وعروقاً وعصباً وأحشاء وكسي لباساً من ظفر يزداد جسده جمالاً وحسناً كل يوم، وجعل في جسده تسعة أبواب سبعة في رأسه وهي الأذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والأسنان يطحن بها ما يأكله ويجد لذة المطعومات بها وبابين في أسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في رئته وضحكه في طحاله وفرجه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعاً ثم قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزاده ورحمة فكل من يدخل الجنة على صورة آدم. قال: فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: لما صور الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطوف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك. عن أبي موسى قال: سمعت رسول الله ﷺ

بالقدس والطهارة عمّا لا يليق بعظمتك وجلالك، وقيل: ونطهّر أنفسنا لطاعتك، وقيل: وننزّهك، واللام: صلة، وقيل: لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجّب وطلب الحكمة فيه، ﴿ **قال** ﴾ الله: ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾: من المصلحة فيه، وقيل: إني أعلم أن في ذريّته مَن يطيعني ويعبدني من الأنبياء والأولياء والصلحاء، وقيل: إن أعلم أن فيكم مَن يعصيني وهو إبليس، وقيل: إني أعلم أنهم يذنبون وأنا أغفر لهم، قرأ أهل الحجاز والبصرة: (إنـي أعلـم) بفتـح الياء وكذلك كل ياء إضافة استقبلها ألف مفتوحة إلّا في مواضع معدودة، ويفتحون في بعض مواضع عند الألف المضمومة والمكسورة، وعند غير الألف، وبين القرّاء في تفصيله اختلاف.

قوله تعالى: ﴿ **وعلّم آدم الأسماء كلها** ﴾: سُمّي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: لأنه كان آدم اللون، وكنيته أبو محمد وأبو البشر، فلما خلقه الله عزّ وجلّ علّمه أسماء الأشياء، وذلك أن الملائكة قالوا لمّا قال الله تعالى: ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منّا وإن كان غيرنا أكرم عليه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يقول: إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب. أخرجه الترمذي وأبو داود. قوله عز وجل **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾** سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض. وقيل لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد، وقيل: أبو البشر ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه أسماء الأشياء كلها، وذلك أن الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم علم منا وإن كان فنحن أعلم منه لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فأظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم. وفيه دليل لمذهب أهل السنة أن الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلاً، قال ابن عباس: علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة، وقيل: خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك، وعلم آدم أسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها. وقيل علم آدم أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل علمه اللغات كلها **﴿ثم عرضهم﴾** يعني تلك الأشخاص، وإنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والإناث بلفظ الذكور **﴿على الملائكة فقال﴾** يعني تعجيزاً لهم **﴿أنبئوني﴾** أي أخبروني **﴿بأسماء هؤلاء﴾** يعني تلك الأشخاص **﴿إن كنتم صادقين﴾** أي إني لم أخلق خلقاً إلّا كنتم أفضل منه وأعلم **﴿قالوا﴾** يعني الملائكة **﴿سبحانك﴾** تنزيهاً لك وذلك لما ظهر عجزهم **﴿لا علم لنا إلّا ما علمتنا﴾** أي إنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلّا ما علمتنا **﴿إنك أنت العليم﴾** أي بخلقك وهو من أسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات **﴿الحكيم﴾** أي في أمرك، وله معنيان أحدهما أنه القاضي العدل والثاني المحكم للأمر كيلا يتطرق إليه الفساد.

قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ

فنحن أعلم منه لأنّا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم، وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وإن كانوا رُسلاً كما ذهب إليه أهل السُّنّة والجماعة، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: علّمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة، وقيل: اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة، وقيل: أسماء ذريّته، وقيل: صنعة كل شيء، قال أهل التأويل: إن الله عزّ وجلّ علّم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة فتفرقوا في البلاد واختصّ كل فرقة منهم بلغة، **﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾**، إنّما قال: **﴿ عرضهم ﴾**، ولم يقل عرضها، لأن المسميات إذا جمعت مَن يعقل ومَن لا يعقل يُكنّى عنها بلفظ مَن يعقل، كما يُكنّى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور، وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة، فالكناية راجعة إلى الخصوص، فلذلك فقال عرضهم: **﴿ فقال أنبؤني ﴾** أخبروني **﴿ بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾**، إني لا أخلق خلقاً إلّا وكنتم أفضل وأعلم منه، فقالت الملائكة: إقراراً بالعجز.

﴿ قالوا سبحانك ﴾: تنزيهاً لك، **﴿ لا علم لنا إلّا ما علّمتنا ﴾**، معناه: إنك أجلّ من أن نحيط بشيء من علمك إلّا ما علّمتنا، **﴿ إنك أنت العليم ﴾** بخلقك **﴿ الحكيم ﴾** في أمرك، والحكيم له معنيان أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل، والثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد، وأصل الحكمة في اللغة: المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل، ومنه حكمة الدابّة لأنها تمنعها من الإعوجاج، فلما ظهر عجزهم.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾

﴿**قال**﴾ يعني الله تعالى ﴿**يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شيء باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها ﴿**فلما أنباهم بأسمائهم قال**﴾ يعني الله تعالى ﴿**ألم أقل لكم**﴾ يعني يا ملائكتي ﴿**إني أعلم غيب السموات والأرض**﴾ يعني ما كان وما سيكون وذلك أنه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل أن يخلقه فلهذا قال لهم: إني أعلم ما لا تعلمون ﴿**وأعلم ما تبدون**﴾ يعني قول الملائكة: أتجعل فيها ﴿**وما كنتم تكتمون**﴾ يعني قولكم لن يخلق الله تعالى خلقاً أكرم عليه منا وقال ابن عباس أعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون، يعني إبليس من المعصية. قوله عز وجل: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا سكان الأرض والأصح أنه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله: «فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلّا إبليس» ﴿**فسجدوا**﴾ يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان أصحهما أنه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض وإنما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود إخوة يوسف له في قوله: ﴿وخروا له سجداً﴾ فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام. وفي سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لأمره. والقول الثاني أن آدم كان كالقبلة، وكان السجود لله تعالى، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى، وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الأنبياء على الملائكة ﴿**إلّا إبليس**﴾ سمي به لأنه أبلس من رحمة الله أي يئس، وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمي

﴿ **قال** ﴾ الله تعالى: ﴿ **يا آدم أنبئهم بأسمائهم** ﴾، أخبرهم بأسمائهم فسمّى آدم كل شيء وذكر الحكمة التي لأجلها خلق، ﴿ **فلما أنبأهم بأسمائهم قال** ﴾ الله تعالى: ﴿ **ألم أقلْ لكم** ﴾ يا ملائكتي ﴿ **إني أعلم غيب السموات والأرض** ﴾، ما كان منهما وما يكون، لأنه قد قال لهم: ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (إنيَ)، بفتح الياء وكذلك يفتحون كل ياء إضافة استقبلها ألف قطع مفتوحة إلّا أحرفاً معدودة، ويفتح نافع وعمرو عند الألف المكسورة أيضاً إلّا أحرفاً معدودة، ويفتح نافع عند المضمومة إلّا أحرفاً معدودة، والآخرون لا يفتحون إلّا في أحرف معدودة، ﴿ **وأعلم ما تبدون** ﴾، قال الحسن وقتادة: يعني قولهم أتجعل فيها مَنْ يفسد فيها، ﴿ **وما كنتم تكتمون** ﴾: قولكم لنْ يخلق الله خلقاً أكرم عليه منّا، قال ابن عباس هو: إن إبليس مرّ على جسد آدم وهو ملقي بين مكة والطائف لا روح فيه، فقال: لأمرٍ ما خُلق هذا، ثم دخل في فِيهِ وخرج من دبره، وقال: إنه خلق لا يتماسك لأنه أجوف، ثم قال للملائكة الذين معه: أرأيتم إنْ فُضّل هذا عليكم وأُمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربّنا، فقال إبليس في نفسه: والله لئن سُلّطت عليه لأهلكنّه ولئن سُلّط عليّ لأعصينّه، فقال الله تعالى: ﴿ **وأعلم ما تبدون** ﴾ يعني: ما تُبديه الملائكة من الطاعة، وما كنتم تكتمون يعني إبليس من المعصية.

وقوله تعالى: ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿ **للملائكة اسجدوا** ﴾ بضم التاء على جوار ألف اسجدوا، وكذلك قرأ ﴿ قلْ ربّ احكم بالحق ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، بضم الباء، وضعّفه النحاة جداً ونسبوه إلى الغلط فيه، واختلفوا في أن هذا الخطاب مع الملائكة، فقال بعضهم: مع الذين كانوا سكان الأرض والأصحّ أنه مع جميع الملائكة، لقوله تعالى: ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ [الحجر: ٣٠، صٓ: ٧٣]، وقوله: ﴿ **اسجدوا** ﴾، فيه قولان الأصحّ أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عزّ وجلّ امتثال

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

إبليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان إبليس من الملائكة بدليل أنه استثناه منهم وقيل إنه من الجن لأنه خلق من النار ولملائكته خلقوا من النور ولأنه أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس والأول أصح لأن الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم ﴿أبى﴾ أي امتنع من السجود فلم يسجد ﴿واستكبر﴾ أي تكبر وتعظم عن السجود لآدم ﴿وكان من الكافرين﴾ أي في علم الله تعالى فإنه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله» وفي رواية يا ويلتاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار. قوله عز وجل ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ أي اتخذها مأوى ومنزلاً وليس معناه الاستقرار لأنه لم يقل أسكنتك الجنة لأنه خلق لعمارة الأرض ولما أسكن الله آدم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعاً من أضلاع جنبه الأيسر، وهو الأقصر فخلق منه زوجته حواء، ووضع مكان الضلع لحماً من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد ألماً، ولو وجد ألماً لما عطف رجل على امرأة قط، وسميت حواء لأنها خلقت من حي، فلما استيقظ آدم من نومه ورآها جالسة كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا زوجتك حواء قال: ولماذا خلقت؟ قالت: لتسكن إلي وأسكن إليك. واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها فقيل إنها جنة كانت في الأرض بدليل أنه لو كانت الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لما أخرج منها. وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى: ﴿اهبطا﴾ بأن المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى: ﴿اهبطوا مصر﴾ والقول

أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود أُخوة يوسف له في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وخرّوا له سُجداً ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض إنما كان انحناءً فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام، وقيل معنى قوله: ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ أي: إلى آدم فكان آدم قبلةً والسجودُ لله تعالى كما جُعلت الكعبة قبلةً للصلاة والصلاة لله عزّ وجلّ، ﴿ فسجدوا ﴾ يعني: الملائكة، ﴿ إلّا إبليس ﴾، وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث، فلما أعصى غيّر اسمه وصورته، فقيل: إبليس لأنه أبلس من رحمة الله تعالى، أي: يئس، واختلفوا فيه، فقال ابن عباس وأكثر المفسّرين: كان إبليس من الملائكة، وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة، وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى: ﴿ إلّا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [الكهف: ٥٠]، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذريّة ولا ذريّة للملائكة، والأول أصحّ لأن خطاب السجود كان مع الملائكة، وقوله: ﴿ كان من الجن ﴾ [الكهف: ٥٠]، أي: من الملائكة الذين هم خَزَنَة الجنة، وقال سعيد بن جبير: من الذين يعملون في الجنة، وقال قوم: من الملائكة الذين كانوا يصوغُون حِليَّ أهل الجنة، وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سُمّوا جنّاً لاستتارهم عن الأعين، وإبليس كان منهم، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ﴾ [الصّافّات: ١٥٨]، وهو قولهم الملائكة بنات الله، ولمّا أخرجه الله من الملائكة جعل له ذريّة، قوله: ﴿ أبى ﴾ أي: امتنع فلم يسجد، ﴿ واستكبر ﴾، أي: تكبّر عن السجود لآدم، ﴿ وكان ﴾ أي: وصار ﴿ من الكافرين ﴾، وقال أكثر المفسّرين: وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة، أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا ابن الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيىٰ بن خالد، أنا إسحق بن إبراهيم الحنظلي أنا جرير ووكيع وأبو معاوية، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله أُمر ابن آدم بالسجود فأطاع فله الجنة وأُمرت بالسجود فعصيت فلي النار».

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الصحيح أنها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لأن الألف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفي عرفهم التي هي دار الجزاء. وقيل: كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع ﴿وكلا منهما رغداً﴾ أي واسعاً كثيراً ﴿حيث شئتما﴾ أي كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الإطلاق في الأكل من الجنة بلا منع إلّا ما نهى عنه، وهو قوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ يعني للأكل قيل إنما وقع هذه النهي عن جنس الشجرة. وقيل عن شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة. وقيل هي شجرة التين وقيل هي شجرة العلم. وقيل الكافور. وقيل: ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبيين إذ لا حاجة إليه لأنه ليس المقصود تعرّف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصود لا يجب بيانه ﴿فتكونا من الظالمين﴾ يعني إن أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما فمن جوّز ارتكاب الذنوب على الأنبياء قال ظلم نفسه بالمعصية. وأصل الظلم وصنع الشيء في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الأنبياء جعل الظلم على أنه فعل ما كان الأولى أن لا يفعله. وقيل: يحمل على أنه فعل هذا قبل النبوة. فإن قلت: هل يجوز وصف الأنبياء بالظلم أو بظلم أنفسهم؟ قلت: لا يجوز أن يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم. قوله عز وجل:

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فأزلهما الشيطان﴾ أي استزل آدم وحواء ودعاهما إلى الزلة وهي الخطيئة، وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على عصمة الأنبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ في سورة طه ﴿عنها﴾ أي الجنة ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ يعني من النعيم وذلك أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لإبليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من

قوله تعالى: ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾، وذلك أن آدم لم يكن في الجنة مَن يجانسه فنام نومة فخلق الله زوجته حوّاء من قُصيراء شقّه الأيسر، وسُمّيت حوّاء لأنها خلقت من حيّ، خلقها الله عزّ وجلّ من غير أن يحسَّ به آدم ولا وجد له ألماً، ولو وجد لما عطف رجل على امرأة قطّ، فلما هبّ من نومه رآها جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله، فقال لها: مَن أنت قالت: زوجتك خلقني الله لك تسكن إليّ وأسكن إليك ﴿ وكُلا منها رَغداً ﴾: واسعاً كثيراً، ﴿ حيث شئتما ﴾: كيف شئتما وأين شئتما، ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾، يعني: بالأكل، قال بعض العلماء: وقع النهي على جنس من الشجر، وقال آخرون: على شجرة مخصوصة، واختلفوا في تلك الشجرة، قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومقاتل: هي السنبلة، وقال ابن مسعود: هي شجرة العنب، وقال ابن جريج: شجرة التين، وقال قتادة: شجرة العلم، وفيها من كل شيء، وقال عليّ: شجرة الكافور، ﴿ فتكونا ﴾: فتصيرا ﴿ من الظالمين ﴾، أي: الضاربين بأنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

﴿ فأزلّهما ﴾: استزلّ ﴿ الشيطان ﴾ آدم وحوّاء، أي: دعاهما إلى الزلّة، وقرأ حمزة ﴿ فأزالهما ﴾ أي: نحّاهما، الشيطان: فيعال من شطن، أي: بَعُد، سُمّي به لبُعده عن الخير وعن الرحمة، ﴿ عنها ﴾ عن الجنة ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾: من النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن يدخل لِيُوسْوس إلى آدم وحوّاء فمنعته الخَزَنَة فأتى الحيّة وكانت صديقة لإبليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خُزّان الجنّة، فسألها إبليس أن تُدخله في فمها فأدخلته ومرّت به على الخَزَنة وهم لا يعلمون، فأدخلته الجنة، وقال الحسن: إنّما

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

خزّان الجنة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون. وقيل إنما رآهما على باب الجنة لأنهما كانا يخرجان منهما، وكان إبليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك أن آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو أن خلداً فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد. وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا ما يبكيك قال أبكي عليكما لأنكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله إني لكما لمن الناصحين، فاغترا وما ظنا أن أحداً يحلف بالله كاذباً، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة، ثم ناولت آدم فأكل منها. قال إبراهيم بن أدهم: أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلاً، قال ابن عباس: قال الله تعالى: «يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحداً يحلف بك كاذباً. قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش فيها إلّا نكداً فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد، وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى إذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد». وفي رواية أخرى عن ابن عباس: إن آدم لما أكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله تعالى: يا آدم ما حملك على ما صنعت؟ قال يا رب زينته لي حواء قال: فإني أعقبتها أن لا تحمل إلّا كرهاً ولا تضع إلّا كرهاً ودميتها في الشهر مرتين، فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك. والرنة الصوت. فلما أكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما، وأخرجا من الجنة، فذلك قوله عز وجل ﴿وقلنا اهبطوا﴾ أي انزلوا إلى الأرض يعني آدم وحواء وإبليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود، وأهبطت حواء بجدة وإبليس بالإبلة من أعمال البصرة والحية بأصبهان ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس وإليه الإشارة بقوله عز وجل: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ والعداوة التي بين ذرية آدم والحية. عن ابن عباس قال:

رآهما على باب الجنة، لأنهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال: لو أن أخلد، فاغتنم ذلك منه الشيطان فأتاه الشيطان من قِبَل الخُلد، فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحوّاء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول مَن ناح، فقالا له: ما يُبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما فاغتمّا، ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال: يا آدم هل أدلّك على شجرة الخُلد، فأبى أن يقبل منه وقاسمهما بالله أنه لهما لمن الناصحين فاغترّا، وما ظنّا أن أحداً يحلف بالله كاذباً فبادرت حوّاء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها، وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حوّاء سقته الخمر حتى سكر قادته إليها فأكل، قال إبراهيم بن أدهم: أورثْتنا تلك الأكلةُ حُزناً طويلاً، قال ابن عباس وقتادة: قال الله عزّ وجلّ لآدم: ألم يكن فيما أبحتك من الجنّة مندوحة عن الشجرة؟ قال: بلى يا رب وعزّتك، ولكن ما ظننت أن أحداً يحلف بك كاذباً، قال: فبعزّتي لأهبطنّك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلّا نَكِداً، فأُهبط من الجنة، وكانا يأكلان فيها رَغَداً فعُلّم صنعة الحديد وأُمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد، ثم درس ثم ذرّاه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله، فلم يبلغه حتى بلغ ما شاء الله، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن آدم لمّا أكل من الشجرة التي نُهِيَ عنها قال الله عزّ وجلّ: يا آدم ما حملك على ما صنعت قال: يا ربّ زينته لي حوّاء، قال: فإني أعقبتها أن لا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلّا كرهاً ودمّيتها في الشهر مرتين، فرنت حوّاء عند ذلك فقيل: عليك الرنة وعلى بناتك، فلما أكلا منها فُتّت عنهما ثيابُهما وبدتْ سوآتُهما وأُخرجا من الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ وقلنا اهبطوا ﴾: انزلوا إلى الأرض، يعني: آدم وحوّاء وإبليس والحية، فهبط آدم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قال رسول الله ﷺ: «من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا، ما سالماهن منذ حاربناهن» أخرجه أبو داود، وله عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثأرهن فليس مني» وفي رواية «اقتلوا الكبار كلها إلاّ الجان الأبيض الذي كأنه قضيب فضة» (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن بالمدينة جنّاً قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان» وفي رواية «إن بهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم منها شيئاً فاخرجوا عليه ثلاثاً فإن ذهب وإلاّ فاقتلوه فإنه كافر» ﴿**ولكم في الأرض مستقر**﴾ أي موضع قرار ﴿**ومتاع**﴾ أي بلغة ومستمتع ﴿**إلى حين**﴾ أي إلى وقت انقضاء آجالكم. قوله عز وجل ﴿**فتلقى آدم**﴾ أي فتلقن، والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم. وقيل هو التعلم ﴿**من ربه كلمات**﴾ أي كانت سبب توبته. وقيل إن تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل هي لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين، وقيل قال آدم: يا رب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته عليّ قبل أن تخلقني؟ قال: بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك. قال: يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي. وقيل: إن الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه فطاف بالبيت سبعاً وهو يومئذٍ ربوة حمراء ثم صلّى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي، فأوحى الله تعالى إليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك. وقيل: إن آدم لما أهبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى. وقيل هي ثلاثة أشياء: الحياء والدعاء والبكاء. قال ابن عباس: بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً. وقيل: لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أصاب الخطيئة لو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت

بسر نديب من أرض الهند على جبل يقال له نـود، وحوّاء بجـدّة، وإبليس بالابلة والحيّـة بأصفهـان، ﴿ **بعضكم لبعض عدو** ﴾ أراد العداوة التي بين ذريّة آدم والحية، وبين المؤمنين من ذريّة آدم وبين إبليس، قال الله تعالى: ﴿ إن الشيطان لكما عدوٌ مبين ﴾ [الأعراف: ٢٢] أنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن محمد بن الصفار، حدّثنا منصور الرمادي أنا عبد الرزّاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لا أعلمه إلاّ رفع الحديث: «أنه كان يأمر بقتل الحيّات وقال: مَن تركهنّ خشيةً أو مخافةَ ثائر فليس منّا»، وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث: «ما سَالمناهُنّ منذُ حارَبَناهُنّ»، وَرُويَ «أنه نهى عن ذوات البيوت»، ورُوِيَ عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ «أن بالمدينة جِنّا قد أسلموا فإن رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان»، قوله تعالى: ﴿ **ولكم في الأرض مستقر** ﴾: موضع قرار ﴿ **ومتاع** ﴾ بُلْغة ومُستمتع ﴿ **إلى حين** ﴾: إلى انقضاء آجالكم.

﴿ **فتلقى** ﴾: تلقى، والتلقّي: هو قبول عن فطنة وفهم، وقيل: هو التعلّم، ﴿ **آدمُ منْ ربّه كلمات** ﴾ قراءة العامّة آدمُ برفع الميم وكلمات بخفض التاء، وقرأ ابن كثير (آدم) بالنصب (كلماتٌ) برفع التاء، يعني: جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته، واختلفوا في تلك الكلمات، قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن: هي قوله: ﴿ ربّنا ظلمنا أنفسنا ﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية، وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي: هو قوله لا إلّه إلّا أنت سبحانك وبحمدك ربِّ عملتُ سوءاً وظلمت نفسي فاغفرْ لي إنّك أنت الغفور الرحيم، لا إلّه إلّا أنت سبحانك وبحمدك ربِّ عملتُ سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين، وقال عبيد بن عمير: هي أن آدم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة ﴿فتاب عليه﴾ أي فتجاوز عنه وغفر له. وأصل التوبة من تاب يتوب إذا رجع فكأن التائب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه، ولا تتحقق التوبة منه إلاّ بثلاثة أمور. علم وحال وعمل. أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وأنه حجاب عن الله تعالى، فإذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب، ويعزم في المستقبل أن لا يعود إليه وهو العمل فإذا تحققت هذه الثلاثة الأمور وحصلت التوبة، وسيأتي بسط هذا عند قوله تعالى: ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾ في سورة التحريم إن شاء الله تعالى ﴿إنه هو التواب﴾ أي الرجاع على عباده بقبول التوبة. والتواب في وصف الله سبحانه وتعالى: المبالغ في قبول توبة عباده ﴿الرحيم﴾ أي بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه بأنه رحيم ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ يعني هؤلاء الأربعة. وقيل إن الهبوط الأول من الجنة إلى سماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا إلى الأرض، وفيه ضعف لأنه قال في الهبوط الأول «ولكم في الأرض مستقر» فدل على أنه كان من الجنة إلى الأرض، والأصح أنه للتأكيد ﴿فأما يأتينكم مني هدى﴾ فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كأنه قال وإن أهبطتكم من الجنة إلى الأرض فقد أنعمت عليكم بهدايتي التي تؤديكم إلى الجنة مرة أخرى على الدوام الذي لا ينقطع وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعني يا ذرية آدم إما يأتينكم مني رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم﴾ يعني فيما يستقبلهم ﴿ولا هم يحزنون﴾ أي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا
أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

قال: يا ربّ أرأيت ما أتيت، أشيءٌ ابتدعتُه من تلقاء نفسي أم شيءٌ قدّرتَه عليّ قبل أن تخلقني؟ قال الله تعالى: لا بل شيءٌ قدّرته عليك قبل أن أخلقك، قال: يا رب فكما قدّرته قبل أن تخلقني فاغفر لي، وقيل: هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء، قال ابن عباس: بكى آدم وحوّاء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم حوّاء مائة سنة، وروى المسعودي عن يونس بن خطاب وعلقمة بن مرثد قالا: لو أن دموع جميع أهل الأرض جُمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة، ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جُمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة، قال شهر بن حوشب: بلغني أن آدم لما أُهبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياءً من الله تعالى، قوله: ﴿ فتاب عليه ﴾: فتجاوز عنه ﴿ إنه هو التوّاب ﴾: يقبل توبة عباده، ﴿ الرحيم ﴾: بخلقه.

قوله تعالى: ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً ﴾، يعني: هؤلاء الأربعة وقيل الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوط الثاني من السماء الدنيا إلى الأرض، ﴿ فإما يأتينّكم ﴾، أي: فإن يأتكم يا ذرية آدم ﴿ منّي هُدى ﴾، أي: رُشدٌ وبيان شريعة، وقيل: كتاب ورسولٌ، ﴿ فمَنْ تبع هُدايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾، قرأ يعقوب: (فلا خوفَ)، بالفتح في كل القرآن، والآخرون بالضم والتنوين ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ فيما يستقبلهم ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على ما خلفوا، وقيل: لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

﴿**والذين كفروا**﴾ أي جحدوا ﴿**وكذبوا بآياتنا**﴾ أي بالقرآن ﴿**أولئك أصحاب النار**﴾ أي يوم القيامة ﴿**هم فيها خالدون**﴾ أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله عز وجل ﴿**يا بني إسرائيل**﴾ اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلّى الله عليهم وسلم أجمعين ومعنى إسرائيل عبدالله وقيل صفوة الله والمعنى يا أولاد يعقوب ﴿**اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**﴾ أي اشكروا نعمتي وإنما عبر عنه بالذكر لأن من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ووحد النعمة لأنها المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير ومعناه أن المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الإنسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة إذا لم يقصد بها الغير ثم إن النعم ثلاثة: نعمة تفرد بها الله تعالى وهي إيجاد الإنسان ورزقه ونعمة وصلت إلى الإنسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للإنسان بسبب الطاعة وهي أيضاً من الله تعالى، فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لأن أصول النعم كلها منه. وأما النعم المختصة ببني إسرائيل فكثيرة لأن قوله ﴿**اذكروا نعمتي**﴾ لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم أن الله تعالى أنقذهم من فرعون وفلق البحر لهم وأغرق فرعون وتظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى في التيه عليهم وإنزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة فإن قلت إذا فسر النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها. قلت إنما ذكر المخاطبين بها لأن فخر الآباء فخر الأبناء ولأن الأبناء إذا تيقنوا أن الله قد أنعم على آبائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها. وقيل إن هذه النعم هي إدراك المخاطبين بها زمن محمد ﷺ وذكرها الإيمان به ﴿**وأوفوا بعهدي**﴾ أي امتثلوا أمري ﴿**أوف بعهدكم**﴾ أي بالقول والثواب وأصل للعهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ومنه سمي الموثق الذي تلزم مراعاته عهداً وقيل أراد بالعهد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض وقيل أراد به ما ذكر في سورة المائدة وهو قوله: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ إلى قوله ﴿لأكفرن عنكم سيئاتكم﴾ فهذا قوله: ﴿**أوف بعهدكم**﴾ وقيل هو قوله: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ يعني شريعة التوراة.

﴿ **والذين كفروا** ﴾: جحدوا ﴿ **وكذبوا بآياتنا** ﴾ بالقرآن ﴿ **أولئك أصحاب النار** ﴾: يوم القيامة، ﴿ **هم فيها خالدون** ﴾: لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

قوله تعالى: ﴿ **يا بني إسرائيل** ﴾يا أولاد يعقوب، ومعنى إسرائيل: عبد الله، وإيل: هو الله تعالى، وقيل: صفوة الله، وقرأ أبو جعفر: (إسرائيل) بغير همزة، ﴿ **اذكروا** ﴾: احفظوا، والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، وقيل: أراد به الشكر، وذكر بلفظ الذكر، لأن في الشكر ذكراً وفي الكفران نسياناً، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، ﴿ **نعمتي** ﴾، أي: نعمي، لفظها واحد ومعناها جمع، كقوله تعالى: ﴿ **وإن تَعُدّوا نِعْمَةَ الله لا تحصوها** ﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨]، ﴿ **التي أنعمتُ عليكم** ﴾، أي: على أجدادكم وأسلافكم، قال قتادة: هي النِعَم التي خُصّت بها بنو إسرائيل: فلق البحر، وإنجاؤهم من فرعون بإغراقه، وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المَنّ والسلوى، وإنزال التوراة، في نِعَمٍ كثيرة لا تُحصى، وقال غيره: هي جميع النِّعَم التي لله عزّ وجلّ على عباده، ﴿ **وأوفوا بعهدي** ﴾: بامتثال أمري ﴿ **أوفِ بعهدكم** ﴾: بالقبول والثواب، قال قتادة ومجاهد: أراد بهذا العهد ما ذكر في قوله: ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم حفظ اثني عشر نقيباً ﴾

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وقيل هو قوله: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلاّ الله﴾. وقيل أراد بهذا العهد ما أثبته في كتب الأنبياء المتقدمة من وصف محمد ﷺ وأنه مبعوث في آخر الزمان، وذلك أن الله عهد إلى بني إسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام أني باعث من بني إسماعيل نبياً أمياً فمن تبعه وصدق النور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين، وهو قوله: ﴿وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس﴾ يعني أمر محمد ﷺ وصفته ﴿وإياي فارهبون﴾ أي فخافون في نقضكم العهد ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ يعني بالقرآن ﴿مصدقاً لما معكم﴾ يعني أن القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والأخبار ونعمت النبي ﷺ فالإيمان بمحمد ﷺ والقرآن تصديق للتوراة لأن التوراة فيها الإشارة إلى نعت النبي ﷺ وأنه نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ الخطاب لليهود، نزلت في كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود، والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود أول من كفر به. فإن قلت كيف جعلوا أول من كفر به وقد سبقهم إلى الكفر به مشركو العرب من أهل مكة وغيرهم؟ قلت: هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب أن تكونوا أول من آمن به لأنكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان أمر اليهود بالعكس. وقيل معناه ولا تكونوا أول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوءوا بإثمكم وإثم غيركم ممن تبعكم على ذلك ﴿ولا تشتروا﴾ أي ولا تستبدلوا ﴿بآياتي﴾ أي ببيان صفة محمد ﷺ التي في التوراة ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي عوضاً يسيراً من الدنيا لأن الدنيا بالنسبة إلى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة إلى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ وذلك أن كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا يأخذون منهم في كل سنة شيئاً معلوماً من زرعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا إن بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة وأصروا على الكفر ﴿وإياي فاتقون﴾ أي فخافون في أمر محمد ﷺ. والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما أن الرهبة

[المائدة: ١٢] إلى أن قال: ﴿ لأُكَفِّرَنّ عنكم سيئاتكم ﴾ [المائدة: ١٢]، فهذا قوله: ﴿ أُوفِ بعهدكم ﴾ وقال الحسن: هو قوله: ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [البقرة: ٦٣]، فهو شريعة التوراة، وقال مقاتل: هو قوله: ﴿ وإذْ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلاّ الله ﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال الكلبي: عهد الله إلى بني إسرائيل على لسان موسى: إني باعث من بني إسماعيل نبيّاً أُميّاً فمَن اتّبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة، وجعلت له أجرين اثنين، وهو قوله: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لَتُبيِّنّنه للناس ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، يعني: أمر محمد ﷺ. ﴿ وإيّايَ فارهبون ﴾: فخافوني في نقض العهد، وأثبت يعقوب الياآت المحذوفة في الخط مثل (فارهبون، فاتقون، واخشون)، والآخرون يحذفونها على الخط.

﴿ وآمنوا بما أنزلت ﴾ يعني القرآن، ﴿ مصدّقاً لما معكم ﴾، أي موافقاً لما معكم من التوراة في التوحيد والنبوّة والأخبار ونعت النبيّ ﷺ، نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم، ﴿ ولا تكونوا أول كافر به ﴾، أي: بالقرآن، يريد من أهل الكتاب، لأن قريشاً كفرت قبل اليهود بمكة، معناه ولا تكونوا أول مَن كفر بالقرآن فتتابعكم اليهود على ذلك فتبوؤا بآثامكم وآثامهم، ﴿ ولا تشتروا ﴾، أي: ولا تستبدلوا ﴿ بآياتي ﴾: ببيان صفة محمد ﷺ، ﴿ ثمناً قليلاً ﴾ أي: عوضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مأكلة يصيبونها من سفلتهم وجهّالهم يأخذون كل عام منهم شيئاً معلوماً من زروعهم وضُروعهم ونقودهم، فخافوا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما تخاف. قوله عز وجل: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ أي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم. وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي أنزل عليكم من صفة محمد ﷺ في التوراة الباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد ﷺ التي هي الحق بالباطل أي بصفة الدجال وذلك أنه لما بعث رسول الله ﷺ حسده اليهود وقالوا ليس هو الذي ننتظره وإنما هو المسيح ابن داود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا: ﴿وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ يعني أن محمداً ﷺ نبي مرسل. وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وإن كان خاصاً في الصورة لكنه عام في المعنى فعلى كل أحد أن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة أيضاً على أن العالم بالحق يجب عليه إظهاره ويحرم عليه كتمانه ﴿وأقيموا الصلاة﴾ يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع أركانها ﴿وآتوا الزكاة﴾ أي أدوا الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أي صلوا مع المصلين، يعني محمداً ﷺ وأصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لأنه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود لأن صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى أعاده بعد قوله وأقيموا الصلاة لأن الأول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود. وفيه حث على إقامة الصلاة في الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين في الجماعة. قوله عز وجل: ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم. والبر اسم جامع لجميع أعمال الخير والطاعات، نزلت هذه الآية في علماء اليهود، وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ اثبت على دينه فإن أمره حق وقوله صدق وقيل إن جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب: إن رسولاً سيظهر منكم ويدعوكم إلى الحق، وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمداً ﷺ حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث إنهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره، فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه. وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك ﴿وتنسون أنفسكم﴾ أي وتعدلون عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن

أنهم إن بيّنوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المأكلة، فغيّروا نَعْتَه وكتموا اسمه، فاختاروا الدنيا على الآخرة، ﴿ وإيّايَ فاتّقون ﴾: فاخشوني.

﴿ ولا تَلْبِسُوا الحقَ بالباطل ﴾، أي: لا تخلطوا، يقال: لَبِسَ الثوبَ يَلْبَسُ لُبْساً، ولَبَسَ عليه الأمرُ يلبس لبساً، أي: خَلَطَ، يقال: لا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفة محمد ﷺ، والأكثرون على أنه أراد لا تَلْبِسُوا الإسلام باليهودية والنصرانية، وقال مقاتل: إن اليهود أقرّوا ببعض صفة محمد ﷺ وكتموا بعضاً لِيُصدَّقوا في ذلك، فقال ولا تلبسوا الحق الذي تغيّرون بالباطل، يعني: بما تكتمونه، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم، ﴿ وتكتموا الحق ﴾، أي: لا تكتموه، يعني: نعتَ محمد ﷺ، ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ أنه نبيّ مُرسَل.

﴿ وأقيموا الصلوٰة ﴾، يعني: الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها، ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ أدّوا زكاة أموالكم المفروضة، فهي مأخوذة من زكاة الزرع إذا نَما وكثُر، وقيل: مَن تزكّى، أي تطهّر، وكِلا المعنيين موجودان في الزكاة لأن فيها تطهير أو تنمية للمال، ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾، أي: صلّوا مع المصلّين محمد ﷺ وأصحابه، وذكَر بلفظ الركوع لأن الركوع ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، وكأنه قال صلّوا صلاة ذات ركوع، قيل: وإعادته بعد قوله: ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾، لهذا أي: صلّوا مع الذين في صلواتهم ركوع، فالأول مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام مخصوصين، وقيل: هذا حثٌّ على إقامَ الصلاة جماعةً كأنه قال لهم:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى أتتركون أنفسكم ولا تتبعون محمداً ﷺ ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ يعني تقرؤون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد ﷺ وصفته وفيها أيضاً الحث على الأفعال الحسنة والإعراض عن الأفعال القبيحة والإثم ﴿أفلا تعقلون﴾ يعني أنه حق فتتبعونه والعقل قوة يهيىء قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن أبي طالب:

وإن العقـــــــل عقــــــلان فمطبـــــــوع ومسمــــــــوع
ولا ينفـــــــع مطبـــــــوع إذا لـــــم يـــــك مسمـــــوع
كمـــــا لا تنفـــــع الشمـــــس وضـــــوء العيـــــن ممنـــــوع

وأصل العقل الإمساك لأنه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والأفعال القبيحة. ومعنى الآية أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إرشاد الغير إلى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والإحسان إلى النفس أولى من الإحسان إلى الغير وذلك لأن الإنسان إذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال أفلا تعقلون وقيل إن من وعظ الناس يجتهد أن ينفذ موعظته إلى القلوب فإذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بل كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه» قوله فتندلق، أي تخرج أقتاب بطنه أي أمعاء بطنه واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه. وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه، وقال بعضهم:

صلّوا مع المصلّين الذين سبقوكم بالإيمان.

﴿ أتأمرون الناس بالبرّ ﴾، أي: بالطاعة، نزلت في علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المؤمنين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ: اثبت على دينه فإن أمره حق، وقوله صدق، وقيل: هو خطاب لأحبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسّك بالتوراة، ثم خالفوا وغيّروا نعتَ محمد ﷺ، ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾، أي: تتركون أنفسكم فلا تتبعونه، ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾، تقرؤن التوراة فيها نعته وصفته، ﴿ أفلا تعقلون ﴾: أنه حق فتتبعون، والعقل مأخوذ من عِقال الدابّة، وهو ما يُشدّ به ركبة البعير فيمنعه عن الشرود، فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمرو بكر بن محمد المزني، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة، أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفّان أنا حمّاد بن سلمة أنا علي بن زيـد، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء من أُمتك يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنـا أحمـد عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا علي بن عبد الله أنا سفيان عن الأعمش، عن أبي وائل قال: قال أُسامة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ
رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن
نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ قيل إن المخاطبين بهذا هم المؤمنون لأن من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد ﷺ لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه إلى من صدّق محمداً ﷺ وآمن به. وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لبني إسرائيل لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولأن اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين، فعلى هذا القول أن الله تعالى لما أمرهم بالإيمان بمحمد ﷺ والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات وإن ضممتم إلى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال. وعلى القول الأول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم إلى الله. وقيل: على ما يشغلكم من أنواع البلاء. وقيل: على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي. وقيل بالصبر على أداء الفرائض. وقيل الصبر هو الصوم لأن فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة، أي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية وإحضار القلب ومراعاة الأركان والآداب مع الخشوع والخشية، فإن من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها. وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، أي إذا أهمه أمر لجأ إلى الصلاة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه نعي له أخوه

فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»، وقال شعبة عن الأعمش فيطحن بها كما يطحن الحمار برحاه.

﴿ واستعينوا ﴾: على ما يستقبلكم من أنواع البلاء، وقيل: على طلب الآخرة، ﴿ بالصبر والصلاة ﴾: على تمحيص محو الذنوب أراد حبس النفس عن المعاصي، وقيل: أراد بالصبر: الصبر على أداء الفرائض، وقال مجاهد: الصبر: الصوم، ومنه سُمّي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يزهده في الدنيا والصلاة ترغّبه في الآخرة، وقيل: الواو بمعنى «على» أي: واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿ وإنها ﴾، ولم يقل وإنهما، ردّ الكناية إلى كل واحد منهما، أي: وإن كل خصلة منهما، كما قال: ﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ﴾ [الكهف: ٣٣]، أي: أُكل كل واحد منهما، وقيل: معناه واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، وبالصلاة وإنها لكبيرة، فحذف أحدهما اختصاراً، وقال المورج: ردّ الكناية إلى الصلاة لأنها أعمّ، كقوله تعالى: ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها ﴾ [التوبة: ٣٥] ردّ الكناية إلى الفضة لأنها أعمّ، وقيل: ردّ الكناية إلى الصلاة لأنّ الصبر داخل فيها كما قال الله تعالى: ﴿ والله ورسوله أحقّ أن يرضوه ﴾ [التوبة: ٦٢]، ولم يقل يرضوهما، لأن رضى الرسول داخل في رضى الله عزّ وجلّ، وقال الحسين بن الفضل: ردّ الكناية إلى الاستعانة، ﴿ لكبيرة ﴾، أي: لثقيلة ﴿ إلاّ على الخاشعين ﴾، يعني: المؤمنين، وقال الحسن:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق، فصلى ركعتين أطال فيهما السجود، ثم قام إلى راحلته وهو يقول: فاستعينوا بالصبر والصلاة ﴿وإنها﴾ يعني الصلاة وقيل الاستعانة ﴿لكبيرة﴾ أي ثقيلة ﴿إلا على الخاشعين﴾ يعني المؤمنين وقيل الخائفين: وقيل المطيعين المتواضعين لله وأصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن إلى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ما تستعمل في الجوارح وإنما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لأن من لا يرجو لها ثواباً ولا يخاف على تركها عقاباً فهي ثقيلة عليه. وأما الخاشع الذي يرجو لها ثواباً ويخاف على تركها عقاباً فهي سهلة عليه ﴿الذين يظنون﴾ أي يستيقنون وقيل يعلمون ﴿أنهم ملاقو ربهم﴾ يعني في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ يعني بعدت فيجزيهم بأعمالهم. قوله عز وجل: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيداً للحجة عليهم وتحذيراً من ترك اتباع محمد ﷺ ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للأبناء ﴿واتقوا يوماً﴾ أي واخشوا عذاب يوم ﴿لا تجزي﴾ أي لا تقضى ﴿نفس عن نفس شيئاً﴾ يعني حقاً لزمها. وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة، ولا ترد عنها شيئاً مما أصابها، بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴿ولا تقبل منها شفاعة﴾ أي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة إذا كانت النفس كافرة، وذلك أن اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل إن طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجباً عليه وقيل معناه أن النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي فدية وهو مماثلة الشيء بالشيء ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي لا يمنعون من العذاب.

قوله عز وجل: ﴿وإذ نجيناكم﴾ أي واذكروا إذ خلصنا أسلافكم وأجوادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لأنهم نجوا بنجاة أسلافهم ﴿من آل فرعون﴾ أي من أتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر أكثر من أربعمائة سنة ﴿يسومونكم﴾ أي يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سوء العذاب﴾ أي أشد العذاب وأسوأه، وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا، وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وخولاً، وصنفهم في الأعمال أصنافاً: صنف يبنون ويزرعون، وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب: كانوا أصنافاً في أعمال فرعون فذوو القوة يسلخون السواري من الجبال، حتى تقرعت أيديهم وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون

الخائفين، وقيل: المطيعين، وقال مقاتل بن حيان: المتواضعين، وأصل الخشوع: السكون، قال الله تعالى: ﴿ وخشعتِ الأصواتُ للرحمن ﴾ [طه: ١٠٨]، فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

﴿ الذين يظنون ﴾: يستيقنون، فالظنّ من الأضداد يكون شكّاً ويقيناً، كالرجاء يكون أمناً وخوفاً، ﴿ أنهمْ مُلاقوا ﴾: مُعاينوا ﴿ ربهم ﴾: في الآخرة، وهو رؤية الله تعالى، وقيل: المراد من اللقاء الصيرورة إليه، ﴿ وإنهم إليه راجعون ﴾: فيجزيهم بأعمالهم.

﴿ يا بني إسرائيل اذكُروا نعمتيَ التي أنعمت عليكم وأني فضّلتكم على العالمين ﴾، أي: عالَمِي زمانكم، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في حق الأبناء.

﴿ واتقوا يوماً ﴾: واخشَوا عقابَ يومٍ، ﴿ لا تجزي نفسٌ ﴾: لا تقضي نفس ﴿ عن نفس شيئاً ﴾ أي: حقاً لزمها، وقيل: لا تغني، وقيل: لا تكفي شيئاً من الشدائد، ﴿ ولا تُقبل منها شفاعةٌ ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتاء، لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقون بالياء، لأن الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة، فالتذكير

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الحجارة والطين يبنون له القصور، وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر، وطائفة نجارون وحدادون، والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم، فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريبته، غلبت يداه إلى عنقه شهراً والنساء يغزلن الكتان وينسجنه وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب، ما بعده وهو قوله عز وجل: ﴿**يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم**﴾ أي يتركونهن أحياء. وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر، وأحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني إسرائيل فهاله ذلك، وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا: يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل، ووكل بالقوابل فكنّ يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر ألفاً وقيل: سبعين ألفاً، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا: إن الموت قد وقع ببني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها ﴿**وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾ أي اختيار وامتحان، والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر فإن حمل قوله: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وإن حمل على الإنجاء كان من النعمة. قوله عز وجل: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ أي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحراً لاتساعه.

ذكر سياق القصة

وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون، أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر بالليل، فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم السرج إلى الصبح، وأن يستعيروا حلى القبط لتبقى لهم أو ليتبعوهم لأجل المال، وأخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني إسرائيل إلى بني إسرائيل وكل ولد زنا كان في بني إسرائيل من القبط إلى القبط حتى يرجع كل ولد إلى أبيه وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل: بلغ ذلك فرعون فقال لا أخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني إسرائيل وهم ستمائة ألف وعشرون ألفاً لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره، ولا ابن ستين سنة لكبره، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بين رجل وامرأة فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين

على المعنى والتأنيث على اللفظ، كقوله تعالى: ﴿ قد جاءتكم موعظة من ربكم ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال في موضع آخر: ﴿ فمَنْ جاءه موعظة من ربّه ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي: لا تقبل منها شفاعة إذا كانت كافرة ﴿ **ولا يُؤخذ منها عدل** ﴾، أي: فداء: وسُمّي به لأنه مثل المعدي والعدل والعدل المثل، ﴿ **ولا هم يُنصرون** ﴾: يُمنعون من عذاب الله.

﴿ **وإذ نجيناكم** ﴾، أي: أسلافكم وأجدادكم فأعتدها مِنّةً عليهم، لأنهم نجوا بنجاتهم، ﴿ **منْ آلِ فرعون** ﴾: أتباعه وأهل دينه، وفرعون هو الوليد بن مصعب بن الريّان، وكان من القبط العماليق وعمّر أكثر من أربعمائة سنة، ﴿ **يَسُومُونكم** ﴾: يُكلّفونكم ويُذيقونكم ﴿ **سوء العذاب** ﴾: أشد العذاب وأسوأه، وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة هكذا كالإبل السائمة في البريّة، وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وخَوَلاً، وصنّفهم في الأعمال فصِنفٌ يبنون، وصِنفٌ يحرثون ويزرعون، وصِنفٌ يَخدمُونه، ومَن لم يكن منهم في عمل وَضَع عليه الجزية، قال وهب: كانوا أصنافاً في أعمال فرعون، فَذَوُو القوة ينحتون السواري من الجبال حتى قرحت أعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها، وطائفة ينقلون الحجارة، وطائفة منهم يضربون اللَّبن ويطبخون الآجر، وطائفة نجّارون وحدّادون، والضَعَفَة منهم يضرب عليهم الخراج، ضريبة يؤدّونها كل يوم فمَن غربت عليه الشمس قبل أن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يذهبون فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا: إن يوسف لما حضره الموت أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقال موسى. ينادي أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف إلا أخبرني به ومن لم يعلم صمت أذناه عن سماع قولي: فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له: أرأيتك إن دللتك على قبره أتعطيني كل ما أسألك فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربي فأمره أن يعطيها سؤالها فقالت: إني عجوز لا أستطيع المشي فاحملني معك وأخرجني من مصر هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من غرف الجنة إلا نزلتها معك قال: نعم، قالت: إنه في النيل في جوف الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء، ودعا الله أن يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف، ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام، فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني إسرائيل هو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم، ثم خرج فرعون في طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل: كان معهن مائة ألف حصان أدهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكر هامان، وكان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ألف ناشب ومائة ألف ألف حراب ومائة في ألف ألف، معهم الأعمدة وسار بنو إسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة، ونظروا حين أشرقت الشمس فإذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا: يا موسى أين ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله إليه أن كنه فضربه، وقال: انفلق يا أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر، حتى صار يبساً وخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا، وقال: كل سبط منهم قد هلك إخواننا فأوحى الله إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضاً، ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى:.

يؤدّي ضريبته غُلّت يمينه إلى عنقه شهراً، والنساء يغزلن الكتّان وينسجن، وقيل تفسير قوله: ﴿ يسومونكم سوء العذاب ﴾: ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿ يُذبّحون أبناءكم ﴾، فهو مذكور على وجه البدل من قوله: ﴿ يسومونكم سوء العذاب ﴾، ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ يتركونهنّ أحياء، وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي فيها، ولم يُتعرّض لبني إسرائيل، فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رُؤياه فقالوا يُولد ولدٌ في بني إسرائيل غلامٌ يكون على يده هلاكُكَ وزوال مُلكك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يُولد في بني إسرائيل، وجَمَعَ القوابلَ فقال لهنّ: لا يسقط على أيديكنّ غلام من بني إسرائيل إلّا قتل ولا جارية إلّا تُركت، ووكّل بالقوابل، فكنّ يفعلن ذلك حتى قيل: إنه قتل في طلب موسى عليه السلام اثني عشر ألف صبي، وقال وهب: بلغني أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعين ألف وليد، ثم أسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوسُ القبط على فرعون وقالوا: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها، ﴿ وفي ذلكم بلاءٌ من ربّكم عظيم ﴾، قيل: البلاء: المِحْنة، أي في سَوْمهم إياكم سُوء العذاب محنة عظيمة، وقيل: البلاء، النعمة، أي: في إنجائي إيّاكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدّة، فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدّة بالصبر، قال الله تعالى: ﴿ ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ ﴿فأنجيناكم﴾ يعني من فرعون ﴿وأغرقنا آل فرعون﴾. وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منفلقاً، قال لقومه: انظروا إلى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوا، وقيل: قالوا له: إن كنت رباً فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدمه، وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيئاً، واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول: الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر

﴿ وإذْ فرقنا بكم البحر ﴾، قيل: معناه فرقنا لكم، وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه، وسُمّيَ البحر بحراً لاتّساعه، ومنه قيل للفرس: بحر إذا اتّسع في جريه، وذلك أنه لمّا دَنَا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسير ببني إسرائيل من مصر ليلاً فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح، وأخرج الله تعالى كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم وكل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط، حتى رجع كلٌ إلى أبيه، وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا، حتى طلعت الشمس وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يَعُدّون ابنَ العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بين رجل وامرأة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفاً، وعن عمرو بن ميمون قال: كانوا ستمائة ألف، فلما أرادوا السير ضُرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك، فقالوا: إن يوسف عليه السلام لمّا حضره الموت أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يُخرجوه معهم فلذلك انسدّ علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي أَنْشُدُ اللَّهَ كلَّ مَن يعلم أين موضع قبر يوسف عليه السلام إلاّ أخبرني به، ومَن لم يعلم به فصمت أذناه عن سماع قولي، وكان يمر بين الرجلين ينادي ولا يسمعان صوته، حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرأيتك إن دللتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك؟ فأبى عليها وقال حتى أسأل ربّي، فأمره الله تعالى بإيتائها سُؤالَهَا، فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر، هذا في الدنيا، وأمّا في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من الجنة إلاّ نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إنه في جوف الماء في النيل، فادع الله تعالى حتى يحسر عنه الماء، فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء، ودعا أن يؤخّر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف عليه السلام، فحفر موسى عليه السلام ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مَرْمرٍ وحمله حتى دفنه بالشام، فَفُتِحَ لهم الطريق فساروا وموسى عليه السلام على ساقتهم وهرون على مقدمتهم، وندر بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك، فوالله ما صاح ديك تلك الليلة فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل، وعلى مقدمة عسكره هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألفاً من دُهم الخيل سوى سائر الشيات، وقال محمد بن كعب رضي الله عنه: كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات، وكان فرعون في الدهم، وقيل: كان فرعون في سبعة آلاف ألف، وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب حراب، ومائة ألف أصحاب الأعمدة فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر أو لماء في غاية الزيادة، ونظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس، فبقوا متحيّرين فقالوا: يا موسى كيف نصنع وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا، قال الله تعالى: ﴿ فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لَمُدرَكون، قال موسى كلا إن معيَ ربي سيهدين﴾ [الشعراء: ٦١ و٦٢] فأوحى الله إليه ﴿ أنِ اضربْ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وخرج جبريل من البحر وهم أولهم بالخروج فأمر الله البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس، وقيل: هو بحر من وراء مصر يقال له: إساف وكان إغراق آل فرعون بمرأى من بني إسرائيل فذلك قوله: ﴿وأنتم تنظرون﴾ يعني إلى هلاكهم وقيل: إلى مصارعهم وقيل: إن البحر قذفهم حتى نظروا إليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكراً لله تعالى. قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذ وعدنا﴾ من المواعدة وهو من الله الأمر ومن موسى القبول وذلك أن الله وعده بمجيء الميقات ﴿موسى﴾ اسم عبري معرب فموسى بالعبرية الماء والشجر سمي موسى لأنه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سيناً فسمي موسى ﴿أربعين ليلة﴾ أي انقضاء أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، وقرن

بعصاك البحر ﴾ [الشعراء: ٦٣]، فضربه فلم يطعه فأوحى إليه أن كَنِّه، فضربه وقال: انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى، ﴿ فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ [الشعراء: ٦٣] وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق، وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل، وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبساً فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً، فخافوا وقال كل سبط: قد قُتل إخوانُنا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء أن تشبّكي فصار الماء شبكات كالطبقات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلامَ بعض، حتى عبروا البحر سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿ وإذْ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم ﴾: من آل فرعون والغرق، ﴿ وأغرقنا آل فرعون ﴾، وذلك أن فرعون لمّا وصل إلى البحر فرآه منفلقاً قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبِقُوا منّي، ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه، وقيل: قالوا له: إن كنت ربّاً فادخل البحر كما دخل موسى، وكان فرعون على حصان أدهم، ولم يكن في خيل فرعون أُنثى فجاء جبريل على فرس أُنثى وديق، فتقدمهم وخاض البحر، فلما شمّ أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها وهم لا يرونه، ولم يملك فرعون من أمره شيئاً وهو لا يرى فرس جبريل، واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم حتى لا تشذّ رجل منهم ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر وخاض جبريل من البحر وخرج ميكائيل من البحر، وهَمَّ أولهم بالخروج فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم وأغرقهم أجمعين، وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو على طرف بحر من بحر فارس، قال قتادة: بحر من وراء مصر يقال: إساف، وذلك بمرأى من بني إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ إلى مصارعهم، وقيل: إلى إهلاكهم.

﴿ وإذ واعدنا ﴾، هو من المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم عافاك الله وعاقبتُ اللص وطارقت النعل، وقال الزجاج: كان من الله الأمر ومن موسى القبول، فلذلك ذكر بلفظ المواعدة، وقرأ أبو عمرو وأهل البصرة « وإذْ وعدنا » من الوعد، ﴿ موسى ﴾: اسم عبري عُرِّب وهو بالعبرانية الماء والشجر، سُمّي به لأنه أُخذ من بين

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

التاريخ بالليل دون النهار لأن الأشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لأن الظلمة أقدم من الضوء.

ذكر القصة في ذلك:

قال العلماء: لما أنجى الله بني إسرائيل من البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليهما، وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه: إني ذاهب إلى ميقات ربي لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون، ووعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فلما جاء الموعد أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له: فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلا حيي ليذهب بموسى إلى ميقات ربه فرآه السامري، وكان صائغاً اسمه ميخا وقال ابن عباس: اسمه موسى بن ظفر، وقيل: كان من أهل ماحرا وقيل كرمان وقيل من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقاً يظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه إن لهذا لشأناً وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه وألقى في روعه، أنه إذا ألقي في شيء حيي فلما ذهب موسى إلى الميقات، ومكث على الطور أربعين ليلة وأنزل الله عليه التوراة في الألواح وكانت الألواح من زبرجد، وقربه نجياً وأسمعه صرير الأقلام وقيل: إنه بقي أربعين ليلة لم يحدث فيها حدثاً حتى هبط من الطور، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيراً من القبط حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في أيديهم فلما فصل موسى قال لهم السامري: إن الحلي الذي استعرتموه من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى، ويرى فيها رأيه وقيل: إن هارون أمرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي أخذها السامري وصاغها عجلاً في ثلاثة أيام، ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر وخار خورة وقيل: كان يخور ويمشي، فقال لهم السامري؛ «هذا إلهكم وإله موسى فنسي» أي فتركه ها هنا وخرج يطلبه وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد، فعدوا اليوم مع

الماء والشجر، ثم قلبت الشين المعجمة سيناً في العربية، ﴿ أربعين ليلةً ﴾، أي: انقضاءها ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقَرَنَ بالليل دون النهار لأن شهور العرب وُضعت على سير القمر، والهلال إنما يهلّ بالليل، وقيل: لأن الظلمة أقدم من الضوء، وخُلِقَ الليل قبل النهار، قال الله تعالى: ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ [يس: ٣٧]، وذلك أن بني إسرائيل لما أمنوا من عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليهما فوعد الله موسى أن ينزل عليهم التوراة، فقال موسى لقومه: إني ذاهب لميقات ربكم آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون، وواعدهم أربعين ليلة، ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس، يقال له: فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلاّ حُيي ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرمي واسمه ميخا، وقال سعيد بن جبير: كان من أهل كرمان، وقال ابن عباس: اسمه موسى بن ظفر، وقال قتادة: كان من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، ورأى موضع قدم الفرس تَخْضَرُّ من ذلك، وكان منافقاً أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فلما رأى جبرائيل على ذلك الفرس، علم أن لهذا شأناً فأخذ قبضة من تربة حافر فَرس جبرائيل عليه السلام، قال عكرمة: ألقي في روعه أنه إذا ألقي في شيء غيره حُيي، وكانت بنو إسرائيل قد استعاروا حليّاً كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعلّة عرس لهم فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحِلي في أيدي بني إسرائيل، فلما فصل موسى قال السامري لبني إسرائيل: إن الحِلي التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة لا تحلّ لكم فاحفروا حفرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى، فيرى فيها رأيه، وقال السدي: إن هارون عليه السلام أمرهم أن يُلقوها في حفيرة، حتى يرجع موسى ففعلوا، فلما اجتمعت

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الليلة يومين فلما مضى عشرون يوماً، ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل: كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى، ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه، وقيل: عبده كلهم إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح فذلك قوله عز وجل: ﴿**ثم اتخذتم العجل**﴾ يعني إلها ﴿**من بعده**﴾ أي من بعد موسى ﴿**وأنتم ظالمون**﴾ أي وأنتم ضارون لأنفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها ﴿**ثم عفونا عنكم**﴾ أي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم ﴿**من بعد ذلك**﴾ أي من بعد عبادتكم لعجل ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ أي لكي تشكروا عفوي عنكم، وحسن صنيعي إليكم وأصل الشكر هو تصور النعمة وإظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاث أضرب: شكر القلب وهو تصور النعمة. وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة. وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها، وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية؛ وقيل: حقيقة الشكر العجز عن الشكر. وحكي أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: إلهي أنعمت عليّ النعم السوابغ وأمرتني بالشكر وإنما شكري إياك نعمة منك فأوحى الله تعالى إليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهي مني. وقال داود عليه الصلاة والسلام: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكراً كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل: شكر كل نعمة أن لا يعصى بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل: شكر النعمة أن لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافأة ولمن دونك بالإحسان والإفضال. قوله عز وجل: ﴿**وإذ آتينا موسى الكتاب**﴾ يعني التوراة ﴿**والفرقان**﴾ قيل: هو نعت الكتاب والواو زائدة. والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والإيمان وقيل: الفرقان هو النصر على الأعداء والواو أصلية ﴿**لعلكم تهتدون**﴾ يعني بالتوراة ﴿**وإذ قال موسى لقومه**﴾ يعني الذين عبدوا العجل ﴿**يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل**﴾ يعني إلٰهاً تعبدونه فكأنهم قالوا ما نصنع قال ﴿**فتوبوا إلى بارئكم**﴾ أي ارجعوا إلى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال

الحِلي صاغها السامري عجلاً في ثلاثة أيام، ثم ألقى فيها القِبضة التي أخذها من تراب أثر فرس جبرائيل عليه السلام، فخرج عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون، فخار خورةً، وقال السدي كان يخور ويمشي فقال السامري: هذا إلٰهكم وإلٰه موسى، فنسي، أي: فتركه ههنا وخرج يطلبه، وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدّوا اليوم مع الليلة يومين، فلما مضى عشرون يوماً ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة، وقيل: كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة، فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات، ورأوا العجل وسمعوا قول السامري، فعكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه، وقيل كلهم عبدوه إلّا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصحّ، وقال الحسن: كلهم عبدوه إلّا هارون وحده، فذلك قوله تعالى: ﴿ **ثم اتخذتم العجل** ﴾، أي: إلٰهاً ﴿ **من بعده** ﴾، أظهر ابن كثير وحَفْص الذالَ من (أخذت، واتخذت)، والآخرون يُدغمونها، ﴿ **وأنتم ظالمون** ﴾: ضارّون لأنفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها.

﴿ **ثم عفونا عنكم** ﴾: محونا ذنوبكم، ﴿ **من بعد ذلك** ﴾: من عبادتكم العجل، ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾: لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي إليكم، قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السرِّ والعلانية، قال الحسن: شكر النعمة ذكرها، قال الله تعالى: ﴿ وأمّا بنعمة ربّك فحدّث ﴾ [الضحى: ١١]، قال الفضيل: شكر كل نعمة أن لا يُعصى الله بعد تلك النعمة، وقيل: حقيقة الشكر العجز عن الشكر، حكي أن موسى عليه السلام قال: إلٰهي أنعمت عليّ النِّعمَ السوابغَ وأمرتني بالشكر، وإنّما شكري إياك نعمة منك، قال الله تعالى: يا موسى

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ يعني ليقتل البريء منكم المجرم. فإن قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على أن لا يعود إليه وهذا مغاير للقتل. فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل. قلت: ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان أن توبتهم لا تتم إلا بالقتل، وإنما كان كذلك لأن الله أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن توبة المرتد لا تتم إلا بالقتل. فإن قلت: التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة. قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضي أن يقتل التائب من الردة إما عاماً في حق الكل أو خاصاً في حق الذين عبدوا العجل ﴿ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ يعني القتل وتحمل هذه الشدة لأن الموت لا بد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا: نصبر لأمر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق إلى البطن بثوب، وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته، وأصلت القوم الخناجر والسيوف، وأقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له، فما يمكنهم المضي لأمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً فكانوا يقتلون إلى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا وتضرّعا إليه وقال: يا رب هلكت بنو إسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل، فتكشف عن ألوف من القتلى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان عدد القتلى سبعين ألفاً فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله إليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة، فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي مكفراً عنه ذنوبه فذلك قوله تعالى: ﴿فتاب عليكم﴾ أي فعلتم ما أمرتم به فتجاوز عنكم ﴿إنه هو التواب﴾ أي الرجاع بالمغفرة القابل التوبة ﴿الرحيم﴾ بخلقه. قوله عز وجل:

تعلّمت العلم الذي لا يفوقه شيء من علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو منّي، وقال داود: سبحان مَن جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكراً، كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.

قوله تعالى: ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب ﴾، يعني التوراة، ﴿ والفرقان ﴾، قال مجاهد: هو التوراة أيضاً ذكرها باسمين، وقال الكسائي: الفرقان نعت الكتاب، والواو زائدة، يعني: الكتاب الفرقان، أي: المفرّق بين الحلال والحرام، وقال يمان بن ريان: أراد بالفرقان انفراق البحر كما قال: ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم ﴾، ﴿ لعلكم تهتدون ﴾: بالتوراة.

﴿ وإذ قال موسى لقومه ﴾: الذين عبدوا العجل، ﴿ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم ﴾: ضررتم بأنفسكم، ﴿ باتخاذكم العجل ﴾: إلَهاً قالوا: فأي شيء نصنع؟ قال: ﴿ فتوبوا ﴾: فارجعوا ﴿ إلى بارئكم ﴾: خالقكم، قالوا: كيف نتوب؟ قال: ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾، يعني: ليقتل البريء منكم المجرم، ﴿ ذلكم ﴾، أي: القتل، ﴿ خيرٌ لكم عند بارئكم ﴾، فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا: نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية مُحتَبِين، وقيل لهم: مَن حلَّ حبوته أو مدَّ طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته، واصلتَ القوم عليهم الخناجرَ وكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره، فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى، قالوا: يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً فكانوا يقتلونهم إلى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهرون عليهما السلام وبكيا وتضرّعا وقالا: يا رب هلكتْ بنو إسرائيل، البقيةَ البقيةَ، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفّوا عن القتل، فكشف عن ألوف من القتلى، يُروى عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: كان عدد القتلى سبعين ألفاً فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة؟ فكان مَن قُتل منهم شهيداً ومَن بقي مكفّر عنه ذنوبه، فذلك قوله تعالى: ﴿ فتاب عليكم ﴾، أي: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم، ﴿ إنه هو التوّاب ﴾: القابل للتوبة، ﴿ الرحيم ﴾ بهم.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك﴾ أي لن نصدقك ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ أي عياناً وذلك أن الله عز وجل أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً من خيارهم وقال لهم: صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، ففعلوا وخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا قال: أفعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى في الغمام، وقال للقوم: ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجداً وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجه نور ساطع فلا يستطيع أحد أن ينظر إليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاكم وأسمعهم الله تعالى: (إني أنا الله لا إله إلا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وإنما قالوا: جهرة توكيد للرؤية لئلا يتوهم متوهم أن المراد بالرؤية العلم ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ قيل: هي الموت وفيه ضعف لأن قوله وأنتم تنظرون يرده إذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين إليها وقيل: إن الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل: إن ناراً نزلت من السماء فأحرقتهم. وقيل: جاءت صيحة من السماء وقيل: أرسل جموعاً من الملائكة فسمعوا بحسهم فخروا صعقين ﴿وأنتم تنظرون﴾ أي ينظر بعضكم إلى بعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول إلهي ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد هلك خيارهم «لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا» فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله رجلاً

قوله تعالى: ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾، وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين رجلًا من قومه من خيّارهم وقال لهم: صُوموا وتطهروا وطهِّروا ثيابكم ففعلوا، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات ربّه، فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل في الغمام، وقال للقوم: ادْنُوا فدنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخرُّوا سجداً، وكان موسى إذا كلّمه ربّه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونهم الحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه،وأسمعهم الله إني أنا الله لا إلّه إلّا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيدٍ شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا له: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً معاينة، وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية، فقال: جهرة ليُعلم أن المراد منه العيان، ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾، أي: الموت، وقيل: نارٌ جاءت من السماء فأحرقتهم، ﴿ وأنتم تنظرون ﴾، أي: ينظر بعضكم لبعض حين أخذكم الموت، وقيل: تعلمون، والنظر يكون بمعنى العلم، فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرّع ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد هلك خيّارهم؟ لو شئْتَ أهلكتَهم من قبلُ وإيّايَ، أتُهلكنا بما فعل السفهاء منّا، فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلًا رجلًا، بعدما ماتوا يوماً وليلة ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى:

﴿ ثم بعثناكم ﴾: أحييناكم، والبعث: إثارة الشيء عن محله، يقال: بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بعد رجل، بعد ما ماتوا يوماً وليلة ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى: ﴿ثم بعثناكم﴾ أي أحييناكم ﴿من بعد موتكم﴾ أي لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم لم يبعثوا إلى يوم القيامة ﴿لعلكم تشكرون﴾ قوله عز وجل: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ يعني في التيه يقيكم حر الشمس، وذلك أنه لم يكن لهم في التيه شيء يسترهم ولا يستظلون به فشكوا إلى موسى فأرسل الله غماماً أبيض رقيقاً يسترهم من الشمس وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم الليل إذا لم يكن قمر ﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ أي في التيه الأكثرون على أن المن هو الترنجبين وقيل: هو شيء كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد. وقال وهب: هو الخبز الرقاق، وأصل المن هو ما يمن الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الكماة من المن وماؤها شفاء للعين» ومعنى الحديث أن الكمأة شيء أنبته الله من غير سعي أحد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، وقوله: وماؤها شفاء للعين معناه أن يخلط مع الأدوية فينتفع به لا أنه يقطر ماؤها بحتاً في العين وقيل: إن تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص، وليس يوافق كل وجع العين وكان هذا المن ينزل على أشجارهم في كل ليلة من وقت السحر إلى طلوع الشمس، كالثلج لكل إنسان صاع فقالوا: يا موسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته، فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأرسل الله عليهم السلوى، وهو طائر يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه فكان الرجل يأخذ ما يكفيه يوماً وليلة، فإذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت شيء ﴿كلوا﴾ أي وقلنا لهم كلوا ﴿من طيبات﴾ أي حلالات ﴿ما رزقناكم﴾ أي ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد، فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها

﴿ من بعد موتكم ﴾، قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم، ولو ماتوا بآجالهم لم يُبعثوا إلى يوم القيامة، ﴿ لعلكم تشكرون ﴾.

﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾، في التيه تقيكم حرَّ الشمس والغمامُ من الغمّ، وأصله: التغطية والستر، سُمّي السحاب غماماً لأنه يُغطي وجه الشمس، وذلك أنه لم يكن لهم في التيه سكن يسترهم فشكوا إلى موسى فأرسل الله تعالى غماماً أبيضَ رقيقاً أطيب من غمام المطر، وجعل لهم عموداً من نور يُضيء لهم الليل إذ لم يكن لهم قمر، ﴿ وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى ﴾ أي: في التيه، والأكثرون: عن أن المنّ هو الترنجبين، وقال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد، وقال وهب: هو الخبز الرقاق، قال الزجّاج: جملة المنّ مَن يمنّ الله به من غير تعب، وقال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد، وقال وهب: هو الخبز الرقاق، قال الزجّاج: جملة المنّ مَن يمنّ الله به من غير تعب، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو نعيم أنا سفيان، عن عبد الملك هو ابن عمير، عن عمرو بن حُريث عن سعيد بن زيد قال: قال النبيّ ﷺ: «الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعي»، قالوا: فكان هذا المنّ كل ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج لكل إنسان منهم صاع، فقالوا يا موسى قتلنا هذا المنّ بحلاوته، فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم، فأنزل الله تعالى عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني، وقيل: هو السماني بعينه، بعثه الله سحابةً فمطرت السماني في عرض ميل وطول رمح في السماء بعضه على بعض، وقال المؤرّج: السلوى والعسل، فكان الله ينزل عليهم المنّ والسلوى كل صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه يوماً وليلة، وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين، لأنه لم يكن ينزل يوم السبت. ﴿ كلوا ﴾: أي: وقلنا لهم كلوا: ﴿ من طيبات ﴾: حلالات، ﴿ ما رزقناكم ﴾، ولا تدّخروا لغَدٍ، ففعلوا فقطع الله ذلك عنهم،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الدهر» قوله: لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير ﴿وما ظلمونا﴾ أي وما بخسوا حقنا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يعني بأخذهم أكثر مما حولهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى. قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ
خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ
فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس: هي أريحاء قرية الجبارين وقيل: كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم: العمالقة ورأسهم عوج بن عنق، فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لأنه هو الذي فتح أريحاء بعد موت موسى لأن موسى مات في التيه، وقيل: هي بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى. والمعنى إذا خرجتم من التيه بعد مضي الأربعين سنة، ادخلوا بيت المقدس ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغداً﴾ أي موسعاً عليكم ﴿وادخلوا الباب﴾ فمن قال: إن القرية أريحاء قال ادخلوا من أي باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب ومن قال إن القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة ﴿سجداً﴾ منحنين خضعاً متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود ﴿وقولوا حطة﴾ أي حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار. وقال ابن عباس قولوا لا

ودوِّد وفسد ما ادّخروا، فقال الله تعالى: ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾، أي: وما بخسوا بحقنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستيجابهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى، أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي، أنا عبد الرزّاق أنا معمر عن همّام بن مُنبّه أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم، ولولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها الدهر».

قوله تعالى: ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ﴾، سمّيت القرية قرية لأنها تجمع أهلها، ومنه المقراة للحوض لأنها تجمع الماء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أريحاء وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم: العمالقة، ورأسهم عوج بن عنق، وقيل: بلقاء، وقال مجاهد: بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الرملة والأردن وفلسطين وتدمر، وقال مقاتل: إيليا، وقال ابن كيسان: الشام، ﴿ فكُلُوا منها حيث شئتم رَغَداً ﴾: موسعاً عليكم، ﴿ وادخلوا الباب ﴾، يعني: باباً من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب﴿ سُجّداً ﴾، أي: رُكّعاً خضعاً منحنين، وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله تعالى، ﴿ وقولوا حطة ﴾، قال قتادة: حطّ عنّا خطايانا، أمروا بالاستغفار، وقال ابن عباس: لا إله إلّا الله، لأنها تحطّ الذنوب، ورفعها على تقدير: قولوا مسألتنا حطة، ﴿ نغفر لكم خطاياكم ﴾: من الغفر وهو الستر، فالمغفرة: تستر الذنوب، وقرأ نافع بالياء وضمّها وفتح الفاء، وقرأها ابن عامر بالتاء وضمّها وفتح الفاء، وفي الأعراف [١٦١] قرأ جميعاً ويعقوب بالتاء وضمّها، وقرأ الآخرون فيهما: بنصب النون وكسر الفاء، ﴿ وسنزيد المحسنين ﴾: ثواباً من فضلنا. ﴿ فبدّل ﴾: فغيّر ﴿ الذين ظلموا ﴾: أنفسهم، وقالوا: ﴿ قولاً غير الذي قيل لهم ﴾، وذلك أنهم بدّلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم: حطاناً سمقاثاً، أي:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

إله إلا الله لأنها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسألتنا حطة ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ أي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لأن المغفرة تستر الذنوب ﴿وسنزيد المحسنين﴾ يعني ثواباً ﴿فبدل﴾ أي فغير ﴿الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ أي قالوا قولاً غير ما قيل لهم، وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة، وقالوا بلسانهم حطاناً سمقاثاً أي حنطة حمراء، وذلك استخفافاً منهم بأمر الله تعالى. وقيل: طؤطىء لهم للباب ليخفضوا رؤوسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفاً على أستاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول، وبدلوه (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة» ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء﴾ يعني عذاباً من السماء، قيل: أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً ﴿بما كانوا يفسقون﴾ أي يعصون ويخرجون عن أمر الله تعالى. قوله عز وجل: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه﴾ أي طلب السقيا لقومه، وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل فأوحى الله إليه كما قال مبيناً ﴿فقلنا اضرب بعصاك﴾ وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً واسمها عليق، وقيل: نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى ﴿الحجر﴾ قال وهب: لم يكن حجراً معيناً بل كان موسى يضرب أي حجر كان فيتفجر عيوناً لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر سبطاً، وقيل: كان حجراً معيناً بدليل أنه عرفه بالألف واللام قال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه في مخلاة، فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل: كان للحجر أربعة وجوه في كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل، كان من الكذان وهي الحجارة الليّنة وقيل: هو الحجر الذي وضع

حنطة حمراء استخفافاً بأمر الله تعالى، وقال مجاهد: طوطىء لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فأبوا أن يدخلوها سُجّداً فدخلوا يزحفون على أستاههم مخالفة في الفعل، كما بدّلوا القول وقالوا قولاً غير الذي قيل لهم، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسحق بن نصر، أنا عبد الرزّاق عن معمر عن همّام بن منبّه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، فبدّلوا فدخلوا يزحفون على أستاهم وقالوا حبّة في شعرة»، ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء ﴾، قيل: أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً، ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾: يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى.

﴿ وإذ استسقى موسى ﴾: طلب السقيا ﴿ لقومه ﴾، وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل، فأوحى إليه كما قال: ﴿ فقلنا اضربْ بعصاك ﴾ وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتّقدان في الظلمة نوراً، واسمها عليق، حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب عليه السلام، فأعطاها موسى عليه السلام، قال مقاتل: اسم العصا بنعته، قوله تعالى: ﴿ الحجر ﴾، اختلفوا فيه قال وهب: لم يكن حجراً معيناً بل كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيوناً، لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر سبطاً ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أُمر أن يسقيهم، وقال الآخرون: كان حجراً معيناً بدليل أنه عرّفه بالألف واللام، وقال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً على قدر رأس الرجل، كان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه، وقال عطاء: كان للحجر أربعة وجوه لكل وجه ثلاثة أعين، لكل سبط عين، وقيل: كان الحجر خاماً، وقيل: كان من الكذّان، فيه اثنتا عشرة حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء، وكان يسقي كل

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عليه موسى ثوبه ليغتسل، ففر به فأتاه جبريل وقال إن الله يأمرك أن ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه في مخلاة فلما سألوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان إذا احتاجوا إلى الماء، وضعه وضربه بعصاه فتتفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل إليهم في جدول، وكان إذا أراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر فذلك قوله تعالى: ﴿**فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً**﴾ يعني على عدد أسباط بني إسرائيل، والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون: انفجرت وانبجست: بمعنى واحد وقيل انبجست أي عرقت وانفجرت أي سالت ﴿**قد علم كل أناس مشربهم**﴾ أي موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره ﴿**كلوا واشربوا**﴾ أي وقلنا لهم كلوا واشربوا ﴿**من رزق الله**﴾ يعني المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة ﴿**ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ العيث أشد الفساد في هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام، حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد ﷺ أعظم لأنه انفجر الماء من بين أصبعيه فروى منه الجم الغفير، لأن انفجار الماء من الدم واللحم أعظم من انفجاره من الحجر. قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد**﴾ وذلك أنهم سئموا من المن والسلوى وملوه، فاشتهوا عليه غيره لأن المواظبة على الطعام الواحد تكون سبباً لنقصان الشهوة. فإن قلت: هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد. قلت: أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة ألوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد ﴿**فادع لنا ربك**﴾ أي فاسأل لنا ربك ﴿**يخرج لنا مما تنبت الأرض**﴾ من

يوم ستمائة ألف وقال سعيد بن جبير: هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل ففرّ بثوبه ومرّ به على ملأ من بني إسرائيل حين رموه بالإدرة، فلما وقف أتاه جبرائيل فقال: إن الله تعالى يقول ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فرفعه ووضعه في مخلاته، قال عطاء: كان يضربه موسى اثنتي عشرة ضربة فيظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المرأة فيعرق تفجر الأنهار ثم يسيل، وأكثر أهل التفسير يقولون: انبجست وانفجرت واحد، وقال أبو عمرو بن العلاء: انبجست عرقت وانفجرت، أي: سالت، فذلك قوله تعالى: ﴿**فانفجرت**﴾، أي: فضرب فانفجرت أي سالت، ﴿**منه اثنتا عشرة عيناً**﴾: على عدد الأسباط، ﴿**قد علم كل أُناس مشربهم**﴾: موضع شربهم، لا يدخل سبط على غيره في شُربه، ﴿**كلوا واشربوا منْ رزق الله**﴾، أي: وقلنا لهم: كلوا من المنّ والسلوى واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله يأتيكم بلا مشقّة، ﴿**ولا تعثَوا في الأرض مفسدين**﴾، والعثي: أشد الفساد، يقال: عثى يعثى عثياً، وعثا يعثوا عثواً، وعاث يعيث عيثاً.

قوله تعالى: ﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد**﴾، وذلك أنهم أجمعوا وسئموا من أكل المنّ والسلوى، وإنما قال: على طعام واحد وهما اثنان، لأن العرب تعبّر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبّر عن الواحد بلفظ الاثنين، كقوله تعالى: ﴿ يُخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [الرحمٰن: ٢٢]، وإنما يخرج من المالح دون العذب، وقيل: كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فكانا كطعام واحد، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كانوا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بقلها وقثائها وفومها﴾ قال ابن عباس: الفوم الخبز وقيل هو الحنطة، وقيل هو الثوم **﴿وعدسها وبصلها﴾** إنما طلبوا هذه الأنواع لأنها تعين على تقوية الشهوة أو لأنهم ملوا من البقاء في التيه، فسألوا هذه الأطعمة التي لا توجد إلا في البلاد وكان غرضهم الوصول إلى البلاد لا تلك الأطعمة **﴿قال﴾** يعني موسى **﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾** أي الذي هو أخس وأردأ وهو الذي طلبوه **﴿بالذي هو خير﴾** يعني بالذي هو أشرف وأفضل وهو ما هم فيه **﴿اهبطوا مصراً﴾** يعني إن أبيتم إلا ذلك، فأتوا مصراً من الأمصار، وقيل: بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط، والقول هو الأول **﴿فإن لكم ما سألتم﴾** يعني من نبات الأرض **﴿وضربت عليهم الذلة﴾** أي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم وألزموا الذل والهوان وقيل: الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لأنه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد **﴿والمسكنة﴾** أي الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكيناً لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة، فترى اليهود وإن كانوا أغنياء مياسير كأنهم فقراء فلا ترى أحداً من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود **﴿وباؤوا﴾** أي رجعوا ولا يقال باء إلا بشر **﴿بغضب من الله﴾** وغضب الله إرادة الانتقام ممن عصاه **﴿ذلك﴾** أي الغضب **﴿بأنهم كانو يكفرون بآيات الله﴾** أي بصفة محمد ﷺ وآية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالإنجيل والقرآن **﴿ويقتلون النبيين﴾** النبي معناه المخبر من أنبأ ينبيء وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع **﴿بغير الحق﴾** أي بغير جرم. فإن قلت: قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق فما فائدة ذكره. قلت: ذكره وصفاً للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما أمر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله: ﴿قل رب احكم بالحق﴾ فالحق وصف للحكم، لا أن حكمه ينقسم إلى حق وجور. يروى أن اليهود قتلت سبعين نبياً في أول النهار، وقامت إلى سوق بقلها في آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعياء وغيرهم من

يعجنون المنّ بالسلوى فيصيران واحداً، **﴿ فادع لنا ﴾**: فسل لأجلنا: **﴿ ربَّك يُخرجْ لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها ﴾**، قال ابن عباس: الفوم الخبز، وقال عطاء: الحنطة، وقال القتيبي رحمه الله تعالى: الحبوب التي تُؤكل كلها، وقال الكلبي: الثوم، **﴿ وعدسها وبصلها ﴾**، **﴿ قال ﴾**، لهم موسى عليه السلام: **﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى ﴾**: أخسّ وأردأ **﴿ بالذي هو خير ﴾**: أشرف وأفضل؟ وجعل الحنطة أدنى في القيمة وإن كانت هي خيراً من المنّ والسلوى، أو أراد أنها أسهل وجوداً على العادة، ويجوز أن يكون الخير راجعاً إلى اختيار الله لهم واختيارهم لأنفسهم، **﴿ اهبطوا مصراً ﴾**، يعني: فإن أبيتم إلّا ذلك فانزلوا مصراً من الأمصار، وقال الضحاك: هو مصر موسى وفرعون، والأول أصح لأنه لو أراده لم يصرفه، **﴿ فإنّ لكمْ ما سألتم ﴾**: من نبات الأرض، **﴿ وضُربتْ عليهم ﴾**: جُعلت عليهم، وألزموا: **﴿ الذلّة ﴾**: الذل والهوان، قيل: بالجزية، وقال عطاء بن السائب: هو الكستيج والزنـاروزي اليهودية، **﴿ والمسكنة ﴾**: الفقر، سُمي الفقير مسكيناً لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة، فترى اليهود وإن كانوا مياسير كأنهم فقراء، وقيل: الذلّة هي فقر القلب فلا ترى في أهل الملل أذلّ وأحرص على المال من اليهود، **﴿ وبـاؤا بغضب من الله ﴾**: رجعوا، ولا يقال: باءَ إلّا بالشر، وقال أبو عبيدة: احتملوا وأقرّوا به، ومنه الدعاء أبوءُ لك بنعمتك عليّ وأبوءُ بذنبي، أي: أقرّ، **﴿ ذلك ﴾**، أي: الغضب، **﴿ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾**: بصفة محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة، ويكفر بالإنجيل والقرآن، **﴿ ويقتلون النبيّين ﴾**، تفرّد نافع بهمز النبي وبابه، فيكون معناه: المخبر، من أنبأ يُنبيء، والقراءة المعروفة تَرْكُ الهمزة، وله وجهان: أحدهما هو أيضاً من الأنباء تُركت الهمزةُ فيه تخفيفاً لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوّة، وهي المكان المرتفع، فعلى هذا يكون (النبيّين) على الأصل، **﴿ بغير الحق ﴾**، أي: بِلاَ جرم، فإن قيل: فلِمَ قال بغير الحق، وقتلُ النبيين لا يكون إلّا بغير الحق؟ قيل: ذكره وصفاً للقتل، والقتل تارة يُوصف بالحق، وتارة يوصف بغير الحق،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأنبياء ﴿ذلك بما عصوا﴾ أي ذلك القتل والكفر بما عصوا أمري ﴿وكانوا يعتدون﴾ أي يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي قوله عز وجل: .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ يعني اليهود سموا بذلك لقولهم: «إنا هدنا إليك» أي ملنا إليك وقيل: هادوا أي تابوا عن عبادة العجل وقيل إنهم مالوا عن دين الإسلام ودين موسى عليه السلام ﴿والنصارى﴾ سموا بذلك لقول الحواريين نحن «أنصار الله» وقيل: لاعتزائهم إلى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها ﴿والصابئين﴾ أصله من صبأ إذا خرج من دين إلى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل: هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل: هم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤوسهم وقيل: هم قوم يقرون بالله ويقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة أخذوا من كل دين شيئاً، والأقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب وذلك أنهم يعتقدون أن الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها، وأنها هي التي تقرب إلى الله تعالى. ولما ذكر هذه الوظائف قال ﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ فإن قلت: كيف قال في أول الآية إن الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم أولاً ثم التخصيص آخراً قلت: اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقان أحدهما أنه أراد أن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا في زمن الفطرة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي، فمنهم من أدرك النبي ﷺ وتابعه ومنهم من لم

وهو مثل قوله تعالى: ﴿ قل ربِّ احكم بالحق ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، ذكرُ الحق وصفٌ للحكم لا أنّ حكمه ينقسم إلى الجور والحق، ويُروى أن اليهود قتلت سبعين نبياً في أول النهار، وقامت إلى سوق بقلها في آخر النهار، ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾: يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

﴿ إنّ الذين آمنوا والذين هادوا ﴾، يعني: اليهود سُمّوا به لقولهم إنّا هُدنا إليك، أي: ملنا إليك، وقيل: لأنهم هادوا، أي: تابوا عن عبادة العجل، وقيل: لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى عليه السلام، وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهوّدون، أي يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة، ﴿ والنصارى ﴾، سُمّوا به لقول الحواريين: نحن أنصار الله، وقال مقاتل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة وقيل لاعتزائهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام ﴿ والصابئين ﴾ قرأ أهل المدينة والصابين والصابون بترك الهمزة، والباقون بالهمزة، وأصله الخروج، يقال: صبأ فلان أي خرج من دين إلى دين آخر، وصبأت النجوم إذا خرجت من مطالعها، وصبأ ناب البعير إذا خرج، فهؤلاء سُمّوا به لخروجهم من دين إلى دين، قال عمر بن الخطاب وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، قال عمر: تحلّ ذبائحهم مثل ذبائح أهل الكتاب، وقال ابن عباس: لا تحلّ ذبائحهم ولا مناكحتهم، قال مجاهد: هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس، وقال الكلبي: هم قوم اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤوسهم ويجبون مذاكيرهم، وقال قتادة: هم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يدركه فكأنه تعالى قال: إن الذين آمنوا قبل مبعث النبي ﷺ والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد ﷺ فلهم أجرهم عند ربهم، وقيل: هم المؤمنون من الأمم الماضية وقيل: هم المؤمنون من هذه الأمة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان تكون بالوفاة. وأما الطريقة الثانية فقالوا؛ إن المذكورين بالإيمان في أول الآية إنما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل: هم المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئون، فكأنه تعالى قال هؤلاء المطلوبون كل من آمن منهم الإيمان الحقيقي صار مؤمناً عند الله، وقيل: إن المراد من قوله إن الذين آمنوا يعني بمحمد ﷺ في الحقيقة حين الماضي، ثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى: ﴿**من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً**﴾ أي في إيمانه ﴿**فلهم أجرهم عند ربهم**﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿**ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ أي في الآخرة. قوله عز وجل: ﴿**وإذ أخذنا ميثاقكم**﴾ أي عهدكم يا معشر اليهود ﴿**ورفعنا فوقكم الطور**﴾ يعني الجبل العظيم قال ابن عباس: أمر الله جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم وسبب ذلك أن الله تعالى لما أنزل

قوم يُقرّون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلّون إلى الكعبة أخذوا من كل دين شيئاً، قال عبد العزيز بن يحيىٰ: انقرضوا. ﴿ **مَن آمن بالله واليوم الآخر** ﴾، فإن قيل: كيف يستقيم قوله مَن آمن بالله وقد ذكر في ابتداء الآية إن الذين آمنوا؟ قيل: اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم: أراد بقوله إن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين، فقال قوم: هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ قبل المبعث وهم طلّاب الدين، مثل حبيب النجّار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحيراً الراهب ووفد النجاشي، فمنهم مَن أدرك النبي ﷺ وتابعه، ومنهم مَن لم يدركه، وقيل: هم المؤمنون من الأمم الماضية، وقيل: هم المؤمنون من هذه الأمة، والذين هادوا الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدّلوا، والنصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيّروا وماتوا على ذلك، قالوا وهذان الاسمان لزماهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق كالإسلام لأمة محمد ﷺ، والصابئون زمن استقامة أمرهم، مَن آمن أي: مَن مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالموافاة، ويجوز أن يكون الواو مضمراً، أي: ومَن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة، وقال بعضهم: إن المذكورين بالإيمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة، ثم اختلفوا فيهم فقال: بعضهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك، وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل، والصابئون بعض أصناف الكفّار، مَن آمن بالله واليوم الآخر من هذه الأصناف بالقلب واللسان، ﴿ **وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم** ﴾، وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن ﴿ مَن ﴾ يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكّر والمؤنث، ﴿ **ولا خوف عليهم** ﴾: في الدنيا ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾: في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ **وإذْ أخذنا ميثاقكم** ﴾: عهدكم يا معشر اليهود، ﴿ **ورفعنا فوقكم الطور** ﴾، وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم، وهو قول مجاهد، وقيل: ما من لغة في الدنيا إلّا في القرآن، وقال الأكثرون: ليس في القرآن لغة غير لغة العرب، لقوله تعالى: ﴿ قرآناً عربياً ﴾ [يوسف: ٢، طه: ١١٣، الزمر: ٢٨، فصّلت: ٣، الشورى: ٧، الزخرف: ٣]، وإنما هذا وأشباهه وِفَاق وقع بين اللغتين، وقال ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم، وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

التوراة على موسى، وأمرهم أن يعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها لما فيها من الآصار يعني الأثقال والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبريل عليه السلام، أن يقلع جبلاً على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخاً في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم: إن لم تقبلوا ما في التوراة وإلا أرسلت هذا الجبل عليكم ﴿**خذوا**﴾ أي قلنا لهم خذوا ﴿**ما آتيناكم**﴾ أي ما أعطيناكم ﴿**بقوة**﴾ أي بجد واجتهاد ﴿**واذكروا ما فيه**﴾ أي ادرسوا ما فيه ﴿**لعلكم تتقون**﴾ أي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى وإلا رضت رؤوسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازلاً بهم قبلوا وسجدوا، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم، ويقولون: بهذا السجود رفع عنا العذاب.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿**ثم توليتم**﴾ أي أعرضتم ﴿**من بعد ذلك**﴾ أي من بعد ما قبلتم التوراة ﴿**فلولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ أي بالإمهال ﴿**لكنتم من الخاسرين**﴾ أي المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى. قوله عز وجل: ﴿**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم**﴾ أي جاوزوا الحد ﴿**في السبت**﴾ يقال: سبت اليهود لأنهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم، وأصل السبت القطع.

فأمر موسى قومه أن يقبلوها ويعملوا بأحكامها، فأبوا أن يقبلوها للآصار والأثقال التي هي فيها، وكانت شريعة ثقيلة، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلاً على قدر عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم مثل قامة الرجل كالظلّة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: رفع الله فوق رؤوسهم الطور وبعث ناراً من قِبَل وجوههم وأتاهم البحر الملح من خلفهم، ﴿ **خذوا** ﴾، أي: قلنا لهم خذوا ﴿ **ما آتيناكم** ﴾: أعطيناكم ﴿ **بقوة** ﴾: بجدّ واجتهاد ومواظبة، ﴿ **واذكروا** ﴾: وادرسوا ﴿ **ما فيه** ﴾، وقيل: احفظوا واعملوا، ﴿ **لعلكم تتّقون** ﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العُقبى، فإن قبلتم وإلّا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا أنْ لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا، أو جعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار سُنّة في اليهود لا يسجدون إلّا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنّا.

﴿ **ثم توليتم** ﴾: أعرضتم ﴿ **من بعد ذلك** ﴾: من بعد ما قبلتم التوراة، ﴿ **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** ﴾ يعني بالإمهال والإدراج وتأخير العذاب عنكم، ﴿ **لكنتم** ﴾ لصرتم ﴿ **من الخاسرين** ﴾: من المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة، وقيل: من المعذبين في الحال كأنه رحمهم بالإمهال.

قوله تعالى: ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت** ﴾، أي: جاوزوا الحدّ، وأصل السبت القطع، قيل: سُمّي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل: لأن اليهود أُمروا فيه بقطع الأعمال، والقصة فيه أنهم كانوا زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ذكر الإشارة إلى القصة

قال العلماء: بالأخبار إنهم كانوا في زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض أيلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها. فإذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى: ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾ ثم إن الشيطان وسوس إليهم، وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت ولم تنهوا عن أخذها في غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضاً كباراً حول البحر، وشرعوا منه إليها أنهاراً فإذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان إلى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل: إنهم كانوا ينصبون الشخوص والحبائل يوم الجمعة، ويخرجونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤوا على السبت وقالوا ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا! فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاثة أصناف، وكانوا نحو سبعين ألفاً صنف أمسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف أمسك ولم ينه وصنف انهمكوا في الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثني عشر ألفاً، فلما أبى المجرمون قبول نصيحتهم قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فغيروا على ذلك سنين، ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد، ولم يفتحوا الباب فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الجدار فإذا هم جميع قردة لهم أذناب وهم تتعاوون، وقيل: صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتولدوا. قال الله عز وجل: ﴿**فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**﴾ أمر تحويل وتكوين، ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين؛ وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات ﴿**فجعلناها**﴾ يعني عقوبتهم بالمسخ ﴿**نكالاً**﴾ أي عقوبة وعبرة ﴿**لما بين يديها وما خلفها**﴾ قيل: معناه عقوبة لما مضى من

السبت لم يبق حوت في البحر إلّا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهنّ من الماء لا منها، حتى لا يُرى الماء لكثرتها، فإذا مضى السبت تفرقن ولزمن قعر البحر فلا يُرى شيء منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ إذْ تأتيهم حيتانُهم يوم سَبْتِهم شُرّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال إنما نُهيتم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر، وشرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا يقدرن على الخروج لبعد عمقها وقلّة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا يسوقون الحيتان إلى الحياض يوم السبت ولا يأخذونها، ثم يأخذونها يوم الأحد، وقيل كانوا ينصبون الحبائل والشخوص يوم الجمعة، ويُخرجونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة، فتجرؤوا على الذنب وقالوا: ما ندري السبب إلّا وقد أُحِلّ لنا، فأخذوا وأكلوا وملّحوا وباعوا واشتروا وكثر مالهم، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا نحواً من سبعين ألفاً، ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثني عشر ألفاً، فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا: والله لا نُساكِنُكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار وغيّروا بذلك سنتين، ولعنهم داود عليه السلام وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤا تسوّروا عليهم الحائط فإذا هم جميع قردة لها أذناب يتعاوون، قال قتادة: صار الشبّان قردة والشيوخ خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا، قال الله تعالى: ﴿ **فقلنا لهم كُونوا قردة** ﴾: أمر تحويل وتكوين، ﴿ **خاسئين** ﴾: مُبعدين مطرودين، قيل: فيه تقديم وتأخير، أي: كونوا خاسئين قردة،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل: جعلنا عقوبة قرية أصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها أي. ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وقوله عز وجل: ﴿وموعظة للمتقين﴾ أي المؤمنين من أمة محمد ﷺ لئلا يفعلوا مثل فعلهم. قوله عز وجل: ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ البقرة واحدة البقر وهي الأنثى وأصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لأنها تشق الأرض للحراثة.

ذكر الإشارة إلى القصة في ذلك

قال علماء السير والأخبار: إنه كان في زمن بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى، وألقاه على بابها ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم بالقتل، فجحدوا واشتبه أمر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام. فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما أشكل عليم، فسأل موسى ربه في ذلك فأمره بذبح بقرة، وأمره أن يضربه ببعضها فقال لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿قالوا أتتخذنا هزواً﴾ أي نحن نسألك أمر القتيل، وأنت تستهزىء بنا وتأمرنا بذبح بقرة وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر، ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿أعوذ بالله﴾ أي أمتنع بالله ﴿أن أكون من الجاهلين﴾ أي المستهزئين بالمؤمنين وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه إياها ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة كانت فذبحوها لأجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان في ذلك حكمة الله عز وجل، وذلك أنه كان رجل صالح في بني إسرائيل، وله ابن طفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال: اللهم إني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل، وصارت العجلة في الغيضة عواناً وكانت تهرب من الناس، فلما كبر ذلك الطفل، وكان باراً بأمه وكان يقسم ليله

ولذلك لم يقل خاسئات، والخسأ: الطرد والإبعاد، وهو لازم ومعتد، يقال: خسأته خسأ فخسأ خسوءاً، مثل رجعته رجعاً فرجع رجوعاً.

﴿ فجعلناها ﴾، أي: جعلنا عقوبتهم بالمسخ ﴿ نكالاً ﴾، أي: عقوبة وعبرة، والنكال: اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جُعلت العقوبة جزاءً عليه، ومنه النكول عن اليمين: وهو الامتناع، وأصله من النكل وهو القيد، وجمعه يكون أنكالاً، ﴿ لما بين يديها ﴾، قال قتادة: أراد بما بين يديها يعني: ما سبق من الذنوب، أي: جعلنا تلك العقوبة جزاءً لِما تقدّم من ذنوبهم قبل نهيهم عن أخذ الصيد، ﴿ وما خلفها ﴾: ما حضر من الذنوب التي أخذوا بها، وهي العصيان بأخذ الحيتان، وقال أبو العالية والربيع: عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعِبرة لِمَن بعدهم أن يَسْتَنُّوا بسنّتهم، و﴿ ما ﴾ الثانية بمعنى: من، وقيل: جعلناها أي: جعلنا قرية أصحاب السبتِ عِبرةً لِما بين يديها، أي: القرى التي كانت مبنية في الحال، وما خلفها وما يحدث من القرى بعدُ ليتّعظوا، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: فجعلناها وما خلفها، أي: ما أعدّ لهم من العذاب في الآخرة وجزاءً لِما بين يديها، أي: لِما تقدّم من ذنوبهم باعتدائهم في السبت، ﴿ وموعظة للمتّقين ﴾: للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فلا يفعلون مثل فعلهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾: البقرة هي الأنثى من البقر، يقال: هي مأخوذة من البقر وهي الشقّ، سُمّيت به لأنها تبقر الأرض، أي: تشقّها للحراثة، والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عمّ فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائهم، ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس إلى موسى يدّعي عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى، قال الكلبي: وذلك قبل نزول قسامة في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبيّن لهم بدعائه، فأمرهم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ثلاثة أجزاء يصلي ثلثاً وينام ثلثاً، ويجلس عند رأس أمه ثلثاً فإذا أصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما يشاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي أمه ثلثه، فقالت له أمه يوماً: يا بني إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها، فأتى الفتى غيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، فأقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى، وقالت: أيها الفتى البار بأمه اركبني فإنه أهون عليك. فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبداً فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله لانقلع لبرك بأمك فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له أمه: إنك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة، فقال: بكم أبيعها قالت: بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى إلى السوق، وبعث الله ملكاً ليرى خلقه قدرته، وليختبر الفتى كيف بره بأمه، وهو أعلم فقال له الملك: بكم هذه البقرة؟ قال بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضى أمي فقال له الملك: لك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أمي. ورجع الفتى إلى أمه فأخبرها بالثمن

الله بذبح بقرة، فقال لهم موسى: ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾، ﴿ **قالوا أتتخذنا هُزواً** ﴾، أي: تستهزىء بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك لبُعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه، قرأ حمزة «هزواً وكفواً» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتثقيل، ويترك الهمزة حفص. ﴿ **قال** ﴾ موسى: ﴿ **أعوذ بالله** ﴾: أَمتنع بالله ﴿ **أن أكون من الجاهلين** ﴾، أي: من المستهزئين بالمؤمنين، وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال، لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عزّ وجلّ استوصفوها، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأتْ عنهم، ولكنّهم شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، وكانت تحته حكمة وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها إلى غيضة، وقال: اللّهمّ إني استودعتك هذه العجلة لابني حتى تكبر، ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عواناً، وكانت تهرب من كل مَن رآها فلما كبر الابن كان باراً بوالدته، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلّي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق، فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدّق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثه، فقالت له أُمه يوماً: إن أباك ورّثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا انطلق وادعُ إلَه إبراهيم وإسماعيل وإسحق أن يردّها عليك، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيّل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تلك البقرة تسمى المذهّبة لحُسنها وصُفرتها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها، وقال: أعزم عليك بإلَه إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها، فتكلّمت البقرة بإذن الله تعالى فقالت: أيها الفتى البارّ بوالدتك اركبني، فإن ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إن أُمّي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خذ بعنقها، فقالت البقرة: بإلَه بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليَّ أبداً فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل، لبِرّك بأُمّك فسار الفتى بها إلى أُمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك فيشقّ عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانطلقْ فبع البقرة، فقال: بكَم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتي، وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير، فانطلق بها الفتى إلى السوق، وبعث الله ملكاً ليُري خَلْقَه قدرته، وليختبر الفتى كيف برّه بأمه وكان الله به خبيراً فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي، فقال الملك: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك، فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فقالت له: ارجع فبعها بستة دنانير ولاتبعها إلا برضاي فرجع بها إلى السوق وأتى الملك فقال له: استأمرت أمك فقال الفتى: نعم. إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة على رضاها. فقال الملك: إني أعطيتك اثني عشر ديناراً ولا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت له أمه: إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليجربك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك: اذهب إلى أمك فقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل، فلا تبعها إلا بملء مسكها ذهباً والمسك الجلد فأمسكتها وقدر الله على بني إسرائيل ذبح البقرة بعينها، فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة بذلك الفتى على بره بأمه فضلاً من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۝٦٨ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۝٦٩ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝٧٠ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۝٧١﴾

﴿**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي**﴾ أي ما سنها ﴿**قال**﴾ يعني موسى ﴿**إنه يقول**﴾ يعني الله عز وجل: ﴿**إنها بقرة لا فارض ولا بكر**﴾ أي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لم تلد، والبكر الفتية التي لم تلد ﴿**عوان**﴾ أي نصف ﴿**بين ذلك**﴾ أي بين السنين ﴿**فافعلوا ما تؤمرون**﴾ أي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال ﴿**قالوا ادع لنا**

لم آخذه إلّا برضا أمي، فردّها إلى أمه وأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضىً منّي، فانطلق بها إلى السوق، وأتى الملك فقال: استأمرت أمك؟ فقال الفتى: إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستّة دنانير على أن أستأمرها، وقال الملك: فإني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها، فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك، فقالت: إن الذي يأتيك ذلك في صورة آدمي فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقلْ لها: أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل، فلا تبعها إلّا بملء مَسْكها دنانير فأمسكها، وقدّر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفونها حتى وُصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة له على برّه بوالدته فضلاً منه ورحمةً.

فذلك قوله تعالى: ﴿ **قالوا ادعُ لنا ربك يبيّن لنا ما هي** ﴾، أي: ما سِنّها ﴿ **قال** ﴾ موسى ﴿ **إنه يقول** ﴾، يعني فسأل الله تعالى فقال إنه يعني: إن الله تعالى يقول: ﴿ **إنها بقرةٌ لا فارضٌ ولا بكر** ﴾، أي: لا كبيرة ولا صغيرة، والفارض: المسنّة التي لا تلد، يقال: منه فرضت تفرض فروضاً، والبكر: الفتية الصغيرة التي لم تلد قطّ، وحُذفت الهاء منهما للاختصاص بالإناث كالحائض، ﴿ **عَوان** ﴾: وسط نصف ﴿ **بين ذلك** ﴾، أي: بين السِّنِّين، يقال: عونت المرأة تعويناً إذا زادت على الثلاثين، قال الأخفش: العوان التي نتجت مراراً، وجمعها عون، ﴿ **فافعلوا ما تُؤمرون** ﴾: من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال.

﴿ **قالوا ادع لنا ربّك يبيّنْ لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقعٌ لونها** ﴾، قال ابن عباس: شديدة الصّفرة وقال قتادة: صاف، وقال الحسن: الصفراء السوداء، والأول أصحّ لأنه لا يقال أسود فاقع، إنّما يقال أصفر

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ قال ابن عباس شديد الصفرة وقيل: لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والأول أصح لأنه يقال أصفر فاقع وأسود حالك ﴿تسر الناظرين﴾ أي يعجبهم حسنها وصفاء لونها ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أي سائمة أو عاملة ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ أي التبس واشتبه أمرها علينا ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ أي إلى وصفها قال رسول الله ﷺ: «وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر» ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ أي ليست مذللة بالعمل ﴿تثير الأرض﴾ أي تقلبها للزراعة ﴿ولا تسقي الحرث﴾ أي ليست بسنانية والسانية هي التي تستقي الماء من البئر لسقي الأرض ﴿مسلمة﴾ أي بريئة من العيوب ﴿لا شية فيها﴾ أي لا لون فيها غير لونها ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ أي بالبيان التام الذي لا إشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها، إلا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهباً ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ أي وما قاربوا أن يفعلوا ما أمروا به، قيل لغلاء ثمنها وقيل: لخوف الفضيحة وقيل: لعزة وجودها بهذه الأوصاف جميعاً. قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم ﴿فادارأتم فيها﴾ قال ابن عباس أي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لأن المتخاصمين يدفع بعضهم بعضاً ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ أي مظهر ما

فاقع، وأسود حالك وأحمر قانىء وأخضر ناضر وأبيض بقق للمبالغة، ﴿ تسرّ الناظرين ﴾: إليها يعجبهم حُسنها وصفاء لونها.

﴿ قالوا ادعُ لنا ربّك يبيّنْ لنا ما هي ﴾: أسائمة أم عاملة؟ ﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾، ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر، كقوله تعالى: ﴿ أعجاز نخل منقعر ﴾ [القمر: ٢٠]، وقال الزجّاج: أي جنس البقر تشابه، أي: التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه، ﴿ وإنّا إن شاء الله لمهتدون ﴾: إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ: «وايْمُ اللَّهِ لو لم يستثنوا لَمَا بُيِّنتْ لهم إلى آخر الأبد».

﴿ قال إنه يقول إنها بقرةٌ لَا ذَلُولٌ ﴾: مذلّلة بالعمل، يقال: رجل ذلول بيّن الذلّ ودابّة ذلولة بيّنة الذلّ، ﴿ تثير الأرض ﴾: تقلبها للزراعة، ﴿ ولا تسقي الحرث ﴾، أي: ليست بسانية، ﴿ مسلمة ﴾: بريئة من العيوب، ﴿ لا شية فيها ﴾: لا لون لها سوى لون جميع جلدها، قال عطاء: لا عيب فيها، قال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد، ﴿ قالوا الآن جئت بالحق ﴾، أي: بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه، وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلّا مع الفتى فاشتروها بملء مَسْكها ذهباً ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾: من غلاء ثمنها وقال محمد بن كعب: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها، وقيل: وما كادوا يفعلون من شدّة اضطرابهم واختلافهم فيها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذْ قتلتُم نفساً ﴾: هذا أول القصة، وإن كان مؤخراً في التلاوة، واسم القتيل عاميل، ﴿ فادّارَأْتم فيها ﴾، أصله تدارأتم، فأدغمت التاء في الدال وأُدخلت الألف مثل قوله: ﴿ اثاقلتم ﴾ [التوبة: ٣٨]،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

كنتم من أمر القتيل لا محالة ولا يتركه مكتوماً ﴿فقلنا اضربوه﴾ يعني القتيل ﴿ببعضها﴾ أي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف، وهو أصل الأذن وقيل: ضربوه بلسانها وقيل: بعجب الذنب وقيل: بفخذها اليمين والأقرب أنهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وإنهم إذا ضربوه بأي جزء منها أجزأ وحصل المقصود وإنه ليس في القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو. وذلك يقتضي التخيير وفي الآية إضمار تقديره فضربوه فحيي وقام بإذن الله تعالى، وأوداجه تشخب دماً وقال قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتاً مكانه. فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة ﴿كذلك﴾ أي كما أحيا الله عاميل صاحب البقرة ﴿يحيي الله الموتى﴾ يعني يوم القيامة ﴿ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ أي تمنعون أنفسكم عن المعاصي. فإن قلت كان حق هذه القصة أن يقدم ذكر القتيل أولاً، ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك، فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب؟ قلت: وجهه أن الله لما ذكر من قصص بني إسرائيل وما وجد من خياناتهم تقريعاً لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين في نفس الأمر، فالأولى لتقريعهم على ترك المسارعة إلى امتثال الأمر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع، فلهذا قدم ذكر الذبح أولاً ثم عقبه بذكر القتل. فإن قلت ما فائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على أن يحييه ابتداء من غير ضرب بشيء؟ قلت: الفائدة فيه أن تكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد لاحتمال أن يتوهم متوهم أن موسى عليه السلام، إنما أحياه بضرب من السحر والحيلة فإذا أحيي القتيل، عندما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة، وعلم أن ذلك من عند الله تعالى وبأمره كان ذلك. فإن قلت: هلا أمروا بذبح غير البقرة؟ قلت: الكلام في غير البقرة لو أمروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم، ومنها أن هذا

قال ابن عباس ومجاهد: معناه فاختلفتم، وقال الربيع بن أنس: تدافعتم، أي: يحيل بعضكم على بعض، من الدرء: وهو الدفع، فكان كل واحد يدفع عن نفسه، ﴿ والله مخرجٌ ﴾، أي: مظهر: ﴿ ما كنتم تكتمون ﴾، فإن القاتل كان يكتم القتل.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فقلنا اضربوه ﴾، يعني: القتيل، ﴿ ببعضها ﴾ أي: ببعض البقرة، واختلفوا في ذلك البعض، قال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسّرين: ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: بعَجْب الذنب لأنه أول ما يُخلق وآخر ما يبلى ويُركّب عليه الخلق ثانياً وهو البعث، وقال الضحاك: بلسانها، وقال الحسين بن الفضل: هذا أدلّ بها لأنه آلة الكلام، وقال الكلبي وعكرمة: بفخذها الأيمن، وقيل: بعضو منها لا بعينه، ففعلوا ذلك فقام القتيل حيّاً بإذن الله تعالى وأوداجه، أي: عروق العنق تشخب دماً، وقال: قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث، وفي الخبر: (ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة)، وفيه إضمار تقديره فضربت فحُيي، ﴿ كذلك يحي الله الموتى ﴾: كما أحيا عاميل، ﴿ ويُريكم آياته لعلّكم تعقلون ﴾، قيل: تمنعون أنفسكم من المعاصي أما حكم هذه المسألة إذا وُجد في الإسلام قتيل في موضع ولا يعرف قاتله، فإن كان ثمّ لوث على إنسان، واللوث: أن يغلب على القلب صدق المدّعي بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء فتفرّقوا عن قتيل يغلب على القلب أن القاتل فيهم، أو وُجد قتيل في محلّة أو قرية كلهم أعداء للقتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على القلب أنهم قتلوه، فادّعى الوليّ على بعضهم، يحلف المدّعي خمسين يميناً على مَن يدّعي عليه، وإن كان الأولياء جماعة تُوزّع الأيمان عليهم، ثم بعدما حلفوا أخذوا الديّة من عاقلة المدّعى عليه إن ادّعوا قتل خطأ، وإن ادّعوا قتل عمدٍ فمن ماله، ولا قَوَدَ على قول الأكثرين، وذهب بعضهم إلى وجوب القَوَدَ وهو قول

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

القربان كان عندهم من أعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي أخذه صاحبها من ثمنها.

فصل: في حكم هذه المسألة في شريعة الإسلام إذا وقعت:

وذلك أن: إذا وجد قتيل في موضع، ولا يعرف قاتله فإن كان ثم لوث على إنسان ادعى به. واللوث أن يغلب على الظن صدق المدعى بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن أن القاتل فيهم أو وجد قتيل في محلة أو قرية وكلهم أعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم، فيغلب على الظن أنهم قتلوه فإن ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يميناً على من يدعي عليه، وإن كان الأولياء جماعة توزع الإيمان عليهم فإذا حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه، إن ادعوا قتل خطأ، وإن ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الأكثرين، وذهب عمر بن عبدالعزيز إلى وجوب القود وبه قال مالك وأحمد فإن لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعي عليه لأن الأصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يميناً واحدة أم خمسين يميناً؟ فيه قولان: أحدهما: أنه يحلف يميناً واحدة كما في سائر الدعاوى. والثاني: أنه يحلف خمسين يميناً تغليظاً لأمر القتيل، وعند أبي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعي بل إذا وجد قتيل في محلة، يختار الإمام خمسين رجلاً من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلاً، فإن حلفوا وإلا أخذ الدية من سكانها. والدليل على أن البداءة بيمين المدعي عند وجود اللوث. ما روى عن سهل بن أبي خيثمة قال: انطلق عبدالله بن سهل ومحيصة بن مسعود إلى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فأتى محيصة إلى عبدالله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلاً فدفنه. ثم قدم المدينة فانطلق عبدالرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ فذهب عبدالرحمن يتكلم فقال رسول الله ﷺ: «كبر كبر وهو أحدث القوم سناً» فسكت، فتكلما فقال أتحلفون وتستحقون قاتلكم أو قال صاحبكم قالوا: كيف نحلف ولم نشهد ولم نر؟ قال: فتبرئكم يهود بأيمان خمسين منهم قالوا: كيف نأخذ بأيمان قوم كفار

عمر بن عبد العزيز، وبه قال مالك وأحمد، وإن لم يكن على المدّعى عليه لوث، فالقول قول المدّعى عليه مع يمينه، ثم هل يحلف يميناً واحدة أم خمسين يميناً فيه قولان: أحدهما يميناً واحدة كما في سائر الدعاوى، والثاني يحلف خمسين يميناً تغليظاً لأمر الدم، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا حكم للوث، ولا يبدأ بيمين المدّعي، وقال: إذا وُجد قتيل في محلة يختار الإمام خمسين رجلاً من صلحاء أهلها فيحلّفهم أنهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلاً، ثم يأخذ الديّة من سكانها، والدليل على أن البداية بيمين المدّعي، عند وجود اللوث ما أخبرنا به عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن يحيىٰ بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن أبي حثمة، أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود: خرجا إلى خيبر فتفرّقا لحاجتهما، فقتل عبد الله بن سهل، فانطلق هو وعبد الرحمن أخو المقتول وحُويصة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فذكروا له قتل عبد الله بن سهل، فقال رسول الله ﷺ: «تحلفون خمسين يميناً وتستحقون دم صاحبكم أو قاتلكم»، فقالوا: يا رسول الله لم نشهد ولم نحضر، فقال رسول الله ﷺ: «فتبرئكم يهود بخمسين يميناً»، فقالوا: يا رسول الله كيف نقبل أيمانَ قومٍ كفّار؟ فعزم النبيّ ﷺ عَقَلَه من عنده. وفي لفظ آخر: فزعم أن النبي ﷺ عَقَلَه من عنده. قال بشير بن يسار: قال سهل: لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مَرْبَدٍ لنا، وفي رواية: لقد ركضتني ناقة حمراء من تلك الفرائض في مربد لنا، وجه الدليل من الخبر: أن النبي ﷺ بدأ بأيمان المدّعين لتقوى جانبهم باللّوث، وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيلاً في خيبر، وكانت العداوة ظاهـرة بين الأنصار وأهل خيبر، وكان يغلب على القلب أنهم قتلوه، واليمين أبداً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فعقله النبي ﷺ من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله ﷺ أن يبطل دمه، فوداه بمائة من إبل الصدقة أخرجاه في الصحيحين، ووجه الدليل من هذا الحديث أن النبي ﷺ بدأ بأيمان المدعين ليقوى جانبهم باللوث لأن اليمين أبداً تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث إن الأصل براءة ذمته، فكان القول قوله مع يمينه والله أعلم. قوله عز وجل: ﴿ثم قست قلوبكم﴾ أي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه، وقيل معناه غلظت واسودت ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى، وقيل: هي إشارة إلى إحياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة ﴿فهي﴾ يعني القلوب في الغلظ والشدة ﴿كالحجارة﴾ أي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه ﴿أو﴾ قيل: أو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو أي و﴿أشد قسوة﴾ فإن قلت: لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو أشد من الحجارة وأصلب. قلت: لأن الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط. ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ قيل: أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الأسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة ﴿وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء﴾ يعني العيون الصغار التي دون الأنهار ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ أي ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله، وخشيتها عبارة عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع عما

تكون حجّة لمَن يقوى جانبه، وعند عدم اللّوث تقوى جانب المدّعى عليه من حيث أن الأصل براءة ذمته، وكان القول قوله مع يمينه.

قوله تعالى: ﴿ ثم قست قلوبكم ﴾، أي: يبست وجفّت، جفاف القلب: خروج الرحمة واللّين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودّت، ﴿ من بعد ذلك ﴾: من بعد ظهور الدَّلاَلات، قال الكلبي: قالوا بعد ذلك نحن لم نقتله فلم يكونوا قطّ أعمى قلباً ولا أشدّ تكذيباً لنبيّهم منهم عند ذلك، أي ﴿ فهي ﴾: في الغِلْظَةِ والشدّة: ﴿ كالحجارة أو أشدّ قسوةً ﴾، قيل: أو بمعنى الواو، كقوله: ﴿ مائة ألف أو يزيدون ﴾ [الصّافّات: ١٤٧]، أي: بل يزيدون. وإنّما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لأن الحديد قابل للين، فإنه يلين بالنار، وقدْ لاَن لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قطّ، ثم فضّل الحجارة على القلب القاسي فقال: ﴿ وإنّ من الحجارة لَما يتفجّر منه الأنهار ﴾، قيل: أراد به جميع الحجارة، وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للأسباط، ﴿ وإنّ منهما لما يشقق فيخرج منه الماء ﴾: أراد به عيوناً دون الأنهار، ﴿ وإنّ منها لما يهبط ﴾: ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿ من خشية الله ﴾: وقلوبكم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود، فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى؟ قيل: الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه، ومذهب أهل السُّنّة والجماعة أن لله تعالى علماً في الجمادات وسائر الحيوانات، سوى العقلاء لا يقف عليه غير الله، فلها صلاة وتسبيح وخشية، كما قال جلّ ذكره: ﴿ وإنْ من شيء إلاّ يُسبّحُ بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال: ﴿والطير صافّات كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ [النور: ٤١] وقال: ﴿ألم ترَ أنّ الله يسجد له مَن في السموات ومَن في الأرض والشمس والقمر ﴾ [الحج: ١٨] الآية، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى، ويُروى أن النبي ﷺ كان على ثبير. والكفّار يطلبونه فقال الجبل: انزل عنّي فإنّي أخاف أن تُؤخذ عليّ فيعاقبني الله بذلك، فقال له جبل حِرَاء: إليّ يا رسول الله، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، ثنا السدي أبو الحسين محمد بن حسن العلوي، أنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب النيسابوري، أنا محمد بن إسماعيل الصائغ، أنا يحيىٰ بن أبي بكر، أنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلّم عليّ قبل أن أبعث، وإني لأعرفه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يريد منها، وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع. فإن قلت: الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى؟ قلت: إن الله تعالى قادر على إفهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى بإلهامه لها، ومذهب أهل السنة إن الله تعالى أودع في الجمادات والحيوانات، علماً وحكمة لا يقف عليهما غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح الله بحمده﴾ وقال تعالى: ﴿والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ فيجب على المرء الإيمان به وبكل علمه إلى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال، قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، وإني لأعرفه الآن» عن علي قال كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله ﷺ، أخرجه الترمذي. وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبدالله قال: «كان في مسجد رسول الله ﷺ جذع في قبلته يقوم إليه رسول الله ﷺ في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع حنيناً مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله ﷺ فوضع يده عليه، وفي رواية: صاحت النخلة صياح الصبي فنزل ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي لا يسكت حتى استقرت. قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر» قال مجاهد: ما ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ فيه وعيد وتهديد والمعنى أن الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة. قوله عز وجل:

الآن»، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيىٰ بن أبي بكر، وصحّ عن أنس أن رسول الله ﷺ: طلع له أُحد، فقال: «هذا جبل يُحبنا ونُحبه»، ورُوِيَ عن أبي هريرة يقول: صلَّى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال: «بينما رجل يسوق بقرة إذْ عَيِيَ فركبها فضربها، فقالت: إنّا لم نُخلَق لهذا إنما خُلقنا لحراثة الأرض، فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم؟! فقال رسول الله ﷺ: فإنّي أُومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هُمَا ثَمّ»، وقال: «بينما رجل في غنم له إذْ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستنقذها»، فقال الذئب: فمَن لها يوم السبع، أي: يوم القيامة يوم لا راعي لها غيري؟! فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم؟! فقال: «أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثَمّ»، وصحّ عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ على حِراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحرّكت الصخرة فقال النبي ﷺ: «اهدأ. أي: اسكن. فما عليك إلّا نبيّ أو صديق أو شهيد»، صحيح أخرجه مسلم، أنا عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد يحيىٰ بن أحمد بن علي الصانع، أنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن هشام الرازي أنا محمد أيوب بن ضريس وهو بجلي الرازي، أنا محمد بن الصاح عن الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عبادة بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (كنّا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في نواحيها خارجاً من مكة بين الجبال والشجر فلم يمرّ بشجرة ولا جبل إلّا قال: السلام عليك يا رسول الله). أنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع، أنا الشافعي أنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جُريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: (كان النبي ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صُنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية، وحنّ كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل رسول الله ﷺ فاعتنقها فسكنت). قال مجاهد: لا ينزل حجر من الأعلى إلى الأسفل إلّا من خشية الله، ويشهد لِما قلنا قوله تعالى: ﴿ لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبلٍ لرأيتَهُ خاشعاً متصدّعاً من خشية الله، وتلك الأمثال نضْربها للناس لعلّهم يتفكّرون ﴾ [الحشر: ٢١].

قوله عزّ وجلّ: **﴿ وما الله بغافلٍ ﴾**: بساهٍ **﴿ عمّا تعملون ﴾**: وعيد وتهديد، وقيل: بتارك عقوبة ما تعملون، بل يجازيكم به، قرأ ابن كثير **يعملون** بالياء والآخرون بالتاء.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٧٦﴾

﴿أفتطمعون﴾ خطاب للنبي ﷺ لأنه هو الداعي إلى الإيمان وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له، وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ وأصحابه لأنهم كانوا يدعونهم إلى الإيمان أيضاً ومعنى أفتطمعون أفترجعون ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل: معناه أفتطمعون أن يؤمنوا لكم مع أنهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله﴾ قيل المراد بالفريق: هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات، وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى، وقيل المراد بهم: الذي كانوا في زمن النبي ﷺ، وهو الأقرب لأن الضمير راجع إليهم في أفتطمعون أن يؤمنوا لكم، فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة، لأنه يصح أن يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله ﴿ثم يحرفونه﴾ أي يغيرون كلام الله، ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضي الله عنهما إنها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه، وذلك لأنهم لما رجعوا إلى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فإنهم أدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم: سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وإن شئتم فلن تفعلوا، فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي ﷺ قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبي ﷺ وآية الرجم في التوراة ﴿من بعد ما عقلوه﴾ أي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه ﴿وهم يعلمون﴾ أي فساد مخالفته ويعلمون أيضاً أنهم كاذبون. قوله عز وجل ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ نزلت هذه الآية في اليهود، الذين كانوا في زمن النبي ﷺ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن منافقي اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لهم: آمنا بالذي آمنتم به وإن صاحبكم صادق وقوله حق وإنا نجد نعته وصفته في كتابنا ﴿وإذا

قوله عزّ وجلّ: ﴿ أفتطمعون ﴾: أفترجون، يُريد محمداً وأصحابه، ﴿ أن يُؤمنوا لكم ﴾: تصدقكم اليهود بما تخبرونهم به؟ ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ﴾، يعني: التوراة، ﴿ ثم يحرّفونه ﴾: يغيّرون ما فيها من الأحكام، ﴿ من بعد ما عقلوه ﴾: علموه غيّر واصفة محمد ﷺ، وآية الرجم، ﴿ وهم يعلمون ﴾: أنهم كاذبون، هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة، وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربّه، وذلك أنهم لمّا رجعوا بعدما سمعوا كلام الله إلى قومهم رجع الناس إلى قولهم، وأما الصادقون منهم فأدّوا كما سمعوا، وقالت طائفة منهم: سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا، فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا ﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني: منافقي اليهود الذين آمنوا بألسنتهم إذا لقوا المؤمنين المخلصين، ﴿ قالوا آمنّا ﴾، كإيمانكم، ﴿ وإذا خلا ﴾: رجع ﴿بعضهم إلى بعض﴾ كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا، أو غيرهم من رؤساء اليهود، لأمرهم على ذلك، ﴿ قالوا أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ﴾: بما قصّ الله عليكم في كتابكم أن محمداً حق وقوله صدق، والفتّاح: القاصّ، وقال الكسائي: بما بيّنه لكم من العلم بصفة محمد ﷺ ونعته، وقال الواقدي: بما أنزل الله عليكم وأعطاكم،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

خلا بعضهم إلى بعض﴾ يعني كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك و﴿قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ يعني قص الله عليكم في كتابكم من صفة محمد ﷺ وأنه حق وقوله صدق ﴿ليحاجوكم به﴾ أي ليخاصمكم أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم لم لا تتبعونه، وذلك أن اليهود قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في إتباع محمد ﷺ: آمنوا به فإنه نبي حق ثم لام بعضهم بعضاً، وقالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم ﴿عند ربكم﴾ أي في الدنيا والآخرة وقيل: هو قول يهود بني قريظة بعضهم لبعض. حين قال لهم النبي ﷺ: يا إخوان القردة والخنازير. قالوا: من أخبر محمداً بهذا؟ هذا ما خرج إلا منكم وقيل: إن اليهود أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنايات. فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله ﴿أفلا تعقلون﴾ أي إن ذلك لا يليق بما أنتم عليه.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿أو لا يعلمون﴾ يعني اليهود ﴿أن الله يعلم ما يسرون﴾ أي ما يخفون ﴿وما يعلنون﴾ أي ما يبدون وما يظهرون. قوله عز وجل: ﴿ومنهم﴾ أي من اليهود ﴿أميون﴾ أي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع أمي وهو المنسوب إلى أمه كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة ﴿لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ جمع أمنية وهي التلاوة، ومنه قول الشاعر:

تمنـــى كتـــاب الله أول ليلـــة　　　تمنـــى داود الـــزبـــور علـــى رســـل

ونظيره ﴿ لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ [الأعراف: ٩٦]، أي: أنزلنا، وقال أبو عبيدة: بما منّ الله عليكم وأعطاكم، ﴿ ليحاجّوكم به ﴾: ليخاصموكم به، ويعني: أصحاب محمد ﷺ ويحتجّوا بقولكم عليكم، فيقولوا: قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم، ثم لا تتبعونه؟ وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتّباع محمد ﷺ آمنوا به فإنه حق، ثم قال بعضهم لبعض: أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به؟. ويعني: لتكون لهم الحجة عليكم. ﴿ عند ربّكم ﴾ الآخرة، وقيل: إنهم أخبروا المؤمنين بما عذّبهم الله به على الجنايات، فقال بعضهم لبعض: أتحدّثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجّوكم به عند ربكم، ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله، وقال مجاهد: هو قول يهود قريظة، قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبيّ ﷺ يا إخوان القردة والخنازير، فقالوا: مَن أخبر محمداً بهذا؟ ما خرج هذا إلّا منكم، ﴿ أفلا تعقلون ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ أوَ لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرّون ﴾: يخفون، ﴿ وما يعلنون ﴾: يبدون، يعني اليهود.

وقوله تعالى: ﴿ ومنهم أمّيون ﴾، أي: من اليهود أمّيون لا يحسنون القراءة والكتابة، جمع: أُمّي، منسوب إلى الأم كأنه باقٍ على ما انفصل من الأم لم يعلم كتابة ولا قراءة، ورُوِيَ عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنّا أُمّة أُمّيّة»، أي: لا نكتب ولا نحسب، وقيل: هو منسوب إلى أُمّ القرى وهي مكّة، ﴿ لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿ أماني ﴾، بتخفيف الياء، كل القرآن، حذف إحدى الياءين تخفيفاً، وقراءة العامّة بالتشديد، وهو جمع:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أي تلا كتاب الله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الأماني الأحاديث الكاذبة المختلفة وهي الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم وأضافوها إلى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبي ﷺ وصفته وغير ذلك، وقيل: هو من التمني وهو قولهم: ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب. لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم ﴿**وإن هم إلا يظنون**﴾ أي على يقين ﴿**فويل**﴾ الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة وأصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس: الويل شدة العذاب وعن أبي سعيد الخدري. قال قال رسول الله ﷺ: «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. الخريف سنة ﴿**للذين يكتبون الكتاب بأيديهم**﴾ تأكيد للكتابة لأنه يحتمل أن يأمر غيره بأن يكتب فقال: بأيديهم لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك أن رؤساء اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة فغيروها، وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال أزرق العينين سبط الشعر فكانوا إذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا ﴿**ثم يقولون هذا من عند الله**﴾ يعني هذه الصفة التي كتبوها. فإذا نظروا إلى النبي ﷺ وإلى تلك وجدوه مخالفاً لها فيكذبونه ويقولون إنه ليس به ﴿**ليشتروا به**﴾ أي بما كتبوا ﴿**ثمناً قليلاً**﴾ أي المآكل

أُمنية وهي التلاوة، وقال الله تعالى: ﴿ إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أُمنيته ﴾ [الحج: ٥٢]، أي: في قراءته، قال أبو عبيدة: إلّا تلاوة وقراءة عن ظهر القلب لا يقرؤنه من كتاب، وقيل: يعلمونه حفظاً وقراءةً لا يعرفون معناه، قال ابن عباس: يعني غير عارفين بمعاني الكتابَ وقال مجاهد وقتادة: إلّا كذباً وباطلاً، قال الفرّاء: إلّا أماني: الأحاديث المفتعلة، قال عثمان رضي الله عنه: ما تمنيت منذ أسلمت، أي: ما كذبت وأراد بها الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم، ثم أضافوها إلى الله من تغيير نعت النبيّ ﷺ وغيره، وقال الحسن وأبو العالية: هي من التمنّي وهي أمانيهم الباطلة التي يتمنّونها على الله عزّ وجلّ، مثل قولهم: ﴿ لنْ يدخل الجنّة إلّا مَنْ كان هُوداً أو نصارى ﴾ [البقرة: ١١١]، وقولهم: ﴿ لنْ تَمَسّنا النارُ إلّا أياماً معدودة ﴾ [البقرة: ٨٠]، وقولهم: ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة: ١٨]، فعلى هذا لا يكون بمعنى لكن، أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنّون أشياء لا تحصل لهم، ﴿ **وإنْ هم** ﴾، وما هم﴿ **إلّا يظنون** ﴾، يعني: وما يظنون إلّا ظنّاً وتوهماً لا يقيناً قاله قتادة والربيع، وقال مجاهد: يكذبون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فويل** ﴾، قال الزجّاج: ويل، كلمة تقولها العرب لكل واقع في هلكة، وقيل: هو دعاء الكفّار على أنفسهم بالويل والثبور، وقال ابن عباس: شدّة العذاب، وقال سعيد بن المسيب: ويل واد في جهنم لو سيّرت فيه جبال الدنيا لانْمَاعتْ ولَذابتْ من شدّة حرّها، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الخلّال، أنا عبد الله بن المبارك عن راشيد بن سعد عن عمرو بن الحارث أنه حدّث عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «الويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يتصعّد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فهو كذلك»، ﴿ **للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً** ﴾، وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قَدِمَ النبيّ ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة القامة فغيّروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر، فإذا سألهم سفلتهم عن صفته

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

والرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم، قال الله تعالى: ﴿فويل لهم بما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾.

قوله عز وجل:

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وقالوا﴾ أي اليهود ﴿لن تمسنا﴾ أي لن تصيبنا ﴿النار إلا أياماً معدودة﴾ أي قدراً مقدراً ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس: قالت اليهود: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنا نعذب بكل ألف سنة يوماً ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل: إنهم عنوا بالأيام الأربعين يوماً التي عبدوا فيها العجل وقيل: إن اليهود زعموا أن الله تعالى عتب عليهم في أمر فأقسم ليعذبنهم أربعين يوماً تحلة القسم فقال الله رداً عليهم وتكذيباً لهم ﴿قل﴾ أي يا محمد لليهود ﴿أتخذتم عند الله عهداً﴾ أي موثقاً أن لا يعذبكم إلا هذه المدة ﴿فلن يخلف الله عهده﴾ أي وعده ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى﴾ إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله: لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار أبداً ﴿من كسب سيئة﴾ السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة، والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أي أحدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس: هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل: أحاطت به أي أهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه

قرؤوا ما كتبوه فيجدونه مخالفاً لصفته ويُكذّبونه، قال الله تعالى: ﴿ فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم ﴾، يعني: كتبوه بأنفسهم اختراعاً من تغيير نعته ﷺ، ﴿ وويلٌ لهم مما يكسبون ﴾: من المآكل، ويقال: من المعاصي.

﴿ وقالوا ﴾، يعني اليهود ﴿ لنْ تمسّنا النار ﴾: لن تصيبنا النار، ﴿ إلّا أياماً معدودة ﴾: قدراً مقدّراً ثم يزول عنّا العذاب، واختلفوا في هذه الأيام، فقال ابن عباس ومجاهد: كانت اليهود يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذّب بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام، وقال قتادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التي عبَد فيها آباؤهم العجل، وقال الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربّنا عتب علينا في أمرنا فأقسم الله ليعذّبنا أربعين يوماً فلن تمسّنا النار إلّا أربعين يوماً تحلّة القسم، فقال الله عزّ وجلّ تكذيباً لهم، ﴿ قل ﴾: يا محمد ﴿ اتخذتم عند الله ﴾ ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، ﴿ عهداً ﴾ موثقاً أن لا يعذبكم إلّا هذه المدة، ﴿ فلن يخلف الله عهده ﴾، وعده، قال ابن مسعود: عهداً بالتوحيد يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إلّا مَن اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ [مريم: ٨٧]، يعني: قوله لا إله إلّا الله، ﴿ أم تقولون على الله ما لا تعلمون ﴾؟ ثم قال:

﴿ بلى ﴾، وبلى وبل: حرفا استدراك، ومعناهما نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل، ﴿ مَن كسب سيّئة ﴾، يعني الشرك ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿ خطيئاته ﴾ بالجمع، والإحاطة: الإحداق بالشيء ومن جميع نواحيه، قال ابن عباس وعطاء والضحّاك وأبو العالية والربيع وجماعة: هي الشرك يموت عليه، وقيل: السيئة الكبيرة والإحاطة به أن يصرّ عليها فيموت غير تائب، قال عكرمة والربيع بن خيثم، قال الواحدي رحمه الله في تفسيره الوسيط: المؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية لأن الله تعالى أوعد بالخلود في النار مَن أحاطت به خطيئته، وتقدّمت منه سيئة وهي الشرك، والمؤمن وإن عمل الكبائر لم يوجد منه الشرك، وقال مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنباً ارتفعت حتى يغشى القلب، وهي الرين، قال الكلبي: أوبقته

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الآية، بالكفر والشرك لقوله تعالى: ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ فإن الخلود في النار هو للكفار والمشركين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾. فإن قلت: العمل الصالح خارج عن اسم الإيمان لأنه تعالى قال: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فلو دل الإيمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الإيمان تكراراً. قلت: أجاب بعضهم بأن الإيمان وإن كان يدخل فيه جميع الأعمال الصالحة إلا أن قوله: آمن لا يفيد إلا أنه فعل فعلاً واحداً من أفعال الإيمان فإذا حسن أن يقول: والذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل: إن قوله آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا أولاً ثم داوموا عليه آخراً ويدخل فيه جميع الأعمال الصالحات ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ قوله عز وجل: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ يعني في التوراة. والميثاق العهد الشديد ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ أي أمر الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لأن الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي براً بهما ورحمة لهما ونزولاً عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى ويوصل إليهما ما يحتاجان إليه، ولا يؤذيهما البتة وإن كانا كافرين بل يجب عليه الإحسان إليهما ومن الإحسان إليهما أن يدعوهما إلى الإيمان بالرفق واللين، وكذا إن كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف بالرفق، واللين من غير عنف وإنما عطف بر الوالدين على الأمر بعبادته، لأن شكر المنعم واجب، ولله على عبده أعظم النعم لأنه هو الذي خلقه وأوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر، غيره ثم إن للوالدين على الولد نعمة عظيمة، لأنهما السبب في كون الولد ووجوده ثم إن لهما عليه حق التربية أيضاً فيجب شكرهما ثانياً ﴿وذي القربى﴾ أي القرابة لأن حق القرابة تابع لحق الوالدين والإحسان إليهم: إنما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين ﴿واليتامى﴾ جمع يتيم وهو الذي مات أبوه وهو طفل صغير، فإذا بلغ الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة أمور: لصغره ويتمه ولخلوه، عمن يقوم بمصلحته إذ لا يقدر هو أن ينتفع بنفسه، ولا يقوم بحوائجه ﴿والمساكين﴾ جمع مسكين وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وإنما تأخرت درجة

ذنوبه، دليله قوله تعالى: ﴿ إلّا أن يُحاط بكم ﴾ [يوسف: ٦٦]، أي: تهلكوا، ﴿ **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾.

﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **وإذْ أخذنا ميثاق بني إسرائيل** ﴾: في التوراة والميثاق العهد الشديد، ﴿ **لا تعبدون إلّا الله** ﴾، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي «لا يعبدون»، بالياء، والآخرون بالتاء، كقوله تعالى: ﴿ وقولوا للناس حُسناً ﴾ [البقرة: ٨٣]، معناه أن لا تعبدوا، فلما حذف (أن) صار الفعل مرفوعاً وقرأ أُبيّ بن كعب: «لا تعبدوا»، على النهي، ﴿ **وبالوالدين** ﴾، أي: وصّيناهم بالوالدين، ﴿ **إحساناً** ﴾ برّاً بهما وعطفاً عليهما ونزولاً عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى، ﴿ **وذي القربى** ﴾، أي: وبذي القرابة، والقربى مصدر كالحسنى، ﴿ **واليتامى** ﴾، جمع

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

المساكين عن اليتامى، لأنه قد يمكن أن ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي ﷺ فلهذا عدل من الغيبة إلى الحضور، والمعنى قولوا: حقاً وصدقاً في شأن محمد ﷺ فمن سألكم عنه فأصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموها قاله ابن عباس. الوجه الثاني إن المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام، وأخذ عليهم الميثاق وإنما عدل من الغيبة إلى الحضور على طريق الالتفات كقوله: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ وقيل: فيه حذف تقديره وقلنا لهم: في الميثاق وقولوا: للناس حسناً ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به أخبر عنهم أنهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى: ﴿ثم توليتم﴾ أي أعرضتم عن العهد ﴿إلا قليلاً منكم﴾ يعني من الذين آمنوا كعبدالله بن سلام وأصحابه فإنهم وفوا بالعهد ﴿وأنتم معرضون﴾ أي كإعراض آبائكم. قوله عز وجل: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ قيل: هو خطاب لمن كان في زمن النبي ﷺ من اليهود وقيل: هو خطاب لآبائهم وفيه تقريع لهم ﴿لا تسفكون﴾ أي لا تريقون ﴿دماءكم﴾ أي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل: معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم ﴿ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ أي لا يخرج بعضكم بعضاً من داره، وقيل: لا تفعلوا شيئاً فتخرجوا بسببه من دياركم ﴿ثم أقررتم﴾ أي بهذا العهد أنه حق ﴿وأنتم تشهدون﴾ يعني أنتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك.

ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ يعني يا هؤلاء اليهود ﴿تقتلون أنفسكم﴾ أي يقتل بعضكم بعضاً ﴿وتخرجون فريقاً منكم

يتيم وهو الطفل الذي لا أب له، ﴿ والمساكين ﴾، يعني: الفقراء، ﴿ وقولوا للناس حُسناً ﴾: صدقاً وحقاً في شأن محمد ﷺ، فمَن سألكم عنه فأصدقوه وبيِّنوا صفته لا تكتموا أمره، هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وابن جريج ومقاتل، وقال سفيان الثّوري: مُروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، وقيل: هو اللّين في القول والمعاشرة بحُسْن الخلق، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب « حسناً » بفتح الحاء والسين، أي: قولاً حَسَناً، ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم تولّيتم ﴾، أعرضتم عن العهد والميثاق، ﴿ إلّا قليلاً منكم ﴾، وذلك أن قوماً منهم آمنوا، ﴿ وأنتم معرضون ﴾، كإعراض آبائكم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذْ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون ﴾، أي: لا تريقون ﴿ دماءكم ﴾، أي: لا يسفك بعضكم دمَ بعض، وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم، ﴿ ولا تُخرجون أنفسكم من دياركم ﴾: لا يُخرج بعضكم بعضاً من داره، وقيل لا تسيئوا جوار مَن جاوركم فتلجؤوهم إلى الخروج بسوء جواركم، ﴿ ثم أقررتم ﴾: بهذا العهد أنه حق وقبلتم، ﴿ وأنتم تشهدون ﴾: اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتعترفون بالقبول.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ثم أنتم هؤلاء ﴾، يعني: يا هؤلاء، وهؤلاء للتنبيه، ﴿ تقتلون أنفسكم ﴾، أي: يقتل

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

من ديارهم﴾ أي يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم ﴿تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان﴾ أي تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم ﴿وإن يأتوكم أسارى﴾ جمع أسير ﴿تفادوهم﴾ أي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء، وقرىء تفادوهم أي تبادلوهم وهو مفاداة الأسير بالأسير، ومعنى الآية أن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً. ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وأيما عبد أو أمة من بني إسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه، وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فإذا غلب أحد الفريقين أخرجوهم من ديارهم وخربوها. وكان إذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له مالاً يفدونه به فعيرتهم العرب. وقالوا: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم؟ فقالوا: إنا أمرنا أن نفديهم فقالوا: كيف تقاتلونهم؟ فقالوا: إنا نستحي أن تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ وفي الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ وإن يأتوكم أسارى تفدوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهر مع أعدائهم وفك أسراهم فأعرضوا عن الكل إلا الفداء قال الله عز وجل: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ معناه إن وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وأنتم تقتلونهم بأيديكم فكان إيمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضاً فذمهم على مناقضة أفعالهم لا على الفداء لأنهم أتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم﴾ يعني يا معشر اليهود ﴿إلا خزي في الحياة الدنيا﴾ أي عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الإجلاء والنفي من منازلهم إلى أريحاء

بعضكم بعضاً، ﴿ وتُخرجون فريقاً منكم منْ ديارهم تظاهرون عليهم ﴾، بتشديد الظاء، أي تتظاهرون، أُدغمت التاء في الظاء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الظاء فحذفوا تاء التفاعل وأبقوا تاء الخطاب، كقوله تعالى: ﴿ ولا تعاونوا ﴾ [المائدة: ٢]، معناهما جميعاً تتعاونون، والظهير: العون، ﴿ بالإثم والعدوان ﴾: بالمعصية والظلم، ﴿ وإن يأتوكم أُسارى ﴾، قرأ حمزة «أسرى»، وهما جمع: أسير، ومعناهما واحد، ﴿ تفادوهم ﴾: بالمال وتنقذوهم، وقرأ أهل المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب تفادوهم، أي: تبادلوهم، أراد مفاداة الأسير بالأسير، وقيل: معنى القراءتين واحد، ومعنى الآية: قال السدّي: إنّ الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يُخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه، وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج، وكان يقتلون في حرب سنين، فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم وبنو النضير مع حلفائهم وإذا غلبوا خرّبوا ديارهم وأخرجوهم منها، وإذا أُسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وإن كان الأسير من عدوّهم، فتعيّرهم العرب ويقولون: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: إنّا أُمرنا أن نفديهم، فيقولون فلِمَ تقاتلوهم؟ قالوا: إنّا نستحي أن تذلّ حلفاؤنا، فعيّرهم الله تعالى، فقال: ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ﴾ وفي الآية تقديم وتأخير، ونظمها: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، ﴿ وهو محرّم عليكم إخراجهم ﴾، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتال وترك الإخراج وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم وفداء أسرائهم، فأعرضوا عن الكل إلّا الفداء، قال الله تعالى: ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾، قال مجاهد يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك، ﴿ فما جزاء مَن يفعل ذلك منكم ﴾: يا معشر اليهود، ﴿ إلّا خزي ﴾: عذاب وهوان، ﴿ في الحياة الدّنيا ﴾، فكان خزي بني قريظة القتل والسبي، وخزي بني النضير الجلاء والنفي من منازلهم إلى أذرعات وأريحاء من الشام، ﴿ ويوم القيامة يُردُّون إلى أشدّ العذاب ﴾، وهو عذاب النار، ﴿ وما الله بغافل عمّا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وأذرعات من أرض الشام ﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ يعني عذاب النار ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ فيه وعيد وتهديد عظيم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾

﴿أولئك الذين اشتروا﴾ أي استبدلوا ﴿الحياة الدنيا بالآخرة﴾ لأن الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة ﴿فلا يخفف عنهم العذاب﴾ أي فلا يهون عليهم ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى. قوله عز وجل: ﴿ولقد آتينا﴾ أي أعطينا ﴿موسى الكتاب﴾ يعني التوراة جملة واحدة ﴿وقفينا﴾ أي وأتبعنا من التقفية وهو أن يقفو أثر الآخر ﴿من بعده بالرسل﴾ يعني رسولاً بعد رسول وكانت الرسل بعد موسى إلى زمن عيسى عليهم السلام متواترة يظهر بعضهم في أثر بعض، والشريعة واحدة: قيل إن الرسل بعد موسى يوشع بن نون وأشمويل وداود وسليمان وأرمياء وحزقيل وإلياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم، وكانوا يحكمون بشريعة موسى إلى أن بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة، وغير بعض أحكام التوراة فذلك قوله تعالى: ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ أي الدلالات الواضحات وهي المعجزات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وقيل هي الإنجيل. واسم عيسى بالسريانية أيشرع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال ﴿وأيدناه﴾ أي وقويناه ﴿بروح القدس﴾ قيل: أراد بالروح

تعلمون ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالياء، والباقون بالتاء.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **أولئك الذين اشتروا** ﴾: استبدلوا ﴿ **الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفّف** ﴾، يهون ﴿ **عنهم العذاب ولا هم ينصرون** ﴾، لا يُمنعون من عذاب الله عزّ وجلّ.

﴿ **ولقد آتينا** ﴾: أعطينا ﴿ **موسى الكتاب** ﴾: التوراة جملة واحدة، ﴿ **وقفّينا** ﴾: وأتبعنا، ﴿ **من بعده بالرّسل** ﴾: رسولاً بعد رسول، ﴿ **وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات** ﴾: الدّلالات الواضحات، وهي ما ذكر الله في سورة آل عمران والمائدة، وقيل: أراد الإنجيل، ﴿ **وأيدناه** ﴾: قوّيناه ﴿ **بروح القدس** ﴾، قرأ ابن كثير ﴿ **القدس** ﴾ بسكون الدال، والآخرون بضمّها، وهما لغتان مثل: الرعب والرعب، واختلفوا في روح القدس، قال الربيع وغيره: أراد الروح الذي لا نفخ فيه، والقدس هو الله أضافه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً، أي: التي نفخ فيه، نحو بيت الله وناقة الله، كما قال: ﴿ فنفخنا فيه منْ رُوحنا ﴾ [الأنبياء: ٩١، التحريم: ١٢]، ﴿ وروح منه ﴾ [النساء: ١٧١]، وقيل: أراد بالقدس: الطهارة، يعني: الروح الطاهرة، سمّى روحه قدساً لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث، إنما كان أمراً من أمر الله تعالى، قال قتادة والسدي والضحاك: روح القدس جبريل عليه السلام، وقيل: وصف جبريل بالقدس أي بالطهارة، لأنه لم يقترف ذنباً، وقال الحسن: القدس هو الله وروحه جبريل، قال الله تعالى: ﴿ قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل: ١٠٢]، وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به إلى السماء، وقيل: سُمّي جبريل عليه السلام روحاً للطافته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: روح القدس هو

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى وأضاف روح عيسى إليه تشريفاً وتكريماً وتخصيصاً له كما تقول عبدالله وأمة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الأعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الإنجيل لأنه حياة القلوب سماه روحاً كما سمى القرآن روحاً وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لأنه لم يفترق ذنباً قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبدالله، سمي جبريل روحاً للطافته لأنه روحاني خلق من النور وقيل سمى روحاً لمكانه من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل أولى لأنه تعالى قال وأيدناه أي قويناه بجبريل وذلك أنه أمر أن يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به إلى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما يقص علينا من أخبار الأنبياء فعلت فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً قال الله تعالى: ﴿**أفكلما جاءكم**﴾ يعني يا معشر اليهود ﴿**رسول بما لا تهوى**﴾ تقبل ﴿**أنفسكم استكبرتم**﴾ أي تعظمتم عن الإيمان به ﴿**ففريقاً كذبتم**﴾ يعني مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ﴿**وفريقاً تقتلون**﴾ يعني مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه، وذلك أن اليهود كانوا إذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فإن تهيأ لهم قتله قتلوه وإنما كانوا كذلك لإرادتهم الدنيا وطلب الرياسة ﴿**وقالوا**﴾ يعني اليهود ﴿**قلوبنا غلف**﴾ جمع أغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه. قال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى أن قلوبنا أوعية للعلم فلا تحتاج إلى علمك وقيل أوعية من الوعي لا تسمع حديثاً إلا وعته إلا حديثك فإنها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيراً لفهمته ووعته قال الله تعالى: ﴿**بل لعنهم الله بكفرهم**﴾ أي طردهم وأبعدهم من كل خير. وسبب كفرهم أنهم اعترفوا بنبوة محمد ﷺ ثم إنهم أنكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى: ﴿**فقليلاً ما يؤمنون**﴾ أي لم يؤمن منهم إلا قليل لأن من آمن من المشركين كان أكثر منهم. قوله عز وجل:

اسم الله تعالى الأعظم الذي كان يُحيي به الموتى، ويُري الناس العجائب، وقيل: هو الإنجيل جعل له روحاً كما جعل القرآن روحاً لمحمد ﷺ، لأنه سبب لحياة القلوب، وقال الله تعالى: ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾ [الشورى: ٥٢]، فلما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه السلام، فقالوا: يا محمد لا مثلَ عيسى كما تزعمُ عملتَ، ولا كما يُقصّ علينا من الأنبياء فعلت، فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً، قال الله تعالى: ﴿ **أفكلما جاءكم** ﴾: يا معشر اليهود ﴿ **رسولٌ بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم** ﴾: تكبّرتم وتعظّمتم عن الإيمان، ﴿ **ففريقاً** ﴾: طائفة ﴿ **كذّبتم** ﴾: مثل عيسى ومحمد ﷺ، ﴿ **وفريقاً تقتلون** ﴾، أي: أقتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا، وسائر مَن قتلوا من الأنبياء عليهم السلام.

﴿ **وقالوا** ﴾، يعني اليهود، ﴿ **قلوبنا غلف** ﴾، جمع أغلف وهو الذي عليه غشاوة، معناه: عليها غشاوة فلا تسمع ولا تفقه ما يقول، قال مجاهد وقتادة: نظيره قوله تعالى: ﴿ **وقالوا قلوبنا في أكنّة** ﴾ [فصّلت: ٥]، وقرأ ابن عباس: «غلُف» بضم اللام، وهي قراءة الأعرج، وهي جمع غلاف، أي: قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك، قاله ابن عباس وعطاء، وقال الكلبي: معناه أوعية لكل علم فهي لا تسمع حديثاً إلّا وعته إلّا حديثك لا تعقله ولا تعيه، ولو كان فيه خير لوعته وفهمته، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **بل لعنهم الله** ﴾: طردهم الله وأبعدهم عن كل خير، ﴿ **بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون** ﴾، قال قتادة: معناه لا يؤمن منهم إلّا قليل، لأن مَن آمن من المشركين أكثر ممّن آمن من اليهود، أي: فقليلاً يؤمنون، ونصب (قليل) على الحال، وقال معمر: لا يؤمنون إلّا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، أي: فقليل يؤمنون، ونصب (قليلاً) بنزع الخافض، و(ما) صلة على قولهما، وقال الواقدي: معناه لا يؤمنون لا قليلاً ولا كثيراً، كقول الرجل للآخر: ما أقلّ ما تفعل كذا، أي: لا تفعله أصلاً.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾ يعني القرآن ﴿مصدق لما معهم﴾ يعني التوراة وهذا التصديق في صحة نبوة محمد ﷺ لأن نبوته وصفته ثابتة في التوراة ﴿وكانوا﴾ يعني اليهود ﴿من قبل﴾ أي من قبل مبعث النبي ﷺ ﴿يستفتحون﴾ أي يستنصرون به ﴿على الذين كفروا﴾ يعني مشركي العرب وذلك أنهم كانوا إذا أحزنهم أمر ودهمهم عدو يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ أي الذي عرفوه يعني محمداً ﷺ عرفوا نعته وصفته وأنه من غير بني إسرائيل ﴿كفروا به﴾ أي جحدوه وأنكروه بغياً وحسداً ﴿فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم﴾ أي بئس شيء اشتروا به أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم ﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن ﴿بغياً﴾ أي حسداً ﴿أن ينزل الله من فضله﴾ يعني الكتاب والنبوة ﴿على من يشاء من عباده﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿فباؤوا﴾ أي فرجعوا ﴿بغضب على غضب﴾ أي مع غضب قال ابن عباس الغضب الأول بتضييعهم

﴿ ولمّا جاءهم كتابٌ من عند الله ﴾، يعني: القرآن ﴿ مصدّق ﴾: موافق ﴿ لما معهم ﴾، يعني: التوراة، ﴿ وكانوا ﴾ يعني: اليهود، ﴿ من قبل ﴾، من قبل مبعث محمد ﷺ، ﴿ يستفتحون ﴾: يستنصرون، ﴿ على الذين كفروا ﴾: على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا أحزنهم أمرٌ ودهمهم عدوٌّ: اللّهمَّ انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا يُنصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظلّ زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم.

﴿ فلما جاءهم ما عرفوا ﴾، يعني: محمداً ﷺ من غير بني إسرائيل وعرفوا نعته وصفته، ﴿ كفروا به ﴾: بغياً وحسداً، ﴿ فلعنة الله على الكافرين ﴾.

﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم ﴾، بئس ونِعمَ فعلان ماضيان وُضعا للمدح والذمّ، لا يتصرفان تصرّف الأفعال، معناه: بئس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق، وقيل: الاشتراء ههنا بمعنى البيع، والمعنى: بئس ما باعوا به حظّ أنفسهم، أي: اختاروا الكفر وبذلوا أنفسهم للنار، ﴿ أن يَكْفُروا بما أنزل الله ﴾، يعني: القرآن، ﴿ بغياً ﴾، أي: حسداً، وأصل البغي: الفساد، يقال: بغى الجرح إذا فسد، والبغي: الظلم، وأصله الطلب، والباغي طالب الظلم والحاسد يظلم المحسود جهده طلباً لإزالة نعمة الله تعالى عنه، ﴿ أنْ ينزّل الله من فضله ﴾، أي: النبوّة والكتاب، ﴿ على مَن يشاء من عباده ﴾: محمد ﷺ، قرأ أهل مكة والبصرة « ينـزل » وبابه بالتخفيف، إلّا في ﴿ سبحان الذي ﴾ [الإسراء: ١، يس: ٣٦، الزخرف: ١٣] في موضعين: ﴿ وننـزل من القرآن ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿ وحتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ﴾ [الإسراء: ٩٣]، قال ابن كثير: يشدّدهما، وشدّد البصريون في [الأنعام: ٣٧] على ﴿أن ينزل آية﴾ زاد يعقوب تشديد بما ينزل في النحل [٢] ووافق حمزة والكسائي في تخفيف ﴿وينزل الغيث﴾[لقمان: ٣٤] في سورة لقمان وحمٓعسٓقٓ [الشورى: ١]، والآخرون يشدّدون الكل ولم يختلفوا في تشديد

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

التوراة وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ. وقيل الأول بكفرهم بعيسى والإنجيل والثاني بمحمد ﷺ والقرآن.

وقيل: الأول بعبادتهم العجل والثاني: بكفرهم بمحمد ﷺ ﴿وللكافرين﴾ يعني الجاحدين نبوة محمد ﷺ من الناس كلهم ﴿عذاب مهين﴾ أي يهانون فيه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ يعني بالقرآن وقيل: بكل ما أنزل الله ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ يعني التوراة وما أنزل على أنبيائهم ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ أي بما سواه من الكتب وقيل: بما بعده يعني الإنجيل والقرآن ﴿وهو الحق﴾ يعني القرآن ﴿مصدقاً لما معهم﴾ يعني التوراة ﴿قل﴾ يا محمد ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾ إنما أضاف القتل للمخاطبين من اليهود، وإن كان سلفهم قتلوا لأنهم رضوا بفعلهم قيل: إذا عملت المعصية في الأرض فمن كرهها وأنكرها بريء منها، ومن رضيها كان من أهلها ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء. قوله عز وجل ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ أي بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ أي من بعد موسى لما ذهب إلى الميقات ﴿وأنتم ظالمون﴾ إنما كرره تبكيتاً لهم وتأكيداً للحجة عليهم ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا﴾ أي استجيبوا وأطيعوا أي فيما

﴿ وما ننزله إلّا بقدر ﴾ في [الحجر: ٢١]، ﴿ فباءوا ﴾: رجعوا ﴿ بغضب على غضب ﴾، أي: مع غضب، قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال قتادة: الأول بكفرهم بعيسى والإنجيل، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال السدي: الأول بعبادة العجل، والثاني بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿ وللكافرين ﴾: الجاحدين بنبوّة محمد ﷺ من الناس كلهم، ﴿ عذابٌ مُهين ﴾: مخزٍ يُهانون فيه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ﴾، يعني: القرآن، ﴿ قالوا نؤمن بما أنزل علينا ﴾، يعني: التوراة، يكفينا ذلك، ﴿ ويكفرون بما وراءه ﴾، أي: بما سواه من الكتب، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ فمَن ابتغى وراء ذلك ﴾ [المؤمنون: ٧، المعارج: ٣١] أي: سواه، وقال أبو عبيدة: بما بعده، ﴿ وهو الحق ﴾، يعني القرآن، ﴿ مصدّقاً ﴾، نُصب على الحال، ﴿ لِما معهم ﴾: من التوراة، ﴿ قل ﴾: لهم يا محمد ﴿ فلم تقتلون ﴾، أي: قتلتم، ﴿ أنبياء الله من قبل ﴾، و(لِـم) أصله لمّا، فحذفت الألف فرقاً بين الخبر والاستفهام، كقولهم فيمَ وبمَ، ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾: بالتوراة، وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبيّنات ﴾ بالدّلالات الواضحة والمعجزات الباهرة، ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل، ﴿ وأنتم ظالمون ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطورَ خُذوا ما آتيناكم بقوةٍ واسمعوا ﴾، أي: استجيبوا وأطيعوا، سميت الطاعة والإجابة: سمعاً على المجاز، لأنه سبب للطاعة والإجابة، ﴿ قالوا سَمِعْنَا ﴾: قَوْلَك،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أمرتم به ﴿قالوا سمعنا﴾ يعني قولك ﴿وعصينا﴾ يعني أمرك وقيل إنهم لم يقولوا بألسنتهم، ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك إليهم ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ أي تداخل حبه في قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب. وقيل: إن موسى أمر أن يبرد العجل ويذرى في النهر وأمرهم أن يشربوا منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل، ظهر سحالة الذهب على شاربه ﴿قل بئسما يأمركم به إيمانكم﴾ أي بأن تعبدوا العجل والمعنى بئس الإيمان إيمان يأمر بعبادة العجل ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي بزعمكم وذلك أنهم قالوا: نؤمن بما أنزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ
حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس﴾ وذلك أن اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم: لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً وقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال: قل يا محمد لليهود إن كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة لكم دون الناس ﴿فتمنوا الموت﴾ أي فاطلبوه واسألوه لأن من علم أن الجنة مأواه وأنها له حن إليها ولا سبيل إلى دخولها إلّا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي في قولكم ودعواكم، روي ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه وما بقي على وجه الأرض يهودي إلّا مات» قال الله تعالى: ﴿ولن يتمنوه أبداً﴾ أي لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون ﴿بما قدمت أيديهم﴾ يعني من الأعمال السيئة، وإنما أضاف العمل إلى اليد لأن أكثر جنايات الإنسان تكون من يده

﴿ وعَصَيْنا ﴾: أمْرَكَ، وقيل: سمعنا بالأذن، وعصينا بالقلوب، قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقّوه بالعصيان: نُسب ذلك إلى القول اتّساعاً. ﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾، أي: حبَّ العجل، أي معناه: أُدخل في قلوبهم حبّ العجل وخالطها، كإشراب اللون لشدّة الملازمة، يقال: فلان أُشرِب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة، وفي القصص: أن موسى أمر أن يبرد العجل بالمِبرَد، ثم يذره في النهر وأمرهم بالشرب منه، فمَن بقي في قلبه شيء من حبّ العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه، قوله عزّ وجلّ: ﴿ قلْ بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾: أن تعبدوا العجل من دون الله، أي: بئس إيمان يأمر بعبادة العجل، ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾: بزعمكم وذلك أنهم قالوا: نؤمن بما أُنزل علينا، فكذّبهم الله عزّ وجلّ.

قوله تعالى: ﴿ قل إن كانت لكم الدارُ الآخرة عند الله ﴾، وذلك أن اليهود ادّعوا دعاوى باطلة مثل قولهم: ﴿ لن تمسّنا النار إلّا أياماً معدودة ﴾ [البقرة: ٨٠]، و﴿ لن يدخل الجنة إلّا مَن كان هُوداً أو نصارى ﴾ [البقرة: ١١١ ﴾، وقولهم: ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة: ١٨] فكذّبهم الله عزّ وجلّ وألزمهم الحُجّة فقال: قل لهم يا محمد إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله، يعني: الجنة، ﴿ خالصة ﴾، أي خالصة ﴿ من دون الناس فتمنّوا الموت ﴾، أي: فأريدوه أو اسألوه، لأن مَن علم أن الجنة مأواه حنّ إليها، ولا سبيل إلى دخولها إلّا بعد الموت، فاستعجلوه بالتمنّي، ﴿ إن كنتم صادقين ﴾: في قولكم، وقيل: فتمنّوا الموت، أي: ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة، ورُوِيَ عن ابن عباس أن النبيَّ ﷺ قال: «لو تمنّوا لغصّ كل إنسان منهم بريقه وما بقي على وجه الأرض يهودي إلّا مات».

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿والله عليم بالظالمين﴾ فيه تخويف وتهديد لهم، وإنما خصهم بالظلم لأنه أعم من الكفر لأن كل كافر ظالم وليس كلّ ظالم كافراً فلهذا كان أعم وكانوا أولى به ﴿ولتجدنهم﴾ اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود ﴿أحرص الناس على حياة﴾ أي حياة متطاولة، والحرص أشد الطلب ﴿ومن الذين أشركوا﴾ قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى وأحرص من الذين أشركوا. فإن قلت: الذين أشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله أحرص الناس فلم أفردهم بالذكر؟. قلت: أفردهم بالذكر لشدّة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لأن الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون إلاّ الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها، فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقاً بالتوبيخ العظيم وقيل: إن الواو واو استئناف تقديره ومن الذين أشركوا أناس ﴿يود أحدهم﴾ وهم المجوس سموا بذلك لأنهم يقولون: بالنور والظلمة يود أن يتمنى أحدهم ﴿لو يعمر ألف سنة﴾ أي تعمير ألف سنة وإنما خص الألف لأنها نهاية العقود ولأنها تحية المجوس فيما بينهم يقولون: زه هز إرسال أي عش ألف سنة أو ألف نيروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم. والمعنى أن اليهود أحرص من المجوس الذين يقولون ذلك ﴿وما هو بمزحزحه﴾ أي بمباعده ﴿من العذاب﴾ أي النار ﴿أن يعمر﴾ أي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب ﴿والله بصير بما يعملون﴾ أي لا يخفى عليه خافية من أحوالهم. قوله عز وجل:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿قل من كان عدواً لجبريل﴾ قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية أن عبدالله بن صوريا حبر من أحبار اليهود قال للنبي ﷺ أي ملك يأتيك من السماء؟ قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان ميكائيل لآمنا بك إن جبريل ينزل بالعذاب والشدّة والخسف، وإنه عادانا مراراً وأشد ذلك علينا أن الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له: بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاماً مسكيناً، فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل

قال الله تعالى: ﴿ ولن يتمنّوه أبداً بما قدّمت أيديهم ﴾، لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون، وأراد بما قدّمت أيديهم ما قدّموه من الأعمال، وأضاف العمل إلى اليد لأن أكثر جنايات الإنسان تكون باليد، فأُضيف إلى اليد أعماله، وإن لم يكن لليد فيها عمل، ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾.

﴿ ولتجدنّهم ﴾، اللام لام القسم، والنون تأكيد للقسم، تقديره: والله لتجدنّهم يا محمد، يعني: اليهود ﴿ أحرصَ الناسِ على حياة ومن الذين أشركوا ﴾، قيل: هو متصل بالأول، أي: وأحرص من الذين أشركوا، وقيل: تمّ الكلام بقوله: ﴿ على حياة ﴾، ثم ابتدأ ﴿ ومن الذين أشركوا ﴾، وأراد بالذين أشركوا المجوس، قال أبو العالية والربيع: سُمّوا مشركين لأنهم يقولون بالنور والظلمة. ﴿ يَوَدّ ﴾: يريد ويتمنى، ﴿ أحدهم لو يُعَمّر ألف سنة ﴾، يعني: تعمير ألف سنة، وهي تحية المجوس فيما بينهم، يقولون: عش ألف سنة وكل ألف نيروز ومهرجان، يقول الله تعالى: اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك: ﴿ وما هو بمزحزحه ﴾: مُباعده ﴿ من العذاب ﴾: من النار ﴿ أنْ يعمر ﴾، أي: طول عمره لا يبعده من العذاب، و(زحزح) لازم ومتعدٍّ، يقال: زحزحته: فتزحزح، وزحزحته: فزحزح، ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾، قرأ يعقوب بالتاء والباقون بالياء.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ قل مَن كان عدوّاً لجبريل ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن حَبراً من أحبار اليهود، يقال له عبد الله بن صوريا قال للنبي ﷺ: أيُّ ملك يأتيك من السماء؟ قال: جبريل، قال: ذلك عدوّنا من الملائكة، ولو كان ميكائيل لآمنّا بِك، إن جبريل ينزل العذاب والقتال والشدّة وإنه عادانا مراراً، كان أشدّ ذلك علينا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وقال: إن كان الله أمره بهلاككم فلن تسلط عليه وإن لم يكن هو فعلى أي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس، فلهذا نتخذه عدواً فأنزل الله هذه الآية وقيل: قالوا إن الله أمره أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذناه عدواً. وقيل إن عمر بن الخطاب كان له أرض بأعلى المدينة وكان ممره إليها على مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوماً ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك وإنا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم، لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد ﷺ وأرى آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمداً على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة، وإن ميكائيل يجيء بالخصب والسلامة، فقال لهم: تعرفون جبريل وتنكرون محمداً ﷺ؟ قالوا: نعم قال فأخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر أشهد أن من كان عدواً لأحدهما كان عدواً للآخر. ومن كان عدواً لهما كان عدواً لله ثم رجع عمر إلى النبي ﷺ فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآيات وقال: لقد وافقك ربك يا عمر، فقال عمر: والله لقد رأيتني بعد ذلك في ديني أصلب من الحجر. والأقرب أن سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي ﷺ بالوحي لأن قوله: فإنه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله ﴿**فإنه نزله**﴾ يعني جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور ﴿**على قلبك**﴾ يا محمد وإنما خص القلب بالذكر لأنه محل الحفظ ﴿**بإذن الله**﴾ أي بأمره ﴿**مصدقاً**﴾ أي موافقاً ﴿**لما بين يديه**﴾ أي لما قبله من الكتب ﴿**وهدى وبشرى للمؤمنين**﴾ أي في القرآن هداية للمؤمنين إلى الأعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها إذا أتوا بها.

أن الله تعالى أنزل على نبيِّنا: أنّ بيت المقدس سيخرب على يد رجل يُقال له: بختنصر، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلبه ليقتله، فانطلق حتى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً فأخذه ليقتله، فدفع عنه جبريل، وكبر بختنصر وقوي وغزانا وخرّب بيت المقدس، فلهذا نتّخذه عدوّاً، فأنزل الله هذه الآية، وقال مقاتل: قالت اليهود إن جبريل عدوّنا لأنه أُمر أن يجعل النبوّة فينا فجعلها في غيرنا، وقال قتادة وعكرمة والسدي: كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة، وممرّها على مدارس اليهود، فكان إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم، فقالوا له: ما في أصحاب محمد أحبّ إلينا منك، إنهم يمرّون بها فيؤذوننا وأنت لا تؤذينا وإنّا لنطمع فيك، فقال عمر: والله ما آتيكم لحبّكم ولا أسألكم لأني شاكٌّ في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد ﷺ، وأرى آثاره في كتابكم، فقالوا: مَن صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة؟ قال: جبريل، فقالوا: ذاك عدوّنا يُطلع محمداً على سرّنا، وهو صاحب كل عذاب وخسف وسَنَةٍ وشدّة، وإنّ ميكائيل إذا جاء، جاء بالخصب والسلم، فقال لهم عمر: تعرفون جبريل وتنكرون محمداً قالوا: نعم، قال: فأخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله عزّ وجلّ، قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وميكائيل عدوّ لجبريل، قال عمر: فإني أشهد أن مَن كان عدوّاً لجبريل فهو عدوّ لميكائيل، ومَن كان عدوّاً لميكائيل فإنه عدوّ لجبريل، ومَن كان عدوّاً لهما كان الله عدوّاً له، ثم رجع عمر إلى رسول الله ﷺ، فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآيات فقال: «لقد وافقك ربّك يا عمر»، فقال عمر: لقد رأيتني بعد ذلك في دين الله أصْلب من الحجر، قال الله تعالى: ﴿ **قل مَن كان عدوّاً لجبريل** ﴾: ﴿ **فإنه** ﴾: يعني: جبريل ﴿ **نزّله** ﴾، يعني: القرآن، كناية عن غير مذكور، ﴿ **على قلبك** ﴾: يا محمد ﴿ **بإذن الله** ﴾: بأمر الله ﴿ **مصدّقاً** ﴾: موافقاً ﴿ **لما بين يديه** ﴾: لما قبله من الكتب، ﴿ **وهدىً وبشرى للمؤمنين** ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل﴾ لما بين في الآية الأولى أن من كان عدواً لجبريل لأجل، أنه نزل بالقرآن على قلب محمد ﷺ، وجب أن يكون عدواً لله. لأن الله تعالى هو الذي نزله على محمد بين في هذه الآية أن كل من كان عدواً لأحد هؤلاء، فإنه عدو لجميعهم وبين أن الله عدوه بقوله: ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾ فأما عداوتهم لله فإنها لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم إلى العذاب الدائم، الذي لا ضرر أعظم منه، وقيل: المراد من عداوتهم لله وعداوتهم لأوليائه وأهل طاعته فهو كقوله «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله» أي يحاربون أولياء الله وأهل طاعته. وقوله وملائكته ورسله، يعني أن من عادى واحداً منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل إنما خصهما بالذكر وإن كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لأن جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الأرواح وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الأبدان، وجبريل وميكائيل اسمان أعجميان.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ مَن كان عدوّاً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴾: خصّهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولها في قوله: ﴿ وملائكته ﴾، تفضيلاً وتخصيصاً، كقوله تعالى: ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمّان ﴾ [الرحمٰن: ٦٨]، خصّ النخل والرمّان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة، للتفضيل، والواو فيهما بمعنى «أو»، يعني: مَن كان عدوّاً لأحد هؤلاء فإنه عدوٌّ للكل، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل، ﴿ فإن الله عدوٌّ للكافرين ﴾، قال عكرمة: جيروميت وإسراف هي العبد بالسريانية، وآل وإيل هو الله تعالى، ومعناهما: عبد الله وعبد الرحمن، وقرأ ابن كثير « جبريل » بفتح الجيم غير مهموز، بوزن فعليل، قال حسّان:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدّيس ليس له كفاء

وقرأ حمزة والكسائي بالهمزة والإشباع وزن (سلسبيل)، وقرأ أبو بكر بالاختلاس، وقرأ الآخرون بكسر الجيم غير مهموز، وميكائيل قرأ أبو عمر ويعقوب وحفص « ميكال » بغير همز، قال جرير:

عبدوا الصليب وكذّبوا بمحمد وبجبرائيل وكذبوا ميكال

وقال آخر:

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع نصر جبريل وميكال

وقرأ نافع وأهل المدينة: بالهمزة والاختلاس، بوزن ميكاعل، وقرأ الآخرون: بالهمزة والإشباع بوزن ميكاعيل، قال ابن صوريا: ما جئتنا بشيء نعرفه، فأنزل الله تعالى:

﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بيّنات ﴾: واضحات مفصّلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام، ﴿ وما يكفر بها إلّا الفاسقون ﴾: الخارجون عن أمر الله عزّ وجلّ.

﴿ أوَ كُلّما ﴾، واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام، ﴿ عاهدوا عهداً ﴾، يعني: اليهود عاهدوا: لئن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ومعناهما: عبدالله وعبدالله لأن جبر وميك بالسريانية هو العبد وإيل هو الله ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ قال ابن عباس: هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله ﷺ يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فأنزل الله هذه الآيات، ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام ﴿وما يكفر بها﴾ أي وما يجحد بهذه الآيات ﴿إلاّ الفاسقون﴾ أي الخارجون عن طاعتنا وما أمروا به ﴿أو كلما عاهدوا عهداً﴾ قال ابن عباس: لما ذكرهم رسول الله ﷺ ما أخذ عليهم من العهود في محمد ﷺ وأن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف: والله ما عهد إلينا في محمد عهد فأنزل الله هذه الآية أو كلما استفهام إنكار عاهدوا عهداً هو قولهم: إنه قد أظلّ زمان نبي مبعوث وإنه في كتابنا وقيل إنهم عاهدوا الله عهوداً كثيرة ثم نقضوها ﴿نبذه﴾ أي طرح العهد ونقضه ﴿فريق منهم﴾ يعني اليهود ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿مصدق لما معهم﴾ يعني مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل: إن التوراة بشرت بنبوة محمد ﷺ فلما بعث محمد ﷺ كان مجرد مبعثه مصدقاً للتوراة ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم﴾ قيل: أراد بالكتاب القرآن. وقيل: التوراة وهو الأقرب لأن النبذ لا يكون إلاّ بعد التمسك، ولم يتمسكوا بالقرآن. أما نبذهم التوراة فإنهم كانوا يقرؤونها ولا يعملون بها. وقيل: إنهم أدرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا ما فيها ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ يعني أنهم

خرج محمدٌ ﷺ لَتُؤمننّ به، فلما خرج إليهم محمد ﷺ كفروا به، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمّا ذكّرهم رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم وعهد إليهم في محمد ﷺ أن يؤمنوا به، قال مالك بن الصيف: والله ما عهد إلينا عهداً في محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يدلّ عليه قراءة أبي رجاء العطاردي «أو كلما عُوهدوا» فجعلهم مفعولين وقال عطاء؛ هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود: أن لا يعاونوا المشركين على قتاله، فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير، دليله قوله تعالى: ﴿ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم ﴾ [الأنفال: ٥٦]، ﴿ نبذه ﴾: طرحه ونقضه ﴿ فريق ﴾: طوائف ﴿ منهم ﴾؛ من اليهود، ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾.

﴿ ولمّا جاءهم رسول من عند الله ﴾، يعني: محمداً ﴿ مصدّقٌ لما معهم نبذَ فريقٌ من الذين أُوتوا الكتابَ كتابَ الله وراءَ ظهُورهم ﴾، يعني: التوراة، وقيل: القرآن، ﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾، قال الشعبي: كانوا يقرأون التوراة ولا يعملون بها، وقال سفيان بن عيينة: أدرجوها في الحرير والديباج وحلّوها بالذهب والفضة ولم يعملوا بها، فذلك نبذهم.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة، وإنما حملهم على ذلك عداوة النبي ﷺ وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وكتموا أمره وكان أولئك النفر قليلاً. قوله عز وجل: **﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾** يعني اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين، ومعنى تتلو تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب **﴿على ملك سليمان﴾** وهو قولهم: إن سليمان ملك الناس بالسحر وقيل: على ملك سليمان أي على عهده وزمانه. وقصة ذلك أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف: هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل: إن بني إسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانه فمنعهم سليمان من ذلك وأخذ كتبهم ودفنها تحت سريره، فلما مات استخرجها الشياطين. وقالوا للناس إنما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فأما صلحاء بني إسرائيل وعلماؤهم فأنكروا ذلك. وقالوا: معاذ الله أن يكون هذا العلم من علم سليمان وأما السفلة منهم. فقالوا: هذا هو علم سليمان وأقبلوا على تعليمه وتركوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان. فلم تزل هذه حالهم إلى أن بعث الله تعالى محمداً ﷺ وأنزل عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى: **﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان﴾ ﴿وما كفر سليمان﴾** يعني بالسحر ولم يعمل به، وفيه تنزيه سليمان عن السحر، وذلك أن اليهود أنكروا نبوة سليمان، وقالوا: إنما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والإنس له بسبب السحر وقيل: إن السحرة من اليهود زعموا أنهم أخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك، وقيل إن بعض أحبار اليهود قال ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبياً وما كان إلّا ساحراً

﴿ واتبعوا ﴾، يعني: اليهود **﴿ ما تتلو الشياطين ﴾**، أي: ما تلت، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كانت تتلو، أي: تقرأ، قال ابن عباس رضي الله عنه: تتبع وتعمل به، وقال عطاء: تحدّث وتتكلم به، **﴿ على مُلك سليمان ﴾**، أي: في ملكه وعهده، وقصة الآية: أن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف بن برخيا: هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك، ثم دفنوها تحت مصلاه حتى نزع الله الملك عنه، ولم يشعر بذلك سليمان، فلما مات استخرجوها وقالوا: للناس إنما مَلَكهم سليمان بهذا فتعلّموها، فأمّا علماء بني إسرائيل وصلحاؤهم فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا من علم سليمان، وأمّا السَّفَلَة فقالوا: هذا علم سليمان وأقبلوا على تعلّمه، ورفضوا كتب أنبيائهم وفَشَت الملامة لسليمان، فلم يزل هذا حالهم حتى بعث الله محمداً ﷺ، وأنزل عليه براءة سليمان، هذا قول الكلبي، وقال السدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فيستمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره، فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها، فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجن تَعْلَمُ الغيبَ، فبعث سليمان في الناس، وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنه تحت كرسيه، وقال: لا أسمع أحداً يقول إن الشيطان يعلم الغيب إلّا ضربت عنقه، فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب، وخلف من بعدهم خلف تمثّل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفراً من بني إسرائيل، فقال: هل أدلّكم على كنز لا تأكلونه أبداً قالوا: نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان، وقام ناحية فقالوا: ادنُ، قال: لا ولكن ههنا فإن لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي إلّا احترق، فحفروا وأخرجوا تلك الكتب، قال الشيطان: إن سليمان كان يضبط الجنّ والإنس والشياطين والطير بهذا، ثم طار الشيطان وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً وأخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود، فلما جاء محمد ﷺ برّأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل في عذر سليمان: **﴿ وما كفر سليمان ﴾**: بالسحر وقيل: لم يكن سليمان كافراً يسحر ويعمل به، **﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾**، قرأ ابن عباس رضي الله عنه والكسائي وحمزة

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فأنزل الله تعالى: ﴿وما كفر سليمان﴾ يعني أن سليمان كونه نبياً ينافي كونه ساحراً كافراً ثم بين الله تعالى أن الذي برأه منه لاحق بغيره فقال ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ يعني أن الذين اتخذوا السحر لأنفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى: ﴿يعلمون الناس السحر﴾ يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر. وقيل: يحتمل أن يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله: واتبعوا. وسمي السحر سحراً لخفاء سببه، فلا يفعل إلاّ في خفية وقيل: معنى السحر الإزالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا أي ما صرفك عنه فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه هذا أصله من حيث اللغة، وأما حقيقته فقد قيل: إنه عبارة عن التمويه والتخييل، ومذهب أهل السنة أن له وجوداً أو حقيقة والعمل به كفر وذلك إذا اعتقد أن الكواكب هي المؤثرة في قلب الأعيان وروي عن الشافعي أنه قال: السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به وقيل إن السحر يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الإنسان على صورة الحمار، والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء، وهذا القول ضعيف عند أهل السنة لأنهم قالوا: إن الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الأشياء عند عمل الساحر لذلك إلاّ أن الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والأصح، أن السحر يخيل ويؤثر في الأبدان بالأمراض والجنون والموت، ويدل على ذلك أن للكلام تأثيراً في الطباع فقد يسمع الإنسان ما يكره فيحم، وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الأبدان وأما حكمه فإنه من الكبائر التي نهى عنها، ويحرم تعلمه لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قيل

« ولكن »، خفيفة النون، و« الشياطين »، رفع، وقرأ الآخرون « ولكن »، مشدّدة النون « والشياطين » نصب، وكذلك ﴿ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى ﴾ [الأنفال: ١٧]، ومعنى لكن نفي الخبر الماضي وإثبات المستقبل، ﴿ يُعلّمون الناس السحر ﴾، قيل معنى السحر: العلم والحذق بالشيء، قال الله تعالى: ﴿ وقالوا يا أيها الساحر ادعُ لنا ربّك ﴾ [الزخرف: ٤٩] أي: العالم، والصحيح أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السُّنّة وعليه أكثر الأمم، ولكن العمل به كفر، حُكِيَ عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: السحر يُخيل ويُمرض وقد يقتل، حتى أوجب القصاص على مَن قتل به، فهو من عمل الشيطان يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه، فإذا تلقّاه منه بتعليمه إياه استعمله في غيره، وقيل: إنه يُؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة الحمار، ويجعل الحمار على صورة الكلب، والأصح أن ذلك تخييل، قال الله تعالى: ﴿ يُخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ [طه: ٦٦]، لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون، وللكلام تأثير في الطِّباع والنفوس، وقد يسمع الإنسان ما يكره فيَحْمى ويغضب، وربما يُحم منه، وقد مات قوم بكلام سمعوه، فهو بمنزلة العوارض والعِلل التي تُؤثّر في الأبدان.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وما أُنزل على الملكين ببابل ﴾، أي: ويعلمون الذي أُنزل على الملكين، أي: إلهاماً وعلماً، فالإنزال: بمعنى الإلهام والتعليم وقيل: واتّبعوا ما أنزل على الملكين، وقرأ ابن عباس والحسن: « الملكين » بكسر اللام، وقال ابن عباس: هما رجلان ساحران كانا ببابل، وقال الحسن: عِلْجان، لأن الملائكة لا يعلمون السحر، وبابل هي بابل العراق، سُمّيت بابل لتبلبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود، أي: تفرّقها، قال ابن مسعود: بابل أرض الكوفة، وقيل: جبل دماوند، والقراءة المعروفة: ﴿ على المَلَكين ﴾ بالفتح، فإن قيل: كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة؟ قيل: له تأويلان، أحدهما: أنهما لا يتعمّدان التعليم لكن يصفان السحر، ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه، والتعليم: بمعنى الإعلام، فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلّم السحر من صنعتهما، والتأويل الثاني هو الأصحّ: أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت، فمَن شقي يتعلّم السحر منهما

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يا رسول الله وما هن؟ قال: الإشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحق، وأكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» أخرجاه في الصحيحين. فعد رسول الله ﷺ السحر من الكبائر وثناه بالشرك وأمرنا باجتنابه، وقوله: الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين: أحدهما، يكفر به صاحبه وهو أن يعتقد أن القدرة لنفسه في ذلك، وهو المؤثر أو يعتقد أن الكواكب هي المؤثرة الفعالة فإذا انتهى به السحر إلى هذه الغاية صار كافراً بالله تعالى، ويجب قتله لما روي عن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «حد الساحر ضربه بالسيف» أخرجه الترمذي. والقسم الثاني، من السحر وهو التخييل الذي يشاكل النيرنجيات والشعبذة، ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا أن الكواكب هي المؤثرة ويعتقد أن القدرة لله تعالى، وأنه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر، ويحرم فعله فإن قتل بسحره قتل قصاصاً لما روي عن مالك أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها، فأمرت بها فقتلت أخرجه في الموطأ. قوله عز وجل: ﴿وما أنزل على الملكين﴾ أي ويعلمون الذي أنزل على الملكين والإنزال هنا بمعنى الإلهام والتعليم أي ما ألهما وعلما وقرىء في الشاذ الملكين بكسر اللام. قال: هما رجلان ساحران كانا ببابل. وقيل: علجان ووجهه أن الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام. فإن قلت: كيف يجوز أن يضاف إلى الله تعالى إنزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر؟ قلت: قال ابن جرير الطبري إن الله تعالى عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه، ولو كان الأمر على غير ذلك لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم، والسحر مما نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر أن يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهم يقولان: لمن جاء يتعلم ذلك منهما: إنما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتمحض المؤمن بتركه التعليم منهما، ويجري للكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما ويكون الملكان في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى إذ كان عن إذن الله تعالى، لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما ما بعد نهيهما إياه عنه بقولهما إنما نحن فتنة فلا تكفر، إذ كانا قد أديا ما أمرا به. وقال غيره؛ إنهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما، وتعلم السحر من وصفهما، والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما. وقيل: إن الله تعالى امتحن الناس بهما

فيكفر به، ومَن سعد يتركه، فيبقى على الإيمان، ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً ففيه ابتلاء للمعلّم والمتعلّم، ولله أن يمتحن عباده بما شاء فله الأمر والحكم، قوله عزّ وجلّ: ﴿ هاروتَ وماروتَ ﴾: هما اسمان سريانيان وهما في محل الخفض على تفسير الملكين إلاّ أنهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما، وكانت قصتهما على ما ذكر ابن عباس والمفسّرون: أن الملائكة رَأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام، فعيّروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض خليفة واخترتهم، فهم يعصونك فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض وركّبتُ فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم مثل ما ارتكبوا، فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك، قال الله تعالى: فاختاروا ملكين من خيّاركم أهبطهما إلى الأرض، فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم، وقال الكلبي: قال الله تعالى لهم: اختاروا ثلاثة فاختاروا عزائيل وهو هاروت وعزايا وهو ماروت، غيّرا اسمهما لمّا قارفا الذنب، فركّب الله فيهم الشهوة وأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر، فأمّا عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربّه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله، فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه ولم يزل بعد مطأطئاً رأسه حياءً من الله تعالى،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على إيمانه، ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني إسرائيل بنهر طالوت بقوله: ﴿فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني﴾ ﴿ببابل﴾ قيل: هي بابل العراق بأرض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود. وقيل: إنها بابل نهاوند والأول أصح وأشهر ﴿هاروت وماروت﴾ اسمان سريانيان. وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره. قالوا: إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام عيروهم. وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى: فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض فاختاروا هاروت وماروت، وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا، فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما إلى الأرض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك، والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر، فكانا يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا. وقيل: بل افتتنا في أول يوم وذلك أنه اختصم إليهما امرأة يقال لها: الزهرة وكانت من أجمل أهل فارس. وقيل: كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي. قال: نعم فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت. ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت: لا إلاّ أن تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهانا عنها. فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث، ومعها قدح خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا: الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما إنسان فقتلاه خوف الفضيحة. وقيل: إنهما سجدا للصنم. وقيل: جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها. فقال: أحدهما للآخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي؟ قال: نعم قال هل لك أن تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب. فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت: لا إلاّ أن يقضيا لي على زوجي فقضيا. ثم سألاها نفسها فقالت: لا إلاّ أن تقتلاه فقال أحدهما: لصاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من

وأمّا الآخران فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومَهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا به إلى السماء، قال قتادة: فما مرّ عليهما شهر حتى افتتنا، قالوا جميعاً، وذلك أنه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء، قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: وكانت من أهل فارس، وكانت ملكة في بلدها، فلما رأياها أخذت بقلوبهما، فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت، ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبت، وقالت: لا إلاّ أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم، وتقتلا النفس وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهانا عنها، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس، فقالا: الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة، فزنيا فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه، قال الربيع بن أنس: وسجدا للصنم، فمسخ الله الزهرة كوكباً. وقال بعضهم: جاءتهما امرأةٌ من أحسن الناس تخاصم زوجاً لها، فقال أحدهما للآخر: هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي؟ قال: نعم، فقال: وهل لك أن تقضي لها على زوجها؟ فقال له صاحبه: أمَا تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه: أمَا تعلم ما عند الله من

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

العفو والرحمة؟ فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت: لا إلاّ أن لي صنماً أعبده إن أنتما صليتما معي عنده فعلت. فقال أحدهما: لصاحبه مثل القول الأول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهاباً. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قالت لهم لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء فقالا: اسم الله الأكبر. قالت: فما أنتما بمدركي حتى تعلماني إياه فقال أحدهما للآخر: علمها. فقال: إني أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً، فذهب بعضهم إلى أنها هي الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا: إن الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي أقسم الله بها فقال: ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾ والتي فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهاباً. قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب، هما بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما، فعلما ما حل بهما فقصدا إدريس النبي عليه السلام وأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل. وقالا له: رأينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى ربك ففعل ذلك إدريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. فاختاروا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع، فهما ببابل يعذبان قيل: إنهما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة. وقيل: إنهما منكوسان يضربان بسياط الحديد. وقيل: إن رجلاً قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلاّ قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش، فلما رأى ذلك هاله فقال: لا إله إلاّ الله فلما سمعا كلامه قالا: لا إله إلاّ الله من أنت؟ قال: رجل من الناس. فقالا: من أي أمة أنت؟ قال: من أمة محمد ﷺ قالا؟ أو قد بعث محمد ﷺ قال: نعم فقال: الحمد لله وأظهر الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما؟ قالا: إنه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا.

فصل: في القول بعصمة الملائكة:

أجمع المسلمون على أن الملائكة معصومون فضلاً، واتفق أئمة المسلمين على أن حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين، سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شيء ثبتت فيه عصمة الأنبياء فكذلك

العفو والرحمة، فسألاها عن نفسها فقالت: لا إلاّ أن تقضيا لي على زوجي، فقضيا لها ثم سألاها نفسها، فقالت: لا إلاّ أن تقتلاه فقال أحدهما: أمَا تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه: أمَا تعلم ما عند الله من العفو والرحمة، فقتلاه ثم سألاها نفسها، فقالت: لا إلاّ أن لنا صنماً نعبده إن أنتما صلّيتما معي عنده فعلتُ، فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول، وقال صاحبه مثله، فصُلبَا معها فمُسِخَتْ شهاباً. قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه والكلبي والسدي: إنها قالت لهما: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء فقالا باسم الله الأكبر، قالت: فما أنتم بمدركي حتى تعلّمانيه، فقال أحدهما لصاحبه: علّمها، فقال: إني أخاف الله، قال الآخر فأين رحمة الله تعالى؟ فعلّماها ذلك، فتكلّمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً، وذهب بعضهم إلى أنها هي الزهرة بعينها، وأنكر الآخرون هذا وقالوا: إن الزهرة من الكواكب السبعة السيّارة التي أقسم الله بها، فقال: ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾ [التكوير: ١٥] والتي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى الزهرة لجمالها، فلما بَغَت مسخها الله تعالى شهاباً، قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب همّا بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما، فعلما ما حلّ بهما فقصدا إدريس النبيّ عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عزّ وجلّ، قالا له: إنّا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا إلى ربك، ففعل ذلك إدريس عليه السلام فخيّرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا إذ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الملائكة وأنهم مع الأنبياء في التبليغ إليهم، كالأنبياء مع أممهم، ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين. وجميع المعتزلة إلى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي، واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية، وذهب طائفة إلى أن غير المرسلين من الملائكة غير معصومين، واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن علي وما نقله أهل الأخبار والسير. ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بألفاظ متقاربة. عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وكعب الأحبار والسدي والربيع ومجاهد. وأجاب من ذهب إلى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت، بأن ما نقله المفسرون وأهل الأخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله ﷺ منه شيء وهذه الأخبار إنما أخذت من اليهود، وقد علم افتراؤهم على الملائكة والأنبياء وقد ذكر الله عز وجل في هذه الآيات، افتراء اليهود على سليمان أولاً، ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانياً، قالوا: ومعنى الآية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعله عليه الشياطين، واتبعتهم في ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم، وذكروا أيضاً في الجواب عن هذه القصة وأنها باطلة وجوهاً: الأول: إن في القصة أن الله تعالى قال: للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتموني، قالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت أنهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم. الوجه الثاني: أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وذلك فاسد لأن الله تعالى لا يخير من أشرك، وإن كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما. الوجه الثالث أن المرأة لما فجرت فكيف يعقل أنها صعدت إلى السماء وصارت كوكباً وعظم الله قدرها بحيث أقسم بها في قوله: ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾ فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة، والله أعلم بصحة ذلك وسقمه. والأولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا﴾ يعني وما يعلمان أحداً حتى ينصحاه أولاً ويقولا ﴿إنما نحن فتنة﴾ أي ابتلاء ومحنة ﴿فلا تكفر﴾ أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر، قيل: يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فإن أبى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له: ائت هذا الرماد فبل عليه فإذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السماء فذلك الإيمان والمعرفة. وينزل شيء أسود مثل

علما أنه ينقطع فهما ببابل يعذَّبان، واختلفوا في كيفية عذابهما، فقال عبد الله بن مسعود: هما معلّقان بشعورهما إلى قيام الساعة، وقال عطاء بن أبي رباح: رؤوسهما مصوّبة تحت أجنحتهما، وقال قتادة: كُبّلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما، وقال مجاهد: جُعِلا في جبّ مُلِيء ناراً، وقال عمر بن سعد: منكوسان يُضرَبان بسِياط الحديد، ورُوِيَ أن رجلاً قصد هاروت وماروت لتعلّم السحر فوجدهما معلّقين بأرجلهما مزرقّة أعينهما مسودّة جلودهما، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلّا أربع أصابع، وهما يعذّبان بالعطش، فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال: لا إلّه إلّا الله فلما سمعا كلامه قالا له: مَن أنت؟ قال: رجل من الناس، قالا: من أيّ أُمّة؟ قال: من أمة محمد ﷺ، قالا: أو قد بُعث محمد ﷺ؟ قال: نعم، قالا: الحمد لله وأظهر الاستبشار، فقال الرجل: وبِمَ استبشاركما؟ قالا: إنه نبيّ الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا. ﴿ وما يُعلمان من أحد ﴾، أي: أحداً و﴿ من ﴾ صلة ﴿ حتى ﴾: ينصحاه أولاً، ﴿ يقولا إنما نحن فتنة ﴾: ابتلاءٌ ومحنةٌ، ﴿ فلا تكفر ﴾، أي: لا تتعلّم السحر فتعمل به فتكفر، وأصل الفتنة: الاختبار والامتحان، من قولهم: فتنة الذهب والفضة، إذا أذبتهما بالنار ليتميّز الجيد من الرديء، وإنما وحّد الفتنة وهما اثنان لأن الفتنة مصدر، والمصادر لا تُثنّى ولا تُجمَع، وقيل: إنهما يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات، قال عطاء والسدي: فإن أبى إلّا التعلّم قالا له: إئت هذا الرماد فبلْ عليه فيخرج منه نور ساطع في السماء، فذلك نور المعرفة، وينزل شيءٌ أسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه، وذلك غضب الله تعالى، قال مجاهد: إن هاروت

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما﴾ يعني من الملكين ﴿ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ أي علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين، كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز، والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لا أن السحر له تأثير في نفسه بدليل قوله: ﴿وما هم﴾ يعني السحرة ﴿بضارين به﴾ أي بالسحر ﴿من أحد﴾ أي أحداً ﴿إلا بإذن الله﴾ أي بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته ﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ يعني السحر لأنهم يقصدون به الشر ﴿ولقد علموا﴾ يعني اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ أي اختار السحر ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ يعني ما له نصيب في الجنة ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ أي باعوا حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق ﴿لو كانوا يعلمون﴾ فإن قلت: كيف أثبت الله لهم العلم أولاً في قوله: ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم آخر في قوله لو كانوا يعلمون. قلت: قد علموا أن من اشترى السحر ما له في الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وما جاءت به الرسل عناداً منهم وبغياً، وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب فكأنهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلخين منه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿ولو أنهم﴾ يعني اليهود ﴿آمنوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ﴿واتقوا﴾ يعني اليهودية والسحر، وما يؤثمهم ﴿لمثوبة من عند الله﴾ أي لكان ثواب الله إياهم ﴿خير﴾ لهم يعني هذا الثواب ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يعني ذلك. قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ سبب نزول هذه الآية: أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله من المراعاة أي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً، بلغة اليهود ومعناها عندهم

وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلافة واحدة، ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه ﴾، وهو أن يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويبغض كل واحد إلى صاحبه قال الله تعالى: ﴿ وما هم ﴾، قيل: أي السحرة: وقيل: الشياطين، ﴿ بضارّين به ﴾، أي: بالسحر ﴿ من أحد ﴾، أي: أحداً ﴿ إلّا بإذن الله ﴾، أي: بعلمه وتكوينه، فالساحر يسحر والله يكوّن، قال سفيان الثّوري: معناه إلّا بقضائه وقدرته ومشيئته، ﴿ ويتعلمون ما يضرّهم ﴾، يعني: السحر يضرّهم، ﴿ ولا ينفعهم ولقد علموا ﴾: يعني اليهود، ﴿ لَمَنِ اشتراه ﴾: أي اختار السحر، ﴿ ما له في الآخرة ﴾، أي: في الجنّة، ﴿ من خَلاق ﴾، من نصيب ﴿ ولبئس ما شَروا به ﴾: باعوا به ﴿ أنفسهم ﴾، حظّ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق، ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾، فإن قيل: أليس قد قال: ﴿ ولقد علموا لَمَن اشتراه ﴾ فما معنى قوله تعالى: ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ بعدما أخبر أنهم علموا؟ قيل: أراد بقوله: ولقد علموا، يعني: الشياطين، وقوله: ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ يعني: اليهود، وقيل: كلاهما في اليهود ولكنهم لمّا لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا.

﴿ ولو أنهم آمنوا ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن، ﴿ واتقوا ﴾: اليهودية والسحر، ﴿ لمثوبة من عند الله خير ﴾: لكان ثواب الله إياهم خيراً لهم، ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾، وذلك أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله، من المراعاة، أي: أرعنا سمعك، أي: فرّغ سمعك لكلّ منّا، يقال: أرعى الله الشيء وأرعاه، أي: أصغى إليه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

اسمع لا سمعت. وقيل: من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا: راعنا يعني أحمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمداً سراً فأعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعناً يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه فقالوا: أولستم تقولونها فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ أي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله ﷺ ﴿وقولوا انظرنا﴾ أي انظر إلينا. وقيل معناه انتظرنا وتأن بنا وفهمنا ﴿واسمعوا﴾ أي ما تؤمرون به وأطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يقولوا لنبيه محمد ﷺ راعنا لئلا يتطرق أحد إلى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وأن يتخيروا لخطابه ﷺ من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أدقها، وإن سألوه بتبجيل وتعظيم ولين لا يخاطبوه بما يسر اليهود ﴿وللكافرين﴾ يعني اليهود ﴿عذاب أليم﴾ أي مؤلم.

مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

﴿ما يود﴾ أي ما يحب ﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ يعني اليهود ﴿ولا المشركين﴾ يعني عبدة الأوثان لأن الكفر اسم جنس تحته نوعان أهل الكتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الأوثان وهم من عبدوا غير الله ﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ يعني ما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ من الوحي والنبوة، وإنما كرهت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسداً وبغياً منهم على المؤمنين، وذلك أن المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد ﷺ قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيراً فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيباً لهم ﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ يعني أنه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده، ويتفضل بالإيمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ يعني أن كل خير ناله

واستمعه، وكانت هذه اللفظة سبّاً قبيحاً بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: هي من الرعونة كانوا إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا: راعنا، بمعنى: يا أحمق فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنّا نسب محمداً سرّاً فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: لئن سمعتها من أحد منكم يقولها للرسول ﷺ لأضربنّ عنقه، فقالوا: أوَ لستم تقولونها، فأنزل الله تعالى: ﴿ لا تقولوا راعنا ﴾ لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله ﷺ، ﴿ وقولوا انْظُرنا ﴾، أي: انظر إلينا، وقيل: انتظرنا وتأنَّ بنا، يقال نظرت فلاناً وانتظرته، ومنه قوله تعالى: ﴿ أنظرونا نقتبس من نوركم ﴾ [الحديد: ١٣]، قال مجاهد: معناه فهمنا، ﴿ واسمعوا ﴾: ما تؤمرون به وأطيعوا، ﴿ وللكافرين ﴾، يعني: اليهود، ﴿ عذابٌ أليم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ما يَودُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾، وذلك أن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد ﷺ، قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن عليه، ولَوَدِدنا لو كان خيراً، فأنزل الله تكذيباً لهم ما يَوَدّ الذين، أي: ما يحب وما يتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب، يعني: اليهود، ﴿ ولا المشركين ﴾، جرّه بالنسق على (مِنْ) ﴿ أن يُنزّل عليكم من خير من ربكم ﴾، أي: خير ونبوّة، و (مـن)،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عباده في دينهم ودنياهم، فإنه منه ابتداء وتفضلاً عليهم من غير استحقاق أحد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه. قوله عز وجل: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ الآية. وسبب نزولها أن المشركين قالوا: إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول: اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ما يقول: إلا من تلقاء نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿إذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر﴾ فأنزل ما ننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة في النسخ وأنه من عنده لا من عند محمد ﷺ. وأصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب، وهو أن ينقل من كتاب إلى كتاب آخر كذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى بل يقتضي إثبات مثله في كتاب آخر، فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخاً، وذلك أنه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ويكون النسخ بمعنى الرفع والإزالة وهو إزالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل، والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخاً وبعضه ناسخاً، وهو المراد من حكم هذه الآية وهو إزالة الحكم بحكم يعقبه.

فصل في حكم النسخ:

هو في اصطلاح العلماء، عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه، والنسخ جائز عقلاً وواقع سمعاً خلافاً لليهود، فإن منهم من ينكره عقلاً لكنه منعه سمعاً، وشذت طائفة قليلة من المسلمين فأنكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ، ووقوعه بأن الدلائل قد دلت على نبوة محمد ﷺ ونبوته لا تصح، إلا مع القول، بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ. ولنا على اليهود إلزامات: منها أن الله تعالى حرم عليهم العمل في يوم السبت، ولم يحرمه على من كان قبلهم. ومنها أنه قد جاء في التوراة أن الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك: إني جعلت كل دابة مأكولاً لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم. ثم إنه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بني إسرائيل كثيراً من الحيوانات. ومنها إن آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الأخ للأخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ، وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه: أحدها أن القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والإنجيل وغيرهما. الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا الوجه الثالث، وهو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء أن المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل

صلة، ﴿ والله يختصّ برحمته ﴾: بنبوّته، ﴿ مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾، والفضل ابتداء إحسان بلا علّة، وقيل: المراد بالرحمة الإسلام والهداية، وقيل معنى الآية: إنّ الله تعالى بعث الأنبياء من ولد إسحق فلما بعث النبيّ ﷺ من ولد إسماعيل لم يقع ذلك بِودّ اليهود ومحبتهم، وأمّا المشركون، فإنما لم يقع بودّهم لأنه جاء بتفضيحهم وعيب آلهتهم، فنزلت الآية فيه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾، وذلك أن المشركين قالوا إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلاف، ما يقوله إلاّ من تلقاء نفسه، يقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، كما أخبر الله: ﴿ وإذا بدّلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ﴾ [النحل: ١٠١]، قالوا: إنما أنت مفترٍ وأنزل: ﴿ ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسِها ﴾، فبيّن وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية، والنسخ في اللغة شيئان، أحدهما: بمعنى التحويل والنقل، ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحوّل من كتاب إلى كتاب، فعلى هذا الوجه كلّ القرآن منسوخ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ، والثاني: يكون بمعنى الرفع، يقال: نَسَخَتِ الشمسُ الظلَّ، أي: ذهبت به وأبطلته، فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً، وهو المراد من الآية، وهذا على وجوه، أحدها: أن يثبت الخط ويُنسخ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

آخر يأتي بعده وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ لأن الآية إذ أطلقت، فالمراد به آيات القرآن لأنه هو المعهود عندنا.

مسألة: قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة، واستدل بهذه الآية وهو أنه تعالى قال: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ وذلك يفيد أنه تعالى هو الآتي والمؤتي به هو من جنس القرآن، وما كان من جنس القرآن فهو قرآن. وقوله: نأت بخير منها يفيد أنه هو المنفرد بالإتيان بذلك الخير، وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة ولأن السنة لا تكون خيراً من القرآن ولا مثله. واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بأن آية الوصية للأقربين منسوخة بقوله ﷺ: «لا وصية لوارث» أجاب الشافعي رضي الله عنه: بأن هذا ضعيف لأن كون الميراث حقاً للوارث يمنع من صرفه إلى الوصية فثبت أن آية الميراث مانعة من الوصية، وتقرير هذا وبسطه معروف في أصول الفقه. ثم النسخ في القرآن على وجوه: أحدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روى عن أبي إمامة بن سهل: أن قوماً من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فغدوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال رسول الله ﷺ: «تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها» أخرجه البغوي بغير سند. وقيل: إن سورة الأحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكماً. الوجه الثاني، ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل آية الرجم روي عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ: إن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها، ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف. أخرجه مسلم وللبخاري نحوه. والوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القرآن، مثل آية الوصية للأقربين نسخت بآية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول، نسخت بآية أربعة أشهر وعشراً وآية القتال وهي قوله: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ الآية نسخت بقوله: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ الآية ومثل هذا كثير في القرآن. وأما

الحكم، مثل آية الوصيّة للأقارب، وآية عدّة الوفاة بالحول، وآية التخفيف في القتال، وآية الممتحنة، ونحوها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ ما ننسخ من آية ﴾: ما نُثبت خطها ونُبدّل حكمها، ومنها: أن يَرفع تلاوتها ويُبقي حكمها، مثل آية الرجم، ومنها أن يرفع أصلاً عن المصحف وعن القلوب، كما رُوِيَ عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن قوماً من الصحابة رضي الله عنهم، قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها إلّا بسم الله الرحمن الرحيم، فغدوا إلى النبيِّ ﷺ، فأخبروه فقال رسول الله ﷺ: «تلك سورة رُفعت بتلاوتها وأحكامها»، وقيل: كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوةً وحكماً، ثم مِنْ نسخ الحُكم ما يُرفع ويُقام غيرُه مقامه، كما أن القِبلة نُسِخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصيّة للأقارب نُسِخت بالميراث، وعدّة الوفاة نُسِخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، ومُصابرة الواحد العشر في القتال، نُسِخت بمصابرة الإثنين، ومنها ما يُرفع ولا يُقام غيره مقامه كامتحان النساء، والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار، أما الآية فقوله: ﴿ ما ننسخ من آية ﴾، قراءة العامّة بفتح النون والسين، من النسخ أي: ترفعا، وقرأ ابن عاصم بضمّ النون وكسر السين، من الإنساخ، له وجهان: أحدهما نجعله في المنسوخ، والثاني: أن نجعله في المنسوخ نسخة لك، يقال: نَسختُ الكتاب، أي: كتبته، وأنسخته غيري: إذا جعلته نسخة له، أو ننسها، أي: ننسها عن قلبك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نتركها لا ننسخها، قال الله تعالى: ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي: تركوه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

معنى الآية فقوله: ما ننسخ من آية أي نرفعها أو نرفع حكمها أو ننسها قرىء بضم النون وكسر السين، ومعناها نثبتها على قلبك وقال ابن عباس: نتركها لا ننسخها. وقيل: معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الأول رفع الحكم، وإقامة غيره مقامه والإنساء نسخ من غير إقامة غيره مقامه وقرىء ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها: نؤخرها فلا ننزلها أو نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة، والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء: ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب إذا نقلته إلى كتاب آخر وننسأها أن نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها ﴿نأت بخير منها﴾ أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجوركم وليس معناه أن آية خير من آية لأن كلام الله تعالى كله واحد ﴿أو مثلها﴾ أي في المنفعة والثواب فما نسخ إلى الأيسر كان أسهل في العمل كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام الليل، ثم نسخ ذلك فكان خيراً لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم، وما نسخ إلى الأشق كان أكمل في الثواب كالذي كان عليهم من صيام أيام معدودات في السنة فنسخ ذلك، وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة أثقل على الأبدان، وأشق من صيام أيام معدودات فكان ثوابه أكمل وأكثر. أما المثل فكنسخ التوجه إلى بيت المقدس، وصرفه إلى المسجد الحرام واستواء الأجر في ذلك لأن على المصلي التوجه إلى حيث أمره الله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ أي على النسخ والتبديل، والمعنى ألم تعلم يا محمد أني قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامي، وغيرته من فرائضي التي كنت افترضتها عليك ما أشاء مما هو خير لك ولعبادي المؤمنين وأنفع لك ولهم عاجلاً وآجلاً.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ يعني أنه تعالى هو المتصرف في السموات والأرض، وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما شاء من أمر ونهي ونسخ وتبديل هذا الخبر وإن كان خطاباً

فتركهم، وقيل؛ ننسها أي نأمر بتركها، يقال: أنسيت الشيء، إذا أمرت بتركه، فيكون النسخ الأول من رفع الحكم وإقامة غيره مقامه، والإنساء يكون نسخاً من غير إقامة غيره مقامه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «أو نَنْسَأها» بفتح النون الأول والسين مهموز، أي نؤخّرها فلا نبدّلها، يقال نسأ الله في أجله وأنسأ الله أجله، في معناه قولان: أحدهما نرفع تلاوتها ونؤخّر حكمها كما فعل في آية الرجم، فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم، والقول الثاني: قال سعيد بن المسيب وعطاء أما ما نسخ من آية فهو ما قد أتى ونزل من القرآن، جعلاه: من النسخة، أو ننسأها أي نؤخّرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا تنزل. ﴿ نأتِ بخير منها ﴾، أي: بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أن آية خير من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير، ﴿ أو مثلها ﴾: في المنفعة والثواب، فكل ما نُسِخَ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل، وما نُسِخَ إلى الأشقّ فهو في الثواب أكثر. ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾: من النسخ والتبديل، لفظه استفهام ومعناه تقرير، أي: إنك تعلم.

﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم ﴾: يا معشر الكفّار عند نزول العذاب، ﴿ من دون الله ﴾: مما سوى الله ﴿ من ولي ﴾: قريب وصديق، وقيل: والٍ، وهو القيّم بالأمور، ﴿ ولا نصير ﴾: ناصر يمنعكم من العذاب.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

للنبي ﷺ لكن فيه تكذيب لليهود الذين أنكروا النسخ، وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فأخبرهم الله أن له ملك السموات والأرض، وأن الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشاء، وعليهم السمع والطاعة ﴿وما لكم﴾ يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب ﴿من دون الله﴾ أي مما سوى الله ﴿من ولي﴾ أي قريب وصديق، وقيل من وال وهو المقيم بالأمور ﴿ولا نصير﴾ أي ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الآية، وليس لكم أيها المؤمنين بعد الله من قيم يأمركم ولا نصير يؤيدكم، ويقويكم على أعدائكم. قوله عز وجل: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم﴾ نزلت في اليهود، وذلك أنهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، وقيل: إنهم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً كما سئل قوم موسى فقالوا: أرنا الله جهرة فأنزل الله تعالى هذه الآية، والمعنى أتريدون وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم يعني محمداً ﷺ ﴿كما سئل موسى من قبل﴾ وذلك أن موسى سأله قومه فقالوا: أرنا الله جهرة ففي الآية منعهم ونهيهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد ﷺ. ﴿ومن يتبدل﴾ أي يستبدل ﴿الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾ أي أخطأ قصد الطريق، وقيل: إن قوله ومن يتبدل الكفر بالإيمان خطاب للمؤمنين أعلمهم أن اليهود أهل غش وحسد، وأنهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى أن يقبلوا من اليهود شيئاً ينصحونهم به في الظاهر، وأخبرهم أن من ارتد عن دينه فقد أخطأ قصد السبيل. قوله عز وجل: .

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

﴿ود كثير من أهل الكتاب﴾ نزلت هذه الآية في نفر من اليهود، وذلك أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: لو كنتم على الحق ما هربتم فارجعا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلاً منكم، فقال عمار بن ياسر. كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال: إني عاهدت أن لا أكفر بمحمد ﷺ ما عشت قالت اليهود، أما هذا فقد، صبأ وقال حذيفة: أما أنا فقد رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام دينا وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة

قوله: ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم ﴾، نزلت في اليهود حين قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، فقال تعالى: ﴿ أم تريدون ﴾، يعني: أتريدون، فالميم صلة، وقيل: بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمداً ﷺ، ﴿ كما سئل موسى من قبل ﴾، سأله قومه ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جهرةً ﴾ [النساء: ١٥٣] وقيل: إنهم سألوا رسول الله ﷺ، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، كما أن موسى سأله قومه فقالوا: أرِنَا الله جهرة، ففيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين. ﴿ ومَن يتبدّل الكفر بالإيمان ﴾: يستبدل الكفر بالإيمان ﴿ فقد ضلّ سواء السبيل ﴾: أخطأ وسط الطريق، وقيل: قصد السبيل.

قوله تعالى: ﴿ ودّ كثيرٌ من أهل الكتاب ﴾، الآية نزلت في نفرٍ من اليهود، قالوا لحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر بعد وقعة أحد: لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلاً منكم، فقال لهم عمّار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديداً، قال: فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ﷺ ما عشت، فقالت اليهود: أمّا هذا فقد صبا، وقال حذيفة: أمّا أنا فقد رضيت بالله تعالى ربّاً وبمحمد نبيّاً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلةً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وبالمؤمنين إخواناً. ثم إنهما أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك، فقال: أصبتما الخير وأفلحتما فأنزل الله تعالى: ﴿ود﴾ أي تمنى كثير من أهل الكتاب يعني اليهود ﴿لو يردونكم﴾ أي يا معشر المؤمنين ﴿من إيمانكم كفاراً﴾ أي ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر ﴿حسداً﴾ أي يحسدونكم حسداً وأصل الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحقها، وربما يكون مع ذلك سعي في إزالتها، والحسد مذموم لما روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب» أخرجه أبو داود، فإذا أنعم الله على عبده نعمة فتمنى آخر زوالها عنه، فهذا هو الحسد وهو حرام فإن استعان بتلك النعمة على الكفر، والمعاصي فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد، ولا يحرم ذلك لأنه لم يحسده على تلك النعمة، من حيث إنها نعمة بل من حيث إنه يتوصل بتلك النعمة إلى الشر والفساد وقوله: ﴿من عند أنفسهم﴾ أي من تلقاء أنفسهم لم يأمرهم الله بذلك ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ يعني في التوراة أن قول محمد ﷺ ودينه، حق لا يشكون فيه فكفروا به حسداً وبغياً ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ أي فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وحسد وكان هذا الأمر بالعفو، والصفح قبل أن يؤمر بالقتال ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ أي بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والإجلاء والنفي لبني النضير قال ابن عباس: هو أمر الله له بقتالهم في قوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ الآية ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فيه وعيد وتهديد لهم ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ لما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة الواجبتين، ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ أي من طاعة وعمل صالح، وقيل أراد بالخير المال يعني صدقة التطوع، لأن الزكاة تقدم ذكرها ﴿تجدوه عند الله﴾ يعني ثوابه وأجره حتى التمرة واللقمة مثل أحد ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾ أي لا يخفى عليه شيء من قليل الأعمال، وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات، وأعمال البر وزجر عن المعاصي. قوله عز وجل:

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

وبالمؤمنين إخواناً، ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك، فقال رسول الله ﷺ: «قد أصبتما الخير وأفلحتما»، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَدّ كثير من أهل الكتاب ﴾، أي: تمنى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود: ﴿ لو يردّونكم ﴾، يا معشر المؤمنين ﴿ من بعد إيمانكم كفّاراً حسداً ﴾، نُصب على المصدر، أي: يحسدونكم حسداً، ﴿ من عند أنفسهم ﴾، أي: من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك، ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ في التوراة أن قول محمد ﷺ صدق ودينه حق، ﴿ فاعفوا ﴾: فاتركوا ﴿ واصفحوا ﴾، وتجاوزوا، فالعفو، المحو، والصفح: الإعراض، وكان هذا قبل آية القتال، ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾، بعذابه القتل والسبي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة: هو أمره بقتالهم في قوله: ﴿ قاتلوا المشركين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾، إلى قوله: ﴿ وهم صاغرون ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال ابن كيسان: بعلمه وحكمه فيهم، حكم لبعضهم بالإسلام ولبعضهم بالقتل والسبي والجزية، ﴿ إنّ الله على كل شيء قدير ﴾.

﴿ وأقيمُوا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ وما تقدِّموا ﴾: تُسلفوا ﴿ لأنفسكم من خير ﴾: طاعة وعمل صالح ﴿ تجدوه عند الله ﴾، وقيل: أراد بالخير المال، كقوله تعالى: ﴿ إنْ ترك خيراً ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وأراد: من زكاة أو صدقة تجدوه عند الله حتى الثمرة واللقمة مثل أُحد ﴿ إن الله بما تعملون بصير ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿يَحْزَنُونَ ۝١١٢ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١١٣﴾

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً﴾ يعني يهودياً، وقيل هو جمع هائد ﴿أو نصارى﴾ وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولا دين إلا دين اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا دين النصرانية قيل: نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله ﷺ فكذب بعضهم بعضاً في دعواه قال الله: ﴿تلك أمانيهم﴾ أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق ﴿قل﴾ يعني يا محمد ﴿هاتوا برهانكم﴾ أي حجتكم على دعواكم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً دون غيرهم ﴿إن كنتم صادقين﴾ يعني فيما تدعون. ثم قال تعالى رداً عليهم: ﴿بلى﴾ أي ليس الأمر كما تزعمون ولكن ﴿من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ فإنه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه لله أخلص في دينه لله، وقيل: أخلص عبادته لله. وقيل خضع وتواضع لله، لأن أصل الإسلام الاستسلام وهو الخضوع، وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء، وإذا جاد الإنسان بوضع وجهه على الأرض في السجود فقد جاد بجميع أعضائه، قال عمرو بن نفيل:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخراً ثقالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذباً زلالا

يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الأرض والمزن، وهو محسن أي في عمله لله ﴿فله أجره عند ربه﴾ أي ثواب عمله ﴿ولا خوف عليهم﴾ أي في الآخرة ﴿ولا هم يحزنون﴾ أي على ما فاتهم من الدنيا. قوله عز وجل: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي ﷺ أتاهم أحبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود للنصارى: ما أنتم على شيء من الذين وكفروا بعيسى والإنجيل؛ وقالت النصارى لليهود ما

﴿ وقالوا لنْ يدخل الجنّةَ إلّا مَنْ كان هوداً ﴾، أي: يهودياً: قال الفرّاء: حذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية، وقال الأخفش: الهود: جمع هائد، مثل عائد وعود وحائل وحول، ﴿ أو نصارى ﴾، وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلّا مَن كان هوداً ولا دين إلّا دين اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلّا مَن كان نصرانياً ولا دين إلّا دين النصرانية، وقيل: نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى، اجتمعوا في مجلس رسول الله ﷺ مع اليهود، فكذب بعضهم بعضاً، قال الله تعالى: ﴿ تلك أمانيهم ﴾، أي: شهواتهم الباطلة التي تمنّوها على الله بغير الحق، ﴿ قلْ ﴾: يا محمد ﴿ هاتوا ﴾، أصله آتوا، ﴿ برهانكم ﴾: حجّتكم على ما زعمتم، ﴿ إن كنتم صادقين ﴾، ثم قال ردّاً عليهم:

﴿ بلى مَن أسلم وجهه ﴾، أي: ليس كما قالوا بل الحكم للإسلام، وإنما يدخل الجنة مَن أسلم وجهه ﴿ لله ﴾، أي: أخلص دينه لله، وقيل: أخلص عبادته لله، وقيل: خضع وتواضع لله، وأصل الإسلام الاستسلام والخضوع، وخصّ الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه، ﴿ وهو محسن ﴾: في عمله، وقيل: مؤمن، وقيل: مخلص، ﴿ فله أجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

قوله: ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ﴾، نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أنتم على شيء من الذين وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ يعني وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب، وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل. وقيل: إن الإنجيل الذي تدين بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني إسرائيل من الفرائض، وإن التوراة التي تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الأحكام ثم كلا الفريقين، قالوا: ما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله: ﴿كذلك قال الذين لا يعلمون﴾ يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد ﷺ وأصحابه إنهم ليسوا على شيء ﴿مثل قولهم﴾ يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود. وقيل: أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب. قالوا في أنبيائهم: ليسوا على شيء ﴿فالله يحكم﴾ أي يقضي ﴿بينهم يوم القيامة﴾ يعني بين المحق والمبطل ﴿فيما كانوا يختلفون﴾ يعني من أمر الدين قوله عز وجل: .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ نزلت في خراب بيت المقدس وذلك أن ططوس الرومي غزا بني إسرائيل فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خراباً حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فأنزل الله تعالى ﴿ومن أظلم﴾ أي ومن أكفر وأبغى ممن منع مساجد الله، يعني بيت المقدس ومحاريبه أن يذكر فيها اسمه أي يعبد ويصلي له فيها ﴿وسعى في خرابها﴾ وقيل: أن بختنصر

وفد نجران لمّا قَدِموا على النبيّ ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيـل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿ وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب ﴾، وكِلا الفريقين يقرؤون الكتاب، وقيل: معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف، فدلّ تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل، ﴿ كذلك قال الذين لا يعلمون ﴾، يعني: آباءهم الذين مضوا، ﴿ مثل قولهم ﴾، قال مجاهد: يعني عوّامّ النصارى، وقال مقاتل: يعني مشركي العرب، كذلك قالوا في نبيّهم محمد ﷺ وأصحابه: أنهم ليسوا على شيء من الدين، وقال عطاء: أمم كانت قبل اليهود والنصارى، مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، قالوا لنبيّهم: إنه ليس على شيء، ﴿ فالله يحكم بينهم يوم القيامة ﴾: يقضي بين المحقّ والمبطل، ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾: من الدين.

قوله: ﴿ ومَن أظلم ممّن منع مساجد الله أن يذكر ﴾، الآية نزلت في ططوس بن أسبيسبانوس الرومي وأصحابه، وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير، فكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال قتادة والسدي: هو بختنصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس، وأعانهم على ذلك النصارى ططوس

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

المجوسي من أهل بابل هو الذي غزا بني إسرائيل وخرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى من أجل اليهود، قتلوا يحيى بن زكريا ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين﴾ وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس: لم يدخلها بعد عمارتها رومي أو نصراني إلّا خائفاً إن علم به قتل وقيل أخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي، والقتل على الحربي وقيل: خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ يعني الصغار والذل والقتل والسبي ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ يعني النار. وقيل: إن الآية نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك أنهم منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه أن يصلوا فيه في ابتداء الإسلام، ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا في خرابه أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين يعني مشركي مكة يقول الله تعالى: أفتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبي ﷺ أن ينادى بالموسم لما نزلت سورة براءة: ألا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم. فإن قلت كيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو إما بيت المقدس أو المسجد الحرام؟. قلت يجوز أن يجيء الحكم عاماً وإن كان السبب خاصاً كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً ومن أظلم ممن آذى الصالحين. فإن قلت أي القولين أرجح؟. قلت رجح الطبري القول الأول وقال إن النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل أن مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام، وإن كانوا قد منعوا رسول الله ﷺ في بعض الأوقات من الصلاة فيه، وأيضاً فإن الآية التي قبل هذه والتي بعدها في ذم أهل الكتاب، ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بهذه بيت المقدس، ورجح غيره القول الثاني بدليل أن النصارى يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم. وذكر ابن العربي في أحكام القرآن قولاً ثالثاً، وهو أنه كل مسجد قال وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الأزمنة محال. قوله عز وجل: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة، فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا، فلما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت هذه الآية. وعن عامر بن ربيعة عن أبيه، قال: كنا مع

الرومي وأصحابه من أهل الروم، قال السدي: من أجل أنهم قتلوا يحيىٰ بن زكريا، وقال قتادة: حملهم بعض اليهود على معاونة بختنصر البابلي المجوسي، فأنزل الله تعالى: ﴿ ومَن أظلم ﴾ أي: أكفر ﴿ ممّن منع مساجد الله ﴾ يعني: بيت المقدس ومحاريبه أن يذكر ﴿ فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين ﴾، وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يدخلها يعني بيت المقدس بعد عمارتها رُومي إلّا خائفاً لو عُلم به قُتل، وقال قتادة ومقاتل: لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلّا مستنكراً لو قُدّر عليه لعُوقب، قال سِيدَى: أخيفوا بالجزية، وقيل: هذا خبر بمعنى الأمر، أي: أجهضوهم بالجهاد حتى لا يدخلها أحد منهم إلّا خائفاً من القتل والسبي، أي: ما ينبغي لهم، ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾: عذاب وهوان، قال قتادة: هو القتل للحربي والجزية للذمّي، قال مقاتل والكلبي: تفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية ورومية وعمورية، ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾، وهو النار، وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد: نزلت في مشركي مكّة، وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من حجّه والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا منعوا رسول الله ﷺ من أن يعمره بذكر الله فقد سعوا في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين، يعني: أهل مكة، يقول أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم، ففتحها عليهم وأمر النبي ﷺ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

رسول الله ﷺ في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ أخرجه الترمذي. وقال حديث غريب. وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر قال: «إن رسول الله ﷺ كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومىء» وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم «كان النبي ﷺ يصلّي على دابته وهو مقبل من مكة إلى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾» الآية. وقيل: نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت المؤمنين وقالوا: ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فأنزل الله هذه الآية. وقيل: إنها نزلت في تخيير النبي ﷺ وأصحابه ليصلوا حيث شاؤوا من النواحي ثم إنها نسخت بقوله تعالى: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ ومعنى الآية إن لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقاً وملكاً، وإنما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لأن له كلها وما بينهما خلقه وعبيده، وإن على جميعهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه فما أمرهم باستقباله فهو القبلة فإن القبلة ليست قبلة لذاتها بل لأن الله تعالى جعلها قبلة، وأمر بالتوجه إليها ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ أي فهنالك قبلة الله التي وجهكم إليها، وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته. والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة. وقيل: فثم رضا الله أي يريدون بالتوجه إليه رضاه ﴿إن الله واسع﴾ من السعة وهو الغني أي يسع خلقه كلهم بالكفاية، والإفضال والجود والتدبير. وقيل واسع المغفرة ﴿عليم﴾ أي بأعمالكم ونياتكم حيثما تصلوا، وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء.

مسألة تتعلق بحكم الآية:

وهي أن المسافر إذا كان في مفازة أو بلاد الشرك، واشتبهت عليه القبلة فإنه يجتهد في طلها بنوع من الدلائل ويصلي إلى الجهة التي أدى إليها اجتهاده ولا إعادة عليه وإن لم يصادف القبلة فإن جهة الاجتهاد قبلته، وكذا

منادياً ينادي ألَا لا يحجنّ بعد هذا العام مشرك، فهذا خوفهم، وثبت في الشرع أن لا يمكّن مشرك من دخول الحرم، لهم في الدنيا خزي الذلّ والهوان والقتل والسبي والنفي.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فَثَمَّ وجه الله ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر قبل تحويل القِبلة إلى الكعبة، فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحرّوا القِبلة وصلّوا، فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا، فلما قَدِموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت عليه هذه الآية، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: نزلت في المسافر يصلّي التطوّع حيث ما توجّهت به راحلته، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي، أنا أبو إسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يُصلّي على راحلته في السفر حيث ما توجهت به، وقال عكرمة: نزلت في تحويل القِبلة، قال أبو العالية: صرفت القِبلة إلى الكعبة وعيّرت اليهود المؤمنين وقالوا: ليست لهم قِبلة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا. فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال مجاهد والحسن: لمّا نزلت ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر: ٦٠]، قالوا: أين ندعوه فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ ولله المشرق والمغرب ﴾ [البقرة: ١١٥]، ملكاً وخلقاً ﴿ فأينما تولّوا فَثَمَّ وجه الله ﴾ [البقرة: ١١٥] يعني: أينما تحوّلوا وجوهكم فثَمّ، أي: هناك وجه الله، قال الكلبي: فثَمَّ الله يعلم ويرى ﴿ وجه ﴾ صلة كقوله تعالى: ﴿ كلُّ شيءٍ هالكُ إلّا وجهه ﴾ [القصص: ٨٨] أي: إلّا هو، وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيّان: فثَمَّ قِبلة الله، والوجه والوجهة والجهة: القِبلة، وقيل: رضا الله

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الغريق في البحر إذا بقي على اللوح فإنه يصلي على حسب حاله، وتصح صلاته وكذلك المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال. قوله عز وجل:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿**وقالوا اتخذ الله ولداً**﴾ نزلت في يهود المدينة حيث قالوا: عزيز ابن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿**سبحانه**﴾ أي تنزيهاً لله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم: وافترائهم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم إني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي، فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً» ﴿**بل له في السموات والأرض**﴾ يعني عبيداً وملكاً فكيف ينسب إليه الولد وهو داخل فيهما. وقيل: إن الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير. وقيل: إن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره، والله تعالى منزه عن ذلك كله فإضافة الولد إليه محال ﴿**كل له قانتون**﴾ يعني أن أهل السموات والأرض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية، وأصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع. وقيل: أصله: القيام ومنه قوله ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت» فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة ومقرون له بالوحدانية. وقيل: قانتون أي مذللون مسخرون لما خلقوا له. واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم: هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين. أحدهما: قالوا هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة. الثاني: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام لأن لفظة كل تقتضي الشمول والإحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين. أحدهما أن ظلالهم تسجد لله وتطيعه. والثاني أن هذه الطاعة تكون في يوم القيامة. ومن ذهب إلى تخصيص حكم

تعالى: ﴿ إنّ الله واسعٌ ﴾، أي: غنيٌّ يعطي من السّعة، قال الفرّاء: الواسع: الجود الذي يسع عطاؤه كل شيء، قال الكلبي: واسع المغفرة، **﴿ عليم ﴾** بنيّاتهم حيث ما صلوا ودعوا.

قوله تعالى: **﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً ﴾**، قرأ ابن عامر **﴿ قالوا ﴾**، بلا واو، وقرأ الآخرون **﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً ﴾**نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزيرٌ ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله، **﴿ سبحانه ﴾**، نزّه وعظّم نفسه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان، أنا شعيب عن عبد الرحمن بن أبي حسن نافع بن جُبير: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبه إيّاي فزعم أني لا أقدر أن أُعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أنْ أتخذ صاحبةً أو ولداً»، قوله تعالى: **﴿ بلْ له ما في السموات والأرض ﴾**: عبيداً وملكاً، **﴿ كلٌ له قانتون ﴾**، قال مجاهد وعطاء والسدي مُطيعون، وقال عكرمة ومقاتل: مُقرّون له بالعبودية، وقال ابن كيسان: قائمون بالشهادة، وأصل القنوت القيام، قال النبيّ ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت». واختلفوا في حكم الآية، فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص، وقال مقاتل: هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس، وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عامّ في جميع الخلق، لأن لفظ كل يقتضي الإحاطة بالشيء بحيث لا يشذّ منه شيء، ثم سلكوا في الكفّار طريقين، فقال مجاهد: يسجد ظلالهم لله على كره منهم، قال الله تعالى: **﴿ وظلالهم بالغدو والآصال ﴾** [الرعد: ١٥]،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الآية أجاب عن لفظة كل بأنها لا تقتضي الشمول والإحاطة بدليل قوله تعالى: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ ولم تؤت ملك سليمان فدل على أن لفظة كل لا تقتضي ذلك. قوله عز وجل:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾

﴿بديع السموات والأرض﴾ أي خالقها ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق. وقيل: البديع الذي يبدع الأشياء أي يحدثها مما لم يكن ﴿وإذا قضى أمراً﴾ أي قدره وأراد خلقه. وقيل: إذا أحكم أمراً وحتمه وأتقنه. وأصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع إلى انقطاع الشيء وتمامه والفراغ منه ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ أي إذا أحكم أمراً وحتمه فإنما يقول له فيكون ذلك الأمر على ما أراد الله تعالى وجوده. فإن قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فإنما يقول له كن فيكون. قلت: إن الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه وإذا كان كذلك كانت الأشياء التي لم تكن كأنها كائنة لعلمه بها فجاز أن يقول لها: كوني ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود وقيل اللام في قوله: ﴿له﴾ لام أجل فيكون المعنى إذا قضى أمراً، فإنما يقول: لأجل تكوينه وإرادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب. قوله عز وجل: ﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ وقيل: هم النصارى وقيل: هم مشركو العرب ﴿لولا﴾ أي

وقال السدي: هذا يوم القيامة، دليله: ﴿ وعنتِ الوجوه للحيّ القيّوم ﴾ [طه: ١١١]، وقيل: قانتون مذلّلون مسخّرون لِما خُلقوا له.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ بديع السموات والأرض ﴾، أي: مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق، ﴿ وإذا قضى أمراً ﴾، أي: قدّره، وقيل: أحكمه وأتقنه، وأصل القضاء: الفراغ، ومنه قيل لمَن مات: قضي عليه لفراغه من الدنيا، ومنه قضاء الله وقدره، لأنه فرغ منه تقديراً أو تدبيراً، ﴿ فإنّما يقول له كن فيكون ﴾، قرأ ابن عامر ﴿ كن فيكون ﴾ بنصب النون في جميع المواضع إلّا في الآية ﴿ كن فيكون، الحق من ربك ﴾ [آل عمران: ٥٩ و٦٠] وفي الآية ﴿ كن فيكون، قوله الحق ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وإنما نصبها لأن جواب الأمر بالفاء يكون منصوباً، وقرأ الآخرون بالرفع على معنى: فهو يكون، فإن قيل: كيف قال: ﴿ فإنما يقول له كن فيكـــون ﴾ والمعدوم لا يُخاطب؟ قيل: قال ابن الأنباري معناه: فإنما يقول له، أي: لأجل تكوينه، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب، وقيل: هو وإن كان معدوماً ولكنه لمّا قدّر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود، فصحّ الخطاب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وقال الذين لا يعلمون ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اليهود، وقال مجاهد: النصارى، وقال قتادة: مشركو العرب، ﴿ لولا ﴾: هلّا ﴿ يكلّمنا الله ﴾: عياناً بأنك رسوله، وكل ما في القرآن ﴿ لولا ﴾ فهو بمعنى هلّا إلّا واحداً وهو قوله ﴿ فلولا أنه كان من المسبّحين ﴾ [الصّافّات: ١٤٣]، معناه فلو لم يكن، ﴿ أو تأتينا آية ﴾: دَلَالة علامة على صدقك، قال الله تعالى: ﴿ وكذلك قال الذين من قبلهم ﴾، أي: كفّار الأمم الخالية، ﴿ مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾، أي: أشبه بعضهم بعضاً في الكفر والقسوة وطلب المُحال، ﴿ قد بيّنّا الآياتِ لقوم يُوقنون ﴾.

﴿ إنّا أرسلناك بالحق ﴾، أي: بالصدق، كقوله: ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل أيْ وربّي إنه لحق ﴾

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

هلا ﴿يكلمنا الله﴾ أي عياناً بأنك رسوله ﴿أو تأتينا آية﴾ أي دلالة وعلامة على صدقك ﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ أي كفار الأمم الخالية ﴿مثل قولهم﴾ وذلك أن اليهود سألوا موسى أن يريهم الله جهرة، وأن يسمعهم كلام الله. وسألوه من الآيات ما ليس لهم مسألته فأخبر الله عن الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ أنهم قالوا: مثل ما قال من كان قبلهم ﴿تشابهت قلوبهم﴾ يعني أن المكذبين للرسل تشابهت أقوالهم وأفعالهم. وقيل تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال ﴿قد بينا الآيات﴾ أي الدلالات على نبوة محمد ﷺ ﴿لقوم يوقنون﴾ يعني أن آيات القرآن وما جاء به محمد ﷺ من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالباً لليقين، وإنما خص أهل الإيقان بالذكر لأنهم هم أهل التثبت في الأمور ومعرفة الأشياء على يقين. قوله عز وجل: ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ أي بالصدق وقال ابن عباس: بالقرآن وقيل: بالإسلام وقيل: معناه إنا لم نرسلك عبثاً، بل أرسلناك بالحق ﴿بشيراً﴾ أي مبشراً لأوليائي، وأهل طاعتي بالثواب العظيم ﴿ونذيراً﴾ أي منذراً ومخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم ﴿ولا تسأل﴾ قرىء بفتح التاء على النهي قال ابن عباس: وذلك أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبواي» فنزلت هذه الآية، والمعنى إنا أرسلناك لتبليغ ما أرسلت به ولا تسأل عن أصحاب الجحيم. وقرىء ولا تسأل بضم التاء ورفع اللام على الخبر. وقيل: على النفي والمعنى إنا أرسلناك بالحق لتبليغ ما أرسلت به، فإنما عليك البلاغ ولست مسؤولاً عمن كفر ﴿عن أصحاب الجحيم﴾ أي عن أهل النار، سميت النار جحيماً لشدة تأججها. وقيل: الجحيم معظم النار. قوله عز وجل: .

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعونه أنه إن أمهلهم اتبعوه فأنزل الله هذه الآية والمعنى إنك وإن هادنتهم فلا يرجون بها وإنما يطلبون ذلك تعللاً ولا يرجون منك إلا باتباع ملتهم. وقال ابن عباس: هذا في أمر القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا

[يونس: ٥٣] أي: صدق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالقرآن دليله: ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ [قٓ: ٥]، وقال ابن كيسان: بالإسلام وشرائعه، دليله: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وقلْ جاء الحق ﴾ [الإسراء: ٨١، سبأ: ٤٩]، وقال مقاتل: معناه لم نرسلك عبثاً إنما أرسلناك بالحق، كما قال: ﴿ وما خلقنا السمواتِ والأرضَ وما بينهما إلّا بالحق ﴾ [الحجر: ٨٥]، قوله عزّ وجلّ: ﴿ بشيراً ﴾، أي: مبشّراً لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم، ﴿ ونذيراً ﴾، أي: منذراً مخوّفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم، قرأ نافع ويعقوب: «ولا تَسْــأَلْ»: على النهي، قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن النبيّ ﷺ قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبواي»، فنزلت هذه الآية، وقيل: هو على معنى قولهم لا تسأل عن شرٍّ فلان فإنه فوق ما تحسب، وليس على النهي، وقرأ الآخرون ﴿ ولا تُسألُ ﴾ بالرفع، على النفي بمعنى: ولست بمسؤول عنهم، كما قال الله تعالى: ﴿ فإنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ [الرعد: ٤٠]، ﴿ عن أصحاب الجحيم ﴾، والجحيم معظم النار.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم قلْ إنّ هُدى اللّهِ هو الهدى ﴾، وذلك أنهم يسألون النبي ﷺ الهدنة ويُطمّعونه أنه إن أمهلهم اتّبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه أنك وإن هادنتهم فلا يرجون بها، وإنما يطلبون ذلك تعلّلاً ولا يرضون منك إلّا باتّباع ملّتهم، وقال ابن عباس رضي الله

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يرجون النبي ﷺ، حين كان يصلي إلى بيت المقدس، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود﴾ يعني إلا باليهودية، ﴿ولا النصارى﴾ يعني إلا بالنصرانية وهذا شيء لا يتصور إذ لا يجتمع في رجل واحد شيئان في وقت واحد وهو قوله: ﴿حتى تتبع ملتهم﴾ يعني دينهم وطريقتهم ﴿قل﴾ أي يا محمد ﴿إن هدى الله﴾ يعني دين الله الذي هو الإسلام ﴿هو الهدى﴾ أي يصح أن يسمى هدى ﴿ولئن اتبعت﴾ يا محمد ﴿أهواءهم﴾ يعني أهواء اليهود والنصارى، فيما يرضيهم عنك وقيل: أهواءهم أقوالهم التي هي أهواء وبدع ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ أي البيان لأن دين الله هو الإسلام وأن القبلة هي قبلة إبراهيم عليه السلام وهي الكعبة ﴿ما لك من الله من ولي﴾ يعني يلي أمرك ويقوم بك ﴿ولا نصير﴾ أي ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل: في قوله ولئن اتبعت أهواءهم أنه خطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته، والمعنى إياكم أخاطب ولكم أؤدب وأنهى فقد علمتم أن محمداً ﷺ قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصيته فلا تتبعوا أنتم أهواء الكافرين. ولئن اتبعتم أهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبينات ما لكم من الله من ولي ولا نصير. قوله عز وجل: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ قال ابن عباس: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الرهب، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه. وقيل: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة وقيل: هم مؤمنون عامة ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ أي يقرؤونه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرّفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله ﷺ. وقيل: معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه إلى الله تعالى. وقيل: معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا في معانيه وحقائقه وأسراره ﴿أولئك﴾ يعني الذين يتلونه حق تلاوته ﴿يؤمنون به﴾ أي يصدقون به. فإن قلنا: إن الآية في أهل الكتاب فيكون المعنى إن المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد ﷺ لأن في التوراة نعته وصفته. وإن قلنا: إنها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر ﴿ومن يكفر به﴾ أي يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد ﷺ ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ أي خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالإيمان. قوله عز وجل: .

عنهما: هذا في القِبلة، وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي ﷺ حين كان يصلّي إلى قِبلتهم، فلما صرف الله القِبلة إلى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ﴾، إلّا باليهودية، ولا النصارى إلّا بالنصرانية، والملّةُ الطريقة، ﴿ ولئن اتّبعت أهواءهم ﴾، قيل الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة كقوله: ﴿ لئن أشركتَ ليحبَطَنَّ عملُك ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿ بعد الذي جاءك من العلم ﴾: البيان بأن دين الله هو الإسلام والقِبلة قِبلة إبراهيم عليه السلام وهي الكعبة، ﴿ ما لك من الله من ولي ولا نصير ﴾.

﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل السفينة قَدِموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيراً، وقال الضحاك: هم ممّن آمن من اليهود عبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام بن يَهُوْذَا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن صوريا، وقال قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمد ﷺ، وقيل: هم المؤمنون عامّة، ﴿ يتلونه حقَّ تِلاوته ﴾، قال الكلبي: يصفونه في كتبهم حق صفته لمَن سألهم من الناس، والهاء راجعة إلى محمد ﷺ، وقال الآخرون: هي عائدة إلى الكتاب، واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يقرؤونه كما أُنزل ولا يحرّفونه، ويُحِلّون حلاله ويُحرّمون حرامه، وقال الحسن: يعملون بمُحكَمه ويُؤمنون بمتشابهه ويكِلون علمَ ما أشكل عليهم إلى عالمِهِ، وقال مجاهد: يتّبعونه حقَّ اتّباعه، قوله: ﴿ أولئك يُؤمنون به ﴾. ﴿ ومَن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ أي أيادي لديكم وصنعي بكم واستنقاذي إياكم من أيدي عدوكم في نعم كثيرة أنعمت بها عليكم ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ أي واذكروا تفضيلي إياكم على عالمي زمانكم، وفي هذه الآية عظة لليهود الذي كانوا في زمن رسول الله ﷺ وكررها في أول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ وفي هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني إسرائيل المبدلين كتابي المحرفين له، خافوا عذاب يوم لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً ﴿ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة﴾ أي لا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة إذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه. وقيل: إنه رد على اليهود في قولهم إن آباءنا يشفعون لنا ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله إذا انتقم منهم قوله عز وجل: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ إبراهيم اسم أعجمي ومعناه أب رحيم وهو إبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن شاروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وكان مولد إبراهيم بالسوس من أرض الأهواز وقيل: ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة. وقيل: بحران ولكن أباه نقله إلى أرض بابل وهي أرض نمروذ الجبار. وإبراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديماً، وحديثاً فأما اليهود والنصارى فإنهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة إليه وأنهم من أولاده وأما العرب في الجاهلية فإنهم أيضاً يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لأنهم من أولاده، ومن ساكني حرمه وخدام بيته، ولما جاء الإسلام زاده الله شرفاً وفضلاً فحكى الله تعالى عن إبراهيم أموراً توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد ﷺ، والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لأن ما أوجبه الله على إبراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد ﷺ وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد ﷺ والإيمان به وتصديقه. وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الإنسان وسمي التكليف بلاء لأنه يشق على الأبدان. وقيل: ليختبر به حال الإنسان فإذا قيل: ابتلى فلان بكذا يتضمن أمرين: أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره. والثاني ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم، والوقوف على ما يجهل منها

﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمَتي التي أنعمتُ عليكم وأني فضّلتكم على العالمين ﴾.

﴿ واتّقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يُقبل منها عدلٌ ولا تنفعها شفاعةٌ ولا هم يُنصرون ﴾.

﴿ وإذِ ابْتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمهنّ ﴾، قرأ ابن عامر: إبراهام بالألف في بعض المواضع، وهو ثلاثة وثلاثون موضعاً، جملته تسعة وتسعون موضعاً، وهو اسم أعجمي ولذلك لا يجري عليه الصرف، وهو إبراهيم بن تارخ هو آزر بن ناخور، وكان مولده بالسوس من أرض الأهواز، وقيل: بابل، وقيل: كوثي، وقيل: كسكر، وقيل: حرّان، ولكن أباه نقله إلى أرض بابل بأرض نمروز بن كنعان، ومعنى الابتلاء: الاختبار والامتحان والأمر، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء لأنه عالم بهم، ولكن ليعلم العبادُ أحوالَهم حتى يعرف بعضهم بعضاً، واختلفوا في الكلمات التي ابتلى اللَّهُ بها إبراهيم، فقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي ثلاثون

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لأنه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل إلى الأبد. ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات**﴾. واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام قال ابن عباس: هي ثلاثون سماهن شرائع الإسلام لم يبتل بها أحد فأقامها كلها إلا إبراهيم فكتب الله له البراءة فقال: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ ومعنى هذا الكلام إنه لم يبتل أحد قبل إبراهيم فأما بعده فقد أتى الأنبياء بجميع ما أمروا به من الدين خصوصاً، نبينا محمد ﷺ فقد أتى بجميع ما أمر به، وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله: ﴿التائبون العابدون﴾ الآية وعشرة في سورة الأحزاب في قوله: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الآية وعشرة في سورة المؤمنون في قوله: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلواتهم خاشعون﴾ الآيات وهي مذكورة أيضاً في سورة سأل سائل. وعن ابن عباس أيضاً قال: ابتلاه الله بعشرة أشياء هن الفطرة خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق). عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الفطرة خمس، وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط» (م) عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء». يعني الاستنجاء قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء: الفطرة السنة. وقيل: الملة وقيل: الطريقة وهذه الأشياء المذكورة في الحديث وأنها من الفطرة قيل كانت على إبراهيم عليه السلام فرضاً وهي لنا سنة واتفقت العلماء على أنها من الملة وأما معانيها فقد قيل: أما قص الشارب وإعفاء اللحية فمخالفة للأعاجم فإنهم كانوا يقصون لحاهم، أو يوفرون شواربهم أو يوفرونهما معاً، وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم، والأنف من الطعام والقلح والوسخ، وأما قص الأظفار فللجمال، والزينة فإنها إذا طالت قبح منظرها، واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهي العقد التي في

سمّاهنّ، شرائع الإسلام لم يُبتلَ بها أحدٌ فأقامها كلَّها إبراهيمُ، فكُتب له البراءة، فقال: ﴿ وإبراهيم الذي وفّى ﴾ [النجم: ٣٧]، عشرٌ في براءة: ﴿ التائبون العابدون ﴾ [التوبة: ١١٢] إلى آخرها، وعشرٌ في الأحزاب ﴿ إنّ المسلمين والمسلمات ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى آخرها، وعشرٌ في سورة المؤمنين في قوله: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ [المؤمنون: ١]، الآيات، وقوله: ﴿ إلّا المصلّين ﴾ [المعارج: ٢٢]، في سأل سائل، وقال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما: ابتلاه الله تعالى بعشرة أشياء، وهي الفطرة خمس في الرأس: قصُّ الشارب والمضمضة والاستنشاقُ والسواكُ وفَرْقَ الرأس، وخمسٌ في البدن: تقليمُ الأظفار ونتفُ الإبط وحلقُ العانة والختانُ والاستنجاءُ بالماء، وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام أوّل مَن قصّ الشارب، وأول مَن اختتن، وأول مَن قلّم الأظافر، وأول مَن رأى الشيب، فلما رآه قال: يا ربّ ما هذا؟ قال: الوقار، قال: يا ربّ زدني وقاراً، قال مجاهد: هي الآيات التي بعدها في قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إنّي جاعلك للناس إماماً** ﴾ إلى آخر القصة، وقال الربيع وقتادة: مناسك الحج، وقال الحسن: ابتلاه الله بسبعة أشياء: بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظر، وعلم أن ربّه دائم لا يزول، وبالنار فصبر عليها، وبالهجرة وبذبح ابنه وبالختان فصبر عليها، قال سعيد بن جُبير: هو قول إبراهيم وإسماعيل إذْ يرفعان البيت: ﴿ ربّنا تقبّل منّا ﴾ [البقرة: ١٢٧] الآية، فرفعاه بسبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلّا الله والله أكبر، قال يمان بن رباب: هنّ مَحاجّة قومه، قال الله تعالى: ﴿ وحاجّهُ قومُه ﴾ [الأنعام: ٨٠] إلى قوله تعالى: ﴿ وتلك حجّتُنا آتيناها إبراهيم ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقيل: هي قوله: ﴿ الذي خلقني فهو يهدين ﴾ [الشعراء: ٧٨]،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ظهور الأصابع فإنه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر، وأما حلق العانة ونتف الإبط فللتنظف عما يجتمع من الوسخ في الشعر وأما الاستنجاء، فلتنظيف ذلك المحل عن الأذى وأما الختان فلتنظيف القلفة، عما يجتمع فيها من البول. واختلف العلماء في وجوبه فذهب الشافعي إلى أن الختان واجب لأنه تنكشف له العورة، ولا يباح ذلك إلا في الواجب وذهب غيره إلى أنه سنّة. وأول من ختن إبراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد قبله (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اختتن إبراهيم بالقدوم» يروى القدوم بالتخفيف والتشديد، فمن خفف ذهب إلى أنه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال: إنه اسم موضع. عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: «كان إبراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب. قال: رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقاراً يا إبراهيم قال يا رب زدني وقاراً» أخرجه مالك في الموطأ وقيل: في الكلمات إنها مناسك الحج. وقيل: ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فأحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان، فصبر عليها وقيل: إن الله اختبر إبراهيم بكلمات أوحاها إليه وأمره أن يعمل بهن فأتمهن أي أداهن حق التأدية، وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيئاً. واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل: كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية: ﴿**إني جاعلك للناس إماماً**﴾ والسبب يتقدم على المسبب. وقيل: بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لأن التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي الإلهي وذلك بعد النبوة. والصواب أنه إن فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة، وإن فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة. وقوله تعالى: ﴿**قال إني جاعلك للناس إماماً**﴾ أي يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنّتك وهديك، والإمام هو الذي يؤتم به ﴿**قال ومن ذريتي**﴾ أي قال إبراهيم: واجعل من ذريتي وأولادي أئمة يقتدى بهم ﴿**قال**﴾ الله ﴿**لا ينال**﴾ أي لا يصيب ﴿**عهدي**﴾ أي نبوتي. وقيل الإمامة ﴿**الظالمين**﴾ يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عاهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالماً من ذريتك وولدك. قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وإذ جعلنا البيت﴾ يعني البيت الحرام، وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فإن الله تعالى وصفه بكونه آمناً وهذه صفة جميع الحرم ﴿مثابة للناس﴾ أي مرجعاً من ثاب يثوب إذا رجع، والمعنى يثوبون إليه من كل جانب يحجونه

إلى آخر الآيات، فأتمهنّ، قال قتادة أدّاهنّ قال الضحّاك: قام بِهنّ، وقال يمان: عمل بهنّ، قال الله تعالى: ﴿ **قال إنّي جاعلك للناس إماماً** ﴾: يُقتدى بك في الخير، ﴿ **قال** ﴾ إبراهيم: ﴿ **ومن ذريتي** ﴾ أي: ومن أولادي أيضاً فاجعل أئمة يقتدى بهم، ﴿ **قال** ﴾ الله تعالى: ﴿ **لا ينال** ﴾: لا يصيب ﴿ **عهدي الظالمين** ﴾، قرأ حمزة وحفص بإسكان الياء والباقون بفتحها، أي: مَنْ كان منهم ظالماً لا يصيبه، قال عطاء بن أبي رباح: عهدي رحمتي، وقال السدي: نبوّتي، وقيل: الإمامة، قال مجاهد: ليس لظالم أن يُطاع في ظُلمه، ومعنى الآية: لا ينال ما عهدْتُ إليك من النبوّة والإمامة مَن كان ظالماً من وَلَدِك، وقيل: أراد بالعهد الأمان من النار، وبالظالم المشرك، كقوله تعالى: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانَهم بظلمٍ أولئك لهم الأمن ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال الله تعالى: ﴿ **وإذْ جعلنا البيتَ** ﴾، يعني: الكعبة، ﴿ **مثابةً للناس** ﴾: مرجعاً لهم، قال مجاهد وسعيد بن جبير: يثوبون إليه من كلّ جانب ويحجّون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: معاذاً وملجأً، وقال قتادة

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وأمناً﴾ أي موضعاً ذا أمن يؤمنون فيه من أذى المشركين فإنهم كانوا لا يتعرضون لأهل مكة. ويقولون: هم أهل الله. وقال ابن عباس: معاذاً وملجأ (ق) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاه فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وبيوتهم فقال: إلا الإذخر». معنى الحديث: أنه لا يحل لأحد أن ينصب القتال والحرب في الحرم وإنما أحل ذلك لرسول الله ﷺ يوم فتح مكة فقط ولا يحل لأحد بعده. قوله: لا يعضد شوكه أي لا يقطع شوك الحرم وأراد به ما لا يؤذي منه أما ما يؤذي منه كالعوسج فلا بأس بقطعه. قوله: ولا ينفر صيده أي لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج. قوله: ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها أي ينشدها. والنشد رفع الصوت بالتعريف. واللقطة في جميع الأرض لا تحل إلا لمن يعرفها حولاً فإن جاء صاحبها أخذها. وإلا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان. وحكم مكة في اللقطة أن يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فإنه محدود بسنة. قوله: ولا يختلى خلاه. الخلي مقصور الرطب من النبات الذي يرعى وقيل: هو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه. وقول: لقينهم القين الحداد وقوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ قيل: الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وسائر المشاهد، والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي يصلي عنده الأئمة، وذلك الحجر هو الذي قام إبراهيم عليه عند بناء البيت، وقيل: كان أثر أصابع رجلي إبراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالأيدي وقيل: إنما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن أنس بن مالك قال قال عمر: «وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلّى فنزلت: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى» الحديث. وكان بدء قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس قال: أول ما اتخذت النساء المنطق من

وعكرمة: مجمعاً، ﴿ وأمناً ﴾ أي: مأمناً يأمنون فيه من إيذاء المشركين فإنهم ما كانوا يتعرّضون لأهل مكة، ويقولون هم أهل الله، ويتعرّضون لمَن حوله، كما قال الله تعالى: ﴿ أوَلَم يَروْا أنّا جعلنا حرماً آمناً ويُتَخطّفُ الناسُ من حولهم ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحُرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلّا مَن عرّفها ولا يختلى خلاه»، فقال العباس: يا رسول الله إلّا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم، فقال رسول الله ﷺ: «إلّا الإذخر»، ﴿ واتخذوا ﴾، قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر، وقرأ الباقون بكسر الخاء على الأمر، ﴿ منْ مَقام إبراهيم مصلى ﴾، قال يمان: المسجد كله مقام إبراهيم، وقال إبراهيم النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عَرَفَة ومزدلفة وسائر المشاهد، والصحيح: أن مقام إبراهيم هو الحَجَر الذي في المسجد يصلّي إليه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت، وقيل: كان أثر أصابع رجليه بيّناً فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، قال قتادة ومقاتل والسدي: أُمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم، ولم يُؤمروا بمسحه وتقبيله، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدّد عن يحيىٰ بن حميد، عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربّي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلّى، فأنزل الله تعالى: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل. فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له: ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: آلله أمرك بهذا قال: نعم قالت إذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال ربنا: إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت، وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال: يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي، ورفعت طرف درعها وسعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت يا من قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول: بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس قال النبي ﷺ يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً. قال: فشربت وأرضعت ولدها. فقال: لها الملك لا تخافي الضيعة، فإن ها هنا بيتاً لله يبتنيه هذا الغلام، وأبوه وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك، حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت: نعم ولكن لا حق لكم

مصلّى ﴾، وقلت: يا رسول الله يدخل عليك البرّ والفاجر، فلو أمرت أُمّهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله عزّ وجلّ آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهنّ فقلت لهنّ: إنِ انتهيتُنّ أو ليبدّلنّه اللّهُ خيراً منكنّ، فأنزل الله تعالى: ﴿ عسى ربه إنْ طَلَّقَكُنّ أنْ يُبدِّلَه أزواجاً خيراً منكنّ ﴾ [التحريم: ٥]، الآية.
ورواه محمد بن إسماعيل أيضاً عن عمرو بن عون أنا هشام عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه وافقت ربّي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلّى، فنزلت: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى ﴾، وأما بدء قصة المقام، فقد روى سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى إبراهيم إسماعيل وهاجر وضعهما بمكة، وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوّج إسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر، واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا يَنْزِل، فقَدِمَ إبراهيم مكة وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيّد، وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندي ضيافة وسألها عن عيشهم، فقالت: نحن في ضيق وشدّة، فشكت إليه فقال لها: إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له: فليغيّر عتبة بابه، فذهب إبراهيم فجاء إسمٰعيل فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد فقالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا، كالمستخفّة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال أقرئي زوجك السلام وقولي له فليغيّر عتبة بابه، قال: ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك، إلحقي بأهلك فطلّقها، وتزوّج منهم بأخرى فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

في الماء قالوا: نعم. قال ابن عباس قال النبي ﷺ فألفى ذلك أم إسماعيل، وهي تحب الأنس فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كانوا بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت إليه فقال إذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له: يغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد، وشدة فقال: هل أوصاك بشيء قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبي، وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها، وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه. فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال: وما طعامكم؟ قالت اللحم قال: وما شرابكم قالت: الماء قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه وفي رواية فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: قد ذهب يصيد، فقالت امرأته: ألاّ تنزل عندنا فتطعم وتشرب. قال: وما طعامكم وشرابكم قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم. قال: فقال أبو القاسم بركة دعوة إبراهيم. قال فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشيء قالت: نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك فقال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاسمع ما أمرك ربك، قال: وتعينني قال وأعينك قال: فإن الله أمرني أن أبني بيتاً ها هنا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا

إسماعيل، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيّد وهو يجيء الآن إن شاء الله، فانزل يرحمك الله، قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبن واللحم، وسألها عن عيشهم فقالت: نحن بخير وسِعَة فدعا لهما بالبركة، ولو جاءت يومئذ بخبز بُرٍّ أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله بُرّاً أو شعيراً أو تمراً، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل، فجاءته بالمقام فوضعته عن شقّه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شقّ رأسه الأيمن ثم حوّلته إلى شقّه الأيسر فغسلت شقّ رأسه الأيسر، فبقي أثر قدميه عليه، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك، فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، وقال لي كذا وكذا، وقلت له: كذا وكذا، وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه، فقال ذاك إبراهيم النبي أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك، ورُوِيَ عن سعيد بن جبير أيضاً عن ابن عباس قال: ثم لبثت عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً تحتة دوحة قريبة من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله تعالى أمرني بأن تُعينني عليه، قال: أعينك عليه، قال: إن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً، فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، فلما

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ارتفع البناء جاءه بهذا الحجر فوضعه له، فقام إبراهيم عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم: وفي رواية حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة ويقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وقيل: إن امرأة إسماعيل قالت لإبراهيم: انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولته إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدميه عليه. عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب» أخرجه الترمذي. وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفاً. واختلفوا في قوله: مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلّى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء، ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى قبلة، أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح، لأن لفظ الصلاة إذا أطلق لا يعقل منه إلا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود، ولأن مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أي أمرناهما وألزمناهما وأوجبنا عليهما. قيل: إنما سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً، ويقول في دعائه: اسمع يا إيل وإيل بلسان السريانية هو الله. فلما رزق الولد سماه به ﴿أن طهرا بيتي﴾ يعني الكعبة أضافه إليه تشريفاً وتفضيلاً وتخصيصاً، أي ابنياه على الطهارة والتوحيد، وقيل طهراه من سائر الأقذار والأنجاس، وقيل طهراه من الشرك والأوثان وقول الزور ﴿للطائفين﴾ يعني الدائرين حوله ﴿والعاكفين﴾ يعني المقيمين به والمجاورين له ﴿والركع السجود﴾ جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل: الطائفين يعني الغرباء الواردين إلى مكة والعاكفين يعني أهل مكة المقيمين بها. قيل: إن الطواف للغرباء أفضل والصلاة لأهل مكة بمكة أفضل. قوله عز وجل: .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا﴾ إشارة إلى مكة وقيل إلى الحرم ﴿بلداً آمناً﴾ أي ذا أمن يأمن فيه أهله، وإنما دعا إبراهيم له بالأمن لأنه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فإذا لم يكن آمناً، لم يجلب إليه شيء من النواحي فيتعذر

ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام إبراهيم على حجر المقام، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ ربّنا تقبّل منّا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وفي الخبر: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، ولولا مسّته أيدي المشركين لأضاء ما بين المشرق والمغرب». قوله عزّ وجلّ: ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾، أي: أمرناهما وأوصينا إليهما، قيل: سُمّي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولد ويقول: اسمع يا إيل، وإيل هو الله، فلما رُزق الولد سمّاه به. ﴿ أن طهّرا بيتيَ ﴾، يعني: الكعبة، أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً، أي: ابنياه على الطهارة والتوحيد، وقال سعيد بن جبير وعطاء: طهّراه من الأوثان والريب وقول الزّور، وقيل: بخّراه وخلّقاه، قاله يمان بن رباب، قرأ أهل المدينة وحفص ﴿ بيتيَ ﴾ بفتح الياء ههنا وفي سورة الحج، [٢٦]، وزاد حفص في سورة نوح [٢٨]، ﴿للطائفين﴾: الدائرين حوله، ﴿والعاكفين﴾: المقيمين المجاورين، ﴿ والركّع ﴾، جمع راكع، ﴿ السجود ﴾: ساجد، وهم المصلّون، قال الكلبي ومقاتل: الطائفين هم الغرباء والعاكفين أهل مكة، قال عطاء ومجاهد وعكرمة: الطواف للغرباء أفضل، والصلاة لأهل مكة أفضل.

﴿ وإذْ قال إبراهيم ربِّ اجعلْ هذا ﴾، يعني مكة، وقيل: الحرم، ﴿ بلداً آمناً ﴾، أي: ذا أمن يأمن فيه أهله، ﴿ وارزق أهله من الثمرات ﴾، إنما دعا بذلك لأنه كان بوادٍ غير ذي زرع، وفي القصص: أن الطائف كانت

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

المقام به. فأجاب الله تعالى دعاء إبراهيم وجعله بلداً آمناً فما قصده جبار إلا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة. فإن قلت: قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة. قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا إخراب الكعبة، وإنما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك إلا بذلك فلما حصل قصده أعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها وأحسن إلى أهلها. واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة إبراهيم عليه السلام أو حرمت بدعوته على قولين؟: أحدهما أنها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله ﷺ: «إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض» وقول إبراهيم عليه السلام: «إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم» فهذا يقتضي أن مكة كانت محرمة قبل دعوة إبراهيم. القول الثاني: أنها إنما حرمت بدعوة إبراهيم بدليل قوله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة» وهذا يقتضي أن مكة كانت قبل دعوة إبراهيم حلالاً كغيرها من البلاد، وإنما حرمت بدعوة إبراهيم، ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب أن الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما أخبر النبي ﷺ في قوله: «إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض» ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله، وإنما كان تعالى يمنعها ممن أرادها بسوء، ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بوأها الله تعالى إبراهيم وأسكن بها أهله فحينئذ سأل إبراهيم ربه عز وجل أن يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فأجاب الله تعالى دعوته، وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراماً بدعوة إبراهيم، وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب، والله أعلم ﴿**وارزق أهله من الثمرات**﴾ إنما سأل إبراهيم ذلك لأن مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء ﴿**من آمن منهم بالله واليوم الآخر**﴾ يعني ارزق المؤمنين من أهله خاصة. وسبب هذا التخصيص أن إبراهيم عليه السلام لما سأل ربه عز وجل أن يجعل النبوة والإمامة في ذريته فأجابه الله بقوله: ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾ صار ذلك تأديباً له في المسألة، فلا جرم خص ها هنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله: ﴿**قال ومن كفر فأمتعه**﴾ أي سأرزق الكافر أيضاً ﴿**قليلاً**﴾ أي في الدنيا إلى منتهى أجله وذلك قليل لأنه ينقطع ﴿**ثم أضطره إلى عذاب النار**﴾ أي ألجئه وأكرهه وأدفعه إلى عذاب النار، والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر إليه ﴿**وبئس المصير**﴾ أي وبئس المكان الذي يصير إليه الكافر وهو العذاب.

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧)

قوله تعالى: ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل**﴾ وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء،

من بلاد الشام بأردن، فلما دعا إبراهيم عليه السلام هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى قلعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ثم وضعها موضعها الذي هي الآن فيه فمنها أكثر ثمرات مكة، ﴿ **مَن آمن منهم بالله واليوم الآخر** ﴾: دعا للمؤمنين خاصّة، ﴿ **قال** ﴾ الله تعالى: ﴿ **ومَن كفر فأمتعه** ﴾، قرأ ابن عامر ﴿ **فأمتعه** ﴾ خفيفاً بضمّ الهمزة، والباقون مُشدّداً، ومعناهما واحد، ﴿ **قليلاً** ﴾، أي سأرزق الكافر أيضاً قليلاً إلى منتهى أجله، وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافّة مؤمنهم وكافرهم، وإنما قيّد بالقلّة لأن متاع الدنيا قليل، ﴿ **ثم أضْطره** ﴾، أي ألجئه في الآخرة: ﴿ **إلى عذاب النار وبئس المصير** ﴾، أي: المرجع يصير إليه، قال مجاهد: وجد عند المقام كتاب فيه: أنا الله ذو بكة صنعتها يوم خلقت الشمس والقمرَ وحرّمتها يوم خلقت السموات والأرض، وحففتها بسبعة أفلاك حنفاء، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، مُبارك لها في اللحم والماء.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وإذْ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسمٰعيل** ﴾، قال الرواة: إن الله تعالى خلق موضع

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وأصحاب السير أن الله تعالى خلق موضع البيت قبل أن يخلق الأرض بألفي عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء، فدحيت الأرض من تحتها فلما أهبط الله آدم إلى الأرض استوحش فشكا إلى الله تعالى، فأنزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي، وباب غربي فوضعه على موضع البيت، وقال يا آدم إني أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي وأنزل الله عليه الحجر الأسود، وكان أبيض فاسودّ من مس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشياً إلى مكة، وأرسل الله إليه ملكاً يدله على البيت فحج آدم البيت وأقام المناسك، فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

قال ابن عباس: حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله إلى السماء الرابعة، وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له، من الغرق فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام. ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله أن يبين له موضعه، فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية، والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة الهبوب وقيل: هي المتلوية في هبوبها، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم، حتى أتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق الحجفة، وقال ابن عباس: بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير، وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وقفت على موضع البيت، ونودي منها يا إبراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص. وقيل: إن الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الأول فذلك قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت فكان إبراهيم يبنيه،

البيت قبل الأرض بألفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها، فلما أهبط الله آدم إلى الأرض استوحش، فشكا إلى الله تعالى فأنزل الله البيت المعمور من ياقوتة، من يواقيت الجنّة له بابان من زمرّد أخضر باب شرقي وباب غربي، فوضعه على موضع البيت، وقال: يا آدم إنّي أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يُطاف حول عرشي تصلّي عنده كما يصلّى عند عرشي، وأنزل الحجر وكان أبيض فاسودّ من لمس الحيّض في الجاهلية، فتوجّه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً، وقيّض الله له ملكاً يدلّه على البيت، فحجّ البيتَ وأقام المناسك، فلما فرغ تلقّته الملائكة وقالوا: بُرَّ حجُك يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام. قال ابن عباس رضي الله عنه: حجّ آدم أربعين حجّة من الهند إلى مكة على رجليه، فكان على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وبعث جبريل عليه السلام حتى خبّأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق، فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعدما وُلد له إسماعيل وإسحق ببناء بيت يُذكر فيه، فسأل الله عزّ وجلّ أن يُبيّن له موضعه، فبعث الله السكينة لتدلّه على موضع البيت، وهي ريح خجول لها رأسان شبه الحيّة، فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرّ السكينة، فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة، فتطوّقت السكينة على موضع البيت، كتطوّق الجحفة. هذا قول علي والحسن، وقال ابن عباس: بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلّها إلى أن وافق مكة، ووقفت على موضع البيت، فنُودي منها إبراهيم أن ابْنِ على ظِلّها لا تزدْ ولا تنقصْ، وقيل: أرسل الله جبريل ليدلّه على موضع البيت، فذلك قوله تعالى: ﴿ وإذْ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت ﴾ [الحج: ٢٦]، فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت، فكان إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجر، فذلك قوله تعالى: ﴿ وإذْ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسمٰعيل ﴾، يعني أُسسه، واحدتها: قاعدة، وقال الكسائي: جُدر البيت، قال ابن عباس: إنما بنى البيت

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وإسماعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾ جمع قاعدة وهي أس البيت. وقيل جدرة من البيت. قال ابن عباس: بنى إبراهيم البيت من خمسة أجبل: من طور سيناء وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة، وبنى قواعده من حراء جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل: ائتني بحجر حسن يكون للناس علماً فأتاه بحجر فقال ائتني بأحسن منه فمضى إسماعيل ليطلب حجراً أحسن منه فصاح أبو قبيس: يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها فقذف بالحجر الأسود فأخذه إبراهيم فوضعه مكانه وقيل: إن الله أمد إبراهيم وإسماعيل بسبعة أملاك يعينونهما في بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا: ﴿ربنا تقبل منا﴾ وفي الآية إضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا أي ما عملنا لك، وتقبل طاعتنا إياك وعبادتنا لك ﴿إنك أنت السميع﴾ أي لدعائنا ﴿العليم﴾ يعني بنياتنا. قوله عز وجل:

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ يعني موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك. فإن قلت: الإسلام إما أن يكون المراد منه الدين والاعتقاد أو الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب؟ قلت فيه وجهان أحدهما أن الإسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى، فقوله: واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل وذلك لا ينافي حصوله في الحال. الوجه الثاني يحتمل أن يكون المراد منه طلب الزيادة في الإيمان فكأنهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال ﴿ومن ذريتنا﴾ أي من أولادنا ﴿أمة﴾ أي جماعة ﴿مسلمة﴾ أي خاضعة منقادة ﴿لك﴾ وإنما أدخل من التي هي للتبعيض لأن الله تعالى أعلمهما بقوله: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾

من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام والجودي وهو جبل بالجزيرة، وبنيا قواعده من حِراء وهو جبل بمكة، فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود، قال لإسماعيل: ائتني بحجر حسن يكون للناس عَلَماً فأتاه بحجر، فقال: ائتني بأحسن من هذا، فمضى إسماعيل يطلبه فصاح أبو قبيس: يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه، وقيل: إن الله تعالى بنى في السماء بيتاً وهو البيت المعمور، ويُسمى ضراح، وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحياله على قدره ومثاله، وقيل: أول مَن بنى الكعبة آدم، واندرس زمن الطوفان، ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه، ﴿ ربنا تقبّل منّا ﴾، فيه إضمار، أي: ويقولان: ربّنا تقبّل منّا بناءنا، ﴿ إنك أنت السميع ﴾، لدعائنا ﴿ العليم ﴾: بنياتنا.

﴿ ربّنا واجعلنا مُسلِمَيْنِ لكَ ﴾: موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك: ﴿ ومن ذريتنا ﴾، أي: أولادنا، ﴿ أمةً ﴾: جماعةً، والأمة: أتباع الأنبياء، ﴿ مُسلمةً لك ﴾: خاضعة لك، ﴿ وأرنا ﴾ علّمنا وعرّفنا، قرأ ابن كثير ساكنة الراء، وأبو عمرو بالاختلاس، والباقون بكسرها، ووافق ابن عامر وأبو بكر في الإسكان في حمّ السجدة، وأصله: أرئنا، فحذفت الهمزة طلباً للخفّة، ونُقلت حركتها إلى الـراء، ومَن سكّنها قال: ذهبتِ الهمزةُ فذهبت حركتها، ﴿ مناسكنا ﴾: شرائع ديننا وأعلام حجّنا، وقيل: مواضع حجّنا، وقال مجاهد: مذابحنا، والنسك: الذبيحة، وقيل: متعبداتنا، وأصل النسك: العبادة، والناسك: العابد، فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عَرَفَة، فلما بلغ عرفات قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم، فسُمّي الوقت عَرَفَة والموضع

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

إن في ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية بالدعاء. فإن قلت: لم خص ذريتهما بالدعاء. قلت: لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة، قال الله تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم ألا ترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء: إذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم. وقيل: أراد بالأمة أمة محمد ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿وابعث فيهم رسولاً منهم﴾ ﴿وأرنا﴾ أي علمنا وبصرنا ﴿مناسكنا﴾ أي شرائع ديننا وأعلام حجنا، وقيل: مناسكنا يعني مذابحنا والنسك الذبيحة، وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال: عرفت يا إبراهيم. قال إبراهيم: نعم فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات ﴿وتب علينا﴾ أي تجاوز عنا ﴿إنك أنت التواب﴾ أي المتجاوز عن عباده ﴿الرحيم﴾ بهم واحتج بقوله «وتب علينا» من جوز الذنوب على الأنبياء. ووجهه أن التوبة لا تطلب من الله إلاّ بعد تقدم الذنب فلو لا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه. وأجيب عنه بأن العبد وإن اجتهد في طاعة ربه عز وجل فإنه لا ينفك عن تقصير في بعض الأوقات. أما على سبيل السهو أو ترك الأولى والأفضل، وكان هذا الدعاء لأجل ذلك، وقيل: يحتمل أن الله تعالى لما أعلم إبراهيم أن في ذريته من ظالم فلا جرم سأل ربه التوبة لأولئك الظلمة، والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا إلى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لأنفسهما والمراد به ذريتهما. وقيل: يحتمل أنهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان أحرى الأماكن بالإجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما في ذلك الدعاء لأن ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى. قوله عز وجل: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾ يعني وابعث في الأمة المسلمة أو الذرية وهم العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وقوله: رسولاً منهم يعني ليدعوهم إلى الإسلام ويكمل الدين والشرع، وإذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله ويكون هو أشفق عليهم من غيره، وأجمع المفسرون على أن المراد بقوله «رسولاً منهم» هو محمد ﷺ لأن إبراهيم عليه السلام إنما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد ﷺ فدل على أن المراد به محمد ﷺ وروى البغوي بإسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني، وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشام» وقوله: لمنجدل في طينته معناه أنه مطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تجر فيه الروح وأراد بدعوة إبراهيم قوله: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً

عرفات. ﴿ وتُبْ علينا ﴾، تجاوز عنّا، ﴿ إنك أنت التوّاب الرحيم ﴾.

﴿ ربّنا وابعث فيهم ﴾، أي: في الأمة المسلمة من ذريّة إبراهيم وإسماعيل، وقيل: في أهل مكة، ﴿ رسولاً منهم ﴾، أي: مرسلاً منهم، أراد به محمداً ﷺ، حدّثنا السيد أبو القاسم علي بن موسى الموسوي، حدّثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عباس البلخي، أنا الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، أنا محمد بن المكّي أنا إسحاق بن إبراهيم أنا ابن أخي ابن وهب أنا عمّي أنا معاوية عن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى عن هلال السّلمي عن العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيّين وأن آدم لمنجدل في طينته، وسأُخبركم بأول أمري: أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أُمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نورٌ أضاءت لها منه قصور الشام»، وأراد بدعوة إبراهيم هذا فإنه دعا أن يبعث في بني إسماعيل رسولاً منهم، قال ابن عباس: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلاّ عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. ﴿ يتلو ﴾: يقرأ ﴿ عليهم آياتك ﴾،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

منهم﴾، فاستجاب الله دعاء إبراهيم وبعث محمداً ﷺ في آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم وأراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله في سورة الصف: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ ﴿يتلو عليهم﴾ أي يقرأ عليهم ﴿آياتك﴾ يعني ما توحيه إليه وهو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ لأن الذي كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ يعني معاني الكتاب وحقائقه لأن المقصود الأعظم تعليم ما في القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والأحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى أولاً أمر التلاوة، وهي حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصوناً عن التحريف، والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره ﴿والحكمة﴾ أي ويعلمهم الحكمة وهي الإصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيماً إلّا إذا اجتمع فيه الأمران. وقيل: الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطأ وذلك إنما يكون بما ذكرناه من الإصابة في القول والعمل ووضع كل شيء موضعه، وقيل الحكمة معرفة الأشياء بحقائقها. واختلف المفسرون في المراد بالحكمة ها هنا فروى ابن وهب قال: قلت لمالك ما الحكمة. قال: المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له. وقال قتادة: الحكمة هي السنة وذلك لأن الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد بها شيئاً آخر وليس ذلك إلّا السنة. وقيل الحكمة: هي العلم بأحكام الله تعالى التي لا يدرك علمها إلّا ببيان الرسول ﷺ والمعرفة بها منه. وقيل الحكمة: هي الفصل بين الحق والباطل. وقيل: هي معرفة الأحكام والقضاء وقيل: هي فهم القرآن، والمعنى ويعلمهم ما في القرآن من الأحكام والحكمة وهي ما فيه من المصالح الدينية والأحكام الشرعية. وقيل: كل كلمة وعظتك أودعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة ﴿ويزكيهم﴾ أي ويطهرهم من الشرك وعبادة الأوثان، وسائر الأرجاس والرذائل والنقائص، وقيل: يزكيهم من التزكية أي يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة، إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ ثم ختم إبراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال ﴿إنك أنت العزيز﴾ قال ابن عباس: العزيز الذي لا يوجد مثله. وقيل: هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الأيدي، وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم أرض عزاز أي صلبة قوية ﴿الحكيم﴾ أي العالم الذي لا تخفى عليه خافية، وقيل هو العالم بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام. قوله عز وجل:

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ

كتابك يعني: القرآن، والآية من القرآن كلام متّصل إلى انقطاعه، وقيل هي جماعة حروف، يقال خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم، ﴿ ويعلّمهم الكتاب ﴾، يعني: القرآن، ﴿ والحكمةَ ﴾، قال مجاهد: فهم القرآن، وقال مقاتل: مواعظ القرآن وما فيه من الأحكام، قال قتيبة: هي العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما، وقيل: هي السُنّة والأحكام، وقيل: هي القضاء، وقيل: الحكمة الفقه، قال أبو بكر بن دريد كل كلمة وَعَظَتْك أو دَعَتْك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة، ﴿ ويزكّيهم ﴾، أي: يطهّرهم من الشرك والذنوب، وقيل: يأخذ الزكاة من أموالهم، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ من التزكية وهي التعديل، ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾، قال ابن عباس: العزيز: الذي لا يُوجد مثله، وقال الكلبي: المنتقم، بيانه قوله تعالى: ﴿ والله عزيزٌ ذو انتقام ﴾ [آل عمران: ٤، المائدة: ٩٥]، وقيل: المنيع الذي لا تناله الأيدي ولا يصل إليه شيء، وقيل: القوي، والعزّة القوّة، قال الله تعالى: ﴿ فعززنا بثالث فقالوا ﴾ [يٓس: ١٤]، أي: قوّينا، وقيل: الغالب، قال الله تعالى إخباراً ﴿ وعزّني في الخطاب ﴾ [صٓ: ٢٣] أي: غلبني، ويقال في المثل: من عزيز أي: من غَلَبَ سَلَبَ.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلّا من سفه نفسه﴾ سبب نزول هذه الآية أن عبدالله بن سلام دعا ابني أخيه إلى الإسلام مهاجراً وسلمة، وقال لهما: قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى، ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأنزل الله تعالى:

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ أي يترك دينه وشريعته، وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي العرب لأن اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب إلى إبراهيم والوصلة إليه، لأنهم من بني إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، والعرب يفتخرون به لأنهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم وإذا كان كذلك كان إبراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في آخر الزمان فمن رغب عن الإيمان بهذا الرسول الذي هو دعوة إبراهيم فقد رغب عن ملة إبراهيم ومعنى يرغب عن ملة إبراهيم أي يترك دينه وشريعته يقال: رغب في الشيء إذا أراده ورغب عنه إذا تركه إلّا من سفه نفسه قال ابن عباس: خسر نفسه وقيل: أهلك نفسه وقيل: امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة. وقيل: الجهل وضعف الرأي فكل سفيه جاهل لأن من عبد غير الله فقد جهل نفسه لأنه لم يعترف بأن الله خالقها وقد جاء «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ومعناه: أن يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء، ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفني قال: يا رب وكيف أعرف نفسي وكيف أعرفك؟ قال: اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء ﴿ولقد اصطفيناه﴾ أي اخترناه ﴿في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ يعني الفائزين وقيل: مع الأنبياء في الجنة ﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ أي استقم على الإسلام واثبت عليه لأنه كان مسلماً لأن الأنبياء إنما نشؤوا على الإسلام والتوحيد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على أمارات الحدوث فيها، وافتقارها إلى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه:

﴿ وَمَنْ يرغبُ عنْ مِلّة إبراهيم ﴾، وذلك أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سَلمةَ ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أن الله عزّ وجلّ قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبيّاً اسمه أحمد فمَن آمن به فقد اهتدى ومَن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يُسلم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ ومَن يرغب عن ملّة إبراهيم ﴾، أي: يترك دينه وشريعته، يقال: رغب في الشيء إذا أراده، ورغب عنه إذا تركه، وقوله ﴿ من ﴾: لفظة استفهام ومعناه التقريع والتوبيخ، يعني: ما يرغب عن ملّة إبراهيم ﴿ إلّا مَن سفه نفسه ﴾، قال ابن عباس: مَن خسر نفسه، وقال الكلبي: ضلّ من قِبَل نفسه، وقال أبو عبيدة: أهلك نفسه، وقال ابن كيسان والزجّاج: معناه جهل نفسه، والسفاهةُ: الجهلُ وضعف الرأي، وكلّ سفيه جاهل، وذلك أن مَنْ عبدَ غيرَ الله فقد جَهِلَ نفسه لأنه لم يعرف أَنّ اللّهَ خلقها، وقد جاء: مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربّه، وفي الأخبار: أن الله تعالى أوحى إلى داود: اعرف نفسك واعرفني، فقال: يا رب كيف أعرف نفسي وكيف أعرفك؟ فأوحى الله إليه: اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء، واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء. وقال الأخفش: معناه سفه في نفسه، و﴿ نفسه ﴾ على هذا القول: نصب بنزع حرف الصفة، وقال الفرّاء: نصب على التفسير، وكان الأصل سفهتْ نفسُه، فلما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس مفسّرة ليعلم موضع السفه، كما يقال ضقت به ذرعاً أو ضاق ذرعي به، ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا ﴾: اخترناه في الدنيا، ﴿ وإنه في الآخرة لَمِنَ الصالحين ﴾، يعني: أي مع الأنبياء في الجنة، وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أسلم ﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ أي قال إبراهيم: خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لمالك الخلائق ومدبرها ومحدثها. وقيل: معنى أسلم أخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة. وقيل: الإيمان من صفات القلب والإسلام من صفات الجوارح وإن إبراهيم كان مؤمناً بقلبه عارفاً بالله فأمره الله أن يعمل بجوارحه وقيل: معناه أسلم نفسك إلى الله تعالى وفوض أمرك إليه. قال: أسلمت أي فوضت أمري لرب العالمين. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقي في النار. قوله عز وجل:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾ يعني بكلمة الإخلاص، وهي لا إله إلاّ الله. وقيل هي الملة الحنيفية وكان لإبراهيم ثمانية أولاد إسماعيل وأمه هاجر القبطية وإسحاق وأمه سارة ومدين ومدان ويقنان وزمران وشيق وشوخ وأمهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم حين وفاة سارة، فإن قلت، لم قال: وصى بها إبراهيم بنيه ولم يقل أمرهم؟. قلت: لأن لفظ الوصية أوكد من لفظ الأمر لأن الوصية إنما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط الإنسان لولده أشد وأعظم، وكانوا هم إلى قبول وصيته أقرب وإنما خص بنيه بهذه الوصية لأن شفقة الرجل على بنيه أكثر من شفقته على غيرهم. وقيل: لأنهم كانوا أئمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحاً لغيرهم ﴿ويعقوب﴾ أي ووصى يعقوب بمثل ما وصي به إبراهيم، وسمي يعقوب لأنه هو والعيص كانا توأمين في بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذاً بعقبه قال ابن عباس: وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم: روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وربالون ويشجرودان ونفتالى وجاد وآشر ويوسف وبنيامين، ثم خاطب يعقوب بنيه فقال ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين﴾ أي اختار لكم دين الإسلام ﴿فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾ أي مؤمنون مخلصون فالمعنى دوموا على إسلامكم حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون لأنه لا يعلم في أي وقت يأتي الموت على الإنسان. وقيل: في معنى وأنتم مسلمون أي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ قبل موته

﴿ إذْ قال له ربه أسلم ﴾، أي استقم على الإسلام واثبت عليه، لأنه كان مسلماً، قال ابن عباس: قال له ذلك حين خرج من السرب، وقال الكلبي أخلص دينك وعبادتك لله، وقال عطاء: أسلم نفسك إلى الله عزّ وجلّ وفوّضْ أمورك إليه، ﴿ قال أسلمت لربّ العالمين ﴾، أي: فوّضت، قال ابن عباس: وقد حقّق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين أُلقي في النار.

﴿ ووصّى بها إبراهيمُ بنيهِ ويعقوبُ ﴾، قرأ أهل المدينة والشام و﴿ أوصى ﴾ بالألف، وكذلك في مصاحفهم، وقرأ الباقون ﴿ ووصّى ﴾ مشدّداً، وهما لغتان مثل نزل ونزّل معناه: ووصّى بها إبراهيم ووصّى يعقوب بنيه، قال الكلبي ومقاتل: يعني بكلمة الإخلاص لا إله إلاّ الله، قال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية إلى الملّة لأنه ذكر ملّة إبراهيم، وإن شئت رددتها إلى الوصية، أي: وصّى إبراهيم بنيه الثمانية: إسماعيل وأُمه هاجر القبطية

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلاّ وهو يحسن الظن بربه» أخرجاه في الصحيحين. قوله عز وجل: ﴿أم كنتم شهداء﴾ جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين ﴿إذ حضر يعقوب الموت﴾ أي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود، وذلك لأنهم قالوا للنبي ﷺ إن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيباً لهم، والمعنى أم كنتم يا معشر اليهود شهوداً على يعقوب إذ حضره الموت، أي إنكم لم تحضروا ذلك فلا تدّعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل وتنسبوهم إلى اليهودية فإني ما ابتعثت خليلي إبراهيم، وولده وأولادهم إلاّ بدين الإسلام، وبذلك وصوا أولادهم وبه عهدوا إليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى: ﴿إذ قال﴾ يعني يعقوب ﴿لبنيه﴾ يعني لأولاده الاثني عشر ﴿ما تعبدون﴾ أي أي شيء تعبدون ﴿من بعدي﴾ قيل إن الله تعالى لم يقبض نبياً حتى يخيره: بين الحياة والموت، فلما خير يعقوب وكان قد رأى أهل مصر يعبدون الأوثان والنيران فقال انظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده قال لهم قد حضر أجلي ما تعبدون من بعدي؟ ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ إنما قدم إسماعيل لأنه كان أكبر من إسحاق وأدخله في جملة الآباء وإن كان عماً لهم لأن العرب تسمي العم أباً والخالة أمّاً قال رسول الله ﷺ: «عم الرجل صنو أبيه» وقال في عمه العباس «ردوا عليّ أبي» ﴿إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ أي مخلصون العبودية ﴿تلك﴾ إشارة إلى الأمة المذكورة، يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم ﴿أمة قد خلت﴾ أي مضت لسبيلها

وإسحق وأُمه سارة، وستّة أُمهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية، تزوّجها إبراهيم بعد وفاة سارة، ويعقوب، سُمّي بذلك لأنه والعيص كانا تَوْأَمين فتقدّم عيص في الخروج من بطن أُمه، وخرج يعقوب على أثره آخذ بعقبه، قاله ابن عباس، وقيل سُمّي يعقوب لكثرة عقبه، يعني ووصى أيضاً يعقوب بنيه الإثني عشر ﴿ يا بني ﴾، معناه أن يا بني: ﴿ إن الله اصطفى ﴾: اختار ﴿ لكم الدين ﴾، أي: دين الإسلام، ﴿ فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون ﴾، مؤمنون، وقيل مخلصون، وقيل مفوّضون، والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نُهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام معناه، داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلاّ وأنتم مسلمون، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله: أنه قال: إلاّ وأنتم مسلمون، أي: محسنون بربكم الظن، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام، يقول: «لا يموتنّ أحدكم إلاّ وهو يُحسن الظن بالله عزّ وجلّ».

قوله تعالى: ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ يعني أكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء حضوراً ﴿ إذْ حضر يعقوب الموت ﴾، أي: حين قرب يعقوب من الموت، قيل: نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود، وقال الكلبي: لمّا دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران، فجمع ولده وخاف عليهم ذلك، فقال عزّ وجلّ: ﴿ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ﴾؟ قال عطاء: إن الله تعالى لم يقبض نبياً حتى خيّره بين الحياة والموت، فلما خيّر يعقوب قال: يا ربّ أنظرني حتى أسأل ولدي وأُوصيهم، ففعل الله ذلك به، فجمع ولده وولد ولده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي؟ ﴿ قالوا نعبد إلَهك وإلَه آبائك إبراهيم وإسمٰعيل وإسحق ﴾، وكان إسماعيل عمّاً لهم، والعرب تسمي العمّ أباً كما تسمّي الخالة أمّاً، قال النبيّ ﷺ: «عمُّ الرجل صنو أبيه»، وقال في عمّه العباس: «ردّوا عليّ أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود»، وذلك أنهم قتلوه: ﴿ إلَهاً واحداً ﴾ نُصب على البدل من قوله: ﴿ إلَهك ﴾، وقيل: نعرفه إلَهاً واحداً، ﴿ ونحن له مسلمون ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

والمعنى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق والمسلمين من أولادهم، ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم ﴿لها ما كسبت﴾ يعني من العمل ﴿ولكم﴾ يعني يا معشر اليهود والنصارى ﴿ما كسبتم﴾ أي من العمل ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ يعني كل فريق يسأل عن عمله لا عن عمل غيره. قوله عز وجل: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى نجران السيد، والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المؤمنين في الدين، فكل فريق منهم يزعم أنه أحق بدين الله فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفروا بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلّا ذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿قل﴾ يعني يا محمد ﴿بل ملة إبراهيم﴾ يعني إذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة إبراهيم لأنه مجمع على فضله ﴿حنيفاً﴾ أصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم. قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، قال الشاعر:

ولكنـــــا خلقنـــــا إذ خلقنـــــا حنيفـــاً ديننـــا عـــن كـــل ديـــن

والعرب تسمي كل من حج أو اختتن حنيفاً تنبيهاً على أنه على دين إبراهيم، وقيل: الحنيفية الختان وإقامة المناسك مسلماً، يعني أن الحنيفية هي دين الإسلام وهو دين إبراهيم عليه السلام ﴿وما كان من المشركين﴾ يعني إبراهيم وفيه تعريض لليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة إبراهيم وهو على الشرك، ثم علم المؤمنين طرائق الإيمان فقال تعالى:

﴿تلك أمّة﴾: جماعة، **﴿قد خلت﴾**: مضت، **﴿لها ما كسبت﴾**: من العمل، **﴿ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عمّا كانوا يعملون﴾**، يعني: يسئل كلٌّ عن عمله لا عن عمل غيره.

﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾، قال ابن عباس: نزلت في رؤساء يهود المدينة: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهود وأبي ياسر بن أخطب، وفي نصارى أهل نجران السيد والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحقّ بدين الله، فقالت اليهود: نبيّنا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن، وقالت النصارى نبيّنا أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان وكفرتْ بمحمد ﷺ والقرآن وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلّا ذلك، فقال تعالى: **﴿قل﴾** يا محمد: **﴿بل ملّة إبراهيم﴾**، بل نتّبع ملّة إبراهيم، وقال الكسائي: هو نصب على الإغراء كأنه يقول: اتّبعوا ملّة إبراهيم، وقيل: معناه بل نكون على ملّة إبراهيم، فحذف على فصار منصوباً، **﴿حنيفاً﴾**، نصب على الحال عند نحاة البصرة، وعند نحاة الكوفة نصب على القطع، أراد به ملّة إبراهيم الحنيف، فلما أسقطت الألف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منه، فنصب. قال مجاهد: الحنيفة أتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس، قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم، وقال سعيد بن جبير: الحنيف هو الحاج المختتن، وقال الضحّاك: إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن مع المسلم فهو المسلم، قال قتادة: الحنيفة الختان وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمّات والخالات وإقامة المناسك، **﴿وما كان من المشركين﴾**، ثم علّم المؤمنين طريق الإيمان فقال جلّ ذكره:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾

﴿قولوا آمنا بالله﴾ يعني قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم: كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا: آمنا بالله أي صدقنا بالله ﴿وما أنزل إلينا﴾ يعني القرآن ﴿وما أنزل إلى إبراهيم﴾ يعني وآمنا بما أنزل إلى إبراهيم وهو عشر صحائف ﴿وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا أنبياء، وقيل: السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل: للحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب من بني إسماعيل وكان في الأسباط أنبياء ﴿وما أوتي موسى﴾ يعني التوراة ﴿وعيسى﴾ يعني الإنجيل ﴿وما أوتي النبيون من ربهم﴾ والمعنى آمنا أيضاً بالتوراة والإنجيل والكتب التي أوتي جميع النبيين وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور وأن الجميع من عند الله وأن جميع ما ذكر الله من أنبيائه كانوا على هدى وحق ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ أي لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض وكما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد ﷺ، وأقرت ببعض الأنبياء وكما تبرأت النصارى من محمد ﷺ وأقرت ببعض الأنبياء بل نؤمن بكل الأنبياء وأن جميعهم كانوا على حق وهدى ﴿ونحن له مسلمون﴾ أي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية (خ) عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم.

﴿وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾. الآية. قوله عز وجل: ﴿فإن آمنوا﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿بمثل ما

﴿قولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا﴾، يعني القرآن، ﴿وما أُنزل إلى إبراهيم﴾، وهو عشر صحف، ﴿وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط﴾، يعني: أولاد يعقوب، وهم اثنا عشر سبطاً: واحدهم: سبط، سُمّوا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة، وسبط الرجل: حافده، ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما: سبطا رسول الله ﷺ، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، من بني إسماعيل، والشعوب من العجم، وكان في الأسباط أنبياء، ولذلك قال: ﴿وما أُنزل إليهم﴾ [آل عمران: ١٩٩، المائدة: ٦٦]، وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلّهم أنبياء. ﴿وما أُوتي موسى﴾، يعني التوراة، ﴿وعيسى﴾، يعني الإنجيل، ﴿وما أُوتي﴾: أعطى ﴿النبيّون من ربّهم لا نُفرِّق بين أحدٍ منهم﴾، أي: نؤمن بالكل لا نفرّق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى، ﴿ونحن له مسلمون﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشّار أنا عثمان بن عمر، أنا علي بن المبارك عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقالوا: آمنّا بالله» الآية.

﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ أي: بما آمنتم به، وكذلك كان يقرؤها ابن عباس و(المثل) صلة، كقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] أي: ليس هو كشيء، وقيل: معناه فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به أي: أتوا بإيمانٍ كإيمانكم وتوحيدٍ كتوحيدكم، وقيل: معناه فإن آمنوا مثل ما آمنتم، والباء زائدة كقوله تعالى: ﴿وهزّي إليك بجذع النخلة﴾ [مريم: ٢٥]، وقال أبو معاذ النحوي: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم: ﴿فقد

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

آمنتم به﴾ أي بما آمنتم به ومثل صلة فهو كقوله: «ليس كمثله شيء» أي ليس مثله شيء وقيل: فإن أتوا بإيمان كإيمانكم وتوحيد كتوحيدكم ﴿فقد اهتدوا﴾ والمعنى إن حصلوا ديناً آخر يساوي هذا الدين في الصحة، والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال أن يوجد دين آخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لأن هذا الدين مبناه على التوحيد والإقرار بكل الأنبياء وما أنزل إليهم وقيل معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا ﴿وإن تولوا﴾ أي أعرضوا ﴿فإنما هم في شقاق﴾ أي فى خلاف ومنازعة وقيل: في عداوة ومحاربة وقيل: في ضلال، وأصله من الشق كأنه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لأن كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه ﴿فسيكفيكهم الله﴾ أي يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لإظهار رسول الله ﷺ، لأنه إذا تكفلّ بشيء أنجزه وهو إخبار بغيب نفيه معجزة للنبي ﷺ وقد أنجز الله وعده بقتل بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به، ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد، والغل وهو مجازيهم، ومعاقبهم عليه. قوله عز وجل:

صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾

﴿صبغة الله﴾ قال ابن عباس: دين الله وإنما سماه الله صبغة لأن أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب وقيل: فطرة الله وقيل: سنة الله وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس: إن النصارى إذا ولد لأحدهم مولود وأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانياً حقاً، فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما تفعله النصارى ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ أي ديناً وقيل تطهيراً لأنه يطهر من أوساخ الكفر ﴿ونحن له عابدون﴾ أي

اهتدوا وإن تولّوا فإنّما هم في شقاق﴾، أي: في خلاف ومنازعة، قال ابن عباس وعطاء: يقال شاقّ مشاقّة إذا خالف، كأن كل واحد أخذ في شقّ غير شقّ صاحبه، قال الله تعالى: ﴿ لا يجرمنّكم شقاقي ﴾ [هود: ٨٩] أي: خلافي، وقيل: في عداوة، دليله قوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم شاقّوا الله ﴾ [الأنفال: ١٣، الحشر: ٤]، أي عادوا الله، ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله ﴾: يا محمد، أي يكفيك شرَّ اليهود والنصارى، وقد كُفي بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وضَرْب الجزية على اليهود والنصارى، ﴿ وهو السميع ﴾: لأقوالهم، ﴿ العليم ﴾ بأحوالهم.

﴿ صبغة الله ﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن: دين الله، وإنما سمّاه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتديّن، كما يظهر أثر الثوب على الصبغ، وقيل: لأن المتديّن يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد: فطرة الله وهو قريب من الأول، وقيل: سُنّة الله، وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، وقال ابن عباس: هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد وفاتت عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر، يقال له المعمودية، وصبغوه به ليطهّروه بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقّاً، فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى، وهو نصب على الإغراء، يعني إلزموا دين الله، قال الأخفش: هي بدل

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مطيعون ﴿قل﴾ يعني يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا إن دينهم خير من دينكم وأمروكم باتباعهم ﴿أتحاجوننا في الله﴾ أي أتخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي أمرنا أن نتدين به والمحاجة المجادلة لإظهار الحجة، وذلك أنهم قالوا: إن ديننا أقدم من دينكم وإن الأنبياء منا وعلى ديننا فنحن أولى بالله منكم، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا لهم: أتحاجوننا في الله ﴿وهو ربنا وربكم﴾ أي ونحن وأنتم في الله سواء فإنه ربنا وربكم ﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ يعني أن لكل أحد جزاء عمله ﴿ونحن له مخلصون﴾ أي مخلصو الطاعة والعبادة له وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وأنتم به مشركون. والإخلاص أن يخلص العبد دينه، وعمله لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله، قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف. قوله عز وجل: ﴿أم تقولون﴾ يعني اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ ﴿إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى﴾ يعني أتزعمون أن إبراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وإنما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على إبراهيم وبنيه ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أأنتم أعلم﴾ يعني بدينهم ﴿أم الله﴾؟ أي الله أعلم بذلك. وقد أخبر أن إبراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء ﴿ومن أظلم ممن كتم﴾ يعني أخفى ﴿شهادة عنده من الله﴾ وهي علمهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين وأن محمداً أحق بنعته وصفته وجدوا ذلك في كتبهم وكتموه وجحدوه، والمعنى ومن أظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها وأخفاها ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ يعني من كتمانكم الحق فيما ألزمكم به في كتابه من أن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء. وأن الدين هو الإسلام لا اليهودية والنصرانية، والمعنى وما الله غافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه في الآخرة.

من قوله: ﴿ مِلّة إبراهيم ﴾، ﴿ ومَنْ أحسنُ مِنَ الله صِبغَةً ﴾: ديناً وقيل: تطهيراً. ﴿ ونحن له عابدون ﴾: مطيعون.

﴿ قل ﴾: يا محمد لليهود والنصارى: ﴿ أتحاجّوننا في الله ﴾، أي في دين الله، والمحاجّة: المجادلة في الله لإظهار الحجّة، وذلك بأنهم قالوا: إنَّ الأنبياء كانوا منّا وعلى ديننا، وديننا أقدم فنحن أولى بالله منكم، فقال الله: ﴿ قل أتحاجوننا في الله ﴾، ﴿ وهو ربنا وربكم ﴾، أي: نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربّنا وربّكم، ﴿ ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾، أي: لكل واحد جزاء عمله فكيف تدعون أنكم أولى بالله، ﴿ ونحن له مُخلصون ﴾، وأنتم به مشركون، قال سعيد بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله فلا يشرك به في دينه ولا يُرائي بعمله، قال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

قال الله تعالى: ﴿ أم تقولون ﴾، يعني: أتقولون، صيغة استفهام، ومعناه التوبيخ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء، لقوله تعالى: ﴿ قل أتحاجّوننا في الله ﴾، وقال بعده: ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾، وقرأ الآخرون بالياء، يعني: يقول اليهود والنصارى: ﴿ إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل ﴾: يا محمد ﴿ أأنتم أعلم ﴾ بدينهم ﴿ أم الله ﴾؟ وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً. ﴿ ومَن أظلم ممّن كتم ﴾: أخفى ﴿ شهادة عنده من الله ﴾ تعالى، وهي علمهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين، وأن محمداً ﷺ حق ورسول أشهدهم الله عليه في كتبهم، ﴿ وما الله بغافل عمّا تعملون ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

﴿**تلك أمة قد خلت**﴾ يعني إبراهيم وبنيه ﴿**لها ما كسبت**﴾ أي جزاء ما كسبت ﴿**ولكم ما كسبتم**﴾ أي جزاء ما كسبتم ﴿**ولا تسألون عما كانوا يعملون**﴾ يعني أن كل إنسان إنما يسأل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله، وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء، وشرفهم أي لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وإنما كررت هذه الآية لأنه إذا اختلف مواطن الحجاج، والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده. وقيل: إنما كرره تنبيهاً لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم. قوله عز وجل: ﴿**سيقول السفهاء من الناس**﴾ أي الجهال من الناس والسفه خفة في النفس لنقصان العقل في الأمور الدينية والدنيوية، ولا شك أن ذلك في باب الدين أعظم لأن العادل عن الأمر الواضح في أمر دنياه يعد سفيهاً، فمن كان كذلك في أمر دينه، كان أولى بهذا الاسم فلا كافر إلّا وهو سفيه ولهذا أمكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين، والمنافقين فقيل: نزلت هذه الآية في اليهود وذلك أنهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة لأنهم لا يرون النسخ. وقيل: نزلت في مشركي مكة وذلك أنهم قالوا قد تردد على محمد أمره واشتاق مولده، وقد توجه إلى نحو بلدكم فلعله يرجع إلى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وإنما قالوا ذلك استهزاء بالإسلام وقيل: يحتمل أن لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم إذ لا فائدة في التخصيص، ولأن الأعداء يبالغون في الطعن والقدح فإذا وجدوا مقالاً قالوا أو مجالاً جالوا ﴿**ما ولاهم**﴾ يعني أي شيء صرفهم ﴿**عن قبلتهم التي كانوا**

﴿ **تلك أُمة قد خلتْ لها ما كسبتْ ولكم ما كسبتُم ولا تُسئلون عمّا كانوا يعْملون** ﴾، كرره تأكيداً.

قوله تعالى: ﴿ **سيقول السفهاء** ﴾: الجهّال ﴿ **من الناس ما ولّاهم** ﴾، أي شيء صرفهم وحوّلهم ﴿ **عن قِبلتهم التي كانوا عليها** ﴾، يعني بيت المقدس، والقِبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة، طعنوا في تحويل القِبلة من بيت المقدس إلى مكة فقالوا لمشركي مكة: قد تردّد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد توجّه نحو بلدكم، وهو راجع إلى دينكم، فقال الله تعالى: ﴿ **قل لله المشرق والمغرب** ﴾: مُلكاً والخلق عبيده، ﴿ **يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾.

﴿ **وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً** ﴾، نزلت في رؤساء اليهود، قالوا لمعاذ بن جبل: **ما ترك محمد قِبْلَتنا إلّا** حسداً وإن قبلتنا قِبلة الأنبياء، ولقد علم محمدٌ أنّا عدلٌ بين الناس، فقال معاذ: أنا على حق وعدل، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وكذلك** ﴾ أي: وهكذا، وقيل: الكاف للتشبيه، وهي مردودة على قوله: ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا ﴾ [البقرة: ١٣٠] أي: كما اخترنا إبراهيم وذريّته واصطفيناهم، كذلك جعلناكم أُمةً وسطاً، أي: عدلاً خيّاراً، قال الله تعالى: ﴿ قال أوسطهم ﴾ [القلم: ٢٨] أي خيرهم وأعدلهم، وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عليها﴾ يعني بيت المقدس، والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الإنسان وإنما سميت قبلة لأن المصلي يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿لله المشرق والمغرب﴾ يعني أن له قطري المشرق والمغرب وما بينهما ملكاً فلا يستحق شيء أن يكون لذاته قبلة لأن الجهات كلها شيء واحد، وإنما تصير قبلة لأن الله تعالى هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله: ﴿يهدي من يشاء﴾ يعني من عباده ﴿إلى صراط مستقيم﴾ يعني إلى جهة الكعبة وهي قبلة إبراهيم عليه السلام. قوله عز وجل: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه جاء لمشبه به وفيه وجوه أحدها أنه معطوف على ما تقدم من قوله في حق إبراهيم: ولقد اصطفيناه في الدنيا، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً الثاني أنه معطوف على قوله: ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ وكذلك هديناكم وجعلنا قبلتكم وسطاً بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم أمة وسطاً يعني عدولاً خياراً، وخير الأمور أوسطها، قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وقيل: متوسطة والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير، لأنهما مذمومان في أمر الدين لا كغلو النصارى في عيسى، ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم. وسبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل: ما ترك محمد قبلتنا إلاّ حسداً وإن قبلتنا قبلة الأنبياء ولقد علم محمد أنّا أعدل الناس فقال معاذ: إنا على حق وعدل فأنزل الله تعالى هذه الآية. وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها، وخيرها وأكرمها على الله تعالى». وقوله تعالى: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ يعني يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وقيل: إن أمة محمد ﷺ شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين ﴿ويكون الرسول﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿عليكم شهيداً﴾ يعني عدلاً مزكياً لكم وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الأنبياء عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة الحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد عليه الصلاة والسلام، فيشهدون لهم بأنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا وإنما

محمد بن الحسين الورّاق، أنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيىٰ، أنا أبو الصلت أنا حمّاد بن زيد أنا علي بن زيد عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً بعد العصر، فما ترك شيئاً إلى يوم القيامة إلاّ ذكره في مقامه ذلك، حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان، قال: «إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلاّ كما بقي من يومكم هذا، ألا وأن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها وأخيرها وأكرمها على الله تعالى»، قوله تعالى: ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾، يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما معنى قوله تعالى: ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾؟ قال: أمة محمد ﷺ شهداء على مَن يترك الحق من الناس أجمعين، ﴿ ويكون الرسول ﴾: محمدٌ ﷺ ﴿ عليكم شهيداً ﴾: مُعدّلاً مزكيّاً لكم، وذلك أن الله تعالى يجمع الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفّار الأمم الماضية: ألم يأتكم نذير؟ فينكرون ويقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير فيسأل الله الأنبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم: فيسأل البيّنة ـ وهو أعلم بهم إقامة للحجّة ـ فيُؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا أو إنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلتَ إلينا رسولاً وأنزلتَ عليه كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرُّسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يُؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أُمته فيزكّيهم ويشهد بصدقهم، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة. فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت عليه كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بنوح وأمته يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب فيسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ زاد الترمذي وسطاً عدولاً.

قوله عز وجل: ﴿**وما جعلنا القبلة التي كنت عليها**﴾ أي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها، وهي بيت المقدس، وإنما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه، وقيل: معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل: معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة و﴿**إلّا لنعلم من يتبع الرسول**﴾ فإن قلت ما معنى قوله: إلّا لنعلم وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها قلت: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب إنما يتعلق بما يوجد. والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: العلم هنا بمعنى الرؤية أي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل: معناه إلّا لتعلم رسلي وحزبي وأوليائي من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب إضافة ما فعله الاتباع إلى الكبير. كقولهم: فتح عمر العراق وجبى خراجها وإنما فعل ذلك أتباعه عن أمره، وقيل إنما قال إلّا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه إلّا لتعلموا، أنتم إذ كنتم جهالاً به قبل كونه فإضافة العلم إلى نفسه رفقاً بعباده المخاطبين. وقيل: معناه لعلمنا لأنه تعالى سبق في علمه أن تحويل القبلة

إسماعيل، أخبرنا إسحق بن منصور أخبرنا أبو أسامة قال الأعمش: أخبرنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بنوح يوم القيامة فيُقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فيسأل أُمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيُقال: مَنْ شهودك؟ فيقول: محمدٌ وأمته، فقال رسول الله ﷺ: فيُجاء بكم فتشهدون»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً** ﴾. قوله تعالى: ﴿ **وما جعلنا القِبلة التي كنت عليها** ﴾، أي: تحويلها، يعني عن بيت المقدس، فيكون من باب حذف المضاف، ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوفاً على تقدير: وما جعلنا القِبلة التي كنت عليها منسوخة، وقيل معناه التي أنت عليها وهي الكعبة، كقوله تعالى: ﴿ **كنتم خير أمة** ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي: أنتم، ﴿ **إلّا لنعلمَ مَنْ يتبعُ الرسولَ** ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ **إلّا لنعلم** ﴾ وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها؟ قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يُوجد معناه لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: إلّا لنعلم أي: لنرى ونُميز مَن يتبع الرسول في القِبلة، ﴿ **ممّنْ يَنقلبُ على عقبيه** ﴾، فيرتدّ، وفي الحديث: «أن القِبلة لمّا حُوّلت ارتدَّ قومٌ من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجع محمد إلى دين آبائه»، وقال أهل المعاني: معناه إلّا لِعِلْمِنَا مَنْ يتبع الرسولَ ممّن ينقلبُ على عقبيه، كأنه سبق في علمه أنّ تحويل القِبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم، وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي، كما قال الله تعالى: ﴿ **فَلِمَ تقتلون أنبياءَ الله** ﴾ [البقرة: ٩١]، أي: فلِمَ قتلتهم ﴿ **وإن كانت** ﴾، أي: وقد كانت، أو توليةُ القِبلة، وقيل: الكتابة راجعة إلى القِبلة، وقيل: إلى الكعبة، قال الزجّاج: وإن كانت التحويلة، ﴿ **لكبيرة** ﴾: ثقيلة شديدة، ﴿ **إلّا على الذين هدى الله** ﴾، أي: هداهم الله، قال سيبويه: (وإن) تأكيدٌ شبيهٌ باليمين، ولذلك دخلت اللام في جوابها، ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾، وذلك أن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول أي يطيعه في أمر القبلة وتحويلها ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ أي يرجع إلى ما كان عليه من الكفر فيرتد، وفي الحديث «إنه لما تحولت القبلة إلى الكعبة ارتد قوم إلى اليهودية وقالوا رجع محمد إلى دين آبائه» ﴿وإن كانت﴾ أي وقد كانت ﴿لكبيرة﴾ يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس إلى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه إليها قيل التحويل وهي بيت المقدس، وأنث الكبيرة لتأنيث القبلة وقيل: لتأنيث التولية ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ يعني الصادقين في اتباع الرسول ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، وذلك أن حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه وإن كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة، ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون: إنما الهدى فيما أمر الله به والضلالة نهى الله عنه قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة أسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم إلى النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ يعني لا يضيع أجورهم، والرأفة أخص من الرحمة وأرق، وقيل: الرأفة أشد من الرحمة. وقيل: الرأفة الرحمة وقيل: في الفرق بين الرأفة والرحمة. أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضرر وأما الرحمة فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه أيضاً جميع الإفضال والإنعام فذكر الله الرأفة، ولا بمعنى أنه لا نضيع أعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانياً لأنها أعم وأشمل. قوله عز وجل: .

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى

حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود، قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس إن كانت هدى، فقد تحوّلتم عنها، وإن كانت ضلالة فقدْ دنتم الله بها؟ ومَن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة، فقال المسلمون إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه، قالوا: فما شهادتكم على مَن مات منكم على قِبلتنا، وكان قد مات قبل أن تحوّل إلى الكعبة من المسلمين أسعد بن زرارة، من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة، وكانا من النقباء، ورجال آخرون، فانطلق عشائرهم إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله قد صرفك إلى قِبلة إبراهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلّون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وما كان اللَّهُ لِيُضيعَ إيمانكم ﴾، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، ﴿ إنّ الله بالناس لرءُوفٌ رحيم ﴾، قرأ أهل الحجاز وابن عامر وحفص لرؤوف مشبعاً على وزن فعول، لأن أكثر أسماء الله تعالى على فعول وفعيل، كالغفور والشكور والرحيم والكريم وغيرها، وأبو جعفر يلين الهمزة، وقرأ الآخرون بالاختلاس على وزن فعل، قال جرير:

للمسلمين عليك حقاً كفعل الواحد الرؤوف الرحيم

والرأفة: أشدّ الرحمة.

﴿ قد نرى تقلّب وجهك في السماء ﴾، هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى، فإنها

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أحب أن يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود وقيل إن الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه، إذا صلّى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلّى إلى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يحب أن يتوجه إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وقيل: كان يحب ذلك من أجل أن اليهود قالوا: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله ﷺ لجبريل: وددت لو حولني الله إلى الكعبة فإنها قبلة أبي إبراهيم فقال: جبريل ﷺ إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فإنك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء، رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة فأنزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني، تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء أي إلى جهة السماء، وهذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لأنها رأس القصة وأول ما نسخ من أحكام الشرع أمر القبلة ﴿فلنولينك﴾ أي فلنحولنك ولنصرفنك ﴿قبلة﴾ أي ولنصرفنك عن بيت المقدس إلى قبلة ﴿ترضاها﴾ أي تحبها وتميل إليها ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي نحوه وتلقاءه وأراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال: لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني أن أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا إلى الكعبة أبداً فهي قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلّى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلّى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلّى معه قوم فخرج رجل ممن صلّى معه، فمر على أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ ذاك أنه يصلّي قبل بيت المقدس، وهي قبلة أهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك. قال البراء في حديثه هذا: وأنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله

رأس القصة، وأمر القِبلة أول ما نُسخ من أمور الشرع، وذلِك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلّون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره أن يصلّي نحو صخرة بيت المقدس، ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إيّاه إذا صلّى إلى قِبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة، فصلّى بعد الهجرة ستّة عشر أو سبعة عشر أشهر إلى بيت المقدس، وكان يحب أن يُوجَّه إلى الكعبة لأنها كانت قِبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وقال مجاهد: كان يُحبّ ذلك من أجل اليهود لأنهم كانوا يقولون يخالفنا محمد ﷺ في ديننا ويتبع قِبلتنا، فقال لجبريل عليه السلام وَدِدتُ لو حوّلني الله إلى الكعبة، فإنها قِبلة أبي إبراهيم عليه السلام، فقال جبريل: إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربّك فسَلْ أنت ربّك فإنك عند الله عزّ وجلّ بمكان، فعرج جبريل عليه السلام وجعل رسول الله ﷺ يُديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحبّ من أمر القِبلة، فأنزل الله تعالى: ﴿**قد نرى تقلّب وجهك في السماء**﴾، ﴿**فَلَنُوَلِّيَنَّك قِبلةً**﴾، فلنُحوّلنّك إلى قِبلة ﴿**ترضاها**﴾، أي: تحبّها وتهواها، ﴿**فول**﴾ أي: حوّلْ ﴿**وجهك شطرَ المسجدِ الحرام**﴾ أي: نحوه، وأراد به الكعبة، والحرام: المحرّم، ﴿**وحيثما كنتم**﴾، مِنْ بَرّ أو نحو شرق أو غرب: ﴿**فولّوا وُجوهَكم شطره**﴾، عند الصلاة، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحق بن نصر، أخبرنا عبد الرزّاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال: سمعت ابن عباس قال: لمّا دخل النبيّ ﷺ البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قِبَل الكعبة وقال: «هذه القِبلة»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد، أخبرنا زهير أخبرنا أبو

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ واختلفت العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الأكثرون: كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب، على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة وقيل: كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهراً وقيل: كان لستة عشر شهراً وقيل: لثلاثة عشر شهراً وقيل: نزلت ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة وقد صلّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال، فسمّي ذلك المسجد مسجد القبلتين، ووصل الخبر إلى أهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة. وقوله تعالى: ﴿وحيثما كنتم﴾ أي من بر أو بحر مشرق أو مغرب ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ أي نحو البيت وتلقاءه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة» أخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن صحيح، قيل: أراد بالمشرق مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلاً للقبلة، وهذا في حق أهل المشرق لأن المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل، والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء والذي بينهما فقوسها مكة. والفرض لمن بمكة في القبلة إصابة عين الكعبة، ولمن بعد من مكة إصابة الجهة، ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها، ولما تحولت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود: يا محمد ما هو إلاّ شيء ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلّي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره فأنزل الله تعالى ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ يعني أمر القبلة وتحويلها إلى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى: ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾

إسحق، عن براء أن النبيَّ ﷺ كان أول ما قَدِمَ المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وإنه صلّى قبل بيت المقدس ستّة عشر أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قِبلته قبل البيت، وأنه صلّى أول صلاة صلاّها صلاة العصر، وصلّى معه قوم فخرج رجل ممّن صلّى معه، فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صلّيتُ مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة، فداروا كما هم قِبَل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذا كان يصلّي قِبَل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما تولّى وِجْهَه قِبَل البيتِ أنكروا ذلك، وقال البراء في حديثه هذا: إنه مات على القِبلة قَبْل أن تُحوّل رجالٌ وقتلوا فلم ندرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكان تحويل القِبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين. قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ في مسجد بني سَلَمَة، وقد صلّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحوّل في صلاة واستقبل الميزان، وحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال، فسُمّي ذلك المسجد مسجد القبلتين، وقيل: كان التحويل خارج الصلاة بين الصلاتين، وأهل قِباء وَصَل إليهم الخبر في صلاة الصبح. أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي، أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي السامري، أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذا جاءهم آتٍ وقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة، فلما تحوّلت القِبلة قالت اليهود: يا محمد ما هو إلاّ شيء تبتدعه من تلقاء نفسك فتارة تُصلّي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة، ولو ثبت على قِبلتنا لكنّا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره، فأنزل الله تعالى: ﴿ وإن الذين أُوتُوا الكتابَ ليعلمون

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يعني وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود، فأنا أجازيهم عليه في الدنيا والآخرة وقرىء تعملون بالتاء. قال ابن عباس: يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فأنا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب، وأجزيكم أحسن الجزاء. قوله عز وجل:.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني اليهود والنصارى **﴿بكل آية﴾** أي بكل معجزة وقيل: بكل حجة وبرهان وذلك بأنهم قالوا: ائتنا بآية على ما تقول فأنزل الله تعالى هذه الآية: **﴿ما تبعوا قبلتك﴾** يعني الكعبة **﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾** يعني أن اليهود تصلي إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق وأنت يا محمد تصلّي إلى الكعبة. فكيف يكون سبيل إلى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم أنت قبلتك التي أمرت بالصلاة إليها **﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾** يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود، لأن اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة **﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾** يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت إلى قبلتهم **﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾** أي في أمر القبلة وقيل معناه: من بعد ما وصل إليك من العلم بأن اليهود والنصارى مقيمون على باطل، وعناد للحق **﴿إنك إذاً لمن الظالمين﴾** يعني أنك إن فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها. قيل: هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة لأنه ﷺ لا يتبع أهواءهم أبداً. وقيل: هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه. قوله عز وجل:.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ﴾

أنه ﴾ يعني أمر الكعبة، **﴿ الحق من ربّهم ﴾**، ثم هدّدهم فقال: **﴿ وما الله بغافل عمّا يعملون ﴾**، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء، قال ابن عباس: يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم، وقرأ الباقون بالياء، يعني: ما أنا بغافل عمّا يفعل اليهود فأجازيهم في الدنيا وفي الآخرة.

قوله تعالى: **﴿ ولئن أتيت الذين أُوتوا الكتاب ﴾**، يعني: اليهود والنصارى، قالوا: إئتنا بآية على ما تقول، قال الله تعالى: **﴿ ولئن أتيت الذين أُوتوا الكتاب بكل آية ﴾**: معجزة، **﴿ ما تبعوا قِبلتك ﴾** يعني: الكعبة، **﴿ وما أنت بتابع قِبلتهم وما بعضهم بتابع قِبلة بعض ﴾**، لأن اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب، والنصارى تستقبل المشرق، وقِبلة المسلمين الكعبة، أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبّي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبّار بن محمد بن الجرّاح، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المُعلّى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر المخزومي، عن عثمان الأخنسي عن سعيد المَقْبُري عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «قِبلة ما بين المشرق والمغرب»، وأراد به في حق أهل المشرق وأراد بالمشرق: مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة، وبالمغرب: مغرب الصيف في أطول يوم من السنة، فمَن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره كان وجهه إلى القِبلة. **﴿ ولئِن اتبعتَ أهواءهم ﴾**: مرادهم، الخطاب مع النبيّ ﷺ، والمراد به الأمة، **﴿ من بعد ما جاءك من العلم ﴾**، من الحق في القِبلة، **﴿ إنك إذاً لمِن الظالمين ﴾**.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني علماء اليهود والنصارى وقيل: أراد به مؤمني أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿يعرفونه﴾ أي يعرفون محمداً ﷺ معرفة جلية بالوصف المعين الذي يجدونه عندهم ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ أي لا يشكون فيه ولا تشتبه عليهم كما لا يشتبه عليهم أبناؤهم من أبناء غيرهم، روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام: إن الله أنزل على نبيه محمد ﷺ: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ فكيف هذه المعرفة؟ فقال عبدالله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بمحمد ﷺ أشد من معرفتي بابني فقال عمر وكيف ذلك فقال: أشهد أنه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء، فقبل عمر رأس عبدالله وقال: وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت. وقيل: الضمير في يعرفونه يعود إلى أمر القبلة والمعنى أن علماء اليهود والنصارى يعرفون أن القبلة التي صرفتك إليها هي قبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم لا يشكون في ذلك ﴿وإن فريقاً منهم﴾ أي من علماء أهل الكتاب ﴿ليكتمون الحق﴾ يعني صفة محمد ﷺ. وقيل أمر القبلة ﴿وهم يعلمون﴾ يعني أن كتمان الحق معصية. وقيل يعلمون أن صفة محمد ﷺ مكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل وهم مع ذلك يكتمونه ﴿الحق﴾ أي الذي يكتمونه هو الحق ﴿من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ أي من الشاكين في أن الذين تقدم ذكرهم، علموا صحة نبوتك وقيل: يرجع إلى أمر القبلة والمعنى أن بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك. فإن قلت: النبي ﷺ لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي؟. قلت: هذا الخطاب وإن كان للنبي ﷺ ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم أيها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا. قوله عز وجل: ﴿ولكل وجهة﴾ أي ولكل أهل ملة قبلة، والوجهة اسم للمتوجه إليه. وقيل الوجهة الهيئة والحالة في التوجه إلى القبلة، وقيل في قوله: ﴿ولكل وجهة﴾ إن المراد به جميع المؤمنين، أي ولكل أهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون إليها. وقيل: المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لأن الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والأشخاص ﴿هو موليها﴾ أي مستقبلها والمعنى أن لكل أهل ملة وجهة هو مول وجهه إليها، وقيل: متوليها أي مختارها وقيل: إن هو عائد على اسم الله تعالى، والمعنى إن الله موليها إياه، وقرىء مولاّها أي مصروف إليها

قوله تعالى: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿ يعرفونه ﴾، يعني: يعرفون محمداً ﷺ ﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾: من بين الصبيان، قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلاّم: إن الله قد أنزل على نبيّه ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾، فكيف هذه المعرفة؟ قال عبد الله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني، ومعرفتي بمحمد ﷺ أشدّ من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد أنه رسول حق من الله تعالى، وقد نعته الله في كتابنا، ولا أدري ما تصنع النساء، فقال عمر: وفّقك الله يا ابن سلام فقد صدقت، ﴿ وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق ﴾، يعني: صفة محمد ﷺ وأمر الكعبة، ﴿ وهم يعلمون ﴾.

ثم قال: ﴿ الحق من ربّك ﴾، أي: هذا الحق خير، مبتدأ مضمر، وقيل: رُفع بإضمار فعل، أي: جاء الحق من ربّك، ﴿ فلا تكوننّ من المُمْتَرِين ﴾: الشاكّين.

قوله تعالى: ﴿ ولكلٍّ وِجهة ﴾، أي: لأهل كلّ ملّة قِبلة، والوِجهة: اسم للمتوجَّه إليه، ﴿ هو موليّها ﴾،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي بادروا بالطاعات وقبول الأوامر وفيه حث على المبادرة إلى الأولوية والأفضلية. فعلى هذا تكون الآية دليلاً لمذهب الشافعي في أن الصلاة أول الوقت أفضل لقوله: فاستبقوا الخيرات لأن ظاهر الأمر للوجوب، فإذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب ﴿أينما تكونوا﴾ يعني أنتم وأهل الكتاب ﴿يأت بكم الله جميعاً﴾ يعني يوم القيامة فهو وعد لأهل الطاعة بالثواب ووعيد لأهل المعصية بالعقاب ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ أي على الإعادة بعد الموت والإثابة لأهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة. قوله عز وجل:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي من أي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه ﴿وإنه﴾ يعني التوجه إليه ﴿للحق من ربك﴾ أي الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أي ليس هو بساه عن أعمالكم، ولكنه محصها لكم، وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة ﴿ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ فإن قلت: هل في هذا التكرار فائدة. قلت: فيه فائدة عظيمة جليلة وهي أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا، فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة، وإيضاح البيان فحسن التكرار فيهم لنقلهم من جهة إلى جهة ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ قيل: أراد بالناس أهل الكتاب: وقيل: هو على

أي: مستقبلها، ومُقبِل عليها، يقال: ولّيته، وولّيت إليه إذا أقبلت عليه، وولّيت عنه إذا أدبرت عنه، قال مجاهد: هو موليها وَجْهَهُ، وقال الأخفش: هو كناية عن الله عزّ وجلّ، يعني: مُولى الأمم إلى قِبلتهم، وقرأ ابن عامر: هو مولاها، أي: المستقبل مصروف إليها، ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾، أي: إلى الخيرات، يريد بادروا بالطاعات، والمراد: المبادرة إلى القبول، ﴿ أينما تكونوا ﴾: أنتم وأهل الكتاب، ﴿ يأتِ بكم الله جميعاً ﴾: يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم، ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام وإنه للحق من ربّك وما الله بغافلٍ عمّا تعملون ﴾، قرأ أبو عمرو بالياء، والباقون بالتاء.

﴿ ومن حيث خرجتَ فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره ﴾، وإنما كرّره لتأييد النسخ، ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلّا الذين ظلموا ﴾، اختلفوا في تأويل هذه الآية، ووجه قوله: ﴿ إلّا ﴾ فقال بعضهم: معناه حُوّلت القِبلة إلى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجّة إذا توجّهتم إلى غيرها، فيقولون: ليست لكم قِبلة، إلّا الذين ظلموا وهم قريش واليهود، فأمّا قريش فتقول: رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنها الحق وأنها قِبلة آبائه، فكذلك يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلّا أنه يعمل برأيه، وقال قوم: لئلا يكون للناس عليكم حجّة يعني: اليهود، وكانت حجّتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس، أنهم كانوا يقولون: ما درى محمدٌ ﷺ وأصحابُه أين قِبلتهم حتى هديناهم نحن، وقوله: ﴿ إلّا الذين ظلموا ﴾، وهم مشركوا مكة، وحجّتهم أنهم قالوا لمّا صرفت

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

العموم وقيل هم قريش واليهود فأما قريش فقالوا: رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة أبيه وسيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا وقالت اليهود: لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه أنه حق إلاّ أنه يعمل برأيه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله: إلاّ الذين ظلموا منهم متصلاً صحيحاً والمعنى، لا حجة لأحد عليكم إلاّ مشركو قريش واليهود فإنهم يجادلونك الباطل والظلم، وإنما سمي الاحتجاج بالباطل حجة، لأن اشتقاقها من حجه إذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى: ﴿**حجتهم داحضة عند ربهم**﴾ وقيل: هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الأول، ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونك بالباطل كما قال النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

أي لكن سيوفهم بهن فلول، وليس بعيب وقيل: في معنى الآية إن اليهود عرفوا أن الكعبة قبلة إبراهيم ووجدوا في التوراة أن محمداً سيحول إليها فتكون حجتهم أنهم يقولون إن النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إلى الكعبة ولم تحول أنت فلما حول إلى الكعبة ذهبت حجتهم ﴿**إلاّ الذين ظلموا منهم**﴾ أي إلاّ أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق.

﴿**فلا تخشوهم**﴾ أي فلا تخافوهم في انصرافكم إلى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فإني وليكم وناصركم، أظهركم عليهم بالحجة والنصرة ﴿**واخشوني**﴾ أي احذروا عقابي إن أنتم عدلتم عما ألزمتكم به

قِبلتهم إلى الكعبة: إن محمداً قد تحيّر في دينه وسيعود إلى ملّتنا كما عاد إلى قِبلتنا، وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة، وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحاً، وقوله: ﴿ **إلّا الذين ظلموا** ﴾ يعني: لا حجّة لأحد عليكم إلّا مشركوا قريش فإنهم يحاجّونكم فيجادلونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم، والاحتجاج بالباطل يسمّى: حجّة، كما قال الله تعالى: ﴿ **حجّتهم داحضة عند ربّهم** ﴾ [الشورى: ١٦]، وموضع ﴿ **الذين** ﴾ خفض كأنه قال: سوى إلّا الذين ظلموا، قاله الكسائي، وقال الفرّاء: نُصب بالاستثناء، قوله تعالى: ﴿ **منهم** ﴾، يعني: من الناس، وقيل: هذا استثناء منقطع عن الكلام الأول، معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل، كما قال الله تعالى: ﴿ ما لهم به من علم إلّا اتّباع الظن ﴾ [النساء: ١٥٧]، يعني: لكن يتبعون الظن، فهو كقول الرجل: ما لك عندي حق إلّا أن تظلمني، قال أبو روق: لئلا يكون للناس، يعني: اليهود عليكم حجة، وذلك أنهم عرفوا أن الكعبة لإبراهيم، ووجدوا في التوراة أن محمداً سيُحوّل إليها، فحوّله الله تعالى إليها لئلا يكون لهم حجّة فيقولوا: إن النبي الذي نجده في كتابنا سيحوّل إليها ولم تُحوّل أنت، فلما حُوّل إليها ذهبت حجّتهم، إلّا الذين ظلموا، يعني: إلّا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق، وقال أبو عبيدة: قِبلة إلّا الذين ظلموا ليس باستثناء، ولكن ﴿ **إلّا** ﴾ في موضع واو العطف، يعني: والذين ظلموا أيضاً لا يكون لهم حجة، كما قال الشاعر:

وكلّ أخ مفارقه أخوه   لعمر أبيك إلّا الفرقدان

معناه: والفرقدان أيضاً يتفرقان، فمعنى الآية: فتوجّهوا إلى الكعبة لئلا يكون للناس ـ يعني لليهود ـ عليكم حجّة فيقولوا: لِمَ تركتم الكعبة وهي قِبلة إبراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لِمَ ترك محمد قِبلة جدّه وتحوّل عنها إلى قِبلة اليهود؟ ﴿ **فلا تخشوهم** ﴾: في انصرافكم إلى الكعبة، وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة، فإنّي وليّكم أظهركم عليهم بالحجّة والنّصرة، ﴿ **واخشوني، ولأُتِمّ نعمتي عليكم** ﴾، عطف على قوله: ﴿ **لئلا يكون للناس عليكم حجّة** ﴾، ولكي أُتِمّ نعمتي عليكم بهدايتي إيّاكم إلى قِبلة إبراهيم، فتتمّ به لكم الملّة

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وفرضته عليكم ﴿ولأتم نعمتي عليكم﴾ ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إلى قبلة إبراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية. وقيل: تمام النعمة الموت على الإسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى: ﴿ولعلكم تهتدون﴾ أي لكي تهتدوا من الضلالة. ولعل وعسى من الله واجب. قوله عز وجل:

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿كما أرسلنا فيكم﴾ كاف التشبيه تحتاج إلى شيء ترجع إليه فقيل ترجع إلى ما قبلها ومعناه ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم وقيل إن إبراهيم قال: ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم وقال: ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، فبعث الله فيهم رسولاً منهم وهو محمد ﷺ ووعده إجابة الدعوة الثانية بأن يجعل في ذريته أمة مسلمة، والمعنى كما أجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك أجبت دعوته بأن أهديكم لدينه، وأجعلكم مسلمين، وأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية. وقيل: إن الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ والمعنى كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم فاذكروني، ووجه التشبيه أن النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بإرسال الرسول، وإن قلنا: إنها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه أن النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة، وفيكم خطاب لأهل مكة والعرب وكذا قوله منكم، وفي إرساله رسولاً منهم نعمة عظيمة عليه لما فيه من الشرف لهم ولأن المعروف من حال العرب الأنفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم أقرب إلى قبول قوله والانقياد له، والمعنى كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب ﴿رسولاً منكم﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿يتلو عليكم آياتنا﴾ يعني القرآن وذلك من أعظم النعم لأنه معجزة باقية على الدهر ﴿ويزكيكم﴾ أي ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما إذا فعلتموه صرتم أزكياء مثل محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال ﴿ويعلمكم الكتاب﴾ يعني أحكام الكتاب وهو القرآن وقيل إن التعليم غير التلاوة فليس بتكرار ﴿والحكمة﴾ يعني السنة والفقه في الدين ﴿ويعلمكم

الحنيفية، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تمام النعمة الموت على الإسلام، قال سعيد بن جُبير: لا يتمّ نعمة على المسلم إلّا أن يدخل الجنّة، ﴿ ولعلّكم تهتدون ﴾: لكي تهتدوا من الضلالة، و﴿ لعلّ وعسى ﴾ من الله واجب.

قوله تعالى: ﴿ كما أرسلنا فيكم ﴾، هذه الكاف للتشبيه، ويحتاج إلى شيء يرجع إليه، فقال بعضهم: يرجع إلى ما قبلها، معناه: ولأتمَّ نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم، قال محمد بن جرير: دعا إبراهيم عليه السلام بدعوتين إحداهما، قال: ﴿ ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ [البقرة: ١٢٨]، والثانية قوله: ﴿ ربّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فبعث الله الرسول، وهو محمد ﷺ، ووَعْدُ إجابة الدعوة الثانية بأن يجعل في ذريته أمة مسلمة، يعني: كما أُجيبتْ دعوتُه ببعث الرسول، كذلك أُجيبتْ دعوته بأن أهديكم لدينه وأجعلكم مسلمين، وأُتمّ نعمتي عليكم ببيان شرائع الملّة الحنيفية، وقال مجاهد وعطاء والكلبي: هي متعلقة بما بعدها وهو قوله: ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة: ١٥٢] معناه: كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم فاذكروني، وهذه الآية خطاب لأهل مكة والعرب، يعني: كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب ﴿ رسولاً منكم ﴾ يعني: محمداً ﷺ، ﴿ يتلو عليكم آياتنا ﴾ يعني: القرآن، ﴿ ويُزكّيكم ويُعلّمكم الكتابَ والحكمةَ ﴾، قيل: الحكمة السُّنّة، وقيل: مواعظ القرآن، ﴿ ويُعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾، من الأحكام وشرائع الإسلام.

﴿ فاذكروني أذكركم ﴾، قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي أذكركم بمَعُونتي، وقال سعيد بن جبير: اذكروني

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ما لم تكونوا تعلمون﴾ يعني يعلمكم من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية وقصص الأنبياء والخبر عن الحوادث المستقبلية مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله ﷺ **﴿فاذكروني﴾** قيل الذكر يكون باللسان، وهو أن يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الأذكار، ويكون بالقلب وهو أن يتفكر في عظمة الله تعالى، وفي الدلائل الدالة على وحدانيته، ويكون بالجوارح وهو أن تكون مستغرقة في الأعمال التي أمروا بها، مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل **﴿أذكركم﴾** أي بالثواب والرضا عنكم قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء، وقال أهل المعاني: اذكروني بالتوحيد والإيمان: أذكركم بالجنان والرضوان. وقيل: اذكروني بالإخلاص أذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب، أذكركم بغفران الذنوب. اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إليَّ ذراعاً، تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» قوله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي» قيل: معناه بالغفران إذا استغفر وبالقبول والإجابة، إذا دعا، وبالكفاية إذا طلب الكفاية. وقيل: المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح قوله: وأنا معه إذا ذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والإعانة. وقوله: «فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي». النفس في اللغة لها معان: منها ذات الشيء والله تعالى له ذات حقيقة. ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فإن ذكرني خالياً ذكرته بالإثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه أحد. قوله: «وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه». الملأ أشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع إلى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الأنبياء. وأجيب عنه بأن الذكر غالباً يكون في جماعة لا نبي فيهم. قوله: «وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً إلخ». وهذا من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهره فلا بد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة، ومجازاً فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه وألطافه وبره وكرمه وإحسانه إليه، وفيض مواهبه

بطاعتي أذكركم بمغفرتي، وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدّة والبلاء، بيانه: ﴿ فلولا أنه كان من المسبّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ [الصّافّات: ١٤٤]، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمر بن حفص، أخبرنا أبي أخبرنا الأعمش قال: سمعت أبا صالح عن أبي هريرة قال: قال النبيّ ﷺ: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، ومَن أتاني يمشي أتيته هرولة» أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن القاضي، وثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحّان، أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا أبو عبد الملك الدمشقي، أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن صخر بن جويرية، عن الحسن عن أنس قال: إني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ عدد أناملي هذه العشر، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خيرٍ منهم، وإن دنوتَ منّي شبراً دنوت منك ذراعاً وإن دنوت منّي ذراعاً دنوت منك باعاً وإن مشيت إليّ هرولتُ إليك، وإن هرولت إليّ سَعَيْتُ إليك، وإن سألتني أعطيتك، وإن لم تسألني غضبت عليك»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والإحسان وإن أتاني في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة صباً وسبقته بها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» (ق) عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول لله قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه، وبقوا وهم يذكرون الله تعالى. ويقال: تفرد الرجل إذا تفقه واعتزل.

وقوله تعالى: ﴿واشكروا لي﴾ يعني بالطاعة ﴿ولا تكفرون﴾ أي بالمعصية فمن أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره. قوله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤)﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة﴾ إنما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات؛ أما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات، وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به، ومنهم من حمله على الجهاد وأما الاستعانة بالصلاة فلأنها تجب أن تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والإخلاص له. وقيل: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض، وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب ﴿إن الله مع الصابرين﴾ أي بالعون والنصر ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾ نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وهم: عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب وعمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري أخو سعد بن أبي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب، وصفوان بن بيضاء من بني الحارث بن فهر ومن الأنصار ثمانية، وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر، ويزيد بن الحارث بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة، وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهي أمهما، كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقيل: إن الكفار

أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يحيىٰ بن عبد الله أخبرنا الأوزاعي، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله، عن أبي الدرداء عن أبي هريرة قال: قال النبيّ ﷺ: «يقول الله عزّ وجلّ: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرّكتْ بي شفتاه»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا إسماعيل بن عباس، أخبرنا عمرو بن قيس السكوني، عن عبد الله بن بشير المازني قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «أن لا تفارق الدنيا إلّا ولسانك رَطْبٌ من ذكر الله تعالى»، قوله تعالى: ﴿ واشكروا لي ولا تكفرون ﴾، يعني: واشكروا لي بالطاعة ولا تكفرون بالمعصية، فإن مَن أطاع الله، فقد شكره ومَن عصاه فقد كفره.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوٰة إن الله مع الصابرين ﴾: بالعون والنصرة.

﴿ ولا تقولوا لمَن يُقتل في سبيل الله أموات ﴾، نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلاً،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

والمنافقين قالوا: إن الناس يقتلون أنفسهم ظلماً لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية وأخبر أن من قتل في سبيل الله فإنه حي بقوله تعالى: ﴿بل أحياء﴾ وإنما أحياهم الله عز وجل في الوقت لإيصال الثواب إليهم. وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم، ويصل إليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشياً فيصل إليهم، الألم والوجع ففيه دليل على أن المطيعين لله يصل إليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم. فإن قلت: نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل أحياء وما وجه النهي، في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات. قلت: معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الأموات بل هم أحياء تصل أرواحهم إلى الجنان كما ورد، «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة» فهم أحياء من هذه الجهة، وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح من أجسادهم، وجواب آخر وهو أنهم أحياء عند الله تعالى في عالم الغيب، لأنهم صاروا إلى الآخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ولكن لا تشعرون﴾ أي لا ترونهم أحياء فتعلموا ذلك حقيقة، وإنما تعلمون ذلك بإخباري إياكم به. فإن قلت: ليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل إليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خصص الشهداء بالذكر؟. قلت: إنما خصهم لأن الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك، وجواب آخر أنه رد لقول من قال: إن من قتل في سبيل الله قد مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأخبر الله تعالى بقوله: ﴿بل أحياء﴾ بأنهم في نعيم دائم. قوله عز وجل:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿ولنبلونكم﴾ أي لنختبرنكم يا أمة محمد واللام جواب القسم تقديره، والله لنبلونكم، والابتلاء لإظهار الطائع من العاصي لا ليعلم شيئاً، لم يكن عالماً به فإنه سبحانه وتعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها وحدوثها ﴿بشيء﴾ إنما قال: بشيء ولم يقل بأشياء لئلا يوهم أن أشياء تدل على ضروب من الخوف. وكذا الباقي فلما قال بشيء كان التقدير بشيء من الخوف، وبشيء من الجوع. وقيل: معناه بشيء قليل من هذه الأشياء ﴿من الخوف﴾

ستّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، كان الناس يقولون لمَن يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذّتها، فأنزل الله تعالى: ﴿ ولا تقولوا لمَنْ يُقتَل في سبيل الله أموات ﴾، ﴿ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون ﴾، كما قال في شهداء أُحد: ﴿ ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قال الحسن: إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الرَّوْحُ والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غُدوةً وعشيةً، فيصل إليهم الوجع.

قوله تعالى: ﴿ ولنبلونّكم ﴾ أي: ولنختبرنّكم يا أمة محمد، واللام: لجواب القسم المحذوف، تقديره: واللّهِ لنبلونّكم، والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئاً لم يكن عالماً به، ﴿ بشيءٍ من الخوف ﴾، قال ابن عباس: يعني خوف العدو، ﴿ والجوع ﴾، يعني: القحط، ﴿ ونقص من الأموال ﴾: بالخسران والهلاك، ﴿ والأنفس ﴾، يعني: بالقتل والموت، وقيل: بالمرض والشيب، ﴿ والثمرات ﴾، يعني: الجوائح في الثمار، وحكي عن الشافعي أنه قال: الخوف خوف الله تعالى، والجوع صيام رمضان، ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمرات موت الأولاد، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قال ابن عباس: يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه ألم في القلب ﴿والجوع﴾ يعني القحط وتعذر حصول القوت ﴿ونقص من الأموال﴾ يعني بالهلاك والخسران ﴿والأنفس﴾ أي ونقص من الأنفس بالموت أو القتل ﴿والثمرات﴾ يعني الجوائح في الثمار وقيل: قد يكون بالجدب أيضاً وبترك العمل والعمارة في الأشجار. وحكي عن الشافعي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قال: الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الأموال يعني إخراج الزكاة والصدقات والأنفس يعني بالأمراض، والثمرات يعني موت الأولاد، لأن الولد ثمرة القلب. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم. قال: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا نعم قال فماذا قال؟ قالوا: حمدك واسترجع قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد» أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن. فإن قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله: ولنبلونكم. قلت فيه حكم: منها أن العبد إذا علم أنه مبتلي بشيء، وطن نفسه على الصبر، فإذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع. ومنها أن الكفار إذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك إلى متابعته والدخول فيه. ومنها أن الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء، قبل وقوعه فإذا وقع كان ذلك إخباراً عن غيب فيكون معجزة للنبي ﷺ ومنها أن المنافقين إنما أظهروا الإيمان طمعاً في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما أخبر الله أنه مبتلي عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب، ومنها أن الإنسان في حال الابتلاء أشد إخلاصاً لله منه في حال الرخاء، فإذا علم أنه مبتلي دام على التضرع والابتهال إلى الله تعالى لينجيه مما عسى أن ينزل به من البلاء ثم قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾ يعني عند نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما أمتحنهم به من الشدائد والمكاره، ثم وصفهم بقوله تعالى: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ أي نائبة وابتلاء ﴿قالوا إنا لله﴾ أي عبيداً وملكاً ﴿وإنا إليه راجعون﴾ يعني في الآخرة (م) عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلاّ آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها» قيل: ما أعطي أحد ما أعطيت هذه الأمة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطيها أحد لأعطى يعقوب

عبد الجبار الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا الحسن بن موسى أخبرنا حمّاد بن سلمة، عن أبي سنان قال: دفنت ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال: ألا أبشّرك؟ حدّثني الضّحاك عن عروة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم، قال: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا: نعم، قال: فماذا قال عبدي؟ قالوا: استرجع وحمدك، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسمّوه بيتَ الحمد»، ﴿ وبشِّر الصابرين ﴾: على البلايا والرزايا، ثم وصفهم فقال:

﴿ الذين إذا أصابتهمْ مصيبةٌ قالوا إنّا لله ﴾: عبيداً وملكاً، ﴿ وإنّا إليه راجعون ﴾: في الآخرة، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا محاضر بن الموزّع أخبرنا سعيد عن عمرو بن كثير، أنا أفلح أخبرنا مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مصيبة تُصيب عبداً فيقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللّهمَّ أجِرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلاّ آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها»، قالت أم سلمة: لمّا توفي أبو سلمة عَزَمَ الله لي فقلت: اللّهمَّ أجِرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ. وقال سعيد بن جبير: ما أُعطي أحدٌ في المصيبة ما أُعطي هذه الأمة يعني: الاسترجاع، ولو أُعطيها

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عليه السلام ألا تسمع إلى قوله عند فقد يوسف ﴿يا أسفى على يوسف﴾. وقيل: في قول العبد إنا لله وإنا إليه راجعون تفويض منه إلى الله وأنه راض بكل ما نزل به من المصائب.

﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾

﴿أولئك﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿عليهم صلوات من ربهم﴾ قال ابن عباس: أي مغفرة من ربهم ومنه قوله ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى» أي أغفر لهم وأرحمهم وإنما جمع الصلوات لأنه عنى مغفرة، بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة ﴿ورحمة﴾ قال ابن عباس: ونعمة والرحمة من الله إنعامه وإفضاله وإحسانه، ومن الآدميين رقة وتعطف. وقيل: إنما ذكر الرحمة بعد الصلوات لأن الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيراً، إذا اختلف اللفظ، واتفق المعنى، وقيل: كررهما للتأكيد أي عليهم رحمة بعد رحمة ﴿**وأولئك هم المهتدون**﴾ يعني إلى الاسترجاع. وقيل: إلى الجنة الفائزون بالثواب. وقيل: المهتدون إلى الحق والصواب. وقال عمر بن الخطاب: نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية.

فصل: في ذكر أحاديث وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين:

(خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه» يعني يبتليه بالمصائب حتى يأجره على ذلك (ق) عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا

أحدٌ لأعطيها ليعقوب عليه السلام، ألا تسمع إلى قوله تعالى في قصة فَقْد يوسف عليه السلام ﴿ يا أسفي على يوسف ﴾ [يوسف: ٨٤].

﴿ **أولئك** ﴾: أهل هذه الصفة: ﴿ **عليهم صلوات من ربهم ورحمة** ﴾، صلوات أي: رحمة، فإن الصلاة من الله الرحمة، والرحمة ذكرها الله تأكيداً، وجميع الصلوات، أي رحمة: ﴿ **وأولئك هم المهتدون** ﴾: إلى الاسترجاع، وقيل: إلى الحق والصواب، وقيل: إلى الجنة والثواب، قال عمر رضي الله عنه: نِعْمَ العدلان ونعمت العـلاوة فالعدلان: الصلاة والرحمة، والعلاوة الهداية، وقد وردت أخبار في ثواب أهل البلاء وأَجْر الصابرين، منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعة أنه قال: سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَن يرد الله به خيراً يُصبْ منه»، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا ابن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا عبد الملك بن عمر أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن عمرو بن حلحلة، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «ما يُصيب المسلم من نَصب ولا وَصبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذًى ولا غمّ، حتى الشوكة يُشاكها، إلاّ كفّر اللَّهُ بها من خطاياه»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه، أنا محمد بن عبيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: جاءت امرأة بها لَمَمٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يشفيَني، قال: «إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئتِ فاصبري ولا حسابَ عليك»، قالت: بل أصبر ولا حساب عليّ، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو سعيد خلف بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلاّ كفر الله عنه بها خطاياه» النصب التعب والإعياء والوصب المرض (ق) عن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلاّ حط الله عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرزة لا تهتز حتى تحصد» الأرزة شجر معروف بالشام ويعرف في العراق، ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الأرزة وقيل: الأرزة الثابتة في الأرض. عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبد شرّاً أمسك عنه حتى يوافي يوم القيامة» وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» أخرجه الترمذي. وله عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض» وله عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلاّ الجنة عن سعد بن أبي وقاص وقال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.

عبد الرحمن بن أبي نزار، أخبرنا أبو منصور العباس بن الفضل النضروي، أخبرنا أحمد بن نجدة أخبرنا يحيىٰ بن عبد الحميد الحِماني، أخبرنا حمّاد بن زيدٍ عن عاصم هو ابن أبي النَّجود، عن مصعب بن سعد عن سعد، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أشدّ الناس بلاءً قال: «الأنبياء والأمثل فالأمثل، يبتلي الله الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً ابْتُلي على قدر ذلك، وإن كان في دينه رقّة هُوّن عليه، فما يزال كذلك حتى يمشي على الأرض وما له ذنب» أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبد الله بن صالح قال: حدّثني الليث حدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «إنّ عِظَمَ الجزاءِ عند الله مع عِظَمِ البَلاء، فإن الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمَن رضي فله الرضا، ومَن سخط فله السخط»، أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيىٰ، أخبرنا زيد بن هٰرون أخبرنا محمد بن عمرو، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة»، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أخبرنا أبو إسماعيل بن محمد الصفّار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبد الرزّاق أخبرنا معمر عن الزهري، عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المؤمن كمَثَل الزرع لا تزال الريح تفيئه، ولا يزال المؤمن يُصيبه البلاء، ومَثَلُ المنافق كمَثَل شجرة الأرْزة لا تهتم حتى تُستحصد»، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفّار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزّاق، أخبرنا معمر عن أبي إسحق عن العَيْزار بن حُريث عن عمرو بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً للمؤمن إن أصابه خيرٌ حمدَ الله وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر، فالمؤمن يُؤجر في كل أمره حتى يؤجر في اللقمة يرفعها إلى فِيْ امرأته».

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾

قوله عز وجل: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾ الصفا جمع صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء، وقيل هي الحجارة الصافية. والمروة الحجر الرخو، وجمعها مرو ومروات وهذان أصلهما في اللغة، وإنما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام وشعائر الله أعلام دينه وأصلها من الإشعار وهو الإعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلماً لقربان يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة، ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله. ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال: شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر، كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله أعلاماً لطاعته فالصفا، والمروة منها حيث يسعى بينهما ﴿**فمن حج البيت**﴾ قصد البيت هذا أصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة لإقامة المناسك ﴿**أو اعتمر**﴾ أي زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة ﴿**فلا جناح عليه**﴾ أي فلا إثم عليه وأصله من جنح إذا مال عن القصد المستقيم ﴿**أن يطوف بهما**﴾ أي يدور بهما ويسعى بينهما. وسبب نزول هذه الآية، أنه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما إساف ونائلة فكان إساف على الصفات ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا، والمروة تعظيماً للصنمين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام، تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فأنزل الله هذه الآية وأذن في السعي بينهما وأخبر أنه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الأحول قال قلت لأنس: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ فقال: نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**﴾. وفي رواية قال: كانت الأنصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾.

قوله تعالى: ﴿ **إنَّ الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾، الصفا جمع: صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء، **يقال**: **صفاة وصَفاً**، مثل: حصاةٌ وحصىً ونواةٍ ونوًى، والمَرْوَة: الحجر الرخو، وجمعها: مَرْوَات، وجمع الكثير: مرو، مثل: تمرة وتمرات وتمر، وإنما عنى بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى، ولذلك أدخل فيهما **الألف واللام**، وشعائر الله أعلام دينه، أصلها من الإشعار، وهو الإعلام، واحدتها شَعيرة، وكل ما كان مُعلَّماً لقرباتٍ يُتقرّب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة، فهو شعيرةٌ، فالمَطاف والمَوقف والنَّحر كلها شعائر الله، ومثلها المشاعر، والمراد بالمشاعر ههنا: المناسك التي جعلها الله إعلاماً لطاعته فالصفا والمروة منها حتى يُطاف بهما جميعاً، ﴿ **فمَن حجّ البيت أو اعتمر** ﴾، فالحج في اللغة: القصد، والعمرة: الزيارة، وفي الحج والعمرة المشروعين: قصد وزيارة، ﴿ **فلا جُناح عليه** ﴾، أي: لا إثم عليه، وأصله من جنح، أي: مال عن القصد، ﴿ **أن يطوف بهما** ﴾، أي: يدور بهما، وأصله يتطوّف أُدغمت التاء في الطاء. وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان إساف ونائلة، وكان إساف على الصفا ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً للصنمين ويتمسحون بهما، فلما جاء الإسلام وكُسرت الأصنام كان المسلمون يتحرّجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين، فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر الله، واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، فذهب جماعة إلى وجوبه، وهو قول ابن عمرو وجابر وعائشة، وبه قال الحسن وإليه ذهب مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أنه تطوّع، وهو قول ابن عباس، وبه قال ابن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فصل

اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن: وإليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم إلى أنه تطوع. وهو قول ابن عباس: وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أنه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء أن من تركه فلا شيء عليه واختلفت الرواية عن أحمد في ذلك فروي عنه أن من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروي عنه أنه لا شيء في تركه عمداً، ولا سهواً ولا ينبغي أن يتركه ونقل الجمهور عنه أنه تطوع وسبب هذا الاختلاف أن قوله تعالى: ﴿**فلا جناح عليه**﴾ يصدق عليه أنه لا إثم عليه في فعله، فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية، لا يدل على أن السعي بين الصفا والمروة واجب أو ليس بواجب، لأن اللفظ الدال على القدر المشترك بين الأقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية أحدهما، فإذا لا بد من دليل خارج يدل على أن السعي واجب أو غير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه في أن السعي بين الصفا والمروة، ركن من أركان الحج والعمرة، ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة، قالت: أخبرتني بنت أبي تجزاة واسمها حبيبة إحدى نساء بني عبد الدار قالت: دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين ننظر إلى النبي ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة، فرأيته يسعى وإن مئزره ليدور من شدة السعي حتى لأقول: إني لأرى ركبته وسمعته يقول: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي» وصححه الدارقطني (ق) عن عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة زوج النبي ﷺ أرأيت قول الله: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن**

سيرين ومجاهد، وإليه ذهب سفيان الثّوري وأصحاب الرأي، وقال الثّوري وأصحاب الرأي على مَنْ تَرَكَه دمٌ، واحتجّ مَن أوجبه بما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الله بن نوفل العائذي، عن عمرو بن عبد الرحمن بن محيص، عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرتني بنت أبي تجزاةَ اسمها حبيبة إحدى نساء بني عبد الدار ـ قالت: دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي حسين ننظر إلى رسول الله ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة، فرأيته يسعى وإن مئزره ليدور من شدّة السعي، حتى لأقول إني لأرى ركبته، وسمعته يقول: «اسعُوا فإنّ الله كتبَ عليكم السعي»، أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة زوج النبيّ ﷺ: أرأيتَ قولَ الله تعالى: ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمَن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أنْ يطوّف بهما** ﴾، فما أرى على أحد شيئاً ألّا يطوف بهما، قالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول، كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أُنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يُهِلّون لِمَنَاةَ وكانت مناة حِذْوَ قديد، وكانوا يتحرّون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ الآية، وقال عاصم: قلت لأنس بن مالك: أَكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ فقال: نعم، لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى: ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾، أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جابر بن عبد الله أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول: «نَبْدَأ بما بَدَأ الله تعالى به، فبدأ بالصفا، وقال: كان إذا وقف على الصفا يكبّر ثلاثاً ويقول لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. له المُلْك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، يصنع ذلك ثلاث مرات، ويدعو ويصنع

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يطوف بهما﴾ فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما فقالت عائشة: كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه، أن لا يطوف بهما إنما نزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية (م) عن جابر في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال: «ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ: «إن الصفا والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا» الحديث فإذا ثبت أن النبي ﷺ سعى وجب علينا السعي لقوله تعالى: فاتبعوه، ولقوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم» والأمر للوجوب ومن القياس أن السعي أشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به في إحرام كامل فكان ركناً كطواف الزيارة واحتج أبو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله: «فلا جناح عليه أن يطوف بهما». وهذا لا يقال في الواجبات ثم إنه تعالى أكد ذلك بقوله: ﴿ومن تطوع خيراً﴾ فبين أنه تطوع وليس بواجب. وأجيب عن الأول بأن قوله تعالى: ﴿فلا جناح عليه﴾ ليس فيه إلّا أنه لا إثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب، وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب. وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى: ﴿ومن تطوع خيراً﴾ فضعيف لأن هذا لا يقتضي أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور، أولاً بل يجوز أن يكون المقصود منه شيئاً آخر يدل على ذلك قول الحسن: إن المراد من قوله: ﴿ومن تطوع خيراً﴾ جميع الطاعات في الدين يعني فعل فعلاً زائداً على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة، وطواف، وغير ذلك من أنواع الطاعات. وقال مجاهد: ومن تطوع خيراً بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضاً وقيل معناه ومن تطوع خيراً فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الأول أولى للعموم ﴿فإن الله شاكر﴾ أي مجاز على الطاعة ﴿عليم﴾ أي بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر للأنعام عليه والشكر هو تصور النعمة، وإظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لأنه لا يلحقه المنافع والمضار، فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فإذا وصف به أريد به أنه المجازي على الطاعة بالثواب، إلّا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة في الإحسان إليهم. قوله عز وجل:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ

على المروة مثل ذلك، وقال: كان إذا نزل من الصفا مشى حتى إذا نصبت قدماه في بطن الوادي يسعى حتى يخرج منه»، قال مجاهد رحمه الله: حجّ موسى عليه السلام على جمل أحمر وعليه عباءتان قطوانيتان فطاف بالبيت، ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط إلى السعي وهو يلبّي فيقول: لبّيك اللّهمّ لبّيك، فقال الله تعالى: «لبّيك عبدي أنا معك وسامع لك وناظر إليك»، فخرّ موسى عليه السلام ساجداً. قوله تعالى: ﴿ وَمَن تطوع خيراً ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالياء وتشديد الطاء وجزْم العين، وكذلك الثانية: ﴿ فمَن تطوّع خيراً فهو خير له وأن تصوموا ﴾ [البقرة: ١٨٤]، بمعنى: يتطوع، ووافق يعقوب في الأول وقرأ الباقون بالتاء وفتح العين في الماضي، وقال مجاهد: معناه فإنْ تطوع بالطواف بالصفا والمروة، وقال مقاتل والكلبي فمَن تطوّع، أي: زاد في الطواف بعد الواجب، وقيل: مَن تطوّع بالحج والعمرة بعد أداء الحجة الواجبة عليه، وقال الحسن وغيره: أراد سائر الأعمال، يعني: فعل غير المفترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من أنواع الطاعات، ﴿ فإن الله شاكر ﴾، مجازٍ لعبده بعمله، ﴿ عليم ﴾: بنيّته، والشكر من الله تعالى أن يُعطي لعبده فوق ما يستحق، يشكر اليسير ويعطي الكثير.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾ نزلت في علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرها من الأحكام التي كانت في التوراة. وقيل: إن الآية على العموم فيمن كتم شيئاً من أمر الدين لأن اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبت، ومن قال بالقول الأول، وإنها في اليهود قال: إن الكتم لا يصح إلّا منهم لأنهم كتموا صفة محمد ﷺ ومعنى الكتمان ترك إظهار الشيء مع الحاجة إلى بيانه وإظهاره، فمن كتم شيئاً من أمر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن أبي هريرة قال: لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً: **﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾** وقوله: **﴿وإذ أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾** إلى آخر الآيتين، وهل إظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض عين؟ فيه خلاف والأصح، أنه إذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول إليه لم يبق مكتوماً، وقيل: متى سئل العالم عن شيء يعلمه من أمر الدين يجب عليه إظهاره وإلّا فلا **﴿من بعد ما بيناه للناس في الكتاب﴾** يعني في التوراة من صفة محمد ﷺ فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني إسرائيل، ومن قال: إن المراد بالكتاب جميع ما أنزل الله على أنبيائه من الأحكام قال المراد بالناس العلماء كافة **﴿أولئك﴾** يعني الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى **﴿يلعنهم الله﴾** أي يبعدهم من رحمته وأصل اللعن في اللغة الطرد والإبعاد **﴿ويلعنهم اللاعنون﴾** قال ابن عباس: جميع الخلائق إلّا الجن والإنس وذلك أن البهائم تقول إنما منعنا القطر بمعاصي بني آدم. وقيل: اللاعنون هم الجن والإنس لأنه وصفهم بوصف من يعقل وقيل: ما تلا عن اثنان من المسلمين إلّا رجعت إلى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد ﷺ ثم استثنى فقال تعالى: **﴿إلّا الذين تابوا﴾** أي ندموا على ما فعلوا فرجعوا عن الكفر إلى الإسلام **﴿وأصلحوا﴾** يعني الأعمال فيما بينهم وبين الله تعالى **﴿وبينوا﴾** يعني ما كتموا من العلم **﴿فأولئك أتوب عليهم﴾** أي أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم **﴿وأنا التواب﴾** أي المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني إلي **﴿الرحيم﴾** يعني بهم بعد إقبالهم علي. قوله عز وجل: **﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾** قيل: هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون. فإن قلت: الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه أهل دينه وملته فما معنى قوله والناس أجمعين.

قوله تعالى: **﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهُدَى مِنْ بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب ﴾**، نزلتْ في علماء اليهود كتموا صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرهما من الأحكام التي كانت في التوراة، **﴿ أولئك يلعنهم الله ﴾**، وأصل اللّعن الطرد والبُعد، **﴿ ويلعنهم اللاّعنون ﴾**، أي: يسألون الله أن يلعنهم ويقولون: اللّهمّ العنهم، واختلفوا في هؤلاء اللاعنين، قال ابن عباس: جميع الخلائق إلّا الجن والإنس، وقال قتادة: هم الملائكة، وقال عطاء: الجن والإنس، وقال الحسن: جميع عباد الله قال ابن مسعود: ما تَلَا عَن اثنان من المسلمين إلّا رجعت تلك اللعنة عن اليهود والنصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ وصفته، وقال مجاهد: اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السَنَةُ وأمسك المطر، وقالت: هذا من شؤم ذنوب بني آدم، ثم استثنى فقال:

﴿ إلّا الذين تابوا ﴾: من الكفر، **﴿ وأصلحُوا ﴾**: أسلموا أو أصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربّهم، **﴿ وبيّنوا ﴾**: ما كتموا، **﴿ فأولئك أتوب عليهم ﴾**: أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم، **﴿ وأنا التوّاب ﴾** الرجّاع بقلوب عبادي المنصرفة عنّي إليّ. **﴿ الرحيم ﴾**: بهم بعد إقبالهم عليّ.

﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفّار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة ﴾، أي: لعنة الملائكة **﴿ والناس**

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قلت فيه أوجه: أحدها: أنه أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون. الثاني: أن الكفار يلعن بعضهم بعضاً يوم القيامة. الثالث: أنهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه ﴿**خالدين فيها**﴾ أي مقيمين في اللعنة وقيل: في النار وإنما أضمرت لعظم شأنها ﴿**لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون**﴾ أي لا يمهلون ولا يؤجلون. وقيل: لا ينظرون ليعتذروا. وقيل: لا ينظر إليهم نظر رحمة.

فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم:

قال العلماء: لا يجوز لعن كافر معين لأن حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الإسلام وقد شرط الله في هذه الآية إطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله ﷺ: «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها» وذهب بعضهم إلى جواز لعن إنسان معين من الكفار، بدليل جواز قتاله وأما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة أحد منهم على التعيين وأما على الإطلاق فيجوز لما روي أن النبي ﷺ قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده» ولعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة وآكل الربا ومؤكله ولعن من غير منار الأرض، ومن انتسب لغير أبيه وكل هذه في الصحيح. قوله عز وجل: ﴿**وإلهكم إله واحد**﴾ سبب نزول هذه الآية، أن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك وانسبه، فأنزل الله هذه الآية وسورة الإخلاص ومعنى الوحدة الانفراد، وحقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله أنه واحد لا نظير له وليس كمثله شيء وقيل واحد في ألوهيته وربوبيته ليس له شريك لأن المشركين أشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿**وإلهكم إله واحد**﴾ يعني لا شريك له في ألوهيته ولا نظير له في الربوبية والتوحيد، هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد فى أفعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه ﴿**لا إله إلّا هو**﴾ تقرير للوحدانية بنفي غيره من الألوهية وإثباتها له سبحانه وتعالى: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ يعني أنه المولى لجميع النعم وأصولها وفروعها فلا شيء سواه بهذه الصفة لأن كل ما سواه إما نعمة وأما منعم عليه. وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم. عن أسماء بنت يزيد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿**وإلهكم إله واحد لا إله إلّا هو الرحمن الرحيم**﴾،

أجمعين ﴾، قال أبو العالية: هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس، فإن قيل: فقد قال والناس أجمعين والملعون هو من جملة الناس، فكيف يلعن نفسه؟ قيل: يلعن نفسه في القيامة، قال الله تعالى: ﴿ **ويلعن بعضكم بعضاً** ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقيل: إنهم يلعنون الظالمين والكافرين، ومَن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه.

﴿ **خالدين فيها** ﴾ مقيمين في اللعنة وقيل في النار، ﴿ **لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** ﴾ لا يُمهلون ولا يؤجلون، وقال أبو العالية: لا ينظرون فيعتذروا، كقوله تعالى: ﴿ ولا يُؤذن لهم فيعتذرون ﴾ [المرسلات: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿ **وإلَهكم إلَه واحد لا إلَه إلّا هو الرحمن الرحيم** ﴾، سبب نزول هذه الآية أن كفّار قريش قالوا: يا محمد صفْ لنا ربك وانْسبه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص، والواحد: الذي لا نظير له ولا شريك له، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا بكر بن إبراهيم وأبو عاصم، عن عبد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم: ﴿ **وإلَهكم إلَه واحد لا إلَه إلّا هو الرحمن الرحيم** ﴾، و﴿ الله لا إلَه إلّا هو الحيّ القيّوم ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران: ٢]، قال أبو الضحى: لمّا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وفاتحة آل عمران: ﴿الٓمٓ الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم﴾ »أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح. وقيل: لما نزلت هذه الآية. قال المشركون: إن محمداً يقول: «إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان صادقاً» فأنزل الله تعالى:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع، وردهم إلى التفكر في آياته والنظر في عجائب مصنوعاته وإتقان أفعاله ففي ذلك دليل على وحدانيته إذ لو كان في الوجود صانعان لهذه الأفعال، لاستحال اتفاقهما على أمر واحد ولامتنع في أفعالهما التساوي في صفة الكمال فثبت بذاك أن خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار، فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية أنواع أولها: إن في خلق السموات والأرض وإنما جمع السموات لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الأخرى ووحد الأرض لأنها جنس واحد وهو التراب، والآية في السماء هي سمكها وارتفاعها بغير عمد، ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض مدها وبسطها على الماء، وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات. النوع الثاني قوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي تعاقبهما في المجيء والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة. وإنما قدم الليل على النهار لأن الظلمة أقدم. والآية في الليل والنهار أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار إنما هو لتحصيل مصالح العباد. النوع الثالث قوله تعالى: ﴿والفلك التي تجري في البحر﴾ أي السفن واحدة وجمعه سواء، وسمي البحر بحراً لاتساعه وانبساطه، والآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة بالأثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة، وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء، وهيجان البحر فلا ينجي منه إلاّ الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى: ﴿بما ينفع الناس﴾ يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الأرباح، والآية في

نزلت هذه الآية قال المشركون: إن محمداً يقول: إنّ إلٰهكم إلٰه واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين فأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿ إنّ في خلق السمواتِ والأرض ﴾، ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن كل سماء من جنس آخر، والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب، فالآية في السماوات: سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة، وما يُرى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض: مدّها وبسْطها وسعتُها وما يُرى فيها من الأشجار والأنهار، والجبال والبحار والجواهر والنبات. قوله تعالى: ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾، أي: تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدُهما صاحبَه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر، أي: بعده، نظيره: قوله تعالى: ﴿ وهو الذي جعل الليل والنّهار خِلْفَةً ﴾ [الفرقان: ٦٢]، قال عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان، والليل جمع ليلة، والليالي جمع الجمع، والنهار جمع نهر، وقدّم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه، قال الله تعالى: ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ [يّس: ٣٧]، ﴿ والفُلْك التي تجري في البحر ﴾، يعني: السفن واحده وجمعه سواء، فإذا أُريد به الجمعُ يُؤنّث، وفي الواحد يُذكّر، قال الله تعالى في الواحد والتذكير: ﴿ إذْ أبق

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ذلك أن الله تعالى لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم، ومنافعهم وأيضاً فإن الله تعالى خص كل قطر من أقطار العالم بشيء معين، وأحوج الكل إلى الكل فصار ذلك سبباً يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع، لأنه يربح والمحمول إليه ينتفع بما حمل إليه. النوع الخامس قوله تعالى: ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ يعني المطر قيل أراد بالسماء السحاب سمي سماء لأن كل ما علاك فأظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب، ومنه ينزل إلى الأرض وقيل: أراد السماء بعينها خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل إلى السحاب ثم منه إلى الأرض ﴿فأحيا به﴾ أي بالماء ﴿الأرض بعد موتها﴾ أي يبسها وجدبها سماه موتاً مجازاً لأنها إذا لم تنبت شيئاً، ولم يصبها المطر فهي كالميتة، والآية في إنزال المطر وإحياء الأرض به أن الله تعالى جعله سبباً لإحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة إليه بمقدار المنفعة، وعند الاستسقاء والدعاء وإنزاله بمكان دون مكان. النوع السادس قوله تعالى: ﴿وبث﴾ أي فرق ﴿فيها﴾ أي في الأرض ﴿من كل دابة﴾ قال ابن عباس: يريد كل ما دب على وجه الأرض من جميع الخلق من الناس وغيرهم، والآية في ذلك أن جنس الإنسان يرجع إلى أصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والأشكال والألوان والألسنة والطبائع والأخلاق والأوصاف إلى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان. النوع السابع قوله تعالى: ﴿وتصريف الرياح﴾ يعني في مهابِّها قبولاً ودبوراً وشمالاً وجنوباً ونكباء وهي الريح التي تأتي من غير مهب صحيح، فكل ريح تختلف مهابها تسمى: نكباء. وقيل: تصريفها في أحوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحاً لأنها تريح قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح إلّا لشفاء سقيم أو ضده. وقيل: البشارة في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور: هي الريح العقيم التي أهلكت بها عاد فلا بشارة فيها، والآية في الريح أنها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لمات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الأرض.

إلى الفلك المشحون ﴾ [الصَّافات: ١٤٠]، وقال في الجمع والتأنيث: ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿ والفلك التي تجري في البحر ﴾ الآية في الفلك: تسخيرها وجريها على وجه الماء، وهي موقرة لا ترسب تحت الماء، ﴿ بما ينفع الناس ﴾، يعني: ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب، ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء ﴾، يعني: المطر، قيل: أراد بالسماء السحاب، يخلق الله الماء في السحاب ثم من السحاب ينزل، وقيل: أراد به السماء المعروفة، يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض، ﴿ فأحيا به ﴾، أي: بالماء ﴿ الأرض بعد موتها ﴾، أي: بعد يبسها وجدوبتها، ﴿ وبثّ فيها ﴾، أي: فرّق فيها ﴿ من كل دابّة، وتصريف الرياح ﴾، قرأ حمزة والكسائي (الريح) بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف، وكل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام، اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلّا في آيـة: ﴿ الريح العقيم ﴾ [الذّاريات: ٤١]، اتفقوا على توحيدها، وفي الحرف الأول من آيـة: ﴿ الرياح مبشّرات ﴾ [الروم: ٤٦]، اتفقوا على جمعها، وقرأ أبو جعفر سائرها على الجمع، والقرّاء مختلفون فيها، والريحُ يُذكّر ويُؤنّث، وتصريفها أنها يتصرّف إلى الجنوب والشمال، والقُبول والدُّبور والنكباء، وقيل: تصريفها أنها تارةً تكون ليناً، وتارة تكون عاصفاً، وتارة تكون حارّة، وتارة باردة، قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء، وسُمّيت الريح ريحاً لأنها تُريح النفوس، قال شريح القاضي: ما هبّت ريح إلّا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح، والبشارة في ثلاث من الرياح: في الصبا والشمال والجنوب، أما الدّبور فهي الريح العقيم، لا بشارة

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

النوع الثامن قوله تعالى: ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ أي الغيم المذلل سمي سحاباً لسرعة سيره كأنه يسحب. والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأدوية العظيمة يبقى معلقاً بين السماء والأرض، ففي هذه الأنواع الثمانية المذكورة في هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار، وأنه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله: «وإلهكم إله واحد لا إله إلّا هو» وقوله: ﴿لآيات﴾ أي فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل إنما جمع آيات لأن في كل واحد مما ذكر من هذه الأنواع آيات كثيرة تدل على أن لها خالقاً مدبراً مختاراً ﴿لقوم يعقلون﴾ أي ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم، فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً ومدبراً مختاراً وصانعاً قادراً على ما يريد. قوله عز وجل:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥﴾

﴿ومن الناس﴾ يعني المشركين ﴿من يتخذ من دون الله أنداداً﴾ يعني أصناماً يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الأصنام أنداداً بعضها لبعض وليست أنداداً لله تعالى وتعالى الله أن يكون له ند، أوله مثل منازع وقيل: الأنداد الأكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله تعالى: ﴿يحبونهم﴾ أي يودونهم ويميلون إليهم والحب نقيض البغض وأحببت فلاناً أي جعلته معرضاً بأن تحبه والمحبة الإرادة ﴿كحب الله﴾ أي كحب المؤمنين لله والمعنى: يحبون الأصنام كما يحب المؤمنون ربهم عزّ وجلّ. وقيل: معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى أنهم يسوون بين الأصنام وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الأول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثاني أثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الأصنام شركاء له في الحب ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ أي أثبت وأدوم على محبته لأنهم لا يختارون مع الله سواه، والمشركون إذا اتخذوا صنماً ثم رأوا آخر أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني. وقيل: إن الكفار يعدلون عن أصنامهم في الشدائد ويقبلون إلى الله

فيها، وقيل: الرياح ثمانية، أربعة للرحمة، وأربعة للعذاب، فأمّا التي للرحمة: المبشرات والباشرات والذاريات والمرسلات، وأمّا التي للعذاب: فالعقيم والصرصر في البرّ والعاصف والقاصف في البحر. ﴿ والسحاب المسخر ﴾، أي: الغيم المذلّل، سُمّي سحاباً لأنه ينسحب، أي: يسير في سرعة كأنه يُسحب أي يُجرّ، ﴿ بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾، فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً قال وهب بن منبّه: ثلاثة لا يُدرى من أين تجيء، الرعد والبرق والسّحاب.

قوله تعالى: ﴿ ومن الناس ﴾، يعني: المشركين، ﴿ مَنْ يتّخذ من دون الله أنداداً ﴾، أي: أصناماً يعبدونها، ﴿ يُحبّونهم كَحُبِّ الله ﴾، أي: يُحبّون آلهتهم كحبّ المؤمنين اللّه، وقال الزجّاج: يحبّون الأصنام كما يحبّون الله لأنهم أشركوها مع الله، فسوَوا بين الله وبين أوثانهم في المحبّة، ﴿ والذين آمنوا أشدّ حُبّاً لله ﴾، أي: أثبت وأدوم على حُبّه من المشركين، لأنهم لا يختارون على الله ما سواه، والمشركون إذا اتخذوا صنماً ثم رأوا أحسن منه، طرحوا الأول واختاروا الثاني، قال قتادة: إن الكافر يُعرِض عن معبوده في وقت البلاء ويُقبل على الله تعالى، كما أخبر الله عزّ وجلّ عنهم فقال: ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، والمؤمن لا يُعرِض عن الله في السرّاء والضرّاء والشدّة والرخاء، قال سعيد بن جبير: إن الله عزّ وجلّ يأمر يوم القيامة مَن أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم، فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تعالى كما أخبر عنهم فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين. والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى في السراء ولا في الضراء ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل: إن المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون أصناماً كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد. وقيل: إنما هو قال ﴿**والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ لأن الله أحبهم أولاً فأحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وسيأتي بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله: يحبهم ويحبونه ﴿**ولو يرى الذين ظلموا**﴾ قرىء بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا. يعني أشركوا في شدة العذاب، لرأيت أمراً عظيماً وقرىء بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وأن ما اتخذوه من الأصنام لا ينفعهم ﴿**إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً**﴾ معناه لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب أن القوة ثابتة لله جميعاً، والمعنى أنهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه أن القوة له جميعاً، وأن الأمر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود ﴿**وأن الله شديد العذاب**﴾ قوله عز وجل:.

إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

﴿**إذ تبرأ**﴾ أي تنزه وتباعد ﴿**الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب**﴾ أي القادة من مشركي الإنس من الأتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والأتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم. وقيل: هم الشياطين يتبرؤون من الإنس، والقول هو الأول ﴿**وتقطعت بهم**

الدوام، ثم يقول للمؤمنين وهم بين أيدي الكفّار: إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم، فيقتحمون فيها فينادي مُنادٍ من تحت العرش: ﴿ **والذين آمنوا أشدُّ حُبّاً لله** ﴾، وقيل: إنما قال: ﴿ **والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله** ﴾، لأن الله تعالى أحبّهم أولاً ثم أحبّوه، ومَن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتمّ، قال الله تعالى: ﴿ **يحبّهم ويحبّونه** ﴾ [المائدة: ٥٤]. قوله تعالى: ﴿ **ولو يرى الذين ظلموا** ﴾، قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ﴿ **ولو ترى** ﴾ بالتاء وقرأ الآخرون بالياء وجواب ﴿ **لو** ﴾ ههنا محذوف، ومثله كثير في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ **ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبال أو قُطعت به** ﴾ [الرعد: ٣١] الآية يعني: لكان هذا القرآن، فمَن قرأ بالتاء معناه: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم في شدّة العذاب، لرأيت أمراً عظيماً، قيل: معناه: قل يا محمد: أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا، أي: أشركوا في شدّة العقاب، لرأيت أمراً فظيعاً، ومَن قرأ بالياء معناه: ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب، أي: ولو رأوا شدّة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب، لعرفوا مضرّة الكفر، وأنّ ما اتخذوا من الأصنام لا ينفعهم، قوله تعالى: ﴿ **إذ يَرونَ** ﴾، قرأ ابن عامر بضمّ الياء والباقون بفتحها، ﴿ **العذابَ أنّ القوة لله جميعاً، وأنّ الله شديدُ العذاب** ﴾ أي: بأن القوة لله جميعاً معناه: لرأوا وأيقنوا أن القوة لله جميعاً، وقرأ أبو جعفر ويعقوب (إن القوة) و(إن الله) بكسر الألف على الاستئناف، والكلام تامّ عند قوله: ﴿ **إذ يرون العذاب** ﴾، مع إضمار الجواب.

﴿ **إذ تبرّأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتّبَعوا ورأوا العذاب** ﴾، هذا في يوم القيامة حين يجمع الله القادة والأتباع، فيتبرأ بعضهم من بعض، هذا قول أكثر المفسّرين، وقال السدي: هم الشياطين يتبرأون من الإنس، ﴿ **وتقطعتْ بهم** ﴾، أي: عنهم ﴿ **الأسباب** ﴾، أي الصِّلات التي كانت بينهم في الدنيا، من القرابات والصداقات، وصارت

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأسباب﴾ يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة. وقيل: الأعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا. وقيل: العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها. وأصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء من ذريعة أو قرابة أو مودة سبباً تشبيهاً بالحبل الذي يصعد به ﴿وقال الذين اتبعوا﴾ يعني الأتباع ﴿لو أن لنا كرة﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿فنتبرأ منهم﴾ أي من المتبوعين ﴿كما تبرؤوا منا﴾ اليوم ﴿كذلك يريهم الله﴾ أي كما أراهم العذاب يريهم الله ﴿أعمالهم حسرات عليهم﴾ لأنهم أيقنوا بالهلاك. والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، والمعنى أن الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها، وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون لم عملوها؟. وقيل: يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها. وقيل: يرفع لهم منازلهم في الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ قوله عز وجل: .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾ نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. والحلال المباح الذي أحله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه، وأصله من الحل الذي هو نقيض العقد. والطيب ما يستلذ، والمسلم لا يستطيب إلاّ الحلال ويعاف الحرام. وقيل: الطيب هو الطاهر لأن النجس تكرهه النفس وتعافه ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾

مخالطتهم عداوة، وقال ابن جريج: الأرحام، كما قال الله تعالى: ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال السدي: يعني الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وأصل السبب ما يُوصَل به إلى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودّة ومِنّة، يقال للحبل: سبب، وللطريق: سبب.

﴿ وقال الذين اتَّبَعُوا ﴾، يعني: الأتباع: ﴿ لو أن لنا كرّةً ﴾، أي: رجعة إلى الدنيا، ﴿ فنتبرّأ منهم ﴾، أي: من المتبوعين، ﴿ كما تبرأوا منّا ﴾: اليوم، ﴿ كذلك ﴾، أي: كما أراهم العذاب، كذلك ﴿ يُريهم الله ﴾، وقيل: كَتَبَرُّؤِ بعضهم من بعض، يُريهم الله: ﴿ أعمالَهم حسراتٍ ﴾: نداماتٍ ﴿ عليهم ﴾، جمع حسرة، قيل: يُريهم ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لِمَ عملوا، وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات، فيندمون على تضييعها، وقال ابن كيسان: إنهم أشركوا بالله الأوثان رجاء أن تقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ، فلما عُذّبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسّروا وندموا، قال السدي: تُرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله، ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون ويتحسّرون ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يا أيّها الناس كُلُوا ممّا في الأرض حلالاً طيباً ﴾، نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة، وبني مدلج فيما حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فالحلال ما أحلّه الشرع طيِّباً، قيل: ما يُستطاب ويستلذ، والمسلم يستطيب الحلال ويخاف الحرام، وقيل الطيب، ﴿ ولا تتبعوا خُطُوَاتِ الشيطان ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي وحفص ويعقوب بضمّ الطاء، والباقون بسكونها،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أي لا تسلكوا سبيله. وقيل معناه لا تأثموا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته، والمعنى احذروا أن تتعدوا ما أحل الله لكم إلى ما يدعوكم إليه الشيطان. قيل: هي النذور في المعاصي. وقيل: هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير، بقوله تعالى: ﴿**إنه لكم عدو مبين**﴾ أي ظاهر العداوة وقد أظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى: ﴿**إنما يأمركم بالسوء**﴾ يعني بالإثم. والسوء ما يسوء صاحبه ويخزيه ﴿**والفحشاء**﴾ يعني بها المعاصي وما قبح من قول أو فعل. قال ابن عباس: السوء ما لا حد فيه، والفحشاء ما يجب فيه الحد. وقيل الفحشاء الزنا. وقيل هو البخل ﴿**وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ يعني من تحريم الحرث والأنعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله ﷺ. واعلم أن أمر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الإنسان في قلبه، وماهية هذه الخواطر حروف وأصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج، ثم إن فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الإنسان، وإنما الشيطان كالعرض، والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» وإنما أقدر على ذلك لإيصال هذه الخواطر إلى باطن الإنسان. قوله عز وجل: ﴿**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله**﴾ هذه قصة مستأنفة والضمير في «لهم» يعود إلى غير مذكور. قال ابن عباس: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام. فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيراً منا وأعلم منا فأنزل الله هذه الآية. وقيل: إن الآية متصلة بما قبلها والضمير في «لهم» يعود إلى قوله: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾ وهم مشركو العرب. قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الأصنام. وقيل: بل الضمير في «لهم» يعود على قوله: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض﴾ والمعنى وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله

﴿ **وخطوات الشيطان** ﴾ آثاره وزلّاته، وقيل: هي النذور في المعاصي، وقال أبو عبيدة: هي المحقّرات من الذنوب، وقال الزجّاج: طُرَقه، ﴿ **إنّه لكم عدوّ مبين** ﴾: بيّن العداوة، وقد أظهر عداوته بإبائه السجود لآدم وغروره إيّاه، حتى أخرجه من الجنة، و(أبان) يكون لازماً ومتعدياً ثم ذكر عداوته فقال:

﴿ **إنّما يأمركم بالسوء** ﴾، أي: بالإثم، وأصل السوء ما يسوء صاحبه، وهو مصدر ساء يسوء سوءاً ومساءةً، أي: أحزنه، وسوّأته فساء أي: حزّنته فحزن، ﴿ **والفحشاء** ﴾: المعاصي وما قَبُح من القول والفعل، وهو مصدر كالسرّاء والضرّاء، روى باذنٌ عن ابن عباس قال: الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحدّ، والسوء من الذنوب ما لا حدّ فيه، وقال السدي: هي الزنا، وقيل: هي البخل، ﴿ **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾، من تحريم الحرث والأنعام.

قوله تعالى: ﴿ **وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله** ﴾ قيل: هذه قصة مستأنفة، والهاء والميم في ﴿ **لهم** ﴾ كناية عن غير مذكور، ورُوِيَ عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام، فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف: بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا، أي: ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أفضل وأعلم منّا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقيل: الآية متّصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفّار قريش، والهاء والميم عائدة إلى قوله: ﴿ ومن الناس مَن يتّخذ من دون الله أنداداً ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿ **قالوا بل نتّبع ما ألفينا** ﴾، أي: ما وجدنا ﴿ **عليه آباءنا** ﴾، من عبادة الأصنام، وقيل: معناه وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبَحِيرَة والسائبة، والهاء والميم عائدتان إلى الناس في قوله تعالى: ﴿ **يا أيّها الناس كُلوا** ﴾ ﴿ **قالوا بل نتّبع** ﴾، قرأ الكسائي ﴿ **بل نتّبع** ﴾ بإدغام اللام في النون، وكذلك يدغم لام هل وبل في التاء والثاء والزاء والسين والصاد والطاء والظاء، ووافق حمزة في الثاء والسين، و﴿ **ما ألفينا** ﴾ ما وجدنا عليه آباءنا من التحريم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يعني في تحليل ما حرموا على أنفسهم ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا﴾ يعني وجدنا ﴿عليه آباءنا﴾ من التحريم والتحليل، قال الله تعالى: ﴿أو لو كان آباؤهم﴾ يعني الذين يتبعونهم ﴿لا يعقلون شيئاً﴾ يعني لا يعلمون شيئاً من أمر الدين، لفظه عام ومعناه خاص وذلك أنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ﴿ولا يهتدون﴾ أي إلى الصواب. ثم ضرب لهم مثلاً فقال تعالى:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسع إلّا دعاء ونداء﴾ النعيق صوت الراعي بالغنم، ولا يقال نعق إلّا للراعي بالغنم وحدها، ومعنى الآية: ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع إلّا صوتاً فصار الداعي إلى الله وهو الرسول ﷺ بمنزلة الراعي، وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها، ووجه المثل أن الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول ﷺ ولكن لا ينتفعون به، وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفهم من الأمر والنهي إلّا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق. وقيل: معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم، فهو لا ينتفع من نعيقه بشيء غير أنه غني عن الدعاء والنداء، فكذلك الكافر ليس له من دعاء الأصنام وعبادتها إلّا العناء والبلاء، والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله أن المحذوف هنا هو المدعو وهي الأصنام وفي القول الأول المحذوف هو الداعي وهو الرسول ﷺ ﴿صم بكم عمي﴾ لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال: صم لأنهم إذا سمعوا الحق ودعاء الرسول، ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع ولا يعقل كأنه أصم، بكم أي عن

والتحليل، قال تعالى: ﴿ أوَ لو كان آباؤهم ﴾ أي: كيف يتّبعون آباءهم، وآباؤهم ﴿ لا يعقلون شيئاً ﴾؟ الواو في ﴿ أوَلَوْ ﴾ وَاوُ العطف، ويُقال لها أيضاً: واو التعجّب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ، والمعنى: أيتّبعون آباءَهم وإن كانوا جهّالاً لا يعقلون شيئاً، لفظه عامّ ومعناه الخصوص، أي: لا يعقلون شيئاً من أمور الدين، لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا، ﴿ ولا يهتدون ﴾، ثم ضرب لهم مثلاً فقال جلّ ذكره:

﴿ ومَثَلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعقُ بما لا يسمع ﴾، والنعيق والنعق: صوت الراعي بالغنم، معناه: مَثَلُكَ يا محمد ومَثَلُ الكفّار في وعظهم ودعائهم إلى الله عزّ وجلّ كمَثَل الراعي الذي ينعق بالغنم، وقيل: مثل واعظ الكفّار وداعيهم معهم كمَثَل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع، ﴿ إلاّ دعاءً ﴾ صوتاً ﴿ ونداءً ﴾، فأضاف المثل إلى الذين كفروا، لدلالة الكلام عليه، كما في قوله تعالى: ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف: ٨٢]، معناه كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها، كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك إنّما يسمع صوتك، وقيل: معناه ومثل الذين كفروا في قلّة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله، كمَثَل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلاّ الصوت، فيكون المعنى للمنعوق به والكلام خارج عن الناعق، وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك يقلبون الكلام لإيضاح المعنى عندهم، يقولون: فلان يخافك كخوف الأسد، أي: كخوفه الأسد، وقال تعالى: ﴿ ما إنّ مفاتِحَهُ لتنوء بالعصبة ﴾ [القصص: ٧٦]، وإنما العصبة لتنوء بالمفاتيح، وقيل: معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمَثَل الناعق بالغنم، فلا ينتفع من نعيقه بشيء، غير أنه في غناء من الدعاء والنداء، كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة وعبادتها إلاّ العَناء والبلاء، كما قال تعالى: ﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

النطق بالحق عمي أي عن طريق الهدى ﴿فهم لا يعقلون﴾ قيل المراد به العقل الكسبي لأن العقل الطبيعي كان حاصلاً فيهم قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ قيل إن الأمر في قوله: كلوا قد يكون للوجوب كالأكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها، وقد يكون للندب كالأكل مع الضيف وقد يكون للإباحة إذا خلا من هذه العوارض. والطيب هو الحلال (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إنْ الله طيب ولا يقبل إلاّ الطيب وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً وقال: يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك». قوله: أشعث أغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة. وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوماً تنزهوا عن أكل المستلذ من المطاعم فأباح الله تعالى لهم ذلك ﴿واشكروا لله﴾ يعني على نعمه ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ أي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم إن كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه إلهكم لا غيره وقيل إن كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ لما أمرنا الله تعالى في الآية التي تقدمت بأكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه الآية أنواعاً من المحرمات، أما الميتة فكل ما فارقته روحه من غير ذكاة مما يذبح. وأما الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتأكله فحرم الله الدم. وأما الخنزير فإنه أراد بلحمه جميع أجزائه وإنما خص اللحم بالذكر لأنه المقصود لذاته بالأكل ﴿وما أهل به

دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ﴾ [فاطر: ١٤]، وقيل: معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان، كمَثَل الذي يصيح في جوف الجبال، فيسمع صوتاً يُقال له الصداء لا يُفهَم منه شيئاً، فمعنى الآية: كمَثَل الذي ينعق بما لا يسمع منه الناعق إلاّ دعاء ونداء. ﴿ صُمٌّ ﴾، تقول العرب لمَن لا يسمع ولا يعمل: كأنه أصمّ، ﴿ بُكْمٌ ﴾، عن الخير لا يقولونَه، ﴿ عُميٌ ﴾، عن الهُدَى لا يبصرونه، ﴿ فهم لا يعقلون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا كُلوا من طيبات ﴾: حلالات ﴿ ما رزقناكم ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو محمد وعبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا فُضيل بن مرزوق عن عديّ بن ثابت، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنّ اللّهَ طيبٌ لا يقبل إلاّ الطيبَ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يا أيّها الرّسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعثَ أغبرَ يمدُّ يده إلى السماء يا ربِّ يا ربِّ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام فأنّى يُستجاب لذلك». ﴿ واشكروا لله ﴾: على نعمه، ﴿ إن كنتم إيّاه تعبدون ﴾، ثم بيّن المحرّمات فقال:

﴿ إنما حرّم عليكم الميتة ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿ الميتة ﴾ كل القرآن بالتشديد، والباقون يشددون البعض، والميتة: كل ما لم تدرك ذكاته ممّا يُذبح، ﴿ والدم ﴾، أراد به الدم الجاري، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ أو دماً مسفوحاً ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد، ومن الدم الكبد والطحال فأحلّها، أخبرنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لغير الله﴾ يعني وما ذبح للأصنام والطواغيت وأصل الإهلال رفع الصوت وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم إذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى أمرهم وحالهم حتى قيل لكم ذابح مهل وإن لم يجهر بالتسمية **﴿فمن اضطر﴾** يعني إلى أكل الميتة وأحوج إليها **﴿غير باغ﴾** أصل البغي الفساد **﴿ولا عاد﴾** أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد **﴿فلا إثم عليه﴾** أي فأكل فلا إثم عليه، أي فلا حرج في أكلها **﴿إن الله غفور﴾** أي لما أكله في حال الضرورة **﴿رحيم﴾** يعني حيث رخص لعباده في ذلك.

فصل في حكم هذه الآية وفيه مسائل:

الأولى في حكم الميتة أجمعت الأمة على تحريم أكل الميتة، وأنها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد، أما السمك فلقوله ﷺ في البحر: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» أخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم. قال الترمذي: فيه حديث حسن صحيح. وأما الجراد فلما روي عن ابن أبي أوفى قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أو ستاً وكنا نأكل الجراد ونحن معه» أخرجاه في الصحيحين. واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعي لا بأس به وقال أبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح بن حي إنه مكروه وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: ما طفى من صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبدالله مثله وروي عن أبي بكر الصديق وأبي أيوب إباحته. واختلف في الجراد، فقال الشافعي وأبو حنيفة: لا بأس بأكل الجراد كله ما أخذته وما وجدته ميتاً. وروى مالك أن ما وجد ميتاً فلا يحل وما أخذ حياً يذكى زكاة مثله بأن يقطع رأسه ويشوى فإن غفل عنه حتى يموت فلا يحل.

المسألة الثانية في حكم الدم: اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس لا يؤكل، ولا ينتفع به. قال الشافعي: تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحاً أو غير مسفوح. وقال أبو حنيفة: دم السمك ليس بحرام قال لأنه إذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال. روى الدارقطني عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أحل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال» وفي لفظ آخر: «أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت، وأما الدمان فالطحال والكبد»

عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أُحلَّتْ لنا ميتتان ودمان، الميتتان: الحوت والجراد، والدمان: أحسبه قال الكبد والطحال» **﴿ ولحم الخنزير ﴾**، أراد به جميع أجزائه، فعبّر عن ذلك باللحم لأنه مُعظمه، **﴿ وما أهلّ به لغير الله ﴾**، أي: ما ذبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت، وكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية: مُهِلٌّ، وقال الربيع بن أنس وغيره: **﴿ وما أُهلّ به لغير الله ﴾** قال: ما ذُكر عليه اسم غير الله، **﴿ فمَنِ اضطر ﴾**، بكسر النون وإخواته، عاصم وحمزة، ووافق أبو عمرو إلّا في اللام والواو مثل: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ [الإسراء: ١١٠] ويعقوب إلّا في الواو، ووافق ابن عامر في التنوين، والباقون كلهم بالضم، فمَن كسر قال لأن الجزم يُحَرّك إلى الكسر، ومَن ضمّ فلضمه أول الفعل، نقلَ حركتها إلى ما قبلها، وأبو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمَن اضطر إلى أكل الميتة، أي: أُحوج وأُلْجىء إليه، **﴿ غيرَ ﴾**، نُصب على الحال، وقيل: على الاستثناء، وإذا رأيت **﴿ غير ﴾** لا يصلح في موضعها (إلّا) فهي حال، وإذا صلح في موضعها (إلا) فهي استثناء، **﴿ باغٍ ولا عادٍ ﴾**، أصل البغي: قصد الفساد، يقال: بغى الجرح يبغي بغياً إذا ترامَى إلى الفساد، وأصل العدوان: الظلم ومجاوزة الحدّ، يقال: عدا عليه عدواً وعدواناً إذا ظلم، واختلفوا في معنى

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل. قال أحمد وعلي بن المديني: عبدالرحمن بن زيد ضعيف. وأخوه عبدالله بن زيد قوي. ثقة. وقد أخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبدالله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً وضعف أبو بكر بن العربي هذا الحديث وقال: يروى عن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقي: يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفاً ومرفوعاً والصحيح الموقوف. واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال: مالك لا تخصيص لأن الكبد والطحال لحم، ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر إلى برهان وقال الشافعي: هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم.

المسألة الثالثة في الخنزير: أجمعت الأمة على أن **الخنزير** بجميع أجزائه محرم، وإنما ذكر الله تعالى لحمه لأن معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء إنه نجس وقال مالك: إنه طاهر. وكذا كل حيوان عنده، لأن علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان: في ولوغ الخنزير الجديد أنه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة. والفرق بينهما أن التغليظ في الكلب لأن العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير. وقيل: إن التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى إلى غيره.

المسألة الرابعة في حكم قوله: وما أهل به لغير الله: من الناس من زعم أن المراد بذلك ذبائح عبدة الأوثان التي كانوا يذبحونها لأصنامهم، وأجاز ذبيحة النصارى إذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله: ﴿**وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم**﴾ وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة: لا يحل ذلك والحجة فيه أنهم إذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم. وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: إذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا وإذا لم تسمعوهم فكلوا، فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون.

المسألة الخامسة في حكم المضطر: المضطر هو المكلف بالشيء، الملجأ إليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر أي خاف التلف حتى قيل: من اضطر إلى أكل فلم يأكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار. والمضطر على ثلاثة أقسام: إما بإكراه أو بجوع في مخمصة أو بفقر لا يجد شيئاً البتة فإن التحريم يرتفع مع وجود هذه الأقسام بحكم الاستثناء في قوله: فلا إثم عليه وتباح له الميتة فأما الإكراه فيبيح ذلك إلى زوال الإكراه وأما المخمصة فلا يخلو إن كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها، وإن كانت نادرة فاختلف العلماء فيه. وللشافعي قولان أحدهما أنه يأكل ما يسد به الرمق، وبه قال أبو حنيفة. والثاني يأكل قدر الشبع، وبه قال مالك.

قوله: ﴿ **غير باغٍ ولا عادٍ** ﴾، فقال بعضهم: غير باغٍ أي: غير خارج على السلطان، ولا عادٍ: متعدٍّ، **عاصٍ** بسفره، بأن خرج لقطع الطريق أو لفساد في الأرض، وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جُبير، وقالوا: لا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل الميتة إذا اضطر إليها، ولا أن يترخّص برُخَصِ المسافر حتى يتوب، وبه قال الشافعي، لأن إباحة الميتة له إعانة له على فساده، وذهب جماعة إلى أن البغي والعدوان راجعان إلى الأكل، واختلفوا في تفصيله، وقال الحسن وقتادة: غير باغٍ بأكله من غير اضطرار ولا عاد، أي: لا يعدو لشبعه، وقيل: غير باغٍ أي غير طالبها وهو يجد غيرها، ولا عاد أي غير متعدٍّ ما حُدّ له، فيأكل حتى يشبع، ولكن يأكل منها قوتاً مقدارَ ما يُمسك رَمقَه، وقال مقاتل بن حيّان: غير باغٍ أي مستحِل لها، ولا عادٍ أي متزوّد منها، وقيل: غير باغٍ أي غير مجاوز للقدر الذي أُحِلّ له، ولا عادٍ أي لا يُقصّر فيما أُبيح له فيدعه، قال مسروق: مَن اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار، واختلف العلماء في مقدار ما يَحِلُّ للمضطر أكلُه من الميتة، فقال بعضهم: مقدار ما يسدّ رَمقَه، وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه، وأحد قولي الشافعي رضي الله عنه، والقول

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

المسألة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد: قال ابن عباس: معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عادٍ أي معتدٍ يعني العاصي بسفره بأن يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل من الميتة إذا اضطر إليها، ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب، وبه قال الشافعي: لأن إباحة الميتة له إعانة له على فساده وذهب قوم إلى أن البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل وبه قال أبو حنيفة. وأباح أكل الميتة للمضطر وإن كان عاصياً، وقيل في معنى قوله غير باغ أي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد أي غير متعد ما حدّ له، وقيل: غير مستحل لها ولا متزود منها. قوله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك أنهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث محمد ﷺ وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة رسول الله ﷺ فكتموها فأنزل الله: **﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾** أي في الكتاب من صفة رسول الله ﷺ ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الإمام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لأن التوراة والإنجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر إلى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لأنه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ فكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة ويصرفونها عن محالها الصحيحة الدالة على نبوة محمد ﷺ فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى، إن الذين يكتمون معاني ما أنزل الله من الكتاب **﴿ويشترون به﴾** أي بالكتمان وقيل يعود الضمير إلى ما أنزل الله من الكتاب **﴿ثمناً قليلاً﴾** أي عوضاً يسيراً وهي المآكل التي كانوا يأخذونها من سفلتهم **﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾** يعني ما يؤديهم إلى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضي بهم ذلك إلى النار فكأنهم أكلوها **﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾** أي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ، وهو قوله اخسؤوا فيها وقيل أراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلاناً إذا غضب عليه **﴿ولا يزكيهم﴾** أي ولا يطهرهم من دنس الذنوب **﴿ولهم عذاب أليم﴾** أي وجيع

الآخر: يجوز أن يأكل حتى يشبع، وبه قال مالك رحمه الله تعالى، وقال سهل بن عبد الله: غير باغٍ مفارق للجماعة، ولا عادٍ مبتدع مخالف للسُّنّة، ولم يُرخّص للمبتدع في تناول المحرّم عند الضرورة، **﴿ فلا إثم عليه ﴾**، فلا حرج عليه في أكلها، **﴿ إنّ الله غفور ﴾**، لِمَن أكل في حال الاضطرار **﴿ رحيم ﴾**، حيث رخّص للعباد في ذلك.

قوله تعالى: **﴿ إنّ الذين يكتمون ما أنزلَ اللَّهُ من الكتاب ﴾**، نزلت في رُؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يُصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، ولما بُعث محمد ﷺ من غيرهم، خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة رسول الله ﷺ فغيّروها، ثم أخرجوها إليهم، فلما نظرت السفلة إلى النعت المغيّر وجدوه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فلم يتبعوه، فأنزل الله تعالى: **﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾**، يعني: صفة محمد ﷺ ونبوّته، **﴿ ويشترون به ﴾** أي: بالمكتوم **﴿ ثمناً قليلاً ﴾**، أي: عوضاً يسيراً، يعني: المآكل التي يُصيبونها من سفلتهم، **﴿ أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاّ النار ﴾**، يعني: إلاّ ما يؤدّيهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين، فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار، وقيل: معناه أنه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يصل ألمه إلى قلوبهم ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة﴾ معناه: أنهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لأنهم كانوا عالمين بالحق، ولكن كتموه وأخفوه وكان في إظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة والعذاب فلما أقدموا على إخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب ﴿فما أصبرهم على النار﴾ أي ما الذي صبرهم وأي شيء جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل، فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل: إنه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم، فلما أقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه، تعجب من حالهم بقوله: فما أصبرهم على النار.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب﴾ يعني ذلك العذاب بسبب إن الله نزل الكتاب ﴿بالحق﴾ فكفروا به وأنكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك، لأن الله أنزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب﴾ يعني اختلفوا في معانيه وتأويله فحرفوها وبدلوها، وقيل: آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿لفي شقاق﴾ أي خلاف ومنازعة ﴿بعيد﴾ يعني عن الحق.

قوله عز وجل: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ هذا خطاب لأهل الكتاب لأن

يصير ناراً في بطونهم، ﴿ ولا يكلّمهم الله يوم القيامة ﴾، أي: لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرّهم، إنما يكلمهم بالتوبيخ، وقيل: أراد به أن يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً إذا كان عليه غضبان، ﴿ ولا يزكّيهم ﴾، أي: لا يطهّرهم من دَنَس الذنوب، ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾.

﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾، قال عطاء والسدي: هو ما الاستفهام معناه: ما الذي صبّرهم على النار؟ وأيّ شيء صبّرهم على النار حتى تركوا الحق واتّبعوا الباطل؟ قال الحسن وقتادة: والله ما لهم عليها من صبر، ولكن ما أجرأهم على العمل الذي يُقرّبهم إلى النار؟ وقال الكسائي: فما أصبرهم على أهل النار، أي: ما أدومهم عليه.

﴿ ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق ﴾، يعني: ذلك العذاب بأن الله نزّل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به، وحينئذ يكون ﴿ ذلك ﴾ في محل الرفع، وقال بعضهم: محله نصب، معناه: فعلنا ذلك بهم ﴿ بأن الله ﴾، أي: لأن الله نزّل الكتاب بالحق، فاختلفوا فيه، وقيل: معناه ذلك أي فعلهم الذين يفعلون من الكفر والاختلاف والاجتراء على الله، من أجل أن الله نزّل الكتاب بالحق، وهو قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم لا يُؤمنون ختم اللّهُ على قلوبهم ﴾ [البقرة: ٦ و٧]، ﴿ وإنّ الذين اختلفوا في الكتاب ﴾: فآمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض، ﴿ لفي شقاق بعيد ﴾، أي: في خلاف وضلال بعيد.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب إلى بيت المقدس، وزعم كل طائفة منهم أن البر في ذلك، فأخبر الله تعالى أن البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه في هذه الآية. وقال ابن عباس: هو خطاب للمؤمنين وذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام إذا أتى بالشهادتين وصلى إلى أي جهة كانت ثم مات على ذلك، وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض وصرفت القبلة إلى الكعبة، أنزل الله هذه الآية فقال تعالى: ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم**﴾ أي في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك ﴿**ولكن البر**﴾ يعني ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله الموجبة للثواب والمؤدية إلى الجنة ثم بين خصالاً من البر فقال تعالى: ﴿**من آمن بالله**﴾ أي ولكن البر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الإيمان بالله والتقوى من الله ﴿**واليوم الآخر**﴾ وإنما ذكر الإيمان باليوم الآخر، لأن عبدة الأوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت ﴿**والملائكة**﴾ أي ومن البر الإيمان بالملائكة كلهم لأن اليهود قالوا: إن جبريل عدونا ﴿**والكتاب**﴾ قيل: أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله ﴿**والنبيين**﴾ يعني أجمع وإنما خص الإيمان بهذه الأمور الخمسة لأنه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها ﴿**وآتى المال على حبه**﴾ يعني من أعمال البر إيتاء المال على حبه قيل إن الضمير راجع إلى المال فالتقدير على هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان» قوله حتى إذا بلغت الحلقوم يعني الروح وإن لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع إلى الله تعالى أي وآتي المال على حب الله وطلب مرضاته ﴿**ذوي القربى**﴾ يعني أهل قرابة المعطي وإنما قدمهم لأنهم أحق بالإعطاء. عن سليمان بن عامر قال قال رسول الله ﷺ: «الصدقة على

قوله تعالى: ﴿ **ليس البرّ أن تُولّوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب** ﴾، قرأ حمزة وحفص: ﴿ **ليس البرّ** ﴾ بنصب الراء، والباقون برفعها، فمَن رفعها جعل البراسم ليس وخبره في قوله: ﴿ **أن تولّوا** ﴾ تقديره: ليس البرُّ توليتَكم وجوهكم، ومَن نصب جعل ﴿ **أن تولّوا** ﴾ في موضع الرفع على اسم ليس، تقديره: توليتكم وجوهكم البِرَّ كله، كقوله تعالى: ﴿ ما كان حجّتهم إلّا أن قالوا ائتوا ﴾ [الجاثية: ٢٥]، والبِرُّ: كلُّ عمل خير يُفضي بصاحبه إلى الجنّة، واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها اليهود والنصارى، وذلك أن اليهود كانت تصلّي قِبَل المغرب إلى بيت المقدس، والنصارى قِبَل المشرق، وزعم كل فريق منهم أن البِرَّ في ذلك، فأخبر الله تعالى أن البِرَّ غير دينهم وعملهم، ولكنه ما بيّنه في هذه الآية، وعلى هذا القول قتادة ومقاتل بن حيان، وقال الآخرون: المراد بها المؤمنون، وذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض إذا أتى بالشهادتين وصلّى الصلاة إلى أيّ جهة كانت، ثم مات على ذلك وجبت له الجنة، ولمّا هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض، وحدّدت الحدود وصرفت القِبلة إلى الكعبة، أنزل الله هذه الآية فقال: ﴿ **ليس البِرّ** ﴾، أي: كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك، ﴿ **ولكن البِرَّ** ﴾ ما ذكر في هذه الآية، وعلى هذا القول ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك، ﴿ **ولكن البرّ** ﴾، قرأ نافع وابن عامر ﴿ **ولكن** ﴾، خفيفة النون ﴿ **البرّ** ﴾، رفع، وقرأ الباقون بتشديد النون ونصب البِرّ، قوله تعالى: ﴿ **مَنْ آمن بالله** ﴾، جعل ﴿ **مَنْ** ﴾ وهي اسم خبر للبرّ هو فعل، ولا يقال: البرّ زيد، واختلفوا في وجهه، قيل: لمّا وقع ﴿ **من** ﴾ في موقع المصدر جعله خبراً للبرّ، كأنه قال: ولكن البرّ الإيمان بالله، والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل، وأنشد الفرّاء:

لَعَمْرُكَ ما الفتيان إن تنبت اللّحى ولكنما الفتيان كل فتى ندى

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

المسكين صدقة وعلى ذوي الرحم ثنتان صدقة وصلة» أخرجه النسائي (ق): «إن ميمونة رضي الله عنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي ﷺ فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي قال أو قد فعلت قالت نعم قال أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك» الوليدة الجارية ﴿واليتامى﴾ اليتيم هو الذي لا أب له مع الصغر وقيل: يقع على الصغير والبالغ أي وآتى الفقراء من اليتامى ﴿والمساكين﴾ جمع مسكين سمي بذلك لأنه دائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له ﴿وابن السبيل﴾ يعني المسافر المنقطع عن أهله سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق، وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لأنه إنما وصل إليه من السبيل وهو الطريق والأول أشبه لأن ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر ﴿والسائلين﴾ يعني الطالبين المستطعمين. عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: «للسائل حق ولو جاء على فرس» أخرجه أبو داود عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ قال: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس» أخرجه مالك في الموطأ عن أم نجيد قالت: قلت يا رسول الله إن المسكين ليقوم على بابي فلم أجد شيئاً أعطيه إياه قال: «إن لم تجدي إلاّ ظلفاً محرقاً فادفعيه إليه في يده» أخرجه أبو داود والترمذي. وقال حديث حسن صحيح. وفي رواية مالك في الموطأ عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ردوا المسكين ولو بظلف محرق» قوله ردوا المسكين، لم يرد به رد الحرمان وإنما أراد به ردوه بشيء تعطونه إياه ولو كان ظلفاً وهو خف الشاة وفي كونه محرقاً مبالغة في قلة ما يعطي ﴿وفي الرقاب﴾ يعني المكاتبين. وقيل: هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الأسارى ﴿وأقام الصلاة﴾ يعني المفروضة في أوقاتها ﴿وآتى الزكاة﴾ يعني الواجبة ﴿والموفون بعهدهم﴾ يعني ما أخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته. وقيل: أراد بالعهد ما يجعله الإنسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره. وقيل: العهد الذي كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد وأداء الأمانات ﴿إذا عاهدوا﴾ يعني إذا وعدوا أنجزوا وإذا نذروا أوفوا وإذا حلفوا بروا في أيمانهم وإذا قالوا صدقوا في

فجعل نبات اللحية خبراً للفتى، وقيل: فيه إضمار، معناه: ولكنّ البرّ مَن آمن بالله، فاستغنى بذكر الأول عن الثاني، كقولهم: الجود حاتم، أي: الجود جود حاتم، وقيل معناه: ولكن ذا البِرَّ مَن آمن بالله، كقوله تعالى: ﴿ هم درجات عند الله ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، أي: ذو درجات، وقيل معناه: ولكن البارّ مَن آمن بالله، كقوله تعالى: ﴿ والعاقبة للتقوى ﴾ [طه: ١٣٢] أي: للمتّقي، والمراد من البِرّ ههنا الإيمان والتقوى، ﴿ واليوم الآخر والملائكة ﴾: كلهم، ﴿ والكتاب ﴾، يعني: الكُتب المنزّلة، ﴿ والنبيّين ﴾: أجمع، ﴿ وآتى المال ﴾: أعطى المال، ﴿ على حُبِّه ﴾، اختلفوا في هذه الكناية، فقال أكثر أهل التفسير: إنها راجعة إلى المال، أي: أعطى المال في حال صحته ومحبته المال، قال ابن مسعود: أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد، ثنا عمارة بن القعقاع أنا أبو زرعة، أخبرنا أبو هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيُّ الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تُمْهل، حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»، وقيل: هي عائدة إلى الله عزّ وجلّ، أي: على حبّ الله تعالى، ﴿ ذَوي القربى ﴾: أهل القرابة، أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبّي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة أخبرنا سفيان بن عُيينة، عن عاصم الأحول عن حفصة بنت سيرين، عن الرَّباب عن عمّها سليمان بن عامر، يبلغ به النبيَّ ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة»، قوله تعالى: ﴿ واليتامى والمساكينَ وابنَ السبيل ﴾، قال مجاهد: يعني المسافر المنقطع عن أهله يمرّ عليك،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أقوالهم وإذا ائتمنوا أدوا ﴿والصابرين في البأساء﴾ أي في الشدة والفقر والفاقة ﴿والضراء﴾ يعني المرض والزمانة ﴿وحين البأس﴾ يعني القتال والحرب في سبيل الله.-وسمي الحرب بأساً لما فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وأن الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي ﷺ قوله احمر البأس: أي اشتد الحرب ونتقي به أي نجعله وقاية لنا من العدو ﴿أولئك الذين صدقوا﴾ أي أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم ﴿وأولئك هم المتقون﴾ قوله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ نزلت في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية

ويقال للمسافر: ابن السبيل لملازمته الطريق، وقيل: هو الضيف ينزل بالرجل، قال النبي ﷺ: «مَنْ كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرمْ ضيفه»، ﴿ والسائلين ﴾، يعني: الطالبين، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبي نجيد الأنصاري، وهو عبد الرحمن بن نجيد، عن جدّته وهي أمّ نجيد: أن رسول الله ﷺ قال: «ردُّوا السائلَ ولو بظلف محرق»، وفي رواية: قال لها رسول الله ﷺ: «إنْ لم تجدي شيئاً إلّا ظِلفاً محرقاً فادفعيه إليه»، قوله تعالى: ﴿ وفي الرقاب ﴾، يعني: المكاتبين، قاله أكثر المفسرين، وقيل: عتق النَّسمَة وفكّ الرقبة، وقيل: فداء الأسارى، ﴿ وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ ﴾: وأعطى الزكاة ﴿ والمُوفُون بعهدهم ﴾: فيما بينهم وبين الله عزّ وجلّ، وفيما بينهم وبين الناس، ﴿ إذا عاهدوا ﴾، يعني: إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا أوفوا، وإذا عاهدوا أوفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا ائتُمِنوا أدّوا، واختلفوا في رفع قوله: ﴿ والموفون ﴾، قيل: هو عطف على خبر، معناه: ولكن ذا البرّ: المؤمنون والموفون بعهدهم، وقيل: تقديرهم الموفون كأنه عدّ أصنافاً، ثم قال: هم والموفون كذا، وقيل: رفع على الابتداء والخبر، يعني: وهم الموفون، ثم قال: ﴿ والصابرين ﴾، وفي نصبها أربعة أوجه، قال أبو عبيدة: نصبها على تطاول الكلام، ومن شأن العرب أن تغيّر الإعراب إذا طال الكلام والنسق، ومثله في قوله: ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ [النساء: ١٦٢] وفي قوله ﴿ والصابئون والنصارى ﴾ [المائدة: ٦٩] وقيل معناه: أعني الصابرين، وقيل: نصبه نسقاً على قوله: ﴿ ذوي القربى ﴾، أي: وأتى الصابرين، وقال الخليل: نصب على المدح، والعرب تنصب الكلام على المدح والذم كأنهم يريدون أفرادَ الممدوح والمذموم، فلا يتبعونه أول الكلام وينصبونه، فالمدح كقوله تعالى: ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ [النساء: ١٦٢]، والذمّ كقوله تعالى: ﴿ ملعونينَ أينما ثُقِفُوا ﴾ [الأحزاب: ٦١] قوله تعالى: ﴿ في البأساء ﴾، أي: الشدّة والفقر ﴿ والضرّاء ﴾: المرض والزمانة، ﴿ وحين البأس ﴾ أي القتال والحرب، أخبرنا المطهر بن علي بن عبد الله الفارسي، أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا زهير عن أبي إسحق عن حارثة بن مضرب عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كنّا إذا احمرّ البأس ولقي القومُ القومَ اتّقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه، يعني: إذا اشتدّ الحرب، ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾: في إيمانهم، ﴿ وأولئك هم المتّقون ﴾: محارم الله.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاصُ ﴾، قال الشعبي والكلبي وقتادة: نزلت هذه الآية في

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بسبب قتيل، فكانت بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة، ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام. وقيل نزلت في الأوس والخزرج، وكان لأحد الحيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر، وأقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين، وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية وأمره بالمساواة فرضوا وسلموا. وقيل: إنما نزلت هذه الآية لإزالة الأحكام التي كانت قبل مبعث النبي ﷺ، وذلك أن اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين فإن وقع القتل على شريف قتلوا به عدداً ويأخذون دية الشريف أضعاف دية الخسيس، فلما بعث محمد ﷺ أوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم**﴾ أي فرض عليكم ﴿**القصاص في القتلى**﴾. فإن قلت: كيف يكون القصاص فرضاً والولي مخير فيه بين العفو والقصاص وأخذ الدية؟ قلت: إن القصاص فرض على القاتل للولي لا على الولي. وقيل إذا أردتم القصاص فقد فرض عليكم. والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الأثر إذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل فيفعل به مثل ذلك، فلو قتل رجل رجلاً بعصا أو خنقه أو شدخ رأسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة والرواية الثانية عن أحمد ﴿**الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى**﴾ ومعناه أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم فيقتل كل صنف إذ قتل بمثله الذكر بالذكر والأنثى بالأنثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال:

حَيَّيْنِ من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قُبيل الإسلام بقليل، وكانت بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض، حتى جاء الإسلام، قال قتادة ومقاتل بن حيّان: كانت بين بني قريظة والنضير، وقال سعيد بن جبير: كانت بن الأوس والخزرج، قالوا جمعاً: وكان لأحد الحَيَّيْنِ على الآخر طَوْل في الكثرة والشرف، وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور، فأقسموا لنقتلنّ بالعبد منّا الحُرّ منهم، وبالمرأة منّا الرجل منهم، وبالرجل منّا الرجلين منهم، وبالرجلين منّا أربعة رجال منهم، وجعلوا جراحاتهم ضِعْفي جراحات أولئك، فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر بالمساواة، فرضوا وأسلموا، قوله: ﴿ **كُتب عليكم القصاصُ** ﴾ أي: فُرض عليكم القصاص، ﴿ **في القتلى** ﴾، والقِصاص: المُسَاواة والمُماثلة في الجراحات والدِّيَات، وأصله من قصّ الأثر إذا اتّبعه، فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله، ثم بين المماثلة فقال: ﴿ **الحُرُّ بالحُرِّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى** ﴾، وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين، أو العبيد من المسلمين، أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم، قُتل من كل صنف منهم الذكر إذا قُتل بالذكر وبالأنثى، وتُقتل الأنثى إذا قُتلت بالأنثى وبالذكر، ولا يُقتل مؤمن بكافر ولا حرٌ بعبد، ولا والدٌ بولد ولا مسلم بذمي، ويُقتل الذمي بالمسلم والعبدُ بالحرِّ والولدُ بالوالد، هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومَن بعدهم، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان، أنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة عن مطرف عن الشعبي عن أبي جُحيفة قال: «سألت علياً رضي الله عنه هل عندك عن النبي ﷺ شيءٌ سوى القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النَّسمة، إلّا أن يُؤتي اللّهُ عبداً فهماً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: فِكاكُ الأسير، ولا يُقتل مؤمنٌ بكافر»، ورُوِيَ عن ابن عباس قال: قال رسول

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

سألت علياً هل عندكم من النبي ﷺ شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلّا أن يؤتى الله عبداً فهماً في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت: وما في هذه الصحيفة قال: العقل وفك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر، وقد أخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية أبي جحيفة. العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين يعقلون. عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقام الحدود في المساجد، ولا يقتل الوالد بالولد» أخرجه الترمذي، وذهب أصحاب الرأي إلى أن المسلم يقتل الذمي والحر بالعبد وهذه الآية مع الأحاديث حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله: «النفس بالنفس» وأن تلك واردة لحكاية ما كتب على بني إسرائيل في التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأي إلى أن هذه منسوخة بقوله «النفس بالنفس» وتقتل الجماء بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن غلاماً قتل غيلة فقال عمر: لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم به. قال البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن أبيه: أن أربعة قتلوا صبياً فقال عمر مثله. وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب أن عمر قتل نفراً خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلهم جميعاً. الغيلة أن يقتل الرجل خديعة ومكراً من غير أن يعلم ما يراد به. وقوله لقتلتهم لو تمالأ أي تعاونوا واجتمعوا عليه. وقوله تعالى: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد، ورضي بالدية أو العفو عنها، أو قبول الدية في قتل العمد من أخيه أي من دم أخيه وأراد بالأخ ولي المقتول، وإنما قيل له أخ لأنه لابسه من قبل أنه ولي الدم والمطالب به. وقيل: إنما ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية وأخوة الإسلام. وفي قوله شيء دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا سقط القود وثبتت الدية لأن شيئاً من الدم قد بطل ﴿فاتباع بالمعروف﴾ أي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا يأخذ أكثر من حقه ولا يعنفه ﴿وأداء إليه بإحسان﴾ أي على القاتل أداء الدية إلى ولي الدم من غير مماطلة، أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الآية: وإذا عفا ولي الدم عن شيء يتعلق بالقاتل، وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف

الله ﷺ: «لا تُقام الحدودُ في المساجد ولا يُقاد بالولد الوالد»، وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي إلى أن المسلم يُقتل بالكافر الذميّ، وإلى أن الحُرَّ يُقتل بالعبد، والحديث حجّة لمَن لم يُوجب القصاص على المسلم بقتل الذمي، وتُقتل الجماعة بالواحد، رُوِيَ عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قتل سبعة أو خمسة برجل قتلوه غيلة، وقال: لو تَمَالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعاً، ويجري القصاص في الأطراف كما يجري في النفوس، إلّا في شيء واحد وهو أن الصحيح السَّوِيّ يُقتل بالمريض والزَّمِن، وفي الأطراف لو قطع يداً شلاء أو ناقصة بالإصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة، وذهب أصحاب الرأي إلى أن القِصَاص في الأطراف لا يجري إلّا بين حرّين أو حرّتين، ولا يجري بين الذكر والأُنثى ولا العبد، ولا بين الحُرّ والعبد، وعند الآخرين الطرف في القصاص مَقِيسٌ عن النفس، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن منيرة أنه سمع عبد الله بن بكر السهمي، أخبرنا حميد عن أنس بن النضر أن الربيع عمّته كسرتْ ثَنِيَةَ جارية فطلبوا إليها العفو فأبوا فعرضُوا الأرْشَ فأبوا فأتوا رسولَ الله ﷺ، فأبوا إلّا القصاص فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، قال أنس بن النضر: يا رسول الله أتُكسر ثنية عمّة الربيع، لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتابُ الله القصاصُ»، فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله مَن لو أقسم على الله لأبرّه»، قوله تعالى: ﴿ فمَن عُفِي له من أخيه شيءٌ ﴾، أي: تَرك له وصَفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد، ورضي بالدِّيَةِ، هذا قول أكثر المفسّرين، قالوا: العفو أن يقبل الدِّية في

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وليؤد ما وجب عليه من الدية إلى ولي الدم بإحسان من غير مطل ولا مدافعة. وفي الآية دليل على أن القاتل يصير كافراً وأن الفاسق مؤمن ووجه ذلك من وجوه: الأول إن الله تعالى خاطبه بعد القتل بالإيمان وسماه مؤمناً بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص﴾ فسماه مؤمناً حال ما وجب عليه من القصاص. وإنما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر بالإجماع فدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن.

الوجه الثاني: أنه تعالى أثبت الأخوة بين القاتل وولي الدم بقوله: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ أراد بالأخوة أخوة الإيمان فلولا أن الإيمان باق على القاتل لم تثبت له الأخوة.

الوجه الثالث: أنه تعالى ندب إلى العفو عن القاتل، والعفو لا يليق إلّا عن المؤمن لا عن الكافر. وقوله تعالى: ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم، يعني في حقكم ورحمة، وذلك لأن العفو وأخذ الدية كان حراماً على اليهود وكان القصاص حتماً في التوراة، وكان في شرع النصارى أخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص، وقيل: كان عليهم العفو دون القصاص وأخذ الدية فخير الله هذه الأمة بين القصاص أو العفو وأخذ الدية توسعة عليهم وتيسيراً وتفضيلاً لهم على غيرهم ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو أو قبول الدية ﴿فله عذاب أليم﴾ وهو أن يقتل قصاصاً ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه. وقيل: المراد بالعذاب الأليم عذاب الآخرة..

قتل العمد، وقوله: ﴿ من أخيه ﴾، أي: من دم أخيه، وأراد بالأخ: المقتول، والكنايتان في قوله: ﴿ له ﴾ ومن: ﴿ أخيه ﴾، ترجعان إلى ﴿ من ﴾ وهو القاتل، وقوله: ﴿ شيء ﴾ دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا يسقط القَوَدُ لأنّ شيئاً من الدم قد بَطُل. قوله تعالى: ﴿ فاتّباعٌ بالمعروف ﴾، أي: على الطالب للدّية أن يتبع بالمعروف فلا يُطالب بأكثر من حقه، ﴿ وأداءٌ إليه بإحسان ﴾، أي: على المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مُماطلة، أُمر كلُّ واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه، ومذهب أكثر العلماء من الصحابة والتابعين: أن ولي الدم إذا عفا عن القصاص على الدية، فله أخذ الدية، وإن لم يرضَ به القاتل، وقال قوم: لا ديّة له إلّا برضى القاتل، وهو قول الحسن والنخعي وأصحاب الرأي، وحجّة المذهب الأول ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري عن أبي شُريح الكعبي أنّ رسول الله ﷺ قال: «ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هُذيل، وأنا والله عَاقِلُه فمَن قَتل بَعده قتيلاً فأهله بينَ خِيرتين إن أحبّوا قَتلوا وإن أحبوا أخذُوا العَقْل»، قوله تعالى: ﴿ ذلك تخفيفٌ منْ ربكم ورحمة ﴾، أي: ذلك الذي ذكرتُ من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربّكم ورحمة، وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان حتماً في التوراة على اليهود، ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص، فخيّر الله هذه الأمة بين القصاص وبين العفو عن الدية تخفيفاً منه ورحمة، ﴿ فمَن اعتدى بعد ذلك ﴾، فقتل الجاني بعد العفو وقَبُول الدية، ﴿ فله عذابٌ أليم ﴾، وهو أن يقتل قصاصاً، قال ابن جريج: يتحتّم قتله حتى لا يقبل بعد العفو، وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً بالقتل، لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص ﴾، وقال في آخر الآية: ﴿ فمَن عُفي له من أخيه شيءٌ ﴾ وأرادَ بِهِ أخوّة الإيمان، فلم يقطع الأخوّة بينهما بالقتل.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝١٨٠﴾

قوله عز وجل: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ أي بقاء، وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله. وقيل: إن نفس القصاص سبب للحياة وذلك أن القاتل إذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل. واعلم أن هذا الحكم ليس مختصاً بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك لأن الجارح إذا علم أنه إذا جرح جرح لم يجرح، فيصير ذلك سبباً لبقاء الجارح والمجروح، وربما أفضت الجراحة إلى الموت فيقتص من الجارح. وقيل في معنى الآية إن الحياة سلامته من قصاص الآخرة فإنه إذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة، وفي ذلك حياته وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة ﴿يا أولي الألباب﴾ أي يا ذوي العقول الذين يعرفون الصواب لأن العاقل لا يريد إتلاف نفسه بإتلاف غيره ﴿لعلكم تتقون﴾ يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص.

قوله عز وجل: ﴿كتب﴾ أي فرض وأوجب ﴿عليكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي قرب ودنا منه، وظهرت آثاره عليه من العلل والأمراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لأنه في ذلك الوقت يعجز عن الإيصاء ﴿إن ترك خيراً﴾ يعني مالاً قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري: فتجب الوصية في الكل وقيل: إن لفظة الخير لا تطلق إلّا على المال الكثير وهو قول الأكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي تقع فيه الوصية فقيل: ألف درهم فما زاد عليها. وقيل: سبعمائة فما فوقها. وقيل: ستون ديناراً فما فوقها. وقيل: إنه من خمسمائة إلى ألف وقيل: إنه المال الكثير الفاضل عن العيال، روي أن رجلاً قال لعائشة: إني أريد أن أوصي فقالت كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف درهم قالت: كم عيالك؟ قال أربعة. قالت إنما قال الله: ﴿إن ترك خيراً﴾ وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك. ﴿الوصية﴾ أي الإيصاء والوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به وقيل: هي القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت ﴿للوالدين والأقربين﴾ كانت الوصية في ابتداء الإسلام فريضة للوالدين والأقربين على من مات وله مال. وسبب ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يوصون للأبعدين طلباً للفخر والشرف والرياء ويتركون

قوله تعالى: ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾، أي: بقاء، وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قَتَل يُقتل، يمتنع عن القتل، فيكون فيه بقاؤه وبقاء مَن هَمَّ بقتله، وقيل في المثل: القتل أنفى للقتل، وقيل معنى الحياة: سلامته من قصاص الآخرة، فإنه إذا اقتُصّ منه في الدنيا حيي في الآخرة، وإذا لم يُقتصّ منه في الدنيا اقتُصّ منه في الآخرة، ﴿ يا أولي الألباب لعلّكم تتّقون ﴾، أي: تنتهون عن القتل مخافة القَوْد.

قوله تعالى: ﴿ كُتب عليكم ﴾، أي: فُرض عليكم، ﴿ إذا حضر أحدَكم الموتُ ﴾، أي: جاء أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض، ﴿ إن ترك خيراً ﴾، أي: مالاً، نظيره قوله تعالى: ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ [البقرة: ٢٧٢ و٢٧٣] ﴿ الوصيةُ للوالدين والأقربين ﴾، كانت الوصية فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على مَن مات وله مال، ثم نُسخت بآية الميراث، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، أخبرنا محمد بن أحمد بن الوليد، أخبرنا الهيثم بن جميل أخبرنا حمّاد بن سلمة عن قتادة عن شَهْرِ بن حَوْشَب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة قال: كنت آخذاً بزمام ناقة النبي ﷺ فقال: «إنّ الله قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقّه، فلا وصيةَ لوارث»، فذهب جماعة إلى أن وجوبها صار منسوخاً في حق الأقارب الذين يرثون، وبقي وجوبُها في حق الذي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأقربين فقراء فأوجب الله تعالى الوصية للأقربين، ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث، وبما روي عن عمرو بن خارجة قال: كنت آخذاً بزمام ناقة النبي ﷺ وهو يخطب فسمعته يقول: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» أخرجه النسائي والترمذي، نحوه وذهب ابن عباس إلى أن وجوبها صار منسوخاً في حق من يرث، وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والأقربين. وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء أن الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والأقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بآية الميراث وبالحديث، المذكور فوجب أن تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض أحكام الآية، وذهب الأكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق إلى أن وجوبها صار منسوخاً في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه» وفي رواية: «له شيء يريد أن يوصي به أن يبيت ليلتين» وفي رواية: «ثلاث ليال إلّا ووصيته مكتوبة عنده» قال نافع سمعت عبدالله بن عمر يقول: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلّا ووصيتي مكتوبة عندي أخرجه الجماعة. قوله: ما حق امرىء الحق يشتمل معناه على الوجوب والندب والحث، فيحمل هنا على الحث في الوصية لأنه لا يدري متى يأتيه الموت فربما أتاه بغتة فيمنعه عن الوصية. وقوله تعالى: ﴿بالمعروف﴾ أي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال: «جاءني رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال ولا يرثني إلّا ابنة لي أفأتصدق بثلثي ما لي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير أو قال والثلث كبير إنك إن تذر ذريتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف. المسألة: من الناس كأنه من الطلب بالأكف (ق) عن ابن عباس قال: في الوصية: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن النبي ﷺ قال لسعد والثلث كثير وقال علي بن أبي طالب لأن أوصي بالخمس أحب

يرثون من الوالدَين والأقارب، وهو قول ابن عباس وطاوس وقتادة والحسن، قال طاوس: مَن أوصى لقوم سمّاهم وترك ذَوِي قرابته محتاجين، انتُزِعَتْ منهم ورُدّتْ إلى ذَوِي قرابته، وذهب الأكثرون إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حقّ الكافّة، وهي مستحبّة في حق الذين لا يرثون، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا طاهر بن أحمد، أخبرنا إسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرىء مسلم له شيءٌ يُوصي فيه، يَبِيْتُ ليلتين إلّا ووصيّتُه مكتوبةٌ عند رأسه». قوله تعالى: ﴿ بالمعروف ﴾، يُريد: يُوصي بالمعروف ولا يزيد على الثلث، ولا يُوصي للغني ويدع الفقير، قال ابن مسعود: الوصية للأخل فالأخل، أي: الأحوج فالأحوج، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الخيري، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن رحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي عُروة أخبرنا عبد الله بن موسى وأبو نُعيم عن سفيان الثّوري، عن سعيد بن إبراهيم، عن عامر بن سعيد عن سعد بن مالك قال: جاءني النبيّ ﷺ يعودني فقلت: يا رسول الله أوصي بمالي كله، قال: «لا»، قلت: فالشطر، قال: «لا»، قلت: فالثلث، قال: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثَتك أغنياءَ خيرٌ من أن تدعهم عَالةً يتكفّفُون الناس بأيديهم»، فقوله: «يتكففون الناس» أي: يسألون الناس الصدقة بأكفّهم، وعن ابن أبي مُلَيْكَةَ أن رجلاً قال لعائشة رضي اللَّهُ عنها: إني أُريد أن أُوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عِيالُك؟ قال: أربعة، قالت: إنما قال الله: ﴿ إن ترك خيراً ﴾، وإن هذا شيءٌ يسير فاتركه لعيالك. وقال عليّ رضي الله عنه: لأن أُوصي بالخُمُسِ أحبّ إليّ من أن أُوصي بالربع، ولأن أُوصي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

إلي من أن أوصي بالربع ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك» وقيل يوصي بالسدس أو بالخمس أو الربع ﴿حقاً﴾ أي ثابتاً ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب ﴿على المتقين﴾ أي على المؤمنين الذين يتقون الشرك.

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾

﴿فمن بدله﴾ أي غير الوصية من الأولياء والأوصياء وذلك التغيير يكون إما في الكتابة أو في قسمة الحقوق، أو الشهود بأن يكتموا الشهادة أو يغيروها. وإنما ذكر الكناية في بدله مع أن الوصية مؤنثة لأن الوصية بمعنى الإيصاء كقوله: «فمن جاءه موعظة» أي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت، أو ما أوصي به ﴿بعد ما سمعه﴾ أي من الموصي وتحققه ﴿فإنما إثمه على الذين يبدلونه﴾ أي إن إثم ذلك التبديل لا يعود إلاّ على المبدل، والموصي والموصى له بريئان منه ﴿إن الله سميع﴾ يعني لما أوصى به الموصي ﴿عليم﴾ يعني بتبديل المبدل.

﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾

﴿فمن خاف﴾ أي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين ﴿من موص جنفاً﴾ يعني جوراً في الوصية وعدولاً عن الحق، والجنف الميل ﴿أو إثماً﴾ أي ظلماً ﴿فأصلح بينهم﴾ وقيل الجنف الخطأ في الوصية والإثم العمد. وقيل في معنى الآية: إنه إذا حضر رجل مريضاً وهو يوصي فرآه يميل في وصيته إما بتقصير أو إسراف أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه أن يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف والميل، وقيل إنه أراد به إذا أخطأ الميت في وصيته أو حاف متعمداً فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولي أمور المسلمين أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم، ويرد الوصية إلى العدل والحق ﴿فلا إثم عليه﴾ أي فلا حرج عليه في الصلح ﴿إن الله

بالربع أحبّ إليّ من أن أُوصي بالثلث، فمَن أوصى بالثلث فلم يترك. وقال الحسن البصري رضي الله عنه: يُوصي بالسدس أو الخمس أو الربع. وقال الشعبي: إنما كانوا يُوصون بالخمس أو الربع. قوله تعالى: ﴿ حقاً ﴾ نُصب على المصدر، وقيل: على المفعول، أي: جعلَ الوصيةَ حقاً، ﴿ على المتّقين ﴾: المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ فمَنْ بدَّلَهُ ﴾، أي: غيّر الوصيةَ عنِ الأوصياء أو الأولياء أو الشهود، ﴿ بعد ما سمعه ﴾، أي: بعد ما سمع قول الموصي، ولذلك ذكر الكناية مع كون الوصية مؤنّثة، وقيل: الكناية راجعة إلى الإيصاء، كقوله تعالى: ﴿ فمَن جاءه موعظة من ربّه ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، رَدّ الكنايةَ إلى الوعظ، ﴿ فإنما إثمه على الذين يُبدِّلونه ﴾، والميتُ بريءٌ منه، ﴿ إنّ الله سميع ﴾، لما أوصى به الموصي، ﴿ عليم ﴾: بتبديل المُبدِّل أو سميع لوصيّته عليم بنيّته.

قوله تعالى: ﴿ فمَنْ خاف ﴾، أي علم، كقوله تعالى: ﴿ فإن خفتم ألاّ يُقيما حدودَ الله ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أي: علمتم، ﴿ مِنْ موصٍ ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد الصاد، كقوله تعالى: ﴿ ما وَصّى به نوحاً ﴾ [الشورى: ١٣] ﴿ ووصّينا الإنسان ﴾ [العنكبوت: ٨، لقمان: ١٤، الأحقاف: ١٥]، وقرأ الآخرون بسكون الواو وتخفيف الصاد، كقوله تعالى: ﴿ يُوصيكم الله في أولادكم من بعد وصية يُوصي بها أو دين ﴾ [النساء: ١١ و١٢]، ﴿ جنفاً ﴾ أي: جَوراً وعدولاً عن الحق، والجنفُ: الميلُ، ﴿ أو إثماً ﴾ أي: ظلماً، وقال السدي وعكرمة والربيع: الجَنَفُ: الخطأ، والإثم: العمد، ﴿ فأصلح بينهم، فلا إثم عليه ﴾، واختلفوا في

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

غفور رحيم﴾ أي لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة: «من بعد وصية يوصي بها أو دين» إلى قوله: «ذلك الفوز العظيم» أخرجه أبو داود والترمذي. قوله: فيضار إن المضارة إيصال الضرر إلى شخص ومعنى المضارة في الوصية أن لا تمضى أو ينقص بعضها أو يوصي لغير أهلها أو يحيف في الوصية ونحو ذلك. قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب﴾ أي فرض ﴿عليكم الصيام﴾. والصوم في اللغة: الإمساك يقال صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى: ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ أي صمتاً لأنه إمساك عن الكلام، والصوم في الشرع: عبارة عن الإمساك عن الأكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ يعني من الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم والمعنى أن الصوم عبادة قديمة أي في الزمن الأول ما أخلى الله أمة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لأن الصوم عبادة شاقة والشيء الشاق إذا عم سهل عمله وقيل إذ صيام شهر رمضان كان واجباً على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زماناً فربما وقع في الحر الشديد والبر الشديد وكان يشق ذلك عليهم في أسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء: فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصاموا أربعين يوماً، ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل لله عليه إن هو برأ من وجعه أن يزيد في صومه

معنى الآية قال مجاهد: معناها أن الرجل إذا حضر مريضاً وهو يُوصي فرآه يميل إمّا بتقصير أو إسراف أو وضع الوصية في غير موضعها، فلا حرج على مَن حضره أن يأمره بالعدل وينهاه عن الجنف، فينظر للموصَى له والورثة، وقال الآخرون: إنه أراد به أنه إذا أخطأ الميتُ في وصيّته أو جارَ متعمِّداً فلا حرج على وليّه أو وصيّه أو وَالي أمور المسلمين أن يُصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصَى لهم، ويردّ الوصيةَ إلى العدل والحق ﴿ فلا إثم عليه ﴾، أي: لا حرج عليه، ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾، وقال طاوس: «جَنَفُهُ» توجيهه، وهو أن يُوصي لبني بنيه، يُريد ابنه أو ولد ابنته ولزوج ابنته يُريد بذلك ابنته، وقال الكلبي: كان الأولياء والأوصياء يُمضون وصيّة الميت بعد نزول قوله تعالى: ﴿ فمَن بدّله بعد ما سـمعه ﴾ [البقرة: ١٨١] الآيـة، وإن استغرق المال كله، ولم يبقَ للورثة شيء، ثم نسخها قوله تعالى: ﴿ فمَن خاف منْ مُوصٍ جنفاً ﴾ الآية، قال ابن زيد: فعجز الموصي أن يُوصي للوالدين والأقربين كما أمر الله تعالى، وعجز الوصي أن يُصلح، فانتزع الله تعالى ذلك منهم، ففرض الفرائض. رُوِيَ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستّين سنة، ثم يحضرهما الموت فيَضارّان في الوصية فتجبُ لهما النار»، ثم قرأ أبو هريرة ﴿ منْ بعد وصيةٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ غير مضار ﴾ [النساء: ١١ و١٢].

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام ﴾، أي: فُرض وأُوجب الصومُ، والصيام في اللغة: الإمساك، يُقال: صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهير، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء كأنها وقفت وأمسكت عن السير سريعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فقولي إني نذرتُ للرحمن صوماً ﴾ [مريم: ٢٦] أي: صمتاً، لأنه إمساك عن الكلام، وفي الشريعة: الصوم وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النِّيَّة في وقت مخصوص. ﴿ كما كُتب على الذين من قبلكم ﴾: من الأنبياء والأمم، واختلفوا في هذا التشبيه، فقال سعيد بن جُبير: كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة، كما كان في ابتداء الإسلام، وقال جماعة من أهل العلم: أراد أن صيام رمضان كان واجباً على النصارى، كما فُرض علينا، فربّما كان يقع في الحرِّ الشديد والبرد الشديد، وكان يشقّ عليهم في أسفارهم ويضرّهم في معايشهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أسبوعاً فبرأ فزاد فيه أسبوعاً، ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال: ما شأن هذه الثلاثة أيام أتموه خمسين يوماً فأتموه وقيل أصابهم موتان فقالوا: زيدوا في صيامكم فزادوا عشراً قبله وعشراً بعده. وقيل: إن النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوماً وبعده يوماً ثم لم يزالوا يزيدونه يوماً بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك ﴿لعلكم تتقون﴾ يعني ما حرم عليكم في صيامكم لأن الصوم وصلة إلى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الأكل والجماع وغيرهما. وقيل: معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل: لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لأن الصوم من شعارهم.

أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

﴿أياماً معدودات﴾ أي مقدرات. وقيل قليلات. قيل: إنه كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجباً وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان. قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل إن المراد من قوله أياماً معدودات أيام شهر رمضان ووجهه أن الله تعالى قال أولاً: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ وهذا يحتمل صوم يوم أو يومين ثم بينه بقوله: معدودات على أنه أكثر من ذلك لكنها غير منحصرة

الشتاء والصيف، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفّارة لما صنعوا، فصار أربعين، ثم إن مَلِكاً لهم اشتكى فمه، فجعل لله عليه إن هو برأ من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعاً فبرأ، فزاد فيه أسبوعاً، ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال: أتمّوه خمسين يوماً، وقال مجاهد: أصابهم موتان فقالوا: زيدوا في صيامكم، فزاد فيه عشراً قبلُ وعشراً بعدُ، قال الشعبي: لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يُشكّ فيه، فيقال من شعبان، ويقال من رمضان، وذلك أن النصارى فرض الله عليهم شهر رمضان فصاموا قبله يوماً وبعده يوماً، ثم لم يزل الآخر يستنّ بسنّة القَرْن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوماً، فذلك قوله تعالى: ﴿ كما كُتب على الذين من قبلكم ﴾، ﴿ لعلّكم تتّقون ﴾، يعني: بالصوم، لأن الصوم وصلة إلى التقوى، لِما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، وقيل: ﴿ لعلكم تتّقون ﴾ تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع.

﴿ أياماً معدودات ﴾، قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجباً، وصوم يوم عاشوراء، فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهراً، ثم نُسخ بصوم رمضان، قال ابن عباس: أول ما نُسخ بعد الهجرة أمر القِبلة والصوم، ويقال: نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام، قال محمد بن إسحق: كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشر ليلة خلتْ من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة، حدّثنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريشٌ في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلما قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فُرض رمضان كان هو الفريضة، وترك يومَ عاشوراء، فمَن شاء صامه ومَن شاء تركه. وقيل: المراد من قوله: ﴿ أياماً معدودات ﴾: شهر رمضان، وهي غير منسوخة، ونصب ﴿ أياماً ﴾ على الظرف، أي: في أيام معدودات، وقيل: على التفسير، وقيل: على هو خير ما لم يسمّ فاعله ﴿ فمَن كان منكم مريضاً أو على سَفَرٍ فَعِدّة ﴾، أي فأفطر فعدّة ﴿ من أيام

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بعدد ثم بين حصرها بقوله: شهر رمضان فإذا أمكن ذلك فلا وجه لحمل الأيام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال: إن فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام، وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشر ة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو على سفر**﴾ أي فأفطر ﴿**فـ**﴾ عليه ﴿**عدة من أيام أخر**﴾ يعني غير أيام مرضه وسفره ﴿**وعلى الذين يطيقونه**﴾ أي يطيقون الصوم. واختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب أكثرهم إلى أنها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا وإنما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم، لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الأكوع قال لما نزلت هذه الآية ﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدي فعل حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فنسخها وفي رواية حتى نزلت هذه الآية ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾، وقال قتادة: هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويفتدي ثم نسخ ذلك. وقال الحسن: هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين أن يفطر ويفتدي ثم نسخ. وذهب جماعة منهم ابن عباس إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب، ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس: وعلى الذين

أُخَر﴾، أي: فعليه عدّة، والعدد والعدّة واحد من أيام أُخر، أي: غير أيام مرضه وسفره، و﴿ **أُخر** ﴾ في موضع خفض، لكنّها لا تنصرف، فلذلك نُصبت، قوله تعالى: ﴿ **وعلى الذين يُطيقونه** ﴾، اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحُكمها، فذهب أكثرهم إلى أن الآية منسوخة، وهو قول ابن عمرو سلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام مُخيّرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا أو يفتدوا، خَيّرهم الله تعالى لئلا يَشُقّ عليهم، لأنهم كانـوا لم يتعوّدوا الصوم، ثم نُسخ التخيير ونزلتِ العزيمةُ بقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شهد منكم الشهرَ فَلْيَصُمْه ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قال قتادة: هي خاصّة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم، ولكن يشقّ عليه، رُخّص له في أن يفطر ويفدي، ثم نُسخ، وقال الحسن: هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم، خُيِّرَ بين أن يصوم وبين أن يفطر أو يفدي، ثم نُسخ بقوله تعالى: ﴿ فمَن شهـد منكم الشهر فليصمـه ﴾ [البقرة: ١٨٥] وثبتتِ الرخصةُ للذين يُطيقون، وذهب جماعة إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، ومعناه: وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه في حال الكِبَر فعليهم الفدية بدل الصوم، وقرأ ابن عباس ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها، أي: يُكلّفون الصوم، وتأويله: على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم، والمريض الذي لا يُرجَى زوال مرضه، فهم يُكلّفون الصوم ولا يُطيقونه، فلهم أن يفطروا ويُطعموا مكان كل يوم مسكيناً، وهو قول سعيد بن جُبير، وجعل الآيةَ محكمة. قوله تعالى: ﴿ **فِدْيَةٌ طعامُ مسكين** ﴾، قرأ أهل المدينة والشام مضافاً، وكذلك في قـولـه: ﴿ كفّارةٌ طعامُ مساكين ﴾ [المائدة: ٩٥]، أضاف الفدية إلى الطعام، وإن كان واحداً لاختلاف اللفظين، كقوله تعالى: ﴿ وحبَّ الحصيد ﴾ [قٓ: ٩]، وقولهم: مسجد الجامع، وربيع الأول، وقرأ الآخرون (فديـة وكفّـارة) منـوّنة، (وطعـام)، رفع، وقـرأ (مســاكين) بالجمع هنا، أهل المدينة والشام، وآخرون على التوحيد، فمَن جمع نصب النون، ومَن وحّد خفض النون ونوّنها، والفدية: الجزاء، ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً مُدّاً من الطعام بِمُدّ النبيّ ﷺ وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد، هذا قول فقهاء الحجاز، وقال بعض فقهاء أهل العراق: عليه لكل مسكين نصف صاع لكل

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين﴾ قال ابن عباس: ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً ﴿فدية طعام مسكين﴾ الفدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله الإنسان، يقي به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من أفطر في رمضان ولم يقدر على القضاء، لكبر أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً مداً من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز، وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره، وقال ابن عباس يعطي كل مسكين عشاءه وسحوره ﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له﴾ يعني زاد على مسكين واحد فأطعم عن كل يوم مسكينين فأكثر، وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فأطعم صاعاً وعليه مد فهو خير له ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وأن تصوموا أيها المطيقون وتتحملوا المشقة فهو خير لكم من الإفطار والفدية، وقيل: هو خطاب مع الكافة وهو الأصح لأن اللفظ عام فرجوعه إلى الكل أولى ﴿إن كنتم تعلمون﴾ يعني أن الصوم خير لكم وقيل: معناه إذا صمتم علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى. واعلم أنه لا رخصة لأحد من المسلمين المكلفين في إفطار رمضان بغير عذر والأعذار المبيحة للفطر ثلاثة: أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء إذا أفطروا فعليهم القضاء دون الكفارة. الثاني الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة وإليه ذهب الشافعي، وذهب أهل الرأي إلى أنه لا فدية عليهما. الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾

قوله عز وجل: ﴿شهر رمضان﴾ يعني وقت صيامكم شهر رمضان، سمي الشهر شهراً لشهرته يقال:

يوم يفطر، وقال بعضهم: نصف صاع من قمح أو صاع من غيره، وقال بعض الفقهاء: ما كان المفطر يتقوّته يومَهُ الذي أفطره، وقال ابن عباس: يُعطي كل مسكين عشاءَهُ وسُحورَه، ﴿ فَمَنْ تطوّع خيراً فهو خيرٌ له ﴾، أي: زاد على مسكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر، قاله مجاهد وعطاء وطاوس، وقيل: مَن زاد على القدر الواجب عليه فأعطى صاعاً وعليه مُدّ فهو خير له، ﴿ وأنْ تَصُوموا خيرٌ لكم ﴾، فمَن ذهب إلى النسخ قال معناه: الصوم خير له من الفدية، وقيل هذا في الشيخ الكبير لو تكلّف الصوم، وإن شقّ عليه فهو خير له من أن يفطرَ ويفدي، ﴿إنْ كنتم تعلمون﴾، واعلمْ أنّه لا رُخصةَ لمؤمنٍ مُكلّفٍ في إفطار رمضان إلّا لثلاثة، أحدهم: يجب عليه القضاء والكفّارة، والثاني: عليه القضاء دون الكفّارة، والثالث: عليه الكفّارة دون القضاء، أمّا الذي عليه القضاء والكفّارة: فالحامل والمرضع، إذا خافتا على ولديهما فإنهما تفطران وتقضيان، وعليهما مع القضاء الفدية، وهو قول ابن عمر وابن عباس وبه قال مجاهد، وإليه ذهب الشافعي رحمه الله، وقال قوم: لا فدية عليهما، وبه قال الحسن وعطاء وإبراهيم النَّخَعِي والزهري، وإليه ذهب الأوزاعي والثّوري وأصحاب الرأي، وأمّا الذي عليه القضاء دون الكفّارة: فالمريض والمسافر والحائض والنفساء، وأمّا الذي عليه الكفّارة دون القضاء فالشيخ الكبير والمريض الذي لا يُرجى زوال مرضه، ثم بيّن الله تعالى أيام الصيام فقال:

﴿ شهرُ رمضان ﴾، رفعه على معنى: هو شهر رمضان، وقال الكسائي كُتب عليكم شهر رمضان، وسُمّي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

للسر إذا أظهره شهره وسمي الهلال شهراً لشهرته وبيانه وقيل: سمي الشهر شهراً باسم الهلال، وأما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل: إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسموه به. وقيل: إن رمضان اسم من أسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والأصح أن رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان ﴿الذي أنزل فيه القرآن﴾ لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بإنزال أعظم كتبه فيه، والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ روي عن الشافعي أنه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والإنجيل فعلى هذا القول إنه ليس بمشتق وذهب الأكثرون إلى أنه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرآناً لأنه يجمع السور والآيات بعضها إلى بعض، ويجمع الأحكام والقصص والأمثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى. قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل على محمد ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله: «فلا أقسم بمواقع النجوم» وروى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «أنزلت صحف إبراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان، وفي رواية في أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل إنجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل الفرقان على محمد ﷺ في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها» فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد ﷺ في شهر رمضان، وهو قول ابن إسحاق وأبي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل ﴿هدى للناس﴾ يعني من الضلال ﴿وبينات من الهدى والفرقان﴾.

الشهر شهراً لشُهرته، وأمّا رمضان فقد قال مجاهد: هو من أسماء الله تعالى، يقال: شهر رمضان كما يقال شهر الله، والصحيح: أنه اسم للشهر سُمّي به من الرمضاء، وهي الحجارة المحمّاة، وهم كانوا يصومونه في الحرّ الشديد، وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة، قوله تعالى: ﴿ الذي أُنزل فيه القرآن ﴾، سُمّي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور والآي والحروف، وجمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، وأصل القرء: الجمع، وقد يحذف الهمزة فيقال: قريت الماء في الحوض إذا جمعته، وقرأ ابن كثير القرآن بفتح الراء غير مهموز، وكذلك كان يقرأ الشافعي، ويقول: ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والإنجيل، رُوي عن مقسم عن ابن عباس أنه سُئِل عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ﴾، وقوله: ﴿ إنّا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿ إنّا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ [الدخان: ٣]، وقد نزل في سائر الشهور، وقال عزّ وجلّ: ﴿ وقرآناً فرّقناه ﴾ [الإسراء: ١٠٦]؟ فقال: أُنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزّة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ [الواقعة: ٧٥]، قال داود بن أبي هند قلت للشعبي: ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ﴾ أمَا كان ينزل في سائر الشهور؟ قال: بلى ولكنّ جبرائيل كان يعارض محمداً ﷺ في رمضان ما أنزل الله إليه، فيُحكم اللّهُ ما يشاء ويُثبت ما يشاء ويُنسيه ما يشاء، ورُوِيَ عن أبي ذرّ عن النبيّ ﷺ قال: «أنزل صحف إبراهيم في ثلاث ليالٍ مضين من رمضان»، ويُروَى «في أول ليلة من رمضان»، «وأنزلت توراة موسى في ست ليالٍ مضين من رمضان، وأُنزل الإنجيل على عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان، وأُنزل الزبور على داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان، وأُنزل الفرقان على محمد ﷺ في الرابعة

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فإن قلت هذا فيه إشكال وهو أنه يقال ما معنى قوله: وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس؟ قلت إنه تعالى ذكر أولاً أنه هدى ثم الهدى على قسمين: تارة يكون هدى جلياً وتارة لا يكون كذلك، فكأنه قال هو هدى في نفسه ثم قال: هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل: إن القرآن هدى في نفسه فكأنه قال: إن القرآن هدى للناس على الإجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل، لأن البينات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال الحرام والحدود والأحكام، ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل.

قوله عز وجل: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ أي فمن كان حاضراً مقيماً غير مسافر فأدركه الشهر فليصمه والشهود الحضور، وقيل: هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي رؤية الهلال ولذلك قال النبي ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» أخرجاه في الصحيحين، ولا خلاف أنه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن أخبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه منهم من قال يجزىء فيه خبر الواحد، قاله أبو ثور: ومنهم من أجراه مجرى الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك: ومنهم من أجرى أوله مجرى الأخبار فقبل فيه خبر الواحد وأجرى آخره مجرى الشهادة فلا يقبل في آخره أقل من اثنين؛ قاله الشافعي: وهذا للاحتياط في أمر العبادة لدخولها وخروجها ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ إنما كرره لأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فلو اقتصر على هذا لاحتمل أن يشمل النسخ الجميع، فأعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم أن الحكم باق على ما كان عليه.

فصل في حكم الآية، وفيه مسائل: الأولى:

اختلفوا في المرض المبيح للنظر على ثلاثة أقوال: أحدها وهو قول أهل الظاهر أي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض، فله أن يفطر تنزيلاً للفظ المطلق على أقل أحواله، وإليه ذهب الحسن وابن سيرين. القول

والعشرين من شهر رمضان لست بقين بعدها». قوله تعالى: ﴿ هدًى للناس ﴾: من الضلالة، و﴿ هدى ﴾ في محل النصب على القطع، لأن القرآن معرفة وهدًى نكرة، ﴿ وبيّناتٍ من الهدى ﴾، أي: دَلَالَاتٍ واضحات من الحلال والحرام، والحدود والأحكام، ﴿ والفرقان ﴾، أي: الفارق بين الحق والباطل، قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ منكم الشهرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾، أي فمَن كان مقيماً في الحضر فأدركه الشهر، واختلف أهل العلم فيمن أدركه الشهر وهو مقيم ثم سافر، رُوِيَ عن علي رضي الله عنه أنه قال: يجوز له الفطر، وبه قال عُبيدة السلماني، لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ أي: الشهر كلَّه، وذهب أكثر الصحابة والفقهاء إلى أنه إذا أنشأ السفرَ في شهر رمضان جاز له أن يَفطرَ، ومعنى الآية: فمَن شهد منكم الشهر كله فليصمه، أي: الشهر كله ومَن لم يشهد منكم الشهر كله فليصم ما شهد منه، والدليل عليه: ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أخبرنا أبو منصور عن مالك عن ابن شهاب، عن عُبيد الله بن عُتبة بن مسعود عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه فكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ. قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كان مريضاً أو على سفرٍ فعدّةٌ من أيامٍ أُخَر ﴾، أباح الفطر لعذر المرض والسفر، أعاد هذا الكلام ليُعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ، واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر، فذهب أهل الظاهر إلى أن ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر، وهو قول ابن سيرين، قال طريق بن تمام العطاردي: دخلت على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل فقال إنه وجعت أصبعي هذه، وقال الحسن وإبراهيم النخعي: هو المرض الذي يجوز به الصلاة قاعداً، وذهب الأكثرون إلى أنه مرض

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الثاني وهو قول الأصم إن هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام، لوقع في مشقة عظيمة تنزيلاً للفظ المطلق على أكمل أحواله. القول الثالث وهو قول أكثر الفقهاء إن المرض المبيح للفطر، هو الذي يؤدي إلى ضرر في النفس أو زيادة علة محتملة كالمحموم إذا خاف أنه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام أن يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض، ما يؤثر في تقويته قال الشافعي إذا أجهده الصوم أفطر، إلاّ فهو كالصحيح.

المسألة الثانية: الفطر في السفر مباح، والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وأبو هريرة وبعض أهل الظاهر: لا يجوز الصوم في السفر، ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر» وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم في السفر فالأولى له الفطر ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال: «كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه فقال ما هذا؟ قالوا صائم قال: ليس من البر الصيام في السفر» أخرجه البخاري ومسلم، وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روي عن أنس قال: «سافرنا مع رسول الله ﷺ في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم» أخرجاه في الصحيحين.

المسألة الثالثة: اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر. فقال داود: الظاهري أي سفر كان ولو كان فرسخاً. وقال الأوزاعي: السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد. وقال الشافعي وأحمد ومالك: أقله مسيرة ستة عشر فرسخاً يومان وقال أبو حنيفة وأصحابه أقله مسيرة ثلاثة أيام.

المسألة الرابعة: إذا استهل الشهر وهو مقيم ثم أنشأ السفر في أثنائه جاز له أن يفطر حالة السفر ويجوز له أن يصوم في بعض السفر وأن يفطر في بعضه إن أحب، يدل عليه ما روي عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه، وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث

يخاف معه من الصوم زيادة علّة غير مُحتملة، وفي الجملة أنه إذا أجهده الصوم فأفطر، وإن لم يجهده فهو كالصحيح، وأما السفر فالفطر فيه مُباح، والصوم جائز عند عامّة أهل العلم إلاّ ما رُوِيَ عن ابن عباس وأبي هريرة وعُروة بن الزبير وعلي بن الحسين أنهم قالوا: لا يجوز الصوم في السفر، ومَن صام فعليه القضاء، احتجّوا بقول النبي ﷺ: «ليس من البرّ الصوم في السفر»، وذلك عند الآخرين في حق مَن يُجهده الصوم، فالأولى له أن يفطر، والدليل ما أخبرنا به عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم، أخبرنا شعبة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الأنصاري قال: سمعت محمد بن عمرو بن الحسين بن علي عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زُحاماً ورجلاً قد ظُلّل عليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا صائم، فقال: «ليس من البرّ الصوم في السفر»، والدليل على جواز الصوم ما حدّثنا الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو نُعيم الإسفرايني، أخبرنا أبو عُوانة أخبرنا أبو أمية أخبرنا عبد الله القواريري، أخبرنا حمّاد بن زيد أخبرنا الحريري، عن أبي نَضْرة عن أبي سعيد قال: كنّا نسافر مع رسول الله ﷺ في رمضان، فمنّا الصائم ومنّا المفطر، فلا يَعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم.
واختلفوا في أفضل الأمرين، فقالت طائفة: الفطر في السفر أفضل من الصوم، رُوِيَ ذلك عن ابن عمر وإليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي، وذهب قوم إلى أن الصوم أفضل، ورُوِيَ ذلك عن معاذ بن جبل وأنس، وبه قال إبراهيم النخعي وسعيد بن جُبير، وقالت طائفة: أفضل الأمرين أيسرهما عليه، لقوله تعالى: ﴿ يريد الله بكم اليُسْرَ ولا يريد بكم العسر ﴾، وهو قول مجاهد وقتادة وعمر بن العزيز، ومَن أصبح مقيماً صائماً ثم سافر في أثناء النهار لا يجوز له أن يفطر ذلك اليوم عند أكثر أهل العلم، وقالت طائفة: له أن يفطر، وهو قول الشعبي وبه قال أحمد، أمّا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

من أمر رسول الله ﷺ» أخرجاه في الصحيحين. الكديد اسم موضع وهو على ثمانية وأربعين ميلاً من مكة.

المسألة الخامسة: اختلفوا في الأفضل. فذهب الشافعي إلى أن الصوم أفضل من الفطر في السفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال أحمد الفطر، أفضل من الصوم في السفر، وقالت طائفة من العلماء: هما سواء، وأفضل الأمرين أيسرهما، لقوله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾.

المسألة السادسة: يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصي بسفره أن يترخص برخص الشرع وقوله تعالى: ﴿**فعدة من أيام أخر**﴾ معناه فأفطر فعليه عدة من أيام آخر فظاهر هذا أنه يجوز قضاء الصوم متفرقاً وإن كان التتابع أولى، وفيه أيضاً وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخي في القضاء ويدل عليه أيضاً ما روي عن عائشة قالت: «كان يكون على الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلاّ في شعبان ذاك من الشغل بالنبي ﷺ» أخرجاه في الصحيحين ﴿**يريد الله بكم اليسر**﴾ أي التسهيل في هذه العبادة وهي إباحة الفطر للمسافر والمريض ﴿**ولا يريد بكم العسر**﴾ أي وقد نفى عنكم الحرج في أمر الدين قيل: ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما إلاّ كان ذلك أحب إلى الله تعالى: ﴿**ولتكملوا العدة**﴾ أي عدد الأيام التي أفطرتم فيها بعذر السفر والمرض والحيض، لتقضوا بعددها وقيل: أراد عدد أيام الشهر (ق) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له، وفي رواية فأكملوا العدة ثلاثين» ﴿**ولتكبروا الله**﴾ فيه قولان أحدهما أنه تكبير ليلة العيد، قال ابن عباس: حق على المسلمين إذا رأوا إهلال شوال أن يكبروا. وقال الشافعي: واجب إظهار التكبير في العيدين، وبه قال مالك وأحمد وأبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة: لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الأضحى حجة الشافعي ومن وافقه قوله

المسافر إذا أصبح صائماً فيجوز له أن يفطر بالاتفاق، والدليل عليه ما أخبر عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد العزيز بن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جابر أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم، صام الناس معه فقيل له: يا رسول الله إن الناس قد شقّ عليهم الصيام، فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فأفطر بعض الناس، وصام بعضهم، فبلغه أن ناساً صاموا فقال: «أولئك العصاة»، واختلفوا في السفر الذي يُبيح الفطر، فقال قوم: مسيرة يوم، وذهب جماعة إلى مسيرة يومين، وهو قول الشافعي رحمه الله، وذهب جماعة إلى مسيرة ثلاثة أيام، وهو قول سفيان الثّوري وأصحاب الرأي. قوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بكم اليُسْرَ** ﴾، بإباحة الفطر في المرض والسفر، ﴿ **ولا يريد بكم العُسْرَ** ﴾، قرأ أبو جعفر «العسر واليسر» ونحوهما بضم السين، وقرأ الآخرون بالسكون، وقال الشعبي ما خُيِّرَ رجلٌ بين أمرين فاختار أيسرهما إلاّ كان ذلك أحبّهما إلى الله عزّ وجلّ، ﴿ **ولِتُكْمِلُوا العِدَّةَ** ﴾، قرأ أبو بكر بتشديد الميم، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهو الاختيار، لَقوله تعالى: ﴿ اليومَ أكملت لكم دينَكم ﴾ [المائدة: ٣]، والواو في قوله تعالى: ﴿ **ولتكملوا** ﴾ وَاوُ النَّسقِ واللامُ لام كي، تقديره: ويريد لكي تكملوا الغدّة، أي لتكملوا عِدّة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتُم في مرضكم وسفركم، وقال: ﴿ **ولتكملوا العدّة** ﴾ أي: عدّة أيام الشهر، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصمّ أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي، أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العِدّة ثلاثين»، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيىٰ، أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تعالى: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ قالوا: معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم إلى آخر هذه العبادة القول الثاني في معنى قوله لتكبروا الله، أي ولتعظموا الله شكراً على ما أنعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة ﴿على ما هداكم﴾ أي أرشدكم إلى طاعته وإلى ما يرضى به عنكم ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على نعمه.

فصل: في فضل شهر رمضان وفضل صيامه:

(ق) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار» الصفد الغل أي شدت بالأغلال (ق) عن النبي ﷺ قال: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. قوله إيماناً واحتساباً أي طلباً لوجه الله تعالى وثوابه وقيل إيماناً بأنه فرض عليه، واحتساباً ثوابه عند الله وقيل: معناه نية وعزيمة وهو أن يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة (ق) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: «إلّا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك زاد في رواية «والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن شتمه أحد أو قاتله فليقل إني صائم». قوله: كل عمل ابن آدم له معناه أن له فيه حظاً لاطلاع الخلق عليه إلّا الصوم فإنه لا يطلع عليه أحد وإنما خص الصوم بقوله تعالى لي وإن كانت جميع الأعمال الصالحة له وهو يجزى عليها لأن الصوم لا

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقدموا الشهرَ بصوم يوم ولا يومين، إلّا أن يُوافق ذلك صوماً كان يصومه أحدكم، صُوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمّ عليكم فعدّوا ثلاثين ثم أفطروا»، ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ ﴾: ولتعظموا الله، ﴿ على ما هَداكم ﴾: أرشدكم إلى ما أرضى به من صوم شهر رمضان وخصّكم به دون سائر أهل المِلَل، قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر، وروى الشافعي عن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنه كانوا يكبّرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير، وشبّه ليلة النحر بها إلّا مَن كان حاجاً وذكرُه التلبية، ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾: الله على نعمه، وقد وردتْ أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حسن المروزي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحّان، أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبد العزيز المكّي أخبرنا أبو عبيد القاسمُ بن سلام، حدّثني إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل عن نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل رمضان صُفدتِ الشياطينُ وفُتّحت أبوابُ الجنة وغُلقتْ أبوابُ النار»، أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح، أخبرنا أبو عباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا أبو كريب محمد بن العلاء، أخبرنا أبو بكر محمد بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفدتِ الشياطينُ ومَرَدَةُ الجنّ وغُلقت أبواب النار فلم يُفتح منها باب، وفُتّحتْ أبوابُ الجنة فلم يُغلق منها باب، ويُنادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشرّ أقصر، ولله عُتقاءُ من النار، وذلك كل ليلة». أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر بن أحمد الكوفاني الهروي بها أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد النحيبي المصري بها المعروف بأبي النجاش، قيل له: أخبركم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد المَقْبُري البصري بمكة المعروف بابن الأعرابي، أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، أخبرنا سفيان بن عُيينة عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّمَ من

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وإنما هو من أعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه إلاّ الله تعالى لقول الله تعالى: إنما أتولى جزاءه على ما أحب لا على حساب ولا كتاب له. وقوله: وللصائم فرحتان فرحة عند فطره أي بالطعام لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من إتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله: وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه. وقوله: ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله، لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى أن خلوف فم الصائم أبلغ عند الله في القبول من ريح المسك عند أحدكم. قوله: الصيام جنة أي حصن من المعاصي لأن الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الإنسان من المرأة، وقيل: هو التصريح بذكر الجماع. والصخب الضجر والجلبة والصياح (ق) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له باب

ذنبه، ومَنْ قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومَن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّمَ من ذنبه»، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار، حدّثنا الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الصفار، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي إسحق العنزي، أخبرنا علي بن حجر بن إياس السعدي أخبرنا يوسف بن زياد عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيّها الناس إنه أظلّكم شهر عظيم»، وفي رواية «قد أطلّكم» بالطاء: أطلّ أشرف شهرٌ عظيم، شهرٌ مبارك شهرٌ فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، شهرٌ جعل الله صيامَه فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنّة، وشهر المواساة أي المساهمة، وشهرٌ يُزاد فيه الرزق، ومَن فطر فيه صائماً كان له مغفرةً لذنوبه وعتق رقبة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قالوا: يا رسول الله ليس كلنا نجد ما نُفطر به الصائم؟ قال رسول الله ﷺ: «يُعطي اللَّهُ هذا الثوابَ لمَن فطّر صائماً على مَذْقةِ لَبَنٍ أو تمرة أو شَرْبةٍ من ماءٍ، ومَن أشبع صائماً سقاه الله عزّ وجلّ من حوضي شَرْبَةً لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة، ومَن خفّف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتقٌ من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين تُرضون بها ربّكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، أمّا الخصلتان اللتان ترضون بهما ربّكم فشهادة أنْ لا إلّه إلّا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار»، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي، أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلّ عمل ابن آدم يُضاعف الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبعِ مائة ضعف، قال الله تعالى: إلّا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يَدَعُ الصائمُ طعامَهُ وشرابَهُ وشَهْوَتَهُ من أجلي، للصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربّه، ولَخَلُوفُ فِيْهِ أطيب عند الله من ريح المسك، الصوم جُنّةٌ وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرْفُثْ ولا يَفْسُقْ فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقلْ: إنّي امرؤٌ صائم»، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن مطرف، حدّثني أبو حازم عن سهل بن سعد عن النبيّ ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب، منها بابٌ يُسمى الريّان لا يدخله إلّا الصائمون»، أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي تَوبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الريان يدخل منه الصائمون يوم القيام يقال أين الصائمون فيقومون. لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحد وفي رواية إن في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلاّ الصائمون» عن أبي أمامة قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به قال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» وفي رواية: «أي العمل أفضل فقال عليك بالصوم فإنه لا عدل له» أخرجه النسائي.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ قال ابن عباس قال يهود المدينة: يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية. وقيل سأل بعض الصحابة النبي ﷺ فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه وقيل إنهم سألوه في أي ساعة ندعو ربنا فنزلت. وقيل: إنهم قالوا أين ربنا؟ فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو إما أن يكون عن ذات الله أو عن صفاته أو عن أفعاله أما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات، وأما السؤال عن صفاته تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا، وأما السؤال عن أفعاله تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يجيب ربنا إذا دعوناه؟ فقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ فيحتمل هذه الوجوه كلها، وقوله تعالى ﴿فإني قريب﴾ معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى علي شيء، وفيه إشارة إلى سهولة إجابته لمن دعاه وإنجاح حاجة من سأله (ق) عن أبي موسى الأشعري قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر، أو قال: توجه إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر لا إله إلاّ الله فقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً قريباً وهو معكم» قوله اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بها وقيل معناه أمسكوا عن الجهر فإنه قريب يسمع دعاءكم. وقوله تعالى: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ أي أسمع دعاء عبدي الداعي إذا دعاني وقيل: الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد: يا الله لا إله إلاّ أنت فقولك يا الله فيه دعاء، وقولك: لا إله إلاّ أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمي هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمي قبوله إجابة لتجانس اللفظ، وفيه إشارة إلى أن العبد يعلم أن له رباً ومدبراً يسمع دعاءه إذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فإن العبد إذا دعا، وهو يعلم أن له رباً بإخلاص وتضرع أجاب الله دعوته. فإن قلت: إنا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه: قوله أجيب دعوة الداع؟ وقوله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾. قلت ذكر العلماء فيه أجوبة: أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهي قوله: «بل إياه

راشد بن سعد عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام أيْ ربِّ إني منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن ربِّ إني منعته النوم بالليل فشفِّعني فيه فيشفعان».

قوله تعالى: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾، روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال يهود أهل المدينة: يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أنّ بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، وأن غِلَظَ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية، وقال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ فقالوا: أقريبٌ ربُّنا فنناجيه أم بعيدٌ فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وإذا سألك عبادي عنّي فإني قريب ﴾، وفيه إضمار، كأنه قال: فقل لهم إني قريب منهم بالعلم لا يخفى عليّ شيء، كما قال: ﴿ ونحنُ أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [قٓ: ١٦]، أخبرنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء» والمطلق يحمل على المقيد. وثانيها أن معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الإجابة هو الثواب وذلك في الآخرة. وثالثها أن معنى الآيتين خاص. وإن كان لفظهما عاماً فيكون معناه أجيب دعوة الداعي إذا وافق القضاء أو أجيبه إن كانت الإجابة خيراً له أو أجيبه إذا لم يسأل إثماً أو محالاً. ورابعها أن معناها عام أي أسمع وهو معنى الإجابة المذكورة في الآية، وأما إعطاء الأمنية فليس بمذكور فالإجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله. وخامسها أن للدعاء آداباً وشرائط وهي أسباب الإجابة، فمن استكملها وأتى بها كان من أهل الإجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم. وقوله تعالى ﴿فليستجيبوا لي﴾ يعني إذا دعوتهم إلى الإيمان والطاعة كما أني أجبتهم إذا دعوني لحوائجهم. والإجابة في اللغة الطاعة. فالإجابة من العبد الطاعة ومن الله الإثابة والعطاء ﴿وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ أي لكي يهتدوا إلى مصالح دينهم ودنياهم.

فصل: في فضل الدعاء وآدابه:

(ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يجب الإيمان به وبأنه حق على ما يليق به ونكل علمه إلى الله تعالى ورسوله وإن ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات. والمذهب الثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف أنها تؤول على ما يليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره أن معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته وقيل: إنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف وفي الحديث الحث على الدعاء

عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان، عن أبي موسى الأشعري قال: لمّا غزَا رسول الله ﷺ خيبر، أو قال: لمّا توجّه رسول الله ﷺ إلى خيبر، أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إلّه إلّا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أربِعُوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»، قوله تعالى: ﴿أُجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ﴾، قرأ أهل المدينة غير قالون وأبي عمرو بإثبات الياء فيهما في الوصل، والباقون يحذفونها وصلاً ووَقفاً، وكذلك اختلف القرّاء في إثبات الياءات المحذوفة من الخط وحذفها في التلاوة، وأثبت يعقوب جميعها وصلاً ووقفاً، واتفقوا على إثبات ما هو مثبت في الخط وصلاً ووقفاً، ﴿ فليستجيبوا لي ﴾، قيل: الاستجابة بمعنى الإجابة، أي: فليجيبوا إليّ بالطاعة، والإجابة في اللغة: الطاعة وإعطاء ما سئل، فالإجابة من الله تعالى: العطاء، ومن العبد: الطاعة: وقيل: فليستجيبوا إليّ أي: ليستدعوا منّي الإجابة، وحقيقته فليطيعوني، ﴿ وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون ﴾، لكي يهتدوا، فإن قيل: فما وجه قوله تعالى: ﴿ أُجيبُ دعوةَ الداعِ ﴾ وقوله: ﴿ ادْعوني أستجبْ لكم ﴾ [غافر: ٦٠]، وقد ندعو كثيراً فلا يُجِيب؟ قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين، قيل: معنى الدعاء ههنا: الطاعة، ومعنى الإجابة: الثواب، وقيل: معنى الآيتين خاص، وإن كان لفظهما عامّاً تقديرهما: أُجيبُ دعوة الداعي إنْ شئت، كما قال: ﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾ [الأنعام: ٤١]، وأُجيبُ دعوةَ الداع إن وافق القضاء، أو أُجيبه إن كانت الإجابة خيراً له، أو أُجيبه إن لم يسأل مُحالاً، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي، أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح، حدّثني معاوية بن صالح أن ربيعة بن يزيد حدّثه عن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

والترغيب فيه عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين» أخرجه أبو داود والترمذي. وقال حديث حسن غريب. الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع. عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلاّ آتاه الله إياها أو صرف عنه من الشر مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم إذا نكثر قال الله أكثر» أخرجه الترمذي. قوله؛ الله أكثر معناه الله أكثر إجابة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» أخرجه الترمذي. وقال حديث غريب. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» أخرجه الترمذي. وله عن أنس أن النبي ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة» وله عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل» وله عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا يرد القضاء إلاّ الدعاء ولا يزيد في العمر إلاّ البر» وله عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يسأل الله يغضب عليه» (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل بقوله قد دعوت فلم يستجب لي» ولمسلم قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء». قوله يستحسر أي يستنكف عن السؤال وأصله من حسر الطرف إذا كلّ وضعف (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له» زاد البخاري «ارزقني إن شئت ليعزم مسألته فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له» قوله ليعزم المسألة أي لا تكن في دعائك ربك متردداً بل أعزم وجد في المسألة. عن فضالة بن عبيد قال: «سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلّى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بما شاء» أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح. قوله عز وجل:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ

أبي إدريس، عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «يستجيبُ اللّهُ لأحدكم ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل»، قالوا: وما الاستعجال يا رسول الله؟ قال: «يقول قد دعوتُكَ يا ربُّ قد دعوتُك يا ربُّ فلا أراك تستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، فيدع الدعاء»، وقيل: هو عامّ، ومعنى قوله أُجيب أي: أسمع، ويقال: ليس في الآية أكثر من استجابة الدعوة، فأما إعطاء المنية فليس بمذكور فيها، وقد يجيب السيدُ عبدَه والوالدُ ولدَه ثم لا يُعطيه سؤله، فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، وقيل: معنى الآية أنه يُجيب دعاءَه فإن قدّر له ما سأل أعطاه، وإن لم يُقدّرْ له ادّخر له الثواب في الآخرة أو كفّ عنه به سوءاً، والدليل عليه ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا محمد بن يوسف. أخبرنا ابن ثوبان وهو محمد بن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه عن مكحول عن جُبير بن نُفير عن عُبادة بن الصامت حدّثهم: أن النبيّ ﷺ قال: «ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلاّ آتاه الله إيّاها، أو كفّ عنه من السوء مثلَها ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم»، وقيل: إن الله تعالى يُجيب دعاء المؤمن في الوقت، ويُؤخّر إعطاء مَن يجيب مرادَه ليدعوه فيسمع صوته، ويعجّل إعطاء مَن لا يحبه لأنه يبغض صوته، وقيل: إن للدعاء آداباً وشرائط وهي أسباب الإجابة، فمَن استكملها كان من أهل الإجابة، ومَن أخلّ بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء، فلا يستحق الإجابة.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ سبب نزول هذه الآية أنه كان في ابتداء الأمر بالصوم إذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء الأخيرة أو يرقد قبلها فإذا صلى، أو رقد حرم عليه ذلك كله إلى الليلة القابلة ثم إن عمر بن الخطاب واقع أهله بعد ما صلّى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أعتذر إلى الله وإليك من هذه الخطيئة إني رجعت إلى أهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فقال النبي ﷺ: «ما كنت بذلك جديراً يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر وأصحابه أحل لكم أي أبيح لكم ليلة أراد بالليلة ليالي الصيام الرفث إلى نسائكم الرفث كلام يستقبح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس إن الله تعالى حي كريم يكنى فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك إنما هو الجماع **﴿هن لباس لكم﴾** أي سكن لكم **﴿وأنتم لباس لهنَّ﴾** أي سكن لهن قيل لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر وسمي كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يوارى فيكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه» **﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾** قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم أنهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم، والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي فيه الأمانة ويقال للعاصي خائن لأنه مؤتمن على دينه **﴿فتاب عليكم﴾** أي فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم **﴿وعفا عنكم﴾** أي ومحا ذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم

قوله تعالى: **﴿ أُحلَّ لكم ليلةَ الصيامِ الرَفَثُ إلى نسائكم ﴾**، فالرفث كناية عن الجماع، قال ابن عباس: إن الله حيي كريم يكنّي، كلما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول والرفث، فإنما عنى به الجماع، وقال الزجّاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء، قال أهل التفسير كان في ابتداء الأمر إذا أفطر الرجل حلّ له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلّي العشاء الآخرة، أو يرقد قبلها، فإذا صلّى العشاء أو رَقَدَ قبلها حَرُمَ عليه الطعام والشراب والنساء إلى الليلة القابلة، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعدما صلّى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخطيئة، إني رجعت إلى أهلي بعدما صلّيت العشاء فوجدت رائحة طيّبة فسوّلت لي نفسي فجامعتُ أهلي، فقال النبي ﷺ: ما كنتَ جديراً بذلك يا عمر»، فقام رجال واعترفوا بمثله، فنزل في عمر وأصحابه: **﴿ أُحِلَ لكم ليلة الصيام ﴾**، أي: أُبيح لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم: **﴿ هنّ لباسٌ لكم ﴾** أي سكن لكم، **﴿ وأنتم لباس لهنّ ﴾**، أي: سكن لهنّ، دليله قوله تعالى: **﴿ وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾** [الأعراف: ١٨٩] وقيل: لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر، وقيل: سُمّي كل واحد من الزوجين لباساً لتجرّدهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، وقال الربيع بن أنس: هنّ فراش واجتماعهما لكم، وأنتم لحاف لهنّ، قال أبو عُبيدة وغيره: يقال للمرأة هي لباسك وفراشك وإزارك، وقيل: اللباس اسم لما يُواري الشيء، فيجوز أن يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عمّا لا يحلّ، كما جاء في الحديث: «مَنْ تزوّج فقد أحرز ثلثي دينه»، **﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾**، أي تخونونها وتظلمونها

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فأنزل الله: ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم﴾ الآية قال ابن عباس: فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر ﴿فالآن باشروهن﴾ أي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم، وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة واحد بصاحبه ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي ما قضى لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد، وقيل: وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ يعني الولد. وقيل: اطلبوا ليلة القدر.

﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الأنصاري، ويقال قيس بن صرمة وذلك أنه ظل يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر، وقال لأهله قدمي الطعام فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً سخناً فأخذت تعمل له ذلك فلما فرغت فإذا هو قد نام وكان قد أعيا من التعب، فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله وأبى أن يأكل وأصبح صائماً مجهوداً فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى النبي ﷺ فلما رآه قال: يا أبا قيس ما لك أمسيت طليحاً فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية وقوله: طليحاً أي مهزولاً مجهوداً (خ) عن البراء قال كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال أعندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً ونزلت: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ ومعنى الآية: وكلوا واشربوا في ليالي الصوم، حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود: بياض النهار من سواد الليل، وسميا خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الأفق ممتداً كالخيط، قال الشاعر:

فلما أضاءت لنا سدفة ... ولاح من الصبح خيط أنارا

بالمجامعة بعد العشاء، قال البَرَاء: لمّا نزل صوم رمضان، كانوا لا يقرَبُون النساءَ كلَّه، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾، ﴿ فتاب عليكم ﴾: تجاوز عنكم، ﴿ وعفا عنكم ﴾: مَحَا ذُنوبَكم، ﴿ فالآن باشِرُوهنّ ﴾: جامعوهنّ حلالاً، سُمّيت المجامعة: مباشرة، لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه، ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾، أي: فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل: ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ، يعني: الولد، قاله أكثر المفسّرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه، وقال قتادة: وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ، وقال معاذ بن جبل: وابتغوا ما كتب الله لكم، يعني: ليلة القدر، قوله: ﴿ وكُلُوا واشرَبُوا حتى يتبيّنَ لكمُ الخيطُ الأبيض ﴾، نزلتْ في رجل من الأنصار اسمه أبو صِرْمَة بن قيس بن صِرْمَة، وقال عكرمة: أبو قيس بن صرمة، وقال الكلبي: أبو قيس صرمة بن أنس بن صرمة، وذلك أنه ظلّ نهاره يعمل في أرضٍ له وهو صائم، فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر، وقال لأهله قدّمي الطعام، فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً سخيناً فأخذت تعمل له سخينة، وكان في الابتداء مَنْ صلّى العشاء ونام حَرُم عليه الطعامُ والشراب، فلما فرغت من طعامه إذْ هو به قد نام، وكان قد أعيا وكَلَّ، فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله فأبى أن يأكل فأصبح صائماً مجهوداً، فلم ينتصف النهار حتى غُشِيَ عليه فلما أفاق أتى رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «يا أبا قيس مَا لَكَ أصبحت طليحاً»، فذكر له حاله فاغتمّ لذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وكلوا واشربوا ﴾ يعني في ليالي الصوم ﴿ حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض، من الخيطِ الأسود ﴾

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

السدف اختلاط الظلام وأسدف الفجر أضاء (ق) عن سهل بن سعد قال لما نزلت: ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**﴾ ولم ينزل «من الفجر» فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل حتى تتبين له رؤيتهما فأنزل الله عز وجل بعده ﴿**من الفجر**﴾ فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار (ق) عن عدي بن حاتم: «لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود عمدت إلى عقال أسود وعقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت أنظر في الليل فلا يتبين لي فغدوت على رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك فقال: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار» (ق) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم» قال: وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له: أصبحت أصبحت. واعلم أن الفجر الذي يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الأفق سريعاً، لا الفجر الكاذب المستطيل. فإن قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل؟. قلت إن القدر الذي يبدو من البياض هو أول الصبح يكون رقيقاً صغيراً ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط، والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب أن الفجر الكاذب يبدو في الأفق فيرتفع مستطيلاً ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشراً في الأفق مستطيراً (م) عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ: «لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا» وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضاً وفي رواية الترمذي: «لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق» فإذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع إلى غروب الشمس وهو قوله تعالى: ﴿**ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾ يعني منتهى الصوم إلى الليل فإذا دخل الليل حصل الفطر (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم» وهل يلزم الصائم أن يتناول عند تحقق غروب الشمس شيئاً؟ فيه وجهان: أحدهما نعم يلزم ذلك لنهيه ﷺ عن الوصال. والثاني لا، لأنه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء أكل أو لم يأكل، وتمسكت الحنفية بهذه الآية في أن الصوم النفل يجب إتمامه وقالوا: لأن قوله تعالى:

يعني: بياض النهار من سواد الليل: سُمّيا خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتدّاً كالخيط، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا أبو غسان محمد بن مطرف، ثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال: أنزلت: ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ ﴾، ولم ينزل قوله: ﴿ من الفجر ﴾، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيطَ الأسود، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيّن له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى بعده: ﴿ مِنَ الفجر ﴾، فعلموا إنما يعني بهما: الليل والنهار، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا حجّاج بن منهال أخبرنا هشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن، عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال: لمّا نزلت ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ عمدتُ إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر إليهما وإلى الليل فلا يستبين لي، فغدوت إلى رسول الله ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلالاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أُم مكتوم»، قال: ابن أُمّ مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له: أصبحت أصبحت،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام. أجاب أصحاب الشافعي عنه بأن هذا إنما ورد في بيان أحكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على إباحة الفطر من النفل ما روي عن عائشة قالت: «دخل النبي ﷺ ذات يوم فقال هل عندكم شيء، قلنا لا قال: فإني إذاً صائم ثم أتانا يوماً آخر فقلت يا رسول الله أهدي لنا حيس. قال: أرنيه فلقد أصبحت صائماً فأكل» أخرجه مسلم. الحيس هو خلط الأقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الأقط دقيق أو فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والأول أعرف. قوله عز وجل: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ الاعتكاف هو الإقبال على الشيء والملازمة له على سبيل التعظيم. وهو في الشرع عبارة عن الإقامة في المسجد على عبادة الله تعالى. وسبب نزول هذه الآية أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعتكفون في المسجد، فإذا عرض لرجل منهم حاجة إلى أهله خرج إليها وخلا بها، ثم اغتسل ورجع إلى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم. واعلم أن الله تعالى بين أن الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له في الليل، فكان يحتمل أن يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى في هذه الآية أن الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه.

فصل في حكم الاعتكاف:

الاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد، وذلك لأن المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لأنه بني لإقامة الطاعات والعبادات فيه. ثم اختلفوا فنقل عن علي أنه لا يجوز إلاّ في المسجد الحرام لقوله: ﴿وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ فخصه به وقال عطاء: لا يجوز إلاّ في المسجد الحرام ومسجد المدينة. وقال حذيفة: يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس. وقال الزهري: لا يصح إلاّ في الجامع وقال أبو حنيفة: لا يجوز إلاّ في مسجد له إمام ومؤذن وقال الشافعي ومالك وأحمد يجوز في سائر المساجد لعموم قوله: ﴿وأنتم عاكفون في المساجد﴾ إلاّ أن المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج إلى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه بعده(ق) عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان».

واعلم أن الفجر فجران: كاذب وصادق، فالكاذب: يطلع أولاً مستطيلاً كذنب السرحان يصعد إلى السماء، فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم، ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيراً ينتشر سريعاً في الأفق، فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم، أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبّي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا هنّاد بن يوسف بن عيسى، قال: أخبرنا وكيع عن أبي هلال عن سواد بن حنظلة عن سمرة بن جُندب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعكم من سحوركم آذان بلال ولا الفجر المستطيل، ولكن الفجر المستطير في الأفق». قوله تعالى: ﴿ ثم أتِمُّوا الصيامَ إلى الليل ﴾، فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس، وإذا غربت حصل الفطر، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان الثّوري أخبرنا هشام بن عروة قال: سمعت أبي يقول: سمعت عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم». قوله تعالى: ﴿ ولا تُبَاشِرُوهُنّ وأنتم عاكفون في المساجد﴾، العكوف هو الإقامة على الشيء، والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله، وهو سُنّة، ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فروع: الأول:

يجوز الاعتكاف بغير صوم والأفضل أن يصوم معه، وقال أبو حنيفة: الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح إلّا به، وحجة الشافعي ما روي عن عمر: «قال يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فأوف بنذرك» أخرجاه في الصحيحين ومعلوم أنه لا يصح الصوم في الليل.

الفرع الثاني:

لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي وأقله لحظة، ولا حد لأكثره، فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره، ولو نذر أن يعتكف مطلقاً يخرج من نذره باعتكاف ساعة. قال الشافعي: وأحب أن يعتكف يوماً، وإنما قال ذلك للخروج من الخلاف فإن أقل زمن الاعتكاف عند مالك وأبي حنيفة يوم بشرط أن يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس.

الفرع الثالث:

الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به وأما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند أكثر العلماء، وهو أظهر قول الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك، وقيل إن أنزل بطل اعتكافه وإن لم ينزل فلا، وهو قول أبي حنيفة، وأما الملامسة بغير شهوة فجائز، ولا يفسد به الاعتكاف لما روي عن عائشة: «أنها كانت ترجل النبي ﷺ وهي حائض وهو معتكف في المسجد، وهي في حجرتها يناولها رأسه» زاد في رواية: «وكان لا يدخل البيت إلّا لحاجة إذا كان معتكفاً» وفي رواية: «وكان لا يدخل البيت إلّا لحاجة الإنسان» أخرجاه في الصحيحين. الترجيل تسريح الشعر، وقولها إلّا لحاجة حوائج الإنسان كثيرة والمراد منها هاهنا كل ما يضطر الإنسان إليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه.

وقوله تعالى: ﴿تلك حدود الله﴾ يعني تلك الأحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الأكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله. وأصل الحد في اللغة المنع، والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشيء بالوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها ﴿فلا تقربوها﴾ أي فلا تأتوها ولا تغشوها. فإن قلت في الآية إشكالان: أما الأول فهو أنه قال: تلك حدود الله وهو إشارة إلى ما تقدم من الأحكام وبعضها فيه إباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها؟. الإشكال الثاني هو أنه تعالى قال في هذه الآية: ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ وقال في آية أخرى: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ وقال في آية أخرى: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده﴾ فكيف الجمع بين هذه الآيات؟. قلت: الجواب عن السؤالين من وجهين: أما الإشكال الأول، فجوابه أن الأحكام

أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ أن النبيّ ﷺ كان يعتكف العشر الأوَاخِرَ من رمضان حتى توفّاه الله تعالى. ثم اعتكفت أزواجه من بعده، والآية نزلت في نفر من أصحاب النبي ﷺ كانوا يعتكفون في المسجد، فإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم اغتسل، فرجع إلى المسجد، فنُهوا عن ذلك ليلاً ونهاراً حتى يفرغوا من اعتكافهم، فالجماع حرام في حال الاعتكاف، ويفسد به الاعتكاف، أمّا ما دون الجماع من المباشرات كالقبلة واللّمس بالشهوة فمكروه، ولا يفسد به الاعتكاف عند أكثر أهل العلم، وهو أظهر قولي الشافعي، كما لا يبطل به الحج، وقالت طائفة يبطل بها اعتكافه، وهو قول مالك، وقيل: إن أنزل بطل اعتكافه، وإن لم ينزل فلا، كالصوم، وأمّا اللّمس الذي لا يقصد به التلذّذ فلا يفسد به الاعتكاف، لِما أخبرنا أبو الحسن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

التي تقدمت فيما قبل، وإن كانت كثيرة إلّا أن أقربها إلى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف، وقال قبلها: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ وذلك يوجب تحريم الأكل والشرب في النهار فلما كان الأقرب إلى هذه الآية جانب التحريم قال ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ والجواب عن الإشكال الثاني أن من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو منصرف في حيزي الحق فنهي أن يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله ﷺ «كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه» وقيل أراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ ونحو هذا التحريم فهي حدود لا تقرب ﴿كذلك﴾ أي كما بين لكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك ﴿يبين الله آياته﴾ أي معالم دينه وأحكام شريعته ﴿للناس﴾ مثل هذا البيان الشافي الوافي ﴿لعلهم يتقون﴾ أي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب. قوله عز وجل:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨﴾

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ نزلت في امرىء القيس بن عابس الكندي ادّعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله ﷺ في أرض فقال رسول الله ﷺ للحضرمي: ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله ﷺ أما إن حلف على ماله ليأكله ظلماً ليلقين الله وهو عنه معرض فأنزل الله هذه الآية. والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله له. وأصل الباطل الشيء الذاهب.

فصل

أما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه: **الأول**: أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب. **الثاني**: أن

السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف أدنى إليّ رأسَهُ فأرَجِلُه وكان لا يدخل البيت إلّا لحاجة الإنسان، قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ الله** ﴾، يعني: تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود، أي: ما منع الله عنها، قال السدي: شروط الله وقال شهر بن حَوْشَب: فرائض الله وأصل الحدّ في اللغة المنع، ومنه يُقال للبوّاب: حدّاد لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها، ﴿ **فلا تقربوها** ﴾ فلا تأتوها ﴿ **كذلك** ﴾، هكذا ﴿ **يُبيِّن الله آياتِهِ للناس لعلّهم يتّقون** ﴾، لكي يتّقوها فينجوا من العذاب.

قوله تعالى: ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾، قيل: نزلت هذه الآية في امرؤ القيس بن عابس الكندي ادّعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله ﷺ أرضاً فقال النبي ﷺ للحضرمي **ألك بيّنة**؟ قال: لا، قال: **فلك يمينه** فانطلق ليحلف، فقال رسول الله ﷺ: «إمّا أن يحلف على ماله ليأكله ظلماً ليلقينَّ الله وهو عنه مُعرِض»، فأنزل الله هذه الآية ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾، أي: لا يأكل بعضكم مالَ بعض بالباطل، أي: من غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل: الشيء الذاهب، والأكل بالباطل أنواع قد يكون بطريق الغصب والنهب، وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني، وغيرهما وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة، ﴿ **وتدلوا بها إلى**

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يأكله بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغنى وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك. **الثالث**: أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور. **الرابع**: الخيانة وذلك في الوديعة والأمانة ونحو ذلك. وإنما عبر عن أخذ المال بالأكل لأنه المقصود الأعظم، ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس بمعنى يأخذها بغير حلها **﴿وتدلوا بها إلى الحكام﴾** أي وتلقوا أمور تلك الأموال التي فيها الحكومة إلى الحكام. قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم إلى الحكام وهو يعلم أن الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل: هو أن يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك. وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه إلى الحكام، وقيل: لا تدل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يحل حراماً وكان شريح القاضي يقول إني لأقضي لك وإني لأظنك ظالماً ولكن لا يسعني إلّا أن أقضي بما يحضرني من البينة وإن قضائي لا يحل لك حراماً (ق) عن أم سلمة «أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض» وفي رواية «ألحن بحجته من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها» قوله سمع جلبة خصم يعني أصوات خصم قوله ألحن بحجته، يقال: فلان ألحن بحجته من فلان أي أقوم بها منه وأقدر عليها، من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة **﴿لتأكلوا فريقاً﴾** أي طائفة وقطعة **﴿من أموال الناس بالإثم﴾** يعني بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور **﴿وأنتم تعلمون﴾** يعني أنكم على الباطل. قوله عز وجل:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

﴿يسألونك﴾ أي يا محمد **﴿عن الأهلة﴾** نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالا يا رسول الله

الحكّام ﴾، أي: تُلقوا أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكّام، وأصل الإدلاء إرسال الدلو، وإلقاؤه في البئر، يُقال: أدلى دلوه إذا أرسله، ودلاّه يدلوه إذا أخرجه قال ابن عباس: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بيّنة فيجحد المال، ويخاصم فيه الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه، وإنه أثم بمنعه قال مجاهد في هذه الآية: لا تخاصم وأنت ظالم، قال الكلبي هو أن يقيم شهادة الزور، وقوله: **﴿ وتدلوا ﴾** في محل الجزم بتكرير حرف النهي معناه، ولا تدلوا بها إلى الحكّام، وقيل: معناه ولا تأكلوا بالباطل وتنسبونه إلى الحكّام، قال قتادة: لا تدل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يُحلّ حراماً، وكان شُريح القاضي يقول: إني لأقضي لك وإني لأظنّك ظالماً، ولكن لا يسعني إلاّ أن أقضي لك بما يحضرني من البيّنة، وإن قضائي لا يُحلّ لك حراماً، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمَن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذنّه، فإنّما أقطع له قطعة من النار»، قوله تعالى: **﴿ لتأكلوا فريقاً ﴾**: طائفة **﴿ من أموال الناس بالإثم ﴾**: بالظلم، وقال ابن عباس: باليمين الكاذبة يقتطع بها مال أخيه، **﴿ وأنتم تعلمون ﴾**: أنكم مُبطلون.

قوله تعالى: **﴿ يسألونك عن الأهلّة ﴾**، نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالا: يا رسول الله

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يمتلىء نوراً، ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقاً كما بدا ولا يكون على حال واحدة فأنزل الله: ﴿**يسألونك عن الأهلة**﴾ وكان هذا سؤالاً منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة في تبيين حال الهلال في الزيادة والنقصان والأهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس أول ليلة من الشهر ﴿**قل هي مواقيت للناس**﴾ جمع ميقات، والمعنى أن فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس أوقات حجهم وصومهم وإفطارهم ومحل ديونهم وأجائرهم وعدد النساء وأوقات الحيض وغير ذلك من الأحكام المتعلقة بالأهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة ﴿**والحج**﴾ أي وللحج، وإنما أفرد الحج بالذكر وإن كان داخلاً في جملة العبادات لفائدة عظيمة وهي أن العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فأبطل الله ذلك من فعلهم وأخبر أن الحج مقصور على الأشهر التي عينها لفرض الحج بالأهلة، وأنه لا يجوز نقل الحج عن تلك الأشهر التي عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسيء ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها**﴾ (ق) عن البراء قال: نزلت هذه الآية فينا فكانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت: وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها، وفي رواية كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها فأنزل الله هذه الآية وقيل كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم لم يدخل حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من بابه، فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلماً يصعد منه، وإن كان من أهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك براً، وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم، سموا حمساً لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيتاً البتة ولم يستظلوا بظل، ثم إن رسول الله ﷺ دخل حائطاً فدخل رجل من الأنصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك،

ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يمتلىء نوراً، ثم يعودَ دقيقاً كما بدأ ولا يكون على حالة، فأنزل الله تعالى: ﴿ يسألونك عن الأهلّة ﴾، وهي جمع هلال، مثل رداء وأردية، سُمّي هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته، من قولهم استهلّ الصبي إذا صرخ حين يُولد، وأهلّ القوم بالحجّ إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، ﴿ قلْ هي مواقيتُ للناس والحجّ ﴾، جمع ميقات، أي: فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصوم والإفطار وآجال الديون وعُدد النساء وغيرها، فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة، ﴿ وليس البِرّ بأن تأتوا البُيوتَ مِنْ ظهورها ﴾، قال أهل التفسير: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة، لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه، فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج، أو يتّخذ سُلّماً فيصعد منه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يَحِلَّ من إحرامه، ويرون ذلك بِرّاً إلّا أن يكون من الحُمْسِ، وهم قريش وكنانة وخزاعة وثَقيف وخَيثم وبنو عامر بن صَعْصَعة وبنو نضر بن معاوية، سُمّوا أحمساً لتشدّدهم في دينهم، والحماسة الشدّة والصلابة، قالوا: فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار يُقال له: رفاعة بن التابوت على أثره من الباب، وهو محرم فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «لِمَ دخلت من الباب وأنت محرم؟» قال: رأيتك دخلت فدخلت على أثرك، فقال رسول الله ﷺ: «إني أحمسي»، فقال الرجل: إن كنت أحمسياً فإني أحمسي رضيتُ بهديك وسمتِك ودينك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال الزهري: كان ناس من الأنصار إذا أهلّوا بالعمرة لم يَحِلْ بينهم وبين السماء شيء، وكان الرجل يخرج مُهِلّاً بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما يخرج من بيته، فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت أن يحول بينه وبين السماء، فيفتح الجدار من ورائه ثم يقول في

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ثم إن رسول الله ﷺ دخل ذات يوم بيتاً فدخل على أثره رجل من الأنصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فأنكروا عليه فقال له رسول الله ﷺ لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال: رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله ﷺ إني أحمسي فقال الرجل إن كنت أحمسياً فأنا أحمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال الزهري كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يجعلوا بينهم وبين السماء شيئاً، وكان الرجل يخرج مهلاً بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت أن يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا أن رسول الله ﷺ أهلَّ زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الأنصار من بني سلمة على أثره فقال النبي ﷺ لم فعلت ذلك؟ قال: لأني رأيتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام: إني أحمسي فقال الأنصاري وأنا أحمسي يقول أنا على دينك فأنزل الله تعالى ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها**﴾ يعني في حال الإحرام وغيره ﴿**واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾.

وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

قوله عز وجل: ﴿**وقاتلوا في سبيل الله**﴾ أي في طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ﴿**الذين يقاتلونكم**﴾ كان في ابتداء الإسلام أمر الله رسوله ﷺ بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر إلى المدينة أمر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية. قال الربيع بن أنس: هذه أول آية نزلت في القتال ثم أمر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله تعالى: ﴿**وقاتلوا المشركين كافة**﴾.

حجرته فيأمر بحاجته، حتى بلغنا أن رسول الله ﷺ أهلّ زمن الحديبية بالعُمرة فدخل حُجرة فدخل رجل على أثره من الأنصار من بني سلمة فقال النبي ﷺ: «لِمَ فعلتَ ذلك؟» قال لأني رأيتُك دخلتَ، فقال رسول الله ﷺ: «إني أحمسي»، فقال الأنصاري وأنا أحمسي، يقول: وأنا على دينك، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وليس البِرُّ بأن تأتوا البيوت مِنْ ظُهورها** ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر « البيوت والغيوب والجيوب والعيوب وشيوخاً » بكسر أوائلهنّ، لمكان الياء، وقرأ الباقون بالضمّ على الأصل، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي « جيوب » بكسر الجيم، وقرأ أبو بكر وحمزة ﴿ **العيوب** ﴾ بكسر العين، ﴿ **ولكنّ البِرَّ مَن اتّقى** ﴾، أي: البِرُّ بِرّ مَن اتقى ﴿ **وأتوا البيوت من أبوابها** ﴾، في حال الإحرام، ﴿ **واتقوا الله لعلّكم تُفلحون** ﴾.

﴿ **وقاتلوا في سبيل الله** ﴾، أي: في طاعة الله، ﴿ **الذين يقاتلونكم** ﴾، كان في ابتداء الإسلام أمر الله تعالى رسول الله ﷺ بالكفّ عن قتال المشركين، ثم لمّا هاجر إلى المدينة أمره بقتال مَن قاتله منهم بهذه الآية، وقال الربيع بن أنس: هذه أول آية نزلتْ في القتال، ثم أمره بقتال المشركين كافّة، قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله: ﴿ **اقتلوا المشركين** ﴾ [التوبة: ٥]، فصارت في هذه الآية منسوخة بها، وقيل: نسخ بقوله: ﴿ **اقتلوا المشركين** ﴾ [التوبة: ٥] قريبٌ من سبعين آية. وقوله: ﴿ **ولا تعتدوا** ﴾، أي: لا تبدؤوهم بالقتال، وقيل: هذه الآية محكمة غير منسوخة، أُمر النبي ﷺ بقتال المقاتلين، ومعنى قوله: ﴿ **ولا تعتدوا** ﴾ أي: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان، ولا مَن ألقى إليكم السلام، هذا قول ابن عباس ومجاهد، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو بكر بن محمد بن سهل القهستاني، المعروف بأبي تراب أخبرنا محمد بن عيسى الطوسي، أنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وبقوله: ﴿اقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل إنها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين أعدوا أنفسهم للقتال، فأما من لم يعدَّ نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لأنهم لم يقاتلوكم، وهو قوله تعالى: ﴿ولا تعتدوا﴾ وقال ابن عباس ولا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من ألقى إليكم السلام (م) عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تعتدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً. قوله: ﴿ولا تغلوا﴾ الغلول الخيانة وهو ما يخفيه أحد الغزاة من الغنيمة وقوله: ﴿ولا تعتدوا﴾ أي ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الآية: لا تعتدوا أي لا تبدؤوهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس: لما صد المشركون رسول الله ﷺ عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف بالبيت، فلما تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء خافوا أن لا تفي قريش بما قالوا ويصدُّوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم، فأنزل الله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ فأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا بابتداء القتال ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ قوله عز وجل:

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾

﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ أي حيث وجدتموهم وأدركتموهم في الحل والحرم، وتحقيق القول فيه أن الله تعالى أمر بالجهاد في الآية الأولى بشرط إقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ أي وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ يعني أن شركهم بالله أشد وأعظم من قتلكم إياهم في

يحيىٰ بن بكير أنا الليث بن سعد عن جرير بن حازم عن شعبة، عن علقمة بن يزيد عن سليمان بن بُريدة عن أبيه قال: كان النبيّ ﷺ إذا بعث جيشاً قال: «اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا مَن كفر بالله لا تغلـوا، ولا تعتدوا ولا تقتلوا امرأةً ولا وليداً ولا شيخاً كبيراً»، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه للعمرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدّهم المشركون عن البيت الحرام، فصالحهم على أن يرجع عَامَه ذلك، على أن يخلوا له مكة العام القابل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت، فلما كان العام القابل تجهّز رسول الله وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تَفِي قريش بما قالوا، وأن يصدّوهم عن البيت الحرام، وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشهر الحرام وفي الحَرَم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾، يعني محرمين، ﴿ الذين يُقاتلونكم ﴾، يعني قريشاً ﴿ ولا تعتدوا ﴾ فتبدؤوا بالقتال في الحرم محرمين، ﴿ إنّ الله لا يُحبّ المعتدين ﴾.

﴿ واقْتُلوهم حيثُ ثَقِفْتُموهم ﴾، قيل: نسختِ الآية الأولى بهذه الآية، وأصل الثقافة: الحِذْقُ والبصر بالأمر، ومعناه: واقتلوهم حيث أبصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم، ﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾، وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة، فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم، ﴿ والفتنة أشدّ من

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الحرم والإحرام وإنما سمي الشرك بالله فتنة لأنه فساد في الأرض يؤدي إلى الظلم. وإنما جعل أعظم من القتل لأن الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك، والكفر يخرج صاحبه من الأمة وليس القتل كذلك فثبت أن الفتنة أشد من القتل ﴿**ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه**﴾ اختلف العلماء في هذه الآية فذهب مجاهد في جماعة من العلماء إلى أنها محكمة وأنه لا يحل أن يقاتل في المسجد الحرام إلاّ من قاتل فيه وهو قوله: ﴿**فإن قاتلوكم فاقتلوهم**﴾ أي فقاتلوهم، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن مكة لا تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة» فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم إلاّ أن يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعاً لهم وذهب قتادة إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿**اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ فأمر بقتالهم في الحل والحرم. وقيل إنها منسوخة بقوله: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**﴾ ﴿**كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا**﴾ يعني عن القتال. وقيل عن الشرك والكفر ﴿**فإن الله غفور**﴾ يعني لما سلف ﴿**رحيم**﴾ يعني بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة ﴿**وقاتلوهم**﴾ أي وقاتلوا المشركين ﴿**حتى لا تكون فتنة**﴾ أي شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني إلاّ الإسلام والقتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما أن أهل الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع وأحكام يرجعون إليها وإن كانوا قد حرفوا وبدلوا فأمهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وأمر بإصغارهم وأخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمني أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فأسلموا، وأما عبدة الأصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون إليه ويرشدهم إلى الحق فكان إمهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فأبى الله عز وجل أن يرضى منهم إلاّ بالإسلام أو القتل

﴿ **القتل** ﴾، يعني: شركهم بالله عزّ وجلّ أشدّ وأعظم من قتلكم إياهم في الحرم والإحرام، ﴿ **ولا تُقاتِلُوهم عند المَسْجِدِ الحَرامِ حتى يُقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم** ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿ **ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم** ﴾، بغير ألف فيهنّ من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم، تقول العرب: قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، وقرأ الباقون بالألف من القتال وكان هذا في ابتداء الإسلام، كان لا يَحِلُّ بدايتهم بالقتال في البلد الحرام، ثم صار منسوخاً بقوله تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ [البقرة: ١٩٣] هذا قول قتادة، وقال مقاتل بن حبّان: قوله: ﴿ **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** ﴾، أي: حيث أدركتموهم في الحِلّ والحرم، صارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام** ﴾، ثم نسختها آية السيف في براءة، فهي ناسخة منسوخة، وقال مجاهد وجماعة: هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، ﴿ **كذلك جزاء الكافرين** ﴾.

﴿ **فإن انتهوا** ﴾، عن القتال والكفر، ﴿ **فإنّ الله غفورٌ رحيم** ﴾، أي غفورٌ لِما سَلَفَ رحيم بالعباد.

﴿ **وقاتلوهم** ﴾، يعني: المشركين، ﴿ **حتى لا تكون فتنة** ﴾، أي شرك، يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلاّ الإسلام فإن أبى قُتل، ﴿ **ويكونَ الدينُ** ﴾، أي: الطاعة والعبادة ﴿ **لله** ﴾ وحده فلا يُعبد شيءٌ دونه، قال نافع: جاء رجل إلى ابن عمر في فتنة ابن الزبير، فقال: ما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله حرّم دم أخي، قال: ألا تسمع ما ذكره الله عزّ وجلّ: ﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ [الحجرات: ٩]، فقال: يا ابن أخي ولأن اعتبر بهذه الآية ولا أقاتل أحبّ إليّ من أن أعتبر بالآية التي يقول الله عزّ وجلّ فيها: ﴿ **وَمَن يقتل مؤمناً متعمّداً** ﴾ [النساء: ٩٣]. . . . قال: ألَمْ يقلِ الله: ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** ﴾؟ قال: فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذْ كان الإسلام قليلاً، وكان الرجل يُفتن في دينه ما يقتلونه أو يعذبونه، حتى كثر الإسلام فلم تكون فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوهم حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله. وعن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عمر كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: هل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿ويكون الدين لله﴾ أي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شيء ﴿فإن انتهوا﴾ يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر ﴿فلا عدوان﴾ أي فلا سبيل ﴿إلّا على الظالمين﴾ قاله ابن عباس فعلى القول الأول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الآخر الآية محكمة. وقيل: معناه فلا تظلموا إلّا الظالمين، سمي جزاء الظالمين ظلماً على سبيل المشاكلة، وسمي الكافر ظالماً لوضعه العبادة في غير موضعها. قوله عز وجل:

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾

﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ نزلت في عمرة القضاء وذلك أن النبي ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضي عمرته فانصرف رسول الله ﷺ ثم رجع في ذي القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى: ﴿الشهر الحرام﴾ يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم ﴿بالشهر الحرام﴾ الذي صددتم فيه عن البيت ﴿والحرمات﴾ جمع حرمة وإنما جمعت لأنه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الإحرام ﴿قصاص﴾ القصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل، والمعنى أنهم لما منعوكم عن العمرة وأضاعوا هذه الحرمات في سنة ست، فقد وفقتم حتى قضيتموها على رغمهم في سنة سبع. وقيل: هذا في القتال، ومعناه: فإن بدؤوكم بالقتال في الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فإنه قصاص ﴿فمن اعتدى عليكم﴾ أي بالقتال ﴿فاعتدوا عليه﴾ أي فقاتلوه ﴿بمثل ما اعتدى عليكم﴾ سمي الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ قوله عز وجل:

الدخول عليهم فتنة، وليس قتالكم كقتالهم على الملك، ﴿ فإن انتهوا ﴾: عن الكفر وأسلموا، ﴿ فلا عُدْوَان ﴾، فلا سبيل ﴿ إلّا على الظالمين ﴾، قاله ابن عباس، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ أيَّما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ ﴾ [القصص: ٢٨] أي: فلا سبيل عليَّ، وقال أهل المعاني: العدوان: الظلم، أي: فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل، إلّا على الظالمين الذين بقوا على الشرك، وما يفعل بأهل الشرك من هذه الأشياء لا يكون ظلماً، وسمّاه عدواناً على طريق المجازات والمقابلة، كما قال: ﴿ فمَن اعتدَى عليكم فاعْتَدُوا عليه ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وكقوله تعالى: ﴿ وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلها ﴾ [الشورى: ٤٠]، وسُمّي الكافرُ ظالماً لأنه يضع العبادة في غير موضعها.

﴿ الشهرُ الحرامِ بالشهر الحرام ﴾، نزلت هذه الآية في عُمْرَةِ القضاء، وذلك أنّ النبي ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة فصدّه المشركون عن البيت بالحديبية، فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام المقبل فيقضين عمرته، فانصرف رسول الله ﷺ عامه ذلك، ورجع في العام القابل في ذي القعدة، وقضى عمرته سنة سبعٍ من الهجرة، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿ الشهرُ الحرام ﴾ يعني ذي القعدة الذي دخلتم فيه مكة، وقضيتم فيه عُمرتَكم سنة سبع، بالشهر الحرام يعني: ذا القعدة الذي صُددتم فيه عن البيت سنةَ ستٍّ، ﴿ والحُرمات قِصاص ﴾: جمع حرمة، وإنما جمعها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام، وحرمة الإحرامِ والقِصاص: المساواة والمماثلة، وهو أن يُفعل بالفاعل مثل ما فعل، وقيل: هذا في أمر القتال، معناه: إن بدءوكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه، فإنه قصاص بما فعلوا فيه، ﴿ فمَن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾، وقاتلوه ﴿ بمثل ما اعتدَى عليكم ﴾، سُمّي الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام، كقوله تعالى: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾

﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ يعني به الجهاد وذلك أن الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج إلى الانفاق فأمر به، والإنفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالإنفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفي الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لأن كل ذلك مما هو في سبيل الله لكن إطلاق هذه اللفظة ينصرف إلى الجهاد (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً واحتساباً لله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة» يعني حسنات. عن خريم بن فاتك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف» أخرجه الترمذي والنسائي ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ قيل: الباء زائدة ومعناه لا تلقوا أيديكم إلى التهلكة، والمراد بالأيدي الأنفس والمعنى ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة، عبر بالأيدي عن الأنفس، وقيل الباء على أصلها وفي الكلام حذف تقديره: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، كما يقال: أهلك فلان نفسه بيده، إذا تسبب في هلاكها وقيل التهلكة كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه، ومعنى الآية النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لأنه سبب الإهلاك قال ابن عباس: أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلّا سهم أو مشقص ولا يقول أحدكم لا أجد شيئاً. السهم هنا هو ما يرمى به، والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فإمّا أن ينقطع بهم وإما أن يكونوا عالة فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلقي نفسه في التهلكة وهو أنه يهلك من الجوع والعطش والمشي. وقيل نزلت الآية في ترك الجهاد (ت) عن أبي عمران واسمه أسلم قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا لنا صفاً عظيماً من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح

قوله تعالى: ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ﴾، أراد به الجهاد وكل خير هو في سبيل الله، ولكنّ إطلاقه ينصرف إلى الجهاد، ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾، قيل: الباء في قوله تعالى: ﴿ بأيديكم ﴾ زائدة، يُريد: ولا تلقوا أيديكم، أي: أنفسكم إلى التهلكة عبّر عن الأنفس بالأيدي، كقوله تعالى: ﴿ بما كسبتْ أيديكم ﴾ [الشورى: ٣٠] أي: بما كسبتم، وقيل: الباء في موضعها، وفيه حذف، أي: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، أي الهلاك، وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك، أي: ولا تأخذوا في ذلك، وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه، والعرب لا تقول للإنسان: ألقَى بيده إلّا في الشر، واختلفوا في تأويل هذه الآية، فقال بعضهم: هذا في البخل وترك الإنفاق، يقول: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بترك الإنفاق في سبيل الله، وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء، وقال ابن عباس في هذه الآية: أنفقْ في سبيل الله وإنْ لم يكن لك إلّا سهم أو مِشْقَص، ولا يقولنّ أحدُكم: إنّي لا أجد شيئاً، وقال السدي فيها: أنفقْ في سبيل الله ولو عِقالاً ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة، ولا تقلْ: ليس عندي شيء، وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حبّان: لمّا أمر الله تعالى بالإنفاق قال رجال: أُمرنا بالنفقة في سبيل الله، ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء، فأنزل الله هذه الآية، وقال مجاهد فيها: لا يمنعكم من نفقة في حقّ خِيفةَ العِيْلَة، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، أخبرنا أبو غسان، أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي، أخبرنا واصل مولى أبي عتبة عن بشّار بن أبي سيف، عن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الناس. سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: «أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا:

﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم» وقال حديث غريب صحيح مات أبو أيوب في آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية ودفن في أصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق» قال ابن المبارك فنرى أن ذلك كان على عهد النبي ﷺ. وقيل الإلقاء إلى التهلكة هو أن يقنط من رحمة الله، وهو أن الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصي فهو القنوط فنهى الله عن ذلك. وقيل في معنى الآية: أنفقوا في سبيل الله ولا تقولوا إنا نخاف الفقر إن أنفقنا فنهلك فنهوا أن يجعلوا أنفسهم هالكين بالإنفاق (خ) عن حذيفة قال: أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال نزلت في النفقة ﴿وأحسنوا﴾ أي بالإنفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل أحسنوا في الإنفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا، نهوا عن الإسراف والإقتار في الإنفاق وقيل معناه: وأحسنوا في أداء فرائض الله تعالى ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ أي يثيبهم على إحسانهم. قوله عز وجل:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ

الوليد بن عبد الرحمن عن عياض بن غضيف قال: أتينا أبا عُبيدة نعوده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أنفق نفقةً فاضلةً في سبيل الله، فبسبعمائة، ومَن أنفق نفقةً على أهله فالحسنة بعشر أمثالها»، وقال زيد بن أسلم: كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة، فإما أن يُقطع بهم وإما أن يكونوا عيالاً، فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله، ومَن لم يكن عنده شيء ينفقه، فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيُلقي بيده إلى التهلكة، فالتهلكة: أن يهلك من الجوع والعطش أو بالمشي، وقيل: نزلت الآية في ترك الجهاد، قال أبو أيوب الأنصاري: نزلت فينا معشر الأنصار، وذلك أن الله تعالى لمّا أعزّ ونصر رسوله، قلنا فيما بيننا: إنّا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله نبيَّه فلو رجعنا إلى أهلنا وأموالنا فأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى: ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾، فالتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية، فتوفي هناك ودُفن في أصل سور القسطنطينية، وهم يُستسقون به، ورُوِيَ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن مات ولم يغزُ ولم يحدِّث نفسه بالغزوِ ماتَ على شعبة من النفاق»، وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى، قال أبو قُلابة: هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة، فييأس من رحمة الله وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك قال الله تعالى: ﴿ إنه لا يَيْأَسُ من روح الله إلّا القومُ الكافرون ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿ وأحسنوا إنّ الله يُحبّ المحسنين ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ قال ابن عباس وهو أن يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقيل هو أن تفرد لكل واحد منهما سفراً وقيل إتمامها أن تكون النفقة حلالاً وتنتهي عما نهى الله عنه. وقيل إتمامها أن تخرج من أهلك لهما لا للتجارة ولا لحاجة. وقيل إذا شرع فيهما وجب عليه الإتمام.

فصل

واتفقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع إليه سبيلاً (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم» وفي وجوب العمرة قولان للشافعي أصحهما إنها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد وإليه ذهب أحمد بن حنبل، والقول الثاني إنها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وإبراهيم والشعبي وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة. حجة من أوجب العمرة ما روي في حديث الضبي بن معبد أنه قال لعمر بن الخطاب إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين عليّ وإني أهلك بهما فقال أهديت لسنة نبيك محمد ﷺ أخرجه أبو داود والنسائي بأطول من هذا وجه الدليل أنه أخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين أنه مهتد بما رآه في وجوبهما عليه لسنة النبي ﷺ.

وروي عن ابن عباس أنها كقرينها في كتاب الله: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ وعن ابن عمر قال: «الحج

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وأتِمُّوا الحجَ والعُمْرَةَ لله ﴾، قرأ علقمة وإبراهيم النخعي: ﴿ وأقيموا الحج والعمرة لله ﴾، واختلفوا في إتمامها فقال بعضهم: هو أن يُتِمَّهُمَا بمناسِكِهِما وحُدودِهما وسُننهما، وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم النخعي ومجاهد، وأركان الحج خمسة: الإحرام، والوقوف بعَرَفَة، وطواف الزيارة، والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس أو التقصير، وللحج تحلّلان، وأسباب التحلّل ثلاثة: رمي جمرة العقبة يوم النحر، وطواف الزيارة، والحلق، فإذا وُجد شيئان من هذه الأشياء الثلاثة حصل التحلّل الأول، وبالثلاث حصل التحلّل الثاني، وبعد تحلّل الأول يستبيحُ جميعَ محظوراتِ الإحرام إلّا النساء، وبعد الثاني يستبيح الكل، وأركان العمرة أربعة: الإحرام، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والحلق. قال سعيد بن جبير وطاوس: تمام الحج والعمرة أن تُحرم بهما مُفردَين مستأنفَين من دُوَيْرِيَةِ أهلك، وسُئل عليّ بن أبي طالب عن قوله تعالى: ﴿ وأتمّوا الحج والعمرة لله ﴾، قال: أن تحرم بهما من دُوَيْرِيَةِ أهلك، ومثله عن ابن مسعود قال قتادة: تمام العُمرة أن تعمر في غير أشهر الحج، فإن كانت في أشهر الحج ثم أقام حتى حجّ فهي تمتعه، وعليه فيه الهَدِي إن وجدَه أو الصيام إنْ لم يجدِ الهَدْي، وتمام الحج أن يُؤتى بمناسكه كلها حتى لا يلزمه عمّا ترَكَ دمٌ بسبب قِرانٍ ولا مِتْعَةٍ، وقال الضحّاك: إتمامهما أن تكون النفقة حلالاً وينتهي عمّا نهى الله عنه، وقال سفيان الثّوري: إتمامهما أن تخرج من أهلك لهما، ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة أخرى، قال عمر بن الخطاب: الوفد كثير والحاجّ قليل، واتفقتِ الأمةُ على وجوب الحج على مَن استطاع إليه سبيلاً، واختلفوا في وجوب العُمْرةِ، فذهب أكثر أهل العلم إلى وجوبها وهو قول عمر، وعلي وابن عمر، وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: والله إن العمرة لقرينة الحج في كتاب الله، ﴿ وأتِمّوا الحج

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

والعمرة فريضتان» وعنه: «ليس أحد من خلق الله إلاّ وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع إلى ذلك سبيلاً» وعن ابن عباس قال: «العمرة واجبة كوجوب الحج» وعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب إلاّ الجنة» أخرجه النسائي والترمذي وزاد: «وما من مؤمن يظل يومه محرماً إلاّ غابت الشمس بذنوبه» وقال حديث حسن صحيح. وجه الدليل أنه أمر بالمتابعة بين الحج والعمرة والأمر للوجوب ولأنها قد نظمت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة كالحج، وحجة من قال بأنها سنة ما روي عن جابر قال: «سئل رسول الله ﷺ عن العمرة أواجبة هي؟ قال: لا وأن تعتمروا خير لكم» أخرجه الترمذي. وأجيب عنه بأن هذا الحديث يرويه حجاج بن أرطأة وحجاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجتمعت الأمة على جواز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أنواع إفراد وتمتع وقران فصورة الإفراد أن يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من أدنى الحل أو يعتمر قبل أشهر الحج ثم يحج في تلك السنة. وصورة التمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويأتي بأعمالها فإذا فرغ من أعمالها أحرم بالحج من مكة في تلك السنة وإنما سمي تمتعاً لأنه يستمتع بمحظورات الإحرام بعد التحلل من العمرة إلى أن يحرم بالحج. وصورة القرآن أن يحرم بالحج والعمرة معاً في أشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو أحرم بالعمرة في أشهر الحج ثم أدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارناً. واختلفوا في الأفضل فذهب مالك والشافعي إلى أن الإفراد أفضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أفرد الحج، أخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال: أهللنا مع رسول الله ﷺ الحج مفرداً، وفي رواية إن رسول الله ﷺ أهل بالحج مفرداً، وله عن جابر قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ ونحن نصرخ بالحج صراخاً. وعن ابن عمر قال: افصلوا بين حجكم وعمرتكم فإن ذلك أتم لحج أحدكم وأتم لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحج.

والعمرة لله ﴾، وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والحسن وقتادة وسعيد بن جُبير، وإليه ذهب الثّوري والشافعي في أصحّ قوليه، وذهب قوم إلى أنها سُنّة، وهو قول جابر وبه قال الشعبي، وإليه ذهب مالك وأهل العراق وتأوّلوا قوله تعالى: ﴿ وأتمّوا الحج والعمرة لله ﴾، على معنى أتمّوهما إذا دخلتم فيها، أمّا ابتداء الشروع فيها فتطوّع، واحتجّ مَن لم يوجبها بما رُوِيَ عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ عن العمرة أواجبة هي؟ فقال: «لا وإن تعتمرُوا خيرٌ لكم»، والقول الأول أصحّ، ومعنى قوله: ﴿ وأتمّوا الحجّ والعمرة لله ﴾ أي: ابتدؤوهما فإذا دخلتم فيهما فأتمّوهما فهو أمر بالإبداء والإتمام، أي: أقيموهما، كقوله تعالى: ﴿ ثم أتمّوا الصِّيامَ إلى الليل ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي: ابتدؤوه وأتمّوه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا ابن أبي شيبة، أخبرنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم، عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكيرُ خَبثَ الحديدِ والذهبِ والفضةِ، وليس للحج المبرور جزاء إلّا الجنة»، وقال ابن عمر: ليس من خلق الله أحد إلّا وعليه حجّة وعُمرة واجبتان إن استطاع إلى ذلك سبيلاً كما قال الله تعالى: ﴿ وأتمّوا الحج والعمرة لله ﴾، فمَن زاد بعد ذلك فهو خير تطوّع، واتفقت الأمة على أنه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه: الإفراد والتمتّع والقِرَان، فصورة الإفراد أن يُفرد الحج، ثم بعد الفراغ منه يعتمر، وصورة التمتّع: أن يعتمر في أشهر الحج ثم بعد الفراغ من أعمال العمرة يُحرم بالحج من مكة، فيحجّ في هذا العام، وصورة القِرَان أن يُحرم بالحج والعمرة معاً، أو يحرم بالعمرة ثم يُدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف، فيصير قارناً، واختلفوا في الأفضل من هذه الوجوه، فذهب جماعة إلى أن الإفراد أفضل، ثم التمتّع ثم القِرَان، وهو قول مالك والشافعي، لِما أخبرنا أبو الحسن السرخسي،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أخرجه مالك في الموطأ وذهب الثوري وأبو حنيفة إلى أن القران أفضل يدل عليه ما روي عن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يلبي بالحج والعمرة جميعاً وفي رواية سمعت رسول الله ﷺ يقول لبيك عمرة وحجاً، أخرجاه في الصحيحين. وذهب أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه إلى أن التمتع أفضل، يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال: «تمتع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان فأول من نهى عنهما معاوية» أخرجه الترمذي (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدأ رسول الله ﷺ فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله ﷺ بالعمرة إلى الحج وكان من الناس من أهدى ومنهم لم يهد فلما قدم رسول الله ﷺ مكة قال للناس من كان منكم أهدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، وطاف رسول الله ﷺ حين قدم مكة فاستلم الركن أول شيء ثم خب ثلاثة أطواف من السبع ومشى أربعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله ﷺ من أهدى فساق الهدي من الناس». اختلفت الروايات في حجة النبي ﷺ هل كان مفرداً أو متمتعاً أو قارناً؟ وهي ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعاً وادّعت أن حجة النبي ﷺ كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته ﷺ أنه كان أولاً مفرداً ثم إنه ﷺ أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارناً فمن روى أنه كان مفرداً فهو الأصل ومن روي القرآن اعتمد آخر الأمر ومن روي التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقرآن كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد، وبهذا أمكن الجمع بين الأحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف

أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة بن الزبير عن عائشة أُمّ المؤمنين أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حَجّة الوداع فمنّا مَن أهلّ بعمرة، ومنّا مَن أهلّ بحج وعُمرة، ومنّا مَن أهلّ بحج، وأهلّ رسول الله ﷺ بالحج، فأمّا مَن أهلّ بالعمرة فحلّ وأمّا مَن أهلّ بالحج أو جمع بين الحج والعمرة، فلن يَحِلّ حتى كان يوم النحر، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جُريج عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر وهو يحدّث عن حَجّة النبي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا ننوي إلّا الحج، ولا نعرف غيره ولا نعرف العُمرة، ورُوِيَ عن ابن عمر أن النبي ﷺ أفرد الحج، وذهب قوم إلى أن القِرَان أفضل، وهو قول الثّوري وأصحاب الرأي واحتجّوا بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا محمد بن هشام بن ملاس النميري أخبرنا مروان بن معاوية الفراري أخبرنا حميد قال أنس بن مالك أهلّ رسول الله ﷺ فقال: «لبّيك بحَجّة وعُمرة»، وذهب قوم إلى أنّ التمتّع أفضل، وهو قول أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه، واحتجّوا بما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا يحيىٰ بن بكير، أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر قال: تمتّع رسول الله ﷺ في حَجّة الوداع بالعمرة إلى الحج، فساق معه الهدي من ذي الحُلَيْفَة، وبدأ رسول الله ﷺ فأهلّ بالعمرة ثم أهلّ بالحج، فتمتّع الناس مع النبي ﷺ بالعُمرة إلى الحج، فكان من

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الحديث كلاماً موجزاً في ذلك فقال إن أصحاب رسول الله ﷺ كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكل إليه على معنى أنه أمر به وأذن فيه ويجوز في لغة العرب إضافة الفعل إلى الأمر به كما تجوز إضافته إلى فاعله كما يقال بنى فلان داره وأريد به أنه أمر ببنائها وكما يروى: «أن النبي ﷺ رجم ماعزاً» وإنما أمر برجمه، واختار الشافعي الإفراد واحتج في ترجيحه بأنه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم، فأما جابر فهو أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فإنه ذكرها من حين خرج النبي ﷺ من المدينة إلى آخرها فهو أضبط لها من غيره، وأما ابن عمر فصح عنه أنه كان آخذاً بخطام ناقة النبي ﷺ في حجة الوداع وإنما سمعه يلبي بالحج. وأما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن أحوال رسول الله ﷺ وأما عائشة فقربها من رسول الله ﷺ معروف وإطلاعها على باطن أمره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها، ومن دلائل ترجيح الإفراد أن الخلفاء الراشدين أفردوا الحج بعد رسول الله ﷺ وواظبوا عليه. وأركان الحج خمسة الإحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير في أصح القولين. وأركان العمرة أربعة: الإحرام والطواف والسعي والحلق أو التقصير، وبهذه الأركان تمام الحج والعمرة.

قوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم﴾ أصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق، ثم اختلف أهل اللغة في الحصر والإحصار فقيل إذا رد الرجل عن وجه يريده فقد أحصر، وإذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت أحصره المرض إذا منعه من السفر أو حاجة يريدها وحصره العدو إذا ضيق عليه. وقال الزجاج: الرواية عن أهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف أو المرض أحصر والمحبوس حصر، وقال ابن قتيبة في قوله: ﴿فإن أحصرتم﴾ هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عد ويقال أحصر فهو محصر فإن حبس في دار أو سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم إلى أنهما بمعنى واحد. قال الزجاج: يقال الرجل من حصرك هنا ومن أحصرك وقال

الناس مَن أهدى فساق الهدِي، ومنهم مَن لم يهدِ فلما قَدِمَ النبي ﷺ مكةَ قال للناس: «مَن كان منكم أهدَى فإنه لا يَحِلُّ من شيء حَرُم منه، حتى يقضي حجّه، ومَن لم يكن منكم أهدَى فليَطُفْ بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويُقصِّر وليتحلّل، ثم ليهلّ بالحج فمَن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله»، فطاف حين قَدِمَ مكة واستلم الركن أول شيء، ثم خبَّ ثلاثة أشواط ومشى أربعاً فركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين، ثم سلّم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط ثم لم يتحلّل من شيء حَرُم منه حتى قضى حَجّه ونحر هديه يوم النحر، وأفاض فطاف بالبيت ثم حلّ من كل شيء حرم منه، وفعل مثل ما فعل رسول الله ﷺ مَنْ أهدى وساق الهدي من الناس، وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أخبرته عن النبي ﷺ في تمتّعه بالعمرة إلى الحج، فتمتّع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: قد اختلف الرواة في إحرام النبي ﷺ، كما ذكرنا وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الأحاديث كلاماً موجزاً أن أصحاب رسول الله ﷺ كان منهم المفرد والقارن والمتمتّع، وكلٌّ كان يأخذ منه أمر نُسكه ويصدر عن تعليمه، فأُضيف الكل إليه على معنى أنه أمر به وأذن فيه، فيجوز في لغة العرب إضافة الفعل إلى الأمر به، كما يجوز إضافته إلى الفاعل له كما يقال: بنَى فلان داراً وأُريد أنه أمر ببنائها، وكما رُوِيَ أن النبي ﷺ رجم ماعزاً، وإنّما أمر برجمه، واختار الشافعي الإفراد، لرواية جابر وعائشة وابن عمر وقدّمها على رواية غيرهم لتقدّم صحبة جابر النبيَّ ﷺ، وحُسن سياقه لابتداء قصة حَجّة الوداع وآخرها، ولفضل حفظ عائشة، وقرب ابن عمر من النبي ﷺ، وقال الشافعي في اختلاف الأحاديث إلى التمتّع، وقال: ليس شيء من الاختلاف أيسر من هذا، وإن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أحمد بن يحيى أصل الحصر والإحصار الحبس وحصر في الحبس أقوى من أحصر وقيل الإحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال إلاّ في المنع الباطن وأما قوله ﴿فإن أحصرتم﴾ فمحمول على الأمرين وبحسب اختلاف أهل اللغة في معناها اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم إلى أن كل مانع من عدو أو مرض أو ذهاب نفقة فإنه يبيح له التحلل من إحرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة ويدل عليه ما روي عن عكرمة قال حدّثني الحجاج بن عمرو قال قال: رسول الله ﷺ: «من كسر أو عرج فقد حلّ وعليه حجة أخرى» قال عكرمة: فذكرت ذلك لأبي هريرة وابن عباس فقالا: صدق، أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم إلى أنه لا يباح له التحلل إلاّ بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس وبه قال مالك والليث والشافعي وأحمد وقالوا الحصر والإحصار بمعنى واحد واحتجوا بأن نزول الآية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبساً من جهة العدو لأن كفار مكة منعوا النبي ﷺ وأصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي ﷺ من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه أيضاً سياق الآية وهو قوله: ﴿فإذا أمنتم﴾ والأمن لا يكون إلاّ من خوف وثبت عن ابن عباس أنه قال لا حصر إلاّ حصر العدو فثبت بذلك أن المراد من الإحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره. وأجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بأنه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه إحرامه ويدل على جواز الاشتراط في الإحرام ما روي عن ابن عباس أن ضباعة بنت الزبير أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني أريد الحج أفأشترط؟ قال نعم قالت كيف أقول؟ قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الأرض حيث تحبسني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. ولغيره أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي ﷺ: حجي واشترطي وقولي اللهم محلى حيث حبستني فذهب الشافعي وأحمد وإسحاق إذا اشترط في الحج فعرض له مرض أو عذر أن يتحلل ويخرج من إحرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الرأس وهو المراد من قوله تعالى: ﴿فما استيسر من الهدي﴾ ومعنى الآية فإن أحصرتم دون تمام

كان الغلط فيه قبيحاً من جهة أنه مُباح، لأن الكتاب ثم السُّنّة ثم ما لا أعلم فيه خلافاً يدلّ على أن التمتّع بالعمرة إلى الحج وإفراد الحج والقِرَان واسع كله، أي التمتّع والإفراد والقِرَان، وقال مَن قال إنه إفراد الحج يشبه أن يكون قاله على ما يعرف من أهل العلم الذين أدركوا دَوْرَ رسول الله ﷺ أن أحداً لا يكون مقيماً على الحج إلاّ وقد ابتدأ إحرامه بالحج، قال شيخنا الإمام ومما يدلّ على أنه كان متمتعاً أن الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة، وقد روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال: تمتع رسول الله ﷺ في حَجّة الوداع بالعمرة إلى الحج، وقال ابن شهاب عن عروة: إنّ عائشة أخبرته عن النبيّ ﷺ في تمتعه بالعمرة إلى الحج، فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «هذه عمرة استمتعنا بها»، وقال سعد بن أبي وقاص في المتعة: صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه، قال شيخنا الإمام: وما رُوِيَ عن جابر أنه قال: خرجنا لا ننوي إلاّ الحج لا ينافي التمتّع، لأن خروجهم كان لقصد الحج، ثم منهم مَن قدّم العمرة ومنهم مَن أهلّ بالحج إلى أن أمره النبي ﷺ أن يجعله متعة. قوله تعالى: ﴿ فإن أُحصرتم ﴾، اختلف العلماء في الإحصار الذي يُبيح للمحرم التحلّل، من إحرامه، فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمضي في إحرامه من عدوٍ أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة يُبيح له التحلّل، وبه قال ابن مسعود، وهو قول إبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعُروة بن الزبير، وإليه ذهب سفيان الثّوري وأهل العراق، وقالوا: إن الإحصار في كلام العرب هو: حبس العلّة أو المرض، وقال الكسائي وأبو عبيدة: ما كان من مرض أو ذهاب نفقة، يقال: منه أُحصر فهو مُحصرٌ، وما كان من حبس عدوٌ أو سجن يُقال: منه حُصر فهو مَحصُور، إنما جعل ههنا حبس العدو إحصاراً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الحج أو العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدى إلى البيت وأعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة. قال ابن عباس: شاة لأنه أقرب إلى اليسر، ومحل ذبح هدي المحصر حيث أحصر وإليه ذهب الشافعي لأن النبي ﷺ ذبح الهدي عام الحديبية بها، وذهب أبو حنيفة إلى أنه يقيم على إحرامه ويبعث بهديه إلى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت.

﴿**ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله**﴾ أي مكانه الذي يجب أن يذبح فيه، وفيه قولان أحدهما أنه الحرم فإن كان حاجاً فمحله يوم النحر وإن كان معتمراً فمحله يوم يبلغ هديه إلى الحرم وهو قول أبي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث أحصر سواء كان في الحل أو في الحرم، ومعنى محله يعني حيث يحل ذبحه وأكله وهو قول مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله ﷺ وحلق رأسه، أخرجه البخاري.

قوله عز وجل: ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه**﴾ معناه ولا تحلقوا رؤوسكم في حال الإحرام إلاّ أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو أذى وهو القمل أو الصداع ﴿**ففدية**﴾ فيه إضمار تقديره فحلق رأسه فعليه فدية، نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال: أتى على رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال: أيؤذيك هوام رأسك؟ قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك نسيكة لا أدري بأي ذلك بدأ وفي رواية قال نزلت هذه الآية: ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك**﴾ وذكر نحوه وفي أخرى أن رسول الله ﷺ مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وذكره، وفي أخرى أن النبي ﷺ قال له: ما كنت أرى أن الوجع بلغ منك ما أرى أو ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك ما أرى أتجد شاة؟ قلت لا قال: فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع». قال كعب فنزلت في خاصة وهي لكم عامة ومعنى قوله تعالى ﴿**ففدية من صيام**﴾ أي صوم ثلاثة أيام ﴿**أو**

قياساً على المرض إذا كان في معناه، واحتجّوا بما رُوِيَ عن عكرمة عن الحجّاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن كُسرَ أو عَرجَ فقد حلّ عليه الحج من قابل»، قال عكرمة: فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا: صدق، وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحلّل إلاّ بحبس العدو، وهو قول ابن عباس، وقال: لا حصر إلاّ حصر العدو، ورُوِيَ معناه عن ابن عمر وعبد الله بن الزبير، وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحق، وقالوا: الحصر والإحصار بمعنى واحد، وقال ثعلب: تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته، فهو محصور، وأحصره العدو إذا منعه عن السير هو محصر، واحتجّوا بأن نزول هذه الآية في قصة الحديبية كان ذلك حبساً من جهة العدو، ويدلّ عليه قوله تعالى في سياق الآية: ﴿ **فإذا أمنتم** ﴾، والأمن يكون من الخوف، وضعفوا حديث الحجّاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو، وتأوّله بعضهم على أنه إنما يحلّ بالكسر والعرج إذا كان قد شرط ذلك في عقد الإحرام، كما رُوِيَ أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي ﷺ: «حُجّي واشترطي وقولي اللّهمّ مَحِلّي حيث حبستني»، ثم المحصر يتحلّل بذبح الهدي وحلق الرأس، والهدي بشاة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ ومحل ذبحه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم، لأن النبي ﷺ ذبح الهدي عام الحديبية بها، وذهب قوم إلى أن المحصر يقيم على إحرامه، ويبعث بهديه إلى الحَرَم ويُواعد مَن يذبحه هناك ثم يحلّ، وهو قول أهل العراق، واختلف القول في المحصر إذا لم يجد هدياً ففي قول: لا بدل له فيتحلّل والهدي في ذمته إلى أن يجده، والقول الثاني: له بدل، فعلى هذا اختلف القول فيه، ففي قول: عليه صوم التمتّع، وفي قول: تقوّم الشاة بدراهم ويجعل الدراهم طعاماً فيتصدّق به، فإن عجز عن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

صدقة﴾ يعني إطعام ثلاثة أصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع ﴿أو نسك﴾ واحدتها نسيكة أي ذبيحة وأعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة وهذه الفدية على التخيير إن شاء ذبح أو صام أو تصدق وكل هدي أو طعام يلزم المحرم فإنه لمساكين الحرم إلاّ هدي المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر. وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء.

قوله تعالى: ﴿فإذا أمنتم﴾ يعني من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل إذا أمنتم من الإحصار ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ قال ابن الزبير معناه فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من إحرامه بعمل عمرة فاستمتع بإحلاله ذلك بتلك العمرة إلى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام المقبل وقيل معناه فإذا أمنتم وقد أحللتم من إحرامكم بعد الإحصار ولم تعتمروا في تلك السنة ثم اعتمرتم في السنة القابلة في أشهر الحج ثم أحللتم فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدي وقال ابن عباس: هو الرجل يقدم معتمراً من أفق الآفاق في أشهر الحج فقضى عمرته وأقام بمكة حلالاً حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بالإحلال عن العمرة إلى إحرامه بالحج. ومعنى التمتع في اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظوراً عليه في حال الإحرام إلى إحرامه بالحج ﴿فما استيسر من الهدي﴾ يعني فعليه ما استيسر من الهدي وهو شاة يذبحها يوم النحر، فلو ذبح قبله بعدما أحرم بالحج أجزأه عند الشافعي كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند أبي حنيفة قبل يوم النحر كدم الأضحية. ولوجوب دم التمتع خمس شرائط: أحدها: أن يقدم العمرة على الحج. الثاني: أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج. الثالث: أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة. الرابع: أن يحرم من مكة ولا يعود إلى ميقات بلده، فإن رجع إلى

الإطعام صام عن كل مُدّ من الطعام يوماً كما في فدية الطِّيب واللبس، فإن المحرم إذا احتاج إلى ستر رأسه لحرٍّ أو بردٍ أو إلى لبس قميص أو مرض فاحتاج إلى مداواته بدواء فيه طيب، فعلَ وعليه الفدية، وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح شاة، فإن لم يجد يقوّم الشاة بدراهم، والدراهم يشتري بها طعاماً فيتصدّق به، فإن عجز صام عن كل مُدٍّ يوماً، ثم المحصر إن كان إحرامه بفرض قد استقر عليه فذلك الفرض في ذمته، وإن كان بحج تطوّع فهل عليه القضاء؟ اختلفوا فيه فذهب جماعة إلى أنه لا قضاء عليه، وهو قول مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أن عليه القضاء وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي وأصحاب الرأي. قوله تعالى: ﴿ فما استيسر من الهدي ﴾، أي: فعليه ما تيسّر من الهدي، ومحله رفع، وقيل: ﴿ ما ﴾ في محل النصب، أي فاهدِ ما استيسر، والهدي جمع هدية وهي اسم لكل ما يُهدَى إلى بيت الله تقرّباً إليه، وما استيسر من الهدي شاة، قاله عليّ بن أبي طالب وابن عباس لأنه أقرب إلى اليُسْر، وقال الحسن وقتادة أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة، قوله تعالى: ﴿ ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي مَحِلّه ﴾، اختلفوا في المحلِ الذي يحلّ المحصر ببلوغ هديه إليه، فقال بعضهم: هو ذبحه بالموضع الذي أُحصر فيه سواء كان في الحلّ أو في الحَرَم، ومعنى ﴿ مَحِلّه ﴾ حيث يحلّ ذبحه فيه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزّاق أخبرنا معمر، أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك مرّات، فلمّا لم يقم منهم أحدٌ دخل على أُم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أُم سلمة: يا نبيّ الله أتحبّ ذلك! اخرج ثم لا تكلّم أحداً منهم بكلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعوا حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلّم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بُدْنَهُ ودعا حالقه فحلقه، فلمّا رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً، أي: ازدحاماً غمّاً، وقال بعضهم: محل هدي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الميقات وأحرم منه لم يكن متمتعاً. الخامس: أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومتى فقد شيء منها لم يكن متمتعاً ودم التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز أن يأكل منه. وقال أبو حنيفة: هو دم نسك فيجوز أن يأكل منه وقوله **﴿فمن لم يجد﴾** يعني الهدي **﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾** أي فعليه صيام ثلاثة أيام في وقت اشتغاله بالحج. قيل: يصوم يوماً قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب أن يصوم في أيام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطراً فإن لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم أيام التشريق وبه قال مالك وأحمد وهو أحد قولي الشافعي. وقيل: بل يصوم بعد أيام التشريق وهو رواية عن أحمد والقول الآخر للشافعي **﴿وسبعة إذا رجعتم﴾** يعني وصوموا سبعة أيام إذا رجعتم إلى أوطانكم وأهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي، فلو صام قبل الرجوع إلى أهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من أعمال الحج والأخذ في الرجوع فعلى هذا يجزئه أن يصوم السبعة أيام بعد الفراغ من أعمال الحج وقبل الرجوع إلى أهله وبه قال أبو حنيفة: **﴿تلك عشرة كاملة﴾** يعني في الثواب والأجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدى لأنه قد يحتمل أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدي فاعلم الله أن العشرة بكمالها هي القائمة مقام الهدي وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق:

ثـــلاث واثنتـــان فهـــن خمـــس وســـادســـة تميـــل إلـــى سهـــام

ولأن القرآن أنزل بلغة العرب والعرب تكرر الشيء تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة في علم الحساب وهو أن يعلم العدد مفصلاً ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى: **﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج**

المحصر: الحَرَم، فإن كان حاجّاً فمحله يوم النحر، وإن كان معتمراً فمحله يوم يبلغ هديه الحرم، قوله تعالى: **﴿ فمَن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه ﴾**، معناه لا تحلقوا رؤوسكم في حال الإحرام إلّا أن تضطروا إلى حلقه لمرضٍ أو لأذىً في الرأس من هوامٍّ أو صُداع **﴿ ففديةٌ ﴾**، فيه إضمار، أي: فحلق عليه فدية، نزلت في كعب بن عجرة. أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحسن بن خلف، أخبرنا إسحق بن يوسف عن أبي بشر وَرْقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: حدّثني عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عُجرة أن رسول الله ﷺ رآه وقملُه يسقط على وجهه، فقال: «أيؤذيك هوامُّك»؟ قال: نعم، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق وهو بالحديبية، ولم يبيّن لهم أنهم يحلّون بها، وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله الفدية، فأمره رسول الله ﷺ أن يُطعم فَرْقاً بين ستّة مساكين، أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام، قوله تعالى: **﴿ففدية من صيام﴾**، أي: ثلاثة أيام، **﴿ أو صدقة ﴾**، أي: ثلاثة آصع على ستّة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، **﴿ أو نُسُك ﴾**، واحدتها نسيكة، أي: ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، أيتها شاءَ ذبحَ، فهذه الفدية على التخيير والتقدير، ويتخيّر بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدّق به على مساكين الحرم، إلّا هدياً يلزم المحصر فإنه يذبحه حيث أُحصر، وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء، قوله تعالى: **﴿ فإذا أمنتم ﴾**، أي: من خوفكم وبرأتم من مرضكم، **﴿ فمَن تمتّع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي ﴾**، اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد الله بن الزبير إلى أن معناه: فمَن أُحصر حتى فاته الحج ولم يتحلّل فقَدِمَ مكة يخرج من إحرام بعمل عُمرة واستمتع بإحلاله ذلك، فتلك العمرة إلى السنة المقبلة ثم حج، فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل، وقال بعضهم: معناه فإذا أمنتم وقد حللتم من إحرامكم بعد الإحصار، ولم تقضوا عمرتكم وأخّرتم العمرة إلى السنة القابلة فاعتمرتم في أشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتم بالحج، فعليكم ما استيسر من

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾ وقيل إن العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون إلى زيادة بيان وإيضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي أكملوها ولا تنقصوها ﴿ذلك﴾ أي هذا الحكم الذي تقدم ﴿لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ قيل حاضرو المسجد الحرام هم أهل مكة وهو قول مالك. وقيل: هم أهل الحرم وبه قال طاوس. وقال ابن جريج: هم أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة. وقال الشافعي: كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال أبو حنيفة حاضرو المسجد الحرام أهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من أهل هذه المواضع فما دونها إلى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام. وقيل حاضرو المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية أن المشار إليه في قوله: ﴿ذلك﴾ يرجع إلى أقرب مذكور وهو لزوم الهدي أو بدله على المتمتع وهو الآفاقي فأما المكي إذا تمتع أو قرن فلا هدي عليه ولا بد له لأنه لا يجب عليه أن يحرم من الميقات فإقدامه على التمتع لا يوجب خللاً في حجه فلا يجب عليه الهدي ويدل على ذلك ما أخرجه

الهدي، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير، وقال ابن عباس وعطاء وجماعة: هو الرجل يقدم معتمراً من أُفق الآفاق في أشهر الحج، فقضى عمرته وأقام حلالاً بمكة حتى أنشأ منها الحج، فحجّ من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج، فمعنى التمتّع: هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى إحرامه بالحج، ولوجوب هدي التمتع أربع شرائط: أحدها أن يُحرم بالعمرة في أشهر الحج، والثاني أن يحجّ بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة، الثالث أن يُحرم بالحج في مكة ولا يعود إلى الميقات لإحرامه، الرابع أن يكون من حاضري المسجد الحرام، فمتى وُجدت هذه الشرائط فعليه ما استيسر من الهدي، وهو دم شاة ويذبحها يوم النحر، فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم كدماء الجنايات، وذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز قبل يوم النحر كدم الأضحية. قوله تعالى: ﴿فمَن لم يجد﴾: الهدي ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾، أي: صوموا ثلاثة أيام يصوم يوماً قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة، ولو صام قبله بعدما أحرم بالحج جاز، ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاثة في أيام التشريق، يُروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير، وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد وإسحق، قوله تعالى: ﴿ وسبعة إذا رجعتم ﴾، أي صوموا سبعة أيام إذا رجعتم إلى أهليكم وبلدكم، فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز، وهو قول أكثر أهل العلم، رُوِيَ ذلك عن ابن عمر وابن عباس، وقيل: يجوز أن يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج، وهو المراد من الرجوع المذكور في الآية، قوله تعالى: ﴿ تلك عشرةٌ كاملة ﴾: ذكرها على وجه التأكيد، وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان، وقيل: فيه تقديم وتأخير، يعني: فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتم، فهي عشرة كاملة، وقيل: كاملة في الثواب والأجْر، وقيل: كاملة فيما أُريد به من إقامة الصوم بدل الهدي، وقيل كاملة شروطها وحدودها، وقيل: لفظه خبرٌ ومعناه أمرٌ: أي فأكملوها ولا تنقصوها، ﴿ ذلك ﴾ أي: هذا الحكم، ﴿ لمَن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾، واختلفوا في حاضري المسجد الحرام، فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة، وهو قول مالك، وقيل: هم أهل الحرم، وبه قال طاوس، وقال ابن جُريج: أهل عرفة والرجيع وضجنان، وقال الشافعي كلّ مَن كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر، فهو من حاضري المسجد الحرام، وقال عكرمة: هم من دون الميقات، وقيل: هم أهل الميقات فما دونه، وهو قول أصحاب الرأي، ودَمُ القِران كدم التمتع، والمكي إذا قَرَن أو تمتع فلا هدي عليه، قال عكرمة: سُئل ابن عباس عن متعة الحج، فقال: أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ في حَجّة الوَداع،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

البخاري تعليقاً من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال: «أهلَّ المهاجرون والأنصار وأزواج رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله ﷺ اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلاّ من قلد الهدي فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال: من قلد الهدي فإنه لا يحل من شيء حتى يبلغ الهدي محله ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج فإذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال تعالى ﴿**فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم**﴾ إلى أمصاركم والشاة تجزىء فجمعوا بين النسكين في عام بين الحج والعمرة فإن الله أنزله في كتابه وسنة نبيه ﷺ وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى: ﴿**ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام**﴾ وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال أبو مسعود الدمشقي هذا حديث غريب ولم أجده إلاّ عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه، من أجل عكرمة فإنه لم يرو عنه في صحيحه وعندي أن البخاري إنما أخذه من مسلم. وقوله تعالى: ﴿**واتقوا الله**﴾ أي فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره ﴿**واعلموا أن الله شديد العقاب**﴾ يعني لمن خالف أمره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**الحج أشهر معلومات**﴾ يعني أشهر الحج أشهر معلومات وقيل وقت الحج أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبدالله بن مسعود وجابر بن عبدالله وعبدالله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وأبي ثور وحجة الشافعي ومن وافقه أن الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل

وأهللنا فلما قَدِمنا مكة قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا إهلالَكم بالحج عُمرةً إلاّ مَـنْ قلّد الهدي»، فطفنا بالبيت بالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب ثم أُمرنا عشية التروية أن نُهلّ بالحج، فإذا فرغنا فقد تمّ حجُّنا وعلينا الهدي، فجمعوا بين نسكين في عام، بين الحج والعمرة، فإن الله أنزل في كتابه وسُنّة نبيّه، وأباحه للناس من غير أهل مكة، قال الله تعالى: ﴿ **ذلك لمَن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** ﴾، ومَن فاته الحج، وفواته يكون بفوات الوقوف، بعَرَفَة حتى يطلع الفجر يوم النحر فإنه يتحلّل بعمل العمرة، وعليه القضاء من قابل، والفدية وهي على الترتيب والتقدير كفدية التمتّع والقِران، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع، عن سليمان بن يسار أن هنّادَ بن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديَه فقال: يا أمير المؤمنين أخطأنا العدد كنّا نظنّ أن هذا اليوم يوم عَرَفَة، فقال له عمر: اذهب إلى مكة فطف أنت ومَن معك بالبيت، واسعوا بين الصفا والمروة، وانحروا هدياً إن كان معكم، ثم احلقوا وقصّروا، ثم ارجعوا فإذا كان العام القابل فحجّوا وأهدوا، فمَن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع. ﴿ **واتقوا الله** ﴾: في أداء الأوامر، ﴿ **واعلموا أنّ الله شديد العقاب** ﴾، على ارتكاب المناهي.

قوله تعالى: ﴿ **الحجُّ أشهرٌ معلومات** ﴾، أي: وقت الحج أشهر معلومات، وهي: شوّال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، ويُروى عن ابن عمر: شوّال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه، فمَن قال: عشرٌ عبّر به عن الليالي، ومَن قال تسعُ عبّر به عن الأيام، فإن آخر أيامها يوم عَرَفَة وهو يوم التاسع، وإنما قال: ﴿ **أشهر** ﴾ بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

على أن يوم النحر ليس من أشهر الحج وأيضاً فإن الإحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على أنه وما بعده ليس من أشهر الحج. وقال ابن عباس أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وهي إحدى الروايتين عن مالك وحجة هذا القول أن يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر لأن فيه يقع طواف الإفاضة وهو تمام أركان الحج، وقيل إن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله، وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري: وهي الرواية الأخرى عن مالك وحجة هذا القول إن الله تعالى ذكر أشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث، ولأن كل شهر كان أوله من أشهر الحج كان آخره كذلك. فإن قلت هنا إشكال. وهو أن الله تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ فجعل الأهلة كلها مواقيت للحج. قلت قوله هي مواقيت للناس والحج وعام وهذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿**الحج أشهر معلومات**﴾ خاص والخاص مقدم على العام. وقيل: إن الآية الأولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها. فإن قلت إنما قال الحج أشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي أشهر الحج شهران وعشر ليال وعند أبي حنيفة وعشرة أيام فما وجه هذا؟ قلت: إن لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ وقيل إنه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وإنما رآه في ساعة منها ولا إشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال إن أشهر الحج ثلاث شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله ﴿**فمن فرض فيهن الحج**﴾ يعني فمن ألزم نفسه وأوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجاً وهو فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي: ينعقد الإحرام بمجرد النية من غير حاجة إلى التلبية ووجهه أن فرض الحج عبارة عن النية فوجب أن تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال أبو حنيفة: لا يصح الشروع في الإحرام بمجرد النية حتى تنضم إليه التلبية أو سوق الهدي ووجهه أن الحج عبادة

والعرب تسمّي الوقتَ تـاماً بقليله وكثيره، فيقول أتيتك يوم الخميس، وإنّما أتاه في ساعة منه، ويقولون: زرتُك العام، وإنّما زاره في بعضه، وقيل: الاثنان فما فوقهماجماعة، لأن معنى الجمع ضمّ شيء إلى شيء فإذا جاز أن يسمى الاثنان جماعة، جاز أن يُسمى الاثنان وبعض الثالث جماعة، وقد ذكر الله تعالى الاثنين بلفظ الجمع فقال: ﴿ فقدْ صغتْ قلوبُكما ﴾ [التحريم: ٤] أي: قَلْبَاكما، وقال عروة بن الزبير وغيره: أراد بالأشهر شوّالاً وذا القعدة وذا الحجة كمالاً، لأنه يبقى على الحاج أمورٌ بعد عَرَفَة يجب عليه فعلها مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى، فكانت في حكم الحج، ﴿ فمَن فرض فيهنّ الحج ﴾، أي: فمَن أوجب على نفسه الحجّ بالإحرام والتلبية، وفيه دليل على أن مَن أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج، وهو قول ابن عباس وجابر، وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي، وقال سعيد: ينعقد إحرامه بالعُمرة، لأنّ الله تعالى خصّ هذه الأشهر بفرض الحج فيها، فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة، كما أنه علّق بالصلَوات بالمواقيت، ثم مَن أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لا ينعقد إحرامه عن العرض، وذهب جماعة إلى أنه ينعقد إحرامه بالحج، وهو قول مالك والثّوري وأبي حنيفة، وأما العمرة فجميع أيام السنة لها وقتٌ إلّا أن يكون متلبساً بالحج، ورُوِيَ عن أنس أنه كان بمكة فكان إذا حمم رأسه خرج فاعتمر، قوله تعالى: ﴿ **فلا رفث ولا فسوق** ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿ **فلا رفث ولا فسوق** ﴾بالرفع والتنوين فيهما، وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين، كقوله تعالى: ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾، وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين واختلفوا في الرفث، قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر: هو الجماع، وهو قول الحسن ومجاهد وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لها

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لها تحليل وتحريم فلا به من انضمام شيء إلى النية كتكبيرة الإحرام مع النية في الصلاة، وفي الآية دليل على أن الإحرام بالحج لا ينعقد إلاّ في أشهره وهو قول ابن عباس وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق لأن الله تعالى خصص هذه الأشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وأبو حنيفة: ينعقد إحرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه أن الإحرام إلزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لأن الله تعالى جعل الأهلة كلها مواقيت للحج بقوله: ﴿هي مواقيت للناس والحج﴾ وقد تقدم الجواب عنه. وقوله تعالى ﴿فلا رفث﴾ قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه أن الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النساء لا يكون رفثاً، قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول:

وهـــن يمشيـــن بنـــا هميســـا إن يصـــدق الطيـــر ننـــك لميســـا

فقلت: أترفث وأنت محرم؟ فقال: إن الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رفث يحتمل أن يكون نهياً عن تعاطي الجماع وأن يكون نهياً عن الحديث في ذلك لأنه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح. وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذٍ ولا يصخب» ﴿ولا فسوق﴾ أصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس: هي المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر: هو ما نهي عنه المحرم في حال الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظافر، وأخذ الشعر وما أشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز بالألقاب (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول ﷺ يقول: «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» ﴿ولا جدال في الحج﴾ قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو أن يماري

بالفحش من الكلام، قال حصين بن قيس: أخذ ابن عباس رضي الله عنهما بذَنب بعيره، فجعل يلويه وهو يحدو ويقول:

وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير ننك لميسا

فقلت له: أترفث وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفث ما قيل عند النساء، قال طاوس: الرفث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهنّ، وقال عطاء: الرفث قول الرجل للمرأة في حال الإحرام إذا حللت أصبتك، وقيل: الرفث الفحش والقول القبيح، أما الفسوق فقد قال ابن عباس: هو المعاصي كلها، وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي، وقال ابن عمر: هو ما نُهي عنه المحرم في حال الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظفار وأخذ الأشعار وما أشبههما، وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد: هو السُّباب، بدليل قول النبي ﷺ: «سُباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، وقال الضحاك هو التنابز بالألقاب بدليل قوله تعالى: ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴾ [الحجرات: ١١]، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا سيّار أبو الحكم، قال: سمعتُ أبا حازم يقول سمعت أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن حجّ لله فلم يرفثْ ولم يَفْسُقْ رجع من ذُنوبه كيومَ ولدتْه أمه» قوله تعالى: ﴿ ولا جدال في الحج ﴾، قال ابن مسعود وابن عباس: الجدال أن يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه، وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة، وقال القاسم بن محمد هو أن يقول بعضهم: الحجُّ اليومَ ويقول بعضهم: الحج غداً، وقال القرظي: كانت قريش إذا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل: هو قول الرجل الحج اليوم يقول آخر الحج غماً وقيل هو أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج «اجعلوا أهلاً لكم بالحج عمرة إلاّ من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم. وقيل: هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأنزل الله: ﴿ولا جدال في الحج﴾ فأخبر أن أمر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله ﷺ فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبي ﷺ: «ألا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» وقيل: معناه ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة فأبطل النسيء وقيل: ظاهر الآية خبر ومعناه نهي أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وإنما نهي عن ذلك وأمر باجتنابه في الحج وإن كان اجتناب ذلك في كل الأحوال والأزمان واجباً لأن الرفث والفسوق والجدال في الحج أسمج وأفظع منه في غيره ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو الذي يجازيكم عليها، حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو أن يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجمال الوفاق والأخلاق الجميلة، وقيل: جعل فعل الخير عبارة عن ربط الأنفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه. وقيل: إنما ذكر الخير وإن كان عالماً بجميع أفعال العباد من الخير والشر لفائدة، وهي أنه تعالى إذا علم من العبد الخير ذكره وشهره وإذا علم منه الشر ستره وأخفاه فإذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ نزلت في أناس من أهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا أفلا يطعمنا فإذا قدموا مكة سألوا الناس وربما أفضى بهم الحال إلى النهب والغصب فأنزل الله وتزودوا أي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا إبرامهم والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية وتزودوا من التقوى فإن الإنسان لا بد له من سفر في الدنيا، ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا إلى الآخرة، ولا بد فيه من زاد أيضاً وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد

اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجّنا أتمّ من حجّكم، وقال هؤلاء: حجّنا أتمّ من حجّكم، وقال مقاتل: هو أن النبي ﷺ قال لهم في حَجّة الوداع وقد أحرموا بالحج: «اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلاّ مَنْ قلّد الهدي»، قالوا: كيف نجعله عُمرة وقد سمّينا الحج؟ فهذا جدالهم. وقال ابن زيد كانوا يقفون مواقف مختلفة: كلّهم يزعم أن موقفه موقف إبراهيم، فكانوا يجادلون فيه، وقيل: هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعَرَفَة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحجّ في ذي القعدة وكان بعضهم يحجّ في ذي الحجة، فكلٌّ يقول: ما فعلته فهو الصواب، فقال جلّ ذكره: ﴿ ولا جدال في الحج ﴾ أي استقر أمر الحج على ما فعله رسول الله ﷺ، فلا اختلاف فيه من بعد. وذلك معنى قول النبي ﷺ: «ألاَ إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمواتِ والأرض»، قال مجاهد: معناه ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة. فأبطل النسيء، قال أهل المعاني: ظاهر الآية نفي، ومعناها: نهي، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا، كقوله تعالى: ﴿ لا ريب فيه ﴾ [البقرة: ٢، آل عمران: ٩ و٢٥، النساء: ٨٧، الأنعام: ١٢، يونس: ٣٧، الإسراء: ٩٩، السجدة: ٢، الشورى: ٧، الجاثية: ٢٦]، أي: لا ترتابوا، ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾، أي: لا يخفى عليه فيجازيكم به. قوله تعالى: ﴿ وتزوّدوا فإنّ خيرَ الزاد التقوى ﴾، نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون: نحن متوكلون، ويقولون: نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا، فإذا قَدِموا مكة سألوا الناس، وربما يُفضي بهم الحال إلى النهب والغصب، فقال الله جلّ ذكره: ﴿ وتزوّدوا ﴾ أي: ما تتبلغون به وتكفّون به وجوهكم، قال أهي التفسير: الكعك

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أفضل من الزاد الأول، فإن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

﴿واتقون﴾ أي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله: ﴿يا أولي الألباب﴾ يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الأمور. قوله عز وجل:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿ليس عليكم جناح﴾ أي حرج ﴿أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ يعني رزقاً ونفعاً وهو الربح في التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت:

﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج. وقرأها ابن عباس هكذا وفي رواية أن تبتغوا في مواسم الحج فضلاً من ربكم. وعكاظ سوق معروف بقرب مكة، ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة أيضاً، قال الأزرقي: هي بأسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الأسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوماً من ذي القعدة ثم ينتقلون إلى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوماً عشرة أيام من آخر ذي القعدة، وثمانية أيام من أول ذي الحجة ثم يخرجون إلى عرفة في يوم التروية وقال الداودي: مجنة عند عرفة وعن أبي أمامة التيمي قال: كنت رجلاً أكري في هذا الوجه وكان الناس يقولون لي: إنه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له يا أبا عبد الرحمن إني رجل أكري في هذا الوجه وإن أناساً يقولون إنه ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار؟ فقلت بلى قال فإن ذلك حجاً جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ فأرسل إليه رسول الله ﷺ: «وقرأها عليه وقال لك حج» أخرجه أبو داود والترمذي. وقال بعض العلماء: إن التجارة إن أوقعت نقصاً في أعمال الحج

والزبيب والسويق والتمر ونحوها، ﴿ فإن خير الزاد التقوى ﴾ من السؤال والنهب، ﴿ واتقون يا أُولي الألباب ﴾: يا ذوي العقول.

قوله تعالى: ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا علي بن عبد الله، أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت عُكاظ ومجنّة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ في مواسم الحج، قرأ ابن عباس كذا، ورُوِيَ عن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر إنّا قوم نكري في هذا الوجه، يعني: إلى مكة فيزعمون أن لا حجّ لنا؟ فقال: ألستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لم تكن مباحة وإن لم توقع نقصاً فيه كانت من المباحات التي الأولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لأن الحج بدون التجارة أفضل وأكمل. قوله تعالى: ﴿فإذا أفضتم﴾ أي دفعتم والإفاضة دفع بكثرة ﴿من عرفات﴾ جمع عرفة سميت بذلك وإن كانت بقعة واحدة لأن كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمي مجموع تلك المواضع عرفات وقيل. إن اسم الموضع عرفات. واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى إبراهيم المناسك ويقول له: عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة. وقال الضحاك: إن آدم لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات، وقال السدي: إن إبراهيم لما أذن في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأبى من أبى أمره الله تعالى أن يخرج إلى عرفات ونعتها له، فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا المجاز فنظر إليه فلم يعرفه فجازه فسمي ذا المجاز، ثم انطلق إبراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت، فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى إذا أمسى ازدلف إلى جمع فسمي ذلك الموضع المزدلفة. وفي رواية عن ابن عباس أن إبراهيم رأى ليلة التروية في منامه أنه يؤمر بذبح ولده فلما أصبح تروى يومه أجمع أي تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى أم من الشيطان فسمي يوم التروية، ثم رأى ذلك في ليلة عرفة ثانياً فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمي اليوم عرفة. وقيل: سمي بذلك لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل: سمي عرفة من العرف وهو الطيب وسميت منى لما يمنى فيها من الدماء أي يصبُّ فيكون فيه الفروث والدماء، فلا يكون الموضع طيباً وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة. واعلم أن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ولا يتم الحج إلّا به، ومن فاته الوقوف في وقته فقد فاته الحج. ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد إلى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا

وترمون كما يرمون؟ قلت: بلى، قال: أنت حاجّ، جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ يسأله عن الذي سألتني عنه فلم يجبه بشيء حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ليس عليكم جناح﴾، أي: حرج أن تبتغوا فضلاً من ربكم، يعني: بالتجارة في مواسم الحج، ﴿فإذا أفضتم﴾: دفعتم، والإفاضة: دفع بكثرة، وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماءَه، أي: صبّه، ﴿من عرفات﴾، هي جمع عَرَفَة، جُمعت عَرَفَة بما حولها وإن كانت بقعة واحدة، كقولهم: ثوب أخلاق واختلفوا في المعنى الذي لأجله سُمّي الموقف عرفات، واليوم عَرَفَة، فقال عطاء: كان جبريل عليه السلام يُري إبراهيم عليه السلام المناسك ويقول أعرفت؟ فيقول: عرفتُ فسُمّي ذلك المكان عرفات، واليوم عَرَفَة، وقال الضحّاك: إن آدم عليه السلام لمّا أُهبط إلى الأرض وقع بالهند وحوّاء بجدّة، فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه، فاجتمعا بعرفات يوم عرَفَة وتعارفا، فسُمّي اليوم يوم عرَفَة والموضع عرفات، وقال السدي: لما أَذّنَ إبراهيم في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية، وأتاه مَن أتاه أمره الله أن يخرج إلى عرفات ونعتها له، فخرج فلما بلغ الجمرة عند العقبة استقبله الشيطان ليردّه، فرماه بسبع حصيات فكبّر مع كل حصاة فطار، فوقع على الجمرة الثانية، فرماه وكبّر فطار، فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبّر فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه ذهب، فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا المجاز فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز، فسُمّي ذا المجاز، ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت، فسُمّي الوقت عرَفَة والموضع عرفات، حتى إذا أمسى ازدلف، أي: قرب إلى جمع، فسُمّي المزدلفة. ورُوِيَ عن أبي صالح عن ابن عباس: أن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه أنه يؤمَر بذبح ابنه، فلما أصبح روّى يومه أجمع، أي فكّر أمِنَ الله تعالى هذه الرؤيا؟ أم من الشيطان؟ فسُمّي اليوم يوم التروية، ثم رأى ذلك ليلة عرَفَة ثانياً فلما أصبح عرف

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الوقت ولو لحظة واحدة من ليل أو نهار، فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقال أحمد: وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة إلى طلوعه من يوم النحر ووقت الإفاضة من عرفات، بعد غروب الشمس فإذا غربت الشمس دفع من عرفات وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن أسامة بن زيد قال دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء، فقلت: الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة أمامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة، نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل إنسان بعيره، في منزله، ثمّ أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ سمي مشعراً من الشعار وهي العلامة لأنه من معالم الحج وأصل الحرام المنع فهو ممنوع من أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه، والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة إلى وادي محسر، وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لأن الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام، هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والأول أصح. وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب، لأنها منزلة من الله تعالى وقربة. وقيل: لنزول الناس بها زلف الليل: وقيل: لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعاً لأنه يجمع فيها بين المغرب والعشاء، قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك. ويدل عليه أن قوله: فاذكروا الله أمر وهو للوجوب ولا يجب هناك إلاّ الصلاة، والذي عليه جمهور العلماء أن المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (ق) عن ابن عباس أن أسامة بن زيد كان رديف النبي ﷺ، من عرفة إلى المزدلفة ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى فكلاهما قال: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة، عن جابر قال دفع رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً، ثم اضطجع حتى طلع الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر

أن ذلك من الله تعالى، فسُمّي اليوم يوم عرَفَة. وقيل: سُمّي بذلك لعلو الناس فيه على جباله، والعرب تُسمّي ما علا عرَفَة، ومنه سُمّي عُرف الديك لعلوّه، وقيل: سُمّي بذلك لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم، وقيل: سُمّي بذلك من العَرف، وهو الطيب، وسُمّي منى لأنه يُمنى فيه الدم، أي: يُصبّ فيه فيكون فيه الفروث والدماء ولا يكون الموضع طيباً، وعرفات طاهرة عنها فتكون طيّبة، قوله تعالى: ﴿ **فاذكروا الله** ﴾: بالدعاء والتلبية، ﴿ **عند المشعر الحرام** ﴾، وهو ما بين جبلي المزدلفة من مَرْمَى عرَفَة إلى المُحسِّر، وليس المأزمان ولا المحسِّر من المشعر الحرام، وسُمّي مشعراً من الشّعار، وهي العلامة لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام من المنع، فهو ممنوع أن يفعل فيه ما لم يُؤذن فيه، وسُمّي المزدلفة جمعاً لأنه يُجمع فيه بين صلاة المغرب والعشاء، والإفاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس، ومَن جمع قبل طلوعها من يوم النحر، قال طاوس: كان أهل الجاهلية يدفعون من عرَفَة قبل أن تغيب الشمس، ومن المزدلفة بعد أن تطلع الشمس، ويقولون أشرق ثبير كيما تغير، فأخّر الله هذه، وقدّم هذه. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن موسى بن عقبة عن كريب مولى عبد الله بن عباس عن أسامة بن زيد أنه سمعه يقول: دفع رسول الله ﷺ من عرَفَة حتى إذا كان بالشعب، نزل فبالَ ثم توضأ فلم يسبغ الوضوء، فقلت له الصلاة يا رسول الله، قال: فقال: الصلاة أمامك فركب فلما جاء المزدلفة، نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم أُقيمت الصلاة فصلّى المغرب، ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أُقيمت العشاء فصلاّها ولم يصلّ بينهما شيئاً، وقال جابر: دفع رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة فصلّى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يُسبّح بينهما شيئاً ثم اضطجع حتى طلع الفجر،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الحرام فاستقبل القبلة وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ودفع قبل أن تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند. ولم أجده في الأصول، قال طاوس كانوا في الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون: أشرق ثبير كيما نغير، فنسخ الله تعالى أحكام الجاهلية فأخر الإفاضة من عرفة إلى ما بعد غروب الشمس وقدم الإفاضة من المزدلفة إلى ما قبل طلوعها. وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم أشرق ثبير أدخل أيها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير أي ندفع للنحر يقال أغار إذا أسرع ودفع في عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون: أشرق ثبير فخالفهم النبي ﷺ فأفاض قبل طلوع الشمس.

وقوله تعالى: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ أي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه ﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ أي لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه، والهاء في من قبله راجعة إلى الهدي وقيل إلى الرسول أي من قبل إرسال الرسول لمن الضالين، وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع إلى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي أنزله عليكم، وإن كنتم من قبل إنزاله لمن الضالين. قوله عز وجل:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ أي لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس، وفي المخاطبين بهذا قولان أحدهما أنه خطاب لقريش قال أهل التفسير: كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون أن يقفوا مع سائر الناس بعرفات، وكان سائر الناس يقفون بعرفات فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات مع سائر الناس، ثم يفيضوا منها إلى جمع وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة، وكان يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون

فصلّى الفجر حين تبيّن له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعاه وكبّره وهلّله ووحّده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا زهير بن حرب أخبرنا وهب بن جرير، أخبرنا أبي عن يونس الأيلي عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن أسامة بن زيد كان رِدْفَ رسول الله ﷺ من عرَفَة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من مزدلفة إلى منى، قال: فكِلاهما قال: لم يزل النبي ﷺ يُلبّي حتى رمَى جمرةَ العقبة، قوله تعالى: ﴿ واذْكروه كما هداكم ﴾، أي واذكروه بالتوحيد والتعظيم، كما ذكركم بالهداية، فهداكم لدينه ومناسك حجّه، ﴿ وإن كنتم من قبله لمن الضالّين ﴾، أي: وقد كنتم، وقيل: وما كنتم من قبله إلّا من الضالّين، كقوله تعالى: ﴿ وإن نظنك لمن الكاذبين ﴾ [الشعراء: ١٨٦]، أي: وما نظنك إلّا من الكاذبين، والهاء في قوله: ﴿ من قبله ﴾ راجعة إلى الهُدى، وقيل: إلى رسول الله ﷺ كناية عن غير مذكور.

قوله تعالى: ﴿ ثم أفيضُوا من حيثُ أفاضَ الناس ﴾، قال أهل التفسير كانت قريش وحلفاؤها ومَنْ دَانَ بدينها وهم الحُمس، يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله وقُطّان حرمه، فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه، ويتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفات، وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات، فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحُمسُ من المزدلفة، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى جمع مع سائر الناس، وأخبرهم أنه سُنّة إبراهيم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بعرفة فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى: ﴿**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس**﴾ قولها: كانوا يسمون الحمس هو جمع أحمس وأصله من الشدة والشجاعة وإنما سميت قريش وكنانة حمساً لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناهم جميع العرب سوى الحمس، والقول الثاني: إنه خطاب لسائر المسلمين أمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم، وهو المراد بقوله من حيث أفاض الناس، وقيل: الناس هم آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسي بالياء وقال هو آدم عهد إليه فنسي، ووجه هذا أن الوقوف بعرفات والإفاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث، وقيل: المراد من هذه الآية أن الإفاضة من المزدلفة إلى منى يوم النحر، قبل طلوع الشمس للرمي والنحر، وأراد بالناس إبراهيم وإسماعيل وأتباعهما لأنه كانت إفاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس، ووجه هذا القول أن الإفاضة من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله: ﴿**فإذا أفضتم من عرفات**﴾ ثم قال بعد ذلك ﴿**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس**﴾ فدل على أن هذه الإفاضة من المزدلفة إلى منى لكن القول الأول هو الأصح الذي عليه جمهور المفسرين. فإن قلت على القول الأول الذي هو قول جمهور المفسرين إشكال، وهو أن ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لأن قوله: ﴿**فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله**﴾ والإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع فكيف قال ﴿**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس**﴾ فكأنه قال فإذا أفضتم من عرفات فأفيضوا من عرفات وذلك غير جائز. قلت: أجيب عن هذا الإشكال بأن فيه تقديماً وتأخيراً وتقديره ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات، فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح أن تكون هذه الإفاضة تلك الإفاضة بعينها وقيل: إن ثم في قوله ثم أفيضوا بمعنى الواو أي وأفيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والإفاضة الدفع (ق) عن هشام بن عروة عن أبيه قال سأل أسامة بن زيد وأنا جالس كيف كان رسول الله ﷺ يسير في حجة الوداع قال: كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق. العنق بفتح العين ضرب من السير سريع، هو أشد من المشي والفجوة: الفرجة وهي المتسع من الأرض، والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة أقصى وسعها (خ) عن ابن عباس أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً

وإسماعيل عليهما السلام، وقال بعضهم: خاطب به جميع المسلمين. وقوله تعالى: قال: ﴿ **من حيث أفاض الناس** ﴾ من جمع، أي: ثم أفيضوا من جمع إلى مِنًى، وقالوا: لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع، فكيف يسوغ أن يقول: فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ثم أفيضوا من عرفات؟ والأول قول أكثر أهل التفسير، وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: فَمَن فرض فيهنّ الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام، وقيل: ثم بمعنى الواو أي: وأفيضوا، كقوله تعالى: ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ [البلد: ١٧]، وأما الناس فهم العرب كلهم غير الحمس، وقال الكلبي: هم أهل اليمن وربيعة، وقال الضحاك: الناس ههنا إبراهيم عليه السلام وحده، كقوله تعالى: ﴿ أم يحسدون الناس ﴾ [النساء: ٥٤] وأراد به محمداً ﷺ وحده، ويقال: هذا الذي يُقتدَى به ويكون لسانَ قومه، وقال الزهري: الناس ههنا آدم عليه السلام وحده، دليله قراءة سعيد بن جُبير: ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾، بالياء، وقال: هو آدم نسي عهد الله حين أكل من الشجرة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه أنه قال: سُئِلَ أسامة وأنا جالس كيف كان يسير رسول الله ﷺ في حجّة الوداع حين دفع؟ قال: كان يسيرُ العَنَق، فإذا وجد فجوةً نَصَّ، قال هشام: والنص فوق العنق. أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال: يا أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع، الإيضاع السير السريع الشديد. قوله تعالى: ﴿واستغفروا الله﴾ أي من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يعني أن الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على أنه تعالى يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم، لأنه تعالى أمر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بأنه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على أنه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه. قوله عز وجل: .

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ أي فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسائككم أي ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى ﴿فاذكروا الله﴾ يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه ﴿كذكركم آباءكم﴾ قال أهل التفسير، كانت العرب في الجاهلية إذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل، وقيل: عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم، فيقول أحدهم: كان أبي كبير الجفنة رحب الفناء يقرى للضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الأشعار في ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سفلهم وآبائهم، فلما من الله عليهم بالإسلام أمرهم أن يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال: اذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبهم وأحسنت إليكم وإليهم قال ابن عباس: معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك أن الصبي أول ما يفصح بالكلام ويقول: أبه أمه لا يعرف غير ذلك فأمرهم أن يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء ﴿أو أشد ذكراً﴾ أي بل أشد ذكراً، وقيل: أو بمعنى الواو أي وأشد ذكراً أي وأكثر ذكراً للآباء لأنه هو المنعم عليهم وعلى الآباء، فهو المستحق للذكر والحمد مطلقاً، وسئل ابن عباس عن هذه الآية قيل له قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه فقال: ليس كذلك ولكن أن تغضب لله عز وجل إذا عصى أشد من غضبك لوالديك إذا شتما ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا﴾ يعني أن المشركين كانوا يسألون الله في حجهم للدنيا، ونعيمها كانوا يقولون: اللهم أعطنا إبلاً وغنماً وبقراً وعبيداً وإماء وكان أحدهم بقوم فيقول: اللهم إن أبي كان عظيم الفئة كبيراً الجفنة كثير المال فأعطني مثل ما

النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا إبراهيم بن سويد، حدّثني عمرو بن أبي عمرو مولى المطّلب قال: أخبرنا سعيد بن جُبير مولى واثلة الكوفي حدّثني ابن عباس أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرَفَة، فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً للإبل، فأشار بسوطه إليهم وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة فإنّ البِرّ ليس بالإيضاع»، ﴿ واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾، أي: فرغتم من حجّكم وذبحتم نَسَائِكَكُم، أي: ذبائحكم، يقال: نسك الرجل ينسك نَسْكاً إذا ذبح نسيكته، وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى، ﴿ فاذكروا الله ﴾: بالتكبير والتحميد والثناء عليه، ﴿ كذكركم آباءكم ﴾، وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها، فأمرهم الله بذكره، وقال: ﴿ فاذكروني ﴾ [البقرة: ١٥٢] فإني الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسنت إليكم وإليهم، قال ابن عباس وعطاء: معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء، وذلك أن الصبي أول ما يتكلم يلهج بذكر أبيه لا يذكر غيره، فيقول الله: فاذكروا الله لا غير، كذكر الصبي أباه، ﴿ أو أشدّ ذكراً ﴾، وسُئِل ابن عباس عن قوله: ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾ فقيل: قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أعطيته. قال قتادة: هذا عبد نيته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط تعس، وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» قوله: تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز أو صوف معلم، وقوله وانتكس هذا دعاء عليه أيضاً لأن من انتكس على رأسه أو في أمره فقد خاب، وخسر وقوله وإذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله، تقول شاكته الشوكة إذا دخلت في جسمه والانتقاش إخراج الشوكة من الجسم وإنما كان سؤال المشركين للدينار ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لأنهم كانوا ينكرون البعث ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ أي وما له في الآخرة من حظ ولا نصيب.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾

﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ يعني المؤمنين. واعلم أن الله تعالى قسم الداعين فريقين البعث: فريق اقتصروا في الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لأنهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة، والفريق الثاني: هم المؤمنون الذين جمعوا في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لأن الإنسان خلق ضعيفاً محتاجاً لا طاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالأولى له أن يستعيذ بالله من شرها وآلامها لأنه لو اضطرب على الإنسان عرق من عروقه، لشوش عليه حياته في الدنيا، وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك أن طلب الدنيا في الدعاء من أمر الدين، فلذلك قال الله تعالى: إخباراً عن المؤمنين: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في

أباه، قال ابن عباس: ليس كذلك ولكن إن تغضب لله إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شتما، وقوله تعالى: ﴿أو أشدّ ذكراً﴾ يعني: بل أشد، أي: وأكبر ذكراً، ﴿فمن الناس مَن يقول ربّنا آتنا في الدنيا﴾، أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلّا الدنيا، يقولون: اللّهمّ أعطنا غنماً وإبلاً وبقراً وعبيداً، وكان الرجل يقوم فيقول: اللّهمّ إن أبي كان عظيم القبّة كبير الجفنة كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته، قال قتادة: هذا عبدٌ نيّته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونَصب، ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾: من حظ ونصيب.

﴿ومنهم مَنْ يقول ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار﴾، يعني: المؤمنين، واختلفوا في معنى الحسنتين، قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: في الدنيا حسنة امرأة صالحة، وفي الآخرة حسنة الجنّة والحور العين. أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الطوسي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد أنا الحارث بن أسامة أنا أبو عبد الرحمن المقري، أخبرنا حياة وابن لهيعة قالا: أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الجبلي يحدّث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا كلها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»، وقال الحسن: في الدنيا حسنة العلم والعبادة، وفي الآخرة حسنة الجنة والنظر. وقال السدي وابن حبّان: في الدنيا حسنة رزقاً حلالاً وعملاً صالحاً، وفي الآخرة حسنة المغفرة والثواب، أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب حدّثني عُبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «أغبَطُ أوليائي عندي مؤمنٌ خفيف الحاذ ذو حظٍّ من الصلاة، أحسن عبادة ربّه فأطاعه في السرِّ وكان غامضاً في الناس لا يُشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك، ثم نفر بيده فقال: هكذا عجُلتْ منية، قلتْ بواكيه، قل تُراثه»، وقال قتادة في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية وقال عوف في هذه الآية مَن آتاه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾ قيل: إن الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والأمن والكفاية والتوفيق إلى الخير والنصر على الأعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» وقيل: الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل: الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب. وقيل: من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة يعني في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية. (م) عن أنس أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خف فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟ قال: نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» قال: فدعا الله به فشفاه (ق) عن أنس بن مالك. قال كان أكثر دعاء النبي ﷺ: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. عن عبدالله بن السائب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول بين الركنين: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» أخرجه أبو داود.

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

﴿أولئك﴾ إشارة إلى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول أن الله ذكر حكم الفريق بكماله. فقال: وما له في الآخرة من خلاق وقيل: يرجع إلى الفريقين ﴿لهم﴾ جميعاً أي لكل فريق من هؤلاء ﴿نصيب﴾ أي حظ

الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أُوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكرماني الطوسي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور السمسار، أخبرنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، أخبرنا حميد الطويل عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال رأى رسول الله ﷺ رجلاً قد صار مثل الفرخ فقال: هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إيّاه؟ فقال: يا رسول الله كنت أقول اللهمّ ما كنت معاقبني به في الآخرة فحوّله لي في الدنيا، فقال: «سبحان الله لا تستطيعه ولا تُطيقه، هلاّ قلت: اللهمّ آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»؟ أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي إسحاق الحجاجي، أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الداغولي، أخبرنا محمد بن مسكان أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول: ﴿ **ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عبد الله بن السائب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فيما بين ركن بني جمح والركن الأسود: ﴿ **ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **أولئك لهم نصيب** ﴾: حظٌّ ﴿ **مما كسبوا** ﴾: من الخير والدعاء بالثواب والجزاء، ﴿ **والله سريع الحساب** ﴾ يعني: إذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا وَعْي صدورٍ ولا إلى رُؤيةٍ ولا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿مما كسبوا﴾ يعني من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا ﴿والله سريع الحساب﴾ ذكروا في معنى الحساب أن الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى أن الله تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير أعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب. وقيل: إن المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً﴾ وقيل: إن الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم أحوال أعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب. وقيل: إنه تعالى إذا حاسب عباده فحسابه سريع لأنه تعالى لا يحتاج إلى عقد يد وروية فكر وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج إلى آلة ولا مادة ولا مساعد، فلا جرم كان قادراً على أن يحاسب جميع الخلائق في أقل من لمح البصر، وروي أنه تعالى يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة أو ناقة، وقيل: في معنى كونه تعالى سريع الحساب أي سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم، وذلك أنه تعالى يسأله السائلون في الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطي كل واحد من غير أن يشتبه عليه شيء من ذلك، لأنه تعالى عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل في معنى الآية إن إتيان القيامة قريب لأن كل ما هو كائن وآت قريب لا محالة، وفيه إشارة إلى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿واذكروا الله﴾ يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في أدبار الصلوات وعند رمي الجمرات، وذلك أنه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد في الصحيح أن النبي ﷺ كبر مع كل حصاة ﴿في أيام معدودات﴾ يعني أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، أولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة وهو قول ابن عمر وابن العباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي. وقيل: إن الأيام المعدودات يوم النحر ويومان بعده. وهو قول علي بن أبي طالب ويروى عن ابن عمر أيضاً وهو مذهب أبي حنيفة (م) عن نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله» ومن الذكر في هذه الأيام التكبير (خ) عن ابن عمر أنه كان يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات، وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي ممشاه في تلك الأيام جميعاً وفي رواية أنه كان يكبر في قبته فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى أخرجه البخاري بغير إسناد وأجمع العلماء على أن المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار، وهو أن يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جميع أيام التشريق، وأجمعوا أيضاً على أن التكبير في عيد الأضحى وفي هذه الأيام في إدبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل

فكرٍ، قال الحسن: أسرع من لمح البصر، وقيل: معناه إتيان القيامة قريب لأن ما هو آتٍ لا محالة فهو قريب، قال الله تعالى: ﴿ وما يُدريك لعلّ الساعة قريب ﴾ [الشورى: ١٧].

قوله تعالى: ﴿ واذكروا الله ﴾، يعني التكبيرات أدبار الصلاة وعند الجمرات، يكبّر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات، ﴿ في أيام معدودات ﴾ الأيام المعدودات هي أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار، سُمّيت معدودات لقلّتهنّ، كقوله: ﴿ دراهم معدودة ﴾ [يوسف: ٢٠]، والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة آخرهنّ يوم النحر، هذا قول أكثر أهل العلم، ورُوِيَ عن ابن عباس: المعلومات يوم النحر، ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق، وعن عليّ قال: المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وقال عطاء عن ابن عباس المعلومات يوم عرفة، ويوم النحر وأيام التشريق وقال محمد بن كعب: هما شيء واحد وهي أيام التشريق، ورُوِيَ عن نبيشة الهزلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله»، ومن الذكر في أيام التشريق التكبير، واختلفوا فيه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يبتدىء به من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة، وهو قول ابن عباس وابن عمر، وبه قال الشافعي: في أصح أقواله قال الشافعي: لأن الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قيل: هذا الوقت هو التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر. وقيل: إنه يبتدىء به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وهو القول الثاني الشافعي فيكون التكبير على هذا القول: في ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعي إنه يبتدىء بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة، ويختم به بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق، فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن أبي طالب، ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد، وقال ابن مسعود يبتدأ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر، فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات، وبه قال أبو حنيفة وقال أحمد بن حنبل: إذا كان حلالاً كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة أولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر أيام التشريق وإن كان محرماً كبر عقيب سبعة عشر صلاة أولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر أيام التشريق. ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثاً نسقاً الله أكبر الله أكبر الله أكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن، وهو قول أهل المدينة، قال الشافعي: وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود أنه يكبر مرتين فيقول الله أكبر الله أكبر وهو قول أهل العراق.

وقوله تعالى: ﴿فمن تعجل في يومين﴾ أي فمن تعجل النفر الأول وهو في الثاني من أيام التشريق ﴿فلا إثم عليه﴾ أي فلا حرج عليه وذلك أنه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من ليالي أيام التشريق، ليرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني وأراد أن ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى: ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه﴾ يعني فلا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله ﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ يعني ومن تأخر إلى النفر الثاني، وهو اليوم الثالث من أيام التشريق فلا إثم عليه في تأخره. واعلم أنه إنما يجوز التعجيل لمن نفر بعد

فرُوِيَ عن عمرو عن عبد الله بن عمر أنهما كانا يكبّرا بمنى تلك الأيام خلف الصلاة وفي المجلس وعلى الفراش والفسطاط وفي الطريق، ويكبّر الناس بتكبيرهما، ويتلوان هذه الآية، والتكبير أدبار الصلاة مشروع في هذه الأيام في حق الحاجّ وغير الحاجّ عند عامّة العلماء، واختلفوا في قدره فذهب قوم إلى أنه يبتدىء التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرَفَة ويختم بعد العصر من أيام التشريق، يُروى ذلك عن عُمر وعن علي رضي الله عنهما، وبه قال مكحول وإليه ذهب أبو يوسف رضي الله عنه، وذهب قوم إلى أنه يبتدىء التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة، ويختم بعد العصر من يوم النحر، يُروى ذلك عن ابن مسعود، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال قوم يبتدىء التكبير عقيب صلاة الظهر من يوم النحر ويختم بعد الصبح من آخر أيام التشريق، يُروى ذلك عن ابن عباس، وبه قال مالك والشافعي في أحد قوليه، قال الشافعي: لأن الناس فيه تبع للحاج، وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية، ويأخذون في التكبير يوم النحر من بعد صلاة الظهر، ولفظ التكبير: كان سعيد بن جبير والحسن يقولان: الله أكبر الله أكبر ثلاثاً نسقاً، وهو قول أهل المدينة وإليه ذهب الشافعي، وقال: وما زاد من ذكر الله فهو حسن، وعند أهل العراق يكبّر اثنين، يُروى ذلك عن ابن مسعود، قوله تعالى: ﴿فَمَن تعجّل في يومين فلا إثم عليه﴾، أراد من نَفْرِ الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق، فلا إثم عليه، وذلك أنه على الحاجّ أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق، ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة بسبع حصيات، ورخّص في ترك البيتوتة لرعاة الإبل وأهل سقاية الحاجّ، ثم كلّ مَن يرمي اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر فيدع البيتوتة

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الزوال من اليوم الثاني من أيام التشريق وقبل غروب الشمس، من ليلة ذلك اليوم وإن غربت عليه الشمس، وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمي اليوم الثالث، هذا مذهب الشافعي وأكثر الفقهاء وقال أبو حنيفة: يجوز له أن ينفر ما لم يطلع الفجر لأنه لم يدخل وقت الرمي، بعد ورخص لرعاة الإبل وأهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى. فإن قلت: قوله ومن تأخر فلا إثم عليه فيه إشكال وهو أن الذي أتى بأفعال الحج كاملة تامة فقد أتى بما يلزمه، فما معنى قوله فلا إثم عليه إنما يخاف من الإثم من قصر فيما يلزمه. قلت فيه أجوبة أحدها أنه تعالى لما أذن في التعجيل على سبيل الرخصة احتمل أن يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة، فإنه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين إنه لا إثم عليه في الأمرين فإن شاء عجل وإن شاء أخر. الجواب الثاني أن من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر، وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى أن كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وأنه لا إثم عليه. الجواب الثالث إنما قال: ومن تأخر فلا إثم عليه لمشاكلة اللفظة الأولى فهو كقوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ ومعلوم أن جزاء السيئة ليس بسيئة. الجواب الرابع أن فيه دلالة على جواز الأمرين فكأنه تعالى قال: فتعجلوا أو تأخروا فلا إثم في التعجيل ولا في التأخير ﴿لمن اتقى﴾ أي ذلك التخيير ونفي الإثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئاً مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره، مما هو محظور في الحج، وقيل: معناه أنه ذهب إثمه إن اتقى فيمن بقي من عمره، وذلك أن الحاج يرجع مغفوراً له بشرط أن لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله: ﴿واتقوا الله﴾ أي في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات ﴿واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ أي فيجازيكم بأعمالكم وفيه حث على التقوى. قوله عز وجل:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة، واسمه أبي وإنما سمي الأخنس لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة، عن قتال رسول الله ﷺ وذلك أنه أشار

الليلة الثالثة، ورمى يومها فذلك له واسع، لقوله تعالى: ﴿ فَمَن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ﴾ ومَن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر، وقوله: ﴿ ومَن تأخر فلا إثم عليه ﴾، يعني: لا إثم على مَن تعجّل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله، ومَن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث فلا إثم عليه في تأخيره، وقيل معناه: فمَن تعجّل فقد ترخّص فلا إثم عليه بالترخّص، ومَن تأخّر فلا إثم عليه بترك الترخّص، وقيل معناه: رجع مغفوراً له لا ذنب عليه تعجّل أو تأخر، كما روينا: «مَن حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع ـ أي: خرج ـ من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، وهذا قول علي وابن مسعود. قوله تعالى: ﴿ لِمَن اتّقى ﴾، أي: لِمَن اتّقى أن يصيب في حجّه شيئاً نهاه الله عنها، كما قال: «مَن حجّ فلم يرفث ولم يفسق»، قال ابن مسعود: إنما جُعلت مغفرة الذنوب لِمَن اتّقى الله تعالى في حجّه، وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه: لِمَن اتقى الصيد، لا يحلّ له أن يقتل صيداً حتى تنقضي أيام التشريق، وقال أبو العالية: ذهب أثمة أن اتقى فيما بقي من عمره، ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تُحشرون ﴾: تجمعون في الآخرة يجزيكم بأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿ ومِنَ الناس مَنْ يُعجبك قولُه في الحياة الدنيا ﴾، قال الكلبي ومقاتل وعطاء: نزلت في الأخنس بن شُريق الثقفي حليف بني زهرة، واسمه أُبيّ وسُمّي الأخنس لأنه خنّس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله ﷺ وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ فيُجالسه ويُظهر

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

على بني زهرة الرجوع يوم بدر، وقال لهم: إن محمداً ابن أختكم فإن يك كاذباً كفاكموه الناس وإن يك صادقاً كنتم أسعد الناس به قالوا: نعم ما رأيت قال إني سأخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي الأخنس بذلك وكان الأخنس حلو الكلام حلو المنظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ ويجالسه ويظهر الإسلام ويقول: إني لأحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله ﷺ يدني مجلسه وكان الأخنس منافقاً فنزل فيه، ومن الناس من يعجبك قوله، أي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا، يعني أن حلاوة كلامه فيما يتعلق بأمر الدنيا **﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾** يعني قوله: والله إني بك مؤمن ولك محبّ **﴿وهو ألد الخصام﴾** أي شديد الجدال في الباطل، وقيل: هو كاذب القول، وقيل: هو شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» يعني الشديد في الخصومة.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

﴿وإذا تولى﴾ أي أدبر وأعرض عنك بعد إلانة القول وحلاوة المنطق **﴿سعى في الأرض﴾** أي سار ومشى في الأرض **﴿ليفسد فيها﴾** يعني بقطع الأرحام وسفك دماء المسلمين **﴿ويهلك الحرث والنسل﴾** وذلك أن الأخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً، فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، وقيل: خرج إلى الطائف

الإسلام، ويقول إني لأُحبّك ويحلف بالله على ذلك، وكان منافقاً فكان رسول الله ﷺ يدني مجلسه، فنزل قوله تعالى: **﴿ ومن الناس مَنْ يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾** أي: تستحسنه ويعظم في قلبك، ويُقال في الاستحسان أعجبني كذا، وفي الكراهية والإنكار: عجبتُ من كذا، **﴿ ويُشهد الله على ما في قلبه ﴾**، يعني: قول الأخنس المنافق: والله إني بك مؤمن ولك محبّ، **﴿ وهو ألدّ الخصام ﴾**، أي: شديد الخصومة، يقال: لددتَ يا هذا وأنت تَلِدّ لدداً ولَدَادةً، فإذا أردت أنه غلب على خصمه قلت: لدّه يلدّه لدّاً، يقال: رجل ألدّ وامرأة لدّاء وقومٌ لُدٌّ قال الله تعالى: **﴿ وتُنذر به قوماً لُدّاً ﴾** [مريم: ٩٧]، قال الزجّاج: اشتقاقه من لديدي العُنق وهما صفحتان، وتأويله: أنه في أيِّ وجهٍ أخذ من يمين أوشمال، في أبواب الخصومة غلب، والخِصام: مصدر خاصمه خصاماً ومخاصمةً، قاله أبو عبيدة، وقال الزجّاج: وهو جمع خصم، يقال: خصم وخصام وخُصوم، مثل: بحر وبحار وبُحور، قال الحسن: ألدّ الخصام، أي: كاذب القول، قال قتادة شديد القسوة في المعصية، جدل بالباطل يتكلم بالحكمة، ويعمل بالخطيئة، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو عاصم عن ابن جريج، عن ابن أبي مُليكة عن عائشة رضي الله عنها عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ أبغض الرجال إلى الله تعالى الألدُّ الخصم».

﴿ وإذا تولّى ﴾، أي: أدبر وأعرض عنك، **﴿ سعى في الأرض ﴾**، أي: عمل فيها، وقيل: سار فيها ومشى، **﴿ ليفسد فيها ﴾**، قال ابن جريج: قطع الرحم وسفك دماء المسلمين، **﴿ ويُهلك الحرث والنسل ﴾**، وذلك أن الأخنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيّتهم ليلة فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، قال مقاتل: خرج إلى الطائف مقتضياً مالاً له على غريم فأحرق له كدساً وعقر له أتاناً، والنسل: نسل كل دابّة، والناس منهم، وقال الضحاك وإذا تولّى، أي: ملك الأمر وصار والياً سعَى في الأرض، قال مجاهد في قوله عزّ وجلّ: **﴿ وإذا تولى سعى في**

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مقتضياً ديناً كان له على غريم فأحرق له كدساً وعقر له أتاناً وقيل معناه إذا تولى أي صار والياً وملك الأمر سعى في الأرض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة، وقيل: يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل أن الآية عامة في حق كل من كان موصوفاً بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع أن تنزل في رجل واحد ثم تكون عامة في حق كل من كان موصوفاً بهذه الصفات **﴿والله لا يحب الفساد﴾** قال ابن عباس: لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه الآية على أن المحبة عبارة عن الإرادة. وأجيب عنه بأن الإرادة معنى غير المحبة، فإن الإنسان قد يريد شيئاً ولا يحبه وذلك لأنه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الإرادة والمحبة، وقيل: إن المحبة مدح الشيء وتعظيمه والإرادة بخلاف ذلك **﴿وإذا قيل له اتق الله﴾** أي خف الله في سرك وعلانيتك **﴿أخذته العزة بالإثم﴾** أي حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الإثم وقيل بأن يعمل الإثم وهو الظلم وترك الالتفات إلى الوعظ وعدم الإصغاء إليه. وأصل العزة المنعة والتكبر **﴿فحسبه جهنم﴾** أي كافية له جهنم جزاء وعذاباً، وجهنم اسم من أسماء النار التي يعذب بها الكفار في الآخرة، وقيل: هو اسم أعجمي وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك لبعد قعرها **﴿ولبئس المهاد﴾** أي الفراش والمهاد التوطئة أيضاً والمعنى أن العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد: اتق الله فيقول: عليك بنفسك. وروي أنه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الأرض تواضعاً لله تعالى. قوله عز وجل: **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾** قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في سرية الرجيع وكانت بعد أحد (خ) عن أبي هريرة قال بعث النبي ﷺ سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا الحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب، فتبعوا أثرهم حتى لحقوهم. فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا

﴿الأرض﴾ قال: إذا ولّي يعمل بالعدوان والظلم، فأمسك الله المدر وأهلك الحرث والنسل، **﴿والله لا يحبّ الفساد﴾**، أي: لا يرضى بالفساد، وقال سعيد بن المسيب: قطع الدراهم من الفساد في الأرض.

قوله: **﴿وإذا قيل له اتق الله﴾**، أي: خَفِ الله، **﴿أخذتْهُ العِزّةُ بالإثم﴾**، أي: حملته العزّة، حمية الجاهلية على الفعل بالإثم، أي: بالظلم والعزّة والتكبّر والمِنعة، وقيل معناه: أخذته العزّة للإثم الذي في قلبه، فأقام الباء مقام اللام، قوله: **﴿فحسبه جهنم﴾**، أي كافيه، **﴿ولبئس المهاد﴾** أي: الفراش، قال عبد الله بن مسعود: إنّ من أكبر الذنب عند الله أن يقال للعبد: اتّقِ اللّهَ فيقول: عليك بنفسك، ورُوِيَ أنه قيل لعمر بن الخطاب: اتّق الله فوضع خدّه على الأرض تواضعاً لله عزّ وجلّ.

قوله تعالى: **﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يَشْرِي نفسَهُ ابتغاءَ مَرْضاةِ الله﴾**، أي: لطلب رضا الله تعالى، **﴿والله رؤوف بالعباد﴾**، رُوِيَ عن ابن عباس والضحاك أن هذه الآية نزلتْ في سرية الرجيع، وذلك أن كفّار قريش بعثوا إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة إنّا قد أسلمنا، فابعث إلينا نفراً من علماء أصحابك يعلّموننا دينك، وكان ذلك مكراً منهم، فبعث رسول الله ﷺ خُبَيْب بن عدي الأنصاري ومَرْثد بن أبي مَرْثد الغَنويّ وخالد بن بكير، وعبد الله بن طارق بن شهاب البَلَوي وزيد بن الدَّثِنَة، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري، قال أبو هريرة بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً وأمّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري فساروا فنزلوا ببطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة فأكلوا فمرّت عجوز فأبصرت النّوَى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت: قد سلك هذا الطريق أهل يثرب،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق. فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى إذا اجتمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدَّ بها فأعارتها، فقالت: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى، فقال: أتخشين مني أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذٍ تمرة، وإنه لموثق في الحديد. وما كان إلّا رزقاً رزقه الله خبيباً، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين، فصلى ركعتين ثم انصرف فقال: لولا ترون أن ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سن ركعتين عند القتل، وقال: اللهم أحصهم عدداً وقال:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش إلى عاصم ليأتوا بشيء من جسده بعد موته وكان قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء زاد

من أصحاب محمد ﷺ، فركب سبعون رجلاً منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم، وقال أبو هريرة رضي الله عنه ذكروا الحيّ من هُذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رجلٍ رام، فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه فقالوا: تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما أحسّ بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد فأحاط بهم القومُ فقتلوا مَرْثداً وخالداً وعبد الله بن طارق ونثر عاصم بن ثابت كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلاً من عظماء المشركين ثم قال: اللّهمَّ إني قد حميت دينك صدر النهار فاحمِ لحمي آخر النهار، ثم أحاط المشركون فقتلوه فلما قتلوه أرادوا جَزّ رأسه ليبيعوه من سَلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أُحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربنّ في قحفه الخمر، فأرسل الله رِحْلاً من الدَّبْر وهي الزنابير فحمت عاصماً فلم يقدروا عليه، فسُمّي حميُّ الدَّبْر فقالوا: دعوه حتى نمسي فتذهب عنه فنأخذه، فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطراً كالعزالي فبعث الله الوادي غديراً فاحتمل عاصماً به فذهب به إلى الجنة، وحمل خمسين من المشركين إلى النار، وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهداً أن لا يمسّه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدّبر منعته: عجيباً لحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسّه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع عاصم في حياته، وأسر المشركون خُبيب بن عدي الأنصاري وزيد بن الدَّثِنَة فذهبوا بهما إلى مكة، فأمّا خُبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بأبيهم، وكان خُبيب هو الذي قتل الحرث يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً، حتى أجمعوا على قتله فلستعار من بعض بنات الحارث موسى ليستحدبها فأعارته، فدرج بُنيٌّ لها وهي غافلة فما راع المرأة إلّا خُبيب قد أجلس الصبي على فخذه والموسى بيده، فصاحت المرأة، فقال خُبيب: أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن الغدر ليس من شأننا، فقالت المرأة بعد: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خُبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل قَطْفاً من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة إن كان إلّا رزقاً رزقه الله خُبيباً، ثم إنهم خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلّ وأرادوا أن يصلبوه،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

في رواية وأخبر يعني النبي ﷺ أصحابه يوم أصيبوا خبرهم. الفدفد: الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع. وقوله عالجوه: أي مارسوه، وأراد به أنهم يخدعونه ليتبعهم فأبى. وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة. والقطف العنقود من العنب: قوله على أوصال شلو. الشلو العضو من أعضاء الإنسان. والممزع: المفرق. والظلة: الشيء الذي يظل من فوق الإنسان. والدبر: جماعة النحل والزنابير. وقال أهل التفسير: إن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة أنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفراً من علماء أصحابك يعلمونا دينك، وكان ذلك مكراً منهم فبعث رسول الله ﷺ خبيب بن عدي الأنصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكر وعبدالله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي أفلح الأنصاري، وذكر نحو حديث البخاري، زاد عليه: فقالوا: نصلب خبيباً حياً، فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس لي أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي، فقام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب: اتق الله، فما زاده ذلك إلّا عتواً فطعنه فأنفذه فذلك قوله تعالى: ﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾ يعني سلامان. وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس إلى التنعيم ليقتله في الحل، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب محمداً عندنا الآن مكانك يضرب عنقه وأنك في أهلك قال زيد والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ثم قتله نسطاس، فلما بلغ النبي ﷺ هذا الخبر قال لأصحابه أيكم ينزل خبيباً عن خشبته وله الجنة فقال الزبير: أنا يا رسول الله وصاحبي

فقال لهم خُبيب: دعوني أصلّي ركعتين فتركوه، فكان خُبيب هو أول مَنْ سنّ لكل مسلم قُتل صبراً الصلاةَ، فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن يحسبوا أن ما بي جزع لزدت، اللّهمّ أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تُبقِ منهم أحداً ثم أنشأ يقول:

فلستُ أبـالي حين أُقتـل مسلمـاً ... على أيّ شقٍّ كان في الله مصرعي
وذلـك في ذات الإلـه وإن يشـأ ... يبـارك على أوصال شلو ممـزع

فصلبوه حيّاً فقال: اللّهمّ إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي، ثم قام أبو سرعة عقبة بن الحارث فقتله، ويقال كان رجل من المشركين، يقال له سلامان أبو ميسرة معه رمح فوضعه بين ثديي خُبيب فقال له خبيب: اتّقِ الله فما زاده ذلك إلّا عتواً فطعنه فأنفذه، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذا قيل له اتّق الله أخذته العِزّة بالإثم ﴾، يعني: سلامان، وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صفوان بن أُميّة لقتله بأبيه أُميّة بن خلف، فبعثه مع مولى له يسمّى نسطاس إلى التنعيم ليقتله بأبيه، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قَدِمَ ليقتل: أنشدك الله يا زيد أتحبّ أن محمداً عندنا الآن بمكانك ونضرب عنقه، وإنك في أهلك؟ فقال: والله ما أُحبّ أن محمداً ﷺ الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكة تُؤذيه وأنا جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحُبّ أصحاب محمد محمداً، ثم قتله نسطاس، فلما بلغ النبي ﷺ هذا الخبر قال لأصحابه: «أيكم ينزّل خُبيباً عن خشبته وله الجنّة»، فقال الزّبير: أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود، فخرجا يمشيان بالليل ويكمنان بالنهار، حتى أتيا التنعيم ليلاً وإذا حول الخشبة أربعون رجلاً من المشركين نائمون نشاوى، فأنزلاه فإذا هو رطب ينثني لم يتغيّر منه شيء بعد أربعين يوماً ويده على جراحته وهي تبضّ دماً اللونِ لون الدم والريح ريح المسك، فحمله الزبير على فرسه وساروا، فانتبه الكفّار وقد فقدوا خُبيباً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

المقداد بن الأسود، فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى أتيا التنعيم ليلاً، فإذا حول الخشبة أربعون من المشركين نشاوى وهم نيام، فأنزلاه عن خشبته، فإذا هو رطب ينثني ولم يتغير منه شيء بعد أربعين يوماً ويده على جراحته وهي تبض دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك، فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيباً فأخبروا قريشاً فركب معهم سبعون فارساً فلما لحقوهم قذف الزبير خبيباً فابتلعته الأرض فسمي بليغ الأرض وقال الزبير ما أجرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان ضاريان يدفعان عن أشبالهما. فإن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتكم وإن شئتم انصرفتم، فانصرفوا إلى مكة، وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله ﷺ وجبريل عنده فقال يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك، ونزل في الزبير والمقداد: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ حين شريا أنفسهما بإنزال خبيب عن خشبته. وقال أكثر المفسرين: نزلت في صهيب ابن سنان الرومي، وإنما نسب إلى الروم لأن منازلهم كانت بأرض الموصل فأغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم، وإنما كان من العرب ابن النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء أقبل صهيب مهاجراً إلى النبي ﷺ فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته وقال: والله لا تصلوا إليّ أو أرمي بكل سهم معي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي، وإن شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي. فقالوا نعم، ففعل، فلما قدم على رسول الله ﷺ نزلت: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ الآية فقال رسول الله ﷺ: ربح البيع أبا يحيى، وتلا عليه هذه الآية. وقال الحسن: أتدرون فيم نزلت هذه الآية؟ نزلت في المسلم يلقي الكافر فيقول له قل: لا إله إلاّ الله فيأبى أن يقولها فيقولها المسلم والله لأشرين نفسي لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل، وقيل نزلت هذه الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال ابن عباس: رضي الله عنهما: أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم قال وأنا أشري

فأخبروا قريشاً فركب منهم سبعون فلما لحقوهم قذف الزبير خُبيباً فابتلعته الأرض، فسُمّي بليع الأرض فقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر قريش، ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن العوّام وأمّي صفيّة بنت عبد المطّلب، وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان رابضان يدافعان عن شبليهما، فإن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتكم، وإن شئتم انصرفتم، فانصرفوا إلى مكة وقدِما على رسول الله ﷺ وجبريل عنده، فقال: يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك فنزل في الزبير والمقداد بن الأسود: ﴿ ومن الناس مَن يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾، حين شريا أنفسهما بإنزال خُبيب عن خشبته، وقال أكثر المفسّرين: نزلت في صهيب بن سِنان الرومي، حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنين، فعذّبوهم فقال لهم صهيب: إني شيخ كبير لا يضرّكم أمِنْكم كنتُ أم من غيركم، فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا، وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة ما شاء الله، ثم خرج إلى المدينة فتلقّاه أبو بكر وعمر في رجال فقال له أبو بكر: ربح بيعك يا أبا يحيىٰ فقال له صهيب: وبيعك فلا تتحسّر، قال صهيب: ماذا لي فقد أنزل الله فيك وقرأ هذه الآية، وقال سعيد بن المسيب وعطاء: أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ، فاتّبعه نفرٌ من مشركي قريش، فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم إني لَمِنْ أرماكم رجلاً، والله لا أضع سهماً مما في كنانتي إلاّ في قلب رجل منكم، وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخلّيتم سبيلي، قالوا: نعم، ففعل ذلك، فأنزل الله هذه الآية، وقال الحسن: أتدرون فيمن نزلتْ هذه الآية؟ نزلت في المسلم يلقَى الكافر، فيقول له: قل لا إله إلاّ الله، فيأبى أن يقولها، فقال المسلم: والله لأشرينّ نفسي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

نفسي لله فقاتله، وكان علي كرم الله وجهه إذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة. وسمع عمر رجلاً يقرأ هذه الآية: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل. عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن غريب. وأما تفسير الآية فذكر المفسرون أن المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله: ﴿وشروه بثمن﴾ أي باعوه والمعنى أن المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الآخرة، وهذا البيع هو أن يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام، وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهي عن المنكر، فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع، والله تعالى المشتري، والثمن هو ثواب الله تعالى في الآخرة ابتغاء مرضاة الله أي طلب رضا الله ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ أي من رأفة الله بعباده أن جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع، ومن رأفته أنه يقبل توبة عبده ومن رأفته أن نفس العباد وأموالهم له، ثم إنه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلاً منه ورحمة وإحساناً قوله عز وجل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه، وذلك لما أسلموا قاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الإبل وألبانها، وقالوا: إن ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام وواجب في التوراة، وقالوا أيضاً: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل، فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا في السلم أي في شرائع الإسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فإنها منسوخة. والمعنى استسلموا لله وأطيعوه فيما أمركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة أي في الإسلام. وروى جابر عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود وتعجبنا فنرى أن نكتب بعضها فقال ﷺ: «أتتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو أن موسى حي ما وسعه إلاّ اتباعي» قوله أتتهوكون أي تتحيرون أنتم في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى، وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضاء نقية،

لله، فتقدّم فقاتل وحْده حتى قُتل، وقيل: نزلت الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ابن عباس: أرى مَن يَشْري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل وأخذته العزّة بالإثم، قال: وأن أشري نفسي لله فقاتله فاقتتل الرجلان لذلك، وكان عليّ إذا قرأ هذه الآية يقول: اقتتلا وربِّ الكعبة، وقال أبو الخليل: سمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه الآية ﴿ ومن الناس مَنْ يَشْري نفسه ابتغاء مرضات الله ﴾، فقال عمر: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقُتل، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا حمّاد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله أيّ الجهاد أفضل؟ قال: «أفضل الجهاد مَن قال كلمة حق عند سلطان جائر».

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلم كافّة ﴾، قرأ أهل الحجاز والكسائي (السَّـلم) ههنا بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها، وفي سورة الأنفال بالكسر، وقرأ أبو بكر والباقون بالفتح، وفي سورة محمد ﷺ بالكسر، حمزة وأبو بكر، نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام النضيري وأصحابه، وذلك

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أي لا تحتاج إلى شيء، وقيل يحتمل أن يكون خطاباً للمنافقين من المؤمنين، والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا في السلم أي الانقياد والطاعة لأن أصل السلم الاستسلام، وهو الانقياد كافة، أي بأجمعكم ولا تتفرقوا، وقيل يحتمل أن يرجع إلى الإسلام والمعنى ادخلوا في أحكام الإسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى أليق بظاهر التفسير لأنهم أمروا بالقيام بها كلها. قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: للإسلام ثمانية أسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: وقد خاب من لا سهم له ﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ يعني آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغير ذلك، وقيل: لا تلتفتوا إلى الشبهات التي يلقيها إليكم أصحاب الضلالة والغواية والأهواء المضلة لأن من اتبع سنة إنسان فقد تبع آثره ﴿**إنه لكم عدو مبين**﴾ يعني الشيطان. فإن قلت عداوته بإيصال الضرر وإلقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد، فإن الله هو الفاعل لجميع الأشياء. قلت: إنه يحاول إيصال الضرر والبلاء إلينا، ولكن الله منعه عن ذلك وأما معنى الوسوسة فمعلوم أنه يزين المعاصي وإلقاء الشبهات، وكل سبب لوقوع الإنسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب، فهذا من أعظم جهات العداوة. فإن قلت: كيف يصح وصف الشيطان بأنه مبين مع أنا لا نراه؟ قلت: إن الله تعالى بين عداوته ما هي فكأنه بين وإن لم يشاهد ﴿**فإن زللتم**﴾ أي ملتم وضللتم وقال ابن عباس أشركتم ﴿**من بعد ما جاءتكم البينات**﴾ أي الدلالات الواضحات ﴿**فاعلموا أن الله عزيز**﴾ أي في نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شيء ﴿**حكيم**﴾ يعني أنه لا ينتقم إلاّ بحق والحكيم ذو الإصابة في الأمور كلها وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق، أو عنده شبهة في الدين قوله عز وجل:

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ

أنهم كانوا يعظّمون السبت ويكرهون لحوم الإبل وألبانها بعدما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فَلْنَقُمْ بها في صلاتنا بالليل، فأنزل الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السّلم كافّة** ﴾، أي: في الإسلام، قال مجاهد: في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم كافّة أي جميعاً، وقيل: ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافّين عن المجاوزة إلى غيره، وأصل السلم من الاستلام والانقياد، ولذلك قيل: للصلح سلم، قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم فعدّ الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: قد خاب مَن لا سهم له، ﴿ **ولا تتّبعوا خُطوَاتِ الشيطان** ﴾، أي: آثاره فيما زيّن لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره، ﴿ **إنه لكم عدوٌّ مبين** ﴾، أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحّان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش، أخبرنا علي بن عبد العزيز المكّي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام، أخبرنا هاشم أخبرنا مخلد عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله عن النبيّ ﷺ حين أتاه عمر فقال: إنّا نسمع أحاديث من يهود تُعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوكون أنتم كما تَهوّكتِ اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيّةً ولو كان موسى حيّاً ما وسعه إلّا اتّباعي».

﴿**فإنْ زَلَلْتم**﴾، ضللتم، وقيل: مِلتم، يقال: زلّت قدمه تزلّ زلّاً وزللاً إذا دحضت، قال ابن عباس: يعني الشرك، قال قتادة: قد علم الله أنه سيزلّ زالّون من الناس، فتقدّم في ذلك وأوعد فيه ليكون لديه الحجّة عليهم، ﴿ **مِنْ بعد ما جاءتْكم البيّنات** ﴾، أي: الدّلالاتِ الواضحاتِ، ﴿ **فاعلموا أن الله عزيزٌ** ﴾: في نقمته، ﴿ **حكيمٌ** ﴾: في أمره، فالعزيز: هو الغالب الذي لا يفوته شيء، والحكيم: ذُو الإصابة في الأمر.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿الْأُمُورُ ۝٢١٠ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢١١﴾

﴿**هل ينظرون**﴾ أي ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان ﴿**إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل**﴾ جمع ظلة ﴿**من الغمام**﴾ يعني السحاب الأبيض الرقيق سمي غماماً لأنه يغم ويستر وقيل هو شيء غير السحاب ولم يكن إلاّ لبني إسرائيل في تيههم وهو كهيئة الضباب الأبيض ﴿**والملائكة**﴾ أي وتأتيهم الملائكة. وروى الطبري في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من الغمام طاقات يأتي الله عزّ وجلّ فيها محفوفاً، وذلك قوله تعالى ﴿**هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر**﴾ قال عكرمة: والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى. واعلم أن هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء في آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة: الإيمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات، وأنه يجب علينا الإيمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مع الإيمان، والاعتقاد بأن الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون. قال الكلبي: هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لأحد أن يفسره إلاّ الله ورسوله. وكان الزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها اقرؤوها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الأمة، وأنشد بعضهم في المعنى:

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته ... ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها ... وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا ... وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفناً فإنها ... لتسليم دين المرء خير المراكب

(المذهب الثاني) وهو قول جمهور علماء المتكلمين، وذلك أنه أجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من أصحاب النظر على أنه تعالى منزه عن المجيء والذهاب، ويدل على ذلك أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان، وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث، والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك أن ظاهر الآية ليس مراداً، فلا بد من التأويل على

قوله تعالى: ﴿ **هل ينظرون** ﴾، أي: هل ينتظرون، التاركون الدخول في السلم والمتَّبِعون خطوات الشيطان، يقال نظرته وانتظرته بمعنىً واحد، فإذا كان النظر مقروناً بذكر الوجه أو إلى لم يكن إلاّ بمعنى الرؤية، ﴿ **إلاّ أن يأتيهم الله في ظُلل** ﴾، جمع ظُلّة، ﴿ **من الغمام** ﴾، وهو السحاب الأبيض الرقيق سُمّي غماماً لأنه يغمّ، أي يستر، وقال مجاهد: هو غير السحاب، ولم يكن إلاّ لبني إسرائيل في تيههم، وقال مقاتل: كهيئة الضبابة أبيض، قال الحسن: في سترة من الغمام، فلا ينظر إليهم أهل الأرض، ﴿ **والملائكة** ﴾ قرأ أبو جعفر بالخفض عطفاً على الغمام، تقديره مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي: مع العسكر، وقرأ الباقون الرفع على معنى إلاّ أن يأتيهم الله والملائكة في ظُلل من الغمام، والأولى في هذه الآية وفيما شاكلها أن يؤمن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

سبيل التفصيل، فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله الآيات فيكون مجيء الآيات مجيئاً لله تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه إلّا أن يأتيهم أمر الله ووجه هذا التأويل أن الله تعالى فسره في آية أخرى فقال: هل ينظرون إلّا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك، فصار هذا الحكم مفسراً لهذا المجمل في هذه الآية. وقيل: معناه يأتيهم الله بما أوعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلاً عليهم إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد، وإذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل أن تكون الفاء بمعنى الباء لأن بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة، والمراد العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة، وقيل معناه ما ينظرون إلّا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام. فإن قلت: لم كان إتيان العذاب في الغمام؟ قلت: لأن الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر، فإذا نزل منه العذاب كان أعظم وأفظع وقيل إن نزول الغمام علامة لظهور القيامة وأهوالها ﴿وقضي الأمر﴾ أي وجب العذاب وفرغ من الحساب، وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ أي إلى الله تصير أمور العباد في الآخرة. فإن قلت: هل كانت ترجع إلى غيره؟ قلت: إن أمور جميع العباد ترجع إليه في الدنيا والآخرة، ولكن المراد من هذا إعلام الخلق إنه المجازي على الأعمال بالثواب والعقاب، وجواب آخر وهو أنه لما عبد قوم غيره في الدنيا أضافوا أفعاله إلى سواه ثم فإذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا إلى الله ما أضافوه إلى غيره في الدنيا. قوله عز وجل: ﴿سل بني إسرائيل﴾ الخطاب للنبي ﷺ أمره أن يسأل يهود المدينة، وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لأنه كان ﷺ قد علمها بإعلام الله إياه، ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة في الزجر عن الإعراض عن دلائل الله وترك الشكر، وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التي أنعم بها على سلفهم ﴿كم آتيناهم من آية بينة﴾ أي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وإنزال المن والسلوى ﴿ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته﴾ يعني يغير الآية التي جاءته من الله لأنها هي سبب الهدى والنجاة من الضلالة، وقيل هي حجج الله الدالة على نبوة محمد ﷺ وذلك أنهم أنكروها وبدلوها، وقيل المراد بنعم الله عهده الذي عهد إليهم فلم يفوا به ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ يعني لمن بدل نعمة الله. قوله عز وجل: .

الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى، أو يعتقد أن الله عزّ اسمه منزّه عن سِمات الحَدَث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السُّنّة، قال الكلبي: هذا من المكتوم الذي لا يُفسّر، وكان مكحول والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثّوري والليث بن سعد وأحمد وإسحق، يقولون فيه وفي أمثاله: أمرْها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عُيينة: كلما وصفَ اللّهُ به نفسَه في كتابه فتفسيره: قراءتُه والسكوتُ عليه، ليس لأحد أن يفسّره إلّا الله تعالى ورسوله. قوله تعالى: ﴿ وقُضِيَ الأمر ﴾، أي: وجب العذاب وفُرِغ من الحساب، وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة، ﴿ وإلى الله تُرجع الأمور ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بضمّ التاء وفتح الجيم.

قوله تعالى: ﴿ سلْ بني إسرائيل ﴾، أي: سل يا محمد يهود المدينة: ﴿ كم آتيناهم ﴾: أعطينا آباءهم وأسلافهم، ﴿ من آية بيّنة ﴾، قرأ أهل الحجاز وقتيبة بتشديد الياء والباء، والباقون بتشديد الياء، دَلَالةٍ واضحة على نبوّة موسى عليه السلام، مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها، وقيل: معناه الدلالات التي آتاهم الله في التوراة والإنجيل على نبوّة محمد ﷺ، ﴿ ومَنْ يُبدل ﴾، يعني: يُغير ﴿ نِعْمَةَ الله ﴾: كتاب الله، وقيل: عهد الله، وقيل: مَن يُنكر الدّلالة على نبوّة محمد ﷺ، ﴿ من بعد ما جاءته فإنّ الله شديد العقاب ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾ نزلت في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه لأنهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد، وقيل: نزلت في المنافقين عبدالله بن أبيّ وأصحابه. وقيل: نزلت في رؤساء اليهود. ويحتمل أنها نزلت في الكلّ. والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك أنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الأشياء العجيبة والمناظر الحسنة، وإنما فعل ذلك ابتلاء العبادة وذلك أنه جعل دار الدنيا ابتلاء وامتحان وركب في الطباع الميل إلى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الإلجاء والقسر الذي لا يمكن تركه، بل على سبيل التحبب الذي تميل النفس إليه مع إمكان. ردها عنه فنظر الخلق إلى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها. وقيل: إن المراد من التزيين أنه تعالى أمهلهم في الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها، فكان هذا الإمهال هو التزين. وقيل: إن المزين هو الشيطان وغواة الجن والإنس، وذلك أنهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة. وقيل: أوهموهم أن لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها، وهذا التأويل ضعيف لأن قوله تعالى زين الذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والإنس وأن كلهم مزين لهم وهذا المزين لا بد وأن يكون مغايراً لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة ﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾ يعني أن الكفار يستهزئون بفقراء المؤمنين، قال ابن عباس: مثل عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم. وقيل: كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم ﴿والذين اتقوا﴾ يعني الفقراء من المؤمنين ﴿فوقهم﴾ أي فوق الكفار ﴿يوم القيامة﴾ لأن الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في أسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو

﴿ زُيِّن للذين كفروا الحياة الدنيا ﴾، الأكثرون على أن المُزَيِّن هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هو: أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فنظر الخلق بأكثر من قدرها فأعجبهم حُسنها فَفُتنوا بها، وقال الزجّاج: زيّن لهم الشيطان، قيل: نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذّبون بالمعاد، ﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾، أي: يستهزؤون بالفقراء من المؤمنين، قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمّار بن ياسر وصهيباً وبلالاً وخباباً وأمثالهم، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبد الله بن أُبي وأصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم، وقال عطاء: نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع، سخروا من فقراء المهاجرين، فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال، ويسخرون من الذين آمنوا لفقرهم، ﴿ والذين اتّقوا ﴾، يعني: هؤلاء الفقراء، ﴿ فوقهم يوم القيامة ﴾، لأنهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين، أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدّي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحق الديري أخبرنا عبد الرزّاق أخبرنا معمر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «وقفت على باب الجنّة فرأيت أكثر أهلها المساكين، ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء، وإذا أهل الجدّ محبوسون إلاّ مَن كان منهم من أهل النار، فقد أمر به إلى النار»، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتلّ جوّاظ جعظري مستكبر» العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير. والجواظ الفاجر المختال في مشيته، وقيل هو القصير البطين. والجعظري الفظ الغليظ، وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده (ق) عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال: «قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء» الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قال ابن عباس: يعطي كثيراً بغير مقدار لأن كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل، والمعنى أنه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل معناه أنه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه أنه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه أنه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج إلى حساب لما يخرج منها لأن الحساب إنما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزائنه لأنها بين الكاف والنون وقيل معناه إن الله يقتر الرزق على ما يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء، ولا يعطي كل واحد على قدر حاجته، بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج إليه، ولا معارض له في حكمه، ويحاسب فيما رزق، ولا يقال له لم أعطيت هذا وحرمت هذا، ولا لم أعطيت هذا أكثر من ذاك؟ لأنه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسأل عما يفعل. وقيل: يحتمل أن يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك أن نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع. وقيل: إنه تعالى يعطي أهل الجنة الثواب والأجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه إليهم بغير حساب قوله عز وجل:

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

﴿كان الناس أمة واحدة﴾ أي على دين واحد. قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد إلى أن قتل

أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق بن إبراهيم، حدّثني عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا»؟ فقال رجل من أشراف الناس: هذا والله حريّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرّ رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا»؟ فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريّ إن خطب أن لا يُنكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يُسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»، ﴿ والله يرزق مَن يشاء بغير حساب ﴾، يعني: كثيراً بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد يوسع على مَن يشاء ويبسط لمَن يشاء من عباده، وقال الضحاك: يعني: من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل: هذا يرجع إلى الله، معناه: يقتّر على مَن يشاء ويبسط لمَن يشاء، ولا يُعطي لكل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير مَنْ لا يحتاج إليه ولا يُعطي القليل مَنْ يحتاج إليه، فلا يُعتَرض عليه ولا يُحاسَب فيما يرزق، ولا يُقال: لِمَ أعطيت هذا وحرمت هذا، ولِمَ أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذاك، وقيل: معناه لا يخافُ نَفَاذَ خزائنه، فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من المعطي إنما يكون بما يخاف من نفاذ خزائنه.

قوله تعالى: ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾: على دين واحد، قال مجاهد: أراد آدم وحده كان أمة واحدة، قال: سُمّي الواحد بلفظ الجمع، لأنه أصل النسل وأبو البشر، ثم خلق الله تعالى منه حوّاء ونشر منهما الناس فانتشروا،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قابيل هابيل فاختلفوا. وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم إلى مبعث نوح ثم اختلفوا، فبعث الله نوحاً، وهو أول رسول بعث، ثم بعث بعده الرسل. وقيل هم أهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته. وقيل إن العرب كانت على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن غيره عمرو بن لحي. وقيل كانت الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لأخذ الميثاق فقال: ألست بربكم؟ قالوا بلى، فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم، ثم لما ظهروا إلى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد. وقيل إن آدم وحده كان أمة واحدة يعني إماماً وقدوة يقتدى به وإنما ظهر الاختلاف بعده. وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله ﴿فبعث الله النبيين﴾ فإن قيل: أليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وإدريس ونحوهم؟ فالجواب أن الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب. وقيل إن الآية دلت على أن الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل على أنهم كانوا على إيمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج ﴿فبعث الله النبيين﴾ وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القرآن بأسماء الأعلام ثمانية وعشرون نبياً ﴿مبشرين﴾ بالثواب لمن آمن وأطاع ﴿ومنذرين﴾ يعني مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى، وإنما قدم البشارة على الإنذار لأن البشارة تجري مجرى حفظ الصحة للأبدان والإنذار يجري مجرى إزالة المرض، ولا شك أن المقصود هو الأول فكان أولى بالتقديم ﴿وأنزل معهم الكتاب﴾ أي الكتب أو يكون التقدير وأنزل مع كل واحد الكتاب ﴿بالحق﴾ أي بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عشر صحائف، وعلى شيث ثلاثون، وعلى إدريس خمسون، وعلى موسى عشر صحائف والتوراة، وعلى داود الزبور، وعلى عيسى الإنجيل، وعلى محمد ﷺ وعليهم القرآن ﴿ليحكم بين الناس﴾ يعني الكتاب وإنما أضيف الحكم إلى الكتاب وإن كان الحاكم هو الله تعالى لأنه أنزله. والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي أنزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابة المنزل عليه فإسناد الحكم إلى الكتاب أو للنبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة ﴿فيما اختلفوا فيه﴾ أي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه ﴿وما اختلف فيه﴾ أي في الحق ﴿إلّا الذين أوتوه﴾ أي أعطوا الكتاب والمراد به التوراة والإنجيل والذين أوتوه

وكانوا مسلمين إلى أن قتل هابيل فاختلفوا، ﴿ فبعث الله النبيّين ﴾ قال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملّة الكفر أمثال البهائم فبعث الله نوحاً وغيره من النبيّين، وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح، وكان بينهما عشرة قرون، كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح، فبعث الله إليهم نوحاً فكان أول نبي بُعث، ثم بَعث بعده النبيّين، وقال الكلبي: هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين، ثم اختلفوا بعد وفاة نوح، ورُوِيَ عن ابن عباس قال: كان الناس على عهد إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كفّاراً كلهم فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيّين، وقيل: كان العرب على دين إبراهيم إلى أن غيّره عمرو بن لحيّ لعنة الله عليه، ورُوِيَ عن أبي العالية عن أُبيّ بن كعب قال كان الناس حين عُرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره، وأقرّوا بالعبودية لله تعالى أمةً واحدة مسلمين كلهم، ولم يكونوا أمةً واحدة قطّ غير ذلك اليوم، ثم اختلفوا بعد آدم، نظيره في سورة يونس [١٩]: ﴿ وما كان الناس إلّا أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيّين ﴾، وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرّسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيّاً، ﴿ مُبشّرين ﴾: بالثواب مَن آمن وأطاع، ﴿ ومنذرين ﴾، محذّرين بالعقاب مَن كفر وعصى، ﴿ وأنزل معهم الكتاب ﴾، أي: الكتب، تقديره: وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب، ﴿ بالحق ﴾: بالعدل والصدق، ﴿ ليحكم بين الناس ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿ ليحكم ﴾ بضم الياء وفتح الكاف ههنا، وفي أول آل عمران

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضاً بغياً وحسداً. وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم. وقيل الكناية فيه راجعة إلى محمد ﷺ والمعنى وما اختلف في أمر محمد ﷺ بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته ﷺ إلّا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغياً منهم وحسداً ﴿**من بعد ما جاءتهم البينات**﴾ أي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد ﷺ ﴿**بغياً بينهم**﴾ أي إنهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء وإنما تركوا إتباعه بغياً وحسداً، وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة ﴿**فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه**﴾ أي إلى ما اختلفوا فيه ﴿**من الحق**﴾ والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الأمة الإسلامية إليها (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يقوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فغداً لليهود وبعد غد للنصارى» وفي رواية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له» زاد النسائي: يعني يوم الجمعة، ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة قبل الخلائق. وقيل اختلفوا في شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب إلى بيت المقدس، وصلت النصارى إلى المشرق، وهدانا الله إلى الكعبة. وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود كان يهودياً، وقالت النصارى كان نصرانياً، فهدانا إلى الحق فقلنا: كان حنيفاً مسلماً. واختلفوا في عيسى ابن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى أفرطوا فيه، فهدانا الله في ذلك كله للحق. والمعنى فهدى الله الذين آمنوا إلى الحق الذي اختلف فيه من اختلف ﴿**بإذنه**﴾ يعني بعلمه وأمره وإرادته ﴿**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾.

وفي النور موضعين، لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة إنما يُحكم به، وقراءة العامّة بفتح الياء وضمّ الكاف، أي: ليحكم الكتاب، ذكره على سِعة الكلام، كقوله تعالى: ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقيل: معناه ليحكم كل نبيّ بكتابه، ﴿ **فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه** ﴾، أي: في الكتاب ﴿ **إلّا الذين أُوتوه** ﴾، أي: أُعطوا الكتاب، ﴿ **من بعد ما جاءتهم البيّنات** ﴾، يعني: أحكام التوراة والإنجيل، قال الفرّاء: ولاختلافهم معنيان: أحدهما كفرُ بعضهم بكتاب بعض، قال الله تعالى: ﴿ ويقولون نُؤمن ببعض ونكفر ببعضٍ ﴾ [النساء: ١٥٠]، والآخر: تحريفهم كتاب الله قال الله: ﴿ يُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه ﴾ [النساء: ٤٦، والمائدة: ١٣]، وقيل: الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه، اختلف فيه أهل الكتاب ﴿ **مِنْ بعدِ ما جاءتهم البيّنات** ﴾، صفة محمد ﷺ في كتبهم، ﴿ **بغياً** ﴾ ظلماً وحسداً ﴿ **بينهم فهدى الله الذين آمنوا لِما اختلفوا فيه** ﴾، أي: إلى ما اختلفوا فيه، ﴿ **من الحق بإذنه** ﴾، بعلمه وإرادته فيهم، قال ابن زيد في هذه الآية: اختلفوا في القِبلة فمنهم مَن يصلّي إلى المشرق ومنهم مَن يصلّي إلى المغرب، ومنهم مَن يصلّي إلى بيت المقدس، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت، والنصارى الأحد، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود الفِرية، وجعلته النصارى إلَهاً، وهدانا الله للحق فيه، ﴿ **والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة**﴾ نزلت في غزوة الأحزاب وهي غزوة الخندق، وذلك أن المسلمين أصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذٍ. وقيل: نزلت في غزوة أحد. وقيل: لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة في أول الهجرة اشتد عليهم الضر لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا أموالهم وديارهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ وآثر قوم النفاق فأنزل الله هذه الآية تطييباً لقلوبهم. ومعنى الآية: أحسبتم والميم صلة. وقيل: هل حسبتم والمعنى أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان ولم يصبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم من إتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله: ﴿**ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم**﴾ أي شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين وأتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم ﴿**مستهم البأساء**﴾ أي أصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس ﴿**والضراء**﴾ يعني المرض والزمانة وضروب الخوف ﴿**وزلزلوا**﴾ أي وحركوا بأنواع البلايا والرزايا وأصل الزلزلة الحركة وذلك لأن الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه ﴿**حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله**﴾ وذلك لأن الرسل أثبت من غيرهم وأصبر وأضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا أتباعهم من المؤمنين. والمعنى أنه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة إلى هذه الغاية واستبطؤا النصر قيل لهم ﴿**ألا إن نصر الله قريب**﴾ إجابة لهم في طلبهم. والمعنى: هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم إلى أن يأتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الأذى والشدة والمشقة في طلب الحق فإن نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تنتصر لنا ألا تدعو لنا فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من

قوله تعالى: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾، قال قتادة والسدي: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدّة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى، كما قال الله تعالى: ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ [الأحزاب: ١٠]، وقيل: نزلت في حرب أُحد، وقال عطاء: لمّا دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، اشتدّ عليهم الضرّ لأنهم خرجوا بلا مالٍ وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، وأسرّ قومٌ النفاق، فأنزل الله تعالى تطييباً لقلوبهم ﴿ أم حسبتم ﴾، معناه حسبتم والميم صلة قاله الفرّاء، وقال الزجّاج: بل حسبتم، ومعنى الآية: أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة، ﴿ ولمّا يأتكم ﴾، أي: ولم يأتكم و﴿ ما ﴾ صلة ﴿ مَثَلُ الذين خَلَوْا ﴾، شبه الذين مضوا، ﴿ مِنْ قبلكم ﴾: من النبيين والمؤمنين، ﴿ مسّتهم البأساء ﴾: الفقر والشدّة والبلاء، ﴿ والضرّاء ﴾: المرض والزَمَانة، ﴿ وزُلزلوا ﴾، أي: حُرّكوا بأنواع البلايا والرزايا وخُوّفوا، ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾، ما زال البلاء بهم حتى استبطأوا النصر، قال الله تعالى: ﴿ ألا إن نصر الله قريب ﴾، قرأ نافع ﴿ حتى يقول الرسول ﴾ بالرفع، معناه: حتى قال الرسول، وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، فَلَكَ فيه الوجهان: الرفع والنصب، فالنصب على ظاهر الكلام لأن (حتى) تنصب الفعل المستقبل،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاّ الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**يسألونك ماذا ينفقون**﴾ نزلت في عمرو بن الجموح، وكان شيخاً كبيراً ذا مال، فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق؟ فأنزل الله تعالى ﴿**يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير**﴾ أي مال والمعنى: وما تفعلوا من إنفاق شيء من المال قل أو كثر ﴿**فللوالدين**﴾ وإنما قدم الإنفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لأنهما كانا السبب في إخراجه من العدم إلى الوجود ﴿**والأقربين**﴾ وإنما ذكر بعد الوالدين الأقربين لأن الإنسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من غيرهم ﴿**واليتامى**﴾ وإنما ذكر بعد الأقربين اليتامى لصغرهم، ولأنهم لا يقدرون على الاكتساب، ولا لهم أحد ينفق عليهم ﴿**والمساكين**﴾ وإنما أخرهم لأن حاجتهم أقل من حاجة غيرهم ﴿**وابن السبيل**﴾ يعني المسافر فإنه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر إلى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الإنفاق. ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل أتبعه بالإجمال فقال تعالى: ﴿**وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم**﴾ وما تفعلوا من خير مع هؤلاء أو غيرهم طلباً لوجه الله تعالى ورضوانه فإن الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير أن هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن إنها محكمة ووجه إحكامها أن الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان. وقال ابن زيد: هذا في النفل، وهو ظاهر الآية فمن أحب التقرب إلى الله تعالى بالإنفاق فالأولى به أن ينفق في الوجوه المذكورة في الآية، فيقدم الأول فالأول. (بقي في الآية سؤال: وهو أنه كيف طابق السؤال الجواب وهو أنهم سألوا عن بيان ما ينفق فأجيبوا ببيان المصرف، وأجيب عن هذا السؤال بأنه قد تضمن قوله: ما

والرفع معناه الماضي، و(حتى) لا تعمل في الماضي.

قوله تعالى: ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون** ﴾، نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخاً كبيراً ذا مال فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى مَن ننفق؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون** ﴾، وفي قوله: ﴿ **ماذا** ﴾ وجهان من الإعراب، أحدهما: أن يكون محله نصباً بقوله: ﴿ **ينفقون** ﴾، تقديره أي شيء ينفقون، والآخر: أن يكون رفعاً بـ﴿ **ما** ﴾ ومعناه: ما الذي ينفقون؟ ﴿ **قل ما أنفقتم من خير** ﴾، أي: من مال، ﴿ **فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل، وما تفعلوا من خير فإنّ الله به عليم** ﴾، يُجازيكم به قال أهل التفسير: كان هذا قبل فرض الزكاة فنسخت بالزكاة.

قوله تعالى: ﴿ **كُتب عليكم القتال** ﴾، أي: فُرض عليكم الجهاد، واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال عطاء: الجهادُ تطوّع، والمراد من الآية أصحاب رسول الله ﷺ دون غيرهم، وإليه ذهب الثّوري، واحتجّ مَن ذهب إلى هذا بقوله تعالى: ﴿ فَضّلَ اللّهُ المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلًّا وَعَدَ اللّهُ الحُسنى ﴾ [النساء: ٩٥]، ولو كان القاعد تاركاً فرضاً لم يكن بعده الحُسنى، وجرى بعضهم على ظاهر الآية وقال: الجهاد فرض على كافّة المسلمين إلى قيام الساعة، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريجي الخوارزمي، أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي القرالي، أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم إلى جواب السؤال ما يكمل به المقصود، وهو بيان المصرف لأن النفقة لا تعد نفقة إلاّ أن تقع موقعها قال الشاعر:

إن الصنيعة لا تعد صنيعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع

قوله عز وجل: ﴿كتب عليكم القتال﴾ أي فرض عليكم الجهاد. واختلف العلماء في حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله ﷺ دون غيرهم وإليه ذهب الثوري وحكى عن الأوزاعي نحوه، وحجة هذا القول أن قوله كتب يقتضي الإيجاب ويكفي العمل به مرة واحدة وحجة من أوجبه على أصحاب رسول الله ﷺ أن قوله عليكم يقضتي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت، وقيل: بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً» أخرجه أبو داود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا» وقيل: إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول: هو المختار الذي عليه جمهور العلماء. قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا أو لم يجاهدوا فمن غزا فيها ونعمت ومن قعد عدة إن استعين به أعان وإن استنفر نفر وإن استغنى عنه قعد قال الله تعالى: ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى﴾ ولو كان القاعد تاركاً فرضاً لم يعده بالحسنى، واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها أنها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين. القول الثاني: إنها منسوخة لأن فيها وجوب الجهاد على

غَرزة، أخبرنا سعيد بن عثمان العبدي عن عمرو بن محمد بن المنكدر عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن مات ولم يغزُ ولم يُحدّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق» وقال قوم وعليه الجمهور: إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، مثل صلاة الجنازة، وردِّ السلام، قال الزهري والأوزاعي: كتب الله الجهاد على الناس غَزُوا أو قعدوا، فمَن غزا فيها ونعمت، ومَن قعد فهو عِدّةٌ إن استُعين به أعان وإن استُنفر نَفَر، وإن استُغني عنه قَعَد، قوله تعالى: ﴿ وهو كُرهٌ لكم ﴾، أي: شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفورُ الطبع عنه، لِما فيه من مؤنة المال ومشقّة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى، وقال عكرمة: نسخها قوله تعالى: ﴿ سمعنا وأطعنا ﴾ [البقرة: ٢٨٥، النساء: ٤٦، المائدة: ٧، النور: ٥١]، يعني: أنهم كرهوا ثم أحبوه، فقالوا: سمعنا وأطعنا، قال الله تعالى: ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم ﴾، لأنّ في الغزو إحدى الحُسنيين إمّا الظفر والغنيمة وإمّا الشهادة والجنّة، ﴿ وعسى أن تُحبّوا شيئاً ﴾، يعني: القعود عن الغزو، ﴿ وهو شرٌّ لكم ﴾: لما فيه من فوات الغنيمة والأجر، ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾، قوله تعالى: ﴿ يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴾ [البقرة: ٢١٧]؟ سبب نزول هذه الآية: أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمّة النبي ﷺ أُخت أبيه في جمادى الآخرة، قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مَقْدِمِه إلى المدينة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، سعد بن أبي وقاص الزهري وعُكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غَزْوَان السُّلَمي وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسُهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة ووَاقد بن عبد الله وخالد بن بكير، وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتاباً وقال له: «سرْ على اسم الله، ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين، فإذا نزلت فافتح الكتاب، واقرأه على أصحابك، ثم امضِ لما أمرتُك ولا تستكرهنّ أحداً من أصحابك على السير معك»، فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فسرْ على بركة الله ممّن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن مكة فترصدْ بها عِيرَ قريش لعلك

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الكافة ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ القول الثالث: إنها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها إيجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه، والمنسوخ إيجاب الجهاد على الكافة. وقوله تعالى: ﴿وهو كره لكم﴾ أي القتال شاق عليكم وهذا الكره إنما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال، لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا أنهم كرهوا أمر الله قيل: نسخ هذا الكره بقوله تعالى إخباراً عنهم: «وقالوا سمعنا وأطعنا» وقيل: إنما كان كراهتهم القتال قبل أن يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الأعداء فبين الله تعالى أن الذين تكرهون من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكرهونه بعد أن فرض عليهم ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ لفظة عسى توهم الشك مثل لعل، وهي من الله يقين. وقيل: إنها كلمة مطمعة فهي لا تدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع، والمعنى أن الغزو فيه إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة وقيل: ربما كان الشيء شاقاً في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل، ومثله شرب الدواء المر فإنه ينفر عنه الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل ﴿وعسى أن تحبوا شيئاً﴾ يعني القعود عن الغزو ﴿وهو شر لكم﴾ يعني لما فيه من فوت الغنيمة والأجر وطمع العدو فيكم، لأنه إذا علم ميلكم إلى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم وإذا علم أن فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم ﴿والله يعلم﴾ يعني ما في الجهاد من الغنيمة والأجر

تأتينا منه بخير، فلما نظر في الكتاب قال سمعاً وطاعةً، ثم قال لأصحابه ذلك، وقال إنه نهاني أن أستكره أحداً منكم فمَن كان يريد الشهادة فلينطلق، ومَن كره فليرجع، ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلّف عنه منهم أحدٌ حتى كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران، أضلّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما يعتقبانه فتخلّفا في طلبه، ومضى ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف، فبينما هم كذلك إذ مرّت عيرٌ لقريش تحمل زبيباً وأُدْماً وتجارةً من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان، فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم، فقال عبد الله بن جحش: إن القوم قد ذُعِرُوا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرّض لهم، فحلقوا رأس عكاشة فوق ثم أشرفوا عليهم، فقالوا: قوم عمّار لا بأس عليكم فأمنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جُمادى الآخرة، وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب، فتشاور القوم وقالوا: إن تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم، فأجمعوا أمرهم في موافقة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي فقتله، فكان أول قتيل من المشركين وهو أول قتيل في الهجرة، وأدّى النبيّ ﷺ دِيَة ابن الحضرمي إلى ورثته من قريش، قال مجاهد وغيره: لأنه كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش عهد، وادع أهل مكة سنتين أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الإسلام وأُفلت نوفل فأعجزهم واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، فقالت قريش: قد استحلّ محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب، وعيّر بذلك أهل مكة مَن كان بها من المسلمين، وقالوا: يا معشر الصبأة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ رسول الله ﷺ، فقال لابن جحش وأصحابه: ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك، فعظُم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا وسقط في أيديهم، وقالوا: يا رسول الله إنّا قد قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى، وأكثَرَ الناسُ في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأخذ رسول الله ﷺ العير فعزل منها الخُمس فكان أول خُمس في الإسلام، وقسم الباقي بين أصحاب السرية فكان أول غنيمة في الإسلام، وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

والخير ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ يعني ذلك والمعنى أن العبد إذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم إن الله تعالى أمره بأمر كان ذلك الأمر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال أمر الله تعالى وإن كان يشق على النفس في الحال.
قوله عز وجل: .

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ سبب نزول هذه الآية. أن رسول الله ﷺ بعث عبدالله بن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وأمره على السرية وكتب له كتاباً، وقال: سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين، فإذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك به، ولا تستكرهنَّ أحداً منهم على السير معك فسار عبدالله يومين، ثم نزل وفتح الكتاب، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله تعالى، بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عيراً لقريش لعلك تأتينا منها بخير. فقال: سمعاً وطاعة ثم قال لأصحابه ذلك وقال إنه نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع، ثم مضى ومضى أصحابه معه وكانوا ثمانية رهط، ولم يتخلف عنه أحد منهم حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز، يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يتعقبانه فتخلفا في طلبه، ومضى عبدالله ببقية أصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك إذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً، وتجارة من تجارة الطائف وفي العير عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبدالله بن المغيرة ونوفل بن عبدالله بن المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فقال عبدالله بن جحش: إن القوم قد ذعروا منكم، فاحلقوا رأس رجلٍ منكم وليتعرض لهم فإذا رأوه محلوقاً أمنوا، فحلقوا رأس عكاشة بن محصن، ثم أشرف عليهم فلما رأوه آمنوا وقالوا: قوم عمار فلابأس علينا وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون أنه من رجب فتشاور القوم فيهم، وقالوا: متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فأجمعوا أمرهم في مواقعة

فقال: بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعقبة وإن لم يقدما قتلناهما بهما، فلما قَدِمَا فأدّاهما، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأمّا عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافراً، وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً، فقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله ﷺ: «خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الديّة»، فهذا سبب نزول هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام ﴾؟ يعني: رجباً، سُمّي بذلك لتحريم القتال فيه، قوله تعالى: ﴿ قتال فيه ﴾، أي: عن قتال فيه، ﴿ قل ﴾، يا محمد: ﴿ قتال فيه كبير ﴾: عظيم، تمّ الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال: ﴿ وصدّ عن سبيل الله ﴾، وصدّكم المسلمين عن الإسلام ﴿ وكفر به ﴾، أي: كفركم بالله، ﴿ والمسجد

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

القوم فرمى واقد بن عبدالله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم، فقتله فكان أول قتيل من المشركين وأسر الحكم بن كيسان وعثمان وكانا أول أسيرين في الإسلام، وأفلت نوفل فأعجزهم واستاق المسلمون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ. فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدماء وأخذ الحرائب يعني المال، وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين. وقالوا: يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام، وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لعبدالله بن جحش وأصحابه: ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، ووقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك وعنف المسلمون أصحاب السرية فيما صنعوا، وقالوا لم صنعتم ما لم تؤمروا به، فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم. وقالوا يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله هذه الآية فأخذ رسول الله ﷺ العير فعزل منها الخمس، وكان أول خمس في الإسلام وأول غنيمة قسمت فقسم الباقي على أصحاب السرية وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم. فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعقبة، وإن لم يقدما قتلناهما بهما. فلما قدما فاداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيداً وأما عثمان بن عبدالله فرجع إلى مكة فمات بها كافراً. وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً، وقتله الله، فطلب المشركون جيفته بالثمن. فقال رسول الله ﷺ: خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية وأما تفسير الآية فقوله تعالى: ﴿**يسألونك**﴾ يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجباً وسمي بذلك لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله ﷺ قولان: أحدهما أنهم المسلمون سألوا رسول الله ﷺ هل أخطؤوا أم أصابوا وقيل: إن المسلمين كانوا يعلمون أن القتال في الحرم وفي الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سألوا رسول الله ﷺ عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية: والقول الثاني أن السائلين هم المشركون وإنما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية ﴿**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل**﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿**قتال فيه كبير**﴾ أي عظيم مستكبر واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين أحدهما أنها محكمة وأنه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام إلاّ أن يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع. روي عن عطاء أنه كان يحلف بالله ما يحل للناس، أن يغزوا في الشهر الحرام، ولا أن يقاتلوا فيه وما نسخت. والقول الثاني الذي عليه جمهور العلماء وهو الصحيح أنها منسوخة. قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار. القتال جائز في الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله: ﴿**اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ وبقوله: ﴿**وقاتلوا المشركين كافة**﴾ يعني في الأشهر الحرم وغيرها ﴿**وصد عن سبيل الله**﴾ هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج أو وصدكم عن الإسلام من يريده ﴿**وكفر به**﴾ أي بالله ﴿**والمسجد الحرام**﴾ أي وصدكم عن المسجد الحرام ﴿**وإخراج أهله منه**﴾ يعني رسول الله ﷺ والمؤمنين حين اذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة، وإنما جعلهم الله أهله لأنهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين ﴿**أكبر عند الله**﴾ أي أعظم وزراً عند الله من القتال في الشهر الحرام ﴿**والفتنة**﴾ أي الشرك الذي أنتم عليه ﴿**أكبر من القتل**﴾ يعني قتل ابن الحضرمي

الحرام﴾، أي بالمسجد الحرام، وقيل: وصدّكم عن المسجد الحرام، ﴿ **وإخراج أهله** ﴾، أي: إخراج أهل المسجد ﴿ **منه أكبر** ﴾: أعظم وِزراً ﴿ **عند الله والفتنة** ﴾، أي: الشرك الذي أنتم عليه، ﴿ **أكبر من القتل** ﴾، أي: أعظم من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام، فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس إلى مؤمني مكة: إذا عيّركم المشركين بالقتال في الشهر الحرام فعيِّروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله ﷺ من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام، ثم قال: ﴿ **ولا يزالون** ﴾، يعني: مشركي مكة، وهو فعل لا مصدر له مثل عسى، ﴿ **يقاتلونكم** ﴾، يا معشر المؤمنين، ﴿ **حتى يردّوكم** ﴾: يصرفوكم، ﴿ **عن دينكم إن استطاعوا وَمَن يرتددْ منكم**

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبدالله بن أنيس وقيل: عبدالله بن جحش إلى مؤمني مكة إن عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وبإخراج رسول الله ﷺ من مكة والمسلمين، ومنعهم إياهم من البيت ﴿ولا يزالون﴾ يعني مشركي مكة ﴿يقاتلونكم﴾ يعني يا معشر المؤمنين ﴿حتى يردوكم عن دينكم﴾ يعني إلى دينهم وهو الكفر ﴿إن استطاعوا﴾ يعني إن قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق أنه لا يظفر به ﴿ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾ يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع إلى دينهم فيمت على ردته قبل أن يتوب ﴿فأولئك حبطت أعمالهم﴾ أي بطلت أعمالهم ﴿في الدنيا والآخرة﴾ وهو أن المرتد يقتل وتبين زوجته منه، ولا يستحق الميراث من أقاربه المؤمنين ولا ينصر إن استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيئاً للمسلمين هذا في الدنيا، ولا يستحق الثواب على أعماله ويحبط أجرها في الآخرة وظاهر الآية يقتضي أن الارتداد إنما تتفرع عليه الأحكام إذا مات المرتد على الكفر، أما إذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شيء من أحكام الردة وفيه دليل للشافعي أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت المرتد على ردته. وعند أبي حنيفة أن الردة تحبط العمل وإن أسلم ﴿وأولئك أصحاب النار﴾ يعني الذين ماتوا على الردة والكفر هم أصحاب النار ﴿هم فيها خالدون﴾ أي لا يخرجون منها أبداً ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾ نزلت في عبدالله بن جحش وأصحابه وذلك أن أصحاب السرية قالوا: يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونطمع أن يكون لنا غزو. فأنزل الله هذه الآية، وعن جندب بن عبدالله قال: لما كان من أمر عبدالله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين: إن لم يكونوا أصابوا في سفرهم وزراً فليس لهم فيه أجر فأنزل الله هذه الآية ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا﴾ أي فارقوا مساكنهم وعشائرهم وأموالهم وفارقوا مساكنة المشركين في أمصارهم، ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم إلى غيرها، وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله أي في طاعة الله فجعل الله لأصحاب هذه السرية جهاداً ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾ أي يطمعون في نيل رحمة الله أخبر أنهم على رجاء الرحمة. وقيل: المراد من الرجاء هنا القطع في أصل الثواب وإنما دخل الظن في كميته ووقته. قال قتادة: أثنى الله تعالى على أصحاب محمد ﷺ أحسن الثناء فقال: «إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله» هؤلاء هم خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وأنه من زجا طلب ومن خاف هرب ﴿والله غفور﴾ أي لذنوب عباده ﴿رحيم﴾ بهم والمعنى أنه تعالى غفر لعبدالله بن جحش وأصحابه ما لم يعلموا به قوله عز وجل:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾

﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار أتوا

عن دينه فيمت﴾، جُزم بالنسق، ﴿**وهو كافر فأولئك حبطت**﴾: بطلت ﴿**أعمالهم**﴾: حسناتهم ﴿**في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾، قال أصحاب السرية: يا رسول الله هل نُؤجر على وجهنا هذا وهل نطمع أن يكون سفرنا هذا غزواً؟

فأنزل الله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هاجروا**﴾، فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم، ﴿**وجاهدوا**﴾، المشركين ﴿**في سبيل الله**﴾، طاعة الله فجعلها جهاداً، ﴿**أولئك يرجون رحمة الله**﴾، أخبر أنهم على رجاء الرحمة، ﴿**والله غفور رحيم**﴾.

قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر**﴾، الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أحد منهم فأوحى الله إلى نبيهم إن في ولد إيشا من يقتل جالوت فدعا طالوت إيشا وقال له أعرض على بنيك فأخرج له اثني عشر رجلاً أمثال السواري فجعل يعرض واحداً واحداً على القرن فلا يرى شيئاً فقال لإيشا هل بقي لك ولد غير هؤلاء فقال لا؟ فقال النبي ﷺ يا رب إنه قد زعم أنه لا ولد غيرهم فقال له كذب فقال له النبي: إن ربي قد كذبك، فقال إيشا: صدق ربي يا نبي الله إن لي ولداً صغيراً مسقاماً اسمه داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلاً قصيراً مسقاماً أزرق أمعر مصفراً فدعا به طالوت ويقال إنه خرج إليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ماء وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل إلى الزريبة التي يريح فيها غنمه، فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم، فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه فنش وفاض فقال له طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي قال نعم فقال له: هل أنست من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله قال نعم أنا أرعى الغنم فيجيء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة من الغنم فأقوم فأفتح لحييه عنها وأخرجها من قفاه، فأخذ طالوت داود ورده إلى العسكر، فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فإني حجر هارون فحمله ثم مر بحجر آخر. فقال يا داود احملني فإني حجر موسى فحمله ثم مر بحجر آخر فقال له: يا داود احملني فإني حجرك الذي تقتل به جالوت، فحمله فوضع الثلاثة في مخلاته، فلما رجع طالوت إلى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فأعطى داود فرساً وسلاحاً فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريباً ثم رجع إلى طالوت فقال من حوله: جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ما شأنك فقال له داود عليه السلام إن لم ينصرني ربي لم يغن هذا السلاح عني شيئاً وإن نصرني فلا حاجة لي به

طالوت إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح إليها فوجده يحمل شاتين يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه قال: هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم، فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض، فقال طالوت: هل لك أن تقتل جالوت وأُزوّجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي؟ قال: نعم، قال: وهل أنست من نفسك شيئاً تتقوّى به على قتله؟ قال: نعم، أنا أرعى الغنم فيجيء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة فأقوم إليه فأفتح لِحيَيْهِ عنها وأُخرجها من قفاه، فأخذ طالوت داود وردّه إلى عسكره، فمرّ داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه الحجر: يا داود احملني فإني حجرُ هَارُون الذي قتل بي مَلِك كذا وكذا فحمله في مخلاته، ثم مرّ بحجر آخر فقال: احملني فإني حجر موسى الذي قتل بي مَلِك كذا وكذا فحمله في مخلاته، ثم مرّ بحجر آخر فقال: احملني فإني حجرك الذي تقتل بي جالوت فوضعها في مخلاته، فلما تصافّوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة، انتدب له داود فأعطاه طالوت فرساً ودرعاً وسلاحاً فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريباً ثم انصرف إلى الملك فقال مَن حوله: جُبُنَ الغلامُ فجاء فوقف على الملك، فقال: ما شأنُك؟ فقال له داود: إن الله إن لم ينصرني لم يغنِ عنّي هذا السلاح شيئاً فدعني أُقاتل جالوت كما أُريد، قال: فافعل ما شئت، قال: نعم، فأخذ داود مخلاته فتقلّدها وأخذ المِقلاع ومضى نحو جالوت، وكان جالوت من أشدّ الرجال وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده، وكان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديد، فلما نظر إلى داود ألقى الله في قلبه الرعب، فقال له: أنت تبرز إليّ؟ قال: نعم، وكان جالوت على فرس أبلق وعليه السلاح التامّ قال: فأتيتني بالمِقلاع والحجر كما تأتي الكلب؟ قال داود عليه السلام: نعم أنت شرّ من الكلب، قال جالوت: لا جرم لأقسمنّ لحمك بين سباع الأرض وطير السماء، فقال داود: أو يقسم الله لحمك، فقال داود: باسم إلّه إبراهيم وأخرج حجراً ثم أخرج الآخر وقال: باسم إلّه إسحق ووضعه في مِقلاعه ثم أخرج الثالث وقال: باسم إلّه يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت كلها حجراً واحداً، ودوّرَ داودُ عليه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فدعني أقاتل كما أريد قال نعم فأخذ داود مخلاته وتقلدها وأخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلاثمائة رطل فلما نظر إلى داود وهو يريده وقع الرعب في قلبه فقال له: جالوت وأنت تبرز لي قال: نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام فقال: اتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال: نعم وأنت شر من الكلب. قال جالوت: لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الأرض وطير السماء، فقال داود عليه السلام: أو يقسم الله لحمك، ثم قال داود: باسم إله إبراهيم، وأخرج حجراً ثم قال باسم إله إسحاق وأخرج حجراً ثم قال باسم إله يعقوب وأخرج حجراً ووضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجراً واحداً، وأدار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى أصاب أنف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً، وخر جالوت صريعاً قتيلاً، فأخذ داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو إسرائيل بذلك فرحاً شديداً وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس إلى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود إلى طالوت وقال له. أنجز لي ما وعدتني به فقال له أتريد ابنة الملك بغير صداق فقال له داود ما شرطت علي صداقاً وليس لي شيء فقال: لا أكلفك إلّا ما تطيق أنت رجل جريء وفي حيالنا أعداء لنا غلف فإن قتلت مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل واحداً منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم مائتي غلفة فجاء بها إلى طالوت وألقاها بين يديه وقال ادفع إلي امرأتي فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه، فمال الناس إلى داود عليه السلام وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فأخبرت بذلك داود وقالت له: إنك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت: أبي قال: وهل أجرمت جرماً يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب

السلام المِقلاع ورمى به فسخّر الله له الريح حتى أصاب الحجرُ أنف البيضة فخلط دماغه وخرج من قفاه، وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً وهزم الله تعالى الجيش وخرّ جالوت قتيلاً فأخذ يجرّه حتى ألقاه بين يدي طالوت، ففرح المسلمون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، والناس يذكرون داود، فجاء داودُ طالوتَ وقال: أنجزْ لي ما وعدتني، فقال تريد ابنة الملك بغير صداق، فقال داود: ما شرطتَ عليّ صداقاً وليس لي شيء، فقال: لا أُكلِّفك إلّا ما تطيق أنت رجل جريء وفي حيالنا أعداء لنا غُلف فإذا قتلت منه مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوّجتك ابنتي، فأتاهم فجعل كلما قتل واحداً منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم مائتي غلفة فجاء بها إلى طالوت وألقاها إليه، وقال: ادفع إليّ امرأتي فزوّجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فمال الناس إلى داود وأحبّوه، وأكثروا ذِكْرَهُ فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر ذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين، فقالت ابنة طالوت لداود: إنك مقتول في هذه الليلة، قال: ومَن يقتلني؟ قالت: أبي، قال: فهل أجرمت جرماً؟ فقالت: حدّثني مَنْ لا يكذب ولا عليك أن تغيب هذه الليلة حتى تنظر مصداق ذلك، قال: لئن كان أراد ذلك ما أستطيع خروجاً ولكن ائتيني بزقّ خمر فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجّاه ودخل تحت السرير، فدخل طالوت نصف الليل، فقال لها: أين بعلك؟ قالت: هو نائم على السرير، فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر، فلما وجد ريح الخمر قال: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج، فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً فقال: إن رجلاً طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك منّي ثأره، فاشتدّ حجابه وحرّاسه وأغلق دونه أبوابه، ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون فأعمى الله سبحانه الحجبة وفتح له الأبواب، فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجليه وسهماً عن شماله، ثم خرج فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فعرفها، فقال: يرحم الله تعالى داود هو خير منّي ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكفّ عنّي ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه، فلما كانت القابِلَة أتاه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ولا عليك أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال إن كان يريد ذلك فلا أستطيع خروجاً ولكن ائتني بزق خمر فأتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بعلك قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج، فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً فقال: إن رجلاً طلبت منه ما طلبت لحقيق أن لا يدعني حتى يدرك ثأره مني فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه، ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب ففتح الأبواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه، فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجليه وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما كان من الليلة القابلة أتاه ثانياً فأعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ إبريق وضوئه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد، الطلب فلم يقدر عليه. ثم إن طالوت ركب يوماً فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم أقتله وركض في أثره فاشتد داود في عدوه. وكان إذا فزع لم يدرك فدخل غاراً فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال: لو كان دخل هنا لتخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود إلّا قتله فقتل خلقاً كثيراً من العباد والعلماء حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الأعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها، وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس. وكان كل ليلة يخرج إلى القبور ويبكي وينادي أنشد الله

ثانياً وأعمى الله الحجّاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزَه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيأ من هدب ثيابه، ثم خرج وهرب وتوارِي، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلّط على داود العيون وطلبه أشدّ الطلب، فلم يقدر عليه، ثم إن طالوت ركب يومـاً فوجد داود يمشي في البرية، فقال: اليوم أقتله فركض على أثره واشتدَّ داودُ وكان إذا فزع لم يُدرَك، فدخل غاراً فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسج عليه بيتاً فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال: لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى، وانطلق داود وأتى الجبل مع المتعبدين فتعبّد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود إلّا قتله وأغرى على قتل العلماء، فلم يكن يقدر على عالم في بني إسرائيل يطيق قتله إلّا قتله حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم فأمر خبّازه بقتلها، فرحمها الخبّاز وقال: لعلّنا نحتاج إلى عالِم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي أنشد الله عبداً يعلم أن لي توبة إلّا أخبرني بها فلما أكثر عليهم ناداه مُنادٍ من القبور: يا طالوت أما ترضى أن قتلتنا حتى تؤذينا أمواتاً، فازداد بكاءً وحزناً، فرحمه الخبّاز فقال: ما لك أيها الملك؟ قال: هل تعلم لي في الأرض عالماً أسأله هل لي من توبة؟ فقال الخباز: إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطيّر منه، فقال: لا تتركوا في القرية ديكاً إلّا ذبحتموه، فلما أراد أن ينام قال لأصحابه: إذا صاح الديك فأيقظونا حتى نُدلِجَ فقالوا له: وهل تركت ديكاً نسمع صوته؟ ولكن هل تركت عالماً في الأرض؟ فازداد حزناً وبكاءً فلما رأى الخبّاز ذلك قال له: أرأيتك إن دللتك على عالم لعلك أن تقتله، قال: لا، فتوثّق عليه الخبّاز فأخبره أن المرأة العالمة عنده، قال: انطلق بي إليها أسألها هل لي من توبة، وكانت من أهل بيت يعلم الاسم الأعظم، فإذا فنيت

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عبداً يعلم لي توبة إلّا أخبرني بها فلما كثر ذلك منه ناداه مناد من القبور: يا طالوت أما ترضى أن قتلتنا حتى تؤذينا أمواتاً فازداد حزناً وبكاء فتوجه الخباز إلى طالوت لما رأى من حاله وقال: ما لك أيها الملك فأخبره وقال: هل تعلم لي توبة أو تعلم في الأرض عالماً أسأله عن توبتي فقال له الخباز أيها الملك إن دللتك على عالم يوشك أن تقتله فقال لا فتوثق منه باليمين فأخبره أن تلك المرأة العالمة عنده. فقال: انطلق بي إليها لأسألها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز. أيها الملك إنها إذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز: يا هذه ألست تعلمين حقي عليك؟ قالت: بلى قال فإن لي إليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشى عليها فلما أفاقت قالت والله ما أعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها إلى قبر أشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الأعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب عن رأسه فلما نظر إلى ثلاثتهم قال: ما لكم أقامت القيامة قالت المرأة لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسألك هل له من توبة فقال أشمويل: يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم أدع من الشر شيئاً إلّا فعلته وجئت أطلب التوبة فقال أشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة إلّا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم. ثم إن أشمويل سقط ميتاً ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه بنوه على ما يريد. وكان قد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه فجمع أولاده وقال لهم: أرأيتم لو دفعت إلى النار هل كنتم تنقذونني منها فقالوا بلى ننقذك بما نقدر عليه قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما آمركم به قالوا: اعرض علينا ما أردت فذكر لهم القصة قالوا: وإنك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت. فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهداً في سبيل الله فتقدم أولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل

رجالهم علمت نساؤهم، فلما بلغ طالوت الباب، قال الخبّاز: إنها إذا رأتك فزعت، ولكن ائت خلفي، ثم دخلا عليها فقال لها: ألستُ أعظم الناس مِنّةً عليك أنجيتك من القتل وآويتك؟ قالت: بلى، قال: فإن لي إليك حاجةً، هذا طالوت يسأل هل لي من توبة، فغُشي عليها من الفرق، فقال لها: إنه لا يريد قتلك، ولكن يسألك هل له من توبة؟ قالت: لا والله لا أعلم لطالوت توبة، ولكن أعلم مكانَ قبر نبيّ فانطلقت بهما إلى قبر أشمويل فصلّت ودعت ثم نادتْ يا صاحب القبر فخرج أشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فما نظر إليهم ثلاثتهم قال: ما لكم؟ أقامت القيامة؟ قالت: لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة، قال أشمويل: يا طالوت ما فعلت بعدي؟ قال: لم أدع من الشرّ شيئاً إلّا أتيته وجئت لطلب التوبة، قال له: كم لك عيال، يعني: كم لك من الولد؟ قال: عشرة رجال، قال: ما أعلم لك من توبة إلّا أن تتخلى من مُلكك وتخرج أنت وولدك تقاتل في سبيل الله، ثم تقدّم ولدك حتى يقتلوا بين يديك، ثم تقاتل أنت حتى تُقتل آخرَهم، ثم رجع أشمويل إلى القبر وسقط وخرّ ميتاً، ورجع طالوت أحزن ما كان رهبةً أن لا يتابعه ولده، وقد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونحل جسمه، فدخل عليه أولاده فقال لهم: أرأيتم لو دُفعتُ إلى النار هل كنتم تفدونني؟ قالوا: بلى نفديك بما قدرنا عليه، قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم، قالوا: فاعرضْ علينا، فذكر لهم القصة، قالوا: وإنك لمقتول؟ قال: نعم، قالوا: فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت، فتجهّز بماله وولده فتقدّم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شدّ هو بعدهم للقتال حتى قُتل، فجاء قاتله إلى داود ليبشّره، وقال: قتلت عدوّك، فقال داود: ما أنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه، وكان ملك طالوت إلى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو إسرائيل إلى داود وأعطوه خزائن طالوت وملّكوه على أنفسهم. قال الكلبي والضحّاك: ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين، ولم يجتمع بنو

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وجاء قاتل طالوت إلى داود فبشره بقتله وقال له: قد قتلت عدوك فقال داود: ما أنت بباق بعده وقتله فكان ملك طالوت إلى أن قتل مدة أربعين سنة فأتى بنو إسرائيل إلى داود فملكوه عليهم وأعطوه خزائن طالوت. قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلاّ على داود فذلك قوله تعالى: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾ يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به ﴿وعلمه مما يشاء﴾ أي وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلاّ من عمل يده، وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والألحان ولم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوت داود فكان إذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري وتسكن الرياح عند قراءته، وقيل علمه سياسة الملك وضبطه، وذلك لأنه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه، وقال ابن عباس هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهواء حدث إلاّ صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة إلاّ برىء. وكانوا يتحاكمون إليهما بعد داود إلى أن رفعت فمن تعدى على صاحبه أو أنكره حقاً أتى السلسلة فمن كان صادقاً مديده إلى السلسلة فنالها ومن كان كاذباً لم ينلها فكانت كذلك إلى أن ظهر فيهم المكر والخبث. فبلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلاً جوهرة ثمينة، فلما طالبه بالوديعة أنكره إياها فتحاكما إلى السلسلة، فعمد الذي عنده الجوهرة إلى عكازه فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى أتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة: رد على الوديعة فقال صاحبه ما أعرف لك عندي وديعة فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة فتناولها بيده

إسرائيل على ملك واحد إلاّ على داود. فذلك قوله تعالى: ﴿ وآتاه اللَّهُ المُلكَ والحِكمة ﴾، يعني: النبوّة، جمع الله لداود بين الملك والنبوّة، ولم يكن كذلك من قبل كان الملك في سبط والنبوّة في سبط، وقيل: الملك والحكمة هو: العلم مع العمل، قوله تعالى: ﴿ وعلّمه مما يشاء ﴾، قال الكلبي وغيره: يعني صنعة الدروع، وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلاّ من عمل يده، وقيل: منطق الطير وكلام الجعل والنملِ والذرّ، والخنفساء وحمار قبان، وما أشبههما مما لا صوت لها، وقيل: هو الزبور، وقيل هو الصوت الطيب والألحان، فلم يُعطِ الله أحداً من خلقه مثلِ صوته، وكان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يُؤخذَ بأعناقها، وتظلّه الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري، ويسكن الريح، وروى الضحّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرّة ورأسها عند صومعته قوّتها قوّة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصّلة بالجواهر مدسّرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حَدَثٌ إلاّ صلصلتِ السلسلة فعلم داود ذلك الحدث، ولا يمسّها ذو عاهة إلاّ برىء وكانوا لا يتحاكمون إلاّ إليها بعدِ داود عليه السلامِ إلى أن رفعت، فمَن تعدّى على صاحبه وأنكر له حقّاً أتى السلسلة فمَن كان صادقاً مدّ يده إلى السلسلة فتناولها، ومَن كان كاذباً لم ينلها، فكانت كذلك إلى أن ظهر بهم المكر والخديعة، فبلغنا أن بعض ملوكها أودع رجلاً جوهرة ثمينة فلما استردّها أنكرها فتحاكما إلى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة إلى عكّازة فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقالِ صاحِب الجوهرة: ردّ عليّ الوديعة، فقال صاحبه: ما أعرف لكِ عندي من وديعة، قال: فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة فتناولها بيده، فقيل للمنكرِ: قم أنت فتناولها، فقالِ لصاحب الجوهرة: خذ عكّازتي هذه فاحفظها حتي أتناول السلسلة فأخذها المالك عنده، ثم قام المنكر نحو السلسلة فأخذها، فقال الرجل: اللّهمّ إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدّعيها عليّ قد وصلت إليه فقرّب منّي السلسلة، فمدّ يده فتناولها فتعجّب القوم وشكّوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة. قوله تعالى:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وقال للمنكر قم أنت أيضاً فتناولها فقال لصاحب الجوهرة أمسك عكازتي فأخذها الرجل منه وقام المنكر إلى السلسلة وقال: اللهم إن كنت تعلم أن الوديعة التي يدعيها قد وصلت إليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة. قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ يعني ولو أن الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الإيمان والطاعة بعضاً وهم أهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنوده المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولو دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار ﴿لفسدت الأرض﴾ يعني لهلكت بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء» ثم قرأ ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ يعني إن دفع الفساد بهذا الطريق إنعام وإفضال عم الناس كلهم.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

﴿تلك آيات الله﴾ يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره بالآية وهي التابوت وإهلاك الجبابرة على يد صبي ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ أي باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ يعني حيث تخبر بهذه الأخبار العجيبة والقصص القديمة من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار فدل ذلك على أنك من المرسلين وأن الذي تخبر به وحي من الله تعالى. قوله عز وجل: ﴿تلك الرسل﴾ يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ فيه

﴿ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب ﴿دفاع الله﴾ بالألف ههنا وفي سورة الحج [٤٠]، قرأ الآخرون بغير الألف، لأن الله تعالى لا يغالبه أحد، وهو الدافع وحده، ومَن قرأ بالألف قال: قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدفاع، قال ابن مجاهد: ولولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخرّبوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسّرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفّار والفجّار لهلكت الأرض بمَن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر، وبالصالح عن الفاجر، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحق الثعلبي، أنا أبو عبد الله بن زنجويه أنا أبو بكر بن خرجة، أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا أبو حميد الحمصي، أنا يحيىٰ بن سعيد العطّار أنا حفص بن سليمان، عن محمد بن سوقة عن وبرة عن عبد الرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ اللّهَ عزّ وجلّ ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء»، ثم قرأ ابن عمر رضي الله عنهما ﴿ولولا دفع الله الناسَ بعضهم ببعضٍ لفسدت الأرض ولكنّ الله ذو فضلٍ على العالمين﴾.

﴿ تلك آياتُ الله نتلوها عليك بالحق وإنك لَمِنَ المرسلين ﴾.

﴿ تلك الرسل فَضّلنا بعضَهم على بعضٍ منهم مَنْ كلّم اللّهُ ﴾، أي: كلّمه الله تعالى، يعني: موسى عليه السلام، ﴿ ورفع بعضَهم درجات ﴾، يعني: محمداً ﷺ، قال الشيخ الإمام: وما أُوتي نبيّ آية إلّا أُوتي نبيُّنا مثل

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

دليل على زوال الشبهة لمن أوجب التسوية بين الأنبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة وأجمعت الأمة على أن الأنبياء بعضهم أفضل من بعض وأن نبينا محمد ﷺ أفضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ ﴿منهم﴾ أي من الرسل ﴿من كلم الله﴾ أي كلمة الله وهو موسى عليه السلام ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ يعني محمداً ﷺ رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الأنبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما أوتي نبي من الأنبياء آية أو معجزة إلّا أوتي نبينا محمد ﷺ مثل ذلك وفضل محمد ﷺ على غيره من الأنبياء بآيات ومعجزات أخر مثل انشقاق القمر بإشارته وحنين الجذع الذي حن عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسالته ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة، وأعظمها وأظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز أهل الأرض عن معارضته والإتيان بمثله فهو معجزة باقية إلي يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي من الأنبياء إلّا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» (ق) عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» (م) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلائق كافة وختم بي النبيون» فإن قلت لم ذكره على سبيل الرمز والإشارة ولم يصرح باسمه ﷺ؟ قلت: في هذا الإبهام والرمز من تفخيم فضله وإعلاء قدره ﷺ ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بأنه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيئاً فعله بعضكم أو أحدكم ويريد نفسه فيكون أفخم من التصريح به كما سئل الخطيئة: من أشعر الناس؟ قال زهير والنابغة. ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه وقوله تعالى: ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ يعني الحجج والأدلة الباهرة والمعجزات على نبوته مثل إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ أي وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه إلى أن رفعه إلى عنان السماء السابعة. فإن قلت لم خص موسى وعيسى

تلك الآية، وفُضّل على غيره بآيات مثل انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع على مفارقته، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تُحصى، وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء والأرض عن الإتيان بمثله. أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس بن محمد بن إسحق الثقفي، أنا قتيبة بن سعيد أنا الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبيّ من الأنبياء إلّا وقد أُعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن سنان أخبرنا هشيم أناسيا، أنا يزيد الفقير أنا جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أُعطيت خمساً لم يُعطهنّ أحدٌ قبلي: نصرتُ بالرعب مسيرةَ شهر، وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِ، وأُحلّتْ لي الغنائم ولم تحلّ لأحدٍ من قبلي، وأُعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً وبُعثتُ إلى الناسِ عامّةً»، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بالذكر من بين سائر الأنبياء. قلت لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة أيضاً فلما أوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الأنبياء أعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل ولهذا أحرز نبينا ﷺ قصبات السبق في الفضل لأنه أعظم الأنبياء آيات وأكثرهم معجزات فهو أفضلهم ﷺ وعليهم أجمعين ﴿**ولو شاء الله**﴾ أي ولو أراد الله وأصل المشيئة الإرادة ﴿**ما اقتتل الذين من بعدهم**﴾ يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله ﴿**من بعد ما جاءتهم البينات**﴾ أي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه ﴿**ولكن اختلفوا**﴾ يعني اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل ﴿**فمنهم من آمن**﴾ أي ثبت على إيمانه بالله ورسوله بفضل الله ﴿**ومنهم من كفر**﴾ أي ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلوا**﴾ أي ولو أراد الله أن يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك ﴿**ولكن الله يفعل ما يريد**﴾ يعني أنه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والإيمان به فضلاً منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلاً منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله. سأل رجل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فأعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فأعاد السؤال فقال: سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه. قوله عز وجل: .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم**﴾ قيل أراد به الزكاة الواجبة وقيل أراد به صدقة التطوع والإنفاق في وجوه الخير ﴿**من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه**﴾ أي لا فدية فيه وإنما سماه بيعاً لأن الفداء شراء النفس من الهلاك، والمعنى قدموا لأنفسكم اليوم من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا تجارة فيه فيكسب الإنسان ما يفتدي به من

علي الكشمهيني، أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فُضلْتُ على الأنبياء بستٍّ، أُوتيتُ جوامِعَ الكَلِم، ونُصرتُ بالرُّعْب، وأُحلّتْ لي الغنائم، وجُعلتْ لي الأرض مسجداً، وأُرسلتُ إلى الخلق كافّة، وخُتم بي النبيّون». قوله تعالى: ﴿ **وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القُدس، ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم** ﴾، أي: من بعد الرّسل، ﴿ **من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم مَن آمن** ﴾، ثبت على إيمانه بفضل الله، ﴿ **ومنهم مَن كفر** ﴾، يخذلانه، ﴿ **ولو شاء الله ما اقتتلوا** ﴾، أعاده تأكيداً، ﴿ **ولكن الله يفعل ما يريد** ﴾، يُوفّق مَنْ يشاء فضلاً ويُخذل مَن يشاء عدلاً، سأل رجلٌ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال: هو طريق مظلم فلا تسلكه، فأعاد السؤال، فقال: بحر عميق فلا تلِجْه، فأعاد السؤال، فقال: سرّ الله في الأرض قد خفي عليك فلا تفتشه.

قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقُوا ممّا رزقناكم** ﴾، قال السدي: أراد به الزكاة المفروضة، وقال غيره: أراد به صدقة التطوّع والنفقة في الخير، ﴿ **من قبلِ أنْ يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيه** ﴾ أي: لا فداء فيه، سُمّي بيعاً لأن الفداء شراء نفسه، ﴿ **ولا خلّة** ﴾، ولا صداقة ﴿ **ولا شفاعة** ﴾، إلاّ بإذن الله، قرأ ابن كثير وأهل البصرة كلها بالنصب،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

العذاب ﴿ولا خلة﴾ أي ولا مودة ولا صداقة ﴿ولا شفاعة﴾ وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة، بين المؤمنين فيكون هذا عاماً مخصوصاً ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها. قوله عز وجل: ﴿الله لا إله إلّا هو الحي القيوم﴾.

فصل: في فضل هذه الآية الكريمة

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي» أخرجه الترمذي. قوله: إن لكل شيء سناماً. سنام كل شيء أعلاء تشبيهاً بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل في قومه والشريف والكريم وأصله من ساد يسود وقوله هي سيدة أي القرآن أي أفضله. (م) عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿الله لا إله إلّا هو الحي القيوم﴾ فضرب في صدري وقال: ليهنك العلم يا أبا المنذر» عن واثلة بن الأسقع: «أن النبي ﷺ جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان أي آية في القرآن أعظم؟ فقال رسول الله ﷺ ﴿الله لا إله إلّا هو الحي القيوم﴾ أخرجه أبو داود. وقال العلماء: إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية في القرآن لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والقومية والملك والقدرة والإرادة، فهذه أصول الأسماء والصفات، وذلك لأن الله تعالى أعظم مذكور فما كان ذكراً له من توحيد وتعظيم كان أعظم الأذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة، ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني قالا لأن تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول، وليس في كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق لفظ أعظم وأفضل على بعض الآيات أو السور بمعنى عظيم وفاضل، ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ لا بيعٌ فيه ولا خِلال ﴾ [إبراهيم: ٣١] وفي قوله تعالى: ﴿ لا لغوٌ فيها ولا تأثيم ﴾ [الطور: ٢٣]، وقرأ الآخرون كلها بالرفع والتنوين، ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾، لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ الله لا إلَه إلّا هو الحيّ القيّوم ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الزياتي، أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي شيبة، أنا عبد الأعلى عن الجريري عن أبي السبيل عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر أيُّ آية من كتاب الله أعظم»؟ قلتُ: الله لا إلَه إلّا هو الحيّ القيّوم، قال: فضرب في صدري ثم قال: «لِيُهْنِكَ العلمُ يا با المنذر، ثم قال: والذي نفس محمد بيده إنَّ لهذه الآية لساناً وشفتين تُقدّس المَلِكَ عند ساق العرش». أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج ولي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخلّيت سبيله فأصبحتُ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة»؟ قلت: يا رسول الله شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحمته فخلّيت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج ولي عيال ولا أعود فرحمته فخلّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة»؟ قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخلّيت سبيله،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

والمتكلمين قالوا: هذا التفضيل راجع إلى عظم أجر القارىء أو جزيل ثوابه وقول: إن هذه الآية أو هذه السورة أعظم أو أفضل بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله أعلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. وأما التفسير فقوله عز وجل: ﴿الله لا إله إلّا هو﴾ نفي الإلهية عن كل ما سواه وأثبت الإلهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم إلّا زيد فإنه أبلغ من قولك زيد كريم الحي يعني الباقي على الأبد الدائم بلا زوال، والحي في صفة الله تعالى وهو الذي لم يزل موجوداً وبالحياة موصوفاً لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة، وسائر الأحياء سواء يعتريهم الموت والعدم فكل شيء هالك إلّا وجهه سبحانه وتعالى. القيوم قال مجاهد: القيوم القائم على كل شيء وتأويله أنه تعالى قائم بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون إليه وقيل وهو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشيء ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاساً وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقل المزيل للعقل والقوة. وقيل: السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي أول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلاً عن أن يأخذه نوم لأن النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لأن هذه الأشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات، وأن ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير، (م) عن أبي موسى الأشعري قال: «قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور». وفي رواية: «النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلّمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هي؟ قال: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم ﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخلّيت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة»؟ قلتِ: يا رسول الله زعم أنه يعلّمني كلمات ينفعني الله بها فخلّيت سبيله، قال: «وما هي»؟ قال لي: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم ﴾، وقال: لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص الناس على الخير، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم مَن تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة»؟ قلت: لا، قال: «ذاك شيطان» أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى، أخبرنا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر هو المليكي، عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول ﴿ حمّ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ [غافر: ١] حُفظ في يومه ذلك حتى يُمسي! ومَن قرأهما حين يُمسي حفظ في ليلته تلك حتى يُصبح» قوله عزّ وجلّ: ﴿ الله ﴾ رفع بالابتداء وخبره في ﴿ لا إله إلّا هو الحيّ ﴾، الباقي الدائم على الأبد وهو مَن له الحياة، والحياة صفة الله تعالى القيّوم، قرأ عمرو بن مسعود (القيام) وقرأ علقمة (القيم) وكلها

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» فمعناه الإخبار أنه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه مستحيل في حقه لأن النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الإحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله: «يخفض القسط ويرفعه» أراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أعمال العباد المرتفعة إليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من يشاء ويرفعه أي يوسعه على من يشاء وقوله: «يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار» يعني أن الحفظة من الملائكة يصعدون بأعمال العباد في الليل بعد انقضائه في أول النهار، ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل قوله: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء في آخره جمع سبحة، ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب أصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد، فالمراد به هنا الشيء المانع من الرؤية، وسمي ذلك الشيء المانع نوراً أو ناراً لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة، والمراد بالوجه الذات، والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام للشيخ على هذا الحديث والله أعلم. وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ إن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى؟ فأوحى الله تعالى إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثاً فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما فجعل ينعس وينتبه وهما في يده في كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب إحداهما بالأخرى فكسرهما قال معمر إنما هو مثل ضربة الله تعالى له يقول فكذلك السموات والأرض، ورواه عن أبي هريرة مرفوعاً قال سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى على المنبر قال: «وقع في نفس موسى هل ينام الله» وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء: إن صح هذا الحديث فيحمل على أن هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية

لغات بمعنى واحد قال مجاهد: القَيّوم القائم على كل شيء، قال الكلبي: القائم على كل نفس، وقيل: هو القائم بالأمور، وقال أبو عبيدة الذي لا يزول: ﴿ لا تأخذه سِنَة ولا نوم له ﴾، السِّنَةُ النعاس، وهو النوم الخفيف، والوَسْنَانُ بين النائم واليقظان، يقال منه وَسِنَ يَسِنُ يَسِنُ وَسَناً وسِنةً، والنوم هو: الثقل المُزيل للقوة والعقل، قال المفضل الضبّي: السِّنَةُ في الرأس، والنوم: في القلب، فالسنة أول النوم وهو النعاس، وقيل: السِّنة في الرأس والنعاس في العين، والنوم في القلب، فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء، نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزّه عن الآفات، ولأنه تَغيّر ولا يجوز عليه التغيّر. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرنا علي بن حرب أخبرنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش، عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إنّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينامَ ولكنّه يخفضُ القسطَ ويرفعُ إليه عملَ الليل قبلَ عملِ النهار وعملَ النهار قبلَ عملِ الليل، حجابُه النّورُ لو كشفه لأحرقتْ سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، ورواه المسعودي عن عمرو بن مرّة وقال: «حجابه النار». ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾، ملكاً وخلقاً، ﴿ مَنْ ذَا الذي يَشْفَعُ عنده إلاّ بإذنه ﴾، بأمره، ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾، قال مجاهد وعطاء والسدي: ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة، وقال الكلبي: ما بين أيديهم، يعني: الآخرة لأنهم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

من موسى لأن الأنبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني أن الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه. فإن قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات؟ قلت: لما كان المراد إضافة كل ما سواه إليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل أجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾ أي بأمره وهذا استفهام إنكاري والمعنى لا يشفع عنده أحد إلّا بأمره وإرادته، وذاك لأن المشركين زعموا أن الأصنام تشفع لهم فأخبر أنه لا شفاعة لأحد عنده إلّا ما استثناه بقوله ﴿إلّا بإذنه﴾ يريد بذلك شفاعة النبي ﷺ وشفاعة بعض الأنبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ يعني ما بين أيديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لأنهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين أيديهم من خير أو شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أحوال جميع خلقه ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ يقال: أحاط بالشيء إذا علمه وهو أن يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته، فإذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه فقد أحاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى أن أحداً لا يحيط بمعلومات الله تعالى: ﴿إلّا بما شاء﴾ يعني أن يطلعهم عليه وهم من الأنبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلاً على نبوتهم كما قال تعالى: «فلا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسول» ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ يقال فلان وسع الشيء سعة إذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به وأصل الكرسي في اللغة من تركب الشيء بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشباته بعضها على بعض. واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على أربعة أقوال: أحدها أن الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لأن العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه. القول الثاني أن الكرسي غير العرش وهو أمامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي إن السموات والأرض في جوف

يقدّمون عليها، وما خلفهم من الدنيا لأنهم يخلّفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم: ما مضى أمامهم، **وما خلفهم**: ما يكون بعدهم، وقال مقاتل: ما بين أيديهم ما كان قبل الملائكة وما خلفهم، أي: ما كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي: ما قدّموه من خير وشر، وما خلفهم ما هم فاعلوه، **﴿ ولا يُحيطون بشيءٍ من علمه ﴾**، أي: من علم الله، **﴿ إلّا بما شاء ﴾**، أن يُطلعهم عليه، يعني: لا يحيطون بشيءٍ من علم الغيب إلّا بما شاء مما أخبر به الرسل، كما قال الله تعالى: **﴿ فلا يُظهر على غيبه أحداً إلّا مَن ارتضى من رسول ﴾** [الجنّ: ٢٦ و٢٧]، قوله تعالى: **﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّه السمواتِ والأرضَ ﴾**، أي: ملأ وأحاط به، واختلفوا في الكرسي، فقال الحسن: هو العرش نفسه، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: الكرسي: موضوع أمام العرش، ومعنى قوله: **﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾** أي: سعته مثل سعة السموات والأرض، وفي الأخبار: «إن السموات والأرضَ في جنب الكرسي، كحلقة في فلاة، والكرسي في جنب العرش، كحلقة في فلاة». ويُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي كدارهم سبعة ألقيت في ترس، وقال عليّ ومقاتل: كلّ قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع، وهو بين يدي العرش، ويحمل الكرسي أربعة أملاك، لكل ملك أربعة وجوه، وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام. ملكٌ على صورة سيد البشر آدم عليه السلام، وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة إلى

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس أن السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس وقيل إن كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والأرض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم على الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى: ملك على صورة أبي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من السنة إلى السنة، وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة إلى السنة، وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للأنعام من السنة إلى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة إلى السنة. وفي بعض الأخبار أن بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجاباً من ظلمة وسبعين حجاباً من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش. القول الثالث: إن الكرسي هو الاسم الأعظم لأن العلم يعتمد عليه. كما أن الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه. القول الرابع: المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لأن الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز ﴿ولا يؤوده﴾ أي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه ﴿حفظهما﴾ أي حفظ السموات والأرض ﴿وهو العلي﴾ أي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب له أن يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالإطلاق المتعالي عن الأشباه والأنداد والأضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول إلى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين ﴿العظيم﴾ يعني أنه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء أعظم منه. وقال ابن عباس: العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى ينصرف إلى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام. قوله عز وجل: .

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

﴿لا إكراه في الدين﴾ سبب نزول هذه الآية فيما يروى عن ابن عباس قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد، لتهودنه فإذا عاش جعلته في اليهود فجاء الإسلام

السنة، وملكٌ على صورة سيِّد الأنعام وهو الثور، وهو يسأل للأنعام الرزق من السنة إلى السنة، وعلى وجه غضاضةٌ منذ عُبد العجل، وملكٌ على صورة سيد السِّباع، وهو الأسد يسأل للسِّباع الرِّزق من السنة إلى السنة، وملكٌ على صورة سيد الطير، وهو النسر يسأل الرزق للطير من السنة إلى السنة. وفي بعض الأخبار أن ما بين حَمَلَة العرش وحَمَلَة الكرسي سبعين حجاباً من ظلمة وسبعين حجاباً من نور، غِلَظُ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، لولا ذلك لاحترقت حَمَلَة الكرسي من نور حَمَلَة العرش. ورَوى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أراد بالكرسي عمله، وهو قول مجاهد، ومنه قيل لصحيفة العلم كرّاسة، وقيل: كرسيه ملكه وسلطانه، والعرب تسمّي الملك القديم: كرسياً. ﴿ ولا يَؤُدُه ﴾، أي: لا يُثقله ولا يَشقّ عليه، يقال: آدني الشيءُ أي أثقلني، ﴿ حِفْظُهما ﴾ أي: حفظ السموات والأرض، ﴿ وهو العليّ ﴾: الرفيع فوق خلقه، والمتعالي عن الأشياء والأنداد، وقيل: العليّ بالملك والسلطنة، ﴿ العظيم ﴾: الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿ لا إكْرَاهَ في الدين ﴾، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة، والمقلاة من النساء التي لا يعيش لها ولد، وكانت تنذر لئن عاش لها ولد لَتهوِّدَنّه فإذا عاش

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وفيهم منهم، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا وإخواننا فنزلت الآية ﴿لا إكراه في الدين﴾. فقال رسول الله ﷺ: قد خير أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم، وإن اختاروهم فأجلوهم معهم وقيل: كان لرجل من الأنصار. من بني سالم بن عوف يقال له أبو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبي ﷺ ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا انظر فأنزل الله تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾ فخلى سبيلهما وقيل نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الإسلام وذلك أن العرب كانت أمة أمية ولم يكن لهم كتاب يرجعون إليه فلم يقبل منهم إلاّ الإسلام أو القتل ونزل في أهل الكتاب لا إكراه في الدين يعني إذا قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكره على الإسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل: بل الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الإسلام قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا إكراه في الدين قال كان رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين لا يكره أحداً في الدين فأبى المشركون إلاّ أن يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى لا إكراه في الدين أي دين الإسلام ليس فيه إكراه عيله ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والإيمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ يعني الشيطان، وقيل: هو الساحر والكاهن، وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى، وقيل: كل ما يطغي الإنسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان ﴿ويؤمن بالله﴾ أي ويصدق بالله أنه ربه ومعبوده من دون كل شيء كان يعبده وفيه إشارة إلى أنه لا بد للكافر أن يتوب أولاً عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح إيمانه وهو قوله تعالى: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الأوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى وهو دين الإسلام ﴿لا انفصام لها﴾ أي لا انقطاع لها حتى تؤديه إلى الجنة والمعنى أن المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الإسلام كالمتمسك بالشيء

ولدها جعلته في اليهود، فجاء الإسلام وفيهم منهم، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم، وقالوا: هم أبناؤنا وإخواننا، فنزلت هذه الآية ﴿ لا إكراه في الدين ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «قد خُيِّر أصحابكم فإنِ اختاروكم فهم منكم وإنِ اختارهم فأجلوهم معهم». وقال مجاهد: كان ناسٌ مسترضَعين في اليهود من الأوس فلما أمر النبي ﷺ بإجلاء بني النضير، قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبنّ معهم ولندينَنّ بدينهم، فمنعهم أهلوهم، فنزلت ﴿ لا إكراه في الدين ﴾، وقال مسروق: كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ابنان متنصران قبل مبعث النبي ﷺ، ثم قَدِمَا المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام، فلزمهما أبوهما وقال: لا أدعكما حتى تُسلِما، فتخاصما إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ فخلّى سبيلهما، وقال قتادة وعطاء: نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا الجزية، وذلك أن العرب كانت أمّة أُمّيّة لم يكن لهم كتاب فلم يُقبلُ منهم إلاّ الإسلام، فلما أسلموا طوعاً أو كرهاً أنزل الله تعالى: ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ فأمر بقتال أهل الكتاب إلى أن يسلموا أو يُقرّوا بالجزية، فمَن أعطى منهم الجزية لم يكره على الإسلام. وقيل: كان هذا في الابتداء قبل أن يُؤمر بالقتال، فصارت منسوخة بآية السيف، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه، ﴿ قد تبيّن الرشدُ من الغيّ ﴾، أي: الإيمان من الكفر والحق من الباطل، ﴿ فمَن يكفر بالطاغوت ﴾، يعني: بالشيطان، وقيل: كل ما عُبِدَ من دون الله تعالى فهو طاغوت، وقيل: ما يُطغي الإنسان، فاعول، من الطغيان زيدتِ التاء فيه بدلاً من لام الفعل كقولهم: حانوت وتابوت، فالتاء فيها مبدل من هاء التأنيث،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه ﴿والله سميع﴾ يعني أنه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت وأتى بالشهادتين ﴿عليم﴾ بما في قلبه من الإيمان وقيل معناه سميع لدعائك إياهم إلى الإسلام عليم بحرصك على إسلامهم. قوله عز وجل: .

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ أي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي أمورهم فلا يكلهم إلى غيره وقيل هو متولي هدايتهم ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ أي من الكفر إلى الإيمان وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات والنور، فالمراد به الكفر والإيمان غير الذي في سورة الأنعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور، فالمراد به الليل والنهار وإنما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولأن الظلمة تحجب الأبصار عن إدراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن إدراك حقائق الإيمان وسمي الإسلام نوراً لوضوح طريقه وبيان أدلته ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ يعني كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة ﴿يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ أي من الهدى إلى الضلالة. فإن قلت: كيف قال يخرجونهم من النور إلى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط؟ قلت: هم اليهود كانوا موقنين بمحمد ﷺ وصحة نبوته قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل: هو على العموم في حق جميع الكفار سمي منع الطاغوت إياهم عن الدخول فيه إخراجاً من الإيمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وإن لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لأبيه أخرجتني عن مالك إذا أوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى إخباراً عن يوسف

﴿ ويؤمن بالله فقدِ استمسك بالعُروة الوثقى ﴾، أي: تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين، والوثقى: تأنيث الأوثق، وقيل: العروة الوثقى السبب الذي يُوصل إلى رضا الله تعالى، ﴿ لا انْفِصَامَ لها ﴾: لا انقطاع لها، ﴿ والله سميع ﴾: لدعائك إيّاهم إلى الإسلام، ﴿ عليم ﴾: بحرصك على إيمانهم.

قوله تعالى: ﴿ اللّهُ وليُّ الذين آمنوا ﴾: ناصرهم ومُعينهم، وقيل: مُحبّهم، وقيل: متولّي أمورهم لا يكلهم إلى غيره، وقال الحسن وليّ هدايتهم، ﴿ يُخرجهم من الظلماتِ إلى النور ﴾، أي: من الكفر إلى الإيمان، قال الواقدي: كلّ ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه: الكفر والإيمان غير التي في قوله تعالى: ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ [الأنعام: ١] فالمراد منه: الليل والنهار، سُمّي الكفر: ظُلمة لالتباس طريقه، وسُمّي الإسلام نوراً لوضوح طريقه. ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾، قال مقاتل: يعني: كعب بن الأشرف وحييّ بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة، ﴿ يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾، يدعونهم من النور إلى الظلمات، والطاغوت يكون مذكراً ومؤنثاً وواحداً وجمعاً قال تعالى في المذكر والواحد: ﴿ يُريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ﴾ [النساء: ٦٠]، وقال في المؤنث: ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ [الزمر: ١٧]، وقال في الجمع: ﴿ يُخرجونَهم من النور إلى الظلمات ﴾، فإن قيل: كيف يخرجونهم من النور إلى

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عليه السلام: «إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله» ولم يكن قط في ملتهم ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يعني الكفار والطاغوت أهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم.

قوله عز وجل: ﴿ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه﴾ يعني هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي خاصم إبراهيم وجادله لأن ألم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام كما يقال ألم تر إلى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلاناً في صنعه والذي حاج إبراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية ﴿أن آتاه الله الملك﴾ أي لأن آتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود، وبختنصر. واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه فقال له: من ربك الذي تدعونا إليه؟ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل: كان هذا بعد إلقائه في النار وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمرود، وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان إذا أتاه أحد يمتار سأله من ربك؟ فيقول أنت فيميره فخرج إبراهيم عليه السلام إليه يمتار لأهله الطعام فأتاه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم: «فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر» فرده بغير طعام فرجع إبراهيم إلى أهله فمر على كثيب رمل أعفر فأخذ منه تطييباً لقلوب أهله إذا دخل عليهم فلما أتى أهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة إلى رحله ففتحته فإذا هو

الظلمات وهم كفّار لم يكونوا في نور قطّ؟ قيل: هم اليهود وكانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل أن يُبعثَ لِما يجدون في كتبهم من نعمته، فلما بُعث كفروا به، وقيل: هو على العموم في حق جميع الكفّار، قالوا: منعهم إياهم من الدخول فيه: إخراجٌ، كما يقول الرجل لأبيه أخرجتني من مالك، ولم يكن فيه، كما قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام: ﴿ إني تركتُ مِلّةَ قومٍ لا يُؤمنون بالله ﴾ [يوسف: ٣٧]، ولم يكن قطّ في ملّتهم، ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ألم ترَ إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربّه ﴾، معناه: هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاجّ إبراهيم، أي خاصم وجادل، وهو نمرود، وهو أول مَن وضع التاج على رأسه وتجبّر في الأرض وادّعى الربوبية؟ ﴿ أنْ آتاهُ اللَّهُ المُلك ﴾ أي: لأن آتاه الله الملك فطغى أي: كانت تلك المحاجّة من بَطَرِ الملك وطغيانه، قال مجاهد: ملَكَ الأرضَ أربعةٌ: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان: فسليمان وذو القرنين، وأما الكافران: فنمرود وبختنصر، واختلفوا في وقت هذه المناظرة، قال مقاتل: لمّا كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود، ثم أخرجه ليحرقه بالنار، فقال له: مَن ربّك الذي تدعونا إليه؟ فقال: ﴿ ربّي الذي يُحيي ويُميت ﴾، وقال آخرون: كان هذا بعد إلقائه في النار وذلك أن الناس قُحِطوا على عهد نمرود، وكان الناس يمتارون من عنده الطعام، فكان إذا أتاه الرجل في طلب الطعام سأله مَن ربّك فإن قال: أنت، باع منه الطعام، فأتاه إبراهيم فيمَن أتاه، فقال له نمرود: مَن ربّك؟ قال: ﴿ ربّي الذي يُحيي ويُميت ﴾ فاشتغل بالمحاجّة ولم يعطه شيئاً، فرجع إبراهيم فمرّ على كثيب من رمل أعفر فأخذ منه تطييباً لقلوب أهله إذا دخل عليهم، فلما أتى أهله ووضع متاعه نام فقامت امرأته إلى متاعه ففتحته فإذا هو أجود طعام رأته، فصنعت له منه فقرّبته، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الطعام الذي جئت به، فعرف أن الله رزقه فحمد الله، قال الله تعالى: ﴿ إذْ قال إبراهيمُ ربيَ الذي يُحيي ويُميت ﴾، وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره: قال له مَن ربّك؟ قال إبراهيم: ﴿ ربّي الذي يُحيي ويُميت ﴾ قرأ حمزة ﴿ ربي الذي يُحيي ويُميت ﴾ بإسكان الياء

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

طعام أجود ما رآه أحد فصنعت منه خبزاً فلما انتبه قربته إليه فقال لها إبراهيم من أين هذا؟ وكان عهد أهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم إبراهيم أن الله قد رزقه فحمد الله تعالى: ثم إن الله تعالى بعث إلى نمرود الجبار ملكاً فقال له إن ربك يقول لك أن آمن بي وأتركك في ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك أجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فأمر الله الملك ففتح عليه باباً من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق إلّا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في رأسه أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان أرحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب أربعمائة سنة مدة ملكه حتى أماته الله عز وجل: ﴿**إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت**﴾ هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت ﴿**قال**﴾ يعني قال نمرود ﴿**أنا أحيي وأميت**﴾ قال أكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل إحياء فانتقل إبراهيم ﷺ إلى حجة أخرى لا عجزاً عن نصر حجته الأولى فإنها كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكان لإبراهيم أن يقول لنمرود فأحيي من أمت إن كنت صادقاً ولكن انتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فإنه عارض الفعل بمثله ونسي اختلاف الفعلين ﴿**قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر**﴾ يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع إليه شيئاً وعرف أنه لا يطيق ذلك. فإن قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه أن يقول لإبراهيم سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب. قلت إنما لم يقله لأنه خاف أنه لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل إن الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه ومعجزة لإبراهيم ﷺ وهو الصحيح ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ يعني لا يرشدهم إلى حجة يدحضون بها حجج أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود. قول عز وجل: .

وكذلك ﴿ حرّم ربّي الفواحش ﴾ [الأعراف: ٣٣]، و﴿ عن آياتي الذين يتكبرون ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، و﴿ قل لعبادي الذين ﴾ [إبراهيم: ٣١]، و﴿ آتاني الكتاب ﴾ [مريم: ٣٠]، و﴿ مسّني الضرّ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، و﴿ عبادي الصالحون ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، و﴿عبادي الشكور ﴾[سبأ: ١٣] و﴿ مسّني الشيطان ﴾ [صٓ: ٤١]، و﴿ إن أرادني الله﴾ [الزّمر: ٣٨]، و﴿ إن أهلكني الله ﴾ [الملك: ٢٨]، أسكن الياء فيهنّ حمزة، ووافق ابن عامر والكسائي في ﴿ لعبادي الذين آمنوا ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وابن عامر ﴿ آياتي ﴾[الأعراف:١٤٦]، وفتحها الآخرون، ﴿ **قال** ﴾ رجلًا نمرود ﴿ **أنا أحيي وأُميت** ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿ **أنا** ﴾ بإثبات الألف والمدِّ في الوصل إذا تلتها ألف مفتوحة أو مضمومة، والباقون بحذف الألف، ووقفوا جميعاً بالألف، قال أكثر المفسّرين: دعا نمرود برجلين فقتل أحداهما واستحيا الآخر فجعل القتلَ إماتةً، وتَرْكَ القتل إحياءً، فانتقل إبراهيم إلى حجّة أُخرى ليعجزه، فإن حجّته كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكان له أن يقول فأُحيي مَن أمتّ إن كنت صادقاً، فانتقل إلى حُجّة أخرى أوضح من الأولى ﴿ **قال إبراهيم فإنّ الله يأتي بالشمسِ منَ المشرق فأتِ بها من المغرب فبُهتَ الذي كفر** ﴾، أي: تحيّر ودُهش وانقطعتْ حُجّته، فإن قيل: كيف بُهت وكان يمكنه أن يُعارض إبراهيم فيقول له: سَلْ أنت ربّك حتى يأتي بها من المغرب، قيل: إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأل ذلك، دعا إبراهيم ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه، والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجّة عليه أو معجزة لإبراهيم عليه السلام، ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

﴿أو كالذي مر على قرية﴾ هذه معطوفة على الآية التي قبلها والمعنى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفاً على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كالذي حاج إبراهيم وهل رأيت كالذي مر على قرية وقيل الكاف زائدة التقدير ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم أو إلى الذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فروى عن مجاهد أنه كان كافراً شك في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى: ﴿قال كم لبثت﴾ والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى: ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر وإنما يستعمل في حق الأنبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزيز بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو أرمياء بن حلقيا من سبط هارون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى على إحياء خلقه بعد إماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز أن يكون ذلك المار هو عزيز وجائز أن يكون أرمياء وفي هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد ﷺ لأنه أخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو أمي لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد بالإحياء هنا عمارتها وقيل هي القرية التي أهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل وهي دير سابر آباد وقيل سلماباد وقيل هي دير هرقل وقيل قرية العنب هي على فرسخين من بيت المقدس وقوله هي دير سابر أباد موضع كان بفارس وسلماباد محلة أو

قوله تعالى: ﴿ أو كالذي مرّ على قرية ﴾، وهذه الآية مَسُوقَةٌ على الآية الأولى، تقديره: ألم ترَ إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربّه، وهل رأيت كالذي مرّ على قرية؟ وقيل: تقديره: هل رأيت كالذي حاجّ إبراهيم في ربّه؟ وهل رأيت كالذي مرّ على قرية؟ واختلفوا في ذلك المارّ، فقال قتادة وعكرمة والضحّاك: هو عزير بن شرخيا، وقال وهب بن منبه: هو أرميا بن سلقيا، وكان من سبط هارون وهو الخضر، وقال مجاهد: هو كافر شكّ في البعث، واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقتادة: هي بيت المقدس، وقال الضحّاك: هي الأرض المقدسة، وقال الكلبي: هي دير سابر أباد، وقال السدي: مسلم أباد، وقيل: دير هرقل، وقيل: هي الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف، وقيل: هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس، ﴿ وهي خاوية ﴾: ساقطة، يقال: خوِي البيت بكسر الواو يخوي، خوى مقصوراً إذا سقط وخوى البيت بالفتح خواءً ممدوداً إذا خلا، ﴿ على عروشها ﴾: سقوفها، واحدها عرش، وقيل: كل بناء عرش، ومعناه: أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها، ﴿ قال أنّى يُحيـي هذه الله بعد موتها ﴾؟ وكان السبب في ذلك على ما روى محمد بن إسحق عن وهب بن منبه: أنّ الله تعالى بعث أرمياء إلى ناشية بن أموص ملك بني إسرائيل ليسدّده في ملكه، ويأتيه بالخير من الله عزّ وجلّ، فعظمت الأحداث في بني إسرائيل، وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى إلى أرمياء أنْ ذكر قومك نِعَمِي وعرِّفهم أحداثهم وادْعُهم إليّ، فقال أرمياء: إني ضعيفٌ إن لم تقوّني، عاجزٌ إنْ لم تبلّغني، مخذولٌ إنْ لم تنصرني، فقال الله عزّ وجلّ: أنا ألهمك، فقام أرمياء فيهم ولم يدرِ ما يقول، فألهمه الله في الوقت خُطبةً بليغةً طويلةً بيّن لهم فيْها ثوابَ الطاعة وعقابَ المعصية، وقال في آخرها عن الله تعالى: وإني أحلف بعزّتي لأُقيّضنّ لهم فتنةً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قرية من نواحي جرجان وقيل: أيضاً من نواحي همدان ودير هرقل بكسر أوله وراء ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم. وقيل: هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم لحزقيل كما تقدم ويقال إن المراد بقوله تعالى: **﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾** هي التي عندها أحيا الله حمار عزير **﴿وهي خاوية على عروشها﴾** أي ساقطة على سقوفها وذلك أن السقوف سقطت أولاً وقفت الحيطان عليها بعد ذلك **﴿قال﴾** يعني ذلك المار **﴿أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾** فمن قال إن ذلك المار كان كافراً وهو ضعيف إنما حمله على الشك في قدرة الله ومن قال كان نبياً حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجاري العرف والعادة لا على سبيل الإنكار لقدرة الله تعالى أو كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لأجل التأكيد كما قال إبراهيم عليه السلام: «رب أرني كيف تحيي الموتى» ومعنى **﴿أنى يحيي هذه الله﴾** من أين يحيي هذه القرية والمراد بالإحياء عمارتها فأحب الله أن يريه آية في نفسه وفي إحياء تلك القرية. وكان سبب القصة في ذلك ما روي عن وهب بن منبه أن الله تعالى بعث أرمياء إلى ناشية بن أموص ملك بني إسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى إلى أرمياء أن ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم أحداثهم وادعهم إلي فقال أرمياء يا رب إني ضعيف إن لم تقوني عاجز إن لم تبلغني مخذول إن لم تنصرني فقال الله تعالى: إني ألهمك فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول، فألهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل إني أحلف بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولأسلطن عليهم جباراً فارسياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد

يتحيّر فيها الحكيم، ولأسلطنّ عليهم جبّاراً فارسياً ألبسه الهيبةَ وأنزعُ من صدره الرحمةَ يتبعه عددٌ مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله إلى أرمياء: إني مهلك بني إسرائيل، ويافث من أهل بابيل، وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، فلما سمع أرمياء ذلك صاح وبكى وشقّ ثيابه ونبذَ الرمادَ على رأسه، فلما سمع الله تضرعَه وبكاءَه ناداه يا أرمياء أشقّ عليك ما أوحيت إليك؟ قال: نعم يا رب، أَهْلِكْني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أُسرّ به، فقال الله تعالى: وعزّتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قبلك، ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه، فقال: لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل، ثم أتى الملِكُ فأخبره بذلك وكان مَلِكاً صالحاً فاستبشر وفرح، فقال: إن يُعذِّبنا ربُّنا فبذنوب كثيرة، وإن عفا عنّا فبرحمته، ثم إنهم لبثوا بَعْدَ الوحي ثلاث سنين لم يزدادُوا إلّا معصيةً وتمادياً في الشرّ، وذلك حين اقتراب هلاكُهم فقل الوحي، ودعاهم الملِكُ إلى التوبة فلم يفعلوا فسلّط الله عليهم بختنصّر فخرجَ في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس، فلما فصل سائراً أتى الملِكَ الخبرُ فقال لأرمياء: أين ما زعمت أنّ الله أوحى إليك، فقال أرمياء: إن الله لا يخلف الميعاد، وأنا به واثق، فلما قَرُبَ الأجل بعث الله إلى أرمياء ملَكاً قد تمثّل له رجلاً من بني إسرائيل، فقال له أرمياء: مَن أنت؟ قال: أنا رجل من بني إسرائيل أتيتك أستفتيك في أهل رحمي، وصلت أرحامهم ولم آتِ إليهم إلّا حُسناً ولا يزيدهم إكرامي إيّاهم إلّا إسخاطاً لي، فأفتني فيهم، قال: أحسنْ فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير، فانصرف الملَكُ فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل، فقعد بين يديه، فقال له أرمياء: مَنْ أنت؟ قال: أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي، فقال له أرمياء: أمَا طهرت أخلاقهم لك بعد؟ قال: يا نبيّ الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلّا رَحِمه إلّا قدّمتها إليهم وأفضل، فقال له النبيّ أرمياء عليه السلام: ارجع فأحسن إليهم واسألِ اللّٰه الذي يُصلح عباده الصالحين أن يُصلحهم، فانصرف الملَكُ، فمكث أياماً وقد نزل بختنصّر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو إسرائيل، فقال ملكهم لأرمياء: يا نبيّ الله أين ما وعدك الله؟ قال: إني

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى إليه إني مهلك بني إسرائيل بيافث ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع أرمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما رأى الله تضرعه وبكاءه ناداه يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك قال نعم يا رب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل مالاً أسربه فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قبلك ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه وقال: لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل، ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكاً صالحاً فاستبشر وفرح وقال إن يعذبنا ربنا فبذنوبنا وإن يعف عنا فبرحمته ثم إنهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلاّ معصية وتمادياً في الشر فقل الوحي وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر البابلي فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائراً وأتى الخبر إلى ملك بني إسرائيل قال لأرمياء: أين ما زعمت أن الله تعالى أوحى إليك فقال أرمياء: إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل بعث الله تعالى إلى أرمياء ملكاً قد تمثل له في صورة رجل من بني إسرائيل فقال له أرمياء من أنت قال أنا رجل من بني إسرائيل أتيتك أستفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم آت إليهم إلاّ حسناً ولا يزيدهم إكرامي إياهم إلاّ سخطاً لي فأفتني فيهم فقال أرمياء: أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء من أنت قال أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي فقال له أرمياء أما طهرت أخلاقهم بعدلك فيهم فقال يا نبي الله والذي بعثك بالحق نبياً ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى رحمه إلاّ قدمتها إليهم وأفضل فقال أرمياء: ارجع إليهم فأحسن إليهم

بربّي واثق، ثم أقبل المَلَكُ إلى أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربّه الذي وعده، فقعد بين يديه فقال له أرمياء: مَن أنت؟ فقال: أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين، فقال النبي: ألم يأنِ لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه؟ فقال المَلَكُ يا نبيّ الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، فاليوم رأيتهم في عمل لا يُرضي الله، فقال النبي على أيّ عملٍ رأيتهم؟ قال: على عمل عظيم من سخط الله، فغضبتُ لله وأتيتك لأخبرك، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبيّاً إلاّ ما دعوتَ اللّهَ عليهم لِيُهلِكَهم، فقال أرمياء: يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقهم، وإن كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم، فلما خرجتِ الكلمةُ مِنْ فِي أرمياء أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس، فالتهب مكان القربان وخُسف بسبعة أبواب من أبوابها، فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشقّ ثيابه ونبذ الرماد على رأسه، وقال: يا مالك السموات والأرض أين ميعادك الذي وعدتني به، فنودي أنه لم يصيبهم ما أصابهم إلاّ بفتياك ودعائك، فاستيقن النبيّ عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسول ربّه، فطار أرمياء حتى خالط الوحوش، ودخل بختنصّر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرّب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤوه، ثم أمرهم أن يجمعوا مَن كان في بلدان بيت المقدس، فاجتمع عندهم صغيرهم وكبيرهم من بني إسرائيل، فاختار منهم سبعين ألف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه، فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا، وفرّق مَن بقي من بني إسرائيل ثلاث فِرَق فثلثاً قتلهم وثلثاً سباهم وثلثاً أقرّهم بالشام، وكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله في بني إسرائيل بظلمهم فلما ولّى عنهم بختنصّر راجعاً إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل أرمياء على حماره، ومعه عصير عنب في ركوة وسلّة تين حتى غشي إيلياء، فلما وقف عليها ورأى خرابها قال: ﴿ أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها ﴾ وقال الذي قال: إن المارّ كان عزيراً وإن بختنصّر لمّا خرّب بيت المقدس وقَدِمَ بسبي بني إسرائيل ببابل كان فيهم عزيرٌ ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود، فلما

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

واسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياماً ثم إن بختنصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنو إسرائيل فقال ملكهم لأرمياء يا نبي الله أين ما وعدك الله فقال إني بربي واثق ثم أقبل ذلك الملك إلى أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له أرمياء من أنت قال أنا الذي جئتك في شأن أهلي مرتين فقال أرمياء: أما آن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله إن كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه فاليوم رأيتهم على عمل لا يرضي الله تعالى فقال له أرمياء: على أي عمل رأيتهم؟ قال على عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فأتيتك لأخبرك وأنا أسألك بالله الذي بعثك بالحق أن تدعو الله عليهم ليهلكوا فقال أرمياء: يا مالك السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام إن كانوا على حق وصواب فأبقهم وإن كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم فما خرجت الكلمة من فيه حتى أرسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان وأحرقت سبعة أبواب من أبوابه، فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والأرض أين ميعادك الذي وعدتني به فنودي أنهم لم يصبهم ما أصابهم إلاّ بفتياك ودعائك عليهم، فاستيقن أرمياء أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسولاً من الله تعالى إليه فخرج أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ويقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤوه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان بقي في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقي من بني إسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين ألف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة. وكان في أولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير، وفرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق فثلثاً قتلهم وثلثاً سباهم وثلثاً أقرهم بالشام فكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بظلمهم فلما ولى بختنصر راجعاً إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل أرمياء على حمار له ومعه عصير

نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل دير هرقل على شطّ دجلة، فطاف في القرية فلم يرَ فيها أحداً وعامّة شجرها حاصل، فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلّة وفضل العصير في زقّ، فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال: ﴿ أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها ﴾، قالها تعجباً لا شكّاً في البعث. رجعنا إلى حديث وهب، قال: ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد فألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام، وأمات حماره، وعصيرُه وتينه عنده فأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد، وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله مَلَكاً إلى مَلِكٍ من ملوك فارس يقال له نوشك، فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمّر بيت المقدس وإيلياء حتى يعود أعمر ما كان، فانتدب الملك بألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا يعمّرونه، فأهلك الله بختنصّر ببعوضة دخلت دماغه، ونجا الله مَن بقي من بني إسرائيل، ولم يمت ببابل أحد وردّهم جميعاً إلى بيت المقدس ونواحيه وعمّروها ثلاثين سنة، وكثُروا حتى عادوا على أحسن ما كانوا عليه، فلما مضت المائة أحيا الله مِنْهُ عَيْنَيْهِ وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر إليه، ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرّقة بيضٌ تلوح، فسمع صوتاً من السماء: أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض، ثم نُودي أن الله يأمرك أن تكتسي لحماً وجلداً فكانت كذلك، ثم نُودي أن الله يأمرك أن تحيا فقام بإذن الله ونهق، وعمّر اللَّهُ أرمياء فهو الذي يُرى في الفلوات، فذلك قوله تعالى: ﴿ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾، أي: أحياه، ﴿ قال كم لبثت ﴾، أي: كم مكثت؟ يقال: لما أحياه الله بعث إليه ملكاً فسأله: كم لبثت ﴿ قال لبثت يوماً ﴾، وذلك أن الله تعالى أماته ضُحىً في أول النهار وأحياه بعد

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي إيليا وهي أرض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها. ومن قال: إن المار كان عزيراً قال: إن بختنصر لما خرب بيت المقدس بسبايا بني إسرائيل وكان فيهم عزيز ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود، فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف بالقرية فلم ير أحداً وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق، ولما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها وإنما قال ذلك تعجباً لا شكاً في البعث. ورجعنا إلى حديث وهب قال ثم إن أرمياء ربط حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام ونزع الله منه الروح فمات مائة عام وأمات حماره وبقي عصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير، فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة أرسل الله تعالى ملكاً إلى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك وقال له: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيليا حتى يعود أعمر ما كان فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقي من بني إسرائيل وردهم جميعاً إلى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كأحسن ما كانوا، فلما مضت المائة أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتاً من السماء أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها إلى بعض، ثم نودي إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً وجلداً فكان كذلك، ثم نودي إن الله يأمرك أن تحيي فقام الحمار بإذن الله ثم نهق وعمر الله أرمياء فهو يدور في الفلوات فذلك قوله تعالى: **﴿فأماته الله مائة عام﴾** أصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاماً لأن الشمس تعوم في جميع بروجها **﴿ثم بعثه﴾** أي ثم أحياه وأصله من بعثت الناقة إذا أقمتها من مكانها **﴿قال كم لبثت﴾** يعني قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذي مكثت فيه ميتاً قبل أن أبعثك من مكانك حياً؟ ويقال إن الله تعالى لما أحياه بعث إليه ملكاً

مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس، فقال: كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى بقية من الشمس، فقال: ﴿ أو بعض يوم ﴾، بل بعض يوم، ﴿ قال ﴾ له الملك: ﴿ بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك ﴾، يعني: التين، ﴿ وشرابك ﴾، يعني: العصير، ﴿ لم يتسنّه ﴾، أي: لم يتغيّر، فكان التين كأنه قُطف من ساعته، والعصير كأنه عُصر من ساعته، قال الكسائي: كأنه لم تأتِ عليه السنون، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ﴿ لم يتسنّ ﴾ بحذف الهاء في الوصل، وكذلك ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقرأ الآخرون بالهاء فيهما وصلاً ووقفاً، فمَن أسقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلةً زائدةً، وقال: أصله يتسنّى، فحذف الياء بالجزم وأبدل منه هاء في الوقف، وقال أبو عمرو: وهو من التسنّن، بنونين، وهو التغيّر، كقوله تعالى: ﴿ من حمأ مسنون ﴾ [الحجر: ٢٦ و٢٨ و٣٣]، أي: متغيّر، فعوّضت من أحد النون ياء، كقوله تعالى: ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطّى ﴾ [القيامة: ٣٣]، أي: يتمطط، وقوله: ﴿ وقد خاب من دسّاها ﴾ [الشمس: ١٠]، وأصله: دسّسها، ومَن أثبت الهاء في الحالين جعل الهاء أصلية لاَمَ الفعل، وهذا على قول مَن جعل أصل السنة السنهة، وتصغيرها سُنيهة، والفعل من المسانهة، وإنما قال: ﴿ لم يتسنه ﴾ ولم يثنه مع أنه أخبر عن شيئين ردّاً للمتغيّر إلى أقرب اللفظين به، وهو الشراب، واكتفى بذكر أحد المذكورين، لأنه في معنى الآخر، ﴿ وانظر إلى حمارك ﴾، فنظر فإذا هو عظام بيض، فركّب الله تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحمَ والجلدَ وأحياه وهو ينظر، ﴿ ولِنجعلك آية للناس ﴾، قيل: الواو زائدة مقحمة، وقال الفرّاء: أُدخلت الواو فيه دلالةً على أنها شرط لفعل بعدها معناه: ولنجعلك آيةً: عبرةً ودلالةً على البعث بعد الموت، قاله أكثر المفسِّرين، وقال الضحّاك وغيره:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فسأله كم لبثت ﴿قال﴾ يعني ذلك المبعوث بعد مماته ﴿لبثت يوماً﴾ وذلك أن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار قبل أن تغيب الشمس فقال لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال: ﴿أو بعض يوم قال﴾ يعني قال الله له، وقيل قال الملك له ﴿بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك﴾ يعني التين الذي كان معه قبل موته ﴿وشرابك﴾ يعني العصير ﴿لم يتسنه﴾ يعني لم تغيره السنون التي أتت عليه فكان التين كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن ﴿وانظر إلى حمارك﴾ أي وانظر إلى إحياء حمارك فنظر فإذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ قيل الواو زائدة مقحمة وقيل: دخول الواو فيه دلالة على أنها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الإماتة والإحياء لنجعلك آية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت. وقال أكثر المفسرين وقيل: إنه عاد إلى القرية وهو شاب أسود الرأس واللحية وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك آية للناس ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً﴾ قرىء بالراء ومعناه كيف نحييها يقال أنشر الله الميت إنشاراً يعني أحياه وقرىء بالزاي ومعناه: كيف نرفعها من الأرض ونردها إلى مكانها من الجسد، وتركيب بعضها على بعض وإنشاز الشيء رفعه وانزعاجه يقال: نشزته فنشز أي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الآية فقال الأكثرون إنه أراد عظام الحمار قيل إن الله تعالى أحيا عزيراً أو أرمياً على اختلاف القولين فيه ثم قال: له: انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه، فنظر وبعث الله ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل، فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت إلى موضعها فصار حماراً من عظام ليس عليه لحم، ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم، فصار حماراً ذا لحم ودم لا روح فيه، ثم بعث الله ملكاً فأقبل إليه يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حياً بإذن الله تعالى، ، ثم نهق وقيل: أراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك أن الله تعالى أماته ثم بعثه ولم يمت حماره. ثم قيل: له انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره حياً قائماً كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له: انظر إلى العظام كيف ننشزها وذلك أن الله أول ما أحيا منه عينيه فنظر فرأى سائر جسده

إنه عاد إلى قريته شابّاً وأولاده وأولاد أولادهُ شيوخ وعجائز، وهو أسود الرأس واللحية، قوله تعالى: ﴿ وانظر إلى العظام كيف نُنْشِزُها ﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة: (ننشـرها) بالراء، معناه: نحييها، يقال: أنشر الله الميت إنشاراً وأنشره نشوراً، قال الله تعالى: ﴿ ثم إذا شاء أنشره ﴾ [عبس: ٢٢]، وقال في اللازم: ﴿ وإليه النشور ﴾ [الملك: ١٥]، وقال الآخرون بالزاي، أي نرفعها من الأرض ونركّب بعضها على بعض، وإنشاز الشيء: رفعه وإزعاجه، قال: أنشزته فنشـز. أي: رفعته فارتفع، واختلفوا في معنى الآية، فقال الأكثرون: أراد به عظام حماره، وقال السدي: إن الله تعالى أحيا عُزيراً، ثم قال له: انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه، فبعث الله تعالى ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل، وقد ذهبت بها الطير والسباع، فاجتمعت فركّب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حماراً من عظام ليس فيـه لحـم ولا دم، ﴿ ثم نَكْسُوها لحماً ﴾، ثم كسى العظام لحماً فصار حماراً لا روح فيه، ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه، فقام الحمار ونهق بإذن الله، وقال قوم: أراد به عظام هذا الرجل، ذلك أن الله تعالى لم يُمِت حماره بل أماته هو، فأحيا الله عينيه، ورأسه وسائر جسده ميت، ثم قال: انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره قائماً واقفاً كهيئة يوم ربطه حيّاً لم يُطعم ولم يشرب مائة عام، ونظر إلى الرمّة في عنقه جديدة لم تتغيّر، وتقدير لآية وانظر إلى مارك وانظر إلى عظامك كيف ننشزها، وهذا قول قتادة عن كعب والضحّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: لمّا أحيا الله

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ميتاً وفي الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر إلى حمارك وانظر إلى العظام كيف ننشزها، ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما أحيا الله عزيراً بعد ما أماته سنة ركب حماره حتى أتى إلى محلته فأنكره الناس، وأنكر منازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فإذا بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة، وكانت أمة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة، وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير: يا هذه هذا منزل عزير فقالت: نعم وبكت وقالت ما رأيت أحداً يذكر عزيراً منذ كذا وكذا؛ فقال: أنا عزير فقالت: سبحان الله إن عزيراً فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال: إني عزير إن الله تعالى أماتني مائة سنة ثم أحياني فقالت: إن عزيراً كان رجلاً مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله أن يرد علي بصري حتى أراك فإن كنت عزيراً عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال لها: قومي بإذن الله تعالى فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة، فنظرت إليه وقالت: أشهد أنك عزير وانطلقت إلى بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة، وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم، فكذبوها فقالت: أنا فلانة مولاتكم فدعا عزير ربه فرد عليَّ بصري وأطلق رجلي، وزعم أن الله تعالى قد أماته مائة سنة ثم بعثه قال: فنهض الناس إليه، وقال ابنه: كان لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر إليها فرآها فعرف أنه عزير، وقيل: لما رجع عزير إلى قريته وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلائق بكى عزير على التوراة فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبتت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله التوراة، وبعثه نبياً فقال أنا عزير: فلم يصدقوه فقال إني عزير وقد بعثني الله إليكم لأجدد لكم توراتكم، قالوا: فاملها علينا فأملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا: ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت إلّا أنه ابنه فقالوا: عزير ابن الله وستأتي القصة في سورة التوبة إن شاء الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿فلما تبين له﴾

تعالى عُزيراً بعدما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكر منازله، فانطلق على وَهْمٍ حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت عرفته وعقلته، فقال لها عزير: يا هذه هذا منزل عُزير؟ قالت: نعم هذا منزل عُزير وبكيت، وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة تذكر عُزيراً، قال: فإني أنا عُزير، قالت: سبحان الله فإنّ عُزيراً قد فقدناه مِنْ مائة سنة لم نسمع له بذكر، قال: فإنّي أنا عُزير كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني، قالت: فإن عُزيراً كان رجلاً مستجاب الدعوة ويدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية، فادعُ الله أن يردّ لي بصري حتى أراك، فإن كنت عُزيراً عرفتُك، فدعا ربَّه ومسح بيده على عينيها فصحّتا وأخذ بيدها، وقال: قومي بإذن الله تعالى، فأطلق الله رجليها فقامت صحيحةً فنظرتْ إليه فقالت: أشهد أنك عُزيرٌ، فانطلقتْ إلى بني إسرائيل، وهم في أنديتهم ومجالسهم، وابن لعُزير شيخ كبير ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة، وبنو بنيه شيوخ في المجلس، فنادت هذا عُزير قد جاءكم فكذّبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم، دعا لي ربَّه فردَّ عليّ بصري وأطلق رجلي، وزعم أن الله كان أماته مائة سنة ثم بعثه، فنهض الناس فأقبلوا إليه فقال ولده: كان لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه، فكشف عن كتفيه فإذا هو عُزير، وقال السدي والكلبي: لمّا رجع عُزير إلى قومه، وقد أحرق بختنصّر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق فبكى عُزير على التوراة، فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد علّمه الله التوراة، وبعثه نبياً فقال: أنا عُزير فلم يصدّقوه، فقال: إني عُزير قد بعثني الله إليكم لأجدِّد لكم توراتكم، قالوا: أَمْلِها علينا فأملاها عليهم عن ظهر قلبه، فقالوا: ما جعل الله التوراة في صدر رجل بعدما ذهبت إلّا أنه ابنه، فقالوا: عُزير ابن الله وستأتي القصة في سورة براءة إن شاء الله تعالى، ﴿ فلمّا تبيّن له ﴾ ذلك عَياناً، ﴿ قال أعلم ﴾، قرأ حمزة والكسائي مجزوماً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يعني فلما اتضح له عياناً ما كان ينكره من إحياء القرية ورآه عياناً في نفسه ﴿قال أعلم﴾ قرىء مجزوماً موصولاً على الأمر يعني قال الله له أعلم وقرىء أعلم على قطع الألف، ورفع الميم على الخبر عن الذي قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له ورأى ذلك عياناً قال: أعلم ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ يعني الإماتة والإحياء.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ اختلفوا في سبب هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام فقيل: إنه مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل: بل كانت حوتاً ميتاً وقيل: كان رجلاً ميتاً بساحل البحر وقيل: بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر. فإذا مد البحر جاءت الحيتان فأكلت منها وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها. فإذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فلما رأى إبراهيم ذلك تعجب منها. وقال: يا رب إني قد علمت إنك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف الدواب فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك، فأزداد يقيناً فعاتبه الله تعالى: ﴿قال أولم تؤمن﴾ يعني أ لم تصدق ﴿قال بلى﴾ يا رب قد علمت وآمنت ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ أي ليسكن قلبي عند المعاينة أراد إبراهيم عليه السلام أن يصير له علم اليقين عين اليقين لأن الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه إلى مشاهدة ميت يحييه ربه، ولم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً في إحياء الله الموتى ولا دافعاً له ولكنه أحب أن يرى ذلك عياناً كما أن المؤمنين يحبون أن يروا نبيهم محمداً ﷺ، ويحبون رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونها، ويسألونه في دعائهم مع الإيمان بصحة ذلك وزوال

موصولاً على الأمر على معنى قال الله تعالى له: اعلم، وقرأ الآخرون ﴿ أعلم ﴾ بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عُزير أنه قال لما رأى ذلك: أعلم، ﴿ أن الله على كل شيء قدير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وإذْ قال إبراهيمُ ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى ﴾، قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريج: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام أنه مرّ على دابّة ميتة، قال ابن جريج: كانت جيفة حمار بساحل البحر، قال عطاء: في بحيرة طبرية، قالوا: فرآها وقد توزّعتها دوابّ البحر والبرّ، فكان إذا مدّ البحر جاءت الحيتان ودوابّ البحر فأكلت منها، فما وقع منها يصير في البحر، فإذا جَزَرَ البحرُ ورجع جاءت السِّباع فأكلن منها فما سقط منها يصير تراباً، فإذا ذهبت السِّباع جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعتْه الريح في الهواء، فلما رأى ذلك إبراهيم عليه السلام تعجّب منها وقال: يا ربّ قد علمتُ أنك لتجمعنها من بطون السِّباع وحواصل الطير وأجواف دوابّ البحر، فأرِني كيف تُحييها لأُعاين فأزدادَ يقيناً فعاتبه الله تعالى، ﴿قال أوَ لم تُؤمن قال بلى﴾ يا ربّ علِمْت وآمنت، ﴿ولكنْ ليطمئنَّ قلبي﴾، أي: ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم اليقين، عينَ اليقين، لأن الخبر ليس كالمعاينة، وقيل: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لمّا احتجّ على نمرود فقال: ربّي الذي يُحيي ويُميت، قال نمرود: أنا أُحيي وأُميت، فقتل أحدَ الرجلين وأطلق الآخرَ، فقال إبراهيم: إن الله تبارك وتعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه، فقال له نمرود: أنت عاينته فلم يقدر أن يقول نعم، فانتقل إلى حجّة أخرى، ثم سأله ربّه أن يُريه إحياءَ الموتى، قال: أوَ لمْ تُؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجّتي،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الشك عنهم فكذلك أحب إبراهيم أن يصير الخبر له عياناً، وقيل: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمرود فقال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود: أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر فقال إبراهيم: إن الله تعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود أنت عاينته فلم يقدر إبراهيم أن يقول: نعم فانتقل إلى حجة أخرى ثم سأل إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى؟ قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فإذا قيل: أنت عاينته فأقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له، فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان إبراهيم من أغير الناس وكان إذا خرج أغلق بابه فلما جاء، وجد في الدار رجلاً فثار إليه ليأخذه وقال له. من أذن لك أن تدخل داري فقال: أذن لي رب الدار فقال: إبراهيم صدقت وعرف أنه ملك فقال له: من أنت قال: أنا ملك الموت جئتك أبشرك أن الله قد اتخذك خليلاً فحمد الله عز وجل وقال له: ما علامة ذلك قال: أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذٍ قال إبراهيم: رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بأنك اتخذتني خليلاً، وتجيبني إذا دعوتك وتعطيني إذا سألتك (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى. قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

(القول على معنى الحديث) وما يتعلق به اختلف العلماء في قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» على أقوال كثيرة فأحسنها وأصحها ما نقل المزني وغيره من العلماء أن الشك مستحيل في حق إبراهيم فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم ولقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم لم يشك وإنما خص إبراهيم بالذكر لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه، وقال الخطابي: ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم؛ اعتراف بالشك على نفسه، ولا على إبراهيم

فإذا قيل أنت عاينته فأقول نعم قد عاينته، وقال سعيد بن جبير: لمّا اتّخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً، سأل مَلَكُ الموت ربَّه أن يأذن له فيبشّر إبراهيم بذلك، فأذن له، فأتى إبراهيمَ ولم يكن في الدار فدخل داره، وكان إبراهيم عليه السلام أغير الناس، إذا خرج أغلق بابه، فلمّا جاء وجد في داره رجلاً فثار عليه ليأخذه وقال له: مَن أذِنَ لك أن تدخل داري؟ فقال: أذِنَ لي ربُّ هذه الدار، فقال إبراهيم: صدقتَ، وعرف أنه مَلَك، فقال: مَن أنت؟ قال: أنا مَلَك الموت، جئتُ أُبشّرك بأنّ الله تعالى قد اتّخذك خليلاً، فحمد الله عزّ وجلّ، قال: فما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعاءك ويحيي اللهِ الموتى بسؤالك، فحينئذ قال إبراهيم: ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى، قال: أوَلم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي إنك اتخذتني خليلاً وتجيبني إذا دعوتك. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أحمد بن صالح، أنا ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيّب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحقّ بالشك من إبراهيم، إذْ قال ربِّ أرِني كيف تحيي الموتى؟ قال: أوَلم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي، ورحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، وأخرج مسلم بن الحجّاج هذا الحديث عن حرملة بن يحيىٰ عن وهب بهذا الإسناد مثله، وقال: «نحن أحقّ بالشك من إبراهيم **﴿إذ قال ربِّ أرِني كيف تُحيي الموتى﴾** حكى محمد بن إسحق بن خزيمة عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيىٰ المزني أنه قال على هذا الحديث: لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى، وإنما شكا في أنه هل يجيبهما إلى

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لكن فيه نفي الشك عنهما يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله: لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي وفيه الإعلام بأن المسألة من إبراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالبيان، والعيان يفيد من المعرفة، والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال وقيل: لما نزلت هذه الآية قال: قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا ﷺ فقال رسول الله ﷺ: نحن أحق بالشك من إبراهيم ومعناه أن هذا الذي تظنونه شكاً أنا أولى به فإنه ليس بشك، وإنما هو طلب لمزيد اليقين وإنما رجح إبراهيم ﷺ على نفسه ﷺ تواضعاً منه وأدباً، أو قبل أن يعلم أنه ﷺ خير ولد آدم وأما تفسير الآية فقوله تعالى: وإذ قال إبراهيم: أي واذكر يا محمد، إذ قال: إبراهيم، وقيل: إنه معطوف على قوله: «ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه» والتقدير ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ألم تر إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، قال يعني قال الله إبراهيم: «أولم تؤمن» الألف في أولم تؤمن من ألف إثبات وإيجاب كقول جرير: ألستم خير من ركب المطايا. أي ألستم كذلك والمعنى أو لست قد آمنت وصدقت أني أحيي الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعني سألتك ذلك إرداة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس: معناه ولكن لأرى من آياتك وأعلم أنك قد أجبتني ﴿قال فخذ أربعة من الطير﴾ قيل أخذ طاووساً وديكاً وحمامة وغراباً وقيل نسراً بدل الحمامة. فإن قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة. قلت لأن الطير صفته الطيران في السماء والارتفاع في الهواء، وكانت همة إبراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو في الوصول إلى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته. فإن قلت: لم خص هذه الأربعة الأجناس من الطير بالأخذ. قلت فيه إشارة ففي الطاووس إشارة إلى ما في الإنسان من حب الزينة، والجاه وفي النسر إشارة إلى شدة الشغف بالأكل وفي الديك إشارة إلى شدة الشغف بحب النكاح وفي الغراب إشارة إلى شدة الحرص، ففي هذه الطيور

ما سألا، وقال أبو سليمان الخطابي: ليس في قوله: «نحن أحقّ بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما بقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وكذلك قوله: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه لم تعرض من جهة الشك، ولكن من قِبَل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال، وقيل: لمّا نزلت هذه الآية قال قوم: شكّ إبراهيم ولم يشكّ نبيّاً! فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه، قوله: أوَلَمْ تؤمن؟ معناه: قد آمنتَ فلِمَ تسأل؟ شهد له بالإيمان، كقول جرير:

ألستم خيـر مَن ركب المـطايـا   وأنـدى العـالمـين بـطـول راح

يعني أنتم كذلك ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين. ﴿ قال فخذ أربعة من الطير ﴾، قال مجاهد وعطاء وابن جريج: أخذ طاوساً وديكاً وحمامةً وغُراباً، وحُكي عن ابن عباس رضي الله عنه: ونسراً بدل الحمامة، وقال عطاء الخراساني: أوحى إليه أنْ خذْ بطّةً خضراءَ وغُراباً أسود وحمامة بيضاءَ وديكاً أحمر، ﴿ فصُرْهُنّ إليك ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة ﴿ فصرهنّ إليك ﴾ بكسر الصاد، أي: قطعهنّ ومزّقهنّ، يقال: صار يصير صيراً، إذا قُطع، وانصار الشيء انصياراً إذا انقطع، قال الفرّاء: هو مقلوب من صَرَيْت أصْرِي صرياً، إذا قَطعت، وقرأ الآخرون ﴿ فصرهنّ ﴾ بضم الصاد، ومعناه: أملهنّ إليك وجههنّ يقال صرت الشيء أُصوّره، إذا أمَلْتُه، ورجلٌ أصور إذا كان مائل العنق، وقال عطاء معناه: اجمعْهنّ واضْمُمهنّ إليك، يقال: صار يصور صوراً إذا اجتمع، ومنه قيل

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مشابهة لما في الإنسان من حب هذه الأوصاف وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق أعلى الدرجات في الجنة، وفاز بنيل السعادات ﴿فصرهن﴾ قرىء بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرىء بضم الصاد ومعناه أملهن ﴿إليك﴾ ووجههن وقيل: معناه اجمعهن واضممهن إليك فمن فسره بالإمالة والضم قال فيه إضمار ومعناه فصرهن إليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾ لأنه يدل عليه قال المفسرون: أمر الله تعالى إبراهيم ﷺ أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وأن يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم أمره أن يجعل على كل جبل منهن جزءاً. واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء وأن يجعلها أربعة أجبل على كل جبل ربعاً من كل طائر، قيل: جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب، وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤوسهن بيده ثم دعاهن فقال: تعالين بإذن الله تعالى: فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يطير إلى العظم الآخر وكل بضعة تطير إلى البضعة الأخرى، وإبراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها ببعض في السماء بغير رؤوس ثم أقبلن سعياً إلى رؤوسهن كلما جاء طائر مال برأسه فإن كان رأسه دنا منه وإن لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى: ﴿ثم ادعهن يأتينك سعياً﴾ وقيل: المراد بالسعي الإسراع والعدو وقيل المشي، والحكمة في سعي الطيور إليه دون الطيران، لأن ذلك أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيور أو أن أرجلها غير سليمة، فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله: ﴿يأتينك سعياً﴾ وقيل: المراد بالسعي المشي والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف لأنه لا يقال: للطائر إذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة ﴿واعلم أن الله عزيز﴾ يعني أنه تعالى غالب على جميع الأشياء لا يعجزه شيء ﴿حكيم﴾ يعني في جميع أموره. قوله عز وجل: .

لجماعة النحل: صُور، من فسّره بالإمالة والضم قال: فيه إضمار معناه: فصرهنّ إليك ثم قطّعهنّ، فحذفه اكتفاءً بقوله: ثم اجعل على كل جبل منهنّ جُزءاً لأنه يدلّ عليه، وقال أبو عبيدة: فصرهنّ معناه قطّعهنّ أيضاً، والصور: القطع، قوله تعالى: ﴿ ثم اجعلْ على كل جبل منهنّ جُزءاً ﴾، قرأ عاصم برواية أبي بكر ﴿ جزءاً ﴾ مثقلاً مهموزاً، والآخرون بالتخفيف والهمزة، وقرأ أبو جعفر مشدّداً الزاي بلا همز، وأراد بعض الجبال، قال المفسّرون: أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور، وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض، ففعل ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال، فقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء، ويجعلها على أربعة أجبل، على كل جبل رُبعاً من كل طائر، وقيل: جبل على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب، وقال ابن جريج والسدي: جزّأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤوسهنّ، ثم دعاهنّ فقال: تعالين بإذن الله، فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يصير إلى العظم الآخر وكل بضعة تصير إلى الأخرى، وإبراهيم ينظر حتى لقيت كل جثّة بعضها بعضاً في الهواء بغير رأس، ثم أقبلن إلى رؤوسهنّ سعياً فكلما جاء طائر مال برأسه، فإن كان رأسه دنا منه، وإن لم يكن تأخر حتى التقى كل طائر برأسه. فذلك قوله تعالى: ﴿ ثم ادعهنّ يأتينك سعياً ﴾، قيل: المراد بالسعي الإسراع والعدو، وقيل: المراد به المشي دون الطير، كما قال الله تعالى: ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ [الجمعة: ٩] أي: فامضوا، والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشُّبْهَةِ لأنها لو طارت لتوهّم متوهّم أنها غير تلك الطير، وإن أرجلها غير سليمة والله أعلم، وقيل: السعي بمعنى: الطيران، ﴿ واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ قيل أراد به الإنفاق في الجهاد وقيل هو الإنفاق في جميع أبواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع، وفيه إضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴿كمثل حبة﴾ أي كمثل زارع حبة ﴿أنبتت﴾ يعني أخرجت تلك الحبة ﴿سبع سنابل﴾ جمع سنبلة ﴿في كل سنبلة مائة حبة﴾. فإن قلت فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها. قلت: ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلاً فضرب المثل به جائز وإن لم يوجد والمعنى في كل سنبلة مائة حبة إن جعل الله ذلك فيها، وقيل هو موجود في الدخن، وقيل: إن المقصود من الآية أنه إذا علم الإنسان الطالب للزيادة والربح أنه إذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك، ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الأجر عند الله في الآخرة أن لا يترك الإنفاق في سبيل الله، إذا علم أنه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ يعني أنه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما يشاء من الأضعاف مما لا يعلمه إلاّ الله ﴿والله واسع﴾ أي غني يعطي عن سعة، وقيل واسع القدرة على المحازاة وعلى الجود والإفضال ﴿عليم﴾ يعني بنية من ينفق في سبيله، وقيل عليم بمقادير الإنفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه. قوله عز وجل: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ قيل: نزلت في عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف، أما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبدالرحمن بن سمر «وجاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي ﷺ فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فأنزل الله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ وأما عبدالرحمن فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله ﷺ وقال: كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي ولعيالي أربعة آلاف وأربعة آلاف أخرجتها لربي عز وجل فقال رسول الله ﷺ بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت»، والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالإنفاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى﴾ أي لا يتبع نفقته التي أنفقها عليهم بالمن والأذى وهو أن يمن عليه بعطائه

قوله تعالى: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾، فيه إضمار تقديره: مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم، ﴿ كمثلِ ﴾، زارع ﴿ حبةٍ ﴾، وأراد بسبيل الله: الجهاد، وقيل: جميع أبواب الخير، ﴿ أنبتتْ ﴾: أخرجت، ﴿ سبعَ سنابل ﴾، جمع: سُنبلة، ﴿ في كل سُنبلة مائة حبّة ﴾، فإن قيل: فما رأينا سنبلة فيها مائة حبّة فكيف ضرب المثل به؟ قيل: ذلك متصوّر غير مستحيل وما لا يكون مستحيلاً جاز ضرب المثل به، وإن لم يوجد معناه في كل سنبلة مائة حبّة، إن جعل الله فيها، وقيل: هو موجود في الدخن، وقيل: معناه أنها إن بُذرتْ أنبتت مائة حبة، فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضاعفاً إليها، وكذلك تأوّله الضحّاك فقال: كل سُنبلة أنبتت مائة حبة. ﴿ والله يضاعف لمَن يشاء ﴾، قيل: معناه يضاعف هذه المضاعفة لمَن يشاء، وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمَن يشاء ما بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف مما لا يعلمه إلاّ الله، ﴿ والله واسع ﴾، غنيّ يُعطي عن سَعَة، ﴿ عليم ﴾ بنيّة مَن ينفق ماله.

قوله تعالى: ﴿ الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله ﴾، قال الكلبي: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفّان

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فيقول: قد أعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والأذى هو أن يعيره فيقول: كم تسأل وأنت فقير أبداً وقد بليت بك وأراحني الله منك وأمثال ذلك. والمن في اللغة الإنعام، والمنة النعمة الثقيلة يقال: من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول: أيضاً ومنه قول الشاعر:

فمنـــي علينـــا بـــالسـلام فـــإنمـــا كـــلامـــك يـــاقـــوت ودر منظـــم

ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس، مثل أن يمن على الإنسان بما أعطاه، قال عبدالرحمن بن يزيد كان أبي يقول إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أن سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على إظهارها والمن بها قال قائلهم في المدح بترك المن:

زاد معـــروفـــك عنـــدي عظمـــاً أنـــه عنـــدك مستـــور حقيـــر
تتنـــاســـاه كـــأن لـــم تـــأتـــه وهـــو فـــي العـــالـــم مشهـــور كبيـــر

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء:

أتيـــت قليـــلاً ثـــم أســـرعـــت منـــة فنيلـــك ممنـــون لـــذاك قليـــل

وأما الأذى فهو ما يصل إلى الإنسان من ضرر بقول أو فعل. إذا عرفت هذا فنقول المن هو إظهار المعروف إلى الناس، والمن عليهم به والأذى هو أن يشكو منهم بسبب ما أعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والأذى فيه وذم فاعله. فإن قلت: قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما لفرق. قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله إفضال على عباده وإحسانه إليهم فجميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما. وقوله تعالى: ﴿**لهم أجرهم**﴾ يعني ثوابهم ﴿**عند ربهم**﴾ يعني في الآخرة ﴿**ولا خوف عليهم**﴾ يعني يوم القيامة ﴿**ولا هم يحزنون**﴾ يعني على ما خلفوا من الدنيا.

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ

وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما، جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقةً إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم وأربعة آلاف أقرضتها ربّي، فقال له رسول الله ﷺ: «بارك الله فيما أمسكتَ لك، وفيما أعطيتَ»، وأما عثمان فجهّز جيش المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت فيهما هذه الآية، وقال عبد الرحمن بن سَمُرة: جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العُسرة فصبّها في حجر رسول الله ﷺ فرأيت النبيّ ﷺ يدخل فيها يده ويقلّبها ويقول: «ما ضرّ ابن عفّان ما عمل بعد اليوم»، فأنزل الله تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله: في طاعة الله، ﴿ **ثم لا يُتبعون ما أنفقوا مَنّاً** ﴾ وهو أن يمنّ عليه بعطائه، فيقول: أعطيتك كذا، ويَعُدّ نِعَمَه عليه فيكدّرها عليه ﴿ **ولا أذى** ﴾، هو أن يُعيّره فيقول: إلى كم تسأل وكم تؤذيني؟ وقيل: من الأذى: وهو أن يذكر إنفاقه عليه عند مَن لا يحبّ وُقوفه عليه، وقال سفيان: مَنّاً ولا أذى، هو: أن يقول قد أعطيتك فما شكرت. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان أبي يقول: إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أنّ سلامك يثقل عليك فكُفّ سلامك عنه، فحظّر الله على عباده المَنّ بالصنيعة، واختصّ به صفةً لنفسه، لأنه من العباد تعيير وتكدير، ومن الله إفضال وتذكير، ﴿ **لهم أجرهم** ﴾، أي: ثوابهم، ﴿ **عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

﴿قول معروف﴾ أي كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل: عدة حسنة توعده بها، وقيل: دعاء صالح تدعو له بظهر الغيب ﴿ومغفرة﴾ أي تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو أن يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه حالة رده ﴿خير من صدقة﴾ يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي تدفعها إلى الفقير ﴿يتبعها أذى﴾ وهو أن يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقول أو يؤذيه بفعل ﴿والله غني﴾ أي مستغن عن صدقة العباد والغنى الكامل الغني الذي لا يحتاج إلى أحد وليس كذلك إلاّ الله تعالى ﴿حليم﴾ يعني أنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذي بصدقته. قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم﴾ يعني أجور صدقاتكم ﴿بالمن والأذى﴾ يعني على السائل الفقير، وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والأذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلاً فقال تعالى ﴿كالذي﴾ أي كإبطال الذي ﴿ينفق ماله رئاء الناس﴾ أي مراءاة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا: إنه سخي كريم ﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ يعني أن الرياء

﴿ قول معروف ﴾، أي: كلامٌ حسن وردٌّ على السائل جميل، وقيل: عدّة حسنة، وقال الكلبي: دعاء صالح يدعو لأخيه بظهر الغيب، وقال الضحّاك: نزلت في إصلاح ذات البين، ﴿ ومغفرة ﴾، أي: تستر عليه خِلّته ولا تهتك عليه سِتْرَه، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظالمه، وقيل: يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند ردّه، ﴿ خير من صدقة ﴾ يدفعها إليه، ﴿ يتبعها أذى ﴾، أي: منّ وتعيير للسائل أو قول يؤذيه، ﴿ والله غني ﴾، أي مُستغنٍ عن صدقة العباد، ﴿ حليم ﴾ لا يُعجّل بالعقوبة على مَن يَمنُّ ويُؤذي بالصدقة.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم ﴾، أي: أُجور صدقاتكم، ﴿ بالمَنِّ ﴾، على السائل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمنّ على الله تعالى، ﴿ والأذى ﴾، لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلاً فقال: ﴿ كالذي يُنفق ماله ﴾، أي: كإبطال الذي ينفق ماله ﴿ رِئاءَ الناس ﴾، أي: مراآةً وسُمعةً ليروا نفقته ويقولوا: إنه كريم سخي، ﴿ ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾، يريد أن الرياءِ يُبطل الصدقة، ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين، وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مرائي، ﴿ فمثله ﴾، أي: مثل هذا المرائي، ﴿ كمثل صفوان ﴾، وهو الحجر الأملس، وهو واحد وجمع، فمَن جعله جمعاً فواحده صفوانة، ومَن جعله واحداً فجمعه صفيّ، ﴿ عليه ﴾، أي على الصفوان، ﴿ تراب فأصابه وابل ﴾، وهو المطر الشديد العظيم القطر، ﴿ فتركه صلداً ﴾، أي: أملس، والصلد: الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه، فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمنّ بصدقته ويؤذي، ويُري الناسَ في الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يُري الترابُ على هذا الصفوَان، فإذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحلّ لأنه لم يكن لله، كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلداً ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا ﴾، أي: على ثواب شيء مما كسبوا وعملوا في الدنيا، ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشمهيني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر، أخبرنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطّلب عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد أن النبيّ ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء، يقول الله لهم يوم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مراء به ﴿فمثله﴾ أي مثل هذا المرائي بصدقته وسائر أعماله ﴿كمثل صفوان﴾ هو الحجر الأملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعاً قال واحده صفوانه ومن جعله واحداً قال جمعه صفي ﴿عليه تراب﴾ أي على ذلك الصفوان تراب ﴿فأصابه وابل﴾ يعني المطر الشديد العظيم القطر ﴿فتركه صلداً﴾ يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلداً أملس لا شيء عليه من ذلك التراب، فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن المنان بصدقته يؤذي الناس يرى الناس أن لهؤلاء أعمالاً في الظاهر، كما يرى التراب على الصفوان فإذا جاء المطر أذهبه وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة، تبطل أعمالهم وتضمحل لأنها لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب ﴿لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ أي لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ يعني الذين سبق في علمه أنهم يموتون على الكفر. روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال: الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء» (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». قوله عز وجل:

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ

يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء». أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي. أخبرنا عبد الله بن محمد بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن حيوة بن شريح أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني، أن عقبة بن مسلم حدّثه أن أبا سفيان الأصبحي حدّثه، أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: مَن هذا؟ قالوا: أبو هريرة، فدنوتُ منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدّث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أنشدك الله بحقي لَمَا حدّثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول مَن يدعونه رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قُتل في سبيل الله، ورجلٌ كثيرُ المال، فيقول الله للقارىء: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ فقال: بلى يا ربّ، فماذا عملت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يُقال فلان قارىء فقد قيل ذلك، ويُؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أُوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدّق فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يُقال فلان جواد فقد قيل ذلك، ويُؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقول الله له: فبماذا قُتلت؟ فيقول: يا ربّ أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلتُ حتى قُتلت، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يُقال فلان جريء فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلقٍ تُسعّر بهم النار يوم القيامة».

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

﴿**ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله**﴾ أي طلب رضا الله ﴿**وتثبيتاً من أنفسهم**﴾ يعني على الإنفاق في طاعة الله تعالى وتصديقاً بثوابه، وقيل: معناه إن أنفسهم موقنة مصدقة بوعد الله إياها فيما أنفقت وقيل: إحساناً وقيل تصديقاً والمعنى أنهم يخرجون زكاة أموالهم، وينفقون أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة أنفسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون أن ما أنفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين بإخلاف الله عليهم وقيل: معناه أنهم يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت فإن كانت لله خالصة أمضاها، وإن خالطه شك أو رياء أمسك ﴿**كمثل جنة**﴾ أي بستان قال الفراء إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس ﴿**بربوة**﴾ هي المكان المرتفع عن الأرض المستوي لأن ما ارتفع من الأرض عن مسيل الماء والأودية كان ثمرها أحسن وأزكى إذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل: هي الأرض المستوية الجيدة الطيبة إذا أصابها المطر انتفخت وربت فإذا كانت الأرض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت أشجارها ﴿**أصابها وابل**﴾ وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم:

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها وابل هطل

أراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الأرض ﴿**فآتت أكلها ضعفين**﴾ أي فأعطت ثمرتها مثلين قيل إنها حملت في سنة من الريع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل أضعفت فحملت في السنة مرتين ﴿**فإن لم يصبها وابل فطل**﴾ أي طش وهو المطر الخفيف الضعيف، والمعنى إن لم يكن أصابها وابل وأصابها طل فتلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فإنها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى: لعمل المؤمن المخلص

قوله تعالى: ﴿ **ومثلُ الذينَ ينفقُون أموالَهمُ ابتغاءَ مَرضاتِ الله** ﴾، أي: طلب رضا الله تعالى، ﴿ **وتثبيتاً من أنفسهم** ﴾، قال قتادة: احتساباً، وقال الشعبي والكلبي تصديقاً من أنفسهم، أي يُخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالثواب، وتصديق بوعد الله، ويعلمون أنّ ما أخرجوا خيرٌ لهم مما تركوا، وقيل: على يقين بأخلاف الله عليهم وقال عطاء ومجاهد: يثبتون، أي: يضعون أموالهم، قال الحسن: كان الرجل إذا همّ بصدقة يثبت، فإن كان لله أمضى، وإن كان يخالطه شك أمسك، وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبّت، كقوله تعالى: ﴿ وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ [المزّمّل: ٨] أي: تبتلاً. ﴿ **كمثل جنّة** ﴾، أي بستان، قال المبرّد والفرّاء: إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس، ﴿ **بربوة** ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ﴿ بربوة ﴾ و﴿ إلى ربوة ﴾ [المؤمنون: ٥٠] بفتح الراء، وقرأ الآخرون بضمّها، وهي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء، وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى، ﴿ **أصابها وابل** ﴾ مطر شديد كثير، ﴿ **فآتت أُكلها** ﴾، ثمرها قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتثقيل، وزاد نافع وابن كثير تخفيف «أكله» و«الأكل» وخفّف أبو عمرو «رسلنا، ورسلكم، ورسلهم، وسبلنا» ﴿ **ضعفين** ﴾، أي: أضعفت في الحمل، قال عطاء: حملتْ في سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين، وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين، ﴿ **فإن لم يُصبْها وابلٌ فطل** ﴾، أي: فطشٌ وهو المطر الضعيف الخفيف، ويكون دائماً، قال السدي: هو الندى، وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص، فيقول: كما أن هذه الجنة تُربع في كل حال ولا تُخلف سواء قلَّ المطرُ أو كثُر، كذلك يُضعِّف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا يَمنّ ولا يُؤذي سواء قلّت نفقته أو

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

في إنفاقه وسائر أعماله، يقول الله تعالى كما أن هذه الجنة تريع وتزكو في كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلاً أو كثيراً فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص في صدقته وإنفاقه الذي لا يمن ولا يؤذي سواه قلت نفقته أو كثرت ﴿والله بما تعملون بصير﴾ يعني أن الله تعالى لا تخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يؤذي والذي يمن بصدقته ويؤذي قوله عز وجل: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾ هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى. لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى أيود يعني أيحب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من **نخيل** وأعناب إنما خصهما بالذكر لأنهما أشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ يعني أن جري الأنهار فيها من تمام حسنها، وسبب لزيادة ثمرها ﴿له فيها من كل الثمرات﴾ لأن ذلك من تمام كمال البستان وحسنه ﴿وأصابه الكبر﴾ يعني صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذٍ يكون في غاية الاحتياج إلى تلك الجنة فإن قلت: كيف عطف وأصابه الكبر على أيود، وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون له جنة حال ما أصابه الكبر والوجه الثاني أنه عطف على المعنى، فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر ﴿وله ذرية ضعفاء﴾ يعني له أولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر ﴿فأصابها﴾ يعني أصاب تلك الجنة ﴿إعصار فيه نار فاحترقت﴾ الإعصار ريح ترتفع إلى السماء وتستدير كأنها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته إعصار فيه نار فأحرقها وهو أحوج ما يكون إليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى لكبره وضعفه وضعف أولاده فهو لا يجد ما يعود به على أولاده، وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعاً متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم، فكذلك حال من أتى يوم القيامة بأعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى، فيبطلها الله تعالى، وهو في غاية الحاجة إليها حين لا مستعتب له ولا توبة. وقال عبيد بن عمير: قال عمر يوماً لأصحاب رسول الله ﷺ فيمن ترون نزلت هذه الآية ﴿أيود أحدكم﴾ قالوا: الله أعلم فغضب عمر وقل قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخي ولا تحقرن نفسك فقال ضرب الله

كثُرت، وذلك أن الطلّ إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد، ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾.

﴿ أيودّ أحدُكم أن تكونَ له جنةٌ من نخيلٍ وأعنابٍ تجري من تحتها الأنهار ﴾، هذه الآية متّصلة بقوله تعالى: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى أيودّ ﴾ يعني: أيُحبّ أحدكم أن تكون له جنة؟ أي: بستان، من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار؟ ﴿ له فيها من كلّ الثمرات، وأصابه الكِبَر وله ذريّة ضعفاء ﴾، أولاد صغار ضِعاف عَجَزة، ﴿ فأصابها إعصارٍ ﴾، وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود وجمعه أعاصير، ﴿ فيه نار فاحترقت ﴾ هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي، يقول: عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضِعاف وأصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت، فصار أحوج ما يكون إليها وضعُف عن إصلاحها الكِبَر وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم، ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه، فبقوا جميعاً متحيّرين عجزة لا حيلة بأيديهم، كذلك يُبطل الله عمل هذا المنافق والمُرائي حين لا مغيث لهما ولا توبة ولا إقالة، قال عبيد بن عمير قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿ أيودّ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ﴾؟ قالوا: الله أعلم فغضب عمر رضي الله عنه، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه: ابن أخي قلْ ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس رضي الله عنهما:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مثلاً لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ يعني كما بين الله تعالى لكم أمر النفقة المقبولة، وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك ﴿لعلكم تتفكرون﴾ أي فتتعظوا وقال ابن عباس: لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا وإقبال الآخرة. قوله عز وجل: .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿٢٦٧﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ أي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل: من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على إباحة الكسب وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث. عن خولة الأنصارية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا المال خضر حلو من أصابه بحق بورك له فيه، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلّا النار» أخرجه الترمذي. المتخوض الذي يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الإنسان في الماء يميناً وشمالاً (خ) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام» (خ) عن المقدام أن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم» أخرجه الترمذي والنسائي. واختلفوا في المراد بقوله تعالى: ﴿انفقوا﴾ فقيل: المراد به الزكاة المفروضة لأن الأمر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية إليها وقيل: المراد به صدقة التطوع وقيل: إنه يتناول الفرض والنفل جميعاً لأن المفهوم من هذا الأمر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت هذا الأمر فعلى القول الأول أن المراد من هذا الإنفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل:

ضُربتْ مثلاً لعمل، فقال عمر رضي الله عنه: أيّ عمل؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمل منافقٍ ومُراءٍ، قال عمر رضي الله عنه: لأي رجل؟ قال: لرجل غنيّ يعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله، ﴿ كذلك يبيّن الله لكم الآياتِ لعلّكم تتفكّرون ﴾.

﴿ يا أيّها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ﴾: من خيار، قال ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد: من حلالات ماكسبتم ﴾، بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على إباحة الكسب، وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر الزياتي، أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يعلى بن عبيد، أخبرنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي، أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرنا أبو معاوية بن صالح عن بحير بن سعيد، عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب، أنه حدّثه عن النبي ﷺ أنه قال: ما أكل أحدٌ طعاماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وكان داود لا يأكل إلّا من عمل يده»، أخبرنا أبو القاسم يحيىٰ بن علي بن محمد الكشمهيني، أخبرنا نجاح بن يزيد المحاربي بالكوفة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم أخبرنا يحيىٰ بن عبيد، أخبرنا أبّان بن إسحق عن الصباح بن محمد بن مرّة الهمذاني، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يكتسب عبد مالاً حراماً فيتصدّق منه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

المسألة الأولى: ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الإنسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة، لأن ذلك يوصف بأنه مكتسب وذهب جمهور العلماء إلى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري: لا تجب الزكاة بحكم التجارة في العروض إلاّ أن ينوي به التجارة في حال تملكه، ودليل الجمهور ما روي عن سمرة بن جندب قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بإخراج الصدقة من الذي يعد للبيع» أخرجه أبو داود وعن أبي عمرو بن خماس أن أباه قال: مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي أدمة أحملها فقال عمر ألا تؤدي زكاتك يا خماس فقلت مالي غير هذا واهب في القرظ قال: ذاك مال فضع فوضعها فحسبها فأخذ منها الزكاة فإذا حال الحول على عروض التجارة قوم فإن بلغ قيمته عشرين ديناراً أو مائتي درهم أخرج منه ربع العشر.

المسألة الثانية: في قوله تعالى: ﴿**ومما أخرجنا لكم من الأرض**﴾ ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل ما خرج من الأرض من النبات مما يزرع الآدميون، لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فأوجبوا الزكاة في النخيل، والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة الزكاة في كل ما يقصد من نبات الأرض، كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك، دليل الجمهور ما روي عن معاذ: «أنه كتب إلى النبي ﷺ يسأله عن الخضراوات وهي البقول فقال: ليس فيها شيء» أخرجه الترمذي. وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء وإنما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي ﷺ، مرسلاً والعمل على هذا عند أهل العلم أنه ليس في الخضراوات صدقة. قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية الحراني في أحكامه عن عطاء بن السائب قال: «أراد عبدالله بن المغيرة أن يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له: موسى بن طلحة: ليس ذلك

فيقبل الله منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلاّ كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيىء بالسيىء، ولكن يمحو السيىء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث». والزكاة واجبة في مال التجارة عند أكثر أهل العلم، فبعد الحول يقوِّم العَروض فيُخرج من قيمتها رُبع العُشر إذا كان قيمتها عشرون ديناراً أو مائتي درهم، قاله سَمُرَة بن جندب: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نُخرِج الصدقة من الذي نعدّه للبيع، وعن أبي عمرو بن حِماس أن أباه قال: مررتُ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عُنقي أدمة أحملها، فقال عمر: ألا تؤدّي زكاتك يا حِماس؟ فقلت: ما لي غير هذا، وأهب في القرظ، فقال: ذاك مال فضع فوضعتها فحسبها فأخذ منها الزكاة. قوله تعالى: ﴿ ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾، قيل: هذا أمرٌ بإخراج العُشور من الثمار والحبوب، واتفق أهل العلم على إيجاب العشر في النخيل والكروم، وفيما يُقتات من الحبوب إن كان مسقياً بماء السماء أو من نهر يجري الماء إليه من غير مؤنة وإن كان مَسْقياً بساقية أو بنضح ففيه نصف العُشر. أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني يونس بن زيد عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً: العُشر، وفيما سيق بالنضح نصف العشر»، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الله بن نافع، عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب عن عثمان بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال في زكاة الكرم: «يُخرص كما يُخرص النخل ثم تُؤدّى زكاتُه زبيباً كما يؤدّي زكاة النخل ثمراً»، واختلف أهل العلم فيما سوى النخل والكروم، وفيما سوى ما يُقتات به من الحبوب، فذهب قوم إلى أنه لا عشر في شيء منها، وهو قول ابن أبي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لك إن رسول الله ﷺ كان يقول: ليس في ذلك صدقة» رواه الأثرم في سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال الزهري والأوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون، وتجب في الثمار عند بدو الصلاح وهو أن يحمر البسر ويصفر ووقت الإخراج بعد الاجتناء والجفاف، وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الإخراج بعد الدراس والتصفية.

المسألة الثالثة: يجب إخراج العشر فيما سقي بالمطر والأنهار والعيون ونصف العشر فيما سقي بنضح أو سانية، ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً العشر وما سقي بالنضح نصف العشر» أخرجه البخاري. ولأبي داود والنسائي قال: «فيما سقت السماء والأنهار والعيون أو كان بعلاً العشر وما سقي بالسواني والنضح نصف العشر» قال أبو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه وقال وكيع: هو الذي ينبت من ماء السماء قوله: أو كان عثرياً أراد به القوي من الزرع وهو البعل وقد فسره في لفظ الحديث والنضح هو الاستقاء وكذلك السانية وهي الدابة التي يسقي عليها سواء كانت من الإبل أو البقر، ولا يجب العشر في السماء والزروع حتى تبلغ خمسة أو سق والوسق ستون صاعاً، وقال أبو حنيفة: يجب العشر في كل قليل أو كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور في إيجاب النصاب بما روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمسة أواق صدقة، وليس فيما دون خمسة ذود صدقة» وفي رواية «ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر أو حب صدقة» أخرجاه في الصحيحين، ومن قال: إن المراد بقوله تعالى: ﴿**أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض**﴾ صدقة التطوع احتج بما روي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلّا كان له به صدقة» أخرجاه في الصحيحين. وقوله تعالى: ﴿**ولا تيمموا الخبيث**﴾ أي ولا تقصدوا الخبيث يعني

ليلى والشافعي رضي الله عنه، وقال الزهري والأوزاعي ومالك رضي الله عنهم: يجب في الزيتون، وقال أبو حنيفة جميع البقول والخضراوات كالثمار إلّا الحشيش والحطب، وكل ثمرة أوجبنا فيها الزكاة فإنما يجب ببدو الصلاح ووقت الإخراج بعد الاجتناء والجفاف، وكل حبّ أو جبن فيه العشر، فوقت وجوبه اشتداد الحبّ، ووقت الإخراج بعد الدياسة والتنقية، ولا يجب العُشر في شيء منها حتى تبلغ خمسة أوْسُق عند أكثر أهل العلم، وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب في كل قليل وكثير منها، واحتجّ مَنْ شرط النصاب بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني، عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس فيما دون خمسة أوْسُق من التمر صدقة، وليس فيما دون خمسة أواق من الوَرِق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة»، وروى يحيى بن عبادة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس في حبّ ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق»، وقال قوم: الآية في صدقات التطوّع، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الزياتي، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يحيىٰ أخبرنا أبو عوانة، عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مُؤمن يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلّا كان له صدقة». قوله تعالى: ﴿ **ولا تَيَمَّمُوا** ﴾، قرأ ابن عامر برواية البزّي بتشديد التاء في الوصل فيها وفي أخواتها، وهي إحدى وثلاثون موضعاً في القرآن، لأنه في الأصل تاءان أسقطت إحداهما، فردّ هو الساقطة وأدغم، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ومعناه: لا تقصدوا، ﴿ **الخبيثَ منه تُنفقون** ﴾، رُوِيَ عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كانت الأنصار تخرج إذا كان جذاذ النخل أقناء من التمر والبُسْر فيعلقونه على حبل بين

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الرديء من أموالكم ﴿منه تنفقون﴾ أي من الخبيث. عن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته، وقلته: وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصا، فسقط البسر أو التمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير، يأتي بالقنوفية الشيص والحشف، وبالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلّا أن تغمضوا فيه﴾ قال: لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلّا على إغماض وحياء قال: فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذي. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم، ويعزلون الجيد لأنفسهم فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ يعني الرديء منه تنفقون يعني تتصدقون ﴿ولستم بآخذيه﴾ يعني ذلك الشيء الخبيث الرديء ﴿إلّا أن تغمضوا فيه﴾ الإغماض في اللغة غض البصر، وإطباق الجفن والمراد به هنا التجويز والمساهلة، وذلك أن الإنسان إذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس: معناه لو أن لأحدكم على رجل حقاً فجاءه بهذا لم يأخذه إلّا وهو يرى أنه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء: هو لو أهدى ذلك ما أخذتموه إلّا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون إلى ما لا ترضون لأنفسكم إذا كان المال كله جيداً فليس له إعطاء الرديء لأن أهل السهمان شركاء له فيما عنده، وإن كان كله رديئاً فلا بأس بإعطاء الرديء ﴿واعلموا أن الله غني﴾ يعني عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج إليها ﴿حميد﴾ أي محمود في أفعاله، وقيل: حميد بمعنى حامد أي أجركم على ما تفعلونه من الخير. قوله عز وجل: .

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ أي يخوفكم الفقر يقال: وعدته خيراً ووعدته شراً وإذا لم يذكر الخير والشر يقال:

الأسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فيأكل منه فقراء المهاجرين، فكان الرجل منهم يعلم فيدخل قِنْوَ الحَشَفِ وهو يظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الأقناء، فنزل فيمن فعل ذلك، ولا تيمموا الخبيث، أي: الحَشَفَ والرديء، وقال الحسن ومجاهد والضحّاك: كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورزالة أموالهم ويعملون الجيدَ ناحيةً لأنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ ولا تيمموا الخبيث ﴾ الرديء منه تنفقون، ﴿ ولستم بآخذيه ﴾، يعني: الخبيث، ﴿ إلّا أن تُغمضوا فيه ﴾، الإغماض: غضّ البصر، وأراد ههنا: التجويز والمساهلة، معناه: لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه إلّا وهو يرى أنه قد أغمض له عن حقه وتركه، قال الحسن وقتادة: لو وجدتموه يُباع في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد. ورُوِيَ عن البراء قال: لو أهدي ذلك لكم ما أخذتموه إلّا على استحياء من صاحبه وغيظ، فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم، هذا إذا كان المال كله جيداً فليس له إعطاء الرديء، لأن أهل السهمان شركاؤه فيما عنده، فإن كان كل ماله رديئاً فلا بأس بإعطاء الرديء، ﴿ واعلموا أن الله غني ﴾ عن صدقاتكم، ﴿ حميد ﴾، محمود في أفعاله.

﴿ الشيطانُ يعِدُكُمُ الفقرَ ﴾، أي: يُخوفكم بالفقر، ويُقال: وعدته خيراً ووعدته شرّاً، قال الله تعالى في

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

في الخير وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء الحال، وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت افتقرت ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ يعني يوسوس لكم ويحسن لكم، البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا إلّا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهي أن الشيطان يخوف الرجل أولاً بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء، وهي البخل وذلك لأن البخيل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلّا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر، فلهذا قال تعالى: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه**﴾ يعني مغفرة لذنوبكم وستراً لكم ﴿**وفضلاً**﴾ يعني رزقاً وخلفاً. فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة والفضل إشارة إلى منافع الدنيا، وما يحصل من الرزق والخلف. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء**﴾ أخرجه الترمذي. وقال هذا حديث حسن غريب قوله: إن للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الإلمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل خير أو شر والعزم فأما لمة الشيطان فوسوسة وأما لمة الملك فإلهام من الله تعالى ﴿**والله واسع**﴾ أي غني قادر على إغنائكم وإخلاف ما تنفقونه ﴿**عليم**﴾ يعني بما تنفقونه لا تخفى عليه خافية (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم يصبح فيه العباد إلّا وملكان ينزلان يقول: أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى أنفق ينفق عليك» وفي رواية «يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده» وفي رواية «فإنه لم يغض ما في يمينه، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع» وفي رواية وبيده الأخرى الفيض القبض يرفع ويخفض (ق) عن أسماء بنت بكر الصديق قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «أنفقي ولا تحصي فيحصى عليك ولا توعي فيوعى عليك» قوله: ولا توعي أي لا تشحي فيشح الله عليك فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك، والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل أنفقي ولا تعدي ولا تشحي. قوله عز وجل: ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء**﴾ قال ابن عباس: هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه

الخير: ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة ﴾ [الفتح: ٢٠] وقال في الشرّ: ﴿ النار وعدها الله الذين كفروا ﴾ [الحج: ٧٢]، فإذا لم يذكر الخير والشرّ قلت في الخير: وعدته وفي الشر أوعدته، والفقر سوءُ الحال وقلّة ذات اليد، وأصله من كسر الفِقَار، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل: أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدّقت به افتقرت، ﴿ **ويأمُركم بالفحشاء** ﴾، أي: بالبخل ومنع الزكاة، وقال الكلبي: كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلّا هذا، ﴿ **واللّهُ يَعِدُكم مغفرةً منه وفَضْلاً** ﴾، أي: لذنوبكم. ﴿ **والله واسع** ﴾، غني ﴿ **عليم** ﴾ أخبرنا حسّان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أخبرنا محمد بن الحسين القطّان، أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبد الرزّاق، أخبرنا معمر عن هشام، عن همّام بن منبّه قال: حدّثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: ابن آدم أنفقْ أُنفقْ عليك»، وقال: قال رسول الله ﷺ: «يمينُ اللّهِ ملأى لا تُغيضها نفقةٌ سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السمواتِ والأرض، فإنه لم يُغضْ ما في يمينه، قال: وعرشُه على الماء وبيده الأخرى القسط، يرفع ويخفض»، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن سعيد، أخبرنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه وإنما قال: ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن: مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلمونهن ولا يكونوا كأهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء، وانتهبوا الأموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيما نزل لم يختلف في شيء منه، وقيل: هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الإصابة في القول والفعل. وحاصل هذه الأقوال إلى شيئين: العلم والإصابة فيه، ومعرفة الأشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها قال الشاعر:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم

أي امنعوا سفهاءكم، وقال السدي: الحكمة النبوة لأن النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لأن الورع يمنع صاحبه من أن يقع في الحرام، أو ما لا يجوز له فعله ﴿ومن يؤت الحكمة﴾ يعني ومن يؤته الله الحكمة ﴿فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ تنكير تعظيم معناه فقد أوتي أي خير كثير. ﴿وما يذكر إلّا أولو الألباب﴾ أي وما يتعظ بما وعظه الله إلّا ذوو العقول الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه. قوله عز وجل:.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ يعني فيما فرضه الله عليكم من إعطاء زكاة وغيرها ﴿أو نذرتم من نذر﴾ يعني به ما

عبد الله بن نمير، أخبرنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها: «أنفقي ولا تحصي، فيُحصي اللَّهُ عليك، ولا تُوعِي فيُوعِي اللَّهُ عليك».

قوله تعالى: ﴿ يُؤتي الحكمةَ مَن يشاء ﴾، قال السدي: هي النبوّة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: عِلمُ القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدّمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وقال: في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهنّ حتى يتعلموهنّ، ولا يكونوا كأهل نهروان تأوّلوا آيات من القرآن في أهل القِبلة، وإنما أنزلت في أهل الكتاب، جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال، وشهدوا علينا بالضلالة، فعليكم بعلم القرآن فإنه مَن عَلم فيمَ أُنزل لم يختلف في شيء منه، وقال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه، وروى ابن أبي نجيح عنه: الإصابة في القول والفعل، وقال إبراهيم النخعي: معرفة معاني الأشياء وفهمها، ﴿ ومَن يُؤت الحكمة ﴾ ﴿ مَنْ ﴾ في محل الرفع على ما لم يُسمَّ فاعله، و﴿ الحكمة ﴾ خبره، وقرأ يعقوب يؤتي الحكمة بكسر التاء أي: مَن يؤته الله الحكمة، دليله قراءة الأعمش « ومَن يؤته الله » حُكي عن الحسن ﴿ ومَن يؤتِ الحكمة ﴾ قال: الورع في دين الله، ﴿ فقد أُوتي خيراً كثيراً ﴾، قال الحسن: مَن أُعطي القرآن فكأنّما أُدرجتِ النبوّة بين جنبيه إلّا أنه لم يُوحَ إليه. ﴿ وما يذّكّر ﴾: يتّعظ، ﴿ إلّا أولوا الألباب ﴾: ذوو العقول.

قوله تعالى: ﴿ وما أنفقتم من نفقة ﴾: فيما فرض الله عليكم، ﴿ أو نذرتم من نذر ﴾، أي: ما أوجبتموه أنتم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أوجبتموه على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر أن يوجب الإنسان على نفسه شيئاً ليس بواجب يقال نذرت لله نذراً وأصله من الخوف لأن الإنسان إنما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير في الأمر المهم، والنذر في الشرع على ضربين مفسر، وغير مفسر. فالمفسر أن يقول لله على صوم أو حج أو عتق أو صدقة فيلزمه الوفاء به، ولا يجزيه غيره وغير المفسر وهو أن يقول: نذرت لله لا أفعل كذا ثم يفعله أو يقول لله على نذر من غير تسمية شيء فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر نذراً لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً فأطاقه فليف به» أخرجه أبو داود عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم» أخرجه النسائي (ق) عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ نهى عن النذر وقال إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل» (م) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره، ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج» قال بعض العلماء: يحتمل أن يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزماً مالاً فيأتي به تكلفاً من غير نشاط أو يكون سببه كونه يأتي به على سبيل المعارضة عن الأمر الذي طلبه فينقص أجره، وشأن العبادة أن تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل أن يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة أن النظر يرد القدر أو يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفاً من اعتقاد ذلك، وسياق الحديث يؤكد هذا، وقوله: في بعض روايات الحديث إنه لا يأتي بخير معناه أنه لا يرد شيئاً من القدر. وقوله: فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج معناه أنه لا يأتي بهذه القربة تطوعاً محضاً مبتدأ وإنما يأتي بها في مقابلة شيء يريده كقوله إن شفى الله مريضي فللّه على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿فإن الله يعلمه﴾ أي يعلم ما أنفقتم ونذرتم فيجازيكم به وإنما قال: يعلمه ولم يقل يعلمهما لأنه رد الضمير على الآخر منهما فهو كقوله: ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً وقيل: إن الكناية عادت على: «ما» في قوله وما أنفقتم لأنها اسم فهو كقوله: «وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به» ولم يقل بهما ﴿وما للظالمين﴾ يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها وقيل: الذين يريدون

على أنفسكم في طاعة الله فوفّيتم به، ﴿ فإن الله يعلمه ﴾، يحفظه حتى يجازيكم به، وإنما قال: ﴿ يعلمه ﴾ ولم يقل يعلمها، لأنه ردّه إلى الآخر منها، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يكسبْ خطيئةً أو إثماً ثم يرمِ به بريئاً ﴾ [النساء: ١١٢] وإن شئتَ حملته على ﴿ ما ﴾ كقوله: ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ولم يقل بهما، ﴿ وما للظالمين ﴾، الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء ويتصدّقون من الحرام، ﴿ مِنْ أنصار ﴾، من أعوان أن يدفعون عذاب الله عنهم، وهي جمع نصير، مثل شريف وأشراف.

قوله تعالى: ﴿ إن تُبْدُوا الصدقاتِ ﴾، أي: تُظهروها، ﴿ فَنِعِمَّا هي ﴾، أي: نعمت الخصلة هي، و﴿ ما ﴾ في محل الرفع، وهي في محل النصب، كما تقول: نعم الرجل رجلاً، فإذا عرفتَ رفعتَ فقلت: نِعْمَ الرجل زيد، وأصله نعم ما وصلت، قرأ أهل المدينة غير ورش وأبو عمر وأبو بكر ﴿ فنعمّا ﴾ بكسر النون وسكون العين، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين، وقرأ ابن كثير ونافع برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرهما، وكلها لغات صحيحة، وكذلك في سورة النساء. و﴿ إنْ تُخْفوها ﴾، تُسرّوها، ﴿ وتُؤتُوها الفقراء ﴾ أي: تؤتوها الفقراء في السرّ، ﴿ فهو خيرٌ لكم ﴾ وأفضل وكل مقبول إذا كانت النيّة صادقة، ولكن صدقة السرّ أفضل، وفي الحديث: «صدقة السر تطفىء غضب الربّ». أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحق

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل: هم الذين يتصدقون بالمال الحرام ﴿من أنصار﴾ أي من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى، ففيه وعيد عظيم لكل ظالم قوله عز وجل: ﴿إن تبدوا الصدقات﴾ أي تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة، وصدقة التطوع ﴿فنعمّا هي﴾ أي فنعمت الخصلة هي وقيل فنعم الشيء هي وقيل: معناه فنعم شيئاً إبداء الصدقات ﴿وإن تخفوها﴾ أي تسروا الصدقة ﴿وتؤتوها الفقراء﴾ أي وتعطوها الفقراء في السر ﴿فهو خير لكم﴾ يعني إخفاء الصدقة أفضل من العلانية وكل مقبول إذا كانت النية صادقة، واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال الأكثرون المراد بها صدقة التطوع، واتفق العلماء على أن كتمان صدقة التطوع أفضل وإخفاؤها خير من إظهارها، لأن ذلك أبعد من الرياء وأقرب إلى الإخلاص، ولأن فيه بعداً عما تؤثره النفس من إظهار الصدقة، وفي صدقة السر أيضاً فائدة ترجع إلى الفقير الآخذ وهي أنه إذا أعطى في السر زال عنده الذل والانكسار وإذا أعطى في العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل على أن صدقة السر أفضل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلّا ظله إمام عادل وشاب نشأ في طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله تعالى ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» أخرجاه في الصحيحين ووجه جواز إظهار الصدقة يكون ممن قد أمن على نفسه من مداخلة الرياء في عمله أو يكون ممن يقتدى به في أفعاله فإذا أظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك، وأما الزكاة فإظهار إخراجها أفضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل وصلاة التطوع في البيت أفضل ولكن في إظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل إن الآية واردة في زكاة الفرض، وكان إخفاؤها خيراً على عهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا لا يظنون بأحد أنه يمنع الزكاة، فأما اليوم في زماننا إظهار الزكاة أفضل حتى لا يساء الظن به وقيل إن الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والإخفاء أفضل في كل صدقة من زكاة غيرها. وقوله تعالى: ﴿ونكفر عنكم من سيئاتكم﴾ قيل إن من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس جميع سيئاتكم وقيل أدخل من للتبغيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغائر من سيئاتكم وأصل التكفير في اللغة التغطية والستر ﴿والله بما تعملون خبير﴾ يعني من إظهار الصدقات وإخفائها. قوله عز وجل: .

الهاشمي أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعةٌ يُظلّهم اللّهُ في ظلّه يومَ لا ظلَّ إلّا ظلّه: إمامٌ عادلٌ وشابٌّ نشأ في عبادة الله تعالى، ورجلٌ قلبه معلّقٌ بالمسجد إذا خرجَ منه حتى يعودَ إليه، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضتْ عيناه، ورجلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتَ منصبٍ وجمال فقال إني أخاف اللّهَ، ورجلٌ تصدّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالهُ ما تُنفقُ يمينُه» وقيل: الآية في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل حتى يقتدي به الناس، كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل، والنافلة في البيت أفضل، وقيل: الآية في الزكاة المفروضة كان الإخفاء فيها خيراً على عهد رسول الله ﷺ أما في زماننا فالإظهار أفضل حتى لا يُساء به الظن. قوله تعالى: ﴿ ويُكفّر عنكم من سيئاتكم ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالنون ورفع الراء أي: ونحن نُكفّر، وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء، أي: ويكفّر الله، وقرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بالنون والجزم نسقاً على الفاء التي في قوله: ﴿ فهو خير لكم ﴾ لأن موضعها جزم الجزاء، وقوله: ﴿ ومن سيئاتكم ﴾ قيل: ﴿ من ﴾ صلة، تقديره: نكفّر عنكم سيئاتكم، وقيل: هو للتحقيق والتبعيض، يعني: نكفّر الصغائر من الذنوب، ﴿ واللّهُ بما تعملون خبير ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

﴿**ليس عليك هداهم**﴾ قيل سبب نزول هذه الآية: أن ناساً من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله ﷺ عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة إلى الدخول في الإسلام لحرصه ﷺ على سلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه **ليس عليك** هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الإسلام فحينئذٍ نتصدق عليهم فأعلمه الله تعالى أنه إنما بعث بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه، فأما كونهم مهتدين فليس ذلك إليك ﴿**ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ يعني أن الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه إلى الإسلام وأراد بالهداية هنا هداية التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله ﷺ فلما نزلت هذه الآية أعطوهم وتصدقوا عليهم ﴿**وما تنفقوا من خير**﴾ أي من مال ﴿**فلأنفسكم**﴾ أي ما تفعلوا تنفعوا به أنفسكم ﴿**وما تنفقون إلّا ابتغاء وجه الله**﴾ ظاهره خبر ومعناه نهي أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج: هذا خاص للمؤمنين أعلمهم الله تعالى أنه قد علم أن مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه لستم في صدقاتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون إلّا وجه الله وقد علم هذا من قلوبكم فأنفقوا عليهم إذا كنتم إنما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء: لو أنفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلّا إلى المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة، وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة، وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع أباح الله تعالى أن تصرف إلى فقراء المسلمين وفقراء أهل الذمة فأما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها إلى أهل الذمة بحال ﴿**وما تنفقوا من خير يوف إليكم**﴾ أي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس: يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدي إليكم يوم القيامة ولهذا حسن إدخال إلى مع التوفية لأنها تضمنت معنى التأدية ﴿**وأنتم لا تظلمون**﴾ أي لا تنقصون شيئاً من ثواب أعمالكم. قوله عز وجل: .

﴿ **ليسَ عليكَ هُدَاهم** ﴾، قال الكلبي: سبب نزول هذه الآية أن ناساً من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار في اليهود، وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يُسلموا، فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم، وأرادوهم على أن يسلموا، وقال سعيد بن جبير: كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمّة فلما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله ﷺ عن التصدّق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام، فنزل قوله: ﴿ **ليس عليك هداهم** ﴾، فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ﴿ **ولكن الله يهدي مَن يشاء** ﴾، وأراد به هداية التوفيق، أما هدي البيان والدعوة كان على عهد رسول الله ﷺ فأعطوهم بعد نزول الآية، ﴿ **وما تنفقوا من خير** ﴾، أي: مال، ﴿ **فلأنفسكم** ﴾، أي: تنفقونه لأنفسكم، ﴿ **وما تُنفقون إلّا ابتغاء وجهِ الله** ﴾، لفظة جحد ومعناه نهي، أي: لا تنفقوا إلّا ابتغاء وجه الله، ﴿ **وما تنفقوا من خير** ﴾، شرط كالأول، ولذلك حذف النون منهما، ﴿ **يُوف إليكم** ﴾، أي: يُوفَّر لكم جزاؤه، ومعناه: يؤدّي إليكم، ولذلك دخل فيه إلى، ﴿ **وأنتم لا تظلمون** ﴾، لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً، وهذا في صدقة التطوّع أباح الله تعالى أن توضع في أهل الإسلام وأهل الذمّة، فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلّا في المسلمين، وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

﴿للفقراء﴾ اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل: هو مردود على موضع اللام من قوله فلأنفسكم فكأنه قال: وما تنفقوا من خير فللفقراء وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها الفقراء. وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو أربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا يأوون إلى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ وهم أصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى وقوله: ﴿الذين أحصروا في سبيل الله﴾ يعني هم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله ﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب، وهم أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقيل هم قوم أصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله ﷺ فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ أي يظن من لم يختبر حالهم أنهم أغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه. يقال: تعفف إذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى

قوله تعالى: ﴿ للفقراء الذين أُحصروا في سبيل الله ﴾ اختلفوا في موضع هذه اللام، قيل: هي مردودة على موضع اللام من قوله: ﴿ فلأنفسكم ﴾ كأنه قال: وما تنفقوا من خير فللفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل: معناها الصدقات التي سبق ذكرها، وقيل: خبر محذوف تقديره: للفقراء الذين صفتُهم كذا حق واجب وهم للفقراء المهاجرين، كانوا نحواً من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون النوى بالنهار، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ، وهم أصحاب الصفة، فحثّ الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى، ﴿ الذين أُحصروا في سبيل الله ﴾، فيه أقاويل، قال قتادة: هم هؤلاء حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، ﴿ لا يستطيعون ضرباً في الأرض ﴾، لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش، وهم أهل الصفة الذين ذكرناهم، وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وقيل: معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقيل: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زَمْنَى أحصرهم المرضُ والزّمانةُ عن الضرب في سبيل الله للجهاد، وقيل: معناه: من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلها حرباً لهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم، ﴿ يحسبهم ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿ يحسبهم ﴾ وبابه بفتح السين، وقرأ الآخرون بالكسر، ﴿ الجاهل ﴾، بحالهم، ﴿ أغنياءَ مِنَ التعفّف ﴾، أي: من تعفّفهم عن السؤال وقناعتهم يظن مَن لا يعرف حالهم أنهم أغنياء والتعفّف التفعّل من العفّة وهي الترك، يقال: عفّ عن الشيء إذا كفّ عنه وتعفّف إذا تكلّف في الإمساك، ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾، السيماء والسيمياء والسمة: العلامة التي يُعرَف بها الشيء، واختلفوا في معناها ههنا، فقال مجاهد: هي التخشّع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صُفرة ألوانهم من الجوع والضرّ، وقيل: رثاثة ثيابهم، ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾، قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه: لا يسألون الناس إلحافاً أصلاً، لأنه قال: ﴿ من التعفّف ﴾،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يظنهم من لم يعرف حالهم أغنياء لإظهارهم التجمل وتركهم المسألة ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ السيماء والسيمياء والسمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها فقيل: هي الخضوع والتواضع وقيل هي أثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل: هي صفرة ألوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ يعني إلحاحاً قيل: إذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء وإذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس أصلاً لأنه قال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهو ترك المسألة فعلم بذلك أنهم لا يسألون ألبتة ولأنه قال تعالى: ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت من معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيهم إلحاف. فهم لا يسألون الناس إلحافاً ولا غير إلحاف (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» (ق) عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل» الناس لفظ (خ) عن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له» من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح وقيل: يا رسول الله ما يغنيه؟ قال خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري. قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف» أخرجه أبو داود وقال: زاد هشام في حديثه وكانت

والتعفّف: ترك السؤال، ولأنه قال تعرفهم بسيماهم، ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة حاجة، فمعنى الآية: ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف، والإلحافُ: الإلحاح واللجاج، أخبرنا الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن عبد الله بن الحكم، أخبرنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة، عن أبيه عن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حَبْلَه فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكفُّ اللَّهُ بها وجهه، خيرٌ له من أن يسألِ الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه». أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس تردّه اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان» قالوا: فمَنِ المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يجد غنىً فيُغنيه ولا يُفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس» ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ سأل وله أوقية أو عِدْلُها فقد سأل إلحافاً»، أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الظاهري، أخبرنا جدّي سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أخبرنا محمد بن زكريا بن غدافر، أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن عباد الديري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن هارون بن زيان، عن كنانة العدوي عن قبيصة بن مخارق، قال: إني تحمّلت بحمالة في قومي فأتيتُ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إنّي تحمّلت بحمالة في قومي وأتيتك لتعينني فيها، قال: «بل نتحمّلها عنك يا قبيصة ونؤدّيها إليهم من الصدقة» ثم قال: «يا قبيصة إن المسألة قد حَرُمتْ إلّا في إحدى ثلاث: رجل أصابته حاجة فاجتاحتْ مالَه فيسأل حتى يصيب قَواماً من عيشه ثم يُمسك، ورجل أصابته حاجة حتى يشهد له ثلاثة نفر من ذوي الحِجى من قومه لقد أصابتْ فلاناً فاقةٌ، أنّ المسألة قد حلّت له فيسأل حتى يصيب القَوام من العيش ثم يُمسك، ورجل تحمّل بحمالة فيسأل حتى إذا بلغ أمسك، وما كان غير ذلك فإنه سحتٌ يأكله صاحبه سَحتاً». أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبّي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة، أخبرنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأوقية على عهد رسول الله ﷺ أربعين درهماً وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس وله أربعون درهماً فهو ملحف» أخرجه النسائي (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر». وقوله تعالى: ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ يعني أن الله تعالى يعلم مقادير الإنفاق ويجازي عليها ففيه حث على الصدقة والإنفاق في الطاعة. قوله عز وجل: .

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾ قال ابن عباس في رواية عنه: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال: «لما نزل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله» بعث عبدالرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أهل الصفة، وبعث علي بن أبي طالب في الليل بوسق من تمر فأنزل الله فيهما: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار﴾ يعني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبدالرحمن وفي الآية إشارة إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لأنه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل: نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لأنهم يعلفونها بالليل والنهار وفي السر: والعلانية (خ) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً واحتساباً وتصديقاً بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة» يعني حسنات وقيل: إن الآية عامة في الذين ينفقون أموالهم في جميع الأوقات ويعمون بها

شريك عن حكيم بن جبير، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خُمُوش أو خُدُوش أو كدوح»، قيل: يا رسول الله وما يغنيه؟ قال: «خمسون درهماً أو قيمتهما ذهباً»، قوله تعالى: ﴿ وما تُنفقوا من خير ﴾، من مال، ﴿ فإن الله به عليم ﴾، وعليه مُجازي.

﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية ﴾، رُوِيَ عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدّق بدرهم ليلًا وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانيةً. وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: لمّا نزلت ﴿ للفقراء الذين أُحصروا في سبيل الله ﴾، بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب الصفة، وبعث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في جوف الليل بوسق من تمر، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ الذين يُنفقون أموالهم بالليل والنهار ﴾ الآية، عني بالنهار: علانيةَ صدقةِ عبد الرحمن بن عوف، وبالليل: سرَّ صدقةِ عليّ رضي الله عنه. وقال: أبو أمامة وأبو الدرداء ومكحول والأوزاعي: نزلت في الذين يرتبطون الخيل للجهاد فإنها تُعتلف ليلًا ونهاراً سرّاً وعلانيةً. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عليّ بن جعفر، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعت سعيد المقبري يحدّث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبيّ ﷺ: «مَن احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شِبَعَه وَرِيَّه ورَوْثَه وبولَه في ميزانه يوم القيامة»، وقوله تعالى: ﴿ فلهم أجرهم عند ربّهم ﴾،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أصحاب الحاجات والفاقات. ﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ يعني في الآخرة. قوله عز وجل:.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

﴿الذين يأكلون الربا﴾ أي يعاملون به وإنما خص الأكل لأنه معظم الأمر المقصود من المال لأن المال لا يؤكل إنما يصرف في المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء» وأصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو إذا زاد وكثر فالربا الزيادة في المال ﴿لا يقومون﴾ يعني من قبورهم يوم القيامة ﴿إلّا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان﴾ أي يصرعه، وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تضرب الأرض بقوائمها وتطأ الناس بأخفافها ومنه قولهم: يخبط خبط عشواء للرجل الذي يتصرف في الأمور على غير اهتداء وتمييز وتدبر، وتخبطه الشيطان إذا مسه بخبل وجنون ﴿من المس﴾ يعني من الجنون يقال: مس الرجل فهو ممسوس إذا كان به جنون، ومعنى الآية أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لأن الربا ربا في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإسراع. قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا إذا استحله يوم القيامة وروى البغوي بسند الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في قصة الإسراء قال: «فانطلق بي جبريل إلى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون

قال الأخفش: جعل جواب الخبر بالفاء، لأن الذين بمعنى ﴿ من ﴾ وجوابها بالفاء في الخبر، أو معنى الآية: مَن أنفق كذا فله أجره عند ربّه، ﴿ ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ الذين يأكلون الرِّبا ﴾، أي: الذين يعاملون به، وإنما خصّ الأكل لأنه معظم المقصود من المال ﴿ لا يقومون ﴾، يعني: يوم القيامة من قبورهم ﴿ إلّا كما يقومُ الذي يتخبَّطُه ﴾، أي يصرعه ﴿ الشيطان ﴾، أصل الخبط: الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء، يقال: ناقة خبوط للتي تطأ الناس وتضرب الأرض بقوائمها، ﴿ مِنَ المَسِّ ﴾، أي: الجنون، يقال: مُسّ الرجلُ فهو ممسوس إذا كان مجنوناً، ومعناه: أن آكل الربا يُبعث يوم القيامة كمثل المصروع. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، أخبرنا عبد الله بن يحيـىٰ، أخبرنا يعقوب بن سفيان أخبرنا إسماعيل بن سالم، أخبرنا عباد بن عباد، عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قصة الإسراء، قال: «فانطلق بي جبريل عليه السلام إلى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منضّدين على سَابلة آل فرعون، وآل فرعون يُعرضون على النار غُدواً وعشياً، قال: فيُقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجرة لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحسّ بهم أصحاب تلك البطون قاموا، فتميل بهم بطونهم فيُصرعون، ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنُه فيصرع، فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيَردّوهم مُقبلين ومُدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة، قال: وآل فرعون يقولون: اللّهم لا تقم الساعة أبداً، قال: يوم القيامة يُقال ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب، قلت: يا جبريل مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يعرضون على النار غدواً وعشياً قال فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة، قال: وآل فرعون يقولون: اللهم لا تقم الساعة أبداً. قال: ويوم القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس». قوله: بطنه مثل البيت الضخم أي العظيم الكبير الغليظ، وقوله: منضدين أي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق، وقوله مثل الإبل المنهومة، النهم بالتحريك إفراط في الشهوة بالطعام من الجوع. قوله عز وجل: ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ أي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غريمه يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الأجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون: سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى. ورد عليهم ذلك بقوله: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ يعني وأحل الله لكم الأرباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل وذلك لأن الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لأحد أن يعترض عليه في شيء مما حل أو حرم، وإنما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه. وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال إذا باع ثوباً يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلاً للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلاً للآخر في المالية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيئاً بغير عوض، أما إذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال: إن العوض هو الإمهال في مدة الأجل لأن الإمهال ليس مالاً أو شيئاً يشار إليه حتى يجعله عوضاً عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين.

فصل: في حكم الربا وفيه مسائل

المسألة الأولى: ذكروا في سبب تحريم الربا وجوهاً: أحدها: أن الربا يقتضي أخذ مال الغير بغير عوض،

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ﴾ قوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ﴾، أي: ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحلالهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حلّ ماله على غريمه فطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في الأجل حتى أزيدك في المال، فيفعلان ذلك ويقولون: سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير، فكذّبهم الله تعالى وقال: ﴿ وأحلّ الله البيع وحرّم الربا ﴾، واعلم أن الربا في اللغة، الزيادة، قال الله تعالى: ﴿ وما آتيتم منْ رباً لِيَرْبُوَ في أموال الناس ﴾ [الروم: ٣٩] أي: ليكثر فلا يربو عند الله، فطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة، إنما المحرّم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بيّنه رسول الله ﷺ فيما أخبرنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الوهاب، عن أيوب بن أبي تميمة عن محمد بن سيرين، عن مسلم بن يسار ورجل آخر، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الوَرِق بالوَرِق، ولا البُرّ بالبُرّ، ولا الشعير بالشعير، ولا التمر بالتمر، ولا الملح بالملح، إلا سواءً بسواء عيناً بعين يداً بيد، ولكن بيعوا الذهب بالوَرِق والوَرِق بالذهب، والبُرّ بالشعير، والشعير بالبُرّ، والتمر يداً بيد كيف شئتم نقص أحدهما الملح أو التمر أو زاد

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لأن من يبيع درهماً بدرهمين نقداً كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام. الوجه الثاني: إنما حرم عقد الربا لأنه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لأن صاحب الدراهم إذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة، فيقضي ذلك إلى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الأرباح. الوجه الثالث: أن الربا هو سبب إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض، فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الأجر من الله تعالى. الوجه الرابع: أن تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وإن كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك.

المسألة الثانية: اعلم أن الربا في اللغة هو الزيادة، وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت أن الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله ﷺ (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالورق رباً إلاّ هاء وهاء والبر بالبر رباً إلاّ هاء وهاء والشعير بالشعير رباً إلاّ هاء وهاء والتمر بالتمر رباً إلاّ هاء وهاء». وفي رواية: «الورق بالورق رباً إلاّ هاء وهاء والذهب بالذهب رباً إلاّ هاء وهاء» (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب وزناً بوزن مثلاً بمثل والفضة بالفضة وزناً بوزن مثلاً بمثل فمن زاد واستزاد فقد أربى» وفي رواية: «التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلاً بمثل يداً بيد، فمن زاد واستزاد فقد أربى إلاّ ما اختلفت ألوانه. (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر وبالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» فنص رسول الله ﷺ على جريان الربا في هذه الستة أشياء وهي النقدان وأربعة أصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح، فذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا ثبت في هذه الأشياء لأوصاف فيها، فيعتدي إلى كل ما يوجد من تلك الأصناف فيه ثم اختلفوا في تلك الأوصاف فذهب قوم إلى أن المعنى في جميعها هو واحد وهو النفع فأثبتوا الربا

أحدهما، ومَن زاد أو استزاد فقدْ أرْبَى»، وروى هذا الحديث مطرف عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبد الله بن عتيك عن عبادة، فالنبيّ ﷺ نصّ على ستّة أشياء، وذهب عامّة أهل العلم إلى أن حكم الربا يثبت في هذه الأشياء الست بالأوصاف فيها فيتعدى إلى كل مال توجد فيه تلك الأوصاف، ثم اختلفوا في تلك الأوصاف، فذهب قوم إلى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع، وأثبتوا الربا في جميع الأموال وذهب الأكثرون إلى أن الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف، وفي الأشياء المطعومة بوصف آخر، واختلفوا في ذلك الوصف، فقال قوم: ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية، وهو قول مالك والشافعي، وقال قوم: ثبت بعلّة الوزن، وهو قول أصحاب الرأي، وأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها، وأما الأشياء الأربعة فذهب قوم إلى أن الربا ثبت فيها بعلّة الكيل، وهو قول أصحاب الرأي، وأثبتوا الربا في جميع المكيلات مطعوماً كان أو غير مطعوم كالجَصّ والنُّورة ونحوهما، وذهب جماعة إلى أن العلّة فيها الطعم مع الكيل والوزن، فكل مطعوم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا، ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون، وهو قول سعيد بن المسيب وقاله الشافعي رحمه الله في القديم، وقال في الجديد: يثبت فيها الربا بوصف الطعم، وأثبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والأدوية مكيلة كانت أو موزونة، لِما رُوِيَ عن معمر بن عبد الله قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «الطعام بالطعام مثلاً بمثل»، فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثماراً أو مطعوماً، والربا نوعان ربا الفضل وربا النَّسَاء، فإذا باع مال الربا بجنسه مثلاً بمثل بأن باع أحد النقدين بجنسه، أو باع مطعوماً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

في جميع الأموال وذهب الأكثرون إلى أن الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الأشياء المطعومة بوصف آخر، واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك إلى أنه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي إلى أنه ثبت بعلة الوزن فأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك، وأما الأربعة أشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأي إلى أن الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فأثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوماً كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما، وذهب جماعة إلى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل أو موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم. وقال في الجديد: ثبت الربا فيها بوصف الطعم فأثبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والأدوية مكيلة كانت أو موزونة لما روي عن معمر بن عبدالله أرسل غلامه بصاع قمح فقال: بعه ثم اشتر به شعيراً، فذهب الغلام فأخذ صاعاً وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمراً أخبره بذلك. فقال له معمر: لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن إلا مثلاً بمثل فإني كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «الطعام بالطعام مثلاً بمثل» وكان طعامنا الشعير قيل له: فإنه ليس بمثله فقال إني أخاف أن يضارع أخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمناً أو مطعوماً.

المسألة الثالثة: الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الأجل، فإن باع ما يدخل فيه الربا بجنسه إن باع أحد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فإن كان موزوناً كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وإن كان مكيلاً كالحنطة والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل، ويشترط التقابض في مجلس العقد فإن باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه ينظر فإن باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل إن باع مطعوماً بأحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا فإن باعه بما لا يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل أن باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو كان مطعوماً بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلاً ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس لقوله ﷺ «إلّا يداً بيد». وقوله «هاء وهاء» ففيه اشتراط التقابض في المجلس

بجنسه، كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كِلا نوعي الربا، حتى لا يجوز إلّا متساويين في معيار الشرع، فإن كان موزوناً كالدراهم والدنانير فيشترط المساواة في الوزن، وإن كان مكيلاً كالحنطة والشعير بِيْعَ بجنسه، فيشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد، وإذا باع مال الربا بغير جنسه نُظر إن باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل: إن باع مطعوماً بأحد النقدين فلا رِبا فيه، كما لو باعه بغير مال الربا، وإن باعه بما يوافقه في الوصف مثل: إن باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوماً بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلاً أو جزافاً وثبت فيه ربا النسأ حتى يشترط التقابض في المجلس، وقول النبيّ ﷺ: «لا تبيعوا الذهب بالذهب»، إلى أن قال: «إلّا سواء بسواء» فيه إيجاب المماثلة وتحريم الفضل عند اتفاق الجنس، وقوله: «عيناً بعين» فيه تحريم النسأ، وقوله: «يداً بيد كيف شئتم» فيه إطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع إيجاب التقابض في المجلس، هذا في ربا المبايعة ومَن أقرض شيئاً بشرط أن يَردَّ عليه أفضل، فهو قرض منفعة، وكل قرضٍ جر منفعةً فهو ربا. قوله تعالى: ﴿ فمَن جاءه موعظةٌ منْ ربّه ﴾: تذكير وتخويف، وإنما ذكر الفعل ردّاً إلى الوعظ، ﴿ فانتهى ﴾، عن أكل الربا، ﴿ فله ما سَلَفَ ﴾، أي: ما مضى من ذنبه، قبل النهي مغفور له، ﴿ وأمره إلى الله ﴾، بعد النهي إن شاء عصمه حيث يثبت على الانتهاء، وإن شاء خذله حتى يعود، وقيل: أَمْرُهُ إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحلّ له ويحرّم عليه، وليس إليه من أمر نفسه شيء، ﴿ ومَن عاد ﴾، بعد التحريم إلى أكل الربا مستحلاً له،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وتحريم النسيئة وقوله ﷺ: «إلّا سواء بسواء مثلاً بمثل» ففيه إيجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله ﷺ: «فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم» ففيه إطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابل في المجلس وهو قوله ﷺ: «إذا كان يداً بيد» والله أعلم.

المسألة الرابعة: في القرض وهو من أقرض شيئاً وشرط أن يرد عليه أفضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روي عن مالك قال: بلغني أن رجلاً أتى ابن عمر فقال إني أسلفت رجلاً سلفاً واشترطت عليه أفضل مما أسلفته، فقال عبدالله بن عمر: فذلك الربا أخرجه مالك في الموطأ. قال فإن لم يشترط فضلاً في وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جاز. ويدل على ذلك ما روي عن مجاهد أن ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيراً منها فأبى أن يأخذها وقال هذه خير من دراهمي. فقال ابن عمر: قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة أخرجه مالك في الموطأ. وقوله تعالى: ﴿**فمن جاءه موعظة من ربه**﴾ أي تذكير وتخويف وإنما ذكر الفعل لأن تأنيثه غير حقيقي فجاز تذكيره وذلك لأن الوعظ والموعظة شيء واحد ﴿**فانتهى**﴾ أي عن أكل الربا ﴿**فله ما سلف**﴾ أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له ﴿**وأمره إلى الله**﴾ يعني بعد النهي إن شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وإن شاء خذله حتى يعود إلى أكل الربا وقيل معناه وأمره إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس إليه من أمر نفسه شيء. وقيل: إن الآية فيمن يعتقد تحريم أكل الربا ثم يأكله فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ﴿**ومن عاد**﴾ يعني إلى أكل الربا بعد التحريم مستحلاً له ﴿**فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**يمحق الله الربا**﴾ أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجاً ولا جهاداً ولا صلة ﴿**ويربي الصدقات**﴾ أي يزيدها ويثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة. (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الطيب إلّا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه

﴿ **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن المثنى، حدّثني غندر أخبرنا شعبة عن عوف بن أبي جحيفة عن أبيه أنه قال: «إن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم، وثمن الكلب، وكَسْبِ البغي، ولعن آكل الربا ومُؤكله، والواشمة والمستوشمة، والمصوّر». أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أخبرنا الغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجّاج، أخبرنا زاهر بن حرب أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ آكلَ الربا ومُؤكِلَه وكاتبَه وشاهدَيه، وقال: هم سواء». أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحق الثعلبي، أنا أبو محمد المخلدي أنا أبو حامد بن الشرقي أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا النضر بن محمد، أخبرنا عكرمة بن عمّار، أخبرنا يحيىٰ هو ابن كثير قال: حدّثني أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الربا سبعون باباً أهونها عند الله عزّ وجلّ كالذي ينكح أمه».

قوله تعالى: ﴿ **يمحق الله الربا** ﴾، أي: ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته، وقال الضحّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: يمحق الله الربا. يعني: لا يقبل منه صدقةً ولا جهاداً ولا حجّاً ولا صِلةً، ﴿ **ويُربي الصدقات** ﴾، أي:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أو فصيله» لفظ مسلم والبخاري «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله. وفي رواية ولا يقبل الله إلاّ الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل». ﴿والله لا يحب كل كفار﴾ يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لأكل الربا ﴿أثيم﴾ يعني متمادياً في الإثم وفيه نهي عنه وأن من أكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل أن يكون الكفار راجعاً إلى مستحل الربا والأثيم راجعاً إلى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين. قوله عز وجل:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا﴾ يعني صدقوا بالله ورسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ يعني التي أمرهم الله بها ﴿وأقاموا الصلاة﴾ يعني المفروضة بأركانها وحدودها في أوقاتها ﴿وآتوا الزكاة﴾ يعني المفروضة عليهم في أموالهم ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ أي لهم ثواب أعمالهم في الآخرة ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أي يوم القيامة. قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾ قيل: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما كانا وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما: إن أنتما أخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الأجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي ﷺ فنهاهما، وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما، وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال النبي ﷺ في حجة الوداع: فيما رواه جابر من أفراد مسلم «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتله هذيل وربا الجاهلية موضوع. وأول ربا أضع ربا

يُثمّرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف بها الأجر والثواب في العقبى، ﴿ والله لا يحبُّ كُلَّ كفّار ﴾، بتحريم الربا، ﴿ أثيم ﴾، فاجر بأكله.

﴿ إنّ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ وأقامُوا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ لهم أجرُهم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

قوله تعالى: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وذُروا ما بقي من الربا ﴾ قال عطاء وعكرمة: نزلت في العباس بن عبد المطّلب وعثمان بن عفّان رضي الله عنهما، وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذّاذ قال لهما صاحب التمر: إن أنتما أخذتما حقّكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي، فهل لكما أن تأخذا النصف وتُؤخّرا النصف وأُضعف لكما ففعلا، فلما حلّ الأجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعَا وأطاعا وأخذا رُؤوسَ أموالهما. وقال السدي: نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يُسْلِفَان في الربا إلى بني عمرو بن عمير، ناس من ثقيف، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل تعالى هذه الآية فقال النبي ﷺ في حَجّة الوداع في خطبته يوم عَرَفَة: «ألا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتله هُزيل، وربا الجاهلية موضوعة كلُّها، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنها موضوعةٌ كلُّها». وقال مقاتل: نزلت في أربعة أخوة من ثقيف، مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة، وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كانوا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

العباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله» وقيل: نزلت في أربعة إخوة من ثقيف وهم: مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بن عمرو بن عميرة بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبدالله بن عمير بن مخزوم، وكانوا يرابون فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا إلى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة فكتب عتاب إلى النبي ﷺ بقضية الفريقين وكان ذلك مالاً عظيماً فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أي خافوا الله فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه، وذروا أي واتركوا ما بقي من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقي لكم ما فضل على رؤوس أموالكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يعني إن كنتم محققين لإيمانكم قولاً وفعلاً.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

﴿فإن لم تفعلوا﴾ أي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه ﴿فأذنوا﴾ قرىء بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه: فأعلموا غيركم أنه حرب لله ورسوله وقرىء فأذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأيقنوا ﴿بحرب من الله ورسوله﴾. قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة: خذ سلاحك للحرب. قال أهل المعاني: حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب، وقيل: بل المراد منه نفس الحرب وذلك أن من أصر على أكل الربا وعلم به الإمام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس إلى أن تظهر منه التوبة وإن كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الإمام كما يحارب الفئة الباغية. قال ابن عباس: من كان مقيماً على أكل الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع أي تاب وإلاّ ضرب عنقه ﴿وإن تبتم﴾ أي إن تركتم أكل الربا ورجعتم عنه ﴿فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ يعني لا تظلمون أنتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال. ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب إلى الله

يُداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم، وكانوا يُرابون فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم هؤلاء الأخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة، فقال بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين، فاختصموا إلى عتّاب بن أسيد، وكان عاملَ رسول الله ﷺ على مكة، فكتب عتاب بن أسيد إلى النبي ﷺ بقصة الفريقين، وكان ذلك مالاً عظيماً، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وذَرُوا ما بقِي مِنَ الرِبا إنْ كنتم مُؤمنين ﴾.

﴿ فإنْ لم تفعلوا ﴾، أي: إذا لم تذروا ما بقي من الربا، ﴿ فأذنوا بحربٍ مِنَ اللَّهِ ورسولِهِ ﴾، قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر « فآذِنوا » بالمدّ، على وزن آمنوا، أي: فأعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله، وأصله من الأُذن، أي: وقعوا في الأذان، وقرأ الآخرون « فأذنوا » مقصوراً بفتح الذال، أي: فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقال لآكل الربا يوم القيامة خُذْ سلاحك للحرب، قال أهل المعاني: حرب الله النار، وحرب رسول الله السيف، ﴿ وإن تبتم ﴾، أي: تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه، ﴿ فلكم رُؤوس أموالكم لا تَظلِمُون ﴾، بطلبِ الزيادة ﴿ ولا تُظلَمون ﴾، بالنقصان عن رأس المال، فلما

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فإنه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤوس أموالهم. فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا: أخرونا إلى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروهم فأنزل الله عز وجل: ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ يعني وإن كان الذي عليه الحق من غرمائكم معسراً والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال، وأعسر الرجل إذا أضاق ولم يجد ما يؤديه في دينه ﴿فنظرة﴾ أي فإمهال وتأخير ﴿إلى ميسرة﴾ أي إلى زمن اليسار وهو ضد الإعسار وهو وجدان المال الذي يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الآية وهل الإنظار مختص بالربا أم هو عام في كل دين؟ على قولين: القول الأول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي إن الآية في الربا. وذكر عن شريح أن رجلاً خاصم رجلاً إليه فقضى عليه وأمر بحبسه فقال رجل: كان عند شريح إنه معسر والله تعالى يقول في كتابه: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾ فقال شريح إنما ذاك في الربا وإن الله تعالى قال في كتابه ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه. والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين أن حكم الآية عام في كل دين على معسر واحتجوا بأن الله تعالى قال: ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاماً في جميع المعسرين ﴿وأن تصدقوا خير لكم﴾ يعني وإن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤوس أموالكم للمعسر خير لكم، وإنما جاز هذا الحذف للعلم به لأنه قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فعلم أن التصدق راجع إليهما ﴿إن كنتم تعلمون﴾ يعني أن التصدق خير لكم وأفضل لأن فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى.

فصل: في ثواب إنظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والأمر بقضائه:

(م) عن أبي قتادة أنه طلب غريماً له فتوارى عنه ثم وجده فقال: إني معسر قال الله قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن ينجيه الله من كرب القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه». (م) عن أبي اليسر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله». (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فإن رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه

نزلت الآية قال بنو عمرو الثقفي ومَن كان يعامل بالربا من غيرهم: بل نتوب إلى الله فإنه لا يَدَانِ لَنا بحرب الله ورسوله، فرضوا برأس المال فشكا بنو المغيرة العُسرة وقالوا: أخّرونا إلى أن تُدرك الغلّات فأبوا أن يُؤخّروا، فأنزل الله تعالى:

﴿ وإنْ كـــان ذُو عُسْـــرة ﴾، يعني: وإن كان الذي عليه الدِّين مُعْسَراً، رُفع الكلام باسم كان ولم يأت لها بخبر، وذلكِ جائز في النكرة تقول: إن كان رجلاً صالحاً فأكرمه، وقيل: كان بمعنى وقع، وحينئذ لا يحتاج إلى خبر، قرأ أبو جعفر عُسرة بضم السين، ﴿ فَنَظِرةٌ ﴾ أمرٌ في صيغة الخبر، تقديره: فعليه نظرة، ﴿ إلى مَيْسَرة ﴾، قرأ نافع ﴿ ميسرة ﴾ بضم السين، وقرأ الآخرون بفتحها، وقرأ مجاهد ﴿ ميسرة ﴾ بضم السين مضافاً، ومعناه: اليسار والسَّعة، ﴿ وأن تَصَدَّقوا ﴾، أي: تتركوا رؤوسَ أموالكم إلى المُعسر، ﴿ خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾، قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد، والاخرون بتشديدها، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله الميكالي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بن عيدان الحافظ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح، أخبرنا ابن وهب عن جرير بن حازم، عن أيوب عن يحيـىٰ بن كثير عن عبد الله بن أبي قتادة! عن أبيه أنه كان يطلب رجلاً بحق فاختبىء منه، فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: العُسرة، فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكّه فأعطاه إياه، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه» وعن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه به عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها أن يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء» أخرجه أبو داود (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عز وجل عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله»، (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغني ظلم، زاد في رواية وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع». (ق) عن كعب بن مالك أنه تقاضى ابن أبي حدرد ديناً كان له في عهد رسول الله ﷺ في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال: يا كعب قلت: لبيك يا رسول الله فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك فقال كعب: قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه. (ق) عن أبي هريرة قال: «كان لرجل على رسول الله ﷺ سن من الإبل فجاء يتقاضاه فقال: أعطوه فطلبوا سنة فلم يجدوا إلّا سناً فوقها فقال: أعطوه فقال: أوفيتني وفاك الله فقال النبي ﷺ: إن خيركم أحسنكم قضاء وفي رواية أنه أغلظ لرسول الله ﷺ حين استقضاه حتى هم به بعض أصحابه فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً ثم أمر له بأفضل من سنه». (م) عن أبي قتادة الأنصاري عن النبي ﷺ: «أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله ﷺ كيف قلت قال أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ نعم وأنت صابر

أنظر مُعسراً وَوَضَعَ عنه أنجاه الله من كرْب يوم القيامة»، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل عن منصور عن ربعي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الملائكة لَتَعلَّقَتْ بروح رجل كان قبلكم»، فقالوا له: هل عملت خيراً قطّ؟ قال: «لا»، قالوا: تذكر، قال: «لا إلّا أني رجل كنت أُداين الناسَ فكنتُ آمر فتياني أن يُنظروا المُوسر ويتجاوزوا عن المعسر»، قال الله تبارك وتعالى: «تجاوزوا عنه»، أخبرنا عبد الواحد بن المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الزياتي، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا أحمد بن عبد الله، أخبرنا زائدة عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي عن أبي اليسر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَن أنظر مُعْسراً أو وضع عنه أظلّه الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه».

فصل في الدَّين وحُسن قضائه وتشديد أمره

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا أحمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا شعبة، أخبرنا سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا سلمة بمنىً يُحدّث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ، فأغلظ له، فهمَّ به أصحابه، فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، واشتروا له بعيراً فأعطوه إيّاه»، قالوا: لا نجد إلّا أفضل من سِنّه، قال: «اشتروه فأعطوه إيّاه، فإن خياركم أحسنكم قضاءً»، أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مُطْلُ الغني ظلم، فإذا أُتبع أحدُكم على مليء فليتبعْ». أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نفس المؤمن مُعلّقة بدَيْنه حتى

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

محتسب مقبل غير مدبر إلّا الدين فإن جبريل قال لي ذلك» عن محمد بن جحش قال: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرفع رأسه إلى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال: سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا وفزعنا. فلما كان من الغد سألته يا رسول الله: ما هذا التشديد الذي نزل فقال: والذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضي عنه دينه» أخرجه النسائي. قوله عز وجل: .

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

﴿**واتقوا**﴾ أي وخافوا ﴿**يوماً ترجعون فيه إلى الله**﴾ قرىء بفتح التاء أي تصيرون فيه إلى الله وقرىء بضم التاء وفتح الجيم أي تردون فيه إلى الله ﴿**ثم توفى كل نفس ما كسبت**﴾ يعني من خير أو شر ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ أي في ذلك اليوم. وفي هذه الآية وعد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ. فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله ﷺ أحداً وعشرين يوماً وقيل: تسع ليال وقيل سبعاً ومات ﷺ لليلتين خلتا من ربيع الأول في يوم الاثنين سنة إحدى عشرة من الهجرة. وروى الشعبي عن ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا. قوله عز وجل: .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ

يُقضى عنه». أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن يحيـى بن سعيد، عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري عن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيتَ إن قتلتُ في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مُدبرٍ يُكفر اللّهُ عن خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فلما أدبرَ ناداه رسول الله ﷺ، أو أمر به، فنُودي فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت»؟ فأعاد عليه قوله، فقال رسول الله ﷺ: «نعم إلّا الدَّين، كذلك قال جبريل».

قوله تعالى: ﴿ **واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله** ﴾، قرأ أهل البصرة بفتح التاء، أي: تصيرون إلى الله، وقرأ الآخرون بضم التاء وفتح الجيم، أي: تُردّون إلى الله تعالى: ﴿ **ثم تُوفى كلُّ نفسٍ ما كسبتْ وهم لا يظلمون** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، فقال له جبريل عليه السلام: ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة، وعاش بعدها رسول الله ﷺ واحداً وعشرين يوماً، وقال ابن جريج: تسع ليالٍ، وقال سعيد بن جبير: سبع ليالٍ، ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة، قال الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ آية الربا.

قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمّا حرّم الله الربا أباح السَّلم، وقال أشهد أن السَّلم المضمون إلى أجل مسمى قد أحلّه الله تعالى في كتابه وأذن فيه، ثم قرأ:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين﴾ قال ابن عباس لما حرم الربا أباح السلم وقال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله في كتابه وأذن فيه. وقوله ﴿إذا تداينتم﴾ أي تعاملتم بالدين أو داين بعضكم بعضاً والتداين تفاعل من الدين يقال داينته إذا عاملته بالدين وإنما قال بدين بعد قوله: إذا تداينتم لأن المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص أحد المعنين من الآخر. وقيل إنما قال بدين ليرجع الضمير إليه في قوله: فاكتبوه إذ لو لم يذكر ذلك لوجب أن يقال: فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل إنما ذكره تأكيداً ﴿إلى أجل مسمى﴾ يعني إلى مدة معلومة الأول والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز إلى غير مدة معلومة كما لو قال إلى الحصاد أو نحوه والأجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الأجل بخلاف القرض فإنه لا يلزم فيه الأجل عند أكثر أهل العلم. (ق) عن ابن عباس قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يسلفون في التمر العام والعامين فقال لهم: «من أسلف في تمر ففي كيل معلوم أو وزن معلوم إلى أجل معلوم» وقوله تعالى: ﴿فاكتبوه﴾ أي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعاً كان ذلك أو سلماً أو قرضاً واختلفوا في هذه الكتابة فقيل: هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الأمر محمول على الندب والاستحباب فإن ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والإشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي ائتمن أمانته﴾ وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى: ﴿وليكتب بينكم كاتب﴾ أي

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تَدَاينتُمْ بدينٍ إلى أجلٍ مسمى ﴾ ﴿ فاكتُبوه ﴾، قوله: ﴿ إذا تداينتم ﴾ أي: تعاملتم بالدين، يقال: داينته إذا عاملته بالدين، وإنما قال بدين بعد قوله: ﴿ إذا تداينتم ﴾ لأن المُداينة قد تكون مجازاة وقد تكون معاطاة فقيّده بالدين ليعرف المراد من اللفظ، وقيل: ذكره تأكيداً ﴿ إلى أجلٍ مسمى ﴾، الأجل: مدة معلومة الأول والآخر، والأجل يلزم في الثمن والمبيع في السَّلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محِله، وفي القرض لا يلزم الأجل عند أكثر أهل العلم، ﴿ فاكتبوه ﴾ أي: اكتبوا الذي تداينتم به بيعاً كان أو سَلَماً أو قرضاً، واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم: هي واجبة، والأكثرون على أنه أمرُ استحباب، فإن تُرك فلا بأس كقوله تعالى: ﴿ فإذا قُضيتِ الصلاةُ فانتشروا في الأرض ﴾ [الجمعة: ١٠] وقال بعضهم: كانت كتابة الدين والإشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ الكلّ بقوله: ﴿ فإن أمِنَ بعضُكم بعضاً فليؤدِّ الذي اؤتُمن أمانته ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وهو قول الشعبي، ثم بيّن كيفية الكتابة فقال جلّ ذكره: ﴿ وليكتبْ بينكم كاتبٌ بالعدل ﴾، أي: ليكتبْ كتابَ الدين بين الطالب والمطلوب كاتبٌ بالعدل، أي: بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير، ﴿ ولا يأبَ ﴾، أي لا يمتنع، ﴿ كاتبٌ أنْ يكتبَ ﴾، واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمّل الشهادة على الشهادة، فذهب قوم إلى وجوبها إذا طُولب، وهو قول مجاهد، وقال الحسن: يجب إذا لم يكن كاتب غيره، وقال قوم: هو على الندب والاستحباب، وقال الضحاك: كانت غريمة واجبة على الكاتب والشاهد، فنسخها قولُه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب ﴿**بالعدل**﴾ أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخيره قيل إن فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لأن صاحب الدين إذا علم أن حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة أو تقديم المطالبة قبل حلول الأجل، ومن عليه الدين إذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود أو النقص من أصل الدين الذي عليه، فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة أمر الله تعالى بها ﴿**ولا يأب**﴾ أي ولا يمتنع ﴿**كاتب أن يكتب**﴾ واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لأن ظاهر الكلام نهى عن الامتناع من الكتابة وإيجابها على كل كتاب فإذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من أهلهما وجب عليه ذلك. وقيل: هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبي فإن لم يوجد إلّا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لأن الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له أن يكتب ليقضي حاجة أخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التي أنعم الله بها عليه وقيل: كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله: ﴿**ولا يضار كاتب ولا شهيد**﴾ ﴿**كما علمه الله**﴾ أي كما شرعه الله وأمر به ﴿**فليكتب**﴾ وذلك أن يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح أن يكون حجة عند الحاجة ولا يخص أحد الخصمين بالاحتياط له دون الآخر، وأن يكون كل واحد منهما آمناً من أبطال حقه، وأن يكون ما يكتبه متفقاً عليه عند العلماء، وأن يحترز من الألفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الأمور لا تحصل إلّا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء. ﴿**وليملل الذي عليه الحق**﴾ يعني أن المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الأجل ونحو ذلك. والإملال والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد ﴿**وليتق الله**﴾ ربه يعني المملي ﴿**ولا يبخس**﴾ أي ولا ينقص ﴿**منه**﴾ أي من الحق الذي وجب ﴿**شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً**﴾ أي جاهلاً بالإملاء وقيل هو الطفل الصغير. وقال الشافعي: السفيه هو المبذر المفسد لماله

تعالى: ﴿ **لا يُضارَّ كاتبٌ ولا شهيد** ﴾، ﴿ **كما علَّمه الله** ﴾ أي: كما شرعه الله وأمره، ﴿ **فليكتبْ وليمللِ الذي عليه الحق** ﴾، يعني: المطلوب يُقرّ على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، والإملال والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما القرآن، فالإملال هنا، والإملاء قوله تعالى: ﴿ فهي تُملى عليه بكرةً وأصيلا ﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿ **وليتقِ اللَّهَ ربَّه** ﴾، يعني: المملي، ﴿ **ولا يبخس منه شيئاً** ﴾ أي: ولا ينقص منه أي من الحق الذي عليه شيئاً، ﴿ **فإن كان الذي عليه الحقُ سفيهاً** ﴾، أي: جاهلاً بالإملاء، قاله مجاهد، وقال الضحاك والسدي: طفلاً صغيراً، وقال الشافعي: السفيه المبذرُ المفسدُ لمـاله أو في دينه، قوله: ﴿ **أو ضعيفاً** ﴾ أي: شيخاً كبيراً، وقيل: هو ضعيف العقل لعَتهٍ أو جنون، ﴿ **أو لا يستطيع أن يُملَّ هو** ﴾، لخرسٍ أو عمىً أو عُجمة أو حبسٍ أو غَيبةٍ لا يمكنه حصول الكتابة أو جهل بما لَه وعليه، ﴿ **فليُمْلِلْ وليّه** ﴾ أي قَيّمُه، ﴿ **بالعدل** ﴾ أي: بالصدق والحق، وقال ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل: أراد بالولي صاحبَ الحق، يعني إن عجز مَن عليه الحق من الإملال **ليُملِلْ** وليّ الحق وصاحب الدَّين بالعدل لأنه أعلم بالحق ﴿ **واستشهدوا** ﴾ أي: وأشهدوا، ﴿ **شهيدين** ﴾ أي: شاهدين ﴿ **من رجالكم** ﴾ يعني: الأحرار المسلمين دون العبيد والصبيان، وهو قول أكثر أهل العلم، وأجاز شُريح وابن سيرين شهادةَ العبيد، ﴿ **فإن لم يكونا رجلين** ﴾ أي: لم يكن الشاهدان رجلين، ﴿ **فرجلٌ وامرأتان** ﴾ أي: فليشهد رجل وامرأتان، وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال حتى يثبت برجل وامرأتين، واختلفوا في غير الأموال، فذهب جماعة إلى أنه يجوز شهادتهنّ مع الرجال في غير العقوبات، وهو قول سفيان الثّوري وأصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلّا برجلين عدلين، وذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ما يطّلع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع والثيوبة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين، وبشهادة أربع نسوة، واتفقوا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ودينه ﴿أو ضعيفاً﴾ يعني شيخاً كبيراً وقيل: هو ضعيف العقل لعته أو جنون ﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ يعني لخرس أو عمى أو عجمة في كلامه أو حبس أو غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب أو يجهل بماله، وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح إقرارهم فلا بد من أن يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى: ﴿فليملل وليه﴾ يعني ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لأنه مقامه في صحة الإقرار. وقال ابن عباس: أراد بالولي صاحب الدين يعني إن عجز الذي عليه الحق عن الإملاء فليملل صاحب الحق لأنه أعلم بحقه ﴿بالعدل﴾ أي بالصدق ﴿واستشهدوا شهيدين﴾ يعني وأشهدوا على حقوقكم شهيدين لأن المقصود من الكتابة هو الإشهاد ﴿من رجالكم﴾ يعني من أهل ملتكم يعني من المسلمين الأحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول أكثر أهل العلم. وأجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول أن قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لأن عقل الإنسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب، فإذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة. وحجة جمهور العلماء ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا فهذا نص يقتضي أن من تحمل شهادة وجب عليه الأداء إذا ما طولب بها والعبد ليس كذلك فإن السيد إذا لم يأذن له في ذلك حرم عليه الذهاب إلى الشهادة فوجب أن لا يكون العبد من أهل الشهادة ﴿فإن لم يكونا رجلين﴾ أي فإن لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فرجل وامرأتان﴾ أي فليشهد رجل وامرأتان، وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء مع الرجال جائزة في الأموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا في غير الأموال فذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي إلى أنه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلاّ برجلين عدلين، وذهب الشافعي إلى أن ما يطلع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع والكبارة والثيوبة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين أو شهادة أربع نسوة. واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود، وقوله تعالى: ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ يعني من كان مرضياً عندكم في دينه وأمانته والشرائط المعتبرة في العدالة. وقبول الشهادة عشرة وهي: الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة، وأن لا يجر بتلك الشهادة منفعة إلى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة، ولا يكون معروفاً بكثرة الغلط والسهو، وأن لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لأن الكذاب لا

على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات. قوله تعالى: ﴿ مِمَّن تَرضون من الشهداء ﴾ يعني: مَن كان مرضياً في ديانته وأمانته. وشرائطُ قبول الشهادة سبعة: الإسلام، والحرية، والعقل، والبلوغ. والعدالة، والمروءة، وانتفاء التهمة، فشهادة الكافر مردودة، لأن المعروفين بالكذب عند الناس لا تجوز شهادتهم، فالذي يكذب على الله تعالى أولى أن يكون مردود الشهادة، وجوّز أصحاب الرأي شهادة أهل الذمّة بعضهم على بعض، ولا تقبل شهادة العبيد، وأجازها شُريح وابن سيرين، وهو قول أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا قول للمجنون حتى يكون له شهادة، ولا يجوز شهادة الصبيان، سُئل ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك فقال: لا يجوز لأن الله تعالى يقول: ﴿ ممّن ترضون من الشهداء ﴾، والعدالة شرط، وهي أن يكون الشاهد مجتنباً للكبائر غير مُصرٍّ على الصغائر، والمروءة شرط، وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء، وهي حسن الهيئة والسيرة والعُشرة والصناعة، فإن كان الرجل يظهر من نفسه شيئاً مما يستحي أمثالُه من إظهاره في الأغلب يعلم به قلّة مروءته، وتردّ شهادته، وانتفاء التهمة شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو، وإن كان مقبول الشهادة على غيره لأنه متّهم في حق عدوّه، ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وإن كان مقبول الشهادة عليهما، ولا يقبل شهادة مَن يجرّ إلى نفسه بشهادته نفعاً، كالوارث يشهد على رجل يقتل مورثه، أو يدفع عن نفسه بشهادته ضرراً كالمشهود عليه يشهد بجرح مَن شهد عليه لتمكّن التّهمة في شهادته، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسين المروزي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تقبل شهادته. فالذي يكذب على الله أولى بأن ترد شهادته وجوز بعض أهل الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد وأجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول أنس ولا قول للمجنون معتبر حتى تصح شهادته. ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال: لا تجوز لأن الله تعالى قال: ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ والعدالة شرط وهو أن لا يكون الشاهد مقيماً على الكبائر مصراً على الصغائر والمروءة شرط وهي ما تتصل بآداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء وهي حسن الهباة والسيرة والعشرة والصناعة، فإن كان الرجل يظهر في نفسه شيئاً مما يستحيي أمثاله من إظهاره في الأغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وإن كان مقبول الشهادة على غيره، لأنه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته إلى نفسه نفعاً عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حداً ولا ذي غمر على أخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة». قال الفزاري: القانع التابع، أخرجه الترمذي. قوله: لا تجوز شهادة خائن أراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والأمانة فإن من ضيع شيئاً من أوامر الله أو ارتكب شيئاً مما نهى الله عنه لا يكون عدلاً. والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل: المنقطع إلى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع إلى نفسه لأن التابع لأهل البيت ينتفع بما يصير إليهم والظنين بكسر الظاء المتهم. وقوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما﴾ أي تنسى إحدى المرأتين ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾ لأن الغالب على طباع النساء النسيان فأقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت إحداهما تذكرها الأخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى. وحكي عن سفيان بن عيينة أنه قال هو من الذكر أي تجعل إحداهما الأخرى ذكراً والمعنى أن شهادتهما تصيرا كشهادة ذكر، والقول الأول أصح لأنه معطوف على تضل وهو النسيان. وقوله تعالى: ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ يعني إذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لأنهم يكونون شهداء وهذا أمر إيجاب عند بعضهم. وقال قوم: يجب إذا لم يكن غيره فإن كان غيره فهو مخير، وقيل: هو أمر ندب فهو مخير في جميع الأحوال. وقال بعضهم هذا في إقامة الشهادة وأدائها. ومعنى الآية

سراج القطّان، أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان، أخبرنا علي بن عبد العزيز الملكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا مروان الفزاري، عن شيخ من أهل الحيرة يقال له يزيد بن زياد عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ترفعه: «لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا ذي غمر على أخيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة، ولا القانع مع أهل البيت»، قوله تعالى: ﴿ أن تضلَّ إحداهما ﴾، قرأ حمزة ﴿ أن تضلّ ﴾ بكسر الألف، ﴿ فتذكرُ ﴾، برفع الراء، ومعناه الجزاء والابتداء، وموضع ﴿ تضلّ ﴾ جزم بالجزاء، إلّا أنه لا نسق بالتضعيف ﴿ فتذكّر ﴾ رفع، لأن ما بعد فاء الجزاء مبتدأ، وقراءة العامّة بفتح الألف ونصب الراء على الاتصال بالكلام الأول، و﴿ تضل ﴾ محله نصب بأن ﴿ فتذكّر ﴾ منسوق عليه، ومعنى الآية فرجل وامرأتان كي تذكّر ﴿ إحداهما الأخرى ﴾، ومعنى تضلّ أي: تنسى، يريد إذا نسيت إحداهما شهادتها فتذكّرها الأخرى، فتقول: ألسنا حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا؟ قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿ فتذكِر ﴾ مخففاً، وقرأ الباقون مشدّداً (وذكر) و(اذكر) بمعنى واحد، وهما متعديان، من الذكر الذي هو ضدّ النسيان، وحُكي عن سفيان بن عُيينة أنه قال: هو من الذكرِ أي: تجعل إحداهما الأخرى ذكراً، أي: تصير شهادتهما كشهادة ذكر، والأول أصحّ لأنه معطوف على النسيان: قوله تعالى: ﴿ ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دُعوا ﴾، قيل: أراد به إذا ما دُعوا لِتحمّل الشهادة، سمّاهم شهداءَ على معنى أنهم يكونون شهداء، وهو أمر إيجاب عند بعضهم، وقال قوم: تجب الإجابة إذا لم يكن غيرهم، فإن وُجد

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا الأداء الشهادة التي تحملوها. وقيل: الآية في الأمرين جميعاً يعني في التحمل والأداء والإقامة إذا كان عارفاً. وقيل الشاهد بالخيار ما لم يشهد فإذا شهد وجب عليه الأداء ﴿ولا تسأموا﴾ أي ولا تملوا ولا تضجروا ﴿أن تكتبوه﴾ الضمير راجع إلى الحق أو الدين ﴿صغيراً﴾ كان ﴿أو كبيراً﴾ يعني قليلاً كان الحق أو الدين أو كثيراً ﴿إلى أجله﴾ يعني إلى محل الحق والدين ﴿ذلكم﴾ يعني ذلك الكتاب ﴿أقسط عند الله﴾ يعني أعدل عند الله لأنه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه، ﴿وأقوم للشهادة﴾ يعني أن الكتابة تذكر الشهود ﴿وأدنى ألا ترتابوا﴾ يعني وأحرى وأقرب إلى أن لا تشكوا في الشهادة ﴿إلّا أن تكون تجارة حاضرة﴾ أي إلّا أن تقع تجارة حاضرة يداً بيد ﴿تديرونها بينكم﴾ أي فيما بينكم ليس فيها أجل ﴿فليس عليكم جناح﴾ أي لا ضرر عليكم ﴿أن لا تكتبوها﴾ يعني التجارة الحاضرة، والتجارة تقليب الأموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالأرباح، وإنما رخص الله تعالى في الكتابة والإشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس، فلو كلفوا فيها الكتابة والإشهاد لشق ذلك عليهم، ولأنه إذا أخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة إلى الكتابة والإشهاد ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ يعني فيما جرت العادة بالإشهاد فيه. واختلفوا في هذا الأمر فقيل هو للوجوب فيجب أن يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته وقيل: هو أمر ندب واستحباب وهو قول الجمهور. وقيل إنه منسوخ بقوله: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي ائتمن أمانته﴾. وقوله تعالى: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ هذا نهي عن المضارة وأصله يضارر بكسر الراء الأولى ومعناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب والشاهد فيأبى أن يشهد أو يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملي عليه فيضر صاحب الحق أو من عليه الحق، وكذلك الشاهد وقيل: أصله يضارر بفتح الراء الأولى ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما

غيرهم فهم مخيّرون، وهو قول الحسن، وقال قوم: هو أمر ندب وهو مخيّر في جميع الأحوال وقال بعضهم؛ هذا في إقامة الشهادة وأدائها، فمعنى الآية: ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دعوا لأداء الشهادة التي تحمّلوها، وهو قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير، وقال الشعبي: الشاهد بالخيار ما لم يُشهدْ، وقال الحسن: الآية في الأمر جميعاً في التحمّل والإقامة إذا كان فازعاً ﴿ ولا تَسْأَمُوا ﴾ أي: ولا تملّوا ﴿ أن تكتبوه ﴾، الهاء راجعة إلى الحق، ﴿ صغيراً ﴾ كان الحق، ﴿ أو كبيراً ﴾، قليلاً كان أو كثيراً، ﴿ إلى أجله ﴾، إلى محل الحق، ﴿ ذلكم ﴾أي: الكتاب، ﴿ أقسط ﴾، أعدل ﴿ عند الله ﴾، لأنه أمر به، واتّباع أمره أعدل من تركه، ﴿ وأقوم للشهادة ﴾، لأن الكتابة تُذكّر الشهود، ﴿ وأدنى ﴾ وأحرى وأقرب إلى، ﴿ ألّا ترتابوا ﴾ تشكّوا في الشهادة، ﴿ إلّا أنْ تكونَ تجارةً حاضرةً ﴾، قرأها عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم مجازاً إلّا أن تكون التجارة تجارةً أو المبايعة تجارةً، وقرأهما الباقون بالرفع، وله وجهان، أحدهما: أن يجعل الكون بمعنى الوقوع، معناه: إلّا أن تقع تجارة، والثاني: أن يجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل، وهو قوله: ﴿ تُديرونها بينكم ﴾ تقديره: إلّا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية: إلّا أن تكون تجارة حاضرة يداً بيدٍ تُديرونها بينكم ليس فيها أجل، ﴿ فليسَ عليكم جُناحٌ أنْ لا تكتُبُوها ﴾، يعني: التجارة. ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾، قال الضحاك: هو عزم من الله تعالى، والإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره ونَقْدِهِ ونَسيئِهِ، وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: الأمر فيه إلى الأمانة كقوله تعالى: ﴿ فإنْ أمِنَ بعضُكم بعضاً ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، الآية، وقال الآخرون: هو أمرُ ندبٍ. قوله تعالى: ﴿ ولا يُضارّ كاتبٌ ولا شهيد ﴾، هذا نهي للغائب، وأصله: يضارر، فأدغمتْ إحدى الرائين في الأخرى ونُصبت، لحق التضعيف لالتقاء الساكنين، واختلفوا فيه، فمنهم مَن قال: أصله يضارر بكسر الراء الأولى، وجعل الفعل للكاتب والشهيد، معناه: لا يُضارر الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد، ولا يضارّ الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرّف ما أُملي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي: إن الله أمركما أن تجيبا إذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما، وأمر أن يطلب غيرهما ﴿وإن تفعلوا﴾ يعني ما نهيتم عنه من الضرار ﴿فإنه فسوق بكم﴾ أي معصية وخروج عن الأمر. ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها ﴿ويعلمكم الله﴾ يعني ما يكون إرشاداً لكم في أمر الدنيا، كما يعلمكم ما يكون إرشاداً لكم في أمر الدين ﴿والله بكل شيء عليم﴾ يعني أن الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شيء من ذلك. قوله عز وجل:.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨٣﴾

﴿وإن كنتم على سفر﴾ أي في سفر ﴿ولم تجدوا كاتباً﴾ يعني ولم تجدوا آلات الكتابة ﴿فرهن﴾ جمع رهن وقرىء فرهان ﴿مقبوضة﴾ يعني فارتهنوا ممن تدينونه رهوناً مقبوضة لتكون وثيقة لكم بأموالكم، وأصل الرهن الدوام يقال: رهن الشيء إذا دام وثبت، والرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه ديناً. فإن قلت: لم شرط الارتهان في السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح أن رسول الله ﷺ رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي على طعام أخذه إلى أجل، ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب. قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر، ولكن لما كان السفر مظنة لإعواز الكاتب. والإشهاد أمر الله تعالى به على سبيل الإرشاد إلى حفظ الأموال لمن كان على سفر بأن يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والإشهاد. واتفق العلماء على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعاً ومع وجود الكاتب وعدمه. وقال مجاهد: لا يجوز إلّا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وأجاب الجمهور عن ظاهر الآية أن الكلام إنما خرج على الأغلب لا على سبيل الشرط. واتفق العلماء على أن الرهن لا يتم إلّا بالقبض وهو قوله تعالى: ﴿فرهن مقبوضة﴾ يعني ارتهنوا واقبضوا، لأن المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم إلّا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم، فإذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له أن يسترجعه ما دام شيء من الحق باقياً قوله

عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه وهذا قول طاوس والحسن وقتادة، وقال قوم: أصله يضارّ بفتح الراء على الفعل المجهول، وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين، ومعناه: أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شغل مهم فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا، فيقول الداعي إن الله أمركما أن تُجيبا ويَلِحّ عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن ذلك، وأمر بطلب غيرهما، ﴿ وإن تفعلوا ﴾ ما نهيتكم عنه من الضرار، ﴿ فإنه فُسوق بكم ﴾ أي: معصية وخروج عن الأمر، ﴿ واتقوا الله ويُعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾.

﴿ وإنْ كنتم على سفرٍ ولم تجدوا كاتباً فرهانٌ مقبوضة ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ فرهان ﴾ بضم الهاء والراء وقرأ الباقون ﴿ فرهان ﴾ وهو جمع: رهن، مثل: بغل وبغال وجبل وجبال، والرهن جمع الرهان: جمع الجمع، قاله الفرّاء والكسائي، وقال أبو عبيدة وغيره: هو جمع الرهن أيضاً مثل: سقف وسُقف، وقال أبو عمرو: وإنما قرأنا (فـرهن) ليكون فرقاً بينهما وبين رهان الخيل، وقال عكرمة: رُهْنٌ بضمّ الراء وسكون الهاء، والتخفيف والتثقيل في الرهن لغتان، مثل: كَتْبٌ وكُتبٌ ورَسْلٌ ورُسُل، ومعنى الآية: وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً الآن فارتهنوا ممّن تداينونه رُهوناً لتكون وثيقة بأموالكم، واتفقوا على أن الرهن لا يتمّ إلّا بالقبض، وقوله: فرهن مقبوضة، أي ارتهنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم يسلّم فلا يجبر الراهن على التسليم، فإذا سلّم لزم من

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تعالى: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ يعني فإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيئاً لحسن ظنه به ﴿فليؤد الذي ائتمن أمانته﴾ يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان أميناً في ظن الدائن الذي هو صاحب الحق أمانته يعني حقه سمي الدين أمانة وإن كان مضموناً لائتمانه عليه حيث أمن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهناً حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن الذي ائتمنه وأن يؤدي إليه حقه الذي ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيئاً ثم زاد ذلك تأكيداً بقوله: ﴿وليتق الله ربه﴾ أي المديون في أداء الحق عند حلول الأجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن ظنه فيه، ثم رجع إلى خطاب الشهود فقال تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ يعني إذا دعيتم إلى إقامتها وأدائها وذلك لأن الشاهد متى امتنع من إقامة الشهادة وكتمها فقد أبطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى: ﴿ومن يكتمها﴾ يعني الشهادة ﴿فإنه آثم قلبه﴾ أي فاجر قلبه والآثم الفاجر، وإنما أضيف الإثم إلى القلب لأن الأفعال من الدواعي والصوارف إنما تحدث في القلب فلما كان الأمر كذلك أضيف الإثم إلى القلب قيل: ما أوعد الله على شيء كإيعاده عن كتمان الشهادة فإنه تعالى قال ﴿فإنه آثم قلبه﴾ وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك ﴿والله بما تعملون عليم﴾ يعني من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها.

قوله عز وجل: .

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وأهلها له عبيد وهو مالكهم ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها، والمؤاخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق: وأجيب عن هذا بأن الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه ويعزم على إظهاره إلى الوجود، فهذا مما يؤاخذ الإنسان به. والقسم الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكره ولا يعزم على فعله ولا إظهاره إلى الوجود فهذا معفو عنه بدليل

جهة الراهن، حتى لا يجوز له أن يسترجِعَه ما دام شيء من الحق باقياً، ويجوز في الحَضَرِ الرهنُ مع وجود الكاتب، وقال مجاهد: لا يجوز الرهن إلّا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية، وعند الآخرين: خرج الكلام في الآية على الأعمّ الأغلب لا على سبيل الشرط، والدليل عليه ما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه رهن درعَه عند أبي الشحم اليهودي، ولم يكن ذلك في السفر ولا عند عدم كاتب. ﴿ فإنْ أمِنَ بعضُكم بعضاً ﴾، وفي حرف أُبيّ (فإن ائتمن) يعني: فإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئاً لحُسن ظنه به ﴿ فليؤدِّ الذي ائتمن أمانته ﴾ أي: فليقضه على الأمانة، ﴿ وليتقِ اللَّهَ ربَّه ﴾ في أداء الحق، ثم رجع إلى خطاب الشهود فقال: ﴿ ولا تكتُموا الشهادة ﴾، إذا دُعيتم إلى إقامتها نهي عن كتمان الشهادة وأوعد عليه فقال: ﴿ ومَن يكتمها فإنه آثمٌ قلبه ﴾ أي: فاجرٌ قلبه، قيل: ما وعد على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة قال: ﴿ فإنه آثم قلبه ﴾ وأراد به مسخ القلب نعوذُ بالله من ذلك، ﴿ والله بما تعملون ﴾ من بيان الشهادة وكتمانها، ﴿ عليم ﴾.

﴿ لِلّهِ ما في السموات وما في الأرض ﴾ ملكاً وأهلها له عبيدٌ وهو مالكهم، ﴿ وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه يُحاسِبْكم به الله. فيغفرُ لمَن يشاءُ ويُعذّبُ مَنْ يشاءُ واللَّهُ على كل شيءٍ قدير ﴾، اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم: هي خاصّة ثم اختلفوا في وجه خصوصها، فقال بعضهم: هي متّصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾. وقال قوم: إن هذه الآية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم: هي متصلة بالآية التي قبلها وإنما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الآية ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾ أيها الشهود من كتمان الشهادة أي تخفوه أي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف، لأن اللفظ هام وإن كان وارداً عقيب قضية فلم يلزم صرفه إليها. وقال بعضهم: إن الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى: وإن تبدوا أي تظهروا ما في أنفسكم يعني من ولاية الكفار أو تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله. وذهب أكثر العلماء إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لله ما في السموات وما في الأرض، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ الآية. اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصبنا بل قول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في أثرها: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فأنزل الله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا

الشهادة، معناه: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يُحاسبكم به الله، وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت فيمَن يتولى الكافرين من دون المؤمنين، يعني: وإن تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفّار أو تُسرّوه يحاسبكم به الله، وهو قول مقاتل، كما ذكر في قولـه تعالـى: ﴿ لا يتّخذِ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ [آل عمران: ٢٨] إلى أن قال: ﴿ قلْ إنْ تخفوا ما في صدوركم أو تُبدوه يعلمْهُ الله ﴾ [آل عمران ٢٩]، وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامّة ثم اختلفوا فيها فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها، والدليل عليه ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدّثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحاج، حدّثني محمد بن المنهال الضرير وأميّة بن بسطام العيشي اللفظ له قال: أخبرنا يزيد بن زريع أنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لمّا أنزل الله على رسوله ﷺ ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ الآية قال: اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرّكب فقالوا ـ أي: لرسول الله ﷺ ـ كُلّفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلتْ عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين مِن قبلِكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير»، فلما قرأها القوم وذلّت بها ألسنتهم أنزل الله في إثْرها ﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نُفرّق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانَك ربّنا وإليك المصير ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله ﴿ لا يُكلّفُ اللّهُ نفساً إلاّ وُسْعَها لهَا مَا كسبتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ ربّنا لا تُؤاخذْنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال: «نعم»، ربّنـا ولا تحْمِلْ علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلِنَا، قال: «نعم، ربّنا ولا تُحمّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لنا بِهِ»، قال: «نعم، واعفُ عنّا واغْفِرْ لَنا وارْحمنَا أنتَ مَوْلاَنَا فانْصُرنَا على القومِ الكافرين»، قال: «نعم». وروى سعيد بن جبير عن ابـن عباس رضيَ الله عنهما بمعناه، وقال في كل ذلك: قد فعلتُ بدل قوله نعم، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر، وإليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وقتادة والكلبي، أخبرنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قال نعم: «ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا» قال نعم ربنا: «ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به» قال نعم: «واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» قال نعم أخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا به أو يتكلموا به وفي رواية ما وسوست به صدورها» وقال قوم: إن الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد إلّا على الأمر والنهي ولا يرد على الإخبار. وقول الله تعالى: ﴿يحاسبكم به الله﴾ خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم: قد أثبت الله تعالى للقلب كسباً فقال: بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد أسر عملاً أو أعلنه من حركة جارحة أو همة قلب إلّا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وقال آخرون في معنى الآية: إن الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم وأخفوه وعاقبهم عليه غير أن معاقبتهم على ما أخفوه أخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن أمية إنها سألت عائشة عن قول الله عز وجل ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ وعن قوله ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ فقالت: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ فقال: هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها، حتى أن العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير» أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. وله عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة». وقال قوم في معنى الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم يعني مما عزمتم عليه أو تخفوه أي ولا تبدوه وأنتم

الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا يعقوب بن يوسف القزويني، أخبرنا أبو القاسم بن الحكم المغربي، أخبرنا مسعد ابن كِدَام، عن قتادة عن زُرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ الله تجاوز عن أُمتي ما وَسْوَسَتْ به أنفسَها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»، وقال بعضهم: الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار، إنما يرد على الأمر والنهي، وقوله: ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ خبر لا يَرِدُ عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم: قد أثبت الله تعالى للقلب كسباً فقال: ﴿ بما كسبت قلوبكم ﴾ [البقرة: ٢٢٥] فليس لله عبدٌ أسرّ عملاً أو أعلنه من حركة من جوارحه أو هِمّة في قلبه إلّا يُخبره الله به ويُحاسبه عليه، ثم يغفر ما يشاء ويعذّب بما يشاء، وهذا معنى قول الحسن، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال الآخرون: معنى الآية، إن الله عزّ وجلّ يُحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه، غير أن معاقبته على ما أخفوه ممّا لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب، والأمور التي يحزنون عليها، وهذا قول عائشة رضي الله عنها، قالتْ: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: «يا عائشة هذه معاتبة الله العبدَ بما يُصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبِضاعة يضعها في كمّه فيفقدها، فيَرُوعُ لها، حتى إن المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج التِّبر الأحمر من الكير». أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الزياتي، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبد الله بن الصالح، حدّثني الليث، حدّثني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سِنَان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يُوافيه به يوم القيامة». وقال بعضهم: وإن تبدوا ما في أنفسكم يعني: ما في قلوبكم مما عزمتم عليه أو تخفوه يحاسبكم به الله، ولا تبدوه وأنتم عازمون

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عازمون عليه يحاسبكم به الله. فأما حديث النفس مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها ولا يؤاخذ به. قال عبدالله بن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخذ العبد بالهمة؟ فقال: إذا كانت عزماً أخذ بها وقيل معنى المحاسبة الإخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة إلى كونه تعالى عالماً بكل ما في الضمائر والسرائر مما ظهر وخفي ومعنى الآية: وإن تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله أي يخبركم به ويعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله ويعذب الكافرين إظهاراً لعدله. يروى عن ابن عباس ويدل عليه أنه قال: يحاسبكم به الله ولم يقل: يؤاخذكم به لأن المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه أيضاً ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما ابن عمر يطوف إذ عرض له رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله ﷺ في النجوى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول: أعرف رب أعرف مرتين فيقول الله: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسابه، وأما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين» أخرجاه في الصحيحين. وقوله تعالى: ﴿**فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**﴾ قال ابن عباس: يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾ يعني أنه تعالى قادر على كل شيء كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلاً ويعذب الكافرين عدلاً. قوله عز وجل:.

عليه يحاسبكم به الله، فأمّا ما حدّثت به أنفسكم مما لم تعزموا فإن ذلك مما لا يُكلّف الله نفساً إلاّ وسعها ولا يؤاخذكم به، دليله قوله تعالى: ﴿ لا يُؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكنْ يُؤاخذُكم بما كسبتْ قلوبُكم ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، قال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخذ الله العبدَ بالهِمّة؟ قال: إذا كان عَزِماً أُخذ بها، وقيل معنى المحاسبة: الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: وإن تُبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم، يُحاسِبْكم به الله ويُخبركم به ويُعرِفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله، ويُعذّب الكافرين إظهاراً لعدله، وهذا معنى قول الضحاك، ويُروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، يدلّ عليه أنه قال: يُحاسبكم به الله، ولم يقل: يُؤاخذكم به، والمحاسبة غير المؤاخذة، والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، أنا عيسى بن أحمد العسقلاني، أنا يزيد بن هارون، أنا همّام بن يحيىٰ، عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذاً بيد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال: كيف سمعتَ رسول الله ﷺ يقول في النَّجْوَى؟ فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يُدني المؤمنَ يومَ القيامةُ حتى يضعَ عليه كَنَفَه يَستُرُه مِنَ الناس فيقول: أيْ عبدي! أتعرفُ ذنبَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، أيْ ربِّ، ثم يقول: أيْ عبدي أتعرفُ ذنبَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، أيْ ربِّ حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتُها لك اليوم، ثم يُعطي كتابَ حسناتِه، وأمّا الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم ألا لعنة على الظالمين». قوله تعالى: ﴿ **فيغفر لمَن يشاء ويُعذِّبُ مَنْ يشاء** ﴾ رفع الراء والباء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب، وجزمهما الآخرون فالرفع على الابتداء والجزم على النسق، روى طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما فيغفر لِمَن يشاء الذنبَ العظيم ويُعذّب مَن يشاء على الذنبِ الصغير لا يَسأل عمّا يفعل وهم يُسألون ﴿ **والله على كل شيء قدير** ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي ﷺ فأنزل الله ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾ الآية ﴿لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قال: قد فعلت ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ قال: قد فعلت ربنا ﴿ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ قال قد فعلت أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن. قال الزجاج: لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد وأقاصيص الأنبياء وما ذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه ﷺ والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعني محمداً ﷺ والمعنى صدق الرسول أن هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والأحكام منزل من عند الله عز وجل: ﴿والمؤمنون﴾ أي وصدق المؤمنون بذلك أيضاً ﴿كل﴾ أي كل واحد من المؤمنين ﴿آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ فهذه أربع مراتب من أصول الإيمان وضرورياته، فأما الإيمان بالله فهو أن يؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه حي عالم قادر على كل شيء، وأما الإيمان بالملائكة فهو أن يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وأنهم السفرة الكرام البررة وأنهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله. وأما الإيمان بكتبه فهو أن يؤمن بأن الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله إلى رسله، وأنها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب، وأن القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير، وأنه مشتمل على المحكم والمتشابه، وأن محكمه يكشف عن متشابهه. وأما الإيمان بالرسل فهو أن يؤمن بأنهم رسل الله إلى عباده وأمناؤه على وحيه، وأنهم معصومون وأنهم أفضل الخلق، وأن بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾. وأجيب عنه بأن المقصود من هذا الكلام شيء آخر وهو إثبات نبوة الأنبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد ﷺ وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الأنبياء على بعض بقوله: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» ومعنى قوله: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله، وفي الآية إضمار تقديره وقالوا: يعني المؤمنين لا نفرق بين أحد من رسله ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ يعني سمعنا قولك وأطعنا أمرك، والمعنى قال المؤمنون: سمعنا قول

قوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرسولُ ﴾أي: صدق ﴿ بما أُنزل إليه مِنْ رَبِّه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله ﴾، يعني: كلُّ واحدٍ منهم، ولذلك وحّد الفعل، ﴿ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه ﴾ قرأ حمزة والكسائي « وكتابه » على الواحد يعني: القرآن، وقيل معناه: الجمع وإن ذُكر بلفظ التوحيد، كقوله تعالى: ﴿ فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقرأ الآخرون ﴿ وكتبه ﴾ بالجمع، كقوله تعالى: ﴿ وملائكته وكتبه ورسله ﴾ ﴿ لا نُفرّقُ بين أحدٍ من رسله ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، وفيه إضمارٌ تقديره: يقولون لا نُفرّق، وقرأ يعقوب: لا يفرّق، بالياء فيكون خبراً عن الرسول، أو معناه: لا يُفرق الكل، وإنما قال: ﴿ بين أحد ﴾ ولم يقل بين آحاد، لأن الأحد يكون للواحد والجمع، قال الله تعالى: ﴿ فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين ﴾ [الحاقة:٤٧]، ﴿ وقالوا سمعنا ﴾، قولـك ﴿ وأطعنا ﴾ أمرك، رُوِيَ عن حكيم عن جابر رضي الله

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ربنا فيما أمرنا به، وأطعناه فيما ألزمنا من فرائضه، واستعبدنا به من طاعته، وسلمنا له فيما أمرنا به ونهانا عنه، ﴿غفرانك ربنا﴾ أي نسألك غفرانك ربنا، أو يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا ﴿وإليك المصير﴾ يعني قالوا، إليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر ذنوبنا. روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر: «أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: إن الله عز وجل قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه». قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير. قوله عز وجل: .

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

﴿لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها﴾ قيل: يحتمل أن يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل أن يكون حكاية عن المؤمنين وفيه إضمار كأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا: لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه. قال ابن عباس وأكثر المفسرين إن هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك أنه لما نزل وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا: يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس؟ فنزلت هذا الآية. والمعنى أنكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس؟ كان ذلك ما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه: هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون. كما قال: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ وقال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وسئل سفيان بن عيينة عن قوله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها﴾ قال: إلاّ يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن، لأن الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه أن الله تعالى لا يكلف نفساً إلاّ وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق. ﴿لها ما كسبت﴾ يعني للنفس ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه.

عنهما أنّ جبريل عليه السلام قال للنبيّ ﷺ حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك، فسلْ تعطَهُ، فسأل بتلقين الله تعالى فقال: ﴿ غفرانَك ﴾، وهو نصب على المصدر، أي: اغفر غفرانَك، أو على المفعول به، أي: نسألك غفرانك، ﴿ ربَّنا وإليك المصير ﴾.

﴿ لا يُكلِّفُ اللَّهُ نفساً إلاّ وُسْعَها ﴾ ظاهر الآية قضاء لحاجته وفيها إضمار السؤال كأنه قال: وقالوا لا تُكلِّفْنا إلاّ وُسعَنا، وأجاب، أي: لا يُكلِّفُ اللَّهُ نفساً إلاّ وسعها أي: طاقتَها، والوُسْعُ: اسم لما يسع الإنسان، ولا يضيق عليه، واختلفوا في تأويله، فذهب ابن عباس رضي الله عنهُ وعطاء وأكثر المفسّرين إلى أنه أراد به حديثَ النفس الذي ذُكر في قوله: ﴿ وإنْ تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه ﴾ كما ذكرنا، ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم المؤمنون خاصةً وسَّع عليهم أمرَ دينهم ولم يُكلِّفهم فيه إلاّ ما يستطيعون، كما قال الله تعالى: ﴿ يُريد اللَّهُ بكم اليُسر ولا يُريد بكم العُسر ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال الله تعالى: ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج: ٧٨]، وسُئل سفيان بن عُيينة عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ لا يكلّف الله نفساً إلاّ وُسعها ﴾ قال: إلاّ يُسرها ولم يُكلفها فوقَ طاقتها، وهذا قوله حسن، لأن الوُسْعَ ما دون الطاقة. قوله تعالى: ﴿ لها ما كسبتْ ﴾ أي للنفس ما عملت من الخير لها أجره وثوابه ﴿ وعليها ما اكتسبتْ ﴾ من الشر وعليها وزره ﴿ ربَّنا لا تُؤاخِذْنا ﴾ أي: لا تعاقبنا ﴿ إن نسينا ﴾، جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو، قال الكلبي: كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وعليها ما اكتسبت﴾ يعني من الشر عليها وزره وعقابه وقيل في معنى الآية: إن الله تعالى لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره.

قوله عز وجل: ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا: ربنا لا تؤاخذنا أي لا تعاقبنا وإنما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لأن المسيء قد أمكن من نفسه وطرق السبيل إليها بفعله فكأنه أعدى عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به. ﴿إن نسينا أو أخطأنا﴾ فيه وجهان: أحدهما أنه من النسيان الذي هو السهو وهو ضد التذكر قيل: كان بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به أو أخطؤوا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شيء مما كان حلالاً لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك. فإن قلت: أليس فعل الناسي في محل العفو بدليل قوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» فإذا كان النسيان في محل العفو قطعاً فما معنى العفو عنه بالدعاء؟ قلت: الجواب عنه من وجوه: الأول: أن النسيان على ضربين: أما الأول: فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط، وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دماً فأخر إزالته، عنه ثم نسي فصلى فيه، وهو على ثوبه فيعد مقصراً إذ كان يلزمه المبادرة إلى إزالته أما إذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما أمر بفعله على وجه السهو أو ارتكب منهياً عنه من غير قصد إليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ فمثل هذا يجب أن يسأل الله تعالى أن يعفو له عن ذلك. وأما الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها أو ترك دراسة القرآن بعد أن حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لأنه فرط فثبت أن النسيان على قسمين وإذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان. الوجه الثاني من الجواب أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقانة فإن صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون إلا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان إنما هو لشدة خوفهم وتقواهم. الوجه الثالث أن المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى. وأما الخطأ في قوله أو أخطأنا فعلى وجهين أيضاً: أحدهما أن يأتي العبد ما نهي عنه بقصد وإرادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه. الوجه الثاني أن يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن لأن له فعله كمن ظن أن وقت الصلاة لم يدخل وهو في يوم غيم فأخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد.

به أو أخطؤوا عُجّلت لهم العقوبة فحرّم عليهم شيءٌ من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك، وقيل: هو من النسيان الذي هو الترك كقوله تعالى: ﴿ نسوا اللَّهَ فنسيهم ﴾ [التوبة: ٦٧]، قوله تعالى: ﴿ أو أخطأنا ﴾ قيل: معناه القصد والعمد، يقال: أخطأ فلان إذا تعمّد، قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ إنّ قتلَهم كان خِطئاً كبيراً ﴾ [الإسراء: ٣]، قال عطاء: إن نسينا أو أخطأنا يعني: إن جهلنا أو تعمدنا، وجعله الأكثرون: من الخطأ الذي هو الجهل والسهو، لأنّ ما كان عمداً من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشيئة الله، والخطأ معفو عنه، قال النبيّ ﷺ: «رُفع عن أُمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه». قوله تعالى: ﴿ ربنا ولا تَحمِلْ علينا إصراً ﴾ أي عهداً ثقيلاً وميثاقاً لا نستطيع القيام به فتعذّبنا بنقضه وتركه، ﴿ كما حملته على الذين مِنْ قبلِنا ﴾، يعني: اليهود، فلم يقوموا به فعذّبتهم هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والسدي والكلبي وجماعة، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وأخذتم على ذلكم أصري ﴾ [آل عمران: ٨١] أي: عهدي، وقيل معناه: لا تُشدّدْ ولا تُغلظ الأمر علينا كما شدّدت على مَنْ قبلنا من اليهود، وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاةً وأمرهم بأداء رُبع أموالهم من الزكاة ومَن أصاب ثوبَه نجاسةٌ قطعها، ومَن أصاب ذنباً أصبح ذنبه مكتوباً علي بابه، ونحوها من الأثقال

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ يعني عهداً ثقيلاً وميثاقاً غليظاً فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ يعني اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه، وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك أن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنباً أصبح وذنبه مكتوب على بابه. ونحو هذا من الأثقال والآصار التي كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم أن يصونهم عن أمثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد أجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ «وقيل الإصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم أن يعصمهم من مثله ﴿ربّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ يعني لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين: أحدهما ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف الأعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذي لا يكلف الله به عبده بحال. الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق هو ما في قدره العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الأعمال الشاقة والفرائس الثقيلة كما كان في ابتداء الإسلام صلاة الليل واجبة ونحوه. فهذا الذي سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول إن تكليف ما لا يطاق جائز إذ لو لم يكن جائزاً لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى. وقيل في قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الأعداء وقيل: هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله ﴿واعف عنا﴾ أي تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا ﴿واغفر لنا﴾ أي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿وارحمنا﴾ أي تغمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فإنه ليس بناج من عقابك إلّا من رحمته. وقيل: إنا لا ننال العمل بطاعتك ولا نترك معصيتك إلّا برحمتك، وأصل الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وإذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها إلّا الإحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة. وقيل: إن طلب العفو هو أن يسقط عنه عقاب ذنوبه، وطلب المغفرة هو أن يستر عليه صوناً له من الفضيحة كأن العبد يقول: أطلب منك العفو وإذا عفوت عني فاستره علي فإذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الإنعام والإحسان ليفوز بالنعيم والثواب ﴿أنت مولانا﴾ أي ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولي أمورنا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك. قال ابن عباس في قوله غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم.

والأغلال، وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن أنس وأبي عبيدة وجماعة، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ ويضع عنهم إصْرَهم والأغلالَ التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقيل: الإصرُ ذنبٌ لا توبةَ له، معناه: اعصمنا من مثله، والأصل فيه العقل والأحكام. قوله تعالى: ﴿ ربّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ أي: لا تُكلِّفنا من الأعمال ما لا نطيقه، وقيل: هو حديث النفس والوسوسة، حُكِي عن مكحول أنه قال: هو الغلمة، قيل: الغلمة شدّة الشهود، وعن إبراهيم قال: هو الحب، وعن محمد بن عبد الوهاب قال: العشق، وقال ابن جريج: وهو مسخ القردة والخنازير، وقيل: هو شماتة الأعداء، وقيل: هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها، قوله تعالى: ﴿ واعْفُ عنّا ﴾ أي: تجاوزْ وامحُ عنّا ذنوبنا، ﴿ واغفر لنا ﴾ أي: استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿ وارْحمنَا ﴾ فإننا لا ننال العمل إلّا بطاعتك ولا نترك معصيتك إلّا برحمتك، ﴿ أنتَ مَوْلَانَا ﴾ ناصرنا وحافظنا ووليّنا، ﴿ فانْصُرنَا على القوم الكافرين ﴾. روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزّ وجلّ: ﴿ غفرانك ربّنا ﴾ قال الله تعالى: «قد غفرتُ لكم»، وفي قوله: ﴿ لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ قال: لا أُؤاخذكم، ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصراً ﴾ قال: لا أحمل عليكم إصراً ﴿ ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ قال: لا أحملكم ﴿ واعفُ عنّا ﴾ إلى

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وفي قوله: لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا إصراً قال: لا أحمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به. قال: لا أحملكم واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين. كان معاذ إذا ختم سورة البقرة قال آمين. (م) عن عبدالله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها. وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قال فراش من ذهب قال فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً أعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً من المقحمات. المقحمات: الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار وأصل الاقتحام الولوج. (ق) عن أبي مسعود الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ: الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل. (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله ﷺ عنده جبريل عليه السلام إذ سمع نقيضاً من فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلاّ اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل من السماء إلى الأرض لم ينزل قط إلاّ اليوم فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلاّ أعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: إن الله كتب لنا كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

آخره، قال: عفوتُ عنكم وغفرتُ لكم ورحمتُكم ونصرتُكم على القوم الكافرين. وكان معاذ بن جبل إذا ختم سورة البقرة قال: آمين. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو أمامة حدّثني مالك بن مسعود عن الزبير بن عدي عن طلحة بن علي بن مصرف عن مُرّة عن عبد الله قال: (لما أُسري برسول الله ﷺ انتُهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض، فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط فوقها فيقبض منها قال: «﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ [النجم: ١٦]، قال: فراش من ذهب، قال: وأُعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: الصلوات الخمس، وأُعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفر لِمَن لا يشرك بالله من أُمته شيئاً من المقحمات). أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، أنا يونس وأحمد بن ثنان قال: ثنا سفيان بن عُيينة عن منصور عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة، مَن قرأهما في ليلة كفتاه، أي عن قيام الليل»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو المنصور السمعاني أنا أبو جعفر الزيّات أخبرنا حميد بن زنجويه أنا العلاء بن عبد الجبّار أنا حمّاد بن سلمة أخبرنا الأشعث بن عبد الرحمن الجرمي عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا تُقرآن في ثلاثِ ليالٍ فيقربها الشيطان».

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تفسير سورة آل عمران

مدنية وهي مائتا آية وثلاثة آلاف وأربع مائة وثمانون كلمة وأربعة عشر ألفاً وخمسمائة وعشرون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ الله لا إله إلّا هو الحي القيوم﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية في وفد نجران وكانوا ستين راكباً قدموا على رسول الله ﷺ وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم وهم العاقب واسمه عبدالمسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلّا عن رأيه، والسيد واسمه الأيهم وهو ثمالهم القائم بمالهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بأمر طعامهم وشرابهم وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم عن علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله ﷺ حين كان يصلي العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب وأردية يقول من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ دعوهم فصلوا إلى المشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ أسلما قالا: قد أسلمنا قبلك. قال كذبتما يمنعكما من الإسلام دعواكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير، قال إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعاً في عيسى فقال النبي ﷺ: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلّا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال: ألستم

سُوْرَة آل عمران

قوله تعالى: ﴿ آلمٓ الله ﴾ قال الكلبي والربيع بن أنس وغيرهما: نزلت هذه الآية في وَفدِ نجران وكانوا ستّين راكباً قَدِموا على رسول الله ﷺ وفيه أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم، العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلّا عن رأيه واسمه عبد المسيح، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وحَبْرهم، دخلوا مسجد رسول الله ﷺ حين صلّى العصر، عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية في جمال رجال، وإذا بالحارث بن كعب يقول: ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم» فصلّوا إلى المشرق، فتكلّم السيد والعاقب فقال لهما رسول الله ﷺ: «أسلما» قالا: قد أسلمنا قبلك، قال: «كذبتما يمنعكما من الإسلام ادّعاؤكما لله ولداً وعبادتكما للصليب وأكلكما الخنزير»، قالا: إن لم يكن ولداً لله فَمَن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فقال لهم النبيّ ﷺ: «ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلّا وهو يشبه أباه»؟ قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن ربّنا حيّ لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء»؟ قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن ربّنا قيّم على كل شيء يحفظه ويرزقه»؟ قالوا: بلى، قال: «فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً»؟ قالوا: لا، قال: «ألستم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الموت. قالوا: بلى قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه. قالوا بلى قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا: لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلاّ ما علم قالوا لا. قال: ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا: بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث. قالوا: بلى قال: فكيف يكون إلهاً كما زعمتم فسكتوا. فأنزل الله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم. فقالوا يا محمد ألست تزعم أن عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم أبوا إلاّ جحوداً فأنزل الله رداً عليهم ﴿الم الله لا إله إلاّ هو﴾ يعني إن كانت منازعتكم يا معشر النصارى في معرفة الإله فهو الله الذي لا إله إلاّ هو فكيف تثبتون له ولداً فبين تعالى أن أحداً لا يستحق العبادة سواه لأنه الواحد الأحد ليس معه إله ولا له ولد ثم أتبع ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى: ﴿الحي القيوم﴾ أما الحي في صفة الله تعالى فهو الدائم الباقي الذي لا يصح عليه الموت. وأما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم.

نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾

﴿نزل عليك الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿بالحق﴾ أي بالصدق والعدل ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والأخبار وبعض الشرائع. وقوله ﴿لما بين يديه﴾ من مجاز الكلام وذلك أن ما بين يديه فهو أمامه فقيل لكل شيء تقدم على الشيء هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره ﴿وأنزل التوراة والإنجيل من قبل﴾ أي من قبل القرآن. فإن قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل. قلت لأن القرآن نزل منجماً مفصلاً

تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء»؟ قالوا: بلى، قال: «فهل يعلم عيسى من ذلك إلاّ ما علم»؟ قالوا: لا، قال: «فإن ربّنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء، وربُّنا لا يأكل ولا يشرب»، قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غُذّي كما يُغذى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث»؟ قالوا: بلى، قال: «فكيف يكون هذا كما زعمتم»؟ فسكتوا، فأنزل الله تعالى صدرَ سورة آل عمران وإلى بضع وثمانين آية منها، فقال عزّ مِنْ قائل: ﴿ الٓمٓ اللهُ ﴾، مفتوح الميم موصول عند العامّة، وإنما فتح الميم لالتقاء الساكنين، حُرّك إلى أخفّ الحركات، وقرأ أبو يوسف ويعقوب بن خليفة الأعمش عن أبي بكر ﴿ الٓمٓ اللهُ ﴾ مقطوعاً مسكّن الميم على نيّة الوقف، ثم قطع الهمزة للابتداء وأجراه على لغة مَن يقطع ألف الوصل، ﴿ لا إلَه إلاّ هو الحيّ القيّوم ﴾. قوله تعالى: ﴿ الله ﴾ ابتداء وما بعده خبره، و﴿ الحيّ القيّوم ﴾ نعتٌ له.

﴿ نزَّلَ عليكَ الكتابَ ﴾ أي: القرآن، ﴿ بالحقّ ﴾، بالصدق، ﴿ مُصدِّقاً لِما بينَ يَدَيْهِ ﴾، لِما قبله من الكتب في التوحيد والنبوّة والأخبار وبعض الشرائع، ﴿ وأنزلَ التوراةَ والإنجيل ﴾.

﴿ مِنْ قَبلُ ﴾، وإنما قال: ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل ﴾ لأنّ التوراةَ والإنجيلَ أُنزلا جملةً واحدةً، وقال في القرآن ﴿ نزّل ﴾ لأنه نزل مفصّلاً، والتنزيل: للتكثير، والتوراة، قال البصريون: أصلها وورية على وزن: فَوْعلة

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

في أوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وأنزل التوراة والإنجيل جملة واحدة ﴿هدى للناس﴾ يعني أن إنزال التوراة والإنجيل قبل القرآن كان هدى للناس. فإن قلت كيف وصف القرآن في أول البقرة بأنه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والإنجيل بأنهما هدى للناس. قلت إنما وصف القرآن بأنه هدى للمتقين لأنهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والإنجيل بأنهما هدى للناس لأن المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والإنجيل فلهذا السبب قال هنا ﴿هدى للناس﴾ وقيل إن قوله هدى للناس يعود إلى الكتب الثلاثة يعني القرآن المتقدم ذكره والتوراة والإنجيل وإنما وصف هذه الكتب بأنها هدى للناس لما فيها من الشرائع والأحكام ﴿وأنزل الفرقان﴾ يعني الفارق بين الحق والباطل قيل أراد به القرآن وإنما أعاد ذكره تعظيماً لشأنه ومد حاله لكونه فارقاً بين الحق والباطل وقيل إنما أعاد ذكره ليبين أنه تعالى أنزله بعد التوراة والإنجيل ليجعله فارقاً بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في أمر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لأنها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل. وقال السدي: في الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان هدى للناس ﴿إن الذين كفروا بآيات الله﴾ يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد ﷺ وقيل إن خصوص السبت لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشيء من آيات الله تعالى: ﴿لهم عذاب شديد والله عزيز﴾ أي غالب لا يغلب ﴿ذو انتقام﴾ يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة.

قوله عز و جل: ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ أي لا يخفى عليه شيء من أمر العالم وهو المطلع على أحوالهم فقوله:

إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء إشارة إلى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام﴾ التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف والأرحام جمع رحم ﴿كيف يشاء﴾ يعني الصور المختلفة المتفاوتة في الحلقة ذكراً أو أنثى أبيض أو أسود حسناً أو قبيحاً كاملاً أو ناقصاً والمعنى أنه الذي يصوركم في ظلمات الأرحام صوراً مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة. (ق) عن عبدالله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق إن خلق أحدكم يجمع في بطن

مثل دوخلة وحَوْقَلة فحوّلت الواو الأولى تاء وجعلت الياء المفتوحة ألفاً فصارت توراة، ثم كتبت بالياء على أصل الكلمة، وقال الكوفيون: أصلها تفعلة مثل توصية وتوفية، فقُلبت ألفاً على لغة طيء، فإنهم يقولون للجارية جاراة، وللناصية ناصاة، وأصلها من قولهم. ورى الزند إذا خرجت ناره وأوريته أنا، قال الله تعالى: ﴿ أفرأيتم النار التي تُورون ﴾ [الواقعة: ٧١] فسمّى التوراة لأنها نور وضياء، قال الله تعالى: ﴿ وضياء وذكرى للمتقين ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وقيل: هي من التورية وهي كتمان السر والتعريض بغيره، وكان في التوراة معاريض من غير تصريح، والإنجيل: أفعيل من النجل وهو الخروج، ومنه سمّي الولد نجلاً لخروجه، فسُمّي الإنجيل به لأن الله تعالى أخرج به دارساً من الحق عافياً ويقال: هو من النجل وهو سَعَة العين، سُمّي به لأنه أنزلَ سعةً لهم ونوراً، وقيل: التوراة بالعبرانية توروتور، معناه: الشريعة، والإنجيل بالسريانية: أنقليون، ومعناه الإكليل. قوله تعالى: ﴿ هُدىً للناس ﴾، هادياً لمَن تَبِعَه، ولم يثنّه لأنه مصدر، ﴿ وأنزلَ الفُرْقَانَ ﴾ المفرّق بين الحق والباطل، وقال السدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها: وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان هدىً للناس، قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفرُوا بآياتِ اللّهِ لهمْ عذابٌ شديدٌ واللّهُ عزيزٌ ذُو انْتِقَام ﴾.

﴿ إنّ اللّهَ لا يخفَى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾.

﴿ هو الذين يُصوّركم في الأرحام كيف يشاء ﴾، من الصور المختلفة ذكراً أو أُنثى أبيضَ أو أسودَ حسناً أو

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه ملك بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله شقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». (ق) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «وكل الله بالرحم ملكاً فيقول: أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: يا رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل؟ فكتب له ذلك في بطن أمه» وقيل إن الآية واردة في الرد على النصارى وذلك أن عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول: أكلت في دارك كذا صنعت كذا وإنه أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص وخلق من الطين طيراً فادعت النصارى فيه الإلهية وقالوا: ما قدر على ذلك إلاّ أنه إله فرد الله تعالى عليهم بذلك. وأخبر أن الإله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه المصور في الأرحام كيف يشاء، وأن عيسى عليه السلام ممن صوره في الرحم فنبه بكونه مصور في الرحم على أنه عبد مخلوق كغيره وأنه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل: ﴿**لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم**﴾ وهذا أيضاً في الرد على النصارى حيث قالوا: عيسى ولد الله كأنه قال: كيف يكون ولد إله وقد صوره الله في الرحم. قوله عز وجل:.

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧

﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب**﴾ يعني القرآن ﴿**منه آيات محكمات**﴾ يعني مبينات مفصلات أحكمت عبارتها

قبيحاً تاماً أو ناقصاً. ﴿ **لا إلَه إلاّ هو العزيز الحكيم** ﴾، وهذا ردٌّ على وَفْدِ نجرانَ من النصارى حيث قالوا: عيسى ولد الله، وكأنه يقول: كيف يكون ولداً وقد صوّره الله تعالى في الرحم؟ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو محمد عبد الرحيم بن أحمد بن محمد الأنصاري أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو خيثمة زهير بن معاوية عن الأعمش عن زين بن وهب قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «أن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعينَ يوماً نطفةً ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلك ثم يَبعثُ اللَّهُ إليه الملكَ أو قال: يُبعث إليه الملَكُ بأربع كلمات، فيُكتبُ رزقُه وعملُه وأجلُه وشقيٌّ أو سعيد، قال: وإن أحدكم ليعملُ بعمل أهلِ الجنةِ حتى ما يكونَ بينهـا وبينه غير ذراعٍ فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بِعملِ أهل النارِ فيَدْخُلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». أخبرنا إسماعيل بن عبد القادر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجّاج أنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي ﷺ قال: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيكتب ذلك فيقول: يا رب أذكَرٌ أم أُنثى؟ فيكتبان، ويُكتبُ عملُه وأجلُه ورزقُه ثم تُطوى الصحف، فلا يُزاد فيها ولا يُنقص».

قوله تعالى: ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات** ﴾ مبيّنات مفصّلات سمّيت محكمات من

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الإحكام كأنه تعالى أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها ﴿هن أم الكتاب﴾ يعني هن أصل الكتاب الذي يعول عليه في الأحكام، ويعمل به في الحلال والحرام فإن قلت: كيف قال هن أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب؟ قلت: لأن الآيات في اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد. وقيل: إن كل آية منهن أم الكتاب كما قال وجلعنا ابن مريم وأمه آية يعني أن كل واحد منهما آية ﴿وأخر﴾ جمع أخرى ﴿متشابهات﴾ يعني أن لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه. فإن قلت: قد جعله هنا محكماً ومتشابهاً وجعله في موضع آخر كله محكماً فقال في أول هود ﴿الر كتاب أحكمت آياته﴾ وجعله في موضع آخر كله متشابهاً. فقال تعالى في الزمر: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾ فكيف الجمع بين هذه الآيات. قلت: حيث جعله كله محكماً أراد أنه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابهاً أراد أن بعضه يشبه بعضاً في الحسن والحق والصدق، وحيث جعله هنا بعضه محكماً وبعضه متشابهاً فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس: المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ ونظيرها في بني إسرائيل ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلّا إياه الآيات﴾. وعنه أن الآيات المحكمة هي الناسخ والمتشابهات هي الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل إن المحكمات ما فيه أحكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً وقيل: إن المحكمات ما طلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لأحد إلى معرفته نحو الخبر عن أشراط الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل: إن المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً والمتشابه ما يحتمل أوجهاً وروي ذلك عن الشافعي وقيل إن المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور. قال ابن عباس إن رهطاً من اليهود منهم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما أتوا النبي ﷺ فقال له حيي بلغنا: أنك أنزل عليك الم فأنشدك الله أأنزل عليك قال

الإحكام كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرّف فيها لظهورها ووضوح معناها، ﴿ هُنَّ أُمُّ الكتاب ﴾، أي: أصله الذي يعوّل عليه في الأحكام، وإنما قال: هنّ أم الكتاب، ولم يقل: أُمهات الكتاب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة، وكلام الله تعالى واحد، وقيل معناه: كل آية منهنّ أُمُّ الكتاب، كما قال: ﴿ وجعلنا ابنَ مريمَ وأُمَّه آيةً ﴾ [المؤمنون: ٥٠] أي: كل واحد منهما آية، ﴿ وأُخَر ﴾، جمع أُخرى، ولم يصرفه لأنه معدول عن الآخر مثل: عُمر وزُفر، ﴿ مُتَشَابهات ﴾، فإن قيل: كيف فرّق ههنا بين المُحكم والمُتشابه وقد جعل الله كلَّ القرآن محكماً في مواضع أُخر فقال: ﴿ آلر كتابٌ أُحكمتْ آياتُه ﴾ [هود: ١] وجعل كلَّه متشابهاً فقال: ﴿ الله نزّلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً متشابهاً ﴾ [الزمر: ٢٣]؟ قيل: حيث جعل الكل محكماً أراد أنّ الكل حقٌّ ليس فيه عَبَثٌ ولا هَزْلٌ، وحيث جعل الكلَّ متشابهاً أراد أن بعضه يُشبه بعضاً في الحق والصدق وفي الحُسن، وجعل ههنا بعضه محكماً وبعضه متشابهاً. واختلف العلماء فيهما فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المُحكمات هنّ الآيات الثلاث في سورة الأنعام: ﴿ قلْ تعالَوا أتلُ ما حرّم ربُّكم عليكم ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ونظيرها في بني إسرائيل: ﴿ وقضى ربُّك ألّا تعبدُوا إلّا إيّاه ﴾ [الإسراء: ٢٣]، الآيات. وعنه أنه قال: المتشابهات حروف التهجّي في أوائل السور. وقال مجاهد وعكرمة: المحكم ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يُشبه بعضه بعضاً في الحق ويُصدّق بعضه بعضاً، كقوله تعالى: ﴿ وما يُضلّ به إلّا الفاسقين ﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿ ويجعل الرِّجْسَ على الذين لا يُؤمنون ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال قتادة والضحاك والسدي: المحكم الناسخ الذي يُعمل به، والمتشابه المنسوخ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

نعم. قال: إن كان ذلك حقاً فإني أعلم مدة ملك أمتك هي إحدى وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيرها؟ قال: نعم آلمص قال: فهذه أكثر هي إحدى وستون ومائة فهل أنزل عليك غيرها؟ قال نعم آلر قال: هذه أكثر هي مائتان وإحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها؟ قال: نعم آلمرقال هذه أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة. وقد اختلط علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا. فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى. ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**﴾ وقيل: إن المحكم ما لم تتكرر ألفاظه والمتشابه ما تكررت ألفاظه وقيل: إن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. والمتشابه ما احتاج إلى بيان وقيل: إن المحكم هو الأمر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والأمثال. فإن قلت: إنما نزل القرآن لبيان الدين وإرشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكماً؟ قلت: ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها. أن القرآن أنزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين أحدهما: الإيجاز للاختصار والموجز الذي لا يخفى على سامعه لا يحتمل غير ظاهره، والإطالة لبيان المراد والتوكيد. الضرب الثاني: المجاز والكنايات والإشارات والتلويحات وإغماض بعض المعاني، وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فأنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله فكأنه قال: عارضوه بأي الضربين شئتم، ولو نزل كله محكماً واضحاً لقالوا: هلا أنزل بالضرب المستحسن عند الجواب الثاني أن الله تعالى أنزل المتشابه لفائدة عظيمة، وهي أن يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه إلى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما أثبتوا على عباداتهم. ولو أنزل القرآن كله محكماً لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة، ومع الغموض تقع الحاجة إلى الفكرة والحيلة إلى استخراج المعاني. وقد قيل في عيب الغنى إنه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر إنه يورث الفطنة. وقيل: إنه يبعث على الحيلة لأنه إذا احتاج احتال. الجواب الثالث: أن أهل كل علم يجعلون في علومهم معاني غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك أذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لأنهم إذ قدروا على انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح أقدر، فلما كان ذلك حسناً عند العلماء جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو.

الذي يُؤمن به ولا يعمل به. وروى عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: محكمات القرآن: ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يُؤمن به، ويعمل به والمتشابهات: منسوخه، ومُقدَّمه، ومُؤخره، وأمثاله، وأقسامه، وما يُؤمَن به ولا يعمل به. وقيل: المحكمات ما أوقف اللّهُ الخلقَ على معناه، والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه، ولا سبيل لأحدٍ إلى علمه، نحو الخبر عن أشراط الساعة، وخروج الدجّال ونزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناء الدنيا. قال أحمد بن جعفر بن الزبير: المحكم ما لا يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه ما يحتمل أوجهاً. وقيل: المحكم ما يُعرف معناه وتكون حجّته واضحةً، ودلائله لائحةً لا يُشتبه، والمتشابه هو الذي يُدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل. وقال بعضهم: المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلاّ بردّه إلى غيره. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية بَاذَان: المتشابه حروف التهجّي في أوائل السور، وذلك أن رهطاً من اليهود منهم حُيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما أتوا النبي ﷺ فقال له حيي: بلغنا أنه أنزل عليك ﴿آلم﴾ [آل عمران: ١] ننشدك الله أأنزلت عليك؟ قال: نعم، قال: فإن كان ذلك حقاً فإني أعلم مدّة مُلك أُمتك هي إحدى وسبعون سنة، فهل أنزل غيرها؟ قال: نعم ﴿آلمّص﴾ [الأعراف: ١]، قال: فهذه أكثر، هي إحدى وسبعون ومائة سنة، قال: فهل غيرها؟ قال: نعم ﴿آلر﴾ [هود: ١، يوسف: ١، إبراهيم: ١ الحجر: ١]، قال: هذه أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة، فهل غيرها؟ قال: نعم ﴿آلمّر﴾ [الرعد: ١]، قال: هذه أكثر هي مائتان وإحدى

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الجواب الرابع: ان الله تعالى أنزل المتشابه في كتابه مختبراً به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه إلى عالمه فيعظم بذلك ثوابه، ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو إسرائيل بالنهر والله أعلم بمراده. وقوله تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ أي ميل عن الحق وقيل: الزيغ الشك واختلفوا في المعنى بهم والمشار إليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله ﷺ في عيسى عليه السلام وقالوا: ألست تزعم أن عيسى روح الله وكلمته؟ قال: بلى قالوا: حسبنا فأنزل الله هذه الآية. وقيل: هم اليهود لأنهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الأمة واستخراجه بحساب الجميل من الحروف المقطعة في أوائل السور. وقيل: هم المنافقون وقيل: هم الخوارج وكان قتادة يقول: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم. وقيل هم جميع المبتدعة ﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾ يعني يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم، ويقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت. وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية. (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ـ إلى ـ وما يذكر إلّا أولو الألباب﴾ فقال: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم» وقوله تعالى: ﴿ابتغاء الفتنة﴾ أي طلب الشرك والكفر. وقيل: طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل: طلب إفساد ذات البين ﴿وابتغاء تأويله﴾ أي تفسيره. وأصل التأويل في اللغة: المرجع والمصير تقول: آل الأمر إلى كذا إذا رجع إليه وتسمى العاقبة تأويلاً لأن الأمر يصير إليه. قال ابن عباس في قوله: وابتغاء تأويله أي طلب بقاء ملك محمد ﷺ وقيل: المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف أحياهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه ﴿وما يعلم تأويله إلّا الله﴾ يعني تأويل المتشابه وقيل: لا يعلم انقضاء ملك هذه الأمة إلّا الله تعالى لأن انقضاء ملكها مع

وسبعون سنة، ولقد خلطت علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله، ونحن ممّن لا يؤمن بهذا، فأنزل الله تعالى: ﴿ هو الذي أنزلَ عليكَ الكتابَ منه آياتٌ محكماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتابِ وأُخَرُ مُتشابهات، فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ ﴾ أي: ميل عن الحق، وقيل: شك، ﴿ فيتّبِعُونَ ما تشابه منه ﴾، واختلفوا في المعنى بهذه الآية، قال الربيع: هم وفد نجران إن خاصمُوا النبيّ ﷺ في عيسى عليه السلام، وقالوا له: ألستَ تزعم أنه كلمة الله ورُوح منه؟ قال: بلى، قالوا: حسبنا ذلك، فأنزل الله هذه الآية. وقال الكلبي: هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخراجه بحساب الجُمل. وقال ابن جريج: هم المنافقون. وقال الحسن: هم الخوارج. وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية ﴿ فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ ﴾ قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري مَن هم؟ وقيل: هم جميع المبتدعة.
أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا عبد الله بن مسلمة أنا يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مُليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأُخر متشابهات ﴾ إلى قوله: ﴿ أُولوا الألباب ﴾، قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيتَ الذين يتّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم» قوله تعالى: ﴿ ابْتغاء الفتنة ﴾: طلبُ الشرك، قاله الربيع والسدي، وقال مجاهد: ابتغاء الشبهات واللّبْس ليضلّوا بها جهّالَهم، ﴿ وابْتغاءَ تأويله ﴾: تفسيره وعِلْمه، دليله قوله تعالى: ﴿ سأنبِّئك بتأويل مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عليه صبراً ﴾ [الكهف: ٧٨]، وقيل: ابتغاء عاقبته، وطلب أجل هذه الأمة من حساب الجُمل، دليله قوله تعالى: ﴿ ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً ﴾ [النساء: ٥٩، الإسراء: ٣٥] أي: عاقبة. قوله تعالى: ﴿ وما يعلم تأويلَه إلاّ اللّهُ، والراسِخُون في العلم ﴾، اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم: الواو في قوله: ﴿ والراسخون ﴾ واو العطف، يعني: أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قيام الساعة. ولا يعلم ذلك إلاّ الله وقيل: يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وعلم الحروف المقطعة، وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالإيمان به واجب وحقائق علومه مفوضة إلى الله تعالى، وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه، وأبي بن كعب وعائشة وأكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله: ﴿إلاّ الله﴾ فيوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل ﴿والراسخون في العلم﴾ أي الثابتون في العلم وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك ﴿يقولون آمنا به﴾ قال ابن عباس: سماهم راسخين في العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم في العلم هو الإيمان به. وقال عمر بن عبدالعزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا آمنا به ﴿كل من عند ربنا﴾ يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه وما لم نعلم ونحن معتبدون في المتشابه بالإيمان به، ونكل معرفته إلى الله تعالى. وفي المحكم يجب علينا الإيمان به والعمل بمقتضاه. وروي عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه فمنه تفسير لا يسع أحداً جهله، وتفسير تعرفه العرب بألسنتها، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلاّ الله. وقيل: إن الواو في قوله والراسخون في العلم واو عطف يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به. روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: أنا من الراسخين في العلم وعن مجاهد عنه أنا ممن يعلم تأويله. ووجه هذا القول أن الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون في القرآن شيء لا يعرفه أحد من الأمة وفي المراد بالراسخين في العلم هنا قولان أحدهما: أنهم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾. والقول الثاني:

علمهم: ﴿ يقولون آمنّا به ﴾، وهذا قول مجاهد والربيع، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ يقولون ﴾ حالاً معناه: والراسخون في العلم مع علمهم قائلين آمنّا به، هذا كقوله تعالى: ﴿ ما أفاء اللَّهُ على رسولهِ من أهلِ القُرى فللّه وللرسول ولذي القربى ﴾ [الحشر: ٧] ثم قال: ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا منْ ديارهم ﴾ [الحشر: ٨] إلى أن قال: ﴿ والذين تبوّؤا الدارَ والإيمانَ مِنْ قبلهم ﴾ [الحشر: ٩] ثم قال: ﴿ والذين جاؤوا من بعدهم ﴾ [الحشر: ١٠]، وهذا عطف على ما سبق، ثم قال: ﴿ يقولون ربّنا اغفِرْ لنا ﴾ [الحشر: ١٠] يعني: هم مع استحقاقهم للفيء يقولون: ربّنا اغفرْ لنا، أي: قائلين على الحال، ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول في هذه الآية: إنّا من الراسخين في العلم، وقال مجاهد: إنّا ممّن يعلم تأويله، وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله: ﴿ والراسخون ﴾ واو الاستئناف وتمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿ وما يعلم تأويلَه إلاّ الله ﴾ وهو قول أُبيّ بن كعب وعائشة وعُروة بن الزبير رضي الله عنهم، ورواية طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الحسن وأكثر التابعين، واختاره الكسائي والفرّاءُ والأخفش، وقالوا: لا يعلم تأويل المتشابه إلاّ الله، ويجوز أن يكون في القرآن تأويلٌ استأثر الله بعلمه ولم يُطلعْ عليه أحداً من خلقه، كما استأثر بعلم الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجّال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ونحوها. والخلقُ مُتعبِّدُون في المتشابه بالإيمان به، وفي المحكم بالإيمان به والعمل، ومما يصدق ذلك قراءة عبدالله (إنْ تأويلُه إلاّ عند الله، والراسخون في العلم يقولون آمنّا)، وفي حرف أُبيّ (ويقول الراسخون في العلم آمنّا به)، وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية: انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: آمنّا به كلٌّ من عند ربنا. وهذا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية. قوله تعالى: ﴿ والراسخون في العلم ﴾ أي: الداخلون في العلم هم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك، وأصله من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته، يقال: رسخ الإيمان في قلب فلان،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أن الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم. سئل أنس بن مالك عن الراسخين في العلم فقال: العالم العامل بما علم المتبع له وقيل، الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى فيما بينه وبين الله تعالى، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين النفس ﴿وما يذكر إلاّ أولو الألباب﴾ أي وما يتعظ بما في القرآن إلاّ ذوو العقول وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا. قوله عز وجل: .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ أي ويقول الراسخون في العلم: ربنا لا تزغ قلوبنا أي لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ ﴿بعد إذ هديتنا﴾ أي وفقتنا لدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك ﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾ أي أعطنا توفيقاً وتثبيتاً للذي نحن عليه من الإيمان والهدى وقيل: هب لنا تجاوزاً ومغفرة ﴿إنك أنت الوهاب﴾ الهبة العطية الخالية عن الأعواض والأغراض والوهاب في صفة الله تعالى أنه يعطي كل أحد على قدر استحقاقه. (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» هذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيه قولان أحدهما: الإيمان به وإمراره كما جاء، من غير تعرض لتأويل ولا تكييف ولا لمعرفة معناه بل نؤمن به كما جاء وأنه حق ونكل علمه إلى مراد الله ورسوله ﷺ

يرسخ رسخاً ورُسوخاً، وقيل: الراسخون في العلم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، دليله قوله تعالى: ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم ﴾ [النساء: ١٦٢]، يعني: الدارسون علم التوراة والإنجيل، وسُئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن الراسخين في العلم، قال: العالِمُ العامِلُ بما عَلِمَ المتَّبِعُ لِما عَلِم. وقيل: الراسخ في العلم مَنْ وُجِدَ في علمه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله، والتواضع بينه وبين الخلق، والزهد بينه وبين الدنيا، والمجاهدة بينه وبين نفسه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي: بقولهم آمنّا به سمّاهم الله تعالى راسخين في العلم، فرسوخهم في العلم قولهم آمنّا به، أي: بالمتشابه، ﴿ كلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا ﴾: المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، وما علمنا وما لم نعلم، ﴿ وما يذّكرُ ﴾: ما يتّعظ بما في القرآن ﴿ إلاّ أولوا الألباب ﴾، ذَوُو العقول.

قوله تعالى: ﴿ ربّنا لا تُزغْ قُلوبَنا ﴾، أي: ويقول الراسخون ربّنا لا تُزغْ قلوبنا، أي: لا تُملْها عن الحق والهدى كما أزغْت قلوبَ الذين في قلوبهم زيغ، ﴿ بعدَ إذْ هَديتَنا ﴾، وفَّقتنا لدينِكَ والإيمان بالمُحكم والمُتشابه من كتابك، ﴿ وهبْ لنا مِنْ لَدُنْكَ ﴾: أعطِنا من عندك، ﴿ رحمةً ﴾، تَوْثيقاً وتثبيتاً للذي نحن عليه من الإيمان والهُدَى. وقال الضحاك: تجاوزاً ومغفرةً، ﴿ إنّك أنْتَ الوهّاب ﴾. أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السُهمي أنا أبو القاسم أحمد بن عدي الحافظ، أنا أبو بكر بن عبد الرحمن بن القاسم القرشي، يُعرف بابن الروّاس الكبير بدمشق، أنا أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني أنا صدقة، أنا ابن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

هذا القول هو مذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفها من أهل الحديث وغيرهم. والقول الثاني إنه يتأول بحسب ما يليق به وأن ظاهره غير مراد قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي يريد أنه تحت قدرته وفي تصرفه إلاّ أنه حال في كفه فمعنى الحديث أنه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراد منها كما لا يمتنع على الإنسان ما بين أصبعيه فخاطب رسول الله ﷺ أصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من أنفسهم، وإنما ثنى لفظ الأصبعين والقدرة واحدة لأنه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وإن كان غير مقصود به التثنية أو الجمع، وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين. وإنما خص القلوب بالذكر لفائدة وهي أن الله تعالى جعل القلوب، محلاً للخواطر والإرادات والنيات وهي مقدمات الأفعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب في الحركات والسكنات والله أعلم. قوله عز وجل: ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ أي ليوم القضاء. وقيل: اللام بمعنى في أي يوم لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه كائن وهو يوم القيامة ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم، وذلك أنهم طلبوا من الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم إنهم اتبعوا ذلك بقولهم: ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ ومعناه إنا نعلم أنك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة، ونعلم أن وعدك حق، وأنك لا تخلف الميعاد فمن أزغت قلبه فهو هالك، ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد. قوله عز وجل: ﴿إن الذين كفروا﴾ يعني برسول الله ﷺ قال ابن عباس: هم قريظة والنضير ﴿لن تغني﴾ أي لن تنفع ولن تدفع ﴿عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ أي من عذاب الله شيئاً وقيل: من بمعنى عند أي عند الله شيئاً ﴿وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون﴾ قال ابن عباس: كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر. وقيل: كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى أن عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله ﷺ وجحود الحق كعادة آل فرعون فإنهم كذبوا موسى وصدقوا

عبد الرحمن بن جابر حدّثني بشر بن عُبيد الله قال: سمعت أبا إدريس الخَوْلاني يقول: حدّثني النواس بن سمعان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ قلبٍ إلاّ وهو بين أصبعينِ من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يزيغه أزاغه، وإن شاء أن يقيمه أقامه» وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللّهمَّ يا مُقلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قلوبَنا على دينك»، والميزان بيد الرحمن يرفع قوماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، حدّثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يزيد بن هارون، أنا سعيد بن أياس الحميري عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ القلبِ كريشة بأرضٍ فلاةٍ تُقلِّبها الرياحُ ظهراً لبطن».

قوله تعالى: ﴿ ربّنا إنك جامعُ الناسِ ليوم ﴾ أي: لانقضاء يوم، وقيل: اللاّم بمعنى: في يوم، ﴿ لا رَيْبَ فيه ﴾ أي: لا شك فيه، وهو يوم القيامة، ﴿ إنّ اللّهَ لا يُخلف الميعاد ﴾، وهو مِفْعال، من الوَعْد.

قوله تعالى: ﴿ إنّ الذين كفرُوا لنْ تُغنيَ ﴾: لن تنفع ولن تدفع، ﴿ عنهم أموالُهم ولا أولادُهم مِنَ الله ﴾، قال الكلبي: من عذاب الله، وقال أبو عُبيدة: من بمعنى عند، أي: عند الله ﴿ شيئاً وأولئك هم وَقُودُ النّار ﴾.

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرعَون ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد: كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب. وقال عطاء والكسائي وأبو عبيدة: كسُنّة آل فرعون. وقال الأخفش: كأمْرِ آل فرعون وشأنهم. وقال النّضر بن شُميل: كعادة آل فرعون، يريد عادة هؤلاء الكفّار في تكذيب الرُسل وجحودِ الحق كعادة آل فرعون، ﴿ والذين مِنْ قَبْلِهم ﴾: كفّار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم، ﴿ كذّبُوا بآياتِنَا فأخذَهُمُ الله ﴾،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فرعون ﴿والذين من قبلهم﴾ يعني كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم ﴿كذبوا بآياتنا﴾ يعني لما جاءتهم بها الرسل ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أي فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم ﴿والله شديد العقاب﴾ وقيل في معنى الآية: إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية فأخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم. قوله عز وجل: .

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون﴾ قرىء بالتاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد أنهم سيغلبون ويحشرون، ومن قرأ التاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم: ستغلبون وتحشرون ﴿إلى جهنم﴾ قيل: أراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة: ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة إلى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي ﷺ يوم بدر: إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وقيل: إن أبا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقيل: إن هذه الآية نزلت في اليهود. وقال ابن عباس: إن يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله ﷺ المشركين يوم بدر، هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وأرادوا إتباعه ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا واقعة أخرى. فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله ﷺ شكواً وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى مكة ليستفزهم فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال ابن عباس وغيره: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل لكم

فعاقبهم الله، ﴿ بِذُنوبهم ﴾، وقيل: نظم الآية: إنّ الذين كفروا لَنْ تغني عنهم أموالهم ولا أولادُهم عند حلول النِّقمة والعقوبة، مثل آل فرعون وكفّار الأمم الخالية، أخذناهم فلن تُغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً، ﴿ واللَّهُ شديدُ العقاب ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قل للذين كفروا سَتُغلبُون وتُحشَرُون إلى جهنم ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما، أي: أنهم يُغلبون ويُحشرون، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على الخطاب، أي: قل لهم إنّكم ستُغلبون وتُحشرون، قال مُقاتل: أراد مشركي مكة، معناه: قل لكفّار مكة ستُغلبون يومَ بدرٍ وتُحشرون إلى جهنم في الآخرة، فلمّا نزلت هذه الآية قال لهم النبي ﷺ: يوم بدر: «إنّ الله غالبُكم وحاشرُكم إلى جهنم»، وقال بعضهم: المراد بهذه الآية اليهود، وقال الكلبي: عن ابن صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن يهود أهل المدينة قالوا لمّا هَزم رسول الله ﷺ المشركين يومَ بدر: هذا والله النبي الذي بُشّرنا به وسُمي، لا تُردّ له راية، وأرادوا اتّباعه، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة أخرى، فلما كان يوم أُحُد ونكب أصحاب رسول الله ﷺ، شكّوا، فغلب عليهم الشقاء، فلم يُسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهدٌ إلى مدة فنقضوا ذلك العهد، وانطلق كعب بن الأشرف في ستّين راكباً إلى مكة يستفزّهم، فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية. وقال محمد بن إسحق عن رجاله، ورواه سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: أنه لمّا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ما نزل بهم فقد عرفتم إني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة وإنا الله لو قاتلناك لعرفت إنا نحن الناس. فأنزل الله عز وجل ﴿**قل للذين كفروا**﴾ يعني من اليهود ﴿**ستغلبون**﴾ أي ستهزمون ﴿**وتحشرون**﴾ يعني في الآخرة إلى جهنم ﴿**وبئس المهاد**﴾ أي الفراش والمعنى: بئس ما مهد لهم في النار. قوله عز وجل: ﴿**قد كان لكم آية في فئتين التقتا**﴾ قيل: الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن. وقيل: هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفاً على الذي قبله فيخرج على قول ابن عباس (١). وقيل: هو خطاب لليهود قاله ابن جرير. فإن قلت: لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لأن الآية مؤنثة؟ قلت: كل ما ليس بمؤنث حقيقي يجوز تذكيره وقيل: إنه رد المعنى إلى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب إلى المعنى وترك اللفظ. وقال الفراء: إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون في فئتين أي فرقتين وأصلها في الحرب لأن بعضهم يفيء إلى بعض أي يرجع ﴿**التقتا**﴾ يعني يوم بدر ﴿**فئة تقاتل في سبيل الله**﴾ أي في طاعة الله وهم رسول الله ﷺ وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلاً من الأنصار، وكان صاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيراً وفرسان وكان معهم من السلاح ستة أذرع وثمانية سيوف. وقوله تعالى: ﴿**وأخرى كافرة**﴾ أي وفرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله ﷺ بعد الهجرة وقوله تعالى: ﴿**يرونهم مثليهم**﴾ قرىء بالتاء يعني ترون أهل مكة ضعفي المسلمين يا معشر اليهود وذلك أن جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلي عدد المسلمين، ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة. وقرىء يرونهم بالياء واختلفوا في

أصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدر ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، وقال: «يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، وأسلِمُوا قبل أن ينزِلَ بكم مثل ما نزل بِهم، فقد عرفتم أني نبيٌّ مُرسل، تجدون ذلك في كتابكم»، فقالوا: يا محمد لا يغرّنّك أنك لقيت قوماً أغماراً لا عِلمَ لهم بالحرب فأصبت منهم فرصةً إنّا والله لو قاتلناكَ لعرفتَ أنّا نحن الناس. فأنزل الله تعالى: ﴿ **قُل للذين كفرُوا** ﴾ - يعني: اليهود ﴿ **ستُغلبون** ﴾ تُهزمون في الدنيا في قتالكم محمداً ﴿ **وتُحشرون** ﴾ في الآخرة ﴿ **إلى جهنم** ﴾، ﴿ **وبِئْسَ المِهَاد** ﴾ أي: الفراش، أي: بئس ما مُهّد لهم، يعني: النار.

قوله تعالى: ﴿ **قدْ كانَ لكم آيةٌ** ﴾، ولم يقل كانتْ، والآية مؤنثة لأنه ردّها إلى البيان، أي: قد كان بيان، فذهب إلى المعنى، وقال الفرّاء: إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل، وكلِ ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه، فمعنى الآية: ﴿ **قد كان لكم آية** ﴾ أي: عبرة ودَلَالة على صدق ما أقول إنكم ستُغلبون، ﴿ **في فئتين** ﴾: فرقتين، وأصلها أفيءُ الحرب، لأن بعضهم يفيء إلى بعض، ﴿ **التقَتَا** ﴾، يوم بدر، ﴿ **فِئَةٌ تقاتل في سبيل الله** ﴾، طاعة الله، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه وهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستّة وثلاثون رجلًا من الأنصار، وصاحب راية المهاجرين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وصاحب رايّة الأنصار سعد بن عبادة، وكان فيهم سبعون بعيراً وفرسَان فرسٌ للمقداد بن عمرو، وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وأكثرهم رَجّالة وكان معهم من السلاح ستّة أدرع وثمانية سيوف. قوله تعالى: ﴿ **وأُخرى كافرةٌ** ﴾ أي: فرقة أخرى كافرة، وهم مشركوا مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً من المقاتلة، يرأسهم عُتبة بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما: يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم. فإن قلت: كيف قال مثليهم وإنما كانوا ثلاثة أمثالهم. قلت: هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا محتاج إلى مثلي هذا الدرهم يعني إلى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو أن يكون الله تعالى أظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المؤمنون أنهم يغلبونهم لإزالة الخوف من قلوبهم، وهذا التأويل الثاني هو الأصح قلل الله المشركون في أعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم. فإن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ﴿**يرونهم مثليهم**﴾ وبين قوله: ﴿**وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم**﴾ وكيف يقال: إن المشركين استكثروا المسلمين أو المسلمين استكثروا المشركين، وإن الفئتين تساويا في استقلال إحداهما الأخرى. قلت: إن التقليل والتكثير كانا في حالتين مختلفتين فإن قيل: إن الفئة الرائية هم المسلمون فإنهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه. ثم قلل الله المشركين في أعين المسلمين حتى اجترؤوا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب. قال ابن مسعود: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا فاهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً. وفي رواية أخرى عنه قال: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة قال فأسرنا منهم رجلاً فقلنا: كم كنتم قال: ألفاً وإن قلنا إن الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم إن الرؤية راجعة إلى المشركين يعني رأى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين في أعين المشركين في أول القتال ليجترئوا عليهم ولا ينصرفوا، فلما أخذوا في القتال كثر الله المسلمين في أعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم، وقد روي أن المشركين لما أسروا يوم بدر قالوا للمسلمين: كم كنتم قالوا: كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً قالوا: يعني المشركين ما كنا نراكم إلاّ تضعفون علينا فكان في وقعة بدر أحوال في التكثير والتقليل وما ذلك إلاّ إظهاراً للقدرة التامة وقوله تعالى: ﴿**رأي العين**﴾ أي في رأي العين ﴿**والله يؤيد**﴾ أي يقوي﴿**بنصره من يشاء إن في ذلك**﴾ يعني الذي ذكر من النصرة. وقيل رؤية الجيش مثليهم ﴿**لعبرة**﴾ أي لآية والعبرة الدلالة الموصلة إلى اليقين المؤدية إلى العلم وأصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم إلى مرادهم.

ربيعة بن عبد شمس وفيهم مائة فرس، وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، ﴿ **يرونَهم مِثْلَيهم** ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب بالتاء، يعني: ترون يا معشر اليهود أهل مكة مثل عدد المسلمين، وذلك أن جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على مَنْ تكون الدائرة فرأوا المشركين مِثْلَي عدد المسلمين ورأوا النصر مع ذلك للمسلمين، فكان ذلك معجزةً وآيةً، وقرأ الآخرون بالياء، واختلفوا في وجهه، فجعل بعضهم الرؤيةَ للمسلمين، ثم له تأويلان، أحدهما: يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم، فإن قيل: كيف قال: ﴿ **مثليهم** ﴾ وهم كانوا هم ثلاثة أمثال؟ قيل: هذا مثل قول الرجل وعنده درهم: أنا أحتاج إلى مثلي هذا الدرهم، يعني: إلى مثليه سواء، فيكون ثلاثة دراهم. والتأويل الثاني وهو الأصح: كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم قلّلهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوهـم ستمائة وستة وعشرين، ثم قلّلهم الله في أعينهم في حالة أخرى، حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون رجلاً واحداً، ثم قلّلهم الله تعالى أيضاً في أعينهم حتى رأوهم عدداً يسيراً أقلّ من أنفسهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه حتى قلتُ لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة. وقال بعضهم: الرؤية راجعة إلى المشركين، يعني: يرى المشركون المسلمين مثليهم، قلّلهم الله قبل القتال في أعين المشركين ليجترىء المشركون عليهم، ولا ينصرفوا، فلما أخذوا في القتال كثّرهم في أعين المشركين، ليَجْبُنوا، وقلّلهم في أعين المؤمنين ليجترؤوا، فذلك قوله تعالى: ﴿ وإذْ يُريكُموهم ـ إذ التقيتم ـ في أعينكم قليلاً ويُقلّلكم في أعينهم ﴾

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وقيل: العبرة هي التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم ﴿لأولي الأبصار﴾ لذوي العقول والبصائر. قوله عز وجل: .

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

﴿زين للناس﴾ قال أهل السنة: المزين هو الله تعالى لأنه تعالى خالق الجميع أفعال العباد ولأن الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده وإباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ وقال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ وقال الله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ وقال تعالى: ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ وكل ذلك يدل على أن المزين هو الله تعالى. ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن: المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك أن الله تعالى زهد في هذه الأشياء بأن أعلم عباده زوالها. ولأن الله تعالى أطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة، والمزين لذلك هو الشيطان، ولأن الله تعالى ذكر هذه الأشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى ﴿والله عنده حسن المآب﴾. ونقل عن أبي علي الجبائي من المعتزلة أن كل ما كان حراماً كان المزين له هو الشيطان، وكل ما كان مباحاً كان المزين له هو الله تعالى، والصحيح ما ذهب إليه أهل السنة لأن الله تعالى خالق كل شيء ولا شريك له في ملكه. وقوله تعالى: ﴿حب الشهوات﴾ يعني المشتهيات لأن الشهوة توقان النفس إلى الشيء المشتهى ﴿من النساء﴾ إنما بدأ بذكر النساء لأن الالتذاذ بهن أكثر، والاستئناس بهن أتم، ولأنهن حبائل الشيطان وأقرب إلى الافتتان ﴿والبنين﴾ إنما خص البنين بالذكر لأن حب الولد الذكر أكثر من حب الأنثى ووجه حبه ظاهر لأنه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه. وقد جعل الله تعالى في قلب الإنسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقاء التوالد ولو زالت تلك المحبة لما حصل ذلك ﴿والقناطير المقنطرة﴾ جمع قنطار وسمي قنطاراً من الإحكام والعقد يقال: قنطرته إذا أحكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل محدود أو غير محدود؟ على قولين أحدهما: أنه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ بن جبل أن القنطار ألف ومائتا أوقية. وقال ابن عباس: ألف ومائتا مثقال وعنه أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وبه قال الحسن: وقال سعيد بن جبير: هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم. ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا، وقال سعيد بن المسيب وقتادة:

[الأنفال: ٤٤]. قوله تعالى: ﴿ رَأْيَ العين ﴾ أي: في رأي العين، نُصب بنزع حرف الصفة، ﴿ والله يُؤيِّد بنصره مَنْ يشاء إنّ في ذلك ﴾، الذي ذكرتُ، ﴿ لعبرةً لأُولي الأبصار ﴾، لذوي العقول، وقيل: لمَن أبصر الجَمعين.

قوله تعالى: ﴿ زُيِّن للنّاسِ حُبُّ الشهواتِ ﴾، جمع شهوة، وهي ما تدعو النفس إليه، ﴿ مِنَ النِّساءِ ﴾، بدأ بهنّ لأنهنّ حبائل الشيطان، ﴿ والبنين والقناطير ﴾، جمع قنطار، واختلفوا فيه، فقال الربيع بن أنس: القنطار المال الكثير بعضه على بعض، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: القنطار ألف ومائتا أوقية، لكل أوقية أربعونَ درهماً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحّاك: ألف ومائتا مِثْقال، وعنهما رواية أُخرى: اثنا عشر ألفَ درهم وألف دينار، ديَةُ أحدكم. وعن الحسن قال: القنطار ديَة أحدكم، وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم، ولقد جاء الإسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا. وقال سعيد بن المسيب وقتادة: ثمانون ألفاً، وقال مجاهد: سبعون ألفاً. وعن السدي قال: أربعة آلاف مثقال، وقال الحكم: القنطار ما بين السماء

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

هو ثمانون ألفاً وقال مجاهد: سبعون ألفاً. وقال السدي: هو أربعة آلاف مثقال والقول الثاني: إن القنطار ليس بمحدود. وقال الربيع بن أنس: القنطار مال الكثير بعضه على بعض وروي عن أبي عبيدة أنه حكي عن العرب أن القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره. وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والأرض من مال. وقال أبو نصرة: القنطار ملء مسك ثور ذهباً أو فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيهاً بعبور القنطرة المقنطرة أي المجموعة وقيل: المضاعفة لأن القناطير جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة أن تكون ستة أو تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة ﴿من الذهب والفضة﴾ إنما بدأ بهما من بين سائر أصناف الأموال لأنهما قيم الأشياء وإنما كانا محبوبين لأن المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة. وقيل سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى والفضة لأنها تنفض أي تتفرق ﴿والخيل المسومة﴾ الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الأفراس خيلاً لاختيالها في مشيتها. وقيل: لأن الخيل لا يركبها أحد إلّا وجد في نفسه مخيلة عجباً واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة أقوال القول الأول: إنها الراعية يقال أممت الدابة وسومتها إذا أرسلتها المرعى والمقصود أنها إذا رعت زاد حسنها والقول الثاني أنها من السمة وهي العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل: الثالث هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل وقيل: هي الخيل البلق وقيل: هي المعلمة بالكي. والقول الثالث: إنها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها ﴿والأنعام﴾ جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها إلّا للإبل خاصة فإنه غلب عليها ﴿والحرث﴾ يعني الزرع ﴿ذلك﴾ يعني ذلك الذي ذكر من هذه الأصناف ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية يشير إلى أن الحياة الدنيا متاع يفني ﴿والله عنده حسن المآب﴾ أي المرجع، فيه إشارة إلى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة. وقيل: فيه إشارة إلى أن من أتاه الله الدنيا كان الواجب عليه أن يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لأنها السعادة القصوى. قوله عز وجل: .

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

﴿قل أؤنبئكم﴾ أي أخبركم ﴿بخير من ذلكم﴾ يعني الذي ذكر من متاع الدنيا ﴿للذين اتقوا﴾ قال ابن عباس

والأرض من مال، وقال أبو نصرة: ملءُ مَسْكِ ثورٍ ذهباً أو فضةً. وسُمّي قنطاراً من الإحكام، يقال: قنطرتُ الشيءَ إذا أحكمته، ومنه سُمّيت القنطرة. قوله تعالى: ﴿ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾، قال الضحاك: المُحصّنة المُحكمة. وقال قتادة: هي الكثيرة المنضّدة بعضها فوق بعض. وقال يمان: هي المدفونة. وقال السدي: هي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير. وقال الفرّاء: المضعّفة. فالقناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة، ﴿ مِنَ الذهبِ والفِضّة ﴾، قيل: سُمّي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى، والفضة فضةً لأنها تنفض، أي: تتفرق، ﴿ والخَيْلِ المُسَوّمَةِ ﴾: الخيل جمعٌ لا واحد له من لفظه، وَاحِدُها فرس، كالقوم والنساء ونحوهما، و﴿ المُسوّمة ﴾ قال مجاهد: هي المُطهمة الحِسان. وقال عكرمة: تسويمها حُسنها، وقال سعيد بن جبير: هي الراعية، يقال: أسامَ الخيلَ وسَوّمها، وقال الحسن وأبو عبدة: هل المعلّمة من السيماء العلامة، ثم منهم مَن قال: سيماها الشبه واللون، وهو قول قتادة، وقيل: الكَي، ﴿ والأنْعَام ﴾، جمع النَّعَم، وهي الإبل والبقر والغنم، جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، ﴿ والحَرْثِ ﴾ يعني: الزرع، ﴿ ذلك ﴾، الذي ذكرتُ، ﴿ متاعُ الحياةِ الدنيا ﴾، يشير إلى أنها متاع يفنَى، ﴿ والله عنده حُسنُ المآب ﴾ أي: المرجع، فيه إشارة إلى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ قلْ أؤُنبّئكم ﴾ أي: أخبركم ﴿ بخيرٍ من ذلكم للذين اتّقوْا عند ربّهم جنّاتٌ تجري مِنْ تَحْتِها.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

في رواية عنه يريد المهاجرين والأنصار. أراد أن يعرفهم ويشوقهم إلى الآخرة قال العلماء: ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك ﴿عند ربهم﴾ معناه أن الله تعالى أخبر أن ما عنده خير مما كان في الدنيا وإن كان محبوباً فحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر لك الخير فقال تعالى: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله﴾. (ق) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: يا رب وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك: فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك فيقول، أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً وقيل: إن العبد إذا علم أن الله تعالى قد رضي عنه كان أتم لسروره وأعظم لفرحه ﴿والله بصير بالعباد﴾ يعني أن الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازى كلاًّ على عمله فيثبت ويعاقب على قدر الأعمال. وقيل: إن الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعدلهم الجنات. قوله عز وجل: .

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾

﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا﴾ أي صدقنا ﴿فاغفر لنا ذنوبنا﴾ أي استر علينا وتجاوز عنا ﴿وقنا عذاب النار﴾. قوله عز وجل: ﴿الصابرين﴾ يعني على أداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات، وفي البأساء والضراء وحين البأس. وقيل: الصابرين على دينهم وما أصابهم ﴿والصادقين﴾ يعني في إيمانهم. وقال قتادة: هم قوم صدقت نياتهم واستقامت ألسنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والأفعال والنية، فأما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل إتمامه، والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه. ﴿والقانتين﴾ يعني المطيعين لله وقيل لهم المصلون، وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها ﴿والمنفقين﴾ يعني أموالهم في طاعة الله تعالى، ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى أهله وأقاربه وصلة رحمه، والزكاة والنفقة في جميع القربات ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل إلى طلوع الفجر، وقيل كانوا يصلون بالليل حتى إذا كان وقت السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم في ليلهم. قال نافع: كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: لا فيعاود الصلاة فإذا قلت

الأنهارُ خالدين فيها وأزواجٌ مطهرةٌ ورِضْوانٌ مِنَ الله﴾، قرأ العامّة بكسر الراء، وروى أبو بكر عن عاصم بضمّ الراء، وهما لغتان كالعِدوان والعُدوان. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يحيىٰ بن سليمان حدّثني ابن وهب حدّثني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبّيك يا ربنا وسَعْدَيْكَ والخيرُ في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: يا ربِّ وما لنا لا نرضَى وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون يا ربِّ وأيُّ شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول أُحِلُّ عليكم رِضْواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً». قوله تعالى: ﴿واللَّهُ بصيرٌ بالعباد﴾.

﴿الذين يقولون﴾، إن شئتَ جعلتَ محل ﴿الذين﴾ خفضاً ردّاً على قوله: ﴿للذين اتقوا﴾ وإن شئتَ جعلتَه رفعاً على الابتداء، ويُحتمل أن يكون نصباً تقديره: أعني الذين يقولون: ﴿ربّنا إنّنا آمنّا﴾، صدقنا،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح. (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: «قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له. وفي لفظ مسلم فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية أخرى فيقول: هل من سائل؟ فيعطى هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح»؟ هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الإيمان به وإجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه، والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات. قال أبو سليمان الخطابي: إنما ينكر هذا الحديث من يقيس الأمور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل، وانتقال من فوق إلى تحت وهذا صفة الأجسام، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه، وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم، ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله دعاءهم، ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وقيل في قوله: والمستغفرين بالأسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين أنهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم أنهم يستغفرون بالأسحار. وروي أن لقمان قال لابنه: يا بني لا تكن أعجز من الديك فإنه يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك. وقيل: هم الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول إنما سميت الصلاة استغفاراً لأنهم طلبوا بفعلها المغفرة.

قوله عز وجل: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ قيل سبب نزول الآية أن حبرين من أحبار الشام قدما على النبي ﷺ فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم، قالا وأنت أحمد؟ قال: نعم. قالا فإنا نسألك عن شيء: فإن أنت أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال: اسألاني قالا: فأخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل، فأنزل الله هذه الآية فأسلم الحبران. وقيل: إن هذه الآية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى: **شهد الله** يعني بيّن الله وأظهر لأن معنى الشهادة تبيين وإظهار. وقيل: معنى شهد الله حكم الله وقضى. وقيل: معناه أعلم الله أنه لا إله إلّا هو وذلك بيان الدلائل لما أمكن التوصل إلى معرفة الوحدانية، فهو تعالى أرشد عباده إلى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته سئل بعض

﴿ **فاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنا** ﴾ استرها علينا وتجاوزْ عنّا، ﴿ **وقِنَا عذَابَ النّار** ﴾.

﴿ **الصابرين والصادقين** ﴾، إن شئتَ نصبتَها على المدح، وإن شئتَ خفضتَها على النعت، يعني: الصابرين في أداء الأوامر، وعن ارتكاب النهي، وعن البأساء والضرّاء وحين البأس والصادقين في إيمانهم، قال قتادة: هم قوم صدقتْ نيّاتُهم واستقامتْ قلوبُهم وألسنتُهم فصدقوا في السر والعلانية، ﴿ **والقانتين** ﴾، المطيعين المصلّين، ﴿ **والمنفقين** ﴾ أموالهم في طاعة الله، ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾، قال مجاهد وقتادة والكلبي: يعني المصلّين بالأسحار وعن زيد بن أسلم أنه قال: هم الذين يُصلّون الصبح في الجماعة، وقيل: بالسحر لقربه من الصبح، وقال الحسن: مدّوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا، وقال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنهما يُحيي الليل، ثم يقول: يا نافع أسَحِرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، فإذا قلت: نعم، قعد وأخذ يستغفر الله ويدعو حتى يُصبح. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو محمد بن الحسن بن أحمد المخلدي حدّثنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج، أنا قتيبة أنا يعقوب بن عبد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزلُ اللّهُ إلى السماء الدنيا كلَّ ليلةٍ حينَ يبقَى الثلثُ الأخير، فيقول: أنا الملك مَن ذَا الذي يدعُوني

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأعراب ما الدليل على وجود الصانع؟ فقال: إن البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على وجود الصانع الخبير. قال ابن عباس: خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، فشهد لنفسه بنفسه قبل أن خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر، فقال تعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴿والملائكة﴾ أي وشهد الملائكة فمعنى شهادة الله تعالى الإخبار والإعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار والاعتراف بأنه لا إله إلاّ هو، ولما كان كل واحد من هذين الأمرين يسمى شهادة حسن إطلاق لفظ الشهادة عليهما ﴿وأولو العلم﴾ أي وشهد أولوا العلم بأنه لا إله إلا هو، واختلفوا في أولي العلم فقيل: هم الأنبياء عليهم السلام لأنهم أعلم الخلق بالله تعالى وقيل: هم علماء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار وقيل: هم علماء مؤمني أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه، وقيل: هم علماء جميع المؤمنين ﴿قائماً بالقسط﴾ أي بالعدل نصب على الحال والقطع أو المدح ومعناه أنه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال: فلان قائم بأمر فلان يعني أنه مدبر له ومتعهد لأسبابه، وفلان قائم بحق فلان، أي أنه مجاز له فالله مدبر أمر خلقه وقائم بأرزاقهم ومجاز لهم بأعمالهم ﴿لا إله إلا هو﴾ إنما كرره للتأكيد، وقيل إن الأول وصف وتوحيد والثاني رسم وتعليم أي قولوا لا إله إلاّ هو. وقيل فائدة تكرارها الإعلام بأن هذه الكلمة أعظم الكلام وأشرفه فيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها، فإنه من اشتغل بها فقد اشتغل بأفضل العبادات ﴿العزيز﴾ أي الغالب الذي لا يقهر ﴿الحكيم﴾ يعني في جميع أفعاله ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ يعني أن الدين المرضي عند الله هو الإسلام كما قال تعالى: ﴿ورضيت لكم ٱلإسلام ديناً﴾ وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية، وادعت النصارى أنه لا دين أفضل من النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال: إن الدين عند الله الإسلام. وقرىء أن الدين بفتح الهمزة رداً على أن الأولى والمعنى شهد الله أنه لا إله إلاّ هو، وشهد أن الدين عند الله الإسلام، وأصل الدين في اللغة الجزاء. يقال كما تدين تدان ثم صار اسماً للملة والشريعة، ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة، قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالإقامة عليه، والإسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة. وروى البغوي بسند الثعلبي عن غالب القطان قال: أتيت الكوفة في تجارةٍ فنزلت

فأستجيب له، مَن ذا الذي يسألني فأُعطيه، مَن ذا الذي يستغفرني فأغْفِر له»، وحُكي عن الحسن: أن لقمان قال لابنه: يا بني لا تكن أعجز من هذا الدِّيك يصوِّت بالأسحار، وأنت نائم على فراشك.

قوله تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إلٰه إلاّ هو ﴾، قيل: نزلت هذه الآية في نصارى نجران. وقال الكلبي: قَدِمَ حَبْران من أحبار الشام على النبي ﷺ فلما أبصرَ المدينةَ قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة، فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم، قالا له: وأنت أحمد؟ قال: أنا محمد وأحمد، قالا له: فإنّا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنّا بكَ وصدّقناكَ، فقال: نعم، قالا: فأخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عزّ وجلّ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأسلم الرجلان. قوله: ﴿ شهد الله ﴾ أي بيّن اللّهُ، لأن الشهادة تبيينٌ، وقال مجاهد: حَكَمَ الله، وقيل: عَلِمَ الله أنه لا إلٰه إلاّ هو. قال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، فشهد بنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا برّ ولا بحر، فقال: ﴿ شهد الله أنه لا إلٰه إلاّ هو ﴾، وقوله: ﴿ والملائكة ﴾، أي: وشهدتِ الملائكة، قيل: معنى شهادة الله: الإخبار والإعلام، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار، ﴿ وأُولوا العلم ﴾، يعني: الأنبياء عليهم السلام، وقال ابن كيسان: يعني المهاجرين

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قريباً من الأعمش فكنت أختلف إليه فلما كان ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية ﴿شهد الله أنه لا إله إلّا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم﴾ قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة إن الدين عند الله الإسلام قالها مراراً. قلت: سمع فيها شيئاً فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له: إني سمعتك ترددهما فما بلغك فيها؟ قال: والله لا أحدثك فيها إلى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة، فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة فقال: حدثني أبو وائل عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: يجاء بصاحبها يوم القيامة. فيقول الله عز وجل: إن لعبدي هذا عندي عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة. قوله عز وجل: .

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

﴿**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب**﴾ قال الكلبي: نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام والمعنى: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ ﴿**إلا من بعد ما جاءهم العلم**﴾ يعني بيان نعته وصفته في كتبهم. وقال الربيع: إن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلاً من خيار بني إسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة والاختلاف، بينهم، وهم الذين

والأنصار. وقال مقاتل: علماء مؤمني أهل الكتاب، عبد الله بن سلام وأصحابه. قال السدي والكلبي: يعني جميع علماء المؤمنين. ﴿ **قائماً بالقسط** ﴾ أي: بالعدل، ونظم الآية: شهد الله قائماً بالقسط، نصبٌ على الحال، وقيل: نصب على القطع، ومعنى قوله: ﴿ **قائماً بالقسط** ﴾ أي: قائماً بتدبير الخلق، كما يقال: فلان قائم بأمر فلان أي: مدبّرٌ له ومتعهد لأسبابه، وفلان قائم بحق فلان أي: مجازٍ له، فالله تعالى مدبرٌ ورازقٌ ومجازٍ بالأعمال، ﴿ **لا إله إلّا هو العزيز الحكيم** ﴾.

﴿ **إن الدِّينَ عندَ اللّهِ الإسلام** ﴾، يعني: الدين المَرضي الصحيح، كما قال: ﴿ ورضيتُ لكم الإسلام ديناً ﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿ ومَن يبتغِ غيرَ الإسلام دِيناً فلنْ يُقبل منه ﴾ [آل عمران: ٨٥] وفتح الكسائي الألف من (**أن الـــدين**) ردّاً على أن الأولى، تقديره: شهد الله أنه لا إله إلّا هو وشهد أن الدين عند الله الإسلام، أو شهد الله أن الدين عند الله الإسلام بأنه لا إله إلّا هو، وكسر الباقون الألف على الابتداء، والإسلام: هو الدخول في السِّلم، وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم، أي: دخل في السلم، واستسلم، قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ **إنّ الدّين عندَ اللّهِ الإسلام** ﴾، قال: شهادة أن لا إله إلّا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودلّ عليه أولياءه، فلا يقبل غيره، ولا يُجزي إلّا به أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي، أنا أبو عمر الفراوي أنا أبو موسى عمران بن موسى، أنا الحسن بن سفيان أنا عمّار بن عمرو بن المختار، حدّثني أبي عن غالب القطّان، قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش، وكنت أختلف إليه، فلما كنت ذات ليلة أردت أن أتحدّر إلى البصرة، فإذا الأعمش قائم من الليل يتهجّد فمرّ بهذه الآية ﴿**شهد الله أنه لا إله إلّا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم** ﴾، ثم قال الأعمش: وأنا أشهدُ بما شهدَ اللّهُ به، وأستودعُ اللّهَ هذه الشهادةَ وهي لي عند الله وديعة، إن الدين عند الله الإسلام، قالها مراراً. قلت: لقد سمع فيها شيئاً، فصلّيت الصبح معه وودعته، ثم قال: قلت: إني سمعتك تقرأ آية تردِّدها، فما بلغك فيها؟ قال

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف، وذلك بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة من الأحكام ﴿بغياً بينهم﴾ أي طلباً بينهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة. وقيل: نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعني الإنجيل واختلافهم كان في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، وما ادعوا فيه من الإلهية إلا من بعد ما جاءهم العلم. يعني بأن الله تعالى واحد أحد وأن عيسى عبده ورسوله بغياً بينهم يعني المعاداة والمخالفة. ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ قوله عز وجل:.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠﴾

﴿فإن حاجوك﴾ أي خاصموك يا محمد في الدين، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا: لسنا على ما سميتنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الإسلام ونحن عليه فأمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن يحتج عليهم بأنه اتبع أمر الله الذي هم يقرون به بقوله: ﴿فقل أسلمت وجهي لله﴾أي انقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي، وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف جوارح الإنسان الظاهرة إذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقيل: أراد بالوجه العمل أي خلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الله ﴿ومن اتبعن﴾ يعني ومن أسلم كما

لي: أوَمَا بلغك ما فيها؟ قلتُ: أنا عندكَ منذ سنتين لم تحدّثني، قال: والله لا أحدّثك بها إلى سنة، فكتبتُ على بابه ذلك اليوم، وأقمتُ سنةً فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد مضت السنة، قال: حدّثني أبو وائل عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله: إن لعبدي هذا عندي عهداً وأنا أحقّ مَنْ وَفَّى بالعهد، أَدْخِلُوا عبدي الجنة». قوله تعالى: ﴿ وما اختلفَ الذي أوتوا الكتابَ ﴾، قال الكلبي: نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام، أي: وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب في نبوّة محمد ﷺ ﴿ إلاّ من بعد ما جاءهم العلم ﴾ يعني: بيان نعته في كتبهم، وقال الربيع بن أنس: إن موسى عليه السلام لمّا حضره الموت دعا سبعين رجلاً من أحبار بني إسرائيل فاستودعهم التوراة واستخلف يُوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أُوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين، حتى أهرقوا بينهم الدماء، ووقع الشرّ والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة، ﴿ بغياً بينهم ﴾ أي: طلباً للملك والرياسة فسلّط الله عليهم الجبابرة، وقال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت في نصارى نجران ومعناها: وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب، يعني: الإنجيل في أمر عيسى عليه السلام، وفرّقوا القول فيه، إلّا من بعد ما جاءهم العلم بأن الله واحد، وأن عيسى عبده ورسوله، بغياً بينهم أي: للمعاداة والمخالفة، ﴿ وَمَنْ يكفرْ بآياتِ اللّهِ فإنّ اللّهَ سريعُ الحساب ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فإن حاجُّوكَ ﴾ أي: خاصموك يا محمد في الدين، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا: ألسنا ما سمّيتنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب، والدين هو الإسلام ونحن عليه؟ فقال الله تعالى: ﴿ فقل أسلمتُ وجهيَ لله ﴾ أي: انقدْتُ لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي، وإنما خصّ الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان، وفيه بهاؤه فإذا خضع وجهه للشيء فقد خضع له جميع جوارحه. وقال الفرّاء: معناه أخلصتُ عملي لله، ﴿ ومَنِ اتّبعنِ ﴾ أي: ومَن اتّبعني فأسلم كما أسلمتُ، وأثبت نافع وأبو عمرو الياء في قوله تعالى: ﴿ اتّبعني ﴾ على الأصل

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أسلمت أنا ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿والأميين﴾ يعني مشركي العرب ﴿أأسلمتم﴾ لفظه استفهام ومعناه أمر أي أسلموا ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ يعني إلى الفوز والنجاة في الآخرة، فلما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا: قد أسلمنا فقال لليهود: أتشهدون أن موسى كليم الله وعبده ورسوله فقالوا: معاذ الله وقال للنصارى: أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا: معاذ الله أن يكون عيسى عبداً قال الله تعالى: ﴿وإن تولوا﴾ أي أعرضوا ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ يعني تبليغ الرسالة. وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في الآية فذهب طائفة إلى أنها محكمة، والمراد بها تسلية النبي ﷺ لأنه كان يحرص على إيمانهم ويتألم لتركهم الإجابة، وذهب طائفة إلى أنها منسوخة بآية السيف لأن المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف ﴿والله بصير بالعباد﴾ يعني أنه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن.

قوله عز وجل: :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إن الذين يكفرون بآيات الله﴾ يعني يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى ﴿ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ كان أنبياء بني إسرائيل يأتيهم الوحي ولم يكن يأتيهم كتاب لأنهم كانوا ملتزمين بأحكام التوراة، فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضاً، فهم الذين يأمرون بالقسط يعني بالعدل من الناس. روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ «قال رجل: قتل نبياً أو رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ويقتلون النبيين بغير حق

وحذفه الآخرون على الخطأ لأنهما في المصحف بغير ياء، وقوله: ﴿ وقلْ للذين أُوتوا الكتابَ والأمّيّين ﴾، يعني: العرب ﴿ أأسلمتم ﴾، لفظه استفهام ومعناه أمرٌ أي: وأسلموا، كما قال: ﴿ فهلْ أنتم منتهون ﴾ [المائدة: ٩١] أي: انتهوا، ﴿ فإنْ أسلمُوا فقدِ اهتَدَوا ﴾، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال أهلِ الكتاب: أسلمنا، فقال لليهود: أتشهدون أن عُزيراً عبدُه ورسوله؟ فقالوا: معاذ الله أن يكون عُزير عليه السلام عبداً، وقال للنصارى: أتشهدون أن عيسى كلمةُ الله وعبدُه ورسوله؟ قالوا: معاذ الله أن يكون عيسى عبداً، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ وإنْ تولَّوا فإنّما عليكَ البلاغ ﴾ أي: تبليغ الرسالة، وليس عليك الهداية، ﴿ واللّهُ بصيرٌ بالعباد ﴾، عالم بمَنْ يُؤمن وبمَن لا يؤمن.

قوله تعالى: ﴿ إنّ الذين يكفُرون بآياتِ الله ﴾، يجحدون بآيات الله، يعني: القرآن، وهم اليهود والنصارى، ﴿ ويقتُلونَ النبيّين بغيرِ حقٍّ ويقتلون الذينَ يأمرونَ بالقِسْطِ مِنَ الناس ﴾، قرأ حمزة (ويقاتلون الذين يأمرون) بألف، قال ابن جريج: كان الوحي يأتي على أنبياء بني إسرائيل ولم يكن يأتيهم كتابُ الله فيذكرون قومهم فيقتلون أنبياءهم، فيقوم رجال ممّن تبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون أيضاً فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي، أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد فنجويه الدِّينَوري،أنا أبو نصر منصور بن جعفر النهاوندي، أنا أحمد بن يحيىٰ بن الجارود أنا محمد بن عمرو بن حيّان أنا محمد بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ إلى أن انتهى إلى قوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم» ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ إنما دخلت الفاء في قوله فبشرهم مع أنه خبر إن لأنه في معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشرهم بعذاب أليم يوم القيامة، وهذا محمول على الاستعارة وهو أن إنذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب، وفي هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ وإن كان أسلافهم الذين قتلوا الأنبياء لأنهم رضوا بفعلهم ﴿أولئك الذين حبطت﴾أي بطلت ﴿أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ وبطلان العمل هو أن لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة ﴿وما لهم من ناصرين﴾ يعني يمنعونهم من العذاب. قوله عز وجل: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ أنزلت في اليهود ﴿يدعون إلى كتاب الله﴾ يعني القرآن، وذلك أن اليهود دعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه. قال ابن عباس: إن الله جعل القرآن حكماً فيما بينهم وبين رسول الله ﷺ، فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فأعرضوا عنه. وروي عن ابن عباس أيضاً أن رسول الله ﷺ دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: على ملة إبراهيم. قال: إن إبراهيم كان يهودياً فقال رسول الله ﷺ: هلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله

حمير أنا أبو الحسن مولى بني أسد عن مكحول عن قُبيصة بن ذؤيب الخُزاعي عن أبي عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ أيُّ الناسِ أشدُّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبيّاً أو رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴾، إلى أن انتهى إلى قوله: ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: يـا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثةً وأربعين نبيّاً في أول النهار في ساعة واحـدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عُبّادِ بني إسرائيل فأمروا مَن قتلوهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوهم جميعاً في آخر النهار في ذلك اليـوم، فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم، ﴿ فبشّرهم ﴾، أخبرهم ﴿ بعذابٍ أليم ﴾، وَجِيْعٍ»، وإنما أدخل الفاء على الباء في خبر ﴿ إن ﴾ لتضمّن الدين معنى الشرط والجزاء، لأن تقديره: الذين يكفرون ويقتلون فبشّرهم، لأنه لا يقال: إن زيد فقائم.

﴿ أولئك الذين حبطتْ أعمالُهم في الدنيا والآخرةِ وما لهمْ مِنْ ناصرين ﴾، وبطلان العمل في الدنيا أن لا يقبل وفي الآخرة أن لا يُجازَى عليه.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ أُوتوا نَصيباً مِنَ الكتاب ﴾، يعني: اليهود، ﴿ يُدْعَونَ إلى كتاب الله ﴾، اختلفوا في هذا الكتاب، فقال قتادة: هم اليهودُ دُعوا إلى حُكم القرآن فأعرضوا عنه، وروى الضحّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: إن الله تعالى جعل القرآن حُكماً فيما بينهم وبين رسول الله ﷺ فحكم القرآن على اليهود والنصارى: أنهم على غير الهدى، فأعرضُوا عنه، وقال الآخرون: هو التوراة. وروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، فقال له نُعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أيِّ دين أنت يا محمد؟ فقال: على مِلّة إبراهيم، فقالا: إن إبراهيم كان يهودياً، فقال رسول الله ﷺ: «فهلمّوا إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم»، فأبيا عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الآية. فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة. وروي عنه أيضاً أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما إلى رسول الله ﷺ ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم. فقال النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو: جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم. فقال رسول الله ﷺ: «بيني وبينكم التوراة» فقالوا: قد أنصفت. فقال من أعلمكم بالتوراة؟ فقالوا رجل أعور يقال له عبدالله بن صوريا يسكن فدك فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: أأنت ابن صوريا؟ قال: نعم قال: أنت أعلم اليهود بالتوراة. قال: كذلك يزعمون. فدعا رسول الله ﷺ بالتوراة وقال له: اقرأ فقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبدالله بن سلام: يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله ﷺ وعلى اليهود وفيها: أن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجماً، وإن كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب**﴾ يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون إلى كتاب الله يعني القرآن أو التوراة على اختلاف الروايتين ﴿**ليحكم بينهم**﴾ أي ليقضي بينهم وإضافة الحكم إلى الكتاب هو على سبيل المجاز ﴿**ثم يتولى فريق منهم**﴾ يعني الرؤساء والعلماء ﴿**وهم معرضون**﴾ يعني عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلماء، والذين أعرضوا هم الأتباع.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

﴿**ذلك بأنهم**﴾ يعني ذلك التولي والإعراض إنما حصل بسبب أنهم ﴿**قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات**﴾ تقدم تفسيره في سورة البقرة ﴿**وغرّهم**﴾ أي وأطمعهم ﴿**في دينهم ما كانوا يفترون**﴾ أي يحلفون ويكذبون قيل: هو

وكان في كتابهم الرجم فكرهُوا رَجمهما لشرفهما فيهم، فرفعوا أمرهم إلى رسول الله ﷺ ورجوا أن يكون عنده رخصة، فحكم عليهما بالرجم، فقال له النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو: جِرْتَ عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «بيني وبينكما التوراة»، فقالوا: قد أنصفتنا، قال: «فمَن أعلمكم بالتوراة»؟ قالوا: رجل أعور يسكنُ فِدْك يقال له ابن صوريا، فأرسلوا إليه فقَدِمَ المدينة وكان جبريل قد وصفه لرسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أنت ابن صوريا»، قال: نعم، قال: «أنت أعلم اليهود»؟ قال: كذلك يزعمون، قال: فدعا رسول الله ﷺ بشيء من التوراة فقال له: «اقرأ»، فلما أتى على آية الرجم وضع كفّه عليها، وقرأ ما بعدها على رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن سلام: يا رسول الله قد جاوزها، فقام فرفع كفّه عنها، ثم قرأ على رسول الله ﷺ وعلى اليهود بأن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البيّنة رُجِمَا، وإن كانت امرأة حُبلى تربص حتى تضع ما في بطنها، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين فرُجما فغضب اليهود لذلك وانصرفوا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب** ﴾ التوراة (حظّاً من الكتاب) ﴿**يُدعون إلى كتاب الله**﴾﴿ **ليحكم بينهم ثم يتولّى فريقٌ منهم وهمْ مُعرِضون** ﴾.

﴿ **ذلك بأنهم قالوا لَنْ تَمَسّنا النارُ إلاّ أياماً معدوداتٍ، وغرّهم في دينهم** ﴾، والغرور: هو الأطماع فيما لا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل: هو قولهم: لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأنتم على الباطل ﴿فكيف إذا جمعناهم﴾ أي فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ﴿ليوم﴾ أي في يوم ﴿لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت﴾ أي لا شك فيه أنه كائن وواقع وهو يوم القيامة، وفيه تهديد لهم واستعظام لما أعد لهم في ذلك اليوم، وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وإن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم. قيل: إن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود تفضحهم على رؤوس الأشهاد ثم يؤمر بهم إلى النار ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي لا ينقص من حسناتهم إن كانت لهم حسنة ولا يزاد على سيئاتهم. قوله عز وجل: ﴿قل اللّهم مالك الملك﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ دعا ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فأنزل الله هذه الآية. وقال ابن عباس: لما فتح رسول الله ﷺ مكة وعد أمته ملك فارس والروم، فقال المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقيل: إن اليهود قالوا: والله لا نطيع رجلاً جاء ينقل النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم فنزلت هذه الآية ﴿قل اللّهم﴾ معناه يا الله لما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره. وقيل: إن الميم فيه معنى آخر وهو يا الله أمنا بخير أي اقصدنا مالك الملك أي مالك العباد وما ملكوا. وقيل: مالك السموات والأرض، وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل: معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعي الملك أحد غيره. وفي بعض كتب الله المنزلة أنا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة، وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم. وقيل: الملك هو القدرة والمالك هو القادر. والمعنى أنه تعالى قادر على كل شيء، وملك على كل مالك، ومملوك وقادر ومقدور. وقيل: معناه مالك الملك أي جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء ﴿تؤتي الملك من تشاء﴾ يعني النبوة لأنها أعظم مراتب الملك، وذلك لأن النبي ﷺ

يحصل منه شيء، ﴿ ما كانوا يَفْتَرُون ﴾، والافتراء: اختلاق الكذب.

قوله تعالى: ﴿ فكيف إذا جمعناهم ﴾، أي: فكيف حالهم أو كيف يصنعون إذا جمعناهم، ﴿ ليومٍ لا ريبَ فيه ﴾، وهو يوم القيامة ﴿ ووُفّيت ﴾، وفرت ﴿ كلُّ نفسٍ ما كَسَبتْ ﴾ أي: جزاء ما كَسَبتْ من خير أو شر ﴿ وهم لا يُظلمون ﴾ أي: لا ينقص من حسناتهم ولا يُزاد على سيئاتهم.

قوله تعالى: ﴿ قلِ اللّهمّ مالِكَ المُلك ﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ سأل ربّه أن يجعل مُلك فارس والروم في أُمته فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال ابن عباس رضي الله عنـه وأنس بن مالك رضي الله عنه: لما فتح رسول الله ﷺ مكة وَعَدَ أمته مُلك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ﷺ مُلك فارس والروم؟ وهم أعزّ وأمنع من ذلك، ألم يكفِ محمداً مكة والمدينة حتى طمع في مُلك فارس والروم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ قلِ اللّهمّ ﴾ قيل: معناه يا الله، فلما حُذف حرف النداء زيد الميم في آخره، وقال قوم: للميم فيه معنى، ومعناها اللّهمَّ أمِنّا بخير، أي: أقصدنا، حذف منه حرف النداء، كقولهم هَلُمَّ إلينا، كان أصله هلْ أُمَّ إلينا، ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافاً وربما خفّفوا أيضاً فقالوا: لا هُمَّ، قوله: ﴿ مالك الملك ﴾، يعني: يا مالك الملك، أي: مالك العباد ومَا مَلَكُوا، وقيل: يا ملك السموات والأرض، وقال الله تعالى في بعض الكتب: «أنا الله مَلِكُ الملوك ومَالِكُ الملوك قُلوب المُلوك ونواصيهم بيدي، فإنِ العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمةً وإن عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسبِّ الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطّفهم عليكم». قوله تعالى: ﴿ تُؤتي المُلكَ مَن تشاء ﴾، قال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني مُلك النبوّة، وقال الكلبي: تُؤتي المُلكَ مَن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

له الأمر على بواطن الخلق وظواهرهم، والملك ليس له الأمر إلّا على ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة ﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾ يعني بذلك نزع النبوة من بني إسرائيل وإيتاءها محمداً ﷺ فإنه لا نبي بعده ولم يشركه في نبوته ورسالته أحد، وقيل: تؤتي الملك من تشاء يعني محمداً ﷺ وأصحابه وتنزع الملك ممن تشاء، يعني من أبي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني أمة محمد ﷺ وتنزع الملك ممن تشاء يعني فارس والروم. وقيل: تؤتي الملك من تشاء يعني آدم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعني إبليس وجنوده الذين كانوا في الأرض قبل آدم. ﴿وتعز من تشاء﴾ يعني محمداً ﷺ بالنبوة والرسالة ﴿وتذل من تشاء﴾ يعني اليهود بأخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم، وقيل: تعز المهاجرين والأنصار، وتذل فارس والروم، وقيل: تعز من تشاء يعني محمداً وأصحابه دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها، وتذل من تشاء يعني أبا جهل وأضرابه حين قتلوا وألقوا في قليب بدر يوم بدر، وقيل: تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية، وقيل: تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر، وقيل: تعز من تشاء بالقناعة والرضا، وتذل من تشاء بالحرص والطمع ﴿بيدك الخير﴾ يعني النصر والغنيمة. وقيل: الألف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات. فإن قلت: كيف قال بيدك الخير دون الشر. قلت: لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه الله تعالى إلى عباده المؤمنين وهو الذي أنكرته اليهود والمنافقون فقال: بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم أعدائك. وقيل: إن قوله بيدك الخير لا ينافي أن يكون بيد غيره، فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه إلا أنه خص الخير بالذكر لأنه المنتفع به والمرغوب فيه. ﴿إنّك على كل شيء قدير﴾ يعني من إيتاء الملك من تشاء، وإعزاز من تشاء وإذلال من تشاء.

تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)

قوله تعالى: ﴿تولج اللّيل في النهار﴾ الآية. لما ذكر الله تعالى أنه مالك الملك أردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار، وفي المعاقبة بينهما وحال إخراج الحي من الميت ثم عطف عليه أنه يرزق من يشاء بغير

تشاء محمداً وأصحابه، ﴿ وتَنزِعُ المُلْكَ ممّن تشاء ﴾ أبي جهل وصناديد قريش، وقيل: تُؤتي المُلْكَ مَن تشاء: العرب، وتنزِع الملك ممّن تشاء: فارس والروم، وقال السدي: تُؤتي المُلْكَ مَن تشاء، آتى الله الأنبياء عليهم السلام المُلْكَ وأمر العباد بطاعتهم، وتَنْزِعُ المُلْكَ ممّن تشاء، نزعه من الجبّارين، وأمر العباد بخلافهم، وقيل: تؤتي المُلْكَ مَن تشاء: آدم وولده، وتنزع المُلْكَ ممّن تشاء: إبليس وجنوده، وقوله تعالى: ﴿ وتُعِزُّ مَن تشاء وتُذِلُّ مَن تشاء ﴾، قال عطاء: تُعزّ مَن تشاء المهاجرين والأنصار، وتُذلّ مَن تشاء: فارس والروم، وقيل: تُعزّ مَن تشاء محمداً ﷺ وأصحابه، حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها، وتُذلّ مَن تشاء أبا جهل وأصحابه، حتى جُزّت رؤوسهم وأُلقوا في القليب، وقيل: تُعزّ مَن تشاء: بالإيمان والهداية. وتُذلّ مَن تشاء: بالكفر والضلالة، وقيل: تُعزّ مَن تشاء بالطاعة، وتُذلّ مَن تشاء بالمعصية، وقيل تُعزّ مَن تشاء بالنصر، وتُذلّ مَن تشاء بالقهر، وقيل: تُعزّ مَن تشاء بالغنَى، وتُذلّ مَن تشاء بالفقر، وقيل: تُعزّ مَن تشاء بالقناعة والرضى، وتُذلّ مَن تشاء بالحرص والطمع، ﴿ بِيَدِكَ الخير ﴾ أي: بيدك الخيرُ والشرّ فاكتفى بذكر أحدهما. قال تعالى: ﴿ سرابيل تقيكم الحرَّ ﴾ [النحل: ٨١] أي: الحرّ والبرد، فاكتفى بذكر أحدهما. ﴿ إنّكَ على كلِّ شيءٍ قدير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ تُولج الليل في النهار ﴾، أي: تدخل الليل في النهار، حتى يكون النهار خمسَ عشرة ساعةً والليل تسعَ ساعات، ﴿ وتُولج النهارَ في الليل ﴾، حتى يكون الليلُ خمسَ عشرة ساعةً، والنهارُ تسعَ ساعات، فما

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

حساب، وفي ذلك دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة لذوي الأفهام والعقول، فهو قادر أن ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى: ﴿ **تولج الليل في النهار**﴾ يعني تدخل الليل في النهار وهو أن تجعل الليل قصيراً وما نقص منه زائداً في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة ذلك غاية طول النهار، ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل. ﴿**وتولج النهار في الليل**﴾ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله، ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره. وقيل: المراد أنه تعالى يأتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار، ويأتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الأول أصح وأقرب إلى معنى الآية لأنه إذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج. ﴿**وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي**﴾ وهو أنه تعالى يخرج الإنسان الحي من النطفة وهي ميتة، ويخرج النطفة من الإنسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس، وكذلك سائر الحيوان. وقيل: يخرج النبات الغض الأخضر من الحب اليابس، ويخرج النخلة من النواة وبالعكس. وقيل: معناه أنه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لأن المؤمن حي الفؤاد، والكافر ميته ﴿**وترزق من تشاء بغير حساب**﴾ يعني من غير تضييق ولا تقتير، بل تبسط الرزق لمن تشاء وتوسعه عليه. قوله عز وجل: ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**﴾ قال ابن عباس: كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفرٍ من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبدالله بن جبير وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقيل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة. وقيل: نزلت في عبدالله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون المشركون واليهود ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك.

نقص من أحدهما زاد في الآخر، ﴿ **وتُخرج الحيَّ من الميتِ وتُخرج الميتَ من الحي** ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿ **الميت** ﴾ بتشديد الياء ههنا وفي [الأنعام: ٩٥] و[يونس: ٣١] و[الروم: ١٩] وفي قولـه: ﴿ لبلد ميت ﴾ [الأعراف: ٥٧] وفي قولـه: ﴿ إلى بلد ميت ﴾ [فاطر: ٩] زاد نافع ﴿ أو مَن كان ميتاً فأحييناه ﴾ [الأنعام: ١٢٢] و﴿ لحم أخيه ميتاً ﴾ [الحجرات: ١٢] و﴿ الأرض الميتة أحييناها ﴾ [يٓس: ٣٣] فشدّدها، والآخرون يُخفّفونها، وشدّد يعقوب ﴿ **يُخرج الحيّ من الميت** ﴾ و﴿ لحم أخيه ميتاً ﴾ [الحجرات: ١٢] قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة: معنى الآية يُخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة، ويخرج النطفة من الحيوان، وقال عكرمة والكلبي: تخرج الحيّ من الميت، أي: الفرخ من البيضة وتُخرج البيض من الطير، وقال الحسن وعطاء: يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، والمؤمنُ حيّ الفؤاد والكافر ميتُ الفؤاد، قال الله تعالى: ﴿ أو مَن كان ميتاً فأحييناه ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وقال الزجّاج: يُخرج النبات الغَضَّ الطري من الحبّ اليابس، ويُخرج الحبّ اليابس من النبات الحيّ النامي. ﴿ **وترزق مَن تشاء بغير حساب** ﴾ من غير تضييق ولا تقتير. أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، أنا محمد بن علي بن زيد الصائغ، أنا محمد بن أزهر، أنا الحارث بن عمير، أنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران ﴿ **شهد الله** ﴾ إلى قوله: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام﴾، ﴿**وقل اللّهمّ مالك الملك**﴾ إلى قوله: ﴿ **بغير حساب** ﴾ مشفعّات معلّقات بالعرش ما بينهنّ وبين الله عزّ وجلّ حجاب، قلن: يا ربّ تُهبطنا إلى أرضك وإلى مَن يعصيك؟ قال الله عزّ وجلّ: بي حلفت لا يقرأكُنّ أحد من عبادي دُبُرَ كلِّ صلاةٍ إلاّ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وقيل: إن عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الأحزاب: يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية. وقوله:

﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء**﴾ يعني أنصاراً وأعواناً من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين، والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين أن يوالوا الكفار أو يلاطفوهم لقرابة بينهم أو محبة أو معاشرة، والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان ﴿**ومن يفعل ذلك**﴾ يعني موالاة الكفار من نقل الأخبار إليهم وإظهار عورة المسلمين أو يودهم ويحبهم ﴿**فليس من الله في شيء**﴾ أي فليس من دين الله في شيء. وقيل: معناه فليس من ولاية الله في شيء وهذا أمر معقول من أن ولاية المولى معاداة أعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان ﴿**إلا أن تتقوا منهم تقاة**﴾ أي إلّا أن تخافوا منهم مخافة. ومعنى الآية أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلّا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفاراً فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان دفعاً عن نفسه من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً أو غير ذلك من المحرمات، أو يظهر الكفار على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى: ﴿**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾ ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على إظهار إيمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم، وأنكر قوم التقية اليوم وقالوا: إنما كانت التقية في جدة الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين، فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام والمسلمين فليس لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم. قال يحيى البكاء:

جعلت الجنّة مثواه على ما كان فيه وأسكنته في حظيرة القدس، ونظرت إليه بعيني المكنونة، وقضيتُ له كلّ يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، وأعذتُه من كل عدو وحاسد، ونصرتُه عليهم». رواه الحارث بن عمر وهو ضعيف.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **لا يتخذِ المؤمنونَ الكافرين أولياءَ من دونِ المؤمنين** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الحجّاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلّا مباطنتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال مقاتل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، وكانوا يُظهِرون المودّة لكفّار مكة، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في المنافقين: عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولّون اليهودَ والمشركين ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم، قوله تعالى: ﴿ **ومَنْ يفعلْ ذلك** ﴾ أي: مُوالاةِ الكُفّارِ في نقل الأخبار إليهم وإظهارهم على عَوْرَةِ المسلمين، ﴿ **فليسَ مِنَ الله في شيء** ﴾ أي: ليس من دين الله في شيء، ثم استثنى فقال: ﴿ **إلّا أن تتقوا منهم تُقاة** ﴾ يعني: إلّا أن تخافوا منهم مخافة، قرأ مجاهد ويعقوب (تقيــة) على وزن بقية لأنهم كتبوها بالياء، ولم يكتبوها بالألف: مثل حصاة ونواة، وهي مصدر يقال: تقيت تقاة وتقى تقية وتقوى، فإذا قلت: اتقيت كان المصدر الاتقاء وإنما قال تتقوا من الاتقاء، ثم قال: تقاة ولم يقل: اتقاءً لأن معنى اللفظين إذا كان واحداً يجوز إخراج مصدر أحدهما على لفظ الآخر، كقوله تعالى: ﴿ وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ [المزّمّل: ٨] ومعنى الآية: إن الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفّار ومداهنتهم ومباطنتهم، إلّا أن يكون الكفّار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن، في قوم كفّار يخافهم فيداريهم باللسان، وقلبُه مطمئن بالإيمان دفعاً عن نفسه من

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج: إن الحسن يقول: التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان فقال سعيد: ليس في الأمان تقية إنما التقية في الحرب. وقيل: إنما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي ويخوفكم الله أن تعصوه بأن ترتكبوا المنهي أو تخالفوا المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله. ﴿وإلى الله المصير﴾ يعني أن الله يحذركم عقابه إذا صرتم إليه في الآخرة. قوله عز وجل: .

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم﴾ يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وإنما ذكر الصدر لأنه وعاء القلب ﴿أو تبدوه﴾ يعني تبدوا مودة الكفار قولاً وفعلاً وقيل معناه إن تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله ﷺ أو تبدوه أي تظهروه بالحرب والمقاتلة له ﴿يعلمه الله﴾ أي يحفظه عليكم ويجازيكم به، ﴿ويعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني أنه تعالى إذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم إليهم بقلوبكم ﴿والله على كل شيء قدير، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ يعني تجد كل نفس جزاء ما عملت محضراً يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شيء، ﴿وما عملت من سوء﴾ أي تجد ما عملت من الخير محضراً فتسر به وما عملت من سوء ﴿تود﴾ أي تتمنى ﴿لو أن بينها وبينه﴾ أي وبين ما عملت من السوء ﴿أمداً بعيداً﴾ أي مكاناً بعيداً قيل: كما بين المشرق والمغرب والأمد

غير أن يستحلّ دماً حراماً أو مالاً حراماً أو يظهر الكفّار على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلّا مع خوف القتل وسلامة النيّة، قال الله تعالى: إلّا مَن أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ثم هذا رخصة، فلو صبر حتى قُتل فله أجرٌ عظيم، وأنكر قوم التقية اليوم وقال معاذ بن جبل ومجاهد: كان في جِدّةِ الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين، فأما اليوم فقد أعزّ الله الإسلام فليس ينبغي لأهل الإسلام أن يتّقوا من عدوهم، وقال يحيىٰ البكاء: قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج إن الحسن كان يقول لكم: تقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان، فقال سعيد: ليس في الإسلام تقية، إنما التقية في أهل الحرب، ﴿ وَيُحذِّرُكُمُ اللَّهُ نفْسَه ﴾ أي: يُخوفكم الله عقوبَته على مُوالاة الكفّار وارتكاب المنهي ومخالفة المأمور، ﴿ وإلى الله المصير ﴾.

﴿ قل إن تُخفوا ما في صدوركم ﴾، قلوبكم من مودّة الكفّار، ﴿ أو تُبدوه ﴾ من موالاتهم، قولاً وفعلاً، ﴿ يَعْلَمْه الله ﴾، قال الكلبي: إن تُسروا ما في قلوبكم لرسول الله ﷺ من التكذيب، أو تُظهروه بحربِهِ وقتاله، يَعْلَمْهُ اللَّهُ ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به، ثم قال: ﴿ ويعلمُ ما في السمواتِ وما في الأرض ﴾، يعني: إذا كان لا يخفَى عليه شيءٌ في السموات ولا في الأرضِ؟ فكيف يخفى عليه مُوالاتكم الكفّار وميلكم إليهم بالقلب؟ ﴿ واللَّهُ على كلِّ شيءٍ قدير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يومَ تجِدُ كلُّ نفسٍ ﴾ نصب ﴿ يوم ﴾ بنزع حرف الصفة أي: في يوم، وقيل: بإضمار فعل أي اذكروا واتقوا يومَ تجدُ كلُّ نفس، ﴿ ما عملتْ من خيرٍ محضراً ﴾ لم يبخس منه شيء كما قال الله تعالى: ﴿ ووَجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿ وما عملتْ من سُوء ﴾ جعل بعضهم خيراً في موضع النصب، أي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأجل والغاية، وقيل معناه تود أنها لم تعمله ويكون بينها وبينه أمد بعيد ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ إنما كرره لتأكيد الوعيد ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ قيل: معناه أنه رؤوف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه، وأنه يمهل ولا يهمل. وقيل: معناه أنه رؤوف بالعباد حيث أمهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح. وقيل: إنه تعالى لما قال: ويحذركم الله نفسه وهو وعيد أتبعه بقوله والله رؤوف بالعباد، وهو وعد ليعلم العبد المؤمن أن رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه. قوله عز وجل:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه فنزلت هذه الآية، فعرضها رسول الله ﷺ عليهم فلم يقبلوها. وقال ابن عباس: وقف رسول الله ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال: يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل فقالت قريش: إنما نعبدها حباً لله لتقربنا إلى الله زلفى فنزلت هذه الآية. وقيل: إن نصارى نجران قالوا: إنما نقول هذا القول في عيسى حباً لله وتعظيماً له فأنزل الله ﴿قل يا محمد إن كنتم تحبون الله﴾ فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لأنه قد ثبتت نبوة محمد ﷺ بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته. والمعنى قل: إن كنتم صادقين في ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لأوامره مطيعين له فاتبعوني، فإن اتباعي من محبة الله تعالى وطاعته. وقال العلماء: إن محبة العبد لله عبارة عن إعظامه وإجلاله وإيثار طاعته واتباع أمره ومجانبة نهيه، ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ يعني أن من غفر له فقد أزال عنه العذاب ﴿والله غفور رحيم﴾ يعني أنه تعالى يغفر ذنوب من أحبه ويرحمه بفضله وكرمه، ولما نزلت هذه الآية قال

تجدُ محضراً ما عملتْ من الخير والشر، فَتُسَرُّ بما عملت من الخير، وجعل بعضهم خيراً مستأنفاً، ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما ﴿ وما عملتْ من سوء ودّتْ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ قوله تعالى: ﴿ تودّ لو أن بينها ﴾ أي: بين النفس ﴿ وبينه ﴾ يعني وبين السوء ﴿ أمداً بعيداً ﴾ قال السدي: مكاناً بعيداً، وقال مقاتل: كما بين المشرق والمغرب والأمد والأجل، والغاية التي ينتهي إليها، وقال الحسن: يسرّ أحدُهم أن لا يلقى عملَه أبداً وقيل: يوَدّ أنه لم يَعْمَلْه ﴿ ويحذركم اللّهُ نفسَه واللّهُ رءوفٌ بالعباد ﴾.

﴿ قلْ إن كنتم تُحبّون اللّهَ فاتّبِعُوني يُحْبِبْكُم اللّهُ ﴾، نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقال الضحّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: (وقف النبي ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلّقوا عليها بَيْضَ النّعام وجعلوا في آذانها الشُّنُوف وهم يسجدون لها، فقال: والله يا معشر قريش لقد خالفتم مِلّةَ أبيكم إبراهيم وإسماعيل، فقالت له قريش: إنما نعبدها حبّاً لله ليُقرّبونا إلى الله زُلْفى)، فقال الله تعالى: قلْ لهم يا محمد إنْ كنتم تُحبّون اللّهَ وتعبدون الأصنام ليُقرِّبوكم إليه، فاتّبِعُوني يُحببكم الله، فأنا رسوله إليكم وحجّته عليكم، اتبعوا شريعتي وسُنّتي يُحببكم الله، فحبُّ المؤمنين لله اتّباعهم أمرَه وإيثار طاعتَه، وابتغاء مرضاته؛ وحبُّ الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ ويغفر لكم ذنوبَكم والله غفور رحيم ﴾، قيل: لمّا نزلت هذه الآية قال عبد الله بن أُبي لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نُحبّه كما أحبّتِ النصارى عيسى ابنَ مريم، فنزل قوله تعالى:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عبدالله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى ابن مريم فأنزل الله عز وجل: ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ يعني أن طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله ﷺ فإن طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله ﷺ ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه: كل أمر أو نهي ثبت عن رسول الله ﷺ جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما أمر الله به في كتابه أو نهى عنه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فإن طاعتكم لمحمد ﷺ طاعتكم لي، فأمّا أن تطيعوني وتعصوا محمداً فلن أقبل منكم. ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ أي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم. (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلاّ من أبى قالوا: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى». (ق) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني». قوله عز وجل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً﴾ قال ابن عباس: قالت اليهود: نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله هذه الآية. والمعنى أن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام وأنتم يا معشر اليهود على غير دين الإسلام. ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهي الخالص من كل شيء آدم هو أبو البشر عليه السلام ونوحاً هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام. وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي سليمان الدمشقي أن اسم نوح السكن وإنما سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه ﴿وآل إبراهيم﴾ قيل: أراد بآل إبراهيم

﴿ قلْ أطيعوا اللّهَ والرسولَ فإن تولّوا ﴾: أعرضوا عن طاعتهما، ﴿ فإن اللّهَ لا يُحبُّ الكافرين ﴾، لا يرضى فعلَهم ولا يغفرُ لهم. أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن سنان أنا فليح أنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ من أمتي يدخلون الجنة إلاّ مَن أبى»، قالوا: ومَن يأبى؟ قال: «مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى»، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا محمد بن عبادة، أنا يزيد، أنا سليمان بن حيان وأثنى عليه، أنا سعيد بن ميناء قال: حدّثنا أو سمعت جابر بن عبد الله يقول: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقالوا: مثله كمثل رجل بنَى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمَن أجاب الداعي دخل الدارَ وأكلَ من المأْدُبة، ومَن لم يُجبِ الداعي لم يدخل الدارَ ولم يأكلْ من المأدبة، فقالوا: أوّلوها يفقّها فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: أمّا الدار: الجنة، وأمّا الداعي: محمد ﷺ، فمَن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومَن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمدٌ ﷺ فرّق بين الناس.

قوله تعالى: ﴿ إنّ الله اصطفى آدمَ ونوحاً ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحق ويعقوب، ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني: إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام، وأنتم على غير دين الإسلام. اصطفى: اختار، افتعل من الصفوة، وهي الخالص من كل شيء، آدم أبا البشر ونوحاً، ﴿ وآلَ إبراهيم وآلَ عمران ﴾، قيل: أراد بآلِ إبراهيم وآلِ عمران إبراهيم عليه السلام وعمران

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

إبراهيم نفسه، وقيل آل إبراهيم إسماعيل وإسحاق ويعقوب وذلك أن الله تعالى جعل إبراهيم أصلاً لشعبتين فجعل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أصلاً للعرب ومحمد ﷺ منهم فهو داخل في هذا الاصطفاء، وجعل إسحاق أصلاً لبني إسرائيل، وجعل فيهم النبوة والملك إلى زمن نبينا محمد ﷺ ثم جمع له ولأمته النبوة والملك إلى يوم القيامة. وقيل: أراد بآل إبراهيم من كان على دينه ﴿وآل عمران﴾ واختلفوا في عمران هذا فقيل: هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهو والد موسى وهارون فيكون آل عمران موسى وهارون أو نفسه، وقيل: هو عمران بن آشيم بن آمون وقيل: ابن ماتان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام، وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل من نسلهم ﴿على العالمين﴾ أي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة ﴿ذرية﴾ أي اصطفى ذرية وأصلها من ذرأ بمعنى خلق وقيل: من الذر لأن الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وإنما سمي الآباء والأبناء ذرية لأن الله خلق بعضهم من بعض، فالأبناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو ممن ذرأه الله تعالى أي خلقه ﴿بعضها من بعض﴾ أي بعضها من ولد بعض وقيل: بعضها من بعض في التناصر والتعاضد وقيل: بعضها على دين بعض ﴿والله سميع عليم﴾ يعني أن الله تعالى سميع لأقوال العباد عليم بنياتهم وإنما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولاً وفعلاً.

قوله عز وجل: ﴿إذ قالت امرأة عمران﴾ هي حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل: ابن أشيم وليس بعمران أبي موسى لأن بينهما ألفاً وثمانمائة سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل في ذلك الزمن وأحبارهم وملوكهم ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾ أي جعلت الحمل الذي في بطني نذراً محرراً مني لك، والنذر ما يوجبه الإنسان على نفسه، والمعنى محرراً أي عتيقاً خالصاً مفرغاً لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا أشغله بشيء من أمور الدنيا. قيل: كان المحرر عندهم إذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح

أنفسهما، كقوله تعالى: ﴿ وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، يعني: موسى وهارون، وقال آخرون: آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وكان محمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام، وأما آل عمران فقد قال مقاتل: هو عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام، وآله: موسى وهارون، وقال الحسن ووهب: هو عمران بن أشهم بن عمون من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، وآله: مريم وعيسى، وقيل: عمران بن ماثان، وإنما خُصَّ هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرّسل كلهم من نسلهم، ﴿ على العالمين ﴾.

﴿ ذُريةً ﴾، اشتقاقها من ذرا بمعنى خلق، وقيل: من الذر لأنه استخرجهم من صلب آدم كالذر، ويسمى الأولاد والآباء ذريّة، فالأولادُ ذُريّة، لأنه ذراهم، والآباء ذُريّة لأنه ذرا الأبناء منهم، قال الله تعالى: ﴿ وآية لهم أنّا حملنا ذُرِّيَّتهم ﴾ [يٓس: ٤١] أي: آباءهم، ﴿ ذرية ﴾ نُصب على معنى: واصطفى ذرية ﴿ بعضُها من بعضٍ ﴾ أي: بعضها من ولدِ بعض، وقيل: بعضها من بعض في التناصر، وقيل: بعضها على دين بعض، ﴿ والله سميع عليم ﴾.

﴿ إذْ قالتِ امرأة عِمْرَان ﴾، وهي حنّة بنت فاقوذا أم مريم، وعمران: هو عمران بن ماثان، وليس بعمران أبي موسى عليه السلام، لأن بينهما ألفاً وثمانمائة سنة، وقيل كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة، وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألفا سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم، وقيل: عمران بن أشهم، قوله تعالى: ﴿ ربِّ إنّي نذرتُ لكَ ما في بطني مُحَرَراً ﴾ أي: جعلتُ لك الذي في بطني محرراً نذراً منّي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مقيماً فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فإن أحب أقام فيها، وإن أحب ذهب حيث شاء، فإن اختار الخروج بعد أن اختار الإقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك، ولم يكن أحد من أنبياء بني إسرائيل ومن علمائهم إلا ومن أولاده محرر لخدمة بيت المقدس، ولم يكن يحرر إلاّ الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والأذى فحررت أم مريم ما في بطنها، وكانت القصة في ذلك على ما ذكره أصحاب السير والأخبار أن زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت إيشاع بنت فاقوذا وهي أم يحيى عند زكريا، وكانت حنة بنت فاقوذا أخت إيشاع عند عمران وهي أم مريم، وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وكبرت وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان، فبينما هي في ظل شجرة إذ بصرت بطائر يطعم فرخاً فتحركت نفسها بذلك للولد، فدعت الله أن يهب لها ولداً وقالت: اللّهم لك علي إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها: ويحك ما صنعت أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعاً في هم شديد من أجل ذلك. فمات عمران قبل أن تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكياً عنها ﴿فتقبل مني﴾ يعني فتقبل نذري، والتقبل أخذ الشيء على الرضا وأصله من المقابلة لأنه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله إلاّ الطلب لرضا الله تعالى والإخلاص في دعائه وعبادته ﴿إنك أنت السميع﴾ يعني لتضرعي ودعائي ﴿العليم﴾ يعني بنيتي وما في ضميري. قوله عز وجل: .

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فلما وضعتها﴾ أي ولدت حملها وإنما قال: وضعتها لأنه كان في علم الله أنها جارية وكانت حنة ترجو أن يكون غلاماً ﴿قالت﴾ يعني حنة ﴿رب إني وضعتها أنثى﴾ تريد بذلك اعتذار إلى الله من إطلاقها النذر المتقدم

لك، ﴿ فتقبلْ منّي إنّك أنتَ السميع العليمُ ﴾ والنذر ما يُوجِبُهُ الإنسان على نفسه محرراً أي: عتيقاً خالصاً لله مفرّغاً لعبادة الله ولخدمة الكنيسة، لا أشغله بشيء من الدنيا، وكل ما أُخلص فهو محرّر، يقال: حرّرتُ العبد إذا أعتقتُه وخلّصتُه من الرقّ، قال الكلبي ومحمد بن إسحق وغيرهما: كان المحرّر إذا حُرّر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكتنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى يبلغ الحلم، ثم يخيّر إن أحبّ أقام فيه وإن أحبّ ذهب حيث شاء، وإن أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك، ولم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلاّ من نسله محرّر لبيت المقدس، ولم يكن محرّراً إلاّ الغلمان ولا تصلح له الجارية، لما يُصيبها من الحيض والأذى، فحررتْ أم مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك أن زكريا وعمران تزوّجا أُختين ، وكانتْ إيشاع بنت فاقوذا أُمّ يحيىٰ عند زكريا، وكانت حنّة بنت فاقوذا أم مريم عند عمران، وكان قد أُمسك عن حنّة الولدُ حتى أسنّتْ وكانوا أهل بيت من الله بمكان، فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يُطعم فرخاً فتحرّكتْ بذلك نفسُها للولد، فدعتِ اللّهَ أن يهب لها ولداً وقالت: اللّهمّ لك عليّ إنْ رزقتني ولداً أن أتصدّق به على بيت المقدس، فيكون من سَدَنته وخَدَمه، فحملتْ بمريم فحرّرت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو، فقال لها زوجها: ويحك ما صنعت؟ أرأيت إن كان ما في بطنك أُنثى تصلح لذلك؟ فوقعا جميعاً في همّ من ذلك، فهلك عمران وحنّةُ حامل بمريم.

﴿ فلما وضعتْها ﴾ أي: ولدتها، إذا هي جارية، والهاء في قوله: ﴿ وضعتْها ﴾ راجعة إلى النذيرة لا إلى ﴿ ما ﴾ ولذلك أنث، ﴿ قالتْ ﴾ حنّة وكانت ترجو أن يكون غلاماً، ﴿ ربِّ إنّي وضعتُها أنثى ﴾ اعتذاراً إلى الله عزّ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الإعلام، لأن الله تعالى عالم بما في بطنها قبل أن تضعه ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ قرىء بجزم التاء إخباراً عن الله تعالى والمعنى أنه تعالى قال: والله أعلم بالشيء الذي وضعت. وقرىء وضعت برفع التاء وهو من كلام أم مريم على تقدير أنها لما قالت رب: إني وضعتها أنثى خافت أن تكون أخبرت الله بذلك فأزالت هذه الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها، وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الأنثى كالذكر، والمراد منه تفضيل الذكر على الأنثى لأن الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الأنثى لذلك لضعفها، وما يحصل لها من الحيض لأنها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال. وقيل: في معنى الآية: إن المراد منها هو تفضيل هذه الأنثى على الذكر كأنها قالت: كان الذكر مطلوبي لخدمة المسجد وهذه الأنثى هي موهوبة لله تعالى، وليس الذكر التي طلبت كالأنثى التي هي موهبة لله تعالى وكانت مريم من أجمل النساء وأفضلهن في وقتها ﴿وإني سميتها مريم﴾ يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم أرادت بهذه التسمية أن يفضلها الله على إناث الدنيا ﴿وإني أعيذها بك وذريتها﴾ أي أمنعها وأجيرها بك وذريتها ﴿من الشيطان الرجيم﴾ يعني اللعين الطريد وذلك أن حنة أم مريم لما فاتها ما كانت تطلب من أن يكون ولدها ذكراً، فإذا هي أنثى تضرعت إلى الله تعالى أن يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم، وأن يجعلها من الصالحات العابدات. (ق) عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من بني آدم من مولود إلّا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من نخسه إياه إلّا مريم وابنها». ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم «وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم». وللبخاري عنه قال: كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه بأصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب. قوله عز وجل:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ يعني أن الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضي.

وجلّ، ﴿ واللّهُ أعلم بما وضعتْ ﴾، بجزم التاء إخباراً عن الله تعالى عزّ وجلّ، وهي قراءة العامّة وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب ﴿ وضعت ﴾ برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم، ﴿ وليسَ الذكرُ كالأنثى ﴾، في خدمة الكنيسة والعبّاد الذين فيها لِلينها وضعْفها وما يعتريها من الحيض والنفاس، ﴿ وإنّي سمّيتها مريم ﴾، وهي بلغتهم العابدة والخادمة، وكانت مريم من أجمل النساء في وقتها وأفضلهنّ، ﴿ وإني أُعيذها ﴾ أمنعها وأُجيرها، ﴿ بكَ وذريّتها ﴾ أولادَها ﴿ مِنَ الشيطانِ الرجيم ﴾، والشيطان الطريد اللعين والرجيم المُرمَى بالشهب، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب، عن الزهري حدّثني سعيد بن المسيب قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من بني آدم من مولودٍ إلّا يَمسُّه الشيطانُ حين يُولد، فيستهلّ الصبي صارخاً من الشيطان، غير مريم وابنها»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه «وإني أُعيذها بك وذريّتَها من الشيطان الرجيم»، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا أبو اليمان أنا شعيب عن أبي الزِّناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدَمَ يطعن الشيطانُ في جنبه بأصبعه حين يُولد غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعنُ فطعنَ في الحجاب».

قوله: ﴿ فتقبّلها ربُّها بِقبُولٍ حَسَنٍ ﴾ أي: قَبِلَ اللّهُ مريم من حنّة، مكان المحرّر، وتقبّـل بمعنى: قَبِل ورضي،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قال الزجاج: الأصل في العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولاً كما يقال: قبلت الشيء قبولاً إذا رضيته. وقال أبو عمر: ليس في المصادر فعول بفتح الفاء إلاّ هذا ولم أسمع فيه الضم. قيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو أن يرى الشيء ويأخذه. وقيل معنى التكفل في التربية والقيام بشأنها، وإنما قال بقبول للجمع بين الأمرين يعني التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي بمعنى الرضا ﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾ معناه وأنبتها فنبتت هي نباتاً حسناً قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ أي سلك بها طريق السعداء: «وأنبتها نباتاً حسناً» يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام ﴿وكفلها زكريا﴾ قال أهل الأخبار: لما ولدت حنة مريم أخذتها فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم يومئذٍ يلون من بيت المقدس ما تلي الحجبة من الكعبة، وقالت: دونكم النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم قال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالت له الأحبار لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها ولكنا نفترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها، فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلاً إلى نهر جارٍ قيل: هو الأردن فألقوا أقلامهم في الماء على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسبت في النهر. وقيل جري قلم زكريا مصعداً إلى أعلى وجرت أقلامهم مع جري الماء إلى أسفل فسهمهم زكريا وقرعهم، وكان زكريا رأس الأحبار ونبهم فذلك قوله تعالى: وكفلها زكريا قرىء بتشديد الفاء ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها إليه بالقرعة. وقرىء بتخفيف الفاء ومعناه ضمها زكريا إلى نفسه بالقرعة وقام بأمرها وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام، فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع لها المراضع وقيل:

والقَبُول: مصدر قَبِل يَقْبَل قَبُولاً، مثل الولوغ والوزوغ، ولم يأتِ غير هذه الثلاثة، وقيل: معنى التقبّل: التكفّل في التربية والقيام بشأنها، ﴿ وأنبتها نباتاً حسناً ﴾، معناه: وأنبتها فنبتتْ نباتاً حسناً، وقيل: هذا مصدر على غير الصدر، أي المصدر، وكذلك قوله: ﴿ فتقبلها ربّها بقبول حسن ﴾، ومثله سائغ كقوله: تكلمتُ كلاماً. وقال جرير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: فتقبلها ربُّها بقبول حسن، أي: سلك بها طريق السُّعداء، وأنبتها نباتاً حسناً يعني: سوّى خلقها من غير زيادة ولا نقصان، فكانت تنبتُ في اليوم ما ينبت المولود في العام، ﴿ وكَفَّلَها زكريا ﴾، قال أهل الأخبار: أخذت حنّة مريم حين ولدتْها، فلفّتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون، وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبةُ من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قُربانهم، فقال لهم زكريا: أنا أحقّكم بها، عندي خالتُها، فقالتْ له الأحبار: لا تفعل ذلك فإنها لو تركت لأحقّ الناس بها لتُركت لأمها التي ولدتها. لكنّا نقترع عليها فتكون عند مَن خرج سهمه، فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلاً إلى نهر جارٍ، قال السدي: هو نهر الأردن، فألقوا أقلامهم في الماء على أن مَن ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أوْلى بها، وقيل: كان على كل قلم اسم واحد منهم، وقيل كانوا يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء فارتدّ قلم زكريا، فارتفع فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في النهر، قاله محمد بن إسحق وجماعة، وقيل: جرى قلم زكريا مصعداً إلى أعلى الماء وجرت أقلامهم بجري الماء، وقال السدي وجماعة: بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين، وجرت أقلامهم في جرية الماء، فسهمَهم وقرعَهم زكريا، وكان رأسَ الأحبار ونبيّهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ وكفّلها زكريا ﴾، قرأ حمزة وعاصم والكسائي ﴿ كفّلها ﴾ بتشديد الفاء، فيكون زكريا في محل النصب أي: ضمنها الله وضمّها إليه بالقرعة،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بني لها محراباً في المسجد وجعل بابه في وسطه ولا يرقى إليه إلاّ بسلم ولا يصعد إليها غيره. وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى: **﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾** يعني الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها، وكذلك هو من المسجد وقيل: المحراب ما يرقى إليه بدرج. وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة أبواب فإذا دخل عليها المحراب **﴿وجد عندها رزقاً﴾** يعني فاكهة في غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء **﴿قال﴾** يعني زكريا **﴿يا مريم أنى لك هذا﴾** أي من أين لك هذه الفاكهة **﴿قالت﴾** يعني مريم مجيبة لزكريا **﴿هو من عند الله﴾** يعني من الجنة. وقيل: إن مريم من حين ولدت لم تلقم ثدياً بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا: يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد. وقال محمد بن إسحاق: أصابت بني إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فأيكم يكفلها بعدي؛ فقالوا: والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدأ فتقارعوا عليها بالأقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك عليه. فقالت: يا يوسف أحسن بالله الظن فإن الله سيرزقنا، فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها إذا أدخله عليها في المحراب أنماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول: يا مريم أنى لك هذا فتقول: هو من عند الله **﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾** وهذا يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه أن الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته أو من غير سبب، وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الأولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم قال أهل

وقرأ الآخرون بتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع، أي: ضمّها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها، وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم **﴿ زكريا ﴾** مقصوراً، والآخرون يمدّونه، فلما ضمّ زكريا مريمَ إلى نفسه بنَى لها بيتاً واسترضع لها، وقال محمد بن إسحق ضمّها إلى خالتها أم يحيـى حتى إذا شبّتْ وبلغت مبلغ النساء، بنَى لها محراباً في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلاّ بالسلّم مثل باب الكعبة لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودُهنها كل يوم، **﴿ كلّما دخلَ عليها زكريا المحرابَ ﴾**، وأراد بالمحراب الغُرفة، والمحراب أشرف المجالس ومقدمها، وكذلك هو من المسجد، ويقال للمسجد أيضاً محراب، وقال المبرّد لا يكون المحراب إلاّ أن يُرتقى إليه بدرجة، وقال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج يُغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل عليها فتحها، **﴿ وجدَ عِنْدَها رِزْقاً ﴾** أي: فاكهة في غيرِ حينها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، **﴿ قال يا مريم أنّى لكِ هذا ﴾**، قال أبو عُبيدة معناه: من أين لكِ هذا، وأنكر بعضهم عليه وقال: معناه من أيّ جهة لك هذا لأن **﴿ أنّى ﴾** للسؤال عن الجهة، **﴿ وأين ﴾** للسؤال عن المكان، **﴿ قالتْ هو من عند الله ﴾**، أي: من قطف الجنة، وقال أبو الحسن: إن مريم من حين ولدت لم تَلْقَمْ ثديها قطّ بل كان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول لها زكريا أنّى لكِ هذا؟ فتقول: **﴿ هو من عند الله ﴾**، تكلمتْ وهي صغيرة، **﴿ إنّ الله يرزقُ مَن يشاءُ بغير حساب ﴾**، قال محمد بن إسحق: ثم أصابت بني إسرائيل ازمة، وهي على ذلك من حالها حتى ضعُف زكريا عن حملها، فخرج على بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل تعلمون والله لقد كبرتْ سنّي وضعفتُ عن حمل مريم بنت عمران، فأيّكم يكفلها بعدي؟ فقالوا: والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بُدّاً فتقارعوا عليها بالأقلام، فخرج السهم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأخبار: فلما رأى زكريا ذلك قال: إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر أن يصلح زوجي ويهب لي ولداً في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد. وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقرضوا، وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد فذلك قوله عز وجل: .

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿**هنالك دعا زكريا ربه**﴾ يعني أنه عليه السلام دخل محرابه وأغلق الأبواب وسأل ربه الولد ﴿**قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة**﴾ يعني أنه قال: يا رب أعطني من عندك ولداً مباركاً تقياً صالحاً رضياً والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى والمراد هنا الواحد وإنما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية ﴿**إنك سميع الدعاء**﴾ أي سامعه ومجيبه. قوله عز وجل: .

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿**فنادته الملائكة**﴾ يعني جبريل عليه السلام، وإنما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيماً لشأنه ولأنه رئيس الملائكة، وقل أن يبعث إلّا ومعه جمع من الملائكة فجري ذلك على مجرى العادة ﴿**وهو قائم يصلي في المحراب**﴾ أي في المسجد وذلك أن زكريا عليه السلام كان الخبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول، فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون أن يأذن في

على رجل نجّار من بني إسرائيل، يقال له: يوسف بن يعقوب، وكان ابن عمّ مريم، فحملها فعرفت مريم في وجهه شدّة مؤنة ذلك عليه، فقالت له: يا يوسف أحسنْ بالله الظن فإن الله سيرزقنا، فجعل يوسف يُرزق بمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها في الكنيسة أنماه الله فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف، فيقول: ﴿ **يا مريم أنّى لكِ هذا** ﴾؟ ﴿ **قالت هو من عند الله إنّ الله يرْزق مَن يشاء بغير حساب** ﴾، قال أهل الأخبار: فلما رأى ذلك زكريا قال: إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولداً في غير حينه على الكبر، فطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقرضوا، وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد.

قال الله تعالى: ﴿ **هُنالِكَ** ﴾، أي: عند ذلك. ﴿ **دعا زكريا ربَّه** ﴾، فدخل المحراب وغلّق الأبواب وناجَى ربَّه ﴿ **قال ربِّ** ﴾ أي: يا رب، ﴿ **هبْ لي** ﴾ أعطني ﴿ **من لدُنْكَ** ﴾ أي: من عندك، ﴿ **ذريةً طيبةً** ﴾ أي: ولداً مباركاً تقياً صالحاً رضيّاً، والذرية تكون واحداً أو جمعاً ذكراً أو أنثى، وهو ههنا واحد بدليل قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فهبْ لي من لدُنك ولياً** ﴾ [مريم: ٥]، وإنما قال: طيبة لتأنيث لفظ الذرية، ﴿ **إنك سميعُ الدعاء** ﴾ أي: سامعُه، وقيل: مُجيبه، كقوله تعالى: ﴿ إني آمنت بربكم فاسمعون ﴾ [يس: ٢٥] أي: فأجيبوني.

﴿ **فنادتْه الملائكةُ** ﴾، قرأ حمزة والكسائي فناداه بالياء، والآخرون بالتاء لتأنيث لفظ الملائكة، وللجمع مع أن الذكور إذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التأنيث فيهم أحسن، كقوله تعالى: ﴿ قالتِ الأعراب ﴾ [الحجرات: ١٤]، وعن إبراهيم قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: يذكر الملائكة في القرآن، قال أبو عبيدة: إنما نرى عبد الله اختار ذلك خلافاً للمشركين في قولهم: الملائكة بنات الله تعالى: وروى الشعبي: أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوها ياء، وذكِّروا القرآن، وأراد بالملائكة ههنا جبريل

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الدخول إذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا ﴿إن الله يبشرك بيحيى﴾ أي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس: سمي يحيى لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه وقيل: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان وقيل لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط ﴿مصدقاً بكلمة من الله﴾ يعني عيسى ابن مريم وإنما سمي عيسى عليه السلام كلمة لأن الله تعالى قال له: كن فكان من غير أب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان. وقيل سمي كلمة لأن عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق إلى الحقائق والأسرار ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار. وقيل سمي كلمة لأن الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل عليه السلام: وقيل لأن الله تعالى أخبر الأنبياء الذين قبله في كتبه المنزّلة عليهم أنه يخلق نبياً من غير واسطة أب، فلما جاء قيل: هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد أنه يخلقه كذلك، وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه السلام. وقيل: إن أم يحيى لقيت أم عيسى وهما حاملتان فقالت أم يحيى لأم عيسى: يا مريم أشعرت أني حامل فقالت مريم: وأنا أيضاً حامل فقالت أم يحيى: يا مريم إني لأجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله: مصدقاً بكلمة من الله يعني أن يحيى آمن بعيسى وصدق به ﴿وسيداً﴾ من ساد يسود. والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهي إلى قوله. وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم. وقيل: السيد هو

عليه السلام وحده، كقوله تعالى: ﴿ ينزل الملائكة ﴾ [النحل: ٢] يعني جبريل بالروح والوحي، ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع، كقولهم: سمعت هذا الخبر من الناس، وإنما سمع من واحد، نظيره قوله تعالى: ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ [آل عمران: ١٧٣] يعني: نعيم بن مسعود. ﴿ إنّ الناس ﴾ [آل عمران: ١٧٣] يعني: أبا سفيان بن حرب، وقال المفضل بن سلمة: إذا كان القائل رئيساً يجوز الإخبار عنه بالجمع، لاجتماع أصحابه معه، وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة، وقلّ ما يبعث إلاّ ومعه جمع، فجرى على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وهو قائمٌ يصلّي في المحراب ﴾ أي: في المسجد، وذلك أن زكريا كان الحَبر الكبير الذي يُقرّب القربان فيفتح باب المذبح، فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول، فبينما هو قائم يصلّي في المحراب، يعني: في المسجد عند المذبح يصلّي والناس ينتظرون أن يأذن لهم في الدخول، فإذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض تلمع ففزع منه، فناداه وهو جبريل عليه السلام: يا زكريا ﴿ أنّ اللّهَ يُبشّرُكَ ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة « إنَّ الله » بكسر الألف على إضمار القول، تقديره: فنادته الملائكة فقالت: إن الله، وقرأ الآخرون بالفتح بإيقاع النداء عليه كأنه قال فنادته الملائكة بأن الله يبشّرك، قرأ حمزة ﴿ يبشرك ﴾ وبابه بالتخفيف كل القرآن إلاّ قوله: ﴿ فبِمَ تبشّرون ﴾ [الحجر: ٥٤] فإنهم اتفقوا على تشديدها، ووافقه الكسائي ههنا في الموضعين وفي ﴿ سبحان ﴾ [الإسراء: ٩] و﴿ الكهف ﴾ [آية: ٢] و﴿ حمٓعٓسٓقٓ ﴾ [الشورى: ٢٣] ووافق ابن كثير وأبو عمرو في ﴿ حمٓعٓسٓقٓ ﴾ [الشورى: ٢٣] والباقون بالتشديد، فمَن قرأ بالتشديد فهو من بشر يبشّر تبشيراً، وهو أعْرَبُ اللغات وأفصحها، دليل التشديد قوله تعالى: ﴿ فبشّر عبادي ﴾ [الزمر: ١٧] و﴿ بشّرناه بإسحاق ﴾ [الصّافّات: ١١٢] قالوا: ﴿ بشّرناك بالحق ﴾ [الحجر: ٥٥] وغيرها من الآيات، ومَن خفّف فهو من بَشَر يبشُر وهي لغةُ تُهامة، وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿ بيحيىٰ ﴾، هو الاسم لا يجرّ لمعرفته، وللزائد في أوله، ومثل: يزيد ويعمر، وجمعه يحيون مثل موسون وعيسون، واختلفوا في أنه لِمَ سُمي يحيىٰ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن الله أحيا به عقر أمه، قال قتادة: لأن الله تعالى أحيا به قلبه بالإيمان، وقيل: سُمّي يحيىٰ لأنه استشهد، والشهداء أحياء، وقيل: معناه يموت، وقيل: لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يعصَ ولم يهمّ بمعصية، ﴿ مُصدّقاً ﴾ نصب على

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الحسن الخلق وقيل: هو الذي يطيع ربه وقيل: هو الفقيه العالم وقيل: سيداً في العلم والعبادة والورع وقال السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شيء وقيل: السيد هو الذي يفوق في جميع خصال الخير. وقيل: هو السخي قال رسول الله ﷺ: «من سيدكم يا بني سلمة؟ قالوا: جد بن قيس على أنا نبخله قال وأي داء أدوأ من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح» ﴿وحصوراً﴾ قال ابن عباس وغيره من المفسرين: الحصور الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات وأصله من الحصر وهو الحبس: وقيل: هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء. قال سعيد بن المسيب: كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر: وهو أن الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه، وإنما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو أليق بمنصب الأنبياء لأن الكلام إنما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز، وأيضاً فإن منصب النبوة يجل من أن يضاف إلى أحد منهم نقص أو آفة، فحمل الكلام على منع النفس من الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه ﴿ونبياً من الصالحين﴾ يعني أنه من أولاد الأنبياء الصالحين. قوله عز وجل: .

الحال، ﴿ بكلمةٍ مِنَ الله ﴾ يعني: عيسى عليه السلام، سُمّي عيسى كلمة الله لأن الله تعالى قال له: كن من غير أب فكان، فوقع عليه اسم الكلمة، وقيل: سُمّي كلمة لأنه يُهتدى به كما يُهتدى بكلام الله تعالى، وقيل: هي بشارة الله تعالى لمريم بعيسى عليه السلام، بكلامه على لسان جبريل عليه السلام، وقيل: لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه على أنه يخلق نبيّاً بلا أب، فسمّاه كلمة لحصوله بذلك الوعد، وكان يحيىٰ عليه السلام أول مَن آمن بعيسى عليه السلام وصدّقه، وكان يحيىٰ عليه السلام أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة، ثم قُتل يحيىٰ قبل أن يرفع عيسى عليه السلام، وقال أبو عبيدة: بكلمة من الله، أي: بكتاب من الله وآياته، تقول العرب: أنشدني كلمةَ فلان، أي: قصديته: قوله تعالى: ﴿ وسيّداً ﴾ هو فعيل من ساد يسود، وهو الرئيس الذي يتبع وينتهي إلى قوله، قال المفضل: أراد سيّداً في الدين، قال الضحاك: السيد: الحسنُ الخلق، قال سعيد بن جبير: السيد الذي يطيع ربّه عزّ وجلّ، وقال سعيد بن المسيب: السيد الفقيه العالم، وقال قتادة: سيد في العِلم والعبادة والورع، وقيل: الحليم الذي لا يغضبه شيء، قال مجاهد: الكريم على الله تعالى، وقيل: السيد التقي قاله الضحاك، قال سفيان الثّوري: الذي لا يحسد، وقيل: الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير، وقيل: هو القانع بما قسم الله له، وقيل: هو السخي، قال رسول الله ﷺ: «مَن سيّدكم يا بني سلمة»؟ قالوا: جدّ بن قيس على أنّا نبخله، قال: «وأيّ داء أدوأ من البخل، لكن سيدكم عمرو بن الجموح». قوله تعالى: ﴿ وحصُوراً ونبيّاً من الصالحين ﴾، والحصُور: أصله من الحصْر وهو الحبس، والحصور في قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم، وعطاء والحسن الذي لا يأتي النساء ولا يقربهنّ، وهو على هذا القول: فعول بمعنى فاعل، يعني: أنه يحصر نفسه عن الشهوات، وقال سعيد بن المسيب، هو العنين الذي لا ماء له فيكون الحصور بمعنى المحصور، يعني: الممنوع من النساء، قال سعيد بن المسيب: كان له مثل هدبة الثوب، وقد تزوج مع ذلك ليكون أغضّ لبصره، وفيه قول آخر: أن الحصور الممتنع من الوطء مع القدرة عليه، واختار قوم هذا القول لوجهين أحدهما لأن الكلام خرج مخرج الثناء، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء، والثاني أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠﴾

﴿قال﴾ يعني زكريا ﴿رب﴾ أي يا رب قيل خطاب مع جبريل لأن الآية المتقدمة دلت على أن الذين نادوهم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي أي يا سيدي، وقيل: إنه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك، وذلك أن الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في إزالة ذلك التعجب إلى الله تعالى فقال رب ﴿أنى يكون لي غلام﴾ يعني من أين يكون وكيف يكون لي غلام ﴿وقد بلغني الكبر﴾ قيل: هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت. وقيل: معناه وقد نالني الكبر وأدركني الضعف. فإن قلت كيف أنكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة إياه به وما معنى هذه المراجعة، ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله إياه به أكان شاكاً في وعد الله أو في قدرته؟ قلت: لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته إنما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من أي جهه بكون لي الولد أيكون بإزالة العقر عن زوجتي ورد شبابي علي؟ أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف؟ فأجابه بقوله ﴿كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ وقال عكرمة والسدي: لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله تعالى، وإنما هو من الشيطان، ولو كان من الله تعالى لأوحاه إليك كما يوحي إليك في سائر الأمور: فقال ذلك زكريا دفعاً للوسوسة واعترض على الجواب بأنه لا يجوز أن يشتبه على الأنبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان، إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق بأخبارهم عن الوحي السماوي، وأجيب عن هذا الاعتراض بأنه لما دلت الدلائل على صدق الأنبياء فيم يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك، فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع، فأما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لنزول هذه الوسوسة من خاطره. قال الكلبي: كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة. وقيل: ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك: كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى: ﴿وامرأتي عاقر﴾ أي عقيم لا تلد ﴿قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ يعني أنه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء. قوله عز وجل: .

قوله تعالى: ﴿ قال ربِّ ﴾ أي: يا سيدي، قال لجبريل عليه السلام، هذا قول الكلبي وجماعة، وقيل: قاله لله عزّ وجلّ ﴿ أنّى يكون ﴾ يعني: أين يكون، ﴿ لي غلامٌ ﴾ أي: أين ﴿ وقد بلَغَني الكِبَرُ ﴾، هذا من المقلوب، أي: وقد بلغت الكبر وشخت، كما تقول: بلغني الجهد، أي: أنا في الجهد، وقيل: معناه وقد نالني الكِبَرُ وأدركني وأضعفني، قال الكلبي: كان زكريا يوم بُشّر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة، وقيل: ابن تسع وتسعين سنة، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأة بنت ثمان وتسعين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ وامرأتي عاقرٌ ﴾ أي: عقيم لا تلد، ويقال: رجل عاقر وامرأة عاقر، وقد عقُر بضم القاف يعقر عقراً وعقارة، ﴿ قال كذلِكَ اللّهُ يفعلُ ما يشاء ﴾، فإن قيل: لِمَ قال: زكريا بعدما وعده الله تعالى: ﴿ أنّى يكون لي غلام ﴾ أكان شاكّاً في وعد الله وفي قدرته، قيل: إنّ زكريا لمّا سمع النداء من الملائكة جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي كنت تسمعه ليس من الله إنما هو من الشيطان، ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يُوحى إليك في سائر الأحوال، فقال ذلك دفعاً للوسوسة، قال عكرمة والسدي: وجواب آخر وهو أنه لم يشكّ في وعد الله إنما شكّ في كيفيته، أي: كيف ذلك أتجعلني وامرأتي شابّين، أم ترزقنا ولداً على الكِبَر منّا أم ترزقني من امرأة أُخرى؟ قاله مستفهماً لا شاكّاً هذا قول الحسن.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾

﴿قال﴾ يعني زكريا يا ﴿رب اجعل لي آية﴾ أي علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة والشكر لك ﴿قال آيتك﴾ أي علامتك على الذي طلبت معرفة علمه ﴿أن لا تكلم الناس﴾ أي لا تقدر على تكليم الناس ﴿ثلاثة أيام﴾ أي مدة ثلاثة أيام بلياليها. قال جمهور المفسرين: عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة أيام مع إبقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في آخر الآية ﴿واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار﴾ يعني في أيام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لأن قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بأمور الدنيا. وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من أعظم المعجزات، وإنما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه الأيام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشيء آخر توقيراً منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكراً لله على إجابته فيما طلب الآية من أجله، وأن يكون ذلك دليلاً على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة: إنما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ﴿ثلاثة أيام إلاّ رمزاً﴾ يعني الإشارة والإشارة قد تكون باليد وبالعين وبالإيماء بالرأس وكانت إشارته بالأصبع المسبحة. وقيل: الرمز قد يكون باللسان من غير تبين كلام وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقيل: أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا والقول الأول أصح لموافقة أهل اللغة عليه ﴿واذكر ربك كثيراً﴾ وذلك لما منعه الله من الكلام في تلك المدة أمره بالذكر فقال: واذكر ربك كثيراً فإنك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه ﴿وسبح﴾ أي وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل: وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحاً لأن فيها تنزيهاً للرب سبحانه وتعالى ﴿بالعشي والإبكار﴾ فأما العشي فهو ما بين زوال الشمس إلى غروبها، ومنه سميت صلاتاً الظهر والعصر صلاتي العشي والإبكار هو ما بين طلوع الفجر إلى الضحى. قوله عز وجل: ﴿وإذ قالت

قوله تعالى: ﴿ قال ربِّ اجْعلْ لي آيةً ﴾ أي: علامةً أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكراً لك، ﴿ قال آيتُكَ أنْ لا تُكلِّم الناسَ ﴾ أي: تكفّ عن الكلام، ﴿ ثلاثةَ أيام ﴾، وتقبل بكليّتك على عبادتي لا أنه يُحبس لسانه عن الكلام، ولكنه نُهي عن الكلام، وهو صحيح سَوِي كما قال في سورة مريم [١٠]: ﴿ ألّا تُكلّم الناسَ ثلاثَ ليالٍ سَوِيّاً ﴾ يدلّ على قوله تعالى: ﴿ وسبِّح بالعشي والإبكار ﴾ فأمره بالذكر ونهاه عن كلام الناس، وقال أكثر المفسّرين: عُقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام، وقال قتادة: أمسك لسانه عن الكلام عقوبةَ لسؤالِهِ الآية، بعد مُشافهة الملائكة إيّاه، فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام. وقوله: ﴿ إلّا رمزاً ﴾ أي: إشارةً والإشارة قد تكون باللسان وبالعين واليد، وكانت إشارته بالأصبع المسبّحة، قال الفرّاء: قد يكون الرمز باللسان من غير أن يُبيّن، وهو الصوت الخفي شبه الهمس، وقال عطاء: أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلّا رمزاً، ﴿ واذكرْ ربَّك كثيراً وسبّح بالعشي والإبكار ﴾، قيل: المراد بالتسبيح: الصلاة والعشي ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس، ومنه سمّيت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي والإبكار، ما بين صلاة الفجر إلى الضحى.

قوله تعالى: ﴿ وإذْ قالت الملائكة ﴾ يعني: جبريل، ﴿ يا مريمُ إنّ اللّهَ اصطفاكِ ﴾، اختارك، ﴿ وطهّركِ ﴾، قيل: من مسيس الرجال، وقيل: من الحيض والنفاس، قال السدي: كانت مريم لا تحيض، وقيل:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الملائكة﴾ يعني جبريل عليه السلام ﴿**يا مريم إن الله اصطفاك**﴾ أي واختارك ﴿**وطهرك**﴾ يعني من مسيس الرجال. وقيل: من الحيض والنفاس. وكانت مريم لا تحيض وقيل: من الذنوب ﴿**واصطفاك**﴾ أي واختارك ﴿**على نساء العالمين**﴾ أي على عالمي زمانها وقيل: على جميع نساء العالمين. فإن قلت هل فرق بين الاصطفاء الأول والثاني؟ قلت: ذكر العلماء في معناهما وجوهاً يتحصل منها الفرق فقيل في معنى الاصطفاء الأول إن الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم تحرر قبلها أنثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وأن الله بعث إليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الإصطفاء الثاني أن الله تعالى وهب لها عيسى من غير أب وأسمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد» قال أبو كريب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض قيل: أراد وكيع بهذه الإشارة تفسير الضمير في قوله خير نسائها ومعناه أنهما خير كل النساء بين السماء والأرض قال الشيخ محيي الدين النووي: والأظهر أن معناه أن كل واحدة مهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه. (ق) عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلاّ مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» قال العلماء معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق وثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره. وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» أخرجه الترمذي. قوله عز وجل:.

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ۝٤٤ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾

﴿**يا مريم اقنتي لربك**﴾ أي قالت الملائكة لها شفاهاً أطيعي ربك وقيل: معناه أطيلي القيام في الصلاة لربك.

من الذنوب، ﴿ **واصطفاكِ على نساءِ العالمين** ﴾، قيل: على عالمي زمانها، وقيل: على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء، وقيل: بالتحرير في المسجد ولم تحرّر أُنثى. أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن رجاء، أخبرنا النضر عن هشام، أخبرني أبي قال: سمعت عبد الله بن جعفر قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة» رضي الله عنهما ورواه وكيع وأبو معاوية عن هشام بن عروة وأشار وكيع إلى السماء والأرض. أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا آدم أنا شعبة عن عروة بن مرّة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاّ مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». أخبرنا أبو بكر سعيد بن عبد الله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدّي عبد الرحمن بن عبد الصمد البزار، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري أخبرنا إسحق الديري أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية امرأة فرعون».

قوله تعالى: ﴿ **يا مريم اقنتي لربك** ﴾، قالت لها الملائكة شِفَاهاً أي: أطيعي ربّك وقال مجاهد: أطيلي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قال الأوزاعي: لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دماً وقيحاً وحكي عن مجاهد نحوه ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ إنما قدم السجود على الركوع لأن الواو لا تقتضي الترتيب إنما هي للجمع كأنه قيل لها: افعلي الركوع والسجود وقيل: إنما قدم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم. وقال ابن الأنباري: أمرها أمراً عاماً وحضها على فعل الخير فكأنه قال: استعملي السجود في حال والركوع في حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل أراد العموم بالأمر على اختلاف الحالين. وإنما قال: اركعي مع الراكعين ولم يقل: مع الراكعات لأن لفظ الراكعين أعم فيدخل فيه الرجال والنساء، والصلاة مع الرجال أفضل وأتم. وقيل: معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل: المراد به الصلاة في جماعة أي صلى مع المصلين في جماعة. قوله عز وجل: ﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ يقول الله عز وجل لمحمد ﷺ بذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من أخبار الغيب ﴿نوحيه إليك﴾ أي نلقيه إليك يا محمد لأنه لا يمكنك أن تعلم أخبار الأمم الماضين إلّا بوحي منا إليك وإنما قال نوحيه لأنه رد الضمير إلى ذلك فلذلك يذكر اللفظ ﴿وما كنت﴾ يعني يا محمد ﴿لديهم﴾ هنالك عندهم ﴿إذ يلقون أقلامهم﴾ يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء لأجل الاقتراع ﴿أيهم يكفل مريم﴾ يعني يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك أنها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلأجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل: لأن مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان أبوها قد مات فلأجل ذلك رغبوا في كفالتها ﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ يعني في كفالتها وتربيتها قوله عز وجل: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمةٍ منه﴾ معناه وما كنت لديهم يا محمد إذ يختصمون وما كنت لديهم إذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام: يا مريم إن الله يبشرك والبشارة إخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعني برسالة من الله وخير من عنده فهو كقول القائل ألقى إليّ فلان كلمة سرني بها وأخبرني خيراً فرحت به. ومعنى الآية إذ قالت الملائكة لمريم: يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد ﴿اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ وقال قتادة في قوله تعالى ﴿بكلمة منه﴾ هو قوله تعالى: كن فسماه الله كلمة لأنه كان عن الكلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شيء هذا قدر الله وقضاء الله يعني أن هذا الأمر عن قدره وقضائه حدث. وقال ابن عباس: الكلمة هي عيسى عليه السلام وإنما سمي كلمة لأنه وجد عن الكلمة التي هي كن. فإن قلت إن كل مخلوق إنما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره؟. قلت: إن كل مخلوق وإن وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة إلّا أن هذا السبب ما هو المتعارف، ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى فلا جرم كان إضافة حدوثه إلى الكلمة أتم وأكمل وبهذا التأويل حسن أن يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لأنه حدث عنها، فإن قلت الضمير في قوله اسم عائد إلى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير؟ قلت: لأن المسمى بها مذكر

القيام في الصلاة لربك، والقنوت: الطاعة، وقيل: القنوت طول القيام، قال الأوزاعي: لمّا قالت لها الملائكة ذلك قامت في الصلاة حتى ورمتْ قدمَاهَا وسالتْ دماً وقيحاً ﴿ واسجدِي واركعِي ﴾، قيل: إنما قدّم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم، وقيل: بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها، وليس الواو للترتيب بل للجمع، يجوز أن يقول الرجل: رأيت زيداً وعمراً وإن كان قد رأى عمراً قبل زيد، ﴿ مع الراكعين ﴾، ولم يقل مع الراكعات ليكون أعمّ وأشمل، فإنه يدخل فيه الرجال والنساء، وقيل: معناه مع المصلّين في الجماعة.

قوله تعالى: ﴿ ذلكَ من أنباءِ الغيب نوحيه إليك ﴾، يقول لمحمد ﷺ: ذلك الذي ذكرتُ من حديث زكريا ويحيىٰ ومريم وعيسى، على نبيّنا وعليهم السلام، من أنباء الغيب، أي: من أخبار الغيب نُوحيه إليك ردَّ الكناية

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فلهذا ذكر الضمير. فإن قلت لم قال اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى، وأما المسيح فلقب وابن مريم صفة. قلت: الضمير في قوله اسمه يرجع إلى عيسى وللمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قال الذي يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عيسى عليه السلام مسيحاً وهل هو اسم مشتق أو موضوع؟ فقيل: إنه موضوع واسمه بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب وأصل عيسى أيشوع كما قالوا موسى وأصله موشى أو ميشى وقال الأكثرون: إنه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوهاً قال ابن عباس: سمي عيسى مسيحاً لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برأ منها وقيل لأنه مسح بالبركة وقيل: لأنه مسح من الأقذار وطهر من الذنوب، وقيل: إنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. وقيل: لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل. وقيل: لأنه كان يسيح في الأرض ولا يقيم بمكان فكأنه يمسح الأرض أي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحاً لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص له وسمي الدجال مسيحاً لأنه ممسوح إحدى العينين وقيل: المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الأضداد. وقوله تعالى: ﴿وجيهاً﴾ أي شريفاً رفيعاً ذا جاه وقدر ﴿في الدنيا والآخرة﴾ أما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وأنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى وأما وجاهته في الآخرة فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى: ﴿ومن المقربين﴾ يعني عند الله يوم القيامة لأن لأهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الأنبياء ودرجاتهم أعلى من سواهم وقيل: فيه تنبيه على علو منزلته وأنه رفعه إلى السماء.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿يكلم الناس في المهد﴾ يعني ويكلم الناس صغيراً وهو في المهد وذلك قبل أوان الكلام ووقته والكلام الذي تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب﴾ الآية. وتكلم ببراءة أمه

إلى ذلك فلذلك ذكره، ﴿ وما كنتَ ﴾، يا محمد، ﴿ لديهم إذْ يُلقون أقلامَهم ﴾، سهامهم في الماء للاقتراع، ﴿ أيهم يكْفُلُ مريم ﴾ يحضنها ويربِّيها، ﴿ وما كنتَ لديهم إذْ يختصمون ﴾، في كفالتها.

قوله تعالى: ﴿ إذْ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ إنّ اللّهَ يُبشّرِكِ بكلمةٍ منه اسمُهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ ﴾، إنما قال اسمه، وردّ الكناية إلى عيسى، واختلفوا في أنه لِمَ سُمّي مسيحاً، فمنهم مَن قال: هو فعيل بمعنى المفعول يعني: أنه مُسح من الأقذار وطُهّر من الذنوب، وقيل: لأنه مسح بالبركة، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل: مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل، وقيل: لأنه كان مسيح القدم لا أخمص له، وسمّي الدجال مسيحاً لأنه كان ممسوح إحدى العينين، وقال بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل، مثل عليم وعالم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سُمّي عيسى عليه السلام مسيحاً لأنه ما مسح ذَا عَاهةٍ إلّا برأ، وقيل: سُمّي بذلك لأنه كان يسيح في الأرض ولا يقيم في مكان، وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة، وقال إبراهيم النخعي: المسيح الصديق، ويكون المسيح بمعنى: الكذاب، وبه سُمّي الدجال. والحرف من الأضداد، ﴿ وجيهاً ﴾ أي شريفاً رفيعاً ذَا جاهٍ وقدر، ﴿ في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين ﴾، عند الله.

﴿ ويُكلِّم الناسَ في المهد ﴾ صغيراً قبل أوانِ الكلام، كما ذكره في سورة مريم، ﴿ قال إني عبد الله آتانيَ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مما رماها به أهل الفرية من القذف. ويحكى أن مريم قالت كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته فإذا شغلني عنه إنسان سبح وهو في بطني وأنا أسمع ولما تكلم ببراءة أمه سكت بعد ذلك فلم يتكلم إلّا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس: تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق **﴿وكهلاً﴾** يعني ويكلم الناس في حال الكهولة والكهل في اللغة هو الذي اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل: هو الذي وخطه الشيب، وهو السن الذي يستحكم فيه العقل وتتنبأ فيه الأنبياء. قال ابن قتيبة: لما كان لعيسى ثلاثون سنة أرسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه: جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية أنه يكلم الناس وهو في المهد ببراءة أمه وهي معجزة عظيمة، ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل: فيه بشارة لمريم أخبرها بأنه يبقى حتى يكتهل وقيل: فيه أخبار بأنه يتغير من حال إلى حال ولو كان إلهاً كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغيير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الألوهية. وقال الحسن بن الفضل: وكهلاً يعني ويكلم الناس كهلاً بعد نزوله من السماء وفي هذه نص على أنه سينزل من السماء إلى الأرض ويقتل الدجال. وقال مجاهد: الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لأنها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة **﴿ومن الصالحين﴾** يعني أنه من العباد الصالحين مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم من الأنبياء وإنما ختم أوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالأوصاف العظيمة. لأن الصلاح من أعظم المراتب وأشرف المقامات لأنه لا يسمى المرء صالحاً حتى يكون مواظباً على النهج الأصلح والطريق الأكمل في جميع أقواله وأفعاله. فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين وأنه يكلم الناس في المهد وكهلاً أردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له أعلى الدرجات وأشرف المقامات. قوله عز وجل: **﴿قالت﴾** يعني مريم **﴿رب﴾** يعني يا سيدي تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل: **﴿أنى يكون لي ولد﴾** أي من أين يكون لي ولد **﴿ولم يمسني بشر﴾** أو لم يصبني رجل وإنما قالت ذلك تعجباً لا شكاً في قدرة الله تعالى إذ لم تكن العادة جرت أن يولد ولد من غير أب **﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾** يعني هكذا يخلق الله منك ولداً من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فإنه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد وهو قوله **﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾** يعني كما يريد **﴿ويعلمه الكتاب﴾** يعني الكتابة والخط باليد **﴿والحكمة﴾** يعني العلم والسنة

الكتاب ﴾ [مريم: ٣٠] الآية، حُكي عن مجاهد قال: قالت مريم: كنت إذا خلوتُ أنا وعيسى عليه السلام حدّثني وحدّثته، فإذا شغلني عنه إنسان سبّح في بطني وأنا أسمع قوله، **﴿ وكهلاً ﴾**، قال مقاتل: يعني إذا اجتمعت قوته قبل أن يرفع إلى السماء، وقال الحسين بن الفضل: وكهلاً بعد نزوله من السماء، وقيل: أخبرها أنه يبقى حتى يكتهل وكلامه بعد الكهولة إخبار عن الأشياء المعجزة، وقيل: وكهلاً نبيّاً بشّرها بنبوّة عيسى عليه السلام، وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة، وقال مجاهد: وكهلاً أي: حليماً، والعرب تمدح الكهولة، لأنها الحالة الوسطى في احتناك السنّ واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة، **﴿ ومنَ الصالحين ﴾**، أي: هو من العباد الصالحين.

﴿ قالتْ ربِّ ﴾ يا سيدي، تقوله لجبريل، وقيل: تقول لله عزّ وجلّ، **﴿ أنّى يكون لي ولدٌ ولم يَمْسَسْني بشرٌ ﴾** ولم يصبني رجل، قالت ذلك تعجباً إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لا أب له، **﴿ قال كذلكِ اللّهُ يخلقُ ما يشاءُ إذا قَضَى أمراً ﴾**، أراد كون الشيء، **﴿ فإنّما يقول له كن فيكون ﴾**، كما يُريد، قوله تعالى: **﴿ ويعلمهُ الكتابَ ﴾**، قرأ أهل المدينة وعاصم ويعقوب بالياء لقوله تعالى: **﴿ كذلك الله يخلق ما يشاء ﴾**، وقيل: ردّه على قوله: **﴿ إنّ الله يُبَشّرك ﴾**.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وأحكام الشرائع ﴿والتوراة﴾ يعني التي أنزلت على موسى ﴿والإنجيل﴾ يعني الذي أنزل عليه وهذا إخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ أي ونجعله رسولاً إلى بني إسرائيل وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى ابن مريم عليه السلام فلما بعث إليهم قال ﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾ يعني بعلامة من ربكم على صدق قولي وإنما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة، فلما قال ذلك عيسى لبني إسرائيل قالوا: ما هذه الآية؟ قال ﴿أني أخلق﴾ أي أصور وأقدر ﴿لكم من الطين كهيئة الطير﴾ والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشيء إذا قدرته وأصلحته ﴿فأنفخ فيه﴾ أي في الطين المهيأ المصور ﴿فيكون طيراً﴾ قرىء بلفظ الجمع لأن الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع. وقرىء فيكون طائراً على التوحيد على معنى يكون ما أنفخ فيه طائراً أو ما أخلقه يكون طائراً وقيل إنه لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل، وإنما خص الخفاش لأنه من أكمل الطير خلقاً وذلك لأنه يطير بلا ريش وله أسنان ويقال: إن الأنثى منه لها ثدي وتحيض ذكروا أن عيسى عليه السلام لما ادّعى النبوة وأظهر لهم المعجزات أخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه أن يخلق لهم خفاشاً فأخذ طيناً وصوره كهيئة الخفاش، ثم نفخ فيه فإذا هو طير يطير بين السماء والأرض قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عنهم سقط ميتاً ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى، وليعلم أن الكمال لله تعالى: ﴿بإذن الله﴾ معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى إني أعمل هذا التصوير أنا، فأما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل إظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام ﴿وأبرىء الأكمه والأبرص﴾ أي وأشفي الأكمه والأبرص وأصحهما، واختلفوا في الأكمه فقال ابن عباس: هو الذي ولد أعمى وقيل: هو الأعمى وإن كانّ أبصر وقيل: هو الأعشى وهو الذي يبصر بالليل، والأبرص هو الذي به وضح

﴿ ويعلمه ﴾، وقرأ الآخرون بالنون على التعظيم، كقوله تعالى: ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ﴾ [آل عمران: ٤٤]، قوله: ﴿ الكتاب ﴾ أي: الكتابة والخط، ﴿ والحِكمةَ ﴾، العلم والفقه ﴿ والتوراةَ والإنجيلَ ﴾ علّمه الله التوراة والإنجيل.

﴿ ورَسُولاً ﴾ أي: ونجعله رسولاً ﴿ إلى بني إسرائيل ﴾، قيل: كان رسولاً في حال الصبا، وقيل: إنما كان رسولاً بعد البلوغ، وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام، فلما بعث قال: ﴿ أنّي ﴾، قال الكسائي إنما فتح لأنه أوقع الرسالة عليه، وقيل: معناه بأني ﴿ قد جئتُكم بآية ﴾، علامة، ﴿ منْ ربِّكم ﴾، تصدق قولي، وإنما قال بآية وقد أُتي بآيات لأن الكل دلّ على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة، فلما قال ذلك عيسى عليه السلام لبني إسرائيل قالوا: وما هي قال: ﴿ أنّي ﴾، قرأ نافع بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الباقون بالفتح على معنى بأنّي ﴿ أخلقُ ﴾ أي: أصوّر وأقدّر، ﴿ لكم منَ الطينِ كهيئةِ الطير ﴾، قرأ أبو جعفر (كهيئة الطائر)، ههنا وفي المائدة [١١٠]، والهيئة الصورة المهيأة من قولهم: هيَّأتُ الشيءَ إذا قدّرتُه وأصلحتُه، ﴿فأنفخُ فيه﴾، أي: في الطير ﴿ فيكونُ طيراً بإذنِ الله ﴾، قراءة الأكثرين بالجمع، لأنه خلق طيراً كثيراً، وقرأ أهل المدينة ويعقوب

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك إلاّ أنه ليس في علم الطب إبراء الأكمه والأبرص فكان ذلك معجزة له ودليلاً على صدقه. وقال وهب: ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد نحو خمسين ألفاً فمن أطاق أن يمشي إليه مشى، ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام إليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان برسالته ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ قال ابن عباس: قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقي وولد له إلاّ سام بن نوح فأما عازر فكان صديقاً لعيسى عليه السلام فأرسلت إليه أخت عازر إن أخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة أيام فأتاه عيسى وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره فانطلقت بهم إلى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حياً بإذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له. وأما ابن العجوز فإنه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وأتى أهله وولد له، وأما ابنة العاشر فكان أبوها يأخذ العشور من الناس وماتت بالأمس فدعا الله عيسى فأحياها بدعوته فعاشت وولد لها، وأما سام بن نوح فإن عيسى جاء إلى قبره ودعا الله باسمه الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفاً من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال: قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام: لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم ثم قال له: مت فقال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت مرة أخرى فدعا الله عيسى ففعل ﴿وأنبئكم﴾ يعني وأخبركم ﴿بما تأكلون﴾ أي مما لم أعاينه ﴿وما تدخرون في

﴿فيكون طائراً﴾ على الواحد ههنا وفي سورة المائدة [١١٠]، ذهبوا إلى نوع واحد من الطير، لأنه لم يخلق غير الخفاش، وإنما خصّ الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً لأن له ثدياً وأسناناً، وهي تحيض، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميّتاً ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق، وليعلم أن الكمال لله عزّ وجلّ، قوله تعالى: ﴿ وأبرىء الأكمهَ والأبرصَ ﴾، أي: أشفيهما وأصححهما، واختلفوا في الأكمه قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: هو الذي ولد أعمى، وقال الحسن والسدي: هو الأعمى، وقال عكرمة: هو الأعمش، وقال مجاهد: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، والأبرص هو الذي به وضح، وإنما خصّ هذين لأنهما داءان عياءان وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطب، فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك، قال وهب: ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً مَن أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومَن لم يطق مشى إليه عيسى، وكان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان، قوله تعالى: ﴿ وأحيي الموتَى بإذنِ الله ﴾، قال ابن عباس: قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح، فأمّا عازر فكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام أنّ أخاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه وقد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره، فدعا الله تعالى فقام عازرُ وَدَكه بقطرٍ فخرج من قبره وبقي وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مُرّ به ميتاً على عيسى عليه السلام على سرير يُحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له، وأما ابنة العاشر فكان والدها رجلاً يأخذ العشور، ماتت له بنت بالأمس فدعا الله عزّ وجلّ فأحياها، وبقيت وولدت، وأما سام بن نوح عليه السلام فإن عيسى عليه السلام جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره، وقد شاب نصف رأسه خوفاً من قيام الساعة، ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان، فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكن دعوتُك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مُتْ، قال: بشرط أن يُعيذني الله من سكرات الموت، فدعا الله ففعل. قوله تعالى: ﴿ وأُنَبِّئُكُمْ ﴾ أخبركم، ﴿ بمـا تأكلون ﴾، ممـا لم أُعاينه، ﴿ ومـا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بيوتكم﴾ أي وما ترفعونه فتخبؤونه في بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك، قيل: كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكله اليوم وبما يدخره للعشاء. وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام: انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبي فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من أخبرك بهذا؟ فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا: لا تقعدوا مع ذلك الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا: ليسوا هنا فقال: وما في البيت؟ قالوا خنازير فقال كذلك يكونون. ففتحوا عليهم الباب فإذا هم خنازير ففشا ذلك في بني إسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه أمه فحملته على حمار لها وخرجت هاربة إلى مصر. وقال قتادة: إنما كان هذا في نزول المائدة وكان خواناً ينزل عليهم أينما كانوا فيه من طعام الجنة وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا الغد فخانوا وادخروا، فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بما أكلوا من المائدة وما أدخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له، وهي إخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى وإخباره عن الغيوب بإعلام الله إياه ذلك وهذا مما لا سبيل لأحد من البشر عليه إلّا الأنبياء عليهم السلام، فإن قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق؟. قلت: إن المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع إليها ويعتمد في أخباره عليها، أما المنجم فإنه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها أو بواسطة حساب الرمل أو نحو ذلك وقد يخطىء في كثير مما يخبر به، وأما الكاهن فإنه يستعين برائد من الجن وقد يخطىء أيضاً في كثير مما يخبر به وأما أخبار الأنبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس إلّا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق ﴿إن في ذلك﴾ يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين بإذن الله وإبراء والأكمه والأبرص والإخبار عن المغيبات ﴿لآية لكم﴾ أي لعبرة ودلالة على صدق أني رسول من الله إليكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يعني مصدقين بذلك.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿ومصدقاً﴾ قيل: إنه عطف على قوله ورسولاً وقيل إنه عطف على أني قد ﴿جئتكم بآية من ربكم﴾ والمعنى

تدّخِرُون﴾، ترفعونه، ﴿في بُيوتِكم﴾، حتى تأكلوه، وقيل: كان يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم وبما ادّخره للعشاء، وقال السدي: كان عيسى عليه السلام في الكتاب يحدّث الغلمانَ بما يصنع آباؤهم، ويقول للغلام: انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا، فينطلق الصبي إلى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء، فيقولون: مَن أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى عليه السلام، فحبسوا صبيانهم عنه، وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت، فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا ههنا، فقال: فما في هذا البيت قالوا خنازير، قال عيسى: كذلك يكونون، ففتحوا عليهم فإذا هم خنازير، ففشا ذلك في بني إسرائيل فهمّت به بنو إسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة إلى مصر، وقال قتادة: إنما كان هذا في المائدة، وكانت خواناً ينزل عليهم أينما كانوا كالمنّ والسلوى، وأمروا أن لا يخونوا ولا يخبئوا للغد فخانوا وخبؤوا للغد، فجعل عيسى يخبرهم بما أكلوا من المائدة وبما ادّخروا منها، فمسخهم الله خنازير. قوله تعالى: ﴿إنّ في ذلك﴾، الذي ذكرت، ﴿لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾.

﴿ومُصدقاً﴾ عطف على قوله: ﴿ورسولاً﴾ ﴿لِما بين يديّ من التوراةِ ولِأُحِلَّ لكم بعضَ الذي حُرِّم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وجئتكم مصدقاً ﴿لما بين يدي من التوراة﴾ وذلك لأن الأنبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضاً فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما أنزل الله من الكتب والشرائع والأحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام مصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴿ولأحلّ لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ قال وهب بن منبه: أن عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني إسرائيل: إني لم أدعكم إلى خلاف حرف مما في التوراة إلاّ لأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وأضع عنكم الآصار وذلك أن الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الأشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ فبقي ذلك التحريم مستمراً على اليهود إلى أن جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة: كان الذي جاء به عيسى الين من الذي جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والثروب والشحوم وأشياء من الطير والحيتان زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتخفيف وأحلها لهم وقال آخرون إن عيسى عليه السلام رفع كثيراً من أحكام التوراة ورفع السبت ووضع الأحد وكان ذلك كله بأمر الله فكان ذلك ناسخاً لتلك الأحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ أي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله ﴿فاتقوا الله﴾ يعني يا معشر بني إسرائيل فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿وأطيعون﴾ يعني فيما أدعوكم إليه لأن طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما أدعوكم إليه هو قولي ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ لأن جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى بإخبار الله عن عيسى عليه السلام أنه كان بريئاً مما نسبه إليه النصارى وأنه كان عبدالله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ يعني التوحيد. قوله عز وجل:

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ أي وجد وعرف وقيل: رأى والإحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى أنهم تكلموا بكلمة الكفر فأحس ذلك عيسى منهم وعرف إصرارهم عليه وعزمهم على قتله.

ذكر سبب القصة:

قال أهل الأخبار والسير: لما بعث الله عيسى إلى بني إسرائيل وأمره بإظهار رسالته والدعاء إليه نفوه

عليكم ﴾، من اللحوم والشحوم، وقال أبو عبيدة: أراد بالبعض الكل، يعني: كل الذي حُرِّم عليكم، وقد ذُكر البعضُ ويُراد به الكل، كقول لبيد:

تـراكُ أمكـنـةٍ إذا لـم أرضـهـا ... أو يـرتبط بعض النفـوس حمامها

يعني: كل النفوس. قوله تعالى: ﴿ وجئتكم بآيةٍ منْ ربِّكم ﴾ يعني: ما ذكر من الآيات، وإنما وحّدها لأنها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته، ﴿ فاتَّقوا اللَّهَ وأطيعون ﴾.

﴿ إنّ اللَّهَ ربّي وربُّكم فاعبدُوه هذا صراطٌ مستقيم ﴾.

﴿ فلمّا أحسّ عيسى ﴾ أي: وجد، قاله الفرّاء، وقال أبو عبيدة: عرف، وقال مقاتل: رأى، ﴿ منهمُ الكفرَ ﴾

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وأخرجوه من بينهم، فخرج هو وأمه يسيحان في الأرض فنزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل في بعض الأيام وهو مهموم حزين فدخل منزله عند امرأته فقالت مريم: ما شأن زوجك أراه كئيباً حزيناً فقالت: لا تسأليني فقالت مريم: أخبريني لعل الله أن يفرج كربته قالت المرأة: إن لنا ملكاً جباراً وقد جعل على كل رجل منا يوماً يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وإن لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولي له: لا يهتم لذلك فأنا آمر ابني أن يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى: إن فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم: لا نبالي فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا فقال عيسى: قولي له إذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني، ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقاً ولحماً وماء الخوابي خمراً لم تر الناس مثله، فلما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر؟ فقال الرجل: هو من أرض كذا فقال الملك: إن خمري من تلك الأرض وليست مثل هذه فقال: هي من أرض أخرى فلما رآه الملك اختلط شدد عليه فقال الرجل: أنا أخبرك أن عندي غلاماً لا يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه إياه، وأنه دعا الله تعالى فجعل الماء خمراً وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حباً شديداً فقال الملك: إن رجلاً دعا الله تعالى حتى صار الماء خمراً بدعوته ليستجيبن له في إحياء بني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فإنه إن عاش وقع شر فقال الملك: لا أبالي أليس أراه فقال: عيسى: إن أنا أحييته تتركني أنا وأمي نذهب حيث

وأرادوا قتله استنصر عليهم، ﴿ **قال مَنْ أنصاري إلى الله** ﴾، وقال السدي: كان سبب ذلك أن عيسى عليه السلام لمّا بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل وأمره بالدعوة نفتهُ بنو إسرائيل وأخرجوه، فخرج هو وأمه يُسبّحان في الأرض، فنزل في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما وكان لتلك المدينة جبّار متعدٍّ فجاء ذلك الرجل يوماً مهتمّاً حزيناً فدخل منزله ومريم عند امرأته، فقالت لها مريم: ما شأن زوجك أراه كئيباً، قالت: لا تسأليني، قالت: أخبريني لعلّ الله يفرج كربتَه، قالت: إن لنا ملكاً يجعل على كل رجل منّا يوماً أن يطعمه وجنوده ويسقيهم الخمر، فإن لم يفعل عاقبه، واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة، قالت: فقولي له لا تهتم فإني آمر ابني فيدعو له فيكفي ذلك، فقالت مريم لعيسى عليه السلام في ذلك، فقال عيسى: إن فعلت ذلك وقع شرٌّ قالت: فلا نبالي فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا، فقال عيسى عليه السلام: فقولي له إذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء، ثم أعلمني، ففعل ذلك، فدعا الله تعالى عيسى عليه السلام فتحوّل ماء القدر مرقاً ولحماً وماء الخوابي خمراً لم يرَ الناسُ مثله قطّ، فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر قال: من أين هذا الخمر؟ قال: من أرض كذا، قال الملك: فإن خمري من تلك الأرض وليست مثل هذه، قال: هي من أرض أخرى، فلما خلط على الملك شدّد عليه، قال: فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه إيّاه، وأنه دعا الله فجعل الماء خمراً ومرقاً ولحماً، وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام، وكان أحبَّ الخلق إليه فقال: إن رجلاً دعا الله حتى جعل الماء خمراً لَيُجاء به إليّ حتى يُحيي ابني، فدعا عيسى فكلّمه في ذلك، فقال عيسى: لا تفعل فإنه إن عاش وقع شرٌّ، قال الملك: لا أُبالي أليس أراه حيّاً؟ فقال عيسى: إن أحييته تتركوني وأُمي نذهب حيث نشاء؟ قال: نعم، فدعا اللّهَ فعاشَ الغلامُ فلما رآه أهلُ مملكته قد عاش تبادرُوا إلى السلاح، وقالوا: أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه، فيأكلنا كما أكل أبوه، فاقتتلوا فذهب عيسى وأمه فمرّ بالحواريين وهم يصطادون السمك، فقال: ما تصنعون فقالوا: نصطاد السمك، قال: أفلا تمشون حتى نصطاد الناس، قالوا: مَن أنت؟ قال: عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، ﴿ **مَن أنصاري إلى الله** ﴾، فآمنوا به وانطلقوا معه، قوله تعالى: ﴿ **مَن أنصاري إلى الله** ﴾ قال السدي وابن جريج:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

نشاء؟ قال: نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل فقد عاش فبادروا إلى السلاح وقالوا: قد أكلنا هذا الملك حتى إذا دنا أجله يريد أن يستخلف علينا ابنه ليأكلنا كما أكلنا أبوه فقاتلوه وظهر أثر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل: إن اليهود كانوا عارفين بأنه المسيح المبشر به في التوراة وأنه ينسخ دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فأخذوا فى أذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله ﴿قال﴾ يعني عيسى عليه السلام ﴿من أنصاري إلى الله﴾ أي مع الله وقيل: معناه إلى أن أبين أمر الله وأظهر دينه وقيل: إلى بمعنى في أي في ذات الله وسبيله وقيل: إلى في موضعها والمعنى من يضم نصرته إلى نصرة الله لي ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ وذلك أن عيسى عليه السلام لما دعا بني إسرائيل إلى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح في الأرض فمر بجماعة يصطادون السمك، وكانوا اثنى عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام: ما تصنعون؟ قالوا: نصيد السمك قال: أفلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا: ومن أنت؟ قال أنا عيسى ابن مريم عبدالله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمي بشبكته في الماء فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا بأهل سفينة أخرى وملؤوا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واختلف في الحواريين فقيل: كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم إلى الدين، سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال: حورت الشيء بمعنى بيضته: وقيل: كانوا قصارين سموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها. وقيل: إن مريم سلمت عيسى إلى أعمال شتى فكان آخر من سلمته إليه الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى: إنك قد تعلمت هذه الصنعة وأنا خارج إلى السفر ولا أرجع إلى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الألوان، وقد علمت كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فأريد أن تفرغ منها وقت وقدومي. وخرج المعلم إلى سفره فطبخ عيسى حباً واحداً على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال؟ كوني

مع الله تعالى، تقول العرب: الذَّوْدُ إلى الذَّودِ أبل، أي: مع الذود، كما قال الله تعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ [النساء: ٢] أي: مع أموالكم، وقال الحسن وأبو عبيدة: ﴿ إلى ﴾ بمعنى في أي: من أعواني في الله، أي: في ذات الله، وسبيله، وقيل: ﴿ إلى ﴾ في موضعها معناه: مَن يضمّ نُصرته إلى نُصرة الله لي، واختلفوا في الحواريين، قال مجاهد والسدي: كانوا صيادين يصطادون السمك، سُمّوا حواريين لبياض ثيابهم، وقيل: كانوا ملاّحين، وقال الحسن: كانوا قصّارين، سُمّوا بذلك لأنهم كانوا يُحوِّرون الثياب، أي: يبيّضونها، وقال عطاء: سلّمت مريم عيسى عليه السلام إلى أعمال شتى، فكان آخر ما دفعته إلى الحواريين وكانوا قصّارين وصبّاغين، فدفعته إلى رئيسهم ليتعلّم منه فاجتمع عنده ثياب، وعرض له سفر فقال لعيسى: إنك قد تعلّمت هذه الحِرفَة وأنا خارج في سـفر لا أرجع إلى عشرة أيام، وهذه ثياب مختلفة الألوان وقد علّمت كل واحد منها بخيط على اللون الذي يُصبغ به، فأحبّ أن تكون فارغاً منها وقت قدومي، وخـرج فطبخ عيسى حبّاً واحداً على لون واحد وأدخل جميع الثياب، وقال لها: كـوني بإذن الله على ما أُريد منك، فقدِمَ الحواري والثياب كلها في الحبّ فقال: ما فعلت؟ فقال: فرغت قال: أين هي؟ قال: في الحبّ، قال: كلها؟ قال: نعم، قال: لقد أفسدت تلك الثياب، قال: قم فانظر، فأخرج عيسى ثوباً أحمر وثوباً أصفر وثوباً أخضر إلى أن أخرجها على الألوان التي أرادها، فجعل الحواري يتعجب ويعلم أن ذلك من الله، فقال الناس: تعالوا فانظروا، فآمن به هو وأصحابه، فهم الحواريون، وقال الضحاك: سُمّوا حواريين لصفاء قلوبهم، وقال ابن المبارك: سُمّوا به لِما عليهم من أثر العبادة ونُورها، وأصل الحور عند العرب: شدّة البياض، يقال: رجل أحور وامرأة حوراء أي: شديدة بياض العين، وقال الكلبي وعكرمة:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بإذن الله على ما أريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الحب فقال لعيسى: ما فعلت؟ قال قد فرغت منها قال وأين هي؟ قال في الحب قال كلها: قال: نعم قال لقد أفسدت علي الثياب قال عيسى: لا ولكن قم فانظر وقام عيسى وأخرج ثوباً أحمر وثوباً أخضر وثوباً أصفر وثوباً أسود حتى أخرجها كلها على الألوان التي يريد الحواري فجعل الحواري يتعجب من ذلك وعلم أن ذلك من الله تعالى فقال للناس: تعالوا فانظروا فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون. وقيل: سموا حواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من أثر العبادة ونورها وقيل: الحواريون الأصفياء وكانوا أصفياء عيسى وخاصته وقيل: الحواريون هم الخلفاء وقيل: هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراؤه وقيل: الحواريون هم الأنصار والحواري الناصر والحواري الرجل الذي يستعان به (ق) عن جابر بن عبدالله قال: ندب النبي ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي ﷺ إن لكل نبي حوارياً وحواربي الزبير قال الحواريون: نحن أنصار الله يعني أنصار دين الله ورسوله وأعوانه ﴿آمنا بالله﴾ أي صدقنا بأن الله ربنا ورب كل شيء ﴿واشهد﴾ يعني أنت يا عيسى ﴿بأنا مسلمون﴾ قيل: معناه واشهد بأنا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لأمر الله عز وجل وقيل: هو إقرار منهم بأن دينهم الإسلام وأنه دين عيسى وكل الأنبياء قبله لا اليهودية والنصرانية.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ربنا آمنا بما أنزلت﴾ يعني قال الحواريون بعد إشهاد عيسى عليهم بأنهم مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت يعني بكتابك الذي أنزلته على عيسى عليه السلام ﴿واتبعنا الرسول﴾ يعني عيسى ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ يعني الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق واتبعوا أمرك ونهيك فأثبت أسماءنا مع أسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين الذين سألوا الحواريون أن يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس

الحوارِيون هم الأصفياء، وهم كانوا أصفياء عيسى عليه السلام، وكانوا اثني عشر رجلًا، وقال رَوحُ بن أبي القاسم: سألت قتادة عن الحواريين، قال: هم الذين تصلح لهم الخلافة، وعنه أيضاً أنه قال: الحواريون هم الوزراء، وقال الحسن: الحواريون الأنصار، والحواري الناصر، والحواري في كلام العرب خاصة: الرجل الذي يستعين به فيما ينويه، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يقول: ندب رسول الله ﷺ الناسَ يوم الخندق، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: «إن لكل نبي حوارياً، وحواريّ الزبير»، قال سفيان: الحواري: الناصر، قال معمر قال قتادة: إن الحواريين كلهم من قريش، أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وحمزة وجعفر وأبو عُبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوّام رضي الله عنهم أجمعين، ﴿ قال الحواريُّونَ نحنُ أنصارُ الله ﴾، أعوان دين الله ورسوله ﴿ آمنّا بالله واشهدْ ﴾، يا عيسى، ﴿ بأنّا مسلمون ﴾.

﴿ ربّنا آمنّا بما أنزلتَ ﴾، من كتابك، ﴿ واتّبعنا الرسولَ ﴾، عيسى، ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾، الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق، وقال عطاء مع النبيّين لأن كل نبي شاهد أمته، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مع محمد ﷺ وأمته، لأنهم يشهدون للرسل بالبلاغ.

قوله تعالى: ﴿ ومكرُوا ﴾ يعني: كفّار بني إسرائيل الذي أحسّ عيسى منهم الكفر، دبّروا في قتل عيسى

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

في قوله: فاكتبنا مع الشاهدين أي مع محمد ﷺ وأمته لأنهم المخصوصون بتلك الفضيلة فإنهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل: مع الشاهدين يعني النبيين لأن كل نبي شاهد على أمته قوله عز وجل: ﴿ومكروا﴾ يعني كفار بني إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر وأصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل: هو السعي بالفساد في الخفية فأما مكرهم بعيسى فإنهم دبروا في قتله وهموا به وذاك أن عيسى عليه السلام بعد أن أخرجه قومه هو وأمه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة وأظهر رسالته إليهم فهموا بقتله والفتك به فلذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبيث والخديعة والحيلة ﴿ومكر الله﴾ أي جازاهم على مكرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابلته وقيل: مكر الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو إلقاء الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين أرادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحر والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه، فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما رأى ذلك يهوداً رأس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وساروا إليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فأدخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وأمر يهودا ملك اليهود رجلاً من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله ظنوا أنه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه. وقال وهب بن منبه: إن اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فأظلمت الأرض وأرسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال: ليكفر بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إلى اليهود وقال: ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح فجعلوا

عليه السلام، بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد إليهم مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة فهمّوا بقتله وتواطئوا على الفتك به فذلك مكرهم، قال الله تعالى: ﴿ ومكرَ اللَّهُ واللَّهُ خير الماكرين ﴾، فالمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة، والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتةً من حيث لا يعلم، كما قال ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ [الأعراف: ١٨٢، القلم: ٤٤]، وقال الزجّاج: مكر الله عزّ وجلّ مُجازَاتُهم على مكرهم، فسُمّي الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابلته، كقوله تعالى: ﴿ الله يستهزىء بهم ﴾ [البقرة: ١٥] ﴿ وهو خادعهم ﴾ [النساء: ١٤٢] ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه الآية وهو إلقاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام، حتى قُتل، قال الكلبي: عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عيسى استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة، وقذفوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى عليه السلام منهم دعا عليهم، ولعنهم فمسخهم الله خنازير، فلما رأى ذلك يهوذا رأس اليهود وأميرهم، فزع لذلك وخاف دعوته، فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام، وساروا ليقتلوه فبعث الله جبريل فأدخله في خوخة في سقفها روزنة فرفعه إلى السماء من تلك الروزنة، فأمر يهوذا رأسُ اليهود رجلاً من أصحابه يقال له: ططيانوس أن يدخل الخوخة ويقتله، فلما دخل غرفته لم يرَ عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يُقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام، فلما خرج ظنّوا أنه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه، قال وهب: طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا خشبة ليصلبوه، فأظلمت الأرَض فأرسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه، فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال: ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة، فخرجوا وتفرقوا، وكلّفت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال لهم: ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها ودلّهم عليه، ولمّا دخل البيت ألقى الله عليه شبه عيسى، ورفع عيسى وأخذ الذي دلّهم عليه، فقال: أنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه، فلما دخل البيت الذي فيه المسيح ألقى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذي دل عليه فقال: أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب الذي ألقي عليه شبه عيسى جاءت مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال: على من تبكيان إن الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني إلاّ خيرٌ وهذا شيء شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى أهبط إلى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت إليه فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها، ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الأرض دعاة إلى الله عز وجل فأهبطه الله عز وجل إليها فاشتعل الجبل نوراً حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة في الأرض ثم رفعه الله فتلك الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ يعني وهو أفضل المجازين بالسيئة العقوبة. وقال السدي: إن اليهود حبست عيسى عليه السلام في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم كان قد نافق ألقى عليه شبه فأخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فإنه مقتول فقال رجل منهم: أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه إليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة الطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار إنساً ملكياً أرضياً سماوياً. قال أهل التاريخ: حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من أرض أوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل، وأوحى الله إلى عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين. قوله عز وجل: .

الذي دللتكم عليه، فلم يلتفتوا إلى قوله، وقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى، فلما صُلب شبه عيسى جاءت مريم وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب، فجاءهما عيسى عليه السلام فقال: اهبط لهما فقال: علامَ تبكيان إن الله قد رفعني ولم يصبني إلاّ خيرٌ، وإن هذا شيء مُشبّه لهم. فلما كان بعد سبعة أيام قال الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام: اهبط على مريم المجدلانية اسم موضع في جبلها فإنه لم يبكِ أحد عليك بكاءها، ولم يحزن عليك أحد حزنها، وليجتمع لك الحواريون فبثّهم في الأرض دعاة إلى الله عزّ وجلّ فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نوراً فجُمعت له الحواريون فبثّهم في الأرض دعاةً ثم رفعه الله عزّ وجلّ إليه وتلك الليلة هي التي تُدخن فيها النصارى، فلما أصبح الحواريون حدّث كل واحد منهم بلغة مَن أرسله عيسى إليهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾، وقال السدي: إن اليهود حبسوا عيسى في بيت وعشرة من الحواريين، فدخل عليهم رجل منهم ليقتله فألقى الله عليه شبَهَه، وقال قتادة: ذكر لنا أن نبيّ الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه: أيّكم يقذف عليه شبهي فإنه مقتول، فقال رجل من القوم: أنا يا نبيّ الله، فقُتل ذلك الرجل، ومنع الله عيسى عليه السلام، ورفعه إليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب، وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش، وصار إنسيّاً ملكياً سمائياً أرضياً، قال أهل التاريخ: حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورى شلم لمضي خمس وستّين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل، فأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة، ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فكانت نبوّته ثلاث سنين، وعاشت أُمه مريم بعد رفعه ستّ سنين، فتوفيت مريم عليها السلام وهي بنت اثنين وخمسين سنة.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ اختلفوا في معنى التوفي هنا على طريقين: فالطريق الأول أن الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكروا في معناها وجوهاً: الأول: معناه أني قابضك ورافعك إلي من غير موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته تاماً، والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود إليه بقتل ولا غيره. الوجه الثاني: أن المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة، وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف، فمعنى الآية أني منيمك ورافعك إلى الوجه الثالث أن المراد بالتوفي حقيقة الموت، قال ابن عباس: معناه أني مميتك قال وهب بن منبه: إن الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه إليه وقيل: إن النصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه إليه. الوجه الرابع: أن الواو في قوله ورافعك إلي لا تفيد الترتيب والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر فأما كيف يفعل؟ ومتى يفعل؟ فالأمر فيه موقوف على الدليل. وقد ثبت في الحديث أن عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره إن شاء الله تعالى. الوجه الخامس: قال أبو بكر الواسطي: معناه أني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك إلي ذلك أن عيسى عليه السلام لما رفع إلى السماء صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة. الوجه السادس: أن معنى التوفي أخذ الشيء وافياً ولما علم الله تعالى أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله إليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى أن المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الأرض ناسوته يعني جسده فرد الله عليهم بقوله إني متوفيك ورافعك إلي فأخبر الله تعالى أنه رفع بتمامه إلى السماء بروحه وجسده جميعاً. الطريق الثاني: أن في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره أني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك إلى الأرض وقيل: لبعضهم هل تجد نزول عيسى إلى الأرض في القرآن؟ قال: نعم قوله تعالى وكهلاً وذلك لأنه لم يكتهل في الدنيا وإنما معناه وكهلاً بعد نزوله من السماء. (ق) عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد وفي رواية حتى

﴿ إذْ قال اللَّهُ يا عيسى إني مُتَوَفِّيكَ ورافِعُكَ إليّ ﴾، اختلفوا في بعض التوفّي ههنا، قال الحسن والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك في الدنيا إليّ من غير موت، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ فلما توفيتني ﴾ [المائدة: ١١٧] أي: قبضتني إلى السماء وأنا حيّ، لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته، فعلى هذا للتوفّي تأويلان أحدهما إني رافعك إليّ وافياً لم ينالوا منك شيئاً، من قولهم: توفيت من كذا وكذا وأستوفيه إذا أخذته تامّاً، والآخر: إني متسلمك، من قولهم توفيت منه كذا، أي: تسلمته، وقال الربيع بن أنس: المراد بالتوفّي النوم، وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائماً إلى السماء، معناه إني مُنَيِّمُك ورافعك إليّ، كما قال الله تعالى: ﴿ وهو الذي يتوفّاكم بالليل ﴾ [الأنعام: ٦٠] أي: يُنيمكم بالليل، وقال بعضهم: المراد بالتوفّي الموت، وروى علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ معناه: إني مميتك يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت ﴾ [السجدة: ١١]، فعلى هذا له تأويلان أحدهما ما قاله وهب: توفى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه إليه، وقال محمد بن إسحق: إن النصارى يزعمون أن الله تعالى توفّاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفعه إليه، والآخر: ما قاله الضحّاك وجماعة: أنّ في هذه الآية تقديماً وتأخيراً معناه: إني رافعك إليّ ومطهّرك من الذين

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم. وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذؤيب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت فأخبرني قال فأمكم كتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم ﷺ وفي إفراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال: فبينما هما إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ينزل بين ممضرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل في زمانه كلها إلاّ الإسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون أخرجه أبو داود ونقل بعضهم أن عيسى عليه السلام يدفن في حجرة رسول الله ﷺ فيقوم أبو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام.

قوله عز وجل: **﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾** يعني مخرجك من بينهم ومنجيك منهم **﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾** يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة. وقيل: هم الحواريين الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل: هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لأن ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لأن النصارى وإن أظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم أشد مخالفة له وذلك أن عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك، والقول الأول هو الأصح لأن الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له بأنه عبدالله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق إلى يوم القيامة **﴿ثم إليَّ مرجعكم﴾** يعني يقول الله عز وجل: إلي مرجع الفريقين في الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به **﴿فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾** يعني من الحق في أمر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى: .

كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده ليُوشِكَنّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَماً عدْلاً، يكسرُ الصليبَ ويقتلُ الخنزير، ويضع الجزيةَ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة خير من الدنيا وما عليها»، ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في نزول عيسى عليه السلام قال: «وتهلك في زمانه المِلَل كلها إلاّ الإسلام، ويهلك الدجّال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفّى فيصلي عليه المسلمون»، وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد نزول عيسى في القرآن؟ قال: نعم، قوله **﴿ وكهلاً ﴾** وهو لم يكتهل في الدنيا وإنما معناه **﴿ وكهلاً ﴾** بعد نزوله من السماء، قوله تعالى: **﴿ ومُطَهِّرُكَ من الذين كفروا ﴾** أي مُخرِجك من بينهم ومنجيك منهم، **﴿ وجاعلُ الذين اتّبعُوكَ فوق الذين كفرُوا إلى يوم القيامة ﴾**، قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي: هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد ﷺ، فهو فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزّة والمنعة والحجّة، وقال الضحاك: يعني الحواريين فوق الذين كفروا، وقيل: هم أهل الروم، وقيل: أراد بهم النصارى، أي: فهم فوق اليهود إلى يوم القيامة، فإن اليهود قد ذهب ملكهم، وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة، فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادّعاء والمحبّة، لا اتّباع الدين، **﴿ ثم إليّ مرجِعُكم ﴾**، في الآخرة، **﴿ فأحْكُمُ بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾**، من الدين وأمر عيسى.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ٥٨ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾

﴿فأما الذين كفروا﴾ الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى ﴿فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا﴾ يعني بالقتل والسبي والذلة وأخذ الجزية منهم ﴿والآخرة﴾ أي وأعذبهم في الآخرة بالنار ﴿وما لهم من ناصرين﴾ يعني ما نعين يمنعونهم من عذابنا ﴿وأما الذين آمنوا﴾ يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وأنه عبدالله ورسوله وكلمته ﴿وعملوا الصالحات﴾ يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم ﴿فيوفيهم أجورهم﴾ يعني جزاء أعمالهم لا ينقص منه شيء ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ أي لا يحب من ظلم غيره حقاً له أو وضع شيئاً في غير موضعه والمعنى أنه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجميل ثم قال تعالى: ﴿ذلك﴾ يعني الذي ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص ﴿نتلوه عليك﴾ أي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل، وإنما أضاف ما يتلوه جبريل عليه السلام إلى نفسه سبحانه تعالى لأنه من عنده وبأمره من غير تفاوت أصلاً فأضافه إليه ﴿من الآيات﴾ يعني من القرآن وقيل الآيات يعني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لأنها أخبار لا يعلمها إلاّ من يقرأ ويكتب أو نبي يوحى إليه وأنت أمي لا تقرأ ولا تكتب فثبت أن ذلك من الوحي السماوي الذي أنزل عليك ﴿والذكر الحكيم﴾ أي المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لأنه حاكم يستفاد منه. جميع الأحكام وقيل: الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه تنزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش.

قوله عز وجل: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾ الآية. أجمع أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس: إن رهطاً من أهل نجران قدموا على النبي ﷺ: كان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي ﷺ: ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو؟ قالوا: عيسى تزعم أنه عبدالله فقال النبي ﷺ أجل إنه عبدالله فقالوا له: فهل رأيت له مثلاً أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال: قل لهم إذا أتوك إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل أن النبي ﷺ قال لهم: إنه عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا: يا محمد هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فأنزل الله تعالى:

﴿ فأمّا الذين كفروا فأعَذِّبُهُم عذاباً شديداً في الدنيا ﴾، بالقتل والسبي والجزية والذِّلّة، ﴿ والآخرة ﴾، أي: وفي الآخرة بالنار، ﴿ وما لهمْ من ناصرين ﴾.

﴿ وأمّا الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ فيوفِّيهم أُجورَهم ﴾، قرأ ورش والحسن وحفص بالياء، والباقون بالنون أي: يوفّيهم أجور أعمالهم، ﴿ واللّهُ لا يُحبُّ الظالمين ﴾، أي: لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل.

﴿ ذلك ﴾ أي: هذا الذي ذكرته لك من الخبر عن عيسى ومريم والحواريين ﴿ نَتْلُوه عليك ﴾، يعني: نخبرك به بتلاوة جبريل عليك، ﴿ من الآياتِ والذكرِ الحكيم ﴾، يعني القرآن والذكر ذي الحكمة، وقال مقاتل: الذكر الحكيم، أي: المحكم الممنوع من الباطل، وقيل: الذكر الحكيم: وهو اللوح المحفوظ، وهو معلّق

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿إن مثل عيسى عند الله﴾ أي في الخلق والإنشاء في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم في كونه خلقه من تراب من غير أب وأم، ومعنى الآية أن صفة خلق عيسى من غير أب كصفة آدم في كونه خلقه من تراب لا من أب وأم، فمن أقر بأن الله خلق آدم من التراب اليابس وهو أبلغ في القدرة، فلم لا يقر بأن الله خلق عيسى من مريم من غير أب بل الشأن في خلق آدم أعجب وأغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لأنه تشبيه كامل ثم قال تعالى: خلقه من تراب فهو خير مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم في كونه خلقه من تراب أي قدره جسداً من طين ﴿ثم قال له كن﴾ أي أنشأه خلقاً بالكلمة، وكذلك عيسى أنشأه خلقاً بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الآية إشكالاً وهو أنه تعالى قال: خلقه من تراب ثم قال له: كن فهذا يقتضي أن يكون خلق آدم متقدماً على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق. وأجيب عن هذا الإشكال بأن الله تعالى أخبر بأنه خلقه من تراب لا من ذكر وأنثى ثم ابتدأ خبراً آخر. فقال: إني أخبركم أيضاً أني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة، ويحتمل أن يكون المراد أنه تعالى خلقه جسداً من تراب ثم قال له: كن بشراً فكان يصح النظم وقيل: الضمير في قوله كن يرجع إلى عيسى عليه السلام وعلى هذا إشكال في الآية. فإن قلت: كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير أب ووجد آدم من غير أب ولا أم. قلت: هو مثله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به، لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ولأنه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لأن الوجود من غير أب وأم أغرب في العادة من الوجود من غير أب، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه. وحكي أن بعض العلماء أسر في بعض بلاد الروم فقال لهم: لم تعبدون عيسى؟ قالوا: لأنه لا أب له قال: فآدم أولى لأنه لا أب له ولا أم قالوا: وكان يحيـي الموتى فقال: حزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل أربعة آلاف: قالوا: وكان يبرىء الأكمه والأبرص قال: فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سليماً وقوله كن ﴿فيكون﴾ قال ابن عباس: معناه كن فكان فأريد بالمستقبل الماضي وقيل: معناه ثم قال له: كن وأعلم يا محمد أن قال له ربك كن فإنه يكون لا محالة.

ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا

بالعرش من درّة بيضاء، وقيل: من الآيات التي من العلامات الدالّة على نبوّتك لأنها أخبار لا يعلمها إلّا قارىء كتاب الله أو مَن يُوحى إليه وأنت أُمّي لا تقرأ.

﴿ إنّ مثلَ عيسى عندَ اللّهِ كمثلِ آدمَ ﴾ الآية نزلت في وفد نجران، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا، قال: «وما أقول»؟ قالـوا تقول: إنه عبد الله، قال: «أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قطّ من غير أب، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ إنّ مثلَ عيسى عند الله ﴾ في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم، لأنه خُلق من غير أب وأم، ﴿ خلقه مِنْ تُرابٍ ثمَّ قالَ له ﴾، يعني: لعيسى عليه السلام، ﴿ كُنْ فيكون ﴾، يعني: فكان، فإن قيل: ما معنى قوله ﴿ خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون ﴾ خلقاً، ولا تكوين بعد الخلق، قيل: معناه خلقه ثم أخبركم أني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة، وهو مثل قول الرجل: أعطيتُك اليوم درهماً ثم أعطيتك أمس درهماً أي: ثم أخبرك أني أعطيتُك أمس درهماً، وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس، لأن القياس هو ردّ فرع إلى أصل بنوع شبه، وقد ردّ الله تعالى خلق عيسى إلى آدم عليهم السلام بنوع شبه.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

﴿الحق من ربك﴾ الذي أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك ﴿فلا تكن من الممترين﴾ أي من الشاكين إن ذلك كذلك وهذا خطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته لأنه ﷺ لم يشك قط فهو كقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ والمعنى فلا تكن من الممترين يا أيها السامع كائناً من كان لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من باب التهيج لزيادة الثبات والطمأنينة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فمن حاجك فيه﴾ أي فمن جاد لك في عيسى وقيل في الحق ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ يعني بأن عيسى عبدالله ورسوله ﴿فقل تعالوا﴾ أي هلموا والمراد منه المجيء وأصله من العلو بالرأي والعزم كما تقول تعال نتفكر هذه المسألة ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ أي يدع كل منا ومنكم إبناءه ﴿ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ قيل: أراد بالأبناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس ﷺ وعلياً رضي الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة أهل الدين ﴿ثم نبتهل﴾ قال ابن عباس: نتضرع في الدعاء وقيل: معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء. وقيل: معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله أي لعنة الله ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ يعني منا ومنكم في أمر عيسى قال المفسرون: لما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غداً فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب: وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل، ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فإن أبيتم إلّا الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي ﷺ يقول لهم: إذا دعوت فأمنوا فلما رآهم أسقف نجران قال: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل أهله لأزاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نباهلك وأن نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله ﷺ: فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا ذلك. فقال: إني أناجز فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ما لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وأن نؤدي إليك في كل سنة ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب زاد في

قوله تعالى: ﴿ الحقُّ من ربِّك ﴾ أي: هو الحق، وقيل: جاءك الحق من ربك، ﴿ فلا تكنْ منَ المُمْتَرِين ﴾ أي: الشاكين، الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فمَن حاجّك فيه ﴾ أي: جادلك في أمر عيسى وفي الحق، ﴿ من بعدِ ما جاءكَ مِنَ العلم ﴾، بأنّ عيس عبد الله ورسوله، ﴿ فقل تعالَوا ﴾، أصله تعاليوا تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على الياء فحُذفت، قال الفرّاء: بمعنى تعال كأنه يقول ارتفع، ﴿ نَدْعُ ﴾ جُزم لجواب الأمر، وعلامة الجزم سقوط الواو، ﴿ أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسَنا وأنفسَكم ﴾، قيل: أبناءنا الحسَن والحسين، ونساءنا فاطمة وأنفسَنا عنى نفسَه وعليّاً رضي الله عنه، والعرب تسمّي ابن عمّ الرجل نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات: ١١] يُريد إخوانكم، وقيل: هو على العموم لجماعة أهل الدين، ﴿ ثم نَبْتَهِلْ ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي نتضرّع في الدعاء، وقال الكلبي: نجتهد ونبالغ في الدعاء، وقال الكسائي وأبو عبيدة: نبتهل، والابتهال الإلْتعان، يقال عليه بهلة الله، أي: لعنته ﴿ فنجعلْ لَعنةَ اللّهَ على الكاذبين ﴾، منّا ومنكم في أمر عيسى، فلما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة، قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

رواية وثلاثاً وثلاثين درعاً عادية وثلاثة وثلاثين بعيراً وأربعاً وثلاثين فرساً غازية فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك وقال: والذي نفسي بيده إن العذاب تدلى على أهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا».

فإن قلت ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلاّ لتبيين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الأبناء والنساء في المباهلة. قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه، فلذلك ضمهم في المباهلة، ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك استئصال إن تمت المباهلة، وإنما خص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه، وحارب دونهم حتى يقتل وإنما قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد ﷺ لأنه لم يرو أحد من موافق ومخالف أنهم أجابوا إلى المباهلة لأنهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم. قوله تعالى: .

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إن هذا﴾ يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وأنه عبدالله ورسوله **﴿لهو القصص الحق﴾** وأصله من القصص وهو تتبع الأثر والقصص الخبر الذي تتتابع فيه المعاني **﴿وما من إله إلاّ الله﴾** إنما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى أن عيسى ليس بإله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفي جميع من ادّعى من

ثم نأتيك غداً فخلا بعضهم ببعض فقالوا: للعاقب وكان ذا رأيهم، يا عبد المسيح ما ترى قال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبيٌّ مرسل والله ما لاعـن قوم نبيّاً قطّ فعَاش كبيرُهم ونبت صغيرهم، ولئن فعلتم ذلك لتُهلَكنّ فإن أبيتم إلاّ الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادِعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا رسول الله ﷺ محتضناً للحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها، وهو يقول لهم: «إذا أنا دعوت فأمّنوا» فقال أُسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أنْ لا نلاعنَك وأن نتركَك على دينكَ ونثبتُ على ديننا، فقال رسول الله ﷺ: «فإن أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا فقال: فإني أنابذكم، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكنّا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخفينا، ولا تردّنا عن ديننا، أن نؤدّي إليك كل عام ألفي حُلّة ألفاً في صفر وألفاً في رجب، فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك، وقال والذي نفسي بيده إن العذاب قدْ تَدلّى على أهل نجران، ولو تلاعنُوا لمُسخوا قردةً وخنازيرَ ولاضْطرمَ عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران، وأهله حتى الطير على الشجر، ولَمَا حالَ الحولُ على النصارى كلهم حتى هلكوا».

قال الله تعالى: ﴿ إنّ هذا لهوَ القَصَصُ الحق ﴾ النبأ الحق، ﴿ وما من إلَه إلاّ الله ﴾، و﴿ من ﴾ صلة تقديره: وما إلَه إلاّ الله، ﴿ وإنّ اللّهَ لهوَ العزيزُ الحكيم ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

المشركين أنهم آلهة وإثبات الإلهية لله تعالى وحده لا شريك له في الإلهية ﴿وإن الله لهو العزيز﴾ أي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادّعى معه إلهاً آخر ﴿الحكيم﴾ يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لأن عيسى لم يكن كذلك ﴿فإن تولوا﴾ يعني فإن أعرضوا عن الإيمان ولم يقبلوه ﴿فإن الله عليم بالمفسدين﴾ أي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم. قوله لهم. قوله عز وجل: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ قال المفسرون: لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا في إبراهيم ﷺ فزعمت النصارى أنه كان نصرانياً وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود: بل كان يهودياً وهم على دينه وأولى الناس به فقال رسول الله ﷺ: كلا الفريقين بريء من إبراهيم ودينه بل كان حنيفاً مسلماً وأنا على دينه فاتبعوا دينه الإسلام فقالت اليهود: ما تريد إلاّ أن نتخذك ربما كما اتخذت النصارى عيسى رباً. وقالت النصارى: يا محمد ما تريد إلاّ أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأنزل الله عز و جل: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا أي هلموا﴾ إلى كلمة يعني فيها إنصاف ولا ميل فيها لأحد على صاحبه، والعرب تسمي كل قصة أو قصيدة لها أول وآخر وشرح كلمة سواء أي عدل لا يختلف فيها التوراة والإنجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله: ﴿أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ وذلك أن النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو قولهم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وذلك أنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، فثبت أن النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة أشياء ومعنى الآية قل: يا محمد لليهود والنصارى هلموا إلى أمر عدل نصف وهو أن لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع أحبارنا ورهباننا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لأن السجود لغير الله

﴿ فإن تَوَلَّوا ﴾، أعرضوا عن الإيمان ﴿ فإنّ الله عليمٌ بالمفسدين ﴾، الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غير الله.

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالَوا إلى كلمةٍ سَواءٍ بيننا وبينَكم ﴾ الآية، قال المفسّرون: قَدِمَ وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في إبراهيم عليه السلام فزعمت النصارى أنه كان نصرانياً وهم على دينه، وأولى الناس به، وقالت اليهود: بل كان يهودياً وهم على دينه وأولى الناس به، فقال لهم رسول الله ﷺ كِلَا الفريقين بريءٌ من إبراهيمَ ودينِهِ، بل كان حنيفاً مُسلماً وأنا على دينه وأولى الناس به، فاتّبعوا دينه الإسلام، فقالت اليهود: يا محمد ما تريد إلاّ أن نتخذك ربّاً كما اتخذت النصارى عيسى ربّاً؟ وقالت النصارى: يا محمد ما تريد إلاّ أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل يا أهلَ الكتاب تعالَوا إلى كلمةٍ ﴾ والعربُ تُسمّي كلَّ قِصَّةٍ لها شرح ﴿ كلمة ﴾ ومنه سمّيت القصيدة كلمة سواء عدل بيننا وبينكم مستوية أي أمر مُسْتَوٍ، يقال دعا فلان إلى السواء، أي إلى النَّصَفَة، وسواء كل شيء وسطه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فرآه في سواءِ الجحيم ﴾ [الصّافّات: ٥٥] وإنما قيل: «للنَّصَفَةِ سواء» لأن أعدل الأمور أفضلها وأوسطها، سواء نعت لكلمة إلاّ أنه مصدر، والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنّث، فإذا فُتحت السين مددت، وإذا كُسرت أو ضُمّت قُصرت، كقوله تعالى: ﴿ مكاناً سُوى ﴾ [طه: ٥٨]، ثم فسر الكلمة فقال: ﴿ أنْ لا نعبدَ إلاّ الله ﴾ ومحل ﴿ أن ﴾ رفع على إضمار ﴿ هي ﴾، وقال الزجّاج: رفع بالابتداء، وقيل: محله نصب بنزع حرف الصلة، معناه بأن لا نعبد إلاّ الله، وقيل: محله خفض بدلاً من الكلمة؛ أي: تعالوا إلى كلمة أنْ لا نعبد إلاّ اللّه، ﴿ولا نُشْرِكَ به شيئاً ولا يَتّخِذَ بعضُنا بعضاً أرْبَاباً من دون الله﴾ كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ [التوبة: ٣١]،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

حرام فلا نسجد لغير الله وقيل: معناه ولا نطيع أحداً في معصية الله ﴿فإن تولوا﴾ يعني فإن أعرضوا عما أمرتهم به ﴿فقولوا﴾ أنتم لهؤلاء ﴿اشهدوا بأنا مسلمون﴾ أي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له. (ق) عن ابن عباس أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهو بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دحية الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم اليرسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون لفظ الحديث أحد روايات البخاري، وقد أخرجه بأطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسيين وفي رواية الأريسيين والأريس الأكار وهو الزراع والفلاح وقيل: هم أتباع عبدالله بن أريس رجل كان في الزمن الأول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الأروسيون وهم نصارى أتباع عبدالله بن أروس وهم الأروسة. وقيل: هم الأريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم وقيل: هم المتبخترون وقيل: هم اليهود والنصارى الذين صددتهم عن الإسلام واتبعوك على كفرك. قوله عز وجل:

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾

﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم﴾ قال ابن عباس: اجتمع عند النبي ﷺ نصارى نجران وأحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلّا يهودياً. وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلّا نصرانياً فأنزل الله فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم؟ ﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلّا من بعده﴾ ومعنى الآية اليهود والنصارى

وقال عكرمة هو سجود بعضهم لبعض أي لا نسجد لغير الله، وقيل: معناه لا نطيع أحداً في معصية الله ﴿ فإنْ تولّوا فقولوا اشهدُوا ﴾ أي: فقولوا أنتم يا أمة محمد ﷺ لهم: اشهدوا ﴿ بأنّا مُسلمون ﴾ مُخلِصون بالتوحيد، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع، أخبرنا شُعيب عن الزهري أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجّاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله مادّ فيها أبا سفيان وكفّار قريش فأتوه وهو بإيليا فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دحية بن خليفة الكلبي وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلامٌ على مَن اتّبع الهدى أما بعد، فإني أدْعوكَ بدعاية الإسلام أسلم تَسْلَم أسلم يؤتِكَ اللَّهُ أجرَك مرتين فإن تولّيتَ فإنّما عليك إثم الأريسين و﴿ يا أهلَ الكتابِ تعالَوا إلى كلمةٍ سَواءٍ بينَنا وبينكم أنْ لا نعبدَ إلّا الله ولا نشركَ به شيئاً ولا يَتخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله فإنْ تولّوا فقولوا اشهدُوا بأنّا مسلمون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يا أهلَ الكتابِ لِمَ تُحاجّون في إبراهيم ﴾ تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما دينكم اليهودية

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لما اختصموا عند رسول الله ﷺ في شأن إبراهيم عليه السلام وادّعت كل طائفة أنه كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل إبراهيم مما ادعوا فيه وأخبر أن اليهودية والنصرانية إنما حدثا بعد نزول التوراة والإنجيل وإنما نزلا بعد إبراهيم بزمان طويل فكان بين إبراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمائة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى ألف وستمائة واثنتان وثلاثون سنة. وقال ابن إسحاق: كان بين إبراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة وعشرون سنة وأورد على هذا التأويل أن الإسلام أيضاً إنما حدث بعد إبراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل، وكذلك إنزال القرآن إنما نزل بعد التوراة والإنجيل فكيف يصح ما ادعيتم في إبراهيم أنه كان حنيفاً مسلماً وأجيب عنه بأن الله عز وجل أخبر في القرآن بأن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً وليس في التوراة والإنجيل أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى. وهو قوله تعالى ﴿أفلا تعقلون﴾ يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ ها للتنبيه وهو موضع النداء يعني يا هؤلاء والمراد بهم أهل الكتابين يعني يا معشر اليهود والنصارى ﴿حاججتم﴾ أي جادلتم وخاصمتم ﴿فيما لكم به علم﴾ يعني فيما وجدتم في كتبكم وأنزل عليكم بيانه في أمر موسى وعيسى، وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ يعني أنه ليس في كتابكم أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ﴿والله يعلم﴾ يعني ما كان إبراهيم عليه من الدين ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ يعني ذلك والمعنى وأنتم جاهلون بما تقولون في إبراهيم ثم برأه الله عز وجل عما قالوا فيه وأعلمهم أن إبراهيم بريء من دينهم. فقال تعالى:.

مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾ يعني لم يكن كما ادعوه فيه، ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى: ﴿ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ يعني مائلاً عن الأديان إلى الدين المستقيم وهو الإسلام وقيل: الحنيف الذي يوجد ويختتن ويضحي ويستقبل الكعبة في صلاته وهو أحسن الأديان وأسهلها وأحبها إلى الله عز وجل ﴿وما كان

والنصرانية وقد حدثت اليهودية بعد نزولِ التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، ﴿ وما أنزلت التوراةُ والإنجيلُ إلّا من بعده ﴾، أي: بعد إبراهيم بزمان طويل وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفا سنة ﴿ أفلا تعقلون ﴾ بطلان قولكم.

قوله تعالى: ﴿ ها أنتم ﴾ بتليين الهمزة، حيث كان مدني، وأبو عمرو والباقون بالهمزة واختلفوا في أصله، فقال بعضهم: أصله أنتم، وهاء تنبيه، وقال الأخفش: أصله أأنتم، فقلبت الهمزة الأولى هاء كقولهم: هرقت الماء وأرقت، ﴿ هؤلاء ﴾ أصله أولاء دخلت عليه هاء التنبيه، وهو موضع النداء يعني: يا هؤلاء أنتم، ﴿ حَاجَجْتم فيما لكم بِهِ علمٌ فلِمَ تُحاجّون فيما ليسَ لكم به علم ﴾، يعني في أمر موسى وعيسى، وادّعيتُم أنكم على دينهما، وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم، فلِمَ تُحاجّون فيما ليسَ لكمْ به عِلمٌ وليس في كتابكم أنه كان يهودياً أو نصرانياً، وقيل: حاججتم فيما لكم به علم يعني: في أمر محمد ﷺ، لأنهم وجدوا نعته في كتابهم، فجادلوا فيه بالباطل، فَلِمَ تُحاجّون في إبراهيم، وليس في كتابكم ولا عِلمَ لكم به، ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾، ثم برّأ الله تعالى إبراهيم عمّا قالوا، فقال:

﴿ ما كانَ إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ولكنْ كانَ حنيفاً مسلماً وما كانَ منَ المشركين ﴾، والحنيف المائل عن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

من المشركين﴾ يعني الذين يعبدون الأصنام وقيل: فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بإلٰهية المسيح وعبادتهم له. قوله عز وجل: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم﴾ يعني أخصهم به وأقربهم منه ﴿للذين اتبعوه﴾ يعني الذين كانوا في زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته ﴿وهذا النبي﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿والذين آمنوا﴾ يعني هذه الأمة الإسلامية ﴿والله ولي المؤمنين﴾ يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليي أبي وخليل ربي إبراهيم ثم قرأ ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين أخرجه الترمذي وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن إسحاق عن ابن شهاب بإسناده حديث هجرة الحبشة قال: لما هاجر جعفر بن أبي طالب وأناس من أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة وكان من أمر بدر وما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا: إن لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد ﷺ ثأراً ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالاً وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط معهما الهدايا الأدم وغيره فركبا البحر حتى أتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولأصحابك محبون، وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلاّ السفهاء وإنا كنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش، فلما اشتد عليه الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكم. قال: وآية ذلك أنهم إذا دخلوا

الأديان إلى الدين المستقيم، وقيل: الحنيف الذي يُوحّدُ ويحجُّ ويُضحي ويختتنُ ويستقبلُ الكعبةَ وهو أسهل الأديان وأحبّها إلى الله عزّ وجلّ.

قوله تعالى: ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتّبعوه ﴾ أي: مَن اتّبعه في زمانه وملّته بعده، ﴿ وهذا النبي ﴾ يعني محمداً ﷺ، ﴿ والذين آمنوا ﴾ يعني: من هذه الأمة ﴿ واللّهُ وليُّ المؤمنين ﴾، روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ورواه محمد بن إسحق عن ابن شهاب بإسناده حديث هجرة الحبشة لمّا هاجر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأُناس مِن أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة واستقرّت بهم الدار وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وكان من أمر بدر ما كان، اجتمعت قريش في دار الندوة، وقالوا: إن لنا في الذين هم عند النجاشي من أصحاب محمد ﷺ ثأراً ممّن قتل منكم ببدر، فاجمعوا مالاً واهدوه إلى النجاشي لعلّه يدفع إليكم من عنده من قومكم، ولينتدب لذلك رجلان من ذَوِي رأيكم؛ فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد أو عمارة بن أبي مُعيط مع الهدايا الأُدْم وغيره، فركبا البحر وأتيا الحبشة، فلما دخلا على النجاشي سجدا وسلّما عليه وقالا له: إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولأصحابك محبّون، وإنهم بعثونا إليك لنحذّرك هؤلاء الذين قَدِمـوا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منّا إلاّ السفهاء وإنّا كنّا قد ضيّقنا عليهم الأمر وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحدٍ ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش، فلما اشتدّ عليهم الأمر بعث إليك ابن عمّه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيّتك، فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم، وقالا: وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيّونك بالتحية التي يحيّيك بها الناس رغبة عن دينك وسنّتك، قال: فدعاهم النجاشي، فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله، فقال النجاشي: مُروا هذا الصائح فليُعِدْ كلامه، ففعل جعفر، فقال النجاشي: نعم فليدخلوا بأمان الله وذمّته، فنظر عمرو بن العاص إلى صاحبه فقال: ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله، وما أجابهم به النجاشي، فساءهما ذلك، ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له، فقال عمرو بن العاص: ألا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال: فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى فقال النجاشي: مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي: نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو إلى صاحبه فقال: ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما أجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص: ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهما النجاشي: ما منعكم أن تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق نسجد لله الذي خلقك وملكك إنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان فبعث الله فينا نبياً صادقاً فأمرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية أهل الجنة، فعرف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والإنجيل. قال: أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله؟ قال جعفر أنا قال فتكلم؛ قال: إنك ملك من ملوك الأرض من أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وإنما أحب أن أجيب عن أصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي: سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبيداً قد أبقنا من أربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي أعبيد هم أم أحرار؟ فقال بل أحرار كرام فقال النجاشي: نجوا من العبودية فقال جعفر: سلهما هل أرقنا دماً بغير حق فيقتص منا فقال عمرو: لا ولا قطرة قال جعفر: سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي: إن كان قنطاراً فعلي قضاؤه فقال عمرو: لا ولا قيراط فقال النجاشي: فما تطلبون منهم قال كنا وإياهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك وابتعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم إلينا فقال النجاشي: وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر: أما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة، وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الإسلام جاءنا به من عند الله رسول، وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقاً له فقال النجاشي: يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع إليه كل قسيس

ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك، فقال لهم النجاشي ما منعكم أن تسجدوا إليّ وتحيّوني بالتحية التي يُحييني بها مَن أتاني من الآفاق، قالوا: نسجد لله الذي خلقك ومُلْكَكَ، وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله فينا نبيّاً صادقاً وأمرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام، تحية أهل الجنة، فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل، قال: أيّكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله، قال جعفر: أنا، قال: فتكلمْ، قال: إنّك ملكٌ من ملوك أهل الأرض، ومن أهل الكتاب، ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم، وأنا أحبّ أن أُجيب عن أصحابي، فمرْ هذين الرجلين فليتكلمْ أحدهما ولينْصُتِ الآخر، فتسمع محاورتَنا، فقال عمرو لجعفر: تكلم، فقال جعفر للنجاشي: سَل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار كرام، فإن كنّا عبيداً أبِقْنَا من أربابنا فارْدُدْنا إليهم، فقال النجاشي: أعبيد هم أم أحرار؟ فقال عمرو: بل أحرار كرام، فقال النجاشي: نجوا من العبودية، ثم قال جعفر: سَلْ هل أهرقنا دماً بغير حق فيُقتصّ منّا؟ فقال عمرو: لا ولا قطرة، فقال جعفر: سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها؟ قال النجاشي: إن كان قنطاراً فعليّ قضاؤه، فقال عمرو: لا ولا قيراطاً، قال النجاشي: فما تطلبون منهم؟ قال عمرو: كنّا وهم على دين واحد وأمر واحد، على دين آبائنا فتركوا ذلك واتّبعوا غيره، فبعثنا إليك قومهم لتدفعهم إلينا، فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتّبعوه أصدقني؟ فقال جعفر: أمّا الدين الذي كنّا عليه فتركناه فهو دين الشيطان كنّا نكفر بالله ونعبد الحجارة، وأمّا الذي تحوّلنا إليه فدين الله الإسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب عيسى ابن مريم، موافقاً له، فقال النجاشي: يا جعفر لقد تكلمت بأمر عظيم فعلى رَسْلك، ثم أمر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع عليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وراهب، فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبياً مرسلاً قالوا: اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال: من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي. فقال النجاشي لجعفر: ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه؟ فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له فقال له: اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا: زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال: إنهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي: فما تقولون في عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما بقذى العين وقال: والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا. ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يقول آمنون من سبكم أو أذاكم غرم ثم قال: أبشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم فقال عمرو: يا نجاشي ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومن اتبعهم فأنكر ذلك المشركون وادعوا دين إبراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال: إنما هديتكم إلى رشوة فاقبضوها فإن الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر: فانصرفنا فكنا في خير جوار وأنزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله ﷺ في خصومتهم في إبراهيم وهو في المدينة: **﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي، والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾**. قوله تعالى: .

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ

عنده قال النجاشي: أنشدكم اللَّهَ الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبي مرسل فقالوا: اللَّهمّ نعم قد بشّرنا به عيسى، وقال: مَن آمن به فقد آمن بي ومَن كفر به فقدِ كفر بي، فقال النجاشي لجعفر: ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وما يأمركم به؟ وما ينهاكم عنه؟ فقال: يقرأ علينا كتاب الله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأمرنا بحُسن الجِوار وصلة الرحم، وبرِّ اليتيم، ويأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له، فقال: اقرأ عليّ مما يقرأ عليكم، فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم، ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع، وقالوا: زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب، فقرأ عليهم سورة الكهف، فأراد عمرو أن يُغضب النجاشي، فقال: إنهم يشتمون عيسى وأُمه، فقال النجاشي، ما تقولون في عيسى وأُمه؟ فقرأ جعفر عليهم سورة مريم، فلما أتى على ذكر مريم وعيسى عليهما السلام رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين، فقال: والله ما زاد المسيح على ما تقولون مثل هذا، ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، يقول: آمنون من سبّكم أو آذاكم غُرّم، ثم قال: أبشروا ولا تخافوا فلا دَهْورة اليوم على حزب إبراهيم، قال عمرو: يا نجاشي ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومَن تبعهم، فأنكر ذلك المشركون وادّعوا دين إبراهيم، ثم ردّ النجاشي على عمرو وصاحبه المالَ الذي حَملوه، وقال: إنما هديتكم إليّ رشوة فاقبضوها، فإن الله ملّكني ولم يأخذ منّي رشوة، قال جعفر: فانصرفنا فكنّا في خير دار وأكرم جوار، وأنزل الله تعالى في ذلك اليوم على رسول الله ﷺ في خصومتهم في إبراهيم، وهو بالمدينة **﴿ إنّ أَوْلَى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه، وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين ﴾**.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٧١ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٧٢﴾

﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم﴾ نزلت في معاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم، فنزلت فيهم ودت طائفة أي تمنت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم إلى الكفر ﴿وما يضلون إلاّ أنفسهم﴾ لأن المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الإثم بتمنيهم إضلال المؤمنين ﴿وما يشعرون﴾ يعني أن وبال الإضلال يعود عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني إضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك إنما يضلون أمثالهم وأتباعهم وأشياعهم ﴿يا أهل الكتاب﴾ الخطاب لليهود ﴿لم تكفرون بآيات الله﴾ يعني القرآن. وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والإنجيل من نعت محمد ﷺ وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والإنجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيها من بيان نعت محمد ﷺ وصفته والبشارة بنبوته لأنهم ينكرون ذلك، ﴿وأنتم تشهدون﴾ يعني أن نعته وصفته مذكور في التوراة والإنجيل، وذلك أن أحبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فإذا خلا بعضهم ببعض أظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا أنه حق يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل، وذلك أن علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم أن محمداً ﷺ رسول من عند الله وأن دينه حق، وكانوا ينكرون ذلك بألسنتهم وكانوا يجتهدون في إلقاء الشبهات والتشكيكات، وذلك أن الساعي في إخفاء الحق لا يقدر على ذلك إلاّ بهذه الأمور فقوله تعالى: ﴿لم تلبسون الحق بالباطل﴾ معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بأيديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الإسلام باليهودية والنصرانية وذلك أنهم تواطؤوا على إظهار الإسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره، والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل إنهم كانوا يقولون: إن محمداً ﷺ معترف بصحة نبوة موسى وإنه حق ثم إن التوراة دالة على أن شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس ﴿وتكتمون الحق﴾ يعني نعت محمد ﷺ وصفته في التوراة ﴿وأنتم تعلمون﴾ يعني أنه رسول من عند الله وأن دينه حق وإنما كتمتم الحق عناداً وحسداً وأنتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب. قوله عز وجل: ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره﴾ وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود، وقيل تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا أن محمداً ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فإذا فعلتكم

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَدّتْ طائفةٌ من أهل الكتاب ﴾، نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم، فنزلت ﴿ ودّتْ طائفة ﴾ أي: تمنّت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود، ﴿ لو يُضلّونكم ﴾ يستزيلونكم عن دينكم ويردّونكم إلى الكفر، ﴿ وما يُضلّون إلاّ أنفسهم وما يشعُرون ﴾.

﴿ يا أهلَ الكتابِ لِمَ تكفرونَ بآياتِ الله ﴾ يعني: القرآن وبيان نعت محمد ﷺ، ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ أن نعته في التوراة والإنجيل مذكور.

﴿ يا أهلَ الكتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحقَّ بالباطل ﴾ تُخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية، وقيل: لِمَ تخلطون الإيمان بعيسى عليه السلام وهو الحق، بالكفر بمحمد ﷺ، وهو الباطل. وقيل: لِمَ تخلطون التوراة التي أنزلت على موسى بالباطل الذي حرّفتموه وكتبتموه بأيديكم، ﴿ وتكتُمونَ الحقَّ وأنتم تعلمون ﴾ أن محمداً ﷺ ودينه حق.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ذلك شك أصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا: إنهم أهل الكتاب وأعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل: هذا في شأن القبلة وذلك أنه لما صرفت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد في أمر الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا إلى قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون: هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون إلى قبلتنا فأطلع الله رسوله ﷺ على سرهم وأنزل هذه الآية، ووجه النهار أوله والوجه مستقبل كل شيء لأنه أول ما يواجه منه وأنشدوا في معناه.

من كان مسروراً بمقتل مالك　　فليأت نسوتنا بوجه نهار

وقوله ﴿لعلهم يرجعون﴾ يعني عنه أي إنا ألقينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه ﷺ بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الإعلام من الله تعالى لكان ربما أثر ذلك في قلوب بعض من كان في إيمانه ضعف قوله تعالى: .

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿ولا تؤمنوا إلّا لمن تبع دينكم﴾ هذا متصل بالأول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي ولا تصدقوا إلّا لمن تبع دينكم أي وافق ملتكم التي أنتم عليها وهي اليهودية. واللام في لمن صلة كقوله ردف لكم أي ردفكم ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ أي إن الدين دين الله والبيان بيانه، وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال: هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الأول وهو إخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وإنزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات، ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصح ديناً منهم فلما أخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في أثناء ذلك قل إن الهدى هدى الله،

﴿ وقالتْ طائفةٌ من أهل الكتاب آمنوا ﴾ الآية، قال الحسن وقتادة والسدي: تواطأ اثنا عشر حَبْراً من يهود خيبر وقرى عرينة، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد ﷺ أول النهار باللسان دون الاعتقاد ثم اكفروا آخر النهار وقولوا: إنّا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ﷺ ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه، فإذا فعلتم ذلك شكّ أصحابه في دينهم واتّهموه، فقالوا إنهم أهل كتاب وهم أعلم منّا به فيرجعون عن دينهم. وقال مجاهد ومقاتل والكلبي: هذا في شأن القِبلة لمّا صُرِفت إلى الكعبة شقّ ذلك على اليهود، فقال كعب بن الأشرف لأصحابه: آمنوا بالذي أُنزل على محمد من أمر الكعبة وصلّوا إليها أول النهار، ثم اكفروا وارجعوا إلى قِبلتكم آخر النهار لعلّهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم فيرجعون إلى قِبلتنا، فأطلع الله تعالى رسوله على سرّهم وأنزل: ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا ﴾ ﴿ بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار ﴾ أوله، سُمّي وجهاً لأنه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فيراه، ﴿ واكفروا آخره لعلّهم يَرْجِعُون ﴾، فيشكّون ويرجعون عن دينهم.

﴿ وَلا تُؤمنوا إلّا لمَن تَبعَ دينَكم ﴾، هذا متصل بالأول من قول اليهود بعضهم لبعض، ولا تُؤمنوا أي: ولا تصدقوا إلّا لمَن تبع دينكم، أي: وافق ملّتكم، واللام في ﴿ لمَن ﴾ صلة أي: لا تصدقوا إلّا لمَن تبع دينكم اليهودية، كقوله تعالى: ﴿ قلْ عسى أن يكونَ رَدِفَ لكم ﴾ [النمل: ٧٢] أي: ردفكم. ﴿ قلْ إن الهدى هدى الله ﴾، هذا خبر من الله تعالى أن البيان بيانه، ثم اختلفوا فيه فمنهم مَن قال: هذا كلام معترض بين كلامين وما

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

والمعنى أن الذي أنتم عليه إنما صار ديناً بحكم الله وأمره فإذا أمر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لأنه هو الذي هدى إليه وأمر به وقيل: معناه قل لهم: يا محمد إن الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والأعمش إن يؤتى بكسر الألف فيكون قول اليهود تاماً عند قوله إلّا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد إن الهدى هدى الله ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ وتكون أن معنى الجحد أي ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد من الدين والهدى ﴿أو يحاجوكم عند ربكم﴾ يعني إلّا أن يحاجوكم أي اليهود بالباطل فيقولوا: نحن أفضل منكم وقوله عند ربكم أي عند فعل ربكم وقيل: أوفي قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما أعطى الله أحداً مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على الاستفهام، وحينئذٍ يكون في الكلام اختصار تقديره أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهودمن الكتاب والحكمة فتحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا: هذا من قول الله تعالى قل يا محمد إن الهدى هدى الله ألأن أنزل كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. وقوله: أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى إن لأنهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر. والمعنى وأن يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل: يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين، فإن حسدوكم فقل إن الفضل بيدالله، فإن حاجوكم فقل إن الهدى هدى الله ويحتمل أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله: ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله عز وجل: ولا تصدقوا يا معشر المؤمنين

بعده متصل بالكلام الأول إخبار عن قول اليهود لبعض، ومعناه: ولا تؤمنوا إلّا لمَن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من العلم والكتاب والحكمة والآيات من المنّ والسلوى وفلق البحر وغيرها من الكرامات، ولا تؤمنوا أن يحاجّوكم عند ربكم لأنكم أصحّ ديناً منهم، وهذا معنى قول مجاهد، وقيل: إن اليهود قالت لسفلتهم، ولا تؤمنوا إلّا لمَن تبع دينكم، ﴿ أن يُؤتى أحدٌ مثلَ ما أُوتيتم ﴾ من العلم، أي لئلا يُؤتى أحد، و﴿ لا ﴾ فيه مضمرة، كقوله تعالى: ﴿ يُبيّن اللّهُ لكم أن تضلّوا ﴾ [النساء: ١٧٦] أي: لئلا تضلّوا، يقولون: لا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم في العلم، أو لئلا يحاجّوكم عند ربكم فيقولوا عرفتم أن ديننا حق، وهذا معنى قول ابن جريج، وقرأ الحسن والأعمش (إن يؤتـى) بكسـر الألف، فيكون قول اليهود تامّاً عند قوله: إلّا لمَن تبع دينكم، وما بعده من قول الله تعالى، يقول: قلْ يا محمد ﴿ إن الهدى هدى الله ﴾ أن يُؤتى ﴿ أن ﴾ بمعنى: الجحد، أي: ما يُؤتى أحد مثل ما أُوتيتم يا أمة محمد ﷺ، ﴿ أو يُحاجّوكم عند ربكم ﴾ يعني: إلّا أن يجادلكم اليهود بالباطل فيقولوا: نحن أفضل منكم، فقوله عزّ وجلّ: ﴿ عند ربكم ﴾، أي: عند فعل ربكم بكم، وهذا معنى قول سعيد بن جبير والحسن والكلبي ومقاتل، وقال الفرّاء ويجوز أن يكون ﴿ أو ﴾ بمعنى حتى كما يُقال: تعلق به أو يُعطيك حقك، ومعنى الآية: ما أُعطي أحدٌ مثلَ ما أُعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجّة حتى يحاجّوكم عند ربكم! وقرأ ابن كثير « آن يُـؤتى » بالمدّ على الاستفهام، وحينئذ يكون فيه اختصار تقديره: أن يُؤتى أحد مثل ما أُوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به، هذا قول قتادة والربيع، قالا: هذا من قول الله تعالى، يقول: قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله بأن أُنزل كتاباً مثل كتابكم وبعث نبيّاً حسدتموه وكفرتم به، ﴿ قل إنّ الفضلَ بيد الله يُؤتيهِ مَنْ يشاءُ واللّهُ واسعٌ عليم ﴾، قوله: ﴿ أو يحاجّوكم ﴾ على هذه القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين، وتكون (أو) بمعنـى (أن) لأنهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

إلّا لمن تبع دينكم ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك فإن الهدى هدى الله، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. فتكون الآية كلها خطاباً للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى: ﴿قل إن الفضل﴾ يعني قل لهم يا محمد إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام ﴿بيد الله﴾ أي أنه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه ﴿يؤتيه من يشاء﴾ يعني الفضل الذي هو دين الإسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله تعالى رداً عليهم قل لهم ليس ذلك إليهم وإنما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأصل الفضل في اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل في زيادة الإحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ﴿والله واسع﴾ أي ذو سعة يتفضل على من يشاء ﴿عليم﴾ أي بمن يتفضل عليه وهو للفضل أهل.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿يختص برحمته﴾ يعني بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذي هو الإسلام وقيل بالقرآن ﴿من يشاء﴾ يعني من خلقه وفيه دليل على أن النبوة لا تحصل إلّا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لأنه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل أن يفعل ما يشاء إلى من يشاء بغير استحقاق ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ قوله عز وجل: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك﴾ الآية نزلت في اليهود أخبر الله عز وجل أن فيهم أمانة وخيانة وقسمهم قسمين، والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤد الأمانة وإن كثرت مثل عبدالله بن سلام وأصحابه ومنهم من لا يؤديها وإن قلت: وهم كفار أهل

أي: وإن يُحاجّوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم، فقل يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه، ويجوز أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين، ويكون نظم الآية: أن يُؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم يا معشر المؤمنين حسدوكم، فقل: إن الفضل بيد الله، وإن حاجّوكم، فقل: ﴿ إن الهدى هدى الله ﴾، ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قد تمّ عند قوله: ﴿ لعلّهم يرجعون ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ولا تؤمنوا ﴾ من كلام الله يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكّوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم، ويقول: لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلّا لمَن اتّبع دينكم، ولا [تصـ]ـدقوا أن يُؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من العلم والدين والفضل، ولا تصدقوا أن يحاجّوكم في دينكم عند ربكم أي: يقدروا على ذلك، فإن الهدى هدى الله، وإن الفضل بيد الله يُؤتيه مَن يشاء والله واسع عليم، فتكون الآية كلها خطاب الله للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا.

قوله: ﴿ يختصّ برحمته ﴾ أي: بنبوّته ﴿ مَن يشاءُ واللّهُ ذو الفضلِ العظيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ومن أهل الكتابِ مَنْ إنْ تأمَنْهُ بقنطار يؤدِّهِ إليك ﴾ الآية، نزلت في اليهود أخبر الله تعالى أن فيهم أمانة وخيانة، والقنطار عبارة عن المال الكثير، والدينار عبارة عن المال القليل، يقول: منهم مَن يؤدّي الأمانة وإن كثرتْ، ومنهم مَن لا يؤدّيها وإن قلّتْ، قال مقاتل: ﴿ ومِنْ أهل الكتاب مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤدِّهِ إليك ﴾ هم مؤمنوا أهل الكتاب، كعبد الله بن سلّام وأصحابه، ﴿ ومنهم مَنْ إنْ تأمنه بدينارٍ لا يُؤدِّه إليك ﴾ يعني: كفّار اليهود، ككعب بن الأشرف وأصحابه، وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ: ﴿ ومِنْ أهل الكتاب مَنْ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الكتاب مثل كعب بن الأشرف وأصحابه قال ابن عباس في هذه الآية: أودع رجل من قريش عبدالله بن سلام ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه فذلك قوله تعالى: ﴿**ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك**﴾ يعني فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه وجحده ولم يؤده إليه. وقيل: أهل الأمانة هم النصارى، وأهل الخيانة هم اليهود لأن مذهبهم أن يحل قتل من خالفهم في أمر الدين وأخذ ماله بأي طريق كان ﴿**إلاّ ما دمت عليه قائماً**﴾ قال ابن عباس: يريد تقوم عليه وتطالبه بالإلحاح والخصومة والملازمة وقيل: معناه إلاّ مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه. وقيل أراد أنه إن أودعته شيئاً ثم استرجعته منه في الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك. وإن أخرت استرجاع ما أودعته وأنكره ولم يرده عليك ﴿**ذلك**﴾ أي سبب ذلك الاستحلال والخيانة ﴿**بأنهم قالوا**﴾ يعني اليهود ﴿**ليس علينا في الأميين سبيل**﴾ يعني أنهم يقولون ليس علينا إثم ولا حرج في أخذ مال العرب وذلك أن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا إنهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل: إن اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا إذا أكلنا أموال عبيدنا وقيل إنهم قالوا: إن الأموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا، وإنما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا في أخذها منهم بأي طريق كان وقيل إن اليهود كانوا يبايعون رجالاً من المسلمين في الجاهلية. فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا: ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم، وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فأكذبهم الله تعالى فقال ﴿**ويقولون على الله الكذب**﴾ يعين اليهود ﴿**وهم يعلمون**﴾ يعني أنهم كاذبون ثم إنه تعالى رد على اليهود قولهم فقال: .

﴿ **إنْ تأمنه بقنطار يؤدِّه إليك** ﴾ يعني: عبد الله بن سلام، أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأدّاها إليه، ﴿ **ومنهم مَنْ إنْ تأمنه بدينارٍ لا يُؤدِّهِ إليك** ﴾ يعني: فنحاص بن عازُورَاء، استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه، قوله: ﴿ **يؤدِّهِ إليك** ﴾ قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة ﴿ **يُؤدّه** ﴾ و﴿ **لا يُؤدّهِ** ﴾ و﴿ **نُصْلهِ** ﴾ [النساء: ١١٥] و﴿ **نُؤتِه** ﴾ [آل عمران: ١٤٥، الشورى: ٢٠] و﴿ **نُولهِ** ﴾ [النساء: ١١٥] ساكنة الهاء، وقرأ أبو جعفر وقالـون ويعقوب بالاختلاس كسراً، والباقون بالإشباع كسراً، فمَن سكّن الهاءَ قال: لأنها وضعت في موضع الجزم وهو الياء الذاهبة، ومَن اختلس فاكتفى بالكسرة عن الياء، ومَن أشبع فعلى الأصل، لأن الأصل في الهاء الإشباع، ﴿ **إلا ما دُمْتَ عليه قائماً** ﴾، قال ابن عباس مُلِحّاً، يريد يقوم عليه يطالبه بالإلحاح، وقال الضحاك: مواظباً أي تُواظب عليه بالاقتضاء، وقيل: أراد أودعته ثم استرجعته وأنت قائم على رأسه ولم تفارقه ردّه إليك، فإن فارقته وأخّرته أنكره ولم يؤدّهِ، ﴿ **ذلك** ﴾ أي: ذلك الاستحلال والخيانة، ﴿ **بأنهم قالوا ليسَ علينا في الأُمّيين سبيل** ﴾ أي: في مال العرب إثم وحَرَج، كقوله تعالى: ﴿ **ما على المحسنين من سبيل** ﴾ [التوبة: ٩١]، وذلك بأن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا، لأنهم ليسوا على ديننا ولا حُرمة لهم في كتابنا، وكانوا يستحلّون ظلم مَن خالفهم في دينهم، وقال الكلبي: قالت اليهود إن الأموال كلها كانتْ لنا فيما في يد العرب منها فهو لنا، وإنما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في أخذنا إياه منهم، وقال الحسن وابن جريج ومقاتل: بايع اليهود رجالاً من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا: ليس لكم علينا حق، ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم، وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتبهم، فكذّبهم اللّهُ عزّ وجلّ وقال عزّ من قائل: ﴿ **ويقولون على الله الكذِبَ وهم يعلمون** ﴾، ثم قال ردّاً عليهم:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿بلى﴾ أي ليس الأمر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفي ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدىء من أوفى أي ولكن ﴿من أوفى بعهده﴾ أي بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن الذي أنزل عليه وبأداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعة إلى الموفى ﴿واتقى﴾ يعني الكفر والخيانة ونقض العهد ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ يعني الذين يتقون الشرك. (ق) عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر، وفي رواية إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر. قوله عز وجل: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ قال عكرمة نزلت هذه الآية في أحبار اليهود ورؤسائهم أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب الذين كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد ﷺ فبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التي كانوا يأخذونها من أتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود الذين قالوا: إنه ليس علينا في الأميين سبيل وكتبوا ذلك بأيديهم وحلفوا أنه من عند الله وقيل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له. (ق) عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان» قال عبدالله: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقة من كتاب الله عز وجل: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ إلى آخر الآية وفي رواية: «قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها

﴿ بلى ﴾ أي: ليس كما قالوا بل عليهم سبيل، ثم ابتدأ فقال: ﴿ مَنْ أَوْفَى ﴾ أي: ولكن مَن أوفى ﴿ بعهده ﴾ أي: بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن وأداء الأمانة، وقيل: الهاء في عهده راجعة إلى الموفي ﴿ واتقى ﴾ الكفرَ والخيانةَ ونقضَ العهد، ﴿ فإنّ اللَّهَ يحبُّ المتّقين ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مُرّة عن مسروق عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «أربع مَن كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومَن كانتْ فيه خَصْلَةٌ منهنّ كانتْ فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا ائتُمن خان وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

قوله تعالى: ﴿ إنّ الذين يَشْتَرُون بعهدِ اللَّهِ وأيمانهم ثمناً قليلاً ﴾ قال عكرمة: نزلت في رؤوس اليهود كتموا ما عهِد الله إليهم في التوراة في شأن محمد ﷺ وبدّلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا يفوتهم المآكل والرِّشا التي كانت لهم من أتباعهم. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل أنا أبو عُوانة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن حلف عليّ يمينِ صَبْرٍ يقتطع بها مالَ امْرِىءٍ مسلم لقيَ اللَّهَ يومَ القيامةِ وهو عليه غضبان»، فأنزل الله تعالى تصديق ذلك ﴿ إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ﴾ إلى آخر الآية، فدخل الأشعث بن قيس، فقال: ما يحدّثكم أبو عبد الرحمن؟ فقالوا: كذا وكذا، فقال: فيّ أنزلتْ كانتْ لي بئرٌ في أرض

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فأنزل الله تصديق ذلك ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ الآية. فدخل الأشعث بن قيس الكندي فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فيَّ نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: شاهداك أو يمينه قلت إنه إذا يحلف لا يبالي فقال رسول الله ﷺ: من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان». ونزلت ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ إلى آخر الآية. وأخرجه الترمذي وأبو داود وقالا: إن الحكومة كانت بين الأشعث وبين رجل يهودي. وقيل نزلت هذه الآية في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه. (خ) عن عبدالله بن أبي أوفى: «أن رجل أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ إلى آخر الآية. وقيل الأقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ﴿إن الذين يشترون بعهد الله﴾ يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء به. ومعنى إن الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعني الأمانة وأيمانهم يعني الكاذبة ثمناً قليلاً يعني شيئاً يسيراً من حطام الدنيا، وذلك لأن المشتري يأخذ شيئاً ويعطي شيئاً فكل

ابن عمّ لي فأتيت رسول الله ﷺ فحدّثته، فقال: «هاتِ بيّنتَكَ أو يمينه»، قلت: إذاً يحلِفُ عليها يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «مَن حلف على يمين صَبْرٍ وهو فيها فاجرٌ يقتطع بها مالَ امْرىءٍ مسلم لقيَ اللَّهَ يوم القيامة وهو عليه غضبان». أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجّاج أنا قتيبة بن سعيد أنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل بن حجر، عن أبيه قال: جاء رجل من حضرموت ورجل من كِنْدة إلى النبي، فقال الحضرمي: يا رسول الله إن هذا قد غلبني على أرضٍ لي كانتْ لأبي، فقال الكندي: هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق، فقال النبي ﷺ للحضرمي: «ألك بيّنة»؟ قال: لا، قال: «فلك يمينه» قال: يا رسول الله إن الرجل فاجرٌ لا يُبالي على ما يحلف عليه، قال: «ليس لك منه إلاّ ذلك»، فانطلق ليحلف له، فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: «أمَا لئِنْ حَلَفَ على مالِهِ ليأكله ظلماً ليَلْقَيَنَّ اللَّهَ وهو عنه مُعْرِض»، ورواه عبد الملك بن عمير عن علقمة، وقال هو امرؤ القيس بن عابس الكندي وخصمه ربيعة بن عبدان، وروى: لمّا همّ أن يحلف نزلت هذه الآية فامتنع امرؤ القيس أن يحلف. وأقرّ لخصمه بحقه ودفعه إليه. أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي، أنا أبو مصعب عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن سعيد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أمامة أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن اقتطع حقَّ امرىءٍ مسلم بيمينه حرّم الله عليه الجنّة وأوجب له النار»، قالوا: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك» قالها ثلاث مرات. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن محمد أنا هشيم بن محمد أنا العوّام بن حوشب عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى أنّ رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أُعطي بها ما لم يعطِ، ليُوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت: ﴿ إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ﴾، قوله تعالى: ﴿ إنّ الذين يشترون ﴾ أي: يستبدلون بعهد الله، وأراد الأمانة، وأيمانهم الكاذبة ثمناً قليلاً أي: شيئاً قليلاً من حطام الدنيا، ﴿ أولئك لا خَلاقَ لهم ﴾، لا نصيب لهم ﴿ في الآخرة ﴾، ونعيمها، ﴿ ولا يُكلمهُم الله ﴾ كلاماً ينفعهم ويُسرّهم، وقيل: هو بمعنى الغضب، كما يقول الرجل: إني لا أُكلّم فلاناً إذا كان غضب عليه، ﴿ ولا ينظرُ إليهم يومَ القيامة ﴾ أي: لا يرحمهم ولا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

واحد من يعطي، والمأخوذ ثمناً للآخر فهذا معنى الشراء ﴿أولئك﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها ﴿ولا يكلمهم الله﴾ يعني كلاماً يسرهم به أو ينفعهم. وقيل: هو بمعنى الغضب ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ أي لا يرحمهم ولا يحسن إليهم ولا ينيلهم خيراً ﴿ولا يزكيهم﴾ أي ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يعني في الآخرة. (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرىء مسلم، ورجل منع فضل ماله فيقول الله له اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»، (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقلت: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب «وللنسائي» المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب. (م) عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له ا لنار فقالوا: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً قال وإن كان قضيباً من أراك» قوله عز وجل: .

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وإن منهم﴾ يعني من اليهود ﴿لفريقاً﴾ يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر ﴿يلوون﴾ أي يعطفون ويميلون، وأصل اللي الفتل من قولك

يُحسن إليهم ولا يُنيلهم خيراً، ﴿ ولا يُزكّيهم ﴾، أي: لا يُثني عليهم بالجميل ولا يُطهرهم من الذنوب، ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفار بن محمد الفارسي، أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد أنا سفيان أنا مسلم بن الحجّاج أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن علي بن مُدرك عن أبي زرعة عن خرشة بن الحرّ عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يُكلمهم الله يومَ القيامة ولا ينظر إليهم ولا يُزكّيهم ولهم عذابٌ أليم» قال: قرأها رسول الله ﷺ ثلاثَ مرات، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «المُسبل والمنّان والمنفق سلعته بالحَلِفِ الكاذب»، في رواية «المسبل إزاره»، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أسيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي، أنا أبو نصر محمد بن حمدويه المروزي أنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يُكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يُزكّيهم ولهم عذاب أليم، رجل حلف يميناً على مال مسلم فاقتطعه، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد صلاة العصر أنه أُعطي بسلعته أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل منع فضل مالِه، فإن الله تعالى يقول اليوم أمنعك فضل ما لم تعمل يداك».

قوله تعالى: ﴿ وإنّ منهم لفريقاً ﴾ يعني: من أهل الكتاب لفريقاً أي: طائفة، وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيّ بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر، ﴿ يَلْوُونَ ألسنَتهم بالكتاب ﴾ أي: يعطفون

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لويت يده إذا فتلتها ﴿ألسنتهم بالكتاب﴾ يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لأن المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قال الواحدي: ويحتمل أن يكون المعنى يلوون بألسنتهم الكتاب لأنهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الإمام فخر الدين عن القفال قال يلوون ألسنتهم معناه أن يعمدوا إلى اللفظة فيحرفونها في حركات الإعراب تحريفاً يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل إنهم غير واصفة النبي ﷺ من التوراة وبدلوها، وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا ﴿لتحسبوه من الكتاب﴾ يعني لتظنوا أن الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي أنزله الله أنبيائه ﴿وما هو من الكتاب﴾ يعني ذلك الذي يزعمون أنه من الكتاب ما هو منه ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾ يعني الذي يقولونه ويغيرونه، وإنما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لأجل التأكيد ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ يعني أنهم كاذبون. وقال ابن عباس: إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا في كتاب الله ما ليس فيه. قوله عز وجل: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة﴾ قيل إن نصارى نجران قالوا إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً فقال الله تعالى رداً عليهم: ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام أن يؤتيه الله الكتاب يعني الإنجيل. وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر يعني محمداً ﷺ أن يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك أن أبا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا: يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك رباً؟ قال معاذ الله أن آمر بعبادة غير الله وما بذلك أمرني الله، وما بذلك بعثني فأنزل الله هذه الآية ما كان لبشر أي ما ينبغي لبشر وهو جميع بني آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع أن يؤتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم، وقيل هو إمضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة ﴿ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾ ومعنى الآية أنه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عباداً لي من دون الله وكيف يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله وقد أتاه الله ما أتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك أن الأنبياء موصون بصفات لا يحصل معها ادعاء الإلهية والربوبية منها إن الله تعالى

ألسنتهم بالتحريف والتغيير، وهو ما غيّروا من صفة النبي ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، يُقال: لَوَى لسانه عن كذا أي: غيّره، ﴿ لِتَحْسَبُوه ﴾ أي: لتظنوا ما حرّفوا ﴿ مِنَ الكتاب ﴾، الذي أنزله الله تعالى، ﴿ وما هو مِنَ الكتابِ ويقولونَ هو مِنْ عندِ اللّهِ وما هو مِنْ عندِ الله ويقولون على الله الكذب ﴾ عمداً، ﴿ وهم يعلمون ﴾، أنهم كاذبون، وقال الضحاك عن ابن عباس: إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرّفوا التوراة والإنجيل وألحقوا بكتاب الله ما ليس منه.

قوله تعالى: ﴿ ما كان لبشر أنْ يُؤتِيه الله الكتاب ﴾ الآية، قال مقاتل والضحاك: ما كان لبشر يعني: عيسى عليه السلام، وذلك أن نصارى نجران كانوا يقولون: إن عيسى أمرهم أن يتّخذوه ربّاً فقال تعالى: ﴿ ما كان لبشر ﴾ يعني: عيسى ﴿ أن يُؤتيَه الله الكتاب ﴾ أي الإنجيل، وقال ابن عباس وعطاء: ﴿ ما كان لبشر ﴾ يعني محمداً ﴿ أن يُؤتيَه اللّهُ الكتاب ﴾ أي القرآن، وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود، والرئيس من نصارى أهل نجران قالا: يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربّاً فقال: معاذ الله أن آمر بعبادة غير الله، وما بذلك أمرني الله، وما بذلك بعثني، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ ما كان لبشـر ﴾ أي ما ينبغي لبشر، كقوله تعالى: ﴿ ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ﴾ [النور: ١٦] أي ما ينبغي لنا، والبشر: جميع بني آدمَ لا واحد له من لفظه، كالقوم والجيش، ويوضع موضع الواحد والجمع، ﴿ أن يُؤتيَه الله الكتاب والحكم ﴾، الفهم والعلم، وقيل: إمضاء الحكم عن الله عزّ وجلّ،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أتاهم الكتب السماوية، ومنها إيتاء النبوة ولا يكون إلّا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى ﴿**ولكن كونوا ربانيين**﴾ يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فأضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الإضمار إذا كان في الكلام ما يدل عليه، واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس: معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حكماء، وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم وكباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه، وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس، ولما مات ابن عباس رضي الله عنهما قال محمد بن الحنفية: اليوم مات رباني هذه الأمة قال سيبويه: الرباني المنسوب إلى الرب بمعنى كونه عالماً به ومواظباً على طاعته وزيادة الألف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد: الربانيون أرباب العلم واحدهم ربان وهو الذي يربى العلم ويربي الناس أي يعلمهم وينصحهم والألف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب إلى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته، وعلى قول المبرد الرباني مأخوذ من التربية. وقيل الربانيون هم ولاة الأمر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا أدعوكم إلى أن تكونوا عباداً لي ولكن أدعوكم إلى أن تكونوا ملوكاً وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته. وقال أبو عبيدة: أحسب أن هذه الكلمة ليست عربية إنما هي عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير. وقوله تعالى: ﴿**بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾ أي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب، فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه. قوله عز وجل:.

وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

﴿ **والنبوّة** ﴾، المنزلة الرفيعة بالإنباء، ﴿ **ثم يقول للناس كونوا عباداً لي منْ دُونِ اللّهِ ولكنْ كُونُوا** ﴾ أي: ولكن يقول كونوا، ﴿ **ربّانيين** ﴾، اختلفوا فيه، قال علي وابن عباس والحسن: كونوا فقهاء علماء، وقال قتادة: حكماء وعلماء، وقال سعيد بن جبير: العالم الذي يعمل بعلمه، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: فقهاء مُعلّمين، وقيل: الربّاني الذي يُربّي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء: حكماء وعلماء ونُصحاء لله في خلقه، قال أبو عبيدة: سمعت رجلاً عالماً يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي العارف بأنباء الأمة ما كان وما يكون، وقيل: الربانيون فوق الأحبار، والأحبار فوق العلماء، والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصائر بسياسة الناس، قال المؤرّج: كونوا ربّانيين تدينون لربكم، من الربوبية، كان في الأصل ربّي فأدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبهراني، وقال المبرّد: هم أرباب العلم سُمّوا به لأنهم يربّون العلم، ويقومون به ويربّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، وكل مَن قام بإصلاح الشيء وإتمامه فقد ربَّه يُربه، واحدُها: ربّان كما قالوا: ريّان وعطشان وشبعان وغرثان، ثم ضُمّت إليه ياء النسبة، كما يقال: الحياني ورقباني، وحُكي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هو الذي يُربّي علمه بعمله، قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس: اليوم مات ربّاني هذه الأمة، ﴿ **بما كنتم** ﴾ أي: بما أنتم كقوله تعالى: ﴿ **مَن كان في المهدِ صبيّاً** ﴾ [مريم: ٢٩]، أي: مَن هو في المهد ﴿ **تُعلِّمُون الكتابَ** ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم والكسائي ﴿ **تعلّمُون** ﴾ بالتشديد من التعليم، وقرأ الآخرون (تعلَمُـون) بالتخفيف من العلم، كقوله: ﴿ **وبما كنتم تَدْرُسُون** ﴾ أي: تقرؤون.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾

﴿ولا يأمركم﴾ قرىء بنصب الراء عطفاً على قوله ثم يقول: فيكون مردوداً على البشر وقيل على إضمار أن أي ولا أن يأمركم، وقرىء برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل لا يأمركم محمد ﷺ وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الأنبياء ﴿أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ يعني كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وإنما خص الملائكة والنبيين بالذكر لأن الذين وصفوا بعبادة غيرالله عز وجل من أهل الكتاب لم يحك عنهم إلاّ عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير، فلهذا المعنى خصهم بالذكر ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ إنما قاله على طريق التعجب والإنكار، يعني لا يقول هذا ولا يفعله.

قوله عز وجل: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ قال الزجاج: موضع إذ نصب والمعنى واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله. وقال الطبري: معناه واذكروا يا أهل الكتاب إذ أخذ الله يعني حين أخذ الله ميثاق النبيين. وأصل الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين، ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على أنفسهم من طاعة الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى أخذ الميثاق وجهين: أحدهما: أنه مأخوذ من الأنبياء. والثاني: أنه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعنى بهذه الآية، فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده أن يصدق بعضهم بعضاً، وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه وإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد ﷺ وعليهم أجمعين. وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل: إنما أخذ الميثاق من النبيين في أمر محمد ﷺ خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا، فقيل إنما أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل إليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وإنما كان محمد ﷺ مبعوثاً إلى أهل الكتاب دون النبيين، وإنما أطلق هذا اللفظ عليهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل كتاب والنبيون منا، وقيل أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم

قوله: ﴿ولا يأمُركم﴾، قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفاً على قوله: ثم يقول: فيكون مردوداً على البشر، أي: ولا يأمرَ ذلك البشر، وقيل: على إضمار ﴿أن﴾ أي: ولا أن يأمركم ذلك البشر، وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف، معناه: ولا يأمُركم الله، وقال ابن جريج وجماعة: ولا يأمُركم محمد، ﴿أن تَتَّخِذُوا الملائكة والنَّبيينَ أرْباباً﴾، كفعل قريش والصابئين حيث قالوا: الملائكة بنات الله واليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح وعُزير ما قالوا، ﴿أيأمُركم بالكفر بعد إذ أنتم مُسلمون﴾، قالوا له على طريق التعجّب والإنكار، يعني: لا يقوله هذا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ أخذَ اللّهُ ميثاقَ النّبيين لما آتيتُكم مِنْ كتابٍ وحِكمةٍ﴾ قرأ حمزة ﴿لما﴾ بكسر اللام، وقرأ الآخرون بفتحها، فمَن كسر اللام فهي لامُ الإضافة دخلت على ما الموصولة، ومعناه: إن الذي يريد للذي آتيتكم، أي: أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي آتاهم من الكتاب والحكمة وأنهم أصحاب الشرائع، ومَن فتح اللام فمعناه: للذي آتيتكم، بمعنى الخبر، وقيل: بمعنى الجزاء، أي: لئن آتيتكم ومهما آتيتكم، وجواب الجزاء، قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنّ به﴾ قوله: ﴿لما آتيتكم﴾ قرأ نافع وأهل المدينة (آتيناكم) على التعظيم كما قال: ﴿وآتينا داوود زبوراً﴾ [النساء: ١٦٣] ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ [مريم: ١٢] وقرأ الآخرون بالتاء لموافقة الخط، ولقوله: ﴿وإنّا معكم﴾ واختلفوا في المعنى بهذه الآية فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيّين خاصةً أن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

جميعاً في أمر محمد ﷺ فاكتفى بذكر الأنبياء لأن العهد مع المتبوع عهد مع الأتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن أبي طالب: ما بعث الله نبياً آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد ﷺ وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقيل إن المراد من الآية أن الأنبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أممهم بأنه إذا بعث محمداً ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله ﴿لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾ قرىء بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال: معنى الآية وإذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد ﷺ في التوراة لتؤمنن به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من أخذ الميثاق كما يقال أخذت ميثاقك لتفعلن لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية وإذ استحلف الله النبيين للذي أتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه وقوله ﴿ثم جاءكم رسول﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿مصدق لما معكم﴾ وذلك أن الله وصفه في كتب الأنبياء المتقدمة وشرح فيها أحواله فإذا جاءت صفاته وأحواله مطابقة في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقاً لها فيجب الإيمان به والانقياد لقوله ولام قوله ﴿لتؤمنن به﴾ لام القسم تقديره والله لتؤمنن به ﴿ولتنصرنه﴾ قال البغوي: قال الله عز وجل للأنبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والأنبياء فيهم كالمصابيح أخذ عليهم الميثاق في أمر محمد ﷺ ﴿أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ الآية. وقال الإمام فخرالدين الرازي: يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على أن الانقياد من الله واجب، فإذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه، فإذا أخبرهم بعد ذلك أن الله أمر الخلق بالإيمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق ﴿قال أأقررتم﴾ يعني قال الله تعالى: أأقررتم فإن فسرنا أن أخذ الميثاق كان من النبيين؛ كان معناه قال الله تعالى للنبيين: أأقررتم بالإيمان به والنصر له وإن فسرنا بأن أخذ الميثاق كان على الأمم كان معناه قال كل نبي لأمته أأقررتم وذلك لأنه تعالى أضاف أخذ الميثاق إلى نفسه وإن كان النبييون أخذوه على الأمم فلذلك طلب هذا الإقرار وأضافه إلى نفسه وإن وقع من الأنبياء والمقصود أن الأنبياء بالغوا في إثبات هذا الميثاق وتأكيده على الأمم وطالبوهم بالقبول وأكدوا ذلك بالإشهاد ﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أي عهدي والإصر العهد الثقيل وقيل سمي العهد إصراً لأنه مما يؤصر أي

يُبلِّغوا كتاب الله ورسالته إلى عباده، وأن يُصدّق بعضهم بعضاً وأخذ العهود على كل نبي أن يُؤمن بمَن يأتي بعده من الأنبياء، وينصره إن أدركه، فإن لم يدركه أن يأمر قومَه بنصرته إن أدركه، فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد ﷺ، وقال الآخرون: بما أخذ الله الميثاق منهم في أمر محمد ﷺ، فعلى هذا اختلفوا فمنهم مَن قال: إنما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيّين، وهذا قول مجاهد والربيع، ألا ترى إلى قوله: ﴿ ثم جاءكم رسولٌ مصدّق لما معكم لَتُؤمنّنّ به ولتنصرنّه ﴾، وإنما كان محمد ﷺ مبعوثاً إلى أهل الكتاب دون النبيّين يدلّ عليه أن في قراءة عبد الله بن مسعود وأُبيّ بن كعب ﴿ وإذْ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وإنّما القراءة المعروفة ﴿ وإذْ أخذ الله ميثاق النبيين ﴾ فأراد: أن الله أخذ ميثاق النبيّين أن يأخذوا الميثاق إلى أُممهم أن يُؤمنوا بمحمد ﷺ ويُصدّقوه وينصروه، إن أدركوه، وقال بعضهم: أراد أخذ الله الميثاق على النبيّين، وأممهم جميعاً في أمر محمد ﷺ، فاكتفى بذكر الأنبياء لأن العهد على المتبوع عهد على الأتباع، وهذا معنى قول ابن عباس، وقال عليّ بن أبي طالب: لم يبعث الله نبيّاً آدمَ فمن بعده إلّا أخذ عليه الميثاق والعهد في أمر محمد، وأخذ العهد على قومه ليؤمننّ به، ولئن بُعث وهم أحياء لينصرنّه، قوله: ﴿ ثم جاءَكم رسولٌ مصدقٌ لِمَا معكم ﴾، يعني: محمداً ﷺ، ﴿ لَتُؤمِنُنّ به ولَتَنْصُرنّه قال ﴾، يقول الله تعالى للأنبياء حين استخرج

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يشد ويعقد. ﴿قالوا أقررنا﴾ أي قال النبيون: أقررنا بما ألزمتنا من الإيمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك ﴿قال فاشهدوا﴾ يعني قال الله عز وجل للنبيين: فاشهدوا يعني أنتم على أنفسكم وقيل: على أممكم وأتباعكم الذين أخذتم عليهم الميثاق وقيل: قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور، وقيل: معناه فاعلموا وبينوا لأن أصل الشهادة العلم والبيان ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ يعني قال الله يا معشر الأنبياء وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أتباعكم أو قال للملائكة وأنا معكم من الشاهدين عليهم.

فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿فمن تولى﴾ أي أعرض عن الإيمان بمحمد ﷺ ونصرته ﴿بعد ذلك﴾ الإقرار ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ أي الخارجون عن الإيمان والطاعة. قوله عز وجل: ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم أنه على دين إبراهيم عليه السلام فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ: كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فغضبوا وقالوا: لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله أفغير دين الله؛ الهمزة للاستفهام والمراد منه الإنكار والتوبيخ يعني أفبعد أخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم أن دين إبراهيم هو دين الله الإسلام. تبغون قرىء بالتاء على خطاب الحاضر أي أفغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرى بالياء على الغيبة رداً على قوله فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿وله أسلم﴾ أي خضع وانقاد ﴿من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة وإباء من النفس. واختلفوا في معنى قوله طوعاً وكرهاً فقيل: أسلم أهل السموات طوعاً وأسلم بعض أهل الأرض طوعاً وبعضهم

الذريّة من صلب آدم عليه السلام والأنبياء فيهم كالمصابيح والسُّرج، وأخذ عليهم الميثاق في أمر محمد ﷺ، ﴿ أأقررْتُم وأخذتُم على ذلكم إصري ﴾، أي: قبلتم على ذلكم عهدي، والإصر: العهد الثقيل، ﴿ قالوا أقررنا قال ﴾، الله تعالى: ﴿ فاشهدوا ﴾ أي: فاشهدوا أنتم على أنفسكم وعلى أتباعكم، ﴿ وأنا معكم من الشاهدين ﴾، عليكم وعليهم، وقال ابن عباس: فاشهدوا، أي: فاعلموا، وقال سعيد بن المسيب: قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم كنايةً عن غير مذكور.

﴿ فمَنْ تولّى بعد ذلك ﴾، الإقرار، ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾، العاصون الخارجون عن الإيمان.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ أفغيرَ دِينِ اللّهِ يَبْغون ﴾، وذلك أنّ أهل الكتاب اختلفوا فادّعى كل واحد أنه على دين إبراهيم عليه السلام واختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال النبيّ ﷺ: «كِلَا الفريقين بريء من دين إبراهيم عليه السلام»، فغضبوا وقالوا: لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله تعالى: ﴿ أفغير دينِ الله يبغون ﴾، قرأ أهل البصرة وحفص عن عاصم ﴿ يبغون ﴾ بالياء لقوله تعالى: ﴿ وأولئك هم الفاسقون ﴾، وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى: ﴿ لما آتيتكم ﴾، ﴿ وله أسلم ﴾، خضع وانقاد، ﴿ مَنْ في السمواتِ والأرضِ طَوْعاً وكَرْهاً ﴾، فالطوع: الانقياد والاتباع بسهولة، والكره: ما كان بمشقّة وإباءٍ من النفس، واختلفوا في قوله﴿ طوعاً وكرهاً ﴾ قال الحسن: أسلم أهل السموات طوعاً وأسلم مَن في الأرض بعضهم طوعاً وبعضهم كرهاً خوفاً من السيف والسبي، وقال مجاهد: طوعاً المؤمنَ، وكرهاً ذلكِ الكافر، بدليل: ﴿ وللّهِ يسجدُ مَنْ في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ [الرعد: ١٥]، وقيل: هذا يوم الميثاق حين قال لهم: ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

كرهاً من خوف القتل والسبي، وقيل: أسلم المؤمن طوعاً وانقاد الكافر كرهاً، وقيل هذا في يوم أخذ الميثاق حين قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعاً، ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرهاً. وقيل: أسلم المؤمن طوعاً فنفعه إسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرهاً عند الموت في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك في القيامة وقيل إنه لا سبيل لأحد من الخلق إلى الامتناع على الله في مراده فأما المسلم فينقاد لله فيما أمره أو نهاه عنه طوعاً وأما الكافر فينقاد لله كرهاً في جميع ما يقتضي عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه ﴿وإليه ترجعون﴾ قرىء بالتاء والياء والمعنى أن مرجع الخلق كلهم إلى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا. قوله عز وجل:.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿قل آمنا بالله﴾ لما ذكر الله عز وجل في الآية المتقدمة أخذ الميثاق على الأنبياء في تصديق الرسول الذي يأتي مصدقاً لما معهم بين في هذه الآية أن من صفة محمد ﷺ مصدقاً لما معهم فقال تعالى: قل آمنا بالله وإنما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله آمنا بالله لأنه إنما خاطبه بلفظ الواحد ليدل هذا الكلام على أنه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى إلى الخلق إلا هو. ثم قال: آمنا بالله تنبيهاً على أنه حين قال هذا القول وافقه أصحابه فحسن الجمع في قوله آمنا، ومعنى الآية: قل يا محمد صدقنا بالله أنه ربنا وإلهنا لا إله غيره ولا رب سواه وإنما قدم الإيمان بالله على غيره لأنه الأصل ﴿وما أنزل علينا﴾ يعني وقل يا محمد وصدقنا أيضاً بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله وإنما قدم ذكر القرآن لأنه أشرف الكتب وأنه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل ﴿وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى﴾ إنما خص هؤلاء الأنبياء بالذكر لأن أهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم، والأسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا أنبياء ثم جمع جميع الأنبياء فقال ﴿والنبيون﴾ أي وما أوتي النبيون ﴿من ربهم لا نفرق بين أحد منهم﴾ وذلك أن أهل الكتاب

[الأعراف: ١٧٢]، فقال بعضهم: طوعاً وبعضهم: كرهاً، وقال: قتادة المؤمن مَن أسلم طوعاً فنفعه الإيمان، والكافر أسلم كرهاً في وقت اليأس فلم ينفعه الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ فلم يكُ ينفعُهم إيمانُهم لمّا رأوا بأسَنا ﴾ [غافر: ٨٥]، وقال الشعبي: هو استعاذتهم به عند اضطرارهم، كما قال الله تعالى: ﴿ فإذا ركِبُوا في الفلك دعوا اللَّهَ مخلصين له الدِّين ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقال الكلبي: طوعاً الذي وُلد في الإسلام، وكرهاً الذين أُجبروا على الإسلام ممّن يُسبى منهم فيُجاء بهم في السلاسل، ﴿ وإليه يرجعون ﴾، قرأ بالياء حفص عن عاصم ويعقوب كما قرأ ﴿ يبغون ﴾ بالياء وقرأ الآخرون بالتاء فيهما إلّا أبو عمرو فإنه قرأ ﴿ يبغون ﴾ بالياء و (ترجعون) بالتاء، قال: لأن الأولى خاصّ والثاني عامّ، لأن مرجع جميع الخلق إلى الله عزّ وجلّ.

قوله تعالى: ﴿ قلْ آمنّا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أُوتي موسى وعيسى والنبيُّون مِنْ ربِّهم لا نُفرِّقُ بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون ﴾، ذكر المِلَل والأديان واضطراب الناس فيها، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقول: آمنّا بالله الآية.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فأمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن يخبر عن نفسه وعن أمته أنه يؤمن بجميع الأنبياء. فإن قلت: لم عدي أنزل في «هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء». قلت لوجود المعنيين جميعاً لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر ﴿ونحن له مسلمون﴾ أي موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكاً في عبادتنا. قوله عز وجل: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ يعني أن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام وأن كل دين سواه غير مقبول عنده لأن الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ يعني الذين وقعوا في الخسارة وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة: في قوله: ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا. قوله عز وجل: ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾ نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً منهم الحارث بن سويد الأنصاري وطعمة بن أبيرق وحجوج بن الأسلت. وقال ابن عباس: نزلت في اليهود والنصارى وذلك أن اليهود كانوا قبل مبعث النبي ﷺ يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون: قد أظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد ﷺ كفروا به بغياً وحسداً ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للإيمان قوماً كفروا أي جحدوا نبوة محمد ﷺ بعد إيمانهم أي تصديقهم إياه وإقرارهم به وبما جاء به من عند ربه ﴿وشهدوا أن الرسول حق﴾ يعني وبعد أن أقروا وشهدوا أن محمداً رسول الله إلى خلقه وأنه حق وصدق ﴿وجاءهم البينات﴾ يعني الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها ثبتت النبوة ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي لايوفقهم إلى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى أنهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الآخرة إلى الجنة والثواب. فإن قلت: كيف قال في أول الآية كيف يهدي الله قوماً كفروا وقال في آخرها والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار؟ قلت: ليس فيه تكرار لأن قوله كيف يهدي الله قوماً كفروا إنما هو مختص بأولئك المرتدين عن الإسلام ثم إنه تعالى عمم ذلك الحكم في آخر الآية فقال: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني جميع الكفار المرتدين عن الإسلام والكافر الأصلي وإنما سمي الكافر ظالماً لأنه وضع العبادة في غير موضعها.

أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾

﴿أولئك جزاؤهم﴾ يعني الذين كفروا بعد إيمانهم ﴿أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين

قوله: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلام دِيناً فلَنْ يُقبلَ منهُ ﴾، نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدّوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفّاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري، فنزلت فيهم ﴿ وَمَنْ يبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلَنْ يُقبلَ منه وهو في الآخرةِ من الخاسرين ﴾.

﴿ كيف يَهدي اللَّهُ قوماً كفروا بعد إيمانهم ﴾، لفظة استفهام ومعناه جحد، أي: لا يهتدي الله، وقيل معناه: كيف يهديهم اللَّهُ في الآخرة إلى الجنة والثواب ﴿ وشهدوا أن الرسولَ حقٌ وجاءَهُم البيناتُ واللَّهُ لا يهدي القومَ الظالمين ﴾.

﴿ أولئكَ جزاؤُهم أنّ عليهم لعنةَ اللَّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فيها﴾ أي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة **﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾** أي لا يؤخرون عن وقت العذاب لا يؤخر عنهم من وقت إلى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال: **﴿إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك﴾** يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك أن الحارث بن سويد الأنصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الله فبعث بها إليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه، فأقبل إلى المدينة تائباً وقبل رسول الله ﷺ توبته وحسن إسلامه **﴿وأصلحوا﴾** أي وضموا إلى التوبة الأعمال الصالحة فبيَّن أن التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف إليها العمل الصالح. وقيل: معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات **﴿فإن الله غفور رحيم﴾** أي غفور لقبائحهم في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو وقيل: غفور بإزالة العذاب رحيم بإعطاء الثواب. قوله عز وجل: **﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم﴾** نزلت في اليهود وذلك أنهم كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى وغيره من أنبيائهم ثم ازدادوا كفراً يعني كفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك أنهم كفروا بمحمد ﷺ لما رأوه بعد إيمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفواً يعني ذنوباً في حال كفرهم. وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك أنهم أشركوا بالله بعد إقرارهم بأن الله خالقهم ثم ازدادوا كفراً يعني بإقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه، وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في أحد عشر رجلاً من أصحاب الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الإسلام فلما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا: نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى أردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله ﷺ مكة فمن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره: **﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار﴾** الآية. فإن قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما يعني قوله لن تقبل توبتهم؟ قلت اختلف المفسرون في معنى قوله: لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدي: لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لأن الله تعالى قال: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ فإن الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كأنه قال إن اليهود أو الكفار أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس: إنهم الذين ارتدوا وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم والكفر في ضمائرهم وقال

﴿ خالدين فيها لا يُخَفَّفُ عنهمُ العذابُ ولا هم يُنْظَرُون ﴾، وذلك أن الحارث بن سويد لمّا لحق بالكفّار ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا رسولَ الله ﷺ هل لي من توبة ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿ إلاّ الذينَ تابُوا مِنْ بعدِ ذَلِكَ وأصلحُوا فإنّ اللّهَ غفورٌ رحيم ﴾، لِما كان منه، فحملها إليه رجل من قومه وقرأها عليه فقال الحارث: إنك والله فيما علمت لصدوق وأن رسول الله ﷺ لأصدق منك وإن الله عزّ وجلّ لأصدق الثلاثة، فرجع الحارث إلى المدينة وأسلم وحَسُنَ إسلامه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادُوا كفراً ﴾ قال قتادة والحسن: نزلت في اليهود كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والقرآن، وقال أبو العالية: نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ لمّا رأوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم، ثم ازدادُوا كفراً، يعني: ذنوباً في حال كفرهم، قال مجاهد: نزلت في جميع الكفّار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم، ثم ازدادُوا كفراً أي: أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه، قال الحسن: ثم ازدادُوا كفراً كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادُوا كفراً وقيل: ثم ازدادُوا كفراً بقولهم: نتربص بمحمد ريبَ المنون، قال الكلبي: نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أبو العالية: هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال للشرك ولم يتوبوا من الشرك فإن توبتهم في حال الشرك، غير مقبولة. وقال مجاهد: لن تقبل توبتهم إذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري: معنى لن تقبل توبتهم أي مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم لا من كفرهم لأن الله تعالى لما وعد أن يقبل التوبة عن عباده وأنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى: ﴿**إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم**﴾ علم أن المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذي لا تقبل التوبة منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لأن الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما أقام على شركه، فإذا تاب من شركه وكفره وأصلح فإن الله كما وصف نفسه غفور رحيم. وقوله تعالى: ﴿**وأولئك هم الضالون**﴾ يعني هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً وهم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطؤوا منهاجه. قوله عزّ وجلّ: .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

﴿**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار**﴾ قال ابن عباس: لما فتح رسول الله ﷺ مكة دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حباً في الإسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر، وقيل نزلت فيمن مات كافراً من جميع أصناف اليهود والنصارى وعبدة الأصنام، فالآية عامة في جميع من مات على الكفر ﴿**فلن يقبل أحدهم ملء الأرض ذهباً**﴾ أي قدر ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها ﴿**ولو افتدى به**﴾ قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها أنها للعطف والتقدير لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهباً وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك وكذا لو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهباً لن يقبل منه، وهذا آكد في التغليظ لأنه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه. فإن قلت الكافر لا يملك شيئاً في الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً؟ قلت: الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن للكافر قدر ملء الأرض ذهباً يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق في الدنيا

سويد، لمّا رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدَا لَنا فمتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في الحارث، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة فمَن دخل منهم في الإسلام قُبلت توبتُه، ونزل فيمَن مات منهم كافراً ﴿ إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّار ﴾ [البقرة: ١٦١، آل عمران: ٩١] الآية، فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة مَن تاب، فما معنى قوله: ﴿ **لن تُقبل توبتُهم وأولئك هم الضالّون** ﴾، قيل: لن تُقبل توبتُهم إذا رجعوا في حال المعاينة، كما قال: ﴿ وليستِ التوبةُ للذين يعملون السيئات حتى إذا حضرَ أحدَهم الموتُ قال إنّي تُبتُ الآن ﴾ [النساء: ١٨]، وقيل: هذا في أصحاب الحارث بن سويد حيث أعرضوا عن الإسلام، وقالوا نتربص بمحمد ريبَ المنون، فإن ساعده الزمان نرجع إلى دينه، لن تُقبل توبتُهم، لن يقبل ذلك لأنهم متربصون غير محققين، وأولئك هم الضالّون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إنّ الذين كفرُوا وماتُوا وهم كفارٌ فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض** ﴾، أي: قدرَ ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها، ﴿ **ذهباً** ﴾، نصب على التفسير، كقولهم: عشرون درهماً. ﴿ **ولَوِ افْتَدَى به** ﴾، قيل: معناه لو افتدى به، والواو زائدة مقحمة، ﴿ **أولئك لهم عذابٌ أليمٌ وما لهم منْ ناصرين** ﴾. أخبرنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ملء الأرض ذهباً ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لأن الطاعة مع الكفر غير مقبولة ﴿أولئك﴾ إشارة إلى من مات على الكفر ﴿لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾ يعني مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا الشرك لفظ مسلم. قوله عز وجل: ﴿لن تنالوا البر﴾ قال ابن عباس: يعني الجنة، وقيل: البر هو التقوى، وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرار حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه وأصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه أي توسع في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لأنهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».

(م) عن النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالأعمال الصالحة حتى تكونوا أبراراً وتدخلوا في زمرة الأبرار ومن قال إن لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدي إلى الجنة ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ يعني من جيد أموالكم أنفسها عندكم قال الله تعالى: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ وقيل هو أن تنفق من مالك ما أنت محتاج إليه قال الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ (ق) عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: إن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا إلاّ وقد كان، واختلفوا في هذا الإنفاق قال ابن عباس: هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا حتى تخرجوا زكاة أموالكم فعلى هذا القول قيل إن الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعداً لأنه ترغيب في إخراج الزكاة وقال ابن عمر: المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن: كل شيء أنفقه المسلم من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فإنه يدخل في قوله: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً وكان أحب أمواله إليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب

عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أخبرنا شعبة عن أبي عمران قال: سمعتُ أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لأهونِ أهلِ النار عذاباً يوم القيامة: أرأيتَ لو أنّ لكَ ما في الأرض جميعاً من شيء أكنتَ تفدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردتُ منك أهونَ من ذلك وأنت صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلاّ أن تشرك بي».

قوله تعالى: ﴿ لَنْ تَنالُوا البِرَّ ﴾ يعني: الجنة، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد، وقال مقاتل بن حيّان: التقوى، وقيل: الطاعة، وقيل: الخير، وقال الحسن: لن تكونوا أبراراً، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن حماد الصالحي قال: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدقِ، فإنّ الصدق يهدي إلى البِرِّ، وإنّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزالُ الرجلُ يصدقُ ويتحرّى الصدقَ حتى يُكتبَ عندَ اللَّهِ صديقاً، وإياكم والكذبَ فإنّ الكذبَ يهدي إلى الفجورِ، والفجورُ يهدي إلى النار، وما يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتى يُكتبَ عند الله كذاباً». قوله تعالى: ﴿ حتى تنفقوا مما تُحبّون ﴾ أي: من أحبِّ أموالِكم إليكم، روى الضحاك عن ابن عباس: أن المراد منه أداء الزكاة، وقال مجاهد والكلبي: هذه الآية نسختها آية الزكاة، وقال الحسن: كل إنفاق يبتغي به

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قال أنس: فلما نزلت هذه الآية ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى يقول في كتابة ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحا وإنها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله ﷺ: «بخ بخ ذلك مال رابح» أو قال ذلك مال رابح أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة: افعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضا وتكريرها للمبالغة وهي مبنية على السكون فإذا وصلت جرب ونونت فقلت: بخ بخ قوله: مال رابح أي ذو ربح وفي الرواية الأخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه وبيرحا اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لأبي طلحة. وروي عن مجاهد قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فلما جاءت أعجبته فقال عمر إن الله عزّ وجلّ يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها عمر وعن حمزة بن عبدالله بن عمر أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية: ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ قال عبدالله فذكرت ما أعطاني الله تعالى فما كان شيء أحب إليّ من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سيل كان يحبها إلى رسول الله ﷺ فقال: تصدق بهذه يا رسول الله فأعطاها رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق بها فقال رسول الله ﷺ: قد قبلت صدقتك وفي رواية كأن زيداً أوجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي ﷺ قال: أما إن الله قد قبلها وروى أن أبا ذر نزل به ضيف فقال للراعي: ائتني بخير إبلي فجاء بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوماً حاجتكم إليه فقال: إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي وقوله تعالى: ﴿**وما تنفقوا من شيء**﴾ يعني من أي شيء كان من طيب تحبونه أو من خبيث تكرهونه ﴿**فإن الله به عليم**﴾ أي يعلمه ويجازيكم به.

قوله عز وجل: .

المسلمُ وجهَ الله حتى الثمرة ينال به هذا البرَّ، وقال عطاء: لن تنالوا البرَّ أي: شرفَ الدين والتقوى حتى تتصدقُوا وأنتم أصحّاء أشحّاء، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: (كان أبو طلحة الأنصاري أكثر الأنصار بالمدينة مالاً وكان أحبَّ ماله إليه بيرحا، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية ﴿ **لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا ممّا تُحبّون** ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ **لن تنالوا البرِّ حتى تُنفقوا ممّا تُحبّون** ﴾ وإنّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرحا، وإنها صدقة لله أرجو بِرَّها وذُخرَها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال رسول الله ﷺ: «بخٍ بخٍ ذلك مالٌ رابح». أو قال: «ذلك مال رابح وقد سمعتُ ما قلتَ فيها، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة أفعلُ يا رسول الله فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّـه. ورُوِيَ عن مجاهد قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فُتحتْ فدعا بها فأعجبته، فقال عمر: إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ **لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تُحبّون** ﴾ فأعتقها عمر. وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: خطرتْ على قلب عبد الله بن عمر هذه الآية ﴿ **لنْ تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا ممّا تُحبّون** ﴾ قال ابن عمر: فذكرتُ ما أعطاني الله عزّ وجلّ، فما كان شيء أعجب إليّ من فلانة، هي حرّةٌ لوجه الله تعالى، قال: ولولا أنني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها، ﴿ **وما تُنفقوا من شيء فإنّ اللّهَ به عليم** ﴾، أي: يعلمه ويجازي به.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾

﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلاّ ما حرم الله على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾ سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل وألبانها وأنت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي ﷺ: كان ذلك حلالاً لإبراهيم قالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا فأنزل الله عز وجل كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل أن ينزل التوراة يعني ليس الأمر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الإبل على إبراهيم بل كان ذلك حلالاً على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وإنما حرمه يعقوب بسبب من الأسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده فأنكر اليهود ذلك فأمرهم رسول الله ﷺ بإحضار التوراة وطلب منهم أن يستخرجوا منها أن ذلك كان حراماً على إبراهيم، فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبأن كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الأشياء على إبراهيم وقيل: إن اليهود أنكروا شرع محمد ﷺ وادعوا أن النسخ غير جائز، فأبطل الله ذلك عليهم وأخبر أن كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالاً ثم صار حراماً عليه وعلى أولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بأن النسخ غير جائز، فأنكرت اليهود ذلك وقالوا: بل كان ذلك حراماً من زمن آدم إلى هذا الوقت فألزمهم رسول الله ﷺ بإحضار التوراة وقال: إن التوراة ناطقة بأن بعض أنواع الطعام إنما حرم بسبب أن إسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من إحضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وأنهم ينسبون إلى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم بأن النسخ غير جائز، وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد ﷺ وذلك أنه ﷺ كان رجلاً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة، فلما أخبر أن ذلك ليس في التوراة علم أن الذي أخبر به ﷺ وحي من الله تعالى وقوله تعالى: كل الطعام يعني كل أنواع الطعام أو سائر المطعومات كان حلاً أي حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه قيل حرم لحوم الإبل وألبانها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس: أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله ﷺ أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل

قوله تعالى: ﴿ كلُّ الطعامِ كان حِلًّا لبني إسرائيل إلّا ما حرّمَ إسرائيلُ على نفسهِ مِنْ قَبلِ أن تُنزَّلَ التوراةُ ﴾ سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إنك تزعم أنك على مِلّة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لُحوم الإبل وألبانها وأنت تأكلها، فلستَ على مِلّته، فقال رسول الله ﷺ: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم عليه السلام»، فقالوا: كلُّ ما نحرّمُه اليومَ كان ذلك حراماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ كلُّ الطعام كان حِلًّا لبني إسرائيل ﴾، يريد: سِوَى الميتة والدم، فإنه لم يكن حلالاً قطّ، إلّا ما حرّم إسرائيل على نفسه وهو يعقوب عليه السلام من قبل أن تنزل التوراة، يعني: ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم، بل كان الكلُّ حلالاً له ولبني إسرائيل، وإنما حرّمها إسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة، يعني: ليست في التوراة حرمتُها، واختلفوا في الطعام الذي حرّمه يعقوب على نفسه وفي سببه، قال أبو العالية وعطاء ومقاتل والكلبي: كان ذلك الطعام لحمان: الإبل وألبانها، ورُوِيَ أن يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سُقْمُه فندر لئن عافاه الله من سقمه ليُحرمَنَّ أحبَّ الطعام والشراب إليه، وكان أحبُّ الطعام إليه لحم الإبل وأحبُّ الشراب إليه ألبانها،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرمنَّ أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟ فقالوا: اللّهم نعم. وقال ابن عباس: هي العروق وكان سبب ذلك أنه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روي عن الضحاك أن يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثني عشر ولداً وأتى بيت المقدس صحيحاً أن يذبح أحدهم. وفي رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال: يا يعقوب إنك رجل قوي فهل لك في الصراع؟ فعالجه فلم يصرع أحدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال أما إني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لأنك قد نذرت إن أتيت بيت المقدس صحيحاً ذبحت آخر ولدك، فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجاً، فلما قدم يعقوب بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فأتاه الملك وقال له: إنما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك إلى ذبح ولدك. وقال ابن عباس في آخرين أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص، وكان يعقوب رجلاً بطشاً قوياً فلقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب أنه لص فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد إلى السماء ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله رغاء أي صياح، فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقاً ولا طعاماً فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها، وقيل لما أصاب يعقوب ذلك وصف له الأطبار أن يجتنب لحوم الإبل فحرمها يعقوب على نفسه، وقيل إنما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبداً لله تعالى وسأل ربه أن تنجز فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لأن الله تعالى قال: كل الطعام كان حلاًّ لبني إسرائيل، ثم استثنى ما حرم إسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء أن يكون ذلك حراماً على بني إسرائيل أما قوله من قبل أن تنزل التوراة فمعناه أن قبل إنزال التوراة كان كل أنواع الطعام حلالاً لبني إسرائيل سوى ما حرمه

فحرّمهما، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك: هي العروق، وكان السبب في ذلك أنه اشتكى عرق النَّسا وكان أصل وجعه، فيما روى جُويبر عن الضحّاك: أن يعقوب كان نذر إن وهبه الله اثني عشر ولداً وأتى من بيت المقدس صحيحاً أن يذبح آخرهم، فتلقّاه ملَك من الملائكة، فقال: يا يعقوب إنك رجل قوي فهل لك في الصراع فصارعه فلم يصرعْ واحدٌ منهما صاحبَه، فغمزه الملَك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك، ثم قال له الملَك: أمَا أني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لأنك كنت نذرت إن أتيت بيت المقدس صحيحاً ذبحت آخر ولدك، فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجاً، فلما قَدِمَها يعقوب أراد ذبح ولده ونسي ما قاله له الملك، فأتاه الملَكُ وقال: إنما غمزتك للمخرج وقد وُفي نذرُك فلا سبيل لك إلى ولدك، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: أقبل يعقوب من حرّان يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه عيصو، وكان رجلاً بطشاً قوياً فلقيه ملك فظن يعقوب أنه لص فعالجه أن يصرعه، فغمز الملك فخذ يعقوب، ثم صعد إلى السماء ويعقوب عليه السلام ينظر إليه، فهاج به عرق النسا ولقي من ذلك بلاءً وشدّةً، وكان لا ينام بالليل من الوجع، ويبيت وله زقاء، أي: صياح، فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقاً ولا طعاماً فيه عرق، فحرّمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم، وروى جُويبر عن الضحاك عن ابن عباس: لمّا أصاب يعقوب عرق النسا وصف له الأطباء أن يجتنب لحم الإبل فحرّمها يعقوب على نفسه، وقال الحسن: حرّم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبّداً لله تعالى: فسأل ربّه أن يُجيز له ذلك فحرّمها الله على ولده، ثم اختلفوا في هذا الطعام المحرّم على بني إسرائيل بعد نزول التوراة، فقال السدي: حرّم الله عليهم في التوراة ما كانوا يحرّمونه قبل نزولها، وقال عطية: إنما كان محرّماً عليهم بتحريم إسرائيل فإنه قد قال: إن عافاني الله لا آكله ولا يأكله ولدٌ لي ولم يكن محرّماً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

إسرائيل على نفسه أما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم أشياء كثيرة من أنواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني إسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي: حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية: إنما كان حراماً عليهم بتحريم إسرائيل فإنه قال: إن عافاني الله تعالى لا يأكله ولد لي ولم يكن ذلك محرماً عليهم في التوراة وقال الكلبي: لم يحرمه الله في التوراة وإنما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلّت لهم﴾ وقال تعالى: وعلى الذين هادوا حرمنا إلى أن قال ذلك جزيناهم ببغيهم ﴿وإنا لصادقون﴾ فكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً أو صب عليهم رجزاً وهو الموت. وقال الضحاك: لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم ولا حرمه الله في التوراة، وإنما حرموه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم ثم أضافوا تحريمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى: ﴿قل فأتوا بالتوراة﴾ يعني قل لهم يا محمد فأتوا بالتوراة ﴿فاتلوها﴾ أي فاقرؤوها وما فيها حتى يتبين أن الأمر كما قلتم ﴿إن كنتم صادقين﴾ يعني فيما ادعيتم فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى: .

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فمن افترى على الله الكذب﴾ الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والإفساد وأصله من فري الأديم إذا قطعه لأن الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرماً قبله ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ أي هم المستحقون للعذاب لأن كفرهم ظلم منهم لأنفسهم ولمن أضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم فيما بقي عليهم مما نطق به القرآن من تعديد مساويهم التي كانوا يرتكبونها ﴿قل صدق الله﴾ يعني قل صدق الله يا محمد فيما أخبر أن ذلك النوع من الطعام صار حراماً على إسرائيل وأولاده بعد أن كان حلالاً لهم فصح القول بالنسخ، وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله أن لحوم الإبل وألبانها كانت محللة لإبراهيم عليه السلام، وإنما حرمت على بني إسرائيل بسبب تحريمها إسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في أن سائر الأطعمة كانت محللة على بني إسرائيل وإنما حرمت على اليهود جزاء على قبائح أفعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأخبر وأنتم كاذبون يا معشر اليهود ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً﴾ أي اتبعوا ما يدعوكم إليه محمد ﷺ من ملة إبراهيم وهي الإسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن آمن معه وإنما دعاهم إلى ملة إبراهيم لأنها ملة محمد ﷺ ﴿وما كان من المشركين﴾ أي لم يدع مع الله إلٰهاً آخر ولا عبداً سواه.

عليهم في التوراة، وقال الكلبي: لم يحرّمه الله عليهم في التوراة وإنما حُرّم عليهم بعد التوراة بظلمهم، كما قال الله تعالى: ﴿ فبظلمٍ منَ الذين هادُوا حرّمنا عليهم طيبات أُحِلّتْ لهم ﴾ [النساء: ١٦٠] وقال الله تعالى: ﴿ وعلى الذين هادُوا حرّمنا كلّ ذي ظفر﴾ [الأنعام: ١٤٦]، إلى أن قال: ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرّم الله عليهم طعاماً طيباً أو صبّ عليهم رِجْزاً وهو الموت، وقال الضحّاك: لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم ولا حرّمه الله في التوراة، وإنما حرّموه على أنفسهم اتّباعاً لأبيهم، ثم أضافوا تحريمه إلى الله، فكذّبهم الله عزّ وجلّ، فقال: ﴿ قلْ ﴾ يا محمد ﴿ فأتوا بالتوراة فاتلُوها ﴾، حتى يتبيّن لكم أنه كما قلتُ، ﴿ إن كنتم صادقين ﴾، فلم يأتوا، فقال الله عزّ وجلّ:

﴿ فمَنِ افترَى على اللَّهِ الكذبَ مِنْ بعدِ ذلكَ فأولئكَ همُ الظالمون ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قوله عز وجل: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الأنبياء وقبلتهم وأرض المحشر. وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل فأنزل الله هذه الآية، وقيل لما ادعت اليهود والنصارى أنهم على ملة إبراهيم أكذبهم الله تعالى وأخبر أن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه فقال تعالى في الآية المتقدمة: ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً﴾ وكان من أعظم شعائر ملة إبراهيم الحج إلى الكعبة ذكر في هذه الآية فضيلة البيت ليفرع عليها إيجاب الحج وقوله: إن أول بيت وضع للناس الأول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عقبه شيء آخر، أو لم يحصل والمعنى أن أول بيت وضع للناس أي وضعه الله موضعاً للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعاً للحج وللطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾. فإن قلت: كيف أضافه إلى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي وأضافه للناس أخرى بقوله وضع للناس. قلت: أما إضافته إلى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله، وأما إضافته إلى الناس فلأنه يشترك فيه جميع الناس لأنه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي ببكة. قيل هي مكة نفسه والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب لازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان: أحدهما: أنه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكة يبكه إذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير: سميت بكة لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة. الوجه الثاني سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء إلا قصمه الله تعالى وهذا قول عبدالله بن الزبير، وأما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع أمه وامتكه إذا مص كل ما فيه من اللبن، وقيل لأنها تمك الذنوب أي تزيلها وسميت مكة أم رحم لأن الرحمة تنزل بها، والحاطمة لأنها تحطم من استخلف بحرمتها، أو لأن الناس يحطم بعضهم بعضاً من الزحمة، وسميت أم القرى لأنها أصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الأرض، واختلف العلماء في كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين: أحدهما أنه أول في الوضع والبناء قال مجاهد: خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرضين وفي رواية عنه إن الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفي عام، وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض خلقه قبل الأرض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض من تحته. وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي. وقيل هو أول بيت بني على الأرض. وروي عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتاً وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين في الأرض أن يبنوا بيتاً في الأرض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح، وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروي أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وقال ابن عباس: هو أول بيت بناه آدم في الأرض قيل إن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش وشكا الوحشة فأمره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البناء إلى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت إلى السماء وبقي موضع البيت أكمة بيضاء إلى أن بعث الله إبراهيم عليه السلام فأمره ببنائه. القول

﴿ قل صدق الله فاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً وما كانَ مِنَ المشركين ﴾، وإنما دعاهم إلى اتّباع ملّة إبراهيم لأن في اتّباع ملّة إبراهيم اتّباعُه ﷺ.

قوله تعالى: **﴿ إنّ أولَ بيتٍ وُضع لِلنّاسِ لَلذِي بِبَكّةَ مباركاً ﴾**، سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الثاني، أن المراد من الأولية كون هذا أول بيت وضع للناس مباركاً ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى: ﴿للذي ببكة مباركاً﴾ وروي أن رجلاً قام إلى علي بن أبي طالب فقال: ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض؟ قال: لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع الناس مباركاً وهدى وفيه مقام إبراهيم ومن دخل كان آمناً وقال الحسن: وهو أول مسجد عبد الله فيه، وقال مطرف: هو أول بيت وضع للعبادة. وقال الضحاك: هو أول بيت وضع فيه البركة، وأول بيت وضع للناس يحج إليه، وأول بيت جعل قبلة للناس. (ق) عن أبي ذر قال: «سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال: المسجد الحرام قلت: ثم أي؟ قال المسجد الأقصى قلت: كم بينهما؟ قال أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجداً فحيثما أدركت الصلاة فصلّ» زاد البخاري فإن الفضل فيه وقوله ﴿مباركاً﴾ يعني ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة، وقيل هو ثبوت الخير الإلهي فيه وقيل هو أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لأن الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» ﴿وهدى للعالمين﴾ يعني أنه قبلة للمؤمنين يهتدون به إلى جهة صلاتهم. وقيل لأن فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره. وقيل هو هدي للعالمين إلى الجنة لأن من قصده بأن صلّى إليه أو حجه فقد أوجب الله تعالى له الجنة برحمته. قوله تعالى:.

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾

﴿فيه آيات بينات﴾ أي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله، ثم اختلفوا في تفسير تلك الآيات فقيل هي قوله مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً، وقيل الآيات غير مذكورة وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها أن الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل ينحرف عنها إذا وصل إليها يميناً وشمالاً، ومنها أن الوحوش لا تؤذي بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها، ومنها أن الطير إذا مرض منه شيء استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء إلا أهلكه الله كما أهلك أصحاب الفيل وغيرهم، ومن الآيات التي فيه الحجر الأسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الآيات، ومنها أن الآمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل، والباني هو إبراهيم الخليل، والمساعد في بنيانه هو إسماعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت. قوله تعالى: ﴿مقام إبراهيم﴾ يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه أثر قدمي إبراهيم فاندرس من كثرة المسح بالأيدي ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله: إن أول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم، علم أن المراد بقوله ومن دخله كان آمناً

للمسلمين: بيت المقدس قِبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مَهاجر الأنبياء، وقال المسلمون في الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ إنّ أول بيتٍ وُضعَ للنّاسِ للذي ببكّة مباركاً وهُدىً للعالمين ﴾.

﴿ فيه آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيم، ومَنْ دخله كان آمناً ﴾، وليس شيء من هذه الفضائل لبيت المقدس، واختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿ إن أول بيت وُضع للناسِ للذي ببكّة ﴾، فقال بعضهم: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدةً بيضاءَ على الماء فدُحيت الأرض من تحته، هذا قول عبد الله بن عمر ومجاهد وقتادة والسدي، وقال بعضهم: هو أول بيت بُنِيَ في الأرض، رُوِيَ عن علي بن الحسين: أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتاً وهو البيت المعمور فأمر الملائكة أن يطوفُوا به، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنوا في الأرض بيتاً على مثاله وقدره، فبنوه واسمه الضراح، وأمر مَنْ في

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

جميع الحرم ويدل عليه أيضاً دعوة إبراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمناً يعني من أن يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم آمن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى: ﴿**أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم**﴾ وقيل في معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله ﷺ كان آمناً، وقيل هو خبر بمعنى الأمر تقديره ومن دخله فأمنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب أبو حنيفة إلى أن من وجب عليه القتل قصاصاً كان أو أحداً فالتجأ إلى الحرم فإنه لا يستوفى منه القصاص أو الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليهم حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم. وقال الشافعي: إذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ إلى الحرم استوفي منه في الحرم. وأجمعوا على أنه لو قتل في الحرم أو سرق أو زنى فإنه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له، وقيل في معنى الآية ومن دخله معظماً له متقرباً بذلك إلى الله تعالى كان آمناً من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمناً من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك. قوله عز وجل: ﴿**ولله على الناس حج البيت**﴾ أي ولله على الناس فرض حج البيت والحج أحد أركان الإسلام. (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان» فعد النبي ﷺ الحج من أركان الإسلام الخمسة و «من استطاع إليه سبيلاً» يعني وفرض الحج واجب على ما استطاع من أهل التكليف ووجد السبيل إلى حج البيت الحرام.

فصل في فضل البيت والحج والعمرة:

(ق) عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: «إن أول بيت وضع للناس مباركاً يصلي فيه الكعبة قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى قلت كم بينهما؟ قال أربعون عاماً». عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «نزل الحجر

الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، ورُوِيَ أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام، فكانوا يحجّونه، فلما حجّه آدم قالت الملائكة: بِرَّ حجّك يا آدم، حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، ويُروى عن ابن عباس أنه قال: أراد به أنه أول بيت بناه آدم في الأرض، وقيل: هو أول بيت مبارك وُضع هدىً للناس يُعبد اللَّهُ فيه ويحجّ إليه، وقيل: هو أول بيت جعل قِبلةً للناس، وقال الحسن والكلبي: معناه أن أول مسجدٍ ومُتَعبَّدٍ وُضع للناس، يُروى ذلك عن عليّ بن أبي طالب، قال الضحّاك: أول بيت وُضع فيه البركة، وقيل: أول بيت وُضع للناس يُعبد الله فيه، كما قال الله تعالى: ﴿ في بيوت أذِنَ اللَّهُ أن تُرفع ﴾ [النور: ٣٦] يعني المساجد، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد أنا الأعمش أخبرنا إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال: سمعتُ أبا ذرّ يقول: قلت يا رسول الله أيُّ مسجد وُضع في الأرض أولًا؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة»، ثم قال: «أينما أدركتْكَ الصلاةُ بعدُ فصلِّ فإن الفضل فيه»، قوله تعالى: ﴿ لَلّذِي ببكّة ﴾ قال جماعة: هي مكة نفسها، وهو قول الضحاك، والعرب تعاقبت بين الباء والميم، فتقول: سبد رأسه وسمده، وضربة لازبٍ ولازم، وقال الآخرون: بكة موضع البيت في مكة، ومكة اسم البلد كله، وقيل: بكة موضع البيت والمطاف، سمّيت بكة: لأن الناس يتباكون فيها، أي يزدحمون يبكِ بعضُهم بعضاً ويمرّ بعضهم بين يدي بعض، وقال عبد الله بن الزبير: سُمّيت بكة لأنها تبكِ أعناق الجبابرة، أي تدقّها فلم يقصدها جبّار بسوء إلّا قصمه الله، وأما مكة سُمّيت بذلك لقلّة مائها، من قول العرب: مَكَّ الفصيل ضِرْعَ أمه وأمتكه إذا امتصّ كلّ ما فيه من اللبن، وتدعى أُم رحم لأن الرحمة تنزل بها، ﴿ مباركاً ﴾ نصب على الحال، أي: ذا بركة وهدىً للعالمين، لأنه قِبلة للمؤمنين فيه آيات بيّنات، قرأ ابن عباس.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن وإنما سودته خطايا بني آدم» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله ﷺ في الحجر: «والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق» وله عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب». قال الترمذي: وهذا يروي عن ابن عمر موقوفاً (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى» (ق) عن أبي سعيد الخدري أن النبي عليه السلام قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى». (م) عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال له رجل: في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» عن ابن عمر قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما يوجب الحج؟ قال الزاد والراحلة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وإبراهيم بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه. (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» وفي رواية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» أخرجه الترمذي وقال: «غفر له ما تقدم من ذنبه» وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب إلاّ الجنة. وما من مؤمن يظل يومه محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم لبى إلا بلي ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا وقال الترمذي: هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» قال الترمذي: هذا حديث غريب.

﴿ آية بيّنة ﴾ على الواحد، وأراد مقام إبراهيم وحده، وقرأ الآخرون آيات بيّنات، بالجمع، فذكر منها مقام إبراهيم وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم، وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، ومن تلك الآيات في البيت الحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها، وقيل: مقام إبراهيم جميع الحرم، ومن الآيات في البيت أن الطير تطير فلا تعلو فوقه، وأن الجارحة إذا قصدت صيداً فإذا دخل الصيدُ الحرم كفّتْ عنه، وإنه بلد صدر إليه الأنبياء والمرسلون والأولياء والأبرار وإن الطاعة والصدقة فيها تُضاعف بمائة ألف، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد بن الحسن بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحق السرّاج، أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري أنا مالك بن أنس عن زيد بن رباح أخبرنا عبد الله بن عبد الله الأعز عن أبي عبد الله الأعمش عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة، فيما سواه إلاّ المسجد الحرام». قوله عزّ وجلّ: ﴿ ومَنْ دَخله كان آمناً ﴾ من أن يهاج فيه، وذلك بدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: ربّ اجعلْ هذا البلد آمناً، وكانت العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً ويُغير بعضهم على بعض ومَن دخل الحرم أمن من القتل والغارة، وهو المراد من الآية على قول الحسن وقتادة وأكثر المفسّرين، قال الله تعالى: ﴿أوَ لَمْ يرَوْا أنّا جعلنا حرماً آمناً ويُتخطّفُ الناسُ من حَوْلهم ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقيل: المراد به أن مَن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله ﷺ كان آمناً، كما قال تعالى: ﴿ لتدخُلنّ المسجدَ الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ [الفتح: ٢٧] وقيل: هو خبر بمعنى الأمر تقديره: ومَن دخله فأمّنوه، كقوله تعالى: ﴿ فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فصل: في أحكام تتعلق بالحج

قال العلماء: الحج واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الإسلام الخمسة. ولوجوب الحج خمس شرائط: الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة، ولا يجب على الكافر والمجنون، ولو حجا لم يصح لأن الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل، أو حج عبد صح حجهما تطوعا، ولا يسقط الفرض فإذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما أن يحجا ثانياً، ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الإسلام والاستطاعة نوعان: أحدهما: أن يكون مستطيعاً بنفسه، والآخر أن يكون مستطيعاً بغيره فأما المستطيع بنفسه فهو أن يكون قوياً قادراً على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر، وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لأنه ليس بمتصل وإنما المرفوع ما رواه إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي ﷺ وإبراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين: إبراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر: واختلف العلماء في قوله تعالى: من استطاع إليه سبيلاً فقالت طائفة الآية على العموم إذ لا نعلم خبراً ثابتاً عن النبي ﷺ ولا إجماعاً لأهل العلم يوجب أن نستثني من ظاهر الآية بعضاً فعلى كل مستطيع الحج يجد إليه السبيل بأي وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال: وروينا عن عكرمة أنه قال: الاستطاعة الصحة، وقال الضحاك: إذا كان شاباً صحيحاً فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على إطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طائفة: الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم. وقال الشافعي: الاستطاعة وجهان:

في الحج ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، حتى ذهب بعض أهل العلم إلى أن مَن وجب عليه القتل قصاصاً أو حدّاً فالْتجأ إلى الحرم فلا يُستوفَى منه فيه، ولكنّه لا يُطعم ولا يُبايع ولا يُشارى حتى يخرج منه، فيقتل، قاله ابن عباس، وبه قال أبو حنيفة وذهب قوم إلى أن القتل الواجب بالشرع يُستوفى فيه أما إذا ارتكب الجريمة في الحرم فيستوفَى فيه عقوبته بالاتفاق، وقيل: معناه ومَن دخله معظّماً له متقرّباً إلى الله عزّ وجلّ كان آمناً يوم القيامة من العذاب، قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولِلَّهِ على الناسِ حجُّ البيتَ من استطاعَ إليه سبيلاً ﴾، أي: ولله فرضٌ واجبٌ على الناسِ حجُّ البيت، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وحفص ﴿ حِجُّ البيت ﴾ بكسر الحاء في هذا الحرف خاصّةً، وقرأ الآخرون بفتح الحاء، وهي لغة أهل الحجاز، وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد، والحج أحد أركان الإسلام. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن موسى أنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمسٍ شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاةَ، وإيتاءِ الزكاةَ، وصومِ رمضانَ، والحجِّ»، قال أهل العلم: ولِوُجوب الحج خمسُ شرائط الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة، فلا يجب على الكافر ولا على المجنون، ولا حجّا بأنفسهما لا يصحّ لأن الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لفعل المجنون ولا يجب على الصبي ولا على العبد، ولو حجّ صبي يعقل، أو عبد يصحّ حجّهما تطوعاً ولكن لا يسقط به فرض الإسلام عنهما فلو بلغ الصبي، أو أُعتق العبد بعدما حجّ واجتمع في حقه شرائط وجوب الحج، عليه أن يحجّ ثانياً ولا يجب على غير المستطيع، لقوله تعالى: ﴿ مَن استطاع إليه سبيلاً ﴾ غير أنه لو تكلّف فحجّ يسقط عنه فرض الإسلام، والاستطاعة نوعان، أحدهما: أن يكون قادراً مستطيعاً بنفسه، والآخر: أن يكون

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أحدهما أن يكون الرجل مستطيعاً ببدنه واجداً من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج. والثاني: لا يقدر أن يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه إذا أمره أن يحج عنه، أو قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج. أما حكم الزاد والراحلة فهو أن يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلاً عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين إن كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج أهل البلد في ذلك الوقت، فإن خرجوا قبله أو أخروا الخروج إلى وقت لا يصلون إلّا بقطع أكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم. ويشترط أن يكون الطريق آمناً فإن كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه. ويشترط أن تكون منازل الماء مأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فإن تفرق أهلها بجدب أو غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي أو لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطاً لوجوب الحج ويستحب له أن يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك. وأما المستطيع بغيره فهو أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه بأن كان زمناً أو به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه أن يستأجر من يحج عنه فيجب عليه أن يستأجر من يحج عنه وإن لم يكن له مال وبذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه لزمه الحج إن كان يعتمد على صدقه لأن وجوب الحج متعلق بالاستطاعة. وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من أوجب الحج ببذله الطاعة. ما روي عن ابن عباس قال: «كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحجه أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال: نعم وذلك في حجة الوداع» أخرجاه في الصحيحين.

مستطيعاً بغيره، أما الاستطاعة بنفسه، فأن يكون قادراً بنفسه على الذهاب ووَجَد الزادَ والراحلة، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب ثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم عن إبراهيم بن يزيد عن محمد عباد بن جعفر قال: قعدنا إلى عبد الله بن عمر فسمعته يقول: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: ما الحاج؟ قال: «الشعث التفل»، فقام رجل آخر فقال: يا رسول الله: أيّ الحجّ أفضل؟ قال: «العجُّ والثج»، فقام رجل آخر فقال: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «زادٌ وراحلة»، وتفصيله: أن يجدَ راحلةً تصلح لمثله، ووجدَ الزادَ للذهاب والرجوع، فاضلاً عن نفقة عياله ومَن تلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابه ورجوعه، وعن دَيْن يكون عليه، ووجد رفقة يخرجُون في وقت جرت عادة أهل بلده بالخروج في ذلك الوقت، فإن خرجوا قبله أو أخَّروا الخروج إلى وقت لا يصلون إلّا أن يقطعوا كل يوم أكثر من مرحلة لا يلزمهم الخروج في ذلك الوقت، ويشترط أن يكون الطريق آمناً فإن كان فيه خوف من عدوٍّ مسلمٍ أو كافرٍ أو رَصْدِيّ يطلب شيئاً لا يلزمه، ويُشترط أن تكون المنازل معمورة يجد الزاد والماء، فإن كان زمانَ جُدوبةٍ تُفرّق أهلها أو غارتْ مياهها، فلا يلزمه الحج، ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشي أو لم يجد الزاد ولكن يمكنه أن يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج، ويستحبّ لو فعل، وعند مالك يلزمه، أمّا الاستطاعة بالغير فهي أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه، بأن كان زَمِناً أو به مرض غير مرجو الزوال، لكن له مال يمكّنه أن يستأجر به مَن يحجّ عنه، يجب عليه أن يستأجر، أو لم يكن له مال بل بذلَ له ولدهُ أو أجنبيُّ الطاعةَ في أن يحجّ عنه، يلزمه أن يأمره إذا كان يعتمدُ صِدقَه، لأن وجوب الحجّ يتعلق بالاستطاعة، ويقال في العُرْف: فلان مستطيع لبناء دار وإن كان لا يفعله بنفسه، وإنما يفعله بماله وبأعوانه، وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة، وعند مالك لا يجب على المغصوب في

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قوله تعالى: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ يعني ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فإن الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روي عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «من ملك زاداً أو راحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً وذلك أن الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه. وفي إسناده مقال وهلال بن عبدالله مجهول والحارث يضعف في الحديث وقيل هو الذي إن حج لم يره براً وإن قعد لم يره إثماً، وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من أصحاب الملل حيث قالوا: إنا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا. وقالوا: الحج إلى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فإن الله غني عن العالمين. فعلى هذه الأقوال تكون هذه الآية متعلقة بما قبلها وقيل إنه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فإن الله غني عن العالمين. وقوله عز وجل:

قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

﴿قل يا أهل الكتاب﴾ قيل الخطاب لعلماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد ﷺ وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوته ﴿لم تكفرون بآيات الله﴾ يعني الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ أنه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق نبوة محمد ﷺ وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد ﷺ ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ أي والله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن﴾، يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء

المال، وحُجّةُ مَن أوجبه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس أنه قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خَثْعَم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشقّ الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج، أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحجّ عنه؟ قال: «نعم». قوله تعالى: ﴿ ومَنْ كفرَ فإنّ اللّهَ غنيٌّ عنِ العَالَمين ﴾، قال ابن عباس والحسن وعطاء: جَحَدَ فَرْضَ الحج، وقال مجاهد: مَن كفر بالله واليوم الآخر، وقال سعيد بن المسيب: نزلت في اليهود حيث قالوا: الحج إلى مكة غير واجب، وقال السدي: هو مَن وجد ما يحجّ به ثم لمْ يحجّ حتى مات فهو كفرٌ به، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي، أخبرنا أبو الحسن الكلماني أخبرنا أبو بكر محمد بنِ عمرو، أخبرنا سهيل بن عمارة أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا شريك عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أُمامة أن النبي ﷺ قال: «مَن لم تَحْبِسْه حاجةٌ ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر، ولم يحجَّ فليمتْ إنْ شاء يهودياً وإنْ شاء نصرانياً».

قوله تعالى: ﴿ قلْ يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآياتِ اللّهِ واللّهُ شهيدٌ على ما تعملون ﴾.

﴿ قلْ يا أهلَ الكتابِ لِمَ تصدّون عن سبيلِ الله ﴾ أي: لِمَ تصرفون عن دين الله، ﴿ مَنْ آمنَ تَبْغُونَها ﴾ تطلبونها، ﴿ عِوَجاً ﴾ زيغاً وميلاً، يعني: لِمَ تصدّون عن سبيل الله باغين لها عوجاً؟ قال أبو عبيدة: العِوج

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الشبهة والشكوك وذلك بإنكارهم صفة محمد ﷺ في كتبهم ﴿تبغونها عوجاً﴾، يعني زيغاً وميلاً عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فأما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بإلقاء الشبه في قلوب الضعفاء ﴿وأنتم شهداء﴾ قال ابن عباس: يعني وأنتم شهداء أن نعت محمد ﷺ وصفته مكتوب في التوراة، وأن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد ﷺ الدالة على نبوته ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ فيه وعيد وتهديد لهم وذلك أنهم كانوا يجتهدون ويحتالون بإلقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد ﷺ فلذلك قال الله تعالى: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب﴾ الآية قال زيد بن أسلم: مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الأوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال له اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما أوس بن قيظي أحد بني حارثة من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا فقال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعاً وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهي الحرة فخرجوا إليها وانضمت الأوس والخزرج بعضهم إلى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام

ـ بالكسر ـ في الدينِ والقولِ والعملِ، والعَوَجُ ـ بالفتح ـ في الجدار، وكل شخص قائم، ﴿ وأنتم شهداءُ وما الله بغافلٍ عمّا تعملون ﴾، أن في التوراة مكتوباً نعت محمد ﷺ وإن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام.

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنْ تُطيعوا فريقاً من الذين أُوتوا الكتاب ﴾، قال زيد بن أسلم: إن مرشاشَ بنَ قيسٍ اليهودي وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين، فمرّ على نفر من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، وقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال: اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يومَ بُعاثٍ وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان بُعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس مع الخزرج، وكان الظفر فيه لـلأوس على الخزرج، ففعـل وتكلم فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيّين على الركب، أوس بن قبطي أحد بني حارثة من الأوس وجبّار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددتها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعاً وقالا: قد فعلنا السلاحَ السلاحَ موعدكم الظاهرة، وهي الحرّة فخرجوا جميعاً إليها وانضمّت الأوس والخزرج بعضهم إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال ﷺ: «يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذْ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية، وألّف بينكم؟ ترجعون إلى ما كنتم عليه كفّاراً،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟ الله الله. فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قال جابر: فما رأيت يوماً أقبح أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم فأنزل الله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب**﴾ يعني شاساً اليهودي وأصحابه ﴿**يردوكم بعد إيمانكم كافرين**﴾ والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿**وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله**﴾ وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب إنما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال، فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لأن تلاوة آيات الله وهي القرآن حالاً بعد حال وكون رسول الله ﷺ فيكم يرشدكم إلى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيداً على هذا الوجه قال قتادة: في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله ﷺ أما نبي الله فقد مضى، وأما كتاب الله تعالى فقد أبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة. (م) عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكر، ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقوله تعالى: ﴿**ومن يعتصم بالله**﴾ أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة، وفيه حث لهم في الالتجاء إلى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم ﴿**فقد هدي إلى صراط مستقيم**﴾ أي إلى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي إلى الجنة. قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**﴾. قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أصلح بينهم

اللَّهَ اللَّهَ!! فعرف القوم أنها نزغةٌ من الشيطان وكيدٌ من عدوّهم، فألقوا السلاحَ وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تُطيعوا فريقاً من الذين أُوتوا الكتابَ ﴾ يعني: مرشاساً وأصحابه، ﴿ يردُّوكم بعدَ إيمانِكم كافِرين ﴾ قال جابر: فما رأيت قطّ يوماً أقبح، أو لا أحسن آخراً من ذلك اليوم، ثم قال الله تعالى على وجه التعجب:

﴿ وكيفَ تكفُرون ﴾ يعني: ولِمَ تكفرون؟ ﴿ وأنتم تُتلى عليكم آياتُ الله ﴾، القرآن، ﴿ وفيكم رسوله ﴾، محمد ﷺ، قال قتادة: في هذه الآية علمان بيّنان: كتابُ الله ونبيُّ الله، أمّا نبيّ الله فقد مضى، وأمّا كتاب الله فقد أبقاه بين أظهركم رحمةً من الله ونعمة. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو الفضل الحسن بن يعقوب بن يوسف العدل أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب العبدي أنا أبو جعفر بن عوف أخبرنا أبو حيّان يحيىٰ بن سعيد بن حبّان عن يزيد بن حيّان قال: سمعت زيد بن أرقم قال: «قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد أيها الناس إنما أنا بشر يُوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيبه وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما: كتابَ الله فيه الهُدى والنور، فخذُوا بكتاب الله واستمسِكُوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهلَ بيتي، أذكرُكُم اللَّهَ في أهل بيتي، أذكرُكم اللَّهَ في

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج. فقال الأوسي: منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضى الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي: منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي ﷺ فأصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ قال ابن عباس: هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى. وقال مجاهد: هو أن تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال: لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه، وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم. واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا على قولين أحدهما أنه منسوخ وذلك أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا: يا رسول الله ومن يقوى على هذا؟ فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي. والقول الثاني أنها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضاً وبه قال طاوس: وموجب هذا الاختلاف يرجع إلى معنى الآية فمن قال إنها منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بأنها محكمة قال: إن حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسراً لحق تقاته لا ناسخاً ولا مخصصاً فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب أن يتقي وذلك بأن يجتنب جميع معاصيه، وقيل في معنى قول ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لأن التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله: وأن يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما أنعم الله به عليه بالبال، وأما عند السهو فلا يجب عليه. وكذلك قوله وأن يذكر فلا ينسى فإن هذا إنما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان.

أهل بيتي» قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ ﴾ أي: يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته، ﴿ فقد هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم ﴾، طريق واضح، وقال ابن جريج ومَن يعتصم بالله أي: يُؤمن بالله، وأصل العصمة: المنع، فكل مانع شيئاً فهو عاصم له.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتَّقوا اللَّهَ حقَّ تُقاته ﴾، قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان: ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج، فقال الأوسي: منّا خزيمة بـن ثابت ذو الشهادتين، ومنّا حنظلة غسيل الملائكة، ومنّا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر، ومنّا سعد بن معاذ الذي اهتزّ عرش الرحمن له ورضي الله بحُكمه في بني قريظة، وقال الخزرجي: منّا أربعة أحكموا القرآن: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ومنّا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم، فجرى الحديث بينهما فغضبَا وأنشدَا الأشعار وتفاخرَا، فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح، فأتاهم النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ حقَّ تُقاتِه ﴾ وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس: هو أن يُطاعَ فلا يُعصى، وقال مجاهد: أن تُجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لَوْمَةُ لائم، وتقومُوا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم. وعن أنس أنه قال: لا يتّقي اللَّهَ عبدٌ حقَّ تُقاته حتى يُخزن لسانه، قال أهل التفسير: لمّا نزلت هذه الآية شقَّ ذلك عليهم، فقالوا:

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وقوله تعالى: ﴿ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾ لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الأمر بالإقامة على الإسلام، والمعنى كونوا على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك. وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الإسلام المعنى لا تتركوا الإسلام فإن الموت لا بد منه فمتى جاءكم صادفكم وأنتم على الإسلام لأنه لما كان يمكنكم الثبات على الإسلام حتى إذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الإسلام صار الموت على الإسلام بمنزلة ما قد دخل في إمكانهم، وقيل معناه ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون مخلصون مفوضون إلى الله أموركم تحسنون الظن به عزّ وجلّ. عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فقال: لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. قوله عز وجل:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ أي تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به إلى البغية وسمي الإيمان حبلاً لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي به يتوصل إليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الآية فقال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله لأنه سبب يوصل إليه، وقيل حبل الله هو القرآن لأنه أيضاً سبب يوصل إليه. وفي أفراد مسلم من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: «ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة» الحديث عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به» وذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود: هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقيل بحبل الله يعني بأمر الله وطاعته ﴿ولا تفرقوا﴾ يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضاً ويقتل

يا رسول الله ومَنْ يقوَى على هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ ما استطعتم ﴾ [التغابن: ١٦] فَنسختْ هذه الآية، وقال مقاتل: ليس في آل عمران من المنسوخ إلاّ هذه الآية ﴿ ولا تَموتُنَّ إلاّ وأنتمْ مُسلمون ﴾ أي: مؤمنون، وقيل: مخلصون مفوّضون أموركم إلى الله عزّ وجلّ، وقال الفضيل: مُحسنون الظنَّ بالله. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو بكر العبدوسي أخبرنا أبو بكر بن محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد أخبرنا سليمان بن يوسف أخبرنا وهب بن جرير أنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس اتقوا اللَّهَ حقَّ تقاتِه فلو أنّ قطرةً من الزَّقُومِ قُطرتْ على الأرض لأمرَّتْ على أهل الدنيا معيشتهم، فكيفَ بمنْ هو طعامُه وليسَ له طعامٌ غيره»؟

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واعْتَصِمُوا بحبلِ اللَّهِ جميعاً ﴾، الحبل: السبب الذي يُتوصّل به إلى البُغية، وسُمّي الإيمان حبلاً لأنه سبب يُتوصّل به إلى زوال الخوف، واختلفوا في معناه ههنا، قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خيرٌ ممّا تُحبّون في الفرقة. وقال مجاهد وعطاء: بعهد الله، وقال قتادة والسدي: هو القرآن، ورُوِيَ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إنّ هذا القرآنَ هو حبلُ اللَّهِ المتين، وهو النورُ المبين، والشفاءُ النافع،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بعضكم بعضاً. قيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والأمر بالاتفاق والاجتماع لأن الحق لا يكون إلا واحداً وما عداه يكون جهلاً وضلالاً وإذا كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لأن كل ذلك كان عادة أهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تناصحوا من ولى الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثاً قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال».

قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ قال محمد بن إسحاق وغيره من أهل الأخبار كان الأوس والخزرج أخوين لأب وأم فوقعت بينهما عداوة قتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام وألف بينهم بنبيه محمد ﷺ. وسبب ذلك أن سويد بن الصامت أخابني عمرو بن عوف وكان شريفاً يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجاً أو معتمراً وكان رسول الله ﷺ قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله ﷺ وما الذي معك؟ قال مجلد لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله ﷺ أعرضها علي فعرضها عليه فقال: إن هذا الكلام حسن ومعي أفضل من هذا قرآن أنزل الله عز وجل على نوراً وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول قول حسن ثم انصرف إلى المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج يوم بعاث وإن قومه يقولون: قد قتل وهو مسلم. ثم قدم أبو الحيس أنس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أتاهم وجلس إليهم وقال لهم: هل لكم إلى خير مما جئتم له قالوا وما هو؟ قال أنا رسول الله قد بعثني الله إلى العباد أدعوهم إلى أن لا يشركوا بالله شيئاً وأنزل على

وعصمةٌ الله لمَن تمسّك به، ونجاةٌ لمَن تبعه»، وقال مقاتل بن حيان: بحبل الله أي: بأمر الله وطاعته، ﴿ ولا تفرّقُوا ﴾، كما افترقتِ اليهود والنصارى، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله تعالى يرضَى لكم ثلاثاً، يرضَى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تُناصِحُوا مَن وَلّى اللّهُ أمركم، ويسخط لكم ثلاثاً: قِيْلَ وقالَ، وإضاعةَ المال، وكثرةَ السؤال». قوله تعالى: ﴿ واذْكُروا نِعمةَ اللّهِ عليكم إذْ كنتم أعداءً فألّفَ بين قُلوبِكم ﴾ قال محمد بن إسحق بن يسار وغيره من أهلِ الأخبار: كانت الأوس والخزرج أخوين لأب وأُم فوقعتْ بينهما عداوةٌ بسبب قتيل قُتل بينهم، فتطاولت تلك العداوةُ والحربُ بينهم عشرين ومائة سنة إلى أن أطفأ الله عزّ وجلّ ذلك بالإسلام، وألّف بينهم برسوله محمد ﷺ، وكان سبب ألفتهم أن سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف وكان شريفاً يسمّيه قومه الكامل لجلَدِهِ ونسبه، وقَدِمَ مكة حاجّاً أو معتمراً، وكان رسول الله ﷺ قد بُعث وأُمر بالدعوة، فتصدّى له حين سمع به ودعاه إلى الله عزّ وجلّ وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعلّ الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك»؟ فقال: مُجلّد لقمان، يعني: حكمته، فقال له رسول الله ﷺ: «اعرضها عليّ» فعرضها، فقال: «إن هذا كلام حسن، ومعي أفضل من هذا، قرآنٌ أنزله الله عليّ نوراً وهدىً»، فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام، فلم يَبْعُدْ منه ولم ينفرْ وسُرّ بذلك، وقال: إن هذا القول حسن، ثم انصرف إلى المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج قبل يوم بُعاث، فإنّ قومه ليقولون: إنه قد قتل وهو مسلم، ثم قَدِمَ أبو الجيسر أنس بن رافع، ومعه فئة من بني الأشهل فيهم إياس بن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الكتاب ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن. قال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً أي قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس وقال: دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج فلم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه ﷺ خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن خريدة وعقبة بن عامر بن بابي وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله ﷺ من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالي اليهود قالوا نعم قال: أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم أهل أوثان وشرك وكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبياً الآن مبعوث قد أظل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر

معاذ يلتمسون الحِلْفَ من قريش على قوم من الخزرج، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أتاهم فجلس إليهم، وقال: «هل لكم إلى خيرٍ ممّا جِئْتُم له»؟ قالوا: وما ذلك؟ قال: «أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أنْ لا يُشركوا بالله شيئاً، وأنزل الله عليّ الكتاب»، ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فقال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً: أيْ قومِ هذا والله خيرٌ ممّا جئتم له، فأخذ أبو الجيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس وقال: دعْنَا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه وإعزازَ نبيّه خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ويُعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فلقي عند العقبة رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، وهم ستة نفر: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك العجلاني، وقطبة بن عامر بن خريدة، وعقبة بن عامر بن باني، وجابر بن عبد الله، فقال لهم رسول الله ﷺ: «مَنْ أنتم»؟ قالوا: نفرٌ من الخزرج، قال: «أمن موالي يهود»؟ قالوا: نعم، قال: «أفلا تجلسون حتى أُكلّمكم»؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرضَ عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، قالوا: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كان معهم ببلادهم، وكانوا أهل أوثان وشرك، وكانوا إذا كان منهم شيء قالوا: إنّ نبياً الآن مبعوثٌ قد أظلّ زمانه، نتّبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرَم، فلمّا كلّم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله عزّ وجلّ قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعّدكم به يهود، فلا يسبقنّكم إليه، فأجابوه وصدّقوه وأسلموا، وقالوا: إنّا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، فإن جمعهم الله عليك فلا رجل أعزّ منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا به ﷺ، فلما قَدِموا المدينة ذَكَرُوا لهم رسولَ الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم فلم يبقَ دارٌ من دُور الأنصار إلّا وفيها ذكـرٌ من رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

رسول الله ﷺ حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن عبدالقيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الأوس فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف الآية فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم شيئاً من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وإن ستر عليكم فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض الحرب، قال: فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرىء، وكان منزله على أسعد بن زرارة ثم إن أسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فإن أسعد بن خالتي ولولا ذلك لكفيتكه، وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الأشهل وهما بعد مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إلى مصعب: وأسعد وهما جالسان في الحائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب إن يجلس أكلمه فلما وقف عليهما متشتماً وقال ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة قال له مصعب أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن قال والله لعرفنا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم من إشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين

أتى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم: أسعد بن زرارة، وعوف ومعاذ ابنا عفراء، ورافع بن مالك العجلاني، وذكوان بن عبد القيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، وعباس بن عبادة، وعقبة بن عامر، وقطبة بن عامر، وهؤلاء خزرجيّون، وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الأوس، فلقوه بالعقبة وهي بيعة العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، على أن لا يُشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا، إلى آخر الآية، فإن وفَيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم شيئاً من ذلك فأُخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارةٌ له، وإن ستر عليكم فأمركم إلى الله إن شاء عذّبكم وإن شاء غفر لكم، قال: وذلك قبل أن يُفرض عليهم الحرب، قال: فلمّا انصرف القوم بعث معهم رسول الله ﷺ مُصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمرَهُ أن يقرئهم القرآن ويُعلّمهم الإسلام ويُفقهَهم في الدين، وكان مُصعب يُسمى بالمدينة المقرىء، وكان منزله على أسعد بن زرارة، ثم إن أسعد بن زرارة خرج بمصعب فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممّن أسلم، فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حُضير: انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيَا دارَنا ليسفّها ضعفاءَنا فازجرهما، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي ولولا ذاك لكفيتكه، وكان سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير سَيِّدَيْ قومهما من بني عبد الأشهل وهما مشركان، فأخذ أُسيد بن حضير حربته ثم أقبل إلى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا والله سيد قومه قد جاءك، فأصدِق اللّهَ فيه، قال مصعب: إنْ يجلسْ أكلمْهُ، قال: فوقف عليهما متشتّماً، فقال: ما جاء بكم إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أوَ تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره، قال: أنصفتَ، ثم ركّز حربته وجلس إليهما، فكلّمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، والله لَعَرفنَا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراق

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال: إن ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر سعد إلى أسيد مقبلاً قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف أسيد على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقال: لا نفعل إلا ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغضباً للذي ذكره من بني حارثة فأخذ الحربة ثم قال والله ما أراك أغنيت شيئاً فانصرف إليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارة: لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد قومه إن يتبعك لم يخالفك أحد منهم، فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد: أنصفت ثم ركزا الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم من إشراق وجهه وتسهله ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلّي ركعتين. فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته وأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلاً قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة. قال: فإن كان رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى في دار بني الأشهل رجل ولا

وجهه وتسهّله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسلُ وتُطهِّرُ ثوبَك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلّي ركعتين، فقام واغتسل وطهّر ثوبه، وشهد شهادة الحق ثم قام وركع ركعتين، ثم قال لهما: إنّ ورائي رجلاً إن اتّبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه سأرسله إليكما الآن هو سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب من عندكم، فلما وقف على النادي قال: قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمتُ الرجلين فوالله ما رأيتُ بهما بأساً وقد نهيتُهما، فقالا: فافعل ما أحببت وقد حُدّثتُ أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضباً مبادراً للذي ذكره له من بني حارثة، فأخذ الحربة، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا منّي تغشانا في دارنا بما نكره، فقال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد قومه، وإن اتبعك لم يخالفك منهم أحد فقال مصعب: أوَ تقعد فتسمع فإن رضيتَ أمراً ورغبتَ فيه قبلتَه، وإن كرهته عَزلنا عنك ما تكره، قال سعد أنصفت، ثم ركَزَ الحربة فجلس، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهيله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلّي ركعتين، فقام واغتسل وطهّر ثوبه ثم تشهَّد شهادة الحق وركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبةً قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فما أمسى في

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

امرأة إلا مسلم ومسلمة ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير إلى منزل أسعد فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات إلاّ ما كان من دار أمية بن زيد وخطمة ووائل ووافق ذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق قالوا ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج معه من الأنصار المسلمين سبعون رجلاً مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فوعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب ابن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ودعوناه إلى الإسلام فأسلم فأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ فشهد معنا العقبة وكان نقيباً فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي أم منيع إحدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس ابن عبدالمطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوقف له فلما جلسنا كان أول من تكلم العباس بن عبدالمطلب فقال: يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه عن قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللحوق

الدار لبني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأةٌ إلّا مسلم أو مسلمة، ورجع أسعد بن زرارة ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلّا وفيها رجال ونساء مسلمون إلّا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائلاً وواقف، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت الشاعر، وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدرٌ وأُحُد والخندق، قال: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج معه من الأنصار من المسلمين سبعون رجلاً مع حجّاجِ قومهم من أهل الشرك حتى قَدِموا مكة فواعدُوا رسولَ الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك: وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج، وكانت تلك الليلة التي واعدنا فيها رسول الله ﷺ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرناه وكنّا نكتم عمّن معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلّمناه، وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنّا نرغب بك عمّا أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ودعوناه إلى الإسلام فأسلم، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ فشهد معنا العقبة، وكان نقيباً، فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلّل مستخفين تسلّل القطا، حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب بن عمارة إحدى نساء بني النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي أُم منيع إحدى نساء بني سلمة، فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه عمّه العباس بن عبد المطّلب، وهو يومئذٍ على دين قومه إلّا أنه أحبَّ أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثّق له، فلما جلسنا كان أول مَن تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج وكانت العرب إنما يسمّون هذا الحي من الأنصار خزرجها وأوسها أن محمداً ﷺ منّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثل رأينا وهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده، وأنه قد أبى إلّا الانقطاع إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم به من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عزو ومنعة قال فقلنا: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيّاً لنمنعك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناهما كابراً عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالاً يعني عهوداً وإنا قاطعوها فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك أن ترجع إلى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله ﷺ: أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيباً كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم فأخرجوا اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا فإنا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ما سمعته قط يا أهل الحباحب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله ﷺ: هذا عدو الله هذا أزب العقبة يعني

إليه ومانعوه ممّن خالفه، فأنتم وما تحمّلتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزٍّ ومِنعةٍ، قال: فقلنا قد سمعنا ما قلت: فتكلّمْ يا رسول الله وخذْ لنفسك ولربِّك ما شئت، قال: فتكلّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغب في الإسلام، ثم قال: أُبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسَكم ونساءَكم وأبناءَكم، قال: فأخذ البراء بن مَعْرُور بِيَدِهِ ثم قال: والذي بعثك بالحق نبيّاً لنمنعك مما نمنع منه أُزْرَنا فبايِعْنَا يا رسول الله، فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر، قال فاعترض القول والبراء يكلّم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس خبالاً يعني العهود، وإنّا قاطعوها فهل عسيتَ إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسّم رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «لا بل الأبدَ الأبدَ الدمَ الدمَ والهدمَ الهدمَ، أنتم منّي وأنا منكم أُحاربُ مَن حاربتم وأُسالم مَن سالمتم»، وقال رسول الله ﷺ: «أخرِجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً كفلاءَ على قومهم بما فيهم، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم»، فأخرجوا اثني عشر نقيباً تسعةً من الخزرج وثلاثةً من الأوس، قال عاصم بن عمرو بن قتادة: إن القوم لمّا اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عُبادة بن نضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج هل تدرون علامَ ما تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنكم إذا أُنهكت أموالُكم مصيبةً وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمِنَ الآن فهو والله إن فعلتم خِزْيٌ في الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دَعوتُموه إليه على نهك الأموال وقتل الأشراف فخذوهُ فهو والله خير في الدنيا والآخرة، قالوا: فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، قالوا: فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا؟ قال: «الجنة»، قال: ابسطْ يدَكَ فبسطَ يده فبايعوه، وأول مَن ضرب على يده البراء بن مَعْرُور، ثم تتابع القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

شيطان العقبة اسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك ثم قال رسول الله ﷺ: انفضوا إلى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله ﷺ: لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وإنه والله ماحي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر إلى بعض وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدتان قال: فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوه يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ورمى بهما إليّ وقال والله لتنتعلنهما قال أبو جابر مه والله أحفظت الفتى فاردد إليه نعليه قال فقلت لا أردهما قال: والله يا أبا صالح لئن صدق الفأل لأسلبنه قال: ثم انصرف الأنصار إلى المدينة وقد شدوا العقد فلما قدموها أظهروا الإسلام بها وبلغ ذلك قريشاً فآذوا أصحاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها» فأمرهم بالهجرة إلى المدينة واللحوق بإخوانهم من الأنصار فأول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبدالأسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبدالله بن جحش ثم تتابعوا أصحاب رسول الله ﷺ أرسالاً إلى المدينة ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام، وأصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وأنزل الله عز وجل: ﴿**واذكروا**﴾ يعني يا معشر الأنصار ﴿**نعمة الله عليكم**﴾ يعني بالإسلام ﴿**إذ كنتم أعداء**﴾ يعني قبل الإسلام ﴿**فألف بين قلوبكم**﴾ يعني بالإسلام

صوتاً ما سمعتُه قطّ: يا أهل الحباجب أهل لكم في مذمّم والصباة قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا عدوّ الله هذا أزبّ العقبة، اسمع أي عدوّ الله أما والله لأفرغنّ لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضوا إلى رحالكم»، فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لَيُملَنَ غداً على أهل منىً بأسيافنا، فقال رسول الله ﷺ: «لم نُؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم»، قال: فرجعنا إلى مضاجِعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدتْ علينا جِلّةُ قريش حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، فإنه والله ما حيٌّ من العرب أبغض إلينا أن ينشب بالحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث مِنْ هناك منْ مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، وصدّقوا لم يعلمُوا وبعضُنا ينظر إلى بعض، وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان، قال: فقلت له كلمة كأني أُريد أن أُشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش، قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إليّ فقال: والله لتنعلنّهما، قال: يقول أبو جابر رضي الله عنه: مه والله لقد أحفظت الفتى فارددْ إليه نعله، قال: لا أردّهما، قال: والله يا أبا صالح والله لئن صدق الفأل لأسلبنّه، قال: ثم انصرف الأنصار إلى المدينة وقد شدّدوا العقد، فلما قَدِموها أظهروا الإسلام بها وبلغ ذلك قريشاً فآذوا أصحاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن الله تعالى قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها» وأمرهم بالهجرة إلى المدينة واللحوق بإخوانهم من الأنصار، فأول مَن هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله ﷺ أرْسالاً إلى المدينة فجمع الله أهلَ المدينة أوسَها وخزرَجَها بالإسلام وأصلح ذات بينهم بنبيِّه محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ **واذكروا نعمةَ اللّهِ عليكم** ﴾ يا معشر الأنصار ﴿ **إذْ كنتم أعداءً** ﴾ قبل الإسلام ﴿ **فألّف بين**

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وبنبيّه عليه الصلاة والسلام فأصبحتم بنعمته إخواناً يعني فصرتم برحمته وبدينه الإسلام إخواناً في الدين والولاية بعد العداوة ﴿وكنتم﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿على شفا حفرة من النار﴾ يعني على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع في النار إلا أن تموتوا على كفركم ﴿فأنقذكم منها﴾ أي فخلصكم بالإيمان من الوقوع في النار ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ اللام في قوله ولتكن لام الأمر أي لتكن منكم أمة دعاة إلى الخير، وقيل إن كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لأن الله عز وجل أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ فيجب على كل مكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بيده أو بلسانه أو بقلبه (م) عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين، وقيل إن من هنا للتبعيض وذلك لأن في الأمة من لا يقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز وضعف فحسن إدخال لفظ من في قوله ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير وقيل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يختص بالعلماء وولاة الأمر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. (خ) عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها

قلوبكم ﴾ بالإسلام، ﴿ **فأصبحتم** ﴾، أي فصرتم، ﴿ **بنعمتِهِ** ﴾، برحمته وبدينه الإسلام، ﴿ **إخواناً** ﴾ في الدِّين والولاية بينكم. ﴿ **وكنتم** ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿ **على شَفَا حُفرةٍ من النار** ﴾، أي على طرف حفرة مثل شفا البئر، معناه: وكنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلّا أن تموتوا على كفركم، ﴿ **فأنقذكم** ﴾ الله ﴿ **منها** ﴾ بالإيمان، ﴿ **كذلك يُبيّن اللَّهُ لكم آياتِهِ لعلّكم تهتدون** ﴾.

﴿ **ولْتَكُنْ مِنْكم أُمّةٌ** ﴾، أي: ولتكونوا أمةً، ﴿ **مِنْ** ﴾ صلة ليست للتبعيض، كقوله تعالى: ﴿ **فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأوثان** ﴾ [الحج: ٣٠] لم يُرِدْ اجتناب بعضَ الأوثان بل أراد فاجتنبوا الأوثان، واللام في قوله: ﴿ **ولتكن** ﴾ لام الأمر، ﴿ **يدعُون إلى الخير** ﴾، إلى الإسلام، ﴿ **ويأمُرون بالمعروفِ وينهونَ عنِ المنكرِ وأولئك هم المفلحون** ﴾. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر قال: أنا عبد الغافر بن محمد قال: أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج حدّثنا أبو بكر محمد بن أبي شيبة أخبرنا وكيع عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: قال أبو سعيد رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فَبِلِسَانِهِ فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي قال: أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمرو الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشمهيني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن جعفر أنا عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمُرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشِكَنّ اللَّهُ أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لَتدعُنّه فلا يُستجاب لكم»، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطّان أنا علي بن الحسين

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً» والخير المذكور في الآية هو كل شيء يرغب فيه من الأفعال الحسنة وقيل: هو هنا كناية عن الإسلام والمعنى لتكن أمة أي جماعة دعاة إلى الإسلام وإلى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة إلى فعل الخير يندرج تحتها نوعان: أحدهما: الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف. والثاني: الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الحسن أولاً وهو الخير ثم أتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى: ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾ تقدم تسيره. قوله عز وجل:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا**﴾ يعني ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول أكثر المفسرين واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه، وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وإنما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقاً مختلفين قال الربيع في هذه الآية: هم أهل الكتاب نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب. وقال ابن عباس: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين. وقال بعضهم: هم المبتدعة من هذه الأمة وقال أبو أمامة: هم الحرورية: قال عبدالله بن شداد: وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤوس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال: كلاب أهل النار

الدراوردي أخبرنا أبو النعمان أخبرنا عبد العزيز بن مسلم المقسميلي أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرُكم مَنْ ضلَّ إذا اهتديتم ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيّروه يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه»، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمرو بن حفص بن غياث أخبرنا أبي أنا الأعمش حدّثني الشعبي أنه سمع النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ: «مثل المداهن في حدود الله تعالى والواقع فيها، كمثل قوم اسْتَهَمُوا على سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرّ بالماء على الذين في أعلاها فتأذّوا به فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذّيتم به ولا بدّ لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا أنفسهم وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم».

قوله تعالى: ﴿ **ولا تكُونُوا كالذين تفرّقُوا واختلفوا من بعد ما جاءَهُم البَيّناتُ** ﴾، قال أكثر المفسّرين: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: المبتدعة من هذه الأمة، وقال أبو أمامة رضي الله عنه: هم الحرورية بالشام. قال عبد الله بن شداد: وقف أبو أمامة وأنا معه على رأس الحرورية بالشام فقال: هم كلاب النار، كانوا مؤمنين فكفروا بعدَ إيمانهم، ثم قرأ ﴿ **ولا تكونُوا كالذين تفرّقُوا واختلفُوا مِنْ بعدِ ما جاءَهُم البينات** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **أكفرتمْ بعدَ إيمانكم** ﴾، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار حدّثنا أحمد بن منصور الرمادي حدّثنا عبد الرزّاق أخبرنا معمر عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير أن

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وكانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، شر قتيل تحت أديم السماء، وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام فكفروا بعد إيمانهم ثم أخذ بيدي وقال: إن بأرضي منهم كثير وفي رواية ثم قرأ بعد قوله: ﴿**فكفروا بعد إيمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا**﴾ إلى قوله: ﴿**أكفرتم بعد إيمانكم**﴾ ورواه الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة: رؤوساً منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتلي تحت أديم السماء خير قتلي من قتلوه ثم قرأ: ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ إلى آخر الآية قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ. قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات حتى عد سبعاً ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن وقوله تعالى: ﴿**من بعد ما جاءهم البينات**﴾ يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وإنما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل في التقديم تشبيهاً بعلامة التثنية والجمع ﴿**وأولئك لهم عذاب عظيم**﴾ يعني لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا لهم عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه أخرجه أبو داود. أراد بربقة الإسلام عقد الإسلام وأصله أن الربق حبل فيه عدة عرا يشد بها الغنم الواحدة من العري ربقة. وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد» بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد. قوله عز وجل: ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ يعني اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين، وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان: أحدهما، إن البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن، وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيضّ وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه وأريد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى: ﴿**وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً**﴾ يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه إشراقها وسرورها

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سَرّه أن يسكن بحبوحة الجنّة فعليه بالجماعة، فإن الشيطان مع الفذّ، وهو من الاثنين أبعد»، قوله تعالى: ﴿ **وأولئك لهم عذابٌ عظيم** ﴾.

﴿ **يومَ تبيضُّ وُجوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوه** ﴾، ﴿ **يومَ** ﴾ نصبٌ على الظرف، أي: في يوم، وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول، يريد: تبيض وجوه المؤمنين وتسودّ وجوه الكافرين، وقيل: تبيض وجوه المخلصين وتسودّ وجوه المنافقين، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ هذه الآية قال: تبيضّ وجوه أهل السُّنّة وتسودّ وجوه أهل البدعة، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: إذا كان يوم القيامة رُفع لكل قوم ما كانوا يعبدونه، فيسعَى كل قوم إلى ما كانوا يعبدونه، وهو قوله تعالى: ﴿ نولهِ ما تولّى ﴾ [النساء: ١١٥] فإذا انتهوا إليه حزنوا فتسودُّ وجوههم من الحزن، وبقي أهل القِبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئاً مما رُفع لهم، فيأتيهم اللّهُ فيسجد له مَن كان يسجد في الدنيا مطيعاً مؤمناً ويبقى أهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود، ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤوسهم ووجوه المؤمنين مثل الثلج بياضاً والمنافقون أهل الكتاب إذا نظروا إلى وجوه المؤمنين حزنوا حُزناً شديداً فاسودّتْ وجوهُهم، فيقولون: ربنا ما لنا مسودّة وجوهنا فوالله ما كنّا مشركين؟ فيقول الله للملائكة: « انظروا كيف كذبوا على أنفسهم »، قال أهل المعاني: بياض الوجوه إشراقها واسْتِبشَارُها وسُرورها بعملِها وبثوابِ الله، واسْوِدَادُها حُزنها وكآبتها وَكُسوفها بعملها وبعذاب الله، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ للذين أحسنُوا الحسنى وزيادة ولا يرهقُ وجوهَهم قترٌ ولا ذِلّة ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاءُ سيئةٍ بمثلها وترهقُهم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

واستبشارها بعملها، وذلك أن المؤمن إذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فإذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون وإشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله. وأما الكافر والظالم إذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيئات حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فإذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نوراً ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لأن لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا أنه من أهل السعادة وإذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة ﴿**فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**﴾ أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع. فإن قلت كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم. قلت اختلف العلماء في ذلك فروى عن أبيّ بن كعب أنه قال: أراد به الإيمان يوم أخذ الميثاق حين قال لهم ألست بربكم؟ قالوا بلى فآمن الكل، فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الإيمان، وقال الحسن: هم المنافقون وذلك أنهم تكلموا بالإيمان بألسنتهم وأنكروه بقلوبهم. وقال عكرمة: هم أهل الكتاب وذلك أنهم آمنوا بمحمد ﷺ قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهم أهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأنا لهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (ق) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «ليردنَّ عليَّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إليّ اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي أصحابي فيقال لي لا تدري ما أحدثوا بعدك» زاد في رواية فأقول: «سحقاً لمن بدل بعدي» (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول: إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقهرى» وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب وقتلهم وهم الحرورية. (م) عن زيد بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي لما ساروا إلى الخوارج فقال عليّ: أيّها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤون القرآن لا يجاوز

ذِلّة ﴾ [يونس: ٢٧] وقال: ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربِّها ناظرةٌ ووجوهٌ يومئذٍ باسِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ و٢٣ و٢٤] وقال: ﴿ وجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرةٌ ضاحكةٌ مستبشرةٌ ووجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرةٌ ﴾ [عبس: ٣٨ و٣٩ و٤٠]، ﴿ **فأما الّذين اسْوَدّتْ وجوهُهم أكفرتم بعدَ إيمانِكم** ﴾، معناه: يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم، ﴿ **فذُوقُوا العذابَ بما كنتم تكفُرون** ﴾، فإن قيلَ: كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم، وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: حُكي عن أُبيّ بن كعب أنه قال: أراد به الإيمان يوم الميثاق، حين قال لهم ربُّهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، يقول: أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق. وقال الحسن: هم المنافقون تكلموا بالإيمان بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم، وقال عكرمة إنهم أهل الكتاب آمنوا بأنبيائهم وبمحمد ﷺ قبل أن يُبعث، فلما بُعث كفروا به، وقال قوم: هم من أهل قبلتنا، وقال أبو أُمامة: هم الخوارج، وقال قتادة: هم أهل البدع، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عُمر حدّثني ابن أبي مُلَيْكة عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر مَنْ يردُ عليّ منكم، وسيُؤخذ ناسٌ دُوني،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو. قال: قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله ﷺ يقول في الخوارج شيئاً قال: سمعته يقول وأهوى بيده إلى العراق «ويخرج منهم قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية» وقيل هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد إيمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد. (م) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا». وقال الحارث الأعور: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: على المنبر إن الرجل ليخرج من أهله فما يؤوب إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به الجنة وإن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به النار ثم قرأ ﴿يوم تبيض وجوه﴾ الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الإيمان ورب الكعبة. وقوله تعالى: .

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿**وأما الذين ابيضت وجوههم**﴾ يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل ﴿**ففي رحمة الله**﴾ يعني ففي جنة الله وإنما سميت الجنة رحمة لأنها دار رحمة وفيه إشارة إلى أن العبد وإن عمل بالطاعات لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى ﴿**هم فيها خالدون**﴾ قيل: إنما كرر كلمة في لأن في كل واحدة منهن معنى غير الأخرى المعنى أنهم في رحمة الله وأنهم في الرحمة خالدون ﴿**تلك آيات الله**﴾ يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت ﴿**نتلوها عليك بالحق**﴾ أي بالمعنى الحق لأن المتلو حق ﴿**وما الله يريد ظلماً للعالمين**﴾ يعني لا يعاقب أحداً بغير جرم واستحقاق للعقوبة وإنما ذكر الظلم هنا لأنه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فأما الذين اسودّت وجوههم إلى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أخبر أنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب أفعالهم المنكرة وأنه لا يظلم أحداً من خلقه.

فأقول: يا ربِّ منِّي ومن أمتي، فقال: هلْ شعرتَ بما عملوا بعدك؟ فوالله ما برِحُوا يرجعون على أعقابهم»، وقال الحارث الأعور: سمعت عليّاً رضي الله عنه على المنبر يقول: إن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل عملاً يستوجب به الجنة، وإن الرجل ليخرِج من أهله فما يؤب إليهم حتى يعمل عملاً يستوجِب به النار، ثم قرأ ﴿ يومَ تبيضُ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ ﴾ الآية، ثم نادى: هم الذين كفروا بعد الإيمان وربِّ الكعبة. أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشمهيني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يُصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً، يبيعُ دِينَه بعَرَضٍ من الدنيا».

قوله تعالى: ﴿ وأمّا الذينَ ابيضتْ وُجُوهُهُم ﴾، هؤلاء أهل الطاعة، ﴿ ففي رحمةِ الله ﴾، ففي جنة الله.

﴿ هم فيها خالدون ﴾.

﴿ تلك آياتُ الله نتلوها عليكَ بالحقِّ وما الله يُرِيْدُ ظلماً للعالمين ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾

﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ لما ذكر الله أنه لا يريد ظلماً للعالمين لأنه لا حاجة به إلى الظلم، وذلك أن الظالم إنما يظلم غيره ليزداد مالاً أو عزاً أو سلطاناً أو يتم نقصاً فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنياً عن ذلك، وله صفة الكمال أخبر أن له ما في السموات وما في الأرض وأن جميع ما فيهما ملكه وأهلهما عبيده، وإذا كان كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحداً من خلقه لأنهم عبيده، وفي قبضته ثم قال: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ يعني وإليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحداً منهم.

قوله عز وجل: ﴿كنتم خير أمة﴾ سبب نزول هذه الآية أن مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة: نحن أفضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا إليه فأنزل الله هذه الآية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارىء بدليل قوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ فعلى هذا التقدير يكون المعنى: كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين في الأمم الماضية بأنكم خير أمة، وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بأنكم خير أمة وقيل معناه كنتم منذ آمنتم خير أمة وقيل قوله خير أمة تابع لقوله: ﴿فأما الذين ابيضّت وجوههم﴾ والتقدير أنه يقال لهم عند دخول الجنة: كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا استحققتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه والنعم المقيم، وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل يحتمل أن يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم أي صرتم خير أمة. فأما المخاطبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير أمة هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال: أنتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك: هم أصحاب رسول الله ﷺ يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم.(ق) عن

﴿ ولِلّهِ مَا في السّمواتِ ومَا في الأرض، وإلى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ ﴾.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ للنّاسِ ﴾ قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود وأُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حُذيفة، رضي الله عنهم، وذلك أنّ مالك بن الصيف ووهب بن يهود اليهوديين قالا لهم: نحن أفضل منكم ودينُنا خير مما تدعونَنا إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ورَوَى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ كنتم خيرَ أُمّةٍ أُخرجتْ للناس ﴾ هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة، وقال جُويبر عن الضحاك: هم أصحاب محمد ﷺ خاصة الرواة والدّعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم. ورَوى عمر بن الخطاب قال: كنتم خيرَ أُمةٍ أُخرجتْ للناس تكون لأوّلنا ولا تكون لآخرنا. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أخبرنا شُعبة عن أبي حمزة قال: سمعت زهدم بن مضرب بن عمران بن حُصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيرُ أُمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن» زاد في رواية: «ويحلفون ولا يستحلفون». (ق) عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» قوله: «خير الناس قرني» يعني أصحابي والقرن أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الزمان الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم، وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة. (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» النصيف النصف. وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله: كنتم خير أمة هم أمة محمد ﷺ قال الزّجاج قوله كنتم خير أمة الخطاب فيه مع أصحاب رسول الله ﷺ ولكنه عام في كل أمة ونظيره قوله: «كتب عليكم الصيام، كتب عليكم القصاص» فإن كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ، ولكنه عام في حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ قال أنتم الأمة تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى **أخرجه** الترمذي وقال حديث حسن وأصل الأمة الجماعة المجتمعة على الشيء. وأمة محمد ﷺ هم الجماعة الموصوفين بالإيمان بالله عز وجل وبمحمد ﷺ (خ) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: ومن يأبى؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد ﷺ على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار» أخرجه الترمذي عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل» أخرجه أبو داود عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي كمثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله» أخرجه الترمذي وله عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم» وله عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثاً ثم إنهم يتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول» قال الترمذي سألت محمداً يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبدالله زاد غيره في الحديث وهم شركاء الناس في سائر الأبواب عن

يلونهم». قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً، ثم إنّ بعدهم قوماً يخوّنون ولا يُؤتمنون ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السِّمَن وبهذا الإسناد عن علي بن الجعد أخبرنا شعبة وأبو معاوية عن الأعمش عن ذكوان عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدّ أحدِهم ولا نَصِيفَه»، وقال الآخرون: جميع المؤمنين من هذه الأمة، وقوله ﴿ **كنتم** ﴾ أي: أنتم، كقوله تعالى: ﴿ واذكروا إذْ كنتم قليلاً ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقال في موضع آخر: ﴿ واذكُروا إذْ أنتم قليل ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وقيل: معناه كنتم خير أُمة عند الله في اللوح المحفوظ، وقال قوم: قوله: ﴿ **للناس** ﴾ صلةُ قولِهِ خير أمة، أي: أنتم خير أمة للناس. قال أبو هريرة معناه: كنتم خيرَ النّاسِ لِلنّاسِ، تجيئون بهم في السلاسل فتُدْخلونهَم في الإسلام، قال قتادة: هم أمة محمد ﷺ لم يُؤمرْ نبي بعده بالقتال، فهم يقاتلون الكفّار فيُدخلونهم في دينهم، فهم خير أُمّة للناس، وقيل: للناس صلة قوله أُخرِجتْ معناه: ما أخرجَ اللَّهُ للناس أُمّةً خيراً من أمة محمد ﷺ أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن حبيش المقري أنا علي بن زنجويه أخبرنا سلمة بن شبيب أنا عبد الرازق أنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من أمتي من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة من يشفع للواحد» أخرجه الترمذي (خ) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف سماطين متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي» أخرجه الترمذي. وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي» وقوله تعالى: ﴿**أخرجت للناس**﴾ معناه كنتم خير الأمم المخرجة للناس في جميع الأعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير أمة أخرجت (خ) عن أبي هريرة قال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام، وقيل أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير من أمة محمد ﷺ: ﴿**تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾ هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول: زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم. والمعروف هو التوحيد، والمنكر هو الشرك، والمعنى تأمرون الناس بقول لا إله إلا الله وتنهونهم عن الشرك ﴿**وتؤمنون بالله**﴾ أي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة. فإن قلت لم قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في الذكر مع أن الإيمان يلزم أن يكون مقدماً على كل الطاعات والعبادات؟. قلت الإيمان بالله أمر يشترك فيه جميع الأمم المؤمنة وإنما فضلت هذه الأمة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الأمم، وإذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما الإيمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لأنه ما لم يوجد الإيمان لم يضر شيء من الطاعات مقبولاً فثبت أن الموجب لهذه الخيرية لهذه الأمة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الإيمان وقوله تعالى: ﴿**ولو آمن أهل الكتاب**﴾ يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد ﷺ وبالدين الذي جاء به ﴿**لكان خيراً لهم**﴾ يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وإنما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا، والثواب

معمر عن بهز بنِ حكيم عن أبيه عن جدّه أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿ كنتم خيرَ أمة أُخرجت للنّاس ﴾ قال: «إنكم تنمُون سبعين أُمة أنتم خيرُها وأكرمُها على الله عزّ وجلّ»، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا معشر بن إبراهيم بن محمد الفيركي أخبرنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيىٰ أخبرنا أبو الصلت أخبرنا حمّاد بن زيد أخبرنا علي بن زيد عن أبا نَضْرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ألا وإنّ هذه الأمة تُوفّي سبعين أمة هي أخْيَرُها وأكرمُها على الله عزّ وجلّ»، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد أنا الفضل بن الفضل أخبرنا خليفة الفضل بن الحباب قـال عبد الرحمن يعني ابن المبارك أخبرنا حمّاد بن يحيىٰ الأشج أنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أولُه خيرٌ أمْ آخره». أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أنا أبو محمد المخلدي أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي أخبرنا محمد بن عيسى التنيسي أخبرنا عمر بن أبي سلمة أخبرنا صدقة بن عبد الله عن زهير محمد بن عبد الله بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة حُرِّمتْ على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحُرِّمتْ على الأمم كلهم

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة ﴿منهم﴾ يعني من أهل الكتاب ﴿المؤمنون﴾ يعني عبدالله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا من النصارى ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ أي المتمردون في الكفر، وقيل إن الكافر قد يكون عدلاً في دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون. قوله عز وجل: .

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ سبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود عمدوا إلى من آمن منهم مثل عبدالله بن سلام وأصحابه فآذوهم لإسلامهم فأنزل الله تعالى ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ يعني لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى يعني باللسان من طعنهم في دينكم أو تهديد أو إلقاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الأذى والغم ﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾ يعني منهزمين مخذولين ﴿ثم لا ينصرون﴾ يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن أسلم من أهل الكتاب لأنهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فأعلمهم الله تعالى أنهم لا يقدرون أن يجاوزوا الأذى بالقول إلى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وأن عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق به، والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لأنهم ذلة وصغار وقيل ذلتهم أنك لا ترى في اليهود ملكاً قاهراً ولا رئيساً معتبراً بل مستضعفون في جميع البلاد ﴿أينما ثقفوا﴾ أي حيثما وجدوا وصودفوا ﴿إلا بحبل من الله﴾ يعني إلا بعهد من الله وهو أن يسلموا فتزول عنهم الذلة ﴿وحبل من الناس﴾ يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عزلهم إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية. وإنما سمي العهد حبلاً لأنه سبب يوصل إلي الأمن وزال الخوف ﴿وباؤوا بغضب من الله﴾ يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البواء وهو المكان والمعنى أنهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه ﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ يعني كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في

حتى تدخلها أمتي»، أخبرنا أبو سعيد الشريحي قال: أخبرنا أبو إسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن عبد الله بن حاتم الترمذي أخبرنا جدّي لأبي محمد بن عبد الله بن مرزوق أنا عقاب بن مسلم أنا عبد العزيز بن مسلم أخبرنا أبو سنان يعني ضرار بن مرّة عن محارب بن دثار عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهلُ الجنةِ عشرونَ ومائةُ صف ثمانون من هذه الأمة»، قوله تعالى: ﴿ تأمرونَ بالمعرُوفِ وتنهونَ عن المنكرِ وتُؤمنونَ بالله، ولو آمنَ أهلُ الكتابِ لكانَ خيراً لهم مِنهُمُ المؤمنونَ وأكثرُهم الفاسقُون ﴾ أي: الكافرون.

قوله تعالى: ﴿ لَنْ يضرُّوكم إلا أذىً ﴾، قال مقاتل: إن رؤوس اليهود عمدُوا إلى مَنْ آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه، فآذوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية، لن يضرّكم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلّا أذىً باللسان وَعِيداً وطغياناً، وقيل كلمة كفر تتأذّون بها ﴿ وإن يُقاتلوكم يُولّوكم الأدبار ﴾، منهزمين، ﴿ ثم لا يُنصرُون ﴾، بل يكون لكم النصر.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية، وذلك لأن الله تعالى أخرج المسكنة عن الاستثناء، وذلك يدل على أنها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على أن المسكنة هي الجزية، وقيل المراد بالمسكنة هو أن اليهودي يظهر من نفسه الفقر وإن كان غنياً موسراً ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ﴿بأنهم﴾ أي بسبب أنهم ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ أي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل: .

﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ (١١٤)﴾

﴿ليسوا سواء﴾ قال ابن عباس: لما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن محمد ﷺ إلا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وفي قوله: ﴿ليسوا سواء﴾ قولان أحدهما أنه كلام تام يوقف عليه والمعنى أهل الكتاب الذي سبق ذكرهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ليسوا سواء، وقيل معناه لا يستوي اليهود وأمة محمد ﷺ القائمة بأمر الله الثابتة على الحق. والقول الثاني أن قوله: ﴿ليسوا سواء﴾ متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله: ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ فيه اختصار وإضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الأمة الأخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وهذا على مذهب العرب أن ذكر أحد الضدين يغني عن ذكر الآخر قال أبو ذؤيب:

دعـانـي إليهـا القلـب إنـي امـرؤ لهـا مطيـع فـلا أدري أرشـد طـلابهـا

أراد أم غير رشد فاكتفى بذكر أحد الرشدين دون الآخر. وقال الزّجاج: لا حاجة إلى إضمار الأمة المذمومة لأنه قد جرى ذكر أهل الكتاب بقوله: كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق فأعلم الله أن منهم أمة قائمة فلا حاجة بنا إلى أن نقول وأمة غير قائمة إنما ابتدأ بذكر فعل الأكثر منهم وهو الكفر والمشاقة، ثم ذكر من كان

﴿ ضُربتْ عليهمُ الذِّلةُ أينما ثُقِفوا ﴾، حيثُ ما وُجدوا ﴿ إلّا بحبلٍ منَ اللّهِ ﴾ يعني: أينما وُجدوا استُضعفوا وقُتِلوا أو سُبُوا فلا يأمنون إلّا بحبلٍ: عهدٍ منَ الله تعالى بأن يُسلمُوا، ﴿ وحَبلٍ منَ النّاسِ ﴾ من المؤمنين ببذلِ جزيةٍ أو أمانٍ، يعني: إلّا أن يُعصمُوا بحبل الله فيأمنوا، قوله تعالى: ﴿ وباؤوا بغضبٍ من الله ﴾، رجعوا به، ﴿ وضُربتْ عليهم المَسْكنَةُ ذلك بأنّهم كانوا يكفُرون بآياتِ اللّهِ ويقتُلونَ الأنبياءَ بغيرِ حقٍ ذلكَ بما عَصَوا وكانُوا يعتدُون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ليسُوا سَواءً مِنْ أهلِ الكتابِ أمةٌ قائمة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: لمّا آمن عبد الله بن سلام وأصحابه، قالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد ﷺ إلّا شرارُنا ولولا ذلك لما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، واختلفوا في وجهها فقال قوم: فيه اختصار تقديره: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمةٌ قائمة وأخرى غير قائمة، فتركَ الأخرى اكتفاءً بذكر أحد الفريقين، وقال الآخرون: تمام الكلام عند قوله: ﴿ ليسوا سواء ﴾ وهو وقف لأنه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ ثم قال: ﴿ ليسوا سواءً ﴾ يعني: المؤمنين والفاسقين، ثم وصف الفاسقين، فقال: ﴿ لن يضرّوكم إلّا أذىً ﴾ ووصف المؤمنين بقوله: ﴿ أمةٌ قائمةٌ ﴾ وقيل: قوله: ﴿ من أهل الكتاب ﴾ ابتداء كلام آخر، لأن ذكر

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مبايناً لهم في فعلهم فقال: «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة» قال ابن عباس: قائمة أي مهدية قائمة على أمر الله تعالى لم يضعوه ولم يتركوه، وقيل قائمة أي عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل: قائمة في الصلاة ﴿يتلون آيات الله﴾ أي يقرؤون كتاب الله عز وجل: ﴿آناء الليل﴾ يعني ساعاته ﴿وهم يسجدون﴾ يعني يصلون، عبر بالسجود عن الصلاة لأن التلاوة لا تكون في السجود وقيل: هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشاء لأن اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل أنه أراد بالسجود الخضوع والخشوع لأن العرب تسمي الخشوع سجوداً وقال عطاء في قوله تعالى: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ يريد أربعين رجلاً من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد ﷺ وآمنوا به وكانوا عدة نفر من الأنصار منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا قبل الإسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي ﷺ فآمنوا به وصدقوه، ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال: ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وذلك لأن إيمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المؤمنون، وقيل إن الإيمان بالله يستلزم الإيمان بجميع أنبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض والإيمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الإيمان الخالص بالله واليوم الآخر ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ يعني غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضاً. وقيل يأمرون بالمعروف يعني بتوحيد الله تعالى والإيمان بمحمد ﷺ وينهون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد ﷺ ﴿ويسارعون في الخيرات﴾ أي يبادرون إليها خوف الفوت وذلك أن من رغب في أمر سارع إليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متثاقلين ولا كسالي ﴿وأولئك﴾ إشارة إلى الموصوفين بما وصفوا به ﴿من الصالحين﴾ أي من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله عز وجل ورضي عنهم واستحقوا ثناءه عليهم، وذلك لأن الصلاح ضد الفساد فإذا حصل الصلاح للإنسان فقد حصل له أعلى الدرجات وأكمل المقامات وقيل يحتمل أن يراد بالصالحين المسلمون والمعنى أولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين. قوله عز وجل: .

الفريقين قد جرى، ثم قال: ليس هذان الفريقان سواءً، ثم ابتدأ فقال: من أهل الكتاب، قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يستوي اليهود وأمة محمد ﷺ القائمة بأمر الله الثابتة على الحق المستقيمة، وقوله تعالى: ﴿ أمة قائمة ﴾ قال ابن عباس: أي مهتدية قائمة على أمر الله لم يضيّعُوه ولم يتركوه. وقال مجاهد: عادلة. وقال السدي: مطيعة قائمة على كتاب الله وحده. وقيل: قائمة في الصلاة. وقيل: الأمة الطريقة. ومعنى الآية: أي ذَوُوا أُمةٍ، أي: ذَوُوا طريقةٍ مستقيمة. ﴿ يتلُونَ آياتِ الله ﴾، يقرؤون كتابَ الله، وقال مجاهد: يتبعون ﴿ آناء الليل ﴾، ساعاته، واحدها: أَنى وآناء، مثل نحى وأنحاء، وأَنَى وآناء مثل: مِعًى وأمعاء، وأَنَى مثل منا وأمناء، ﴿ وهم يسجدون ﴾ أي: يصلّون، لأن التلاوة لا تكون في السجود. واختلفوا في معناها، فقال بعضهم: هي قيام الليل، وقال ابن مسعود صلاة العتمة يصلّونها ولا يصلّيها مَن سواهم من أهل الكتاب، وقال عطاء: ﴿ ليسوا سواءً منْ أهلِ الكتابِ أمةٌ قائمة ﴾ الآية يريد: أربعين رجلاً من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدّقوا محمداً ﷺ، وكان من الأنصار منهم عدّة قبل قدوم النبي ﷺ، منهم أسعد بن زرارة والبراء بن مَعْرُور ومحمد بن سلمة وأبو قيس بن صرمة بن أنس، كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله تعالى بالنبي ﷺ فصدقوه ونصروه.

قوله تعالى: ﴿ يُؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ ويأمرُونَ بالمعروفِ وينْهَونَ عن المنكر ويُسارعُون في الخيراتِ وأولئكَ مِنَ الصالحين ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ
الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه﴾ قرىء بالياء لأن الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني أهل الكتاب وذلك أن اليهود لما قالوا لعبدالله بن سلام وأصحابه إنكم خسر ثم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فأخبر الله تعالى أنهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه مكن خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرىء بالتاء على أنه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنوا أهل الكتاب أيضاً ومعنى الآية وما تفعلوا من خير أيها المؤمنون فلن تكفروه أي فلن تعدموا ثوابه ولن تجرموه أو تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به **﴿والله عليم بالمتقين﴾** فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل الإيمان والتقوى. قوله عز وجل: **﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾** قال ابن عباس: يريد بني قريظة والنضير وذلك أن رؤساء اليهود مالوا إلى تحصيل الأموال في معاداة رسول الله ﷺ، وإنما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والأموال فقال الله عز وجل: **﴿لن تغني عنهم أموالهم﴾** وقيل: نزلت في مشركي قريش فإن أبا جهل كان كثير الافتخار بالأموال وأنفق أبو سفيان مالاً كثيراً في يومي بدر وأحد على المشركين وقيل: إن الآية عامة في جميع الكفار لأن اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب إجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية: **﴿إن الذين كفروا لن تغني﴾** أي تذفع أموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا أولادهم بالنصر وإنما خص الأموال والأولاد بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالأولاد فأعلم الله تعالى أن الكافر لا ينفعه شيء من ذلك في الآخرة ولا مخلص له من عذاب الله وهو قوله: **﴿وأولئك أصحاب النار هم خالدون﴾** لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله عز وجل: **﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا﴾** قيل أراد نفقة أبي سفيان وأصحابه ببدر وأحد في معاداة رسول الله ﷺ وقيل أراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل: أراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل: أراد نفقة المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله تعالى وذلك لأن إنفاقهم المال إما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فإن كان لمنافع الدنيا لم يبق له أثر في الآخرة في حق المسلم فضلاً عن الكافر وإن كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويعمل أعمال البر فإن

﴿ وما يفعلوا من خيرٍ فلنْ يُكفَرُوه ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما إخبار عن الأمة القائمة، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، لقوله: **﴿ كنتم خير أمة ﴾**، وأبو عمرو يَرى القراءتين جميعاً، ومعنى هذه الآية: وما تفعلوا من خير فلن تُعدموا ثوابَه بل يشكر لكم وتُجازون عليه، **﴿ والله عليم بالمتّقين ﴾**، بالمؤمنين.

﴿ إنَّ الذينَ كفرُوا لنْ تُغنيَ عنهم أموالُهم ولا أولادُهم منَ اللهِ شيئاً ﴾، أي: لا تدفع أموالهم بالفدية وأولادهم بالنصرة من الله شيئاً، أي: من عذاب الله، وخصّهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد. **﴿ وأولئكَ أصحابُ النارِ هُمْ فيها خالدُون ﴾**، وإنّما جعلهم من أصحابهم لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يُفارقونها، كصاحب الرجل لا يفارقه.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

كان كافراً فإن الكفر محبط لجميع أعمال البر فلا ينتفع بما أنفق في الدنيا لأجل الآخرة وكذلك المرائي الذي لا يريد بما أنفق وجه الله تعالى فإنه لا ينتفع بنفقته في الآخرة ثم ضرب لذلك الإنفاق مثلاً فقال تعالى: ﴿**كمثل ريح فيها صر**﴾ فيه وجهان: أحدهما وهو قول أكثر المفسرين، وأهل اللغة إن الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد: والوجه الثاني أن الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الأنباري من أهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لأنها سواء كان فيها برد فهي مهلكة أو حر فهي مهلكة أيضاً ﴿**أصابت**﴾ يعني الريح التي فيها صر ﴿**حرث قوم**﴾ أي زرع قوم ﴿**ظلموا أنفسهم**﴾ يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه ﴿**فأهلكته**﴾ يعني فأهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع به أصحابه. فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا وأبطال ثوابه وعدم الانتفاع به الحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث؟ قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وإن لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين فعلى هذا زال الإشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين أجزاء كل واحدة منهما فإن جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان: أحدهما أن يكون التقدير مثل الكفر في إهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث. الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء. وقوله تعالى: ﴿**وما ظلمهم الله**﴾ يعني بأن لم يقبل نفقاتهم ﴿**ولكن أنفسهم يظلمون**﴾ يعني أنهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فأبطل نفقاتهم وأهلك حرثهم وقيل ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول. قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة**﴾ الآية قال ابن عباس: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول أن الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك، وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين ويفشون إليهم الأسرار ويطلعونهم على الأحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول أن

﴿ **مثلُ ما يُنفقُون في هذه الحياة الدنيا** ﴾، قيل: أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه ببدرٍ وأُحد على عداوة رسول الله ﷺ، وقال مقاتل: أراد نفقة اليهود على علمائهم، قال مجاهد: يعني جميع نفقات الكفّار في الدنيا وصدقاتهم، وقيل: أراد إنفاق المرائي الذي لا يبتغي به وجهَ الله تعالى، ﴿ **كمثلِ ريحٍ فيها صِرٌّ** ﴾، حُكي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها السَّموم الحارّة التي تقتل، وقيل: **فيها صِرٌّ** أي: صوت، وأكثر المفسّرين قالوا: فيها برد شديد، ﴿ **أصابتْ حرثَ قومٍ** ﴾ زرعَ قوم، ﴿ **ظلمُوا أنفسَهم** ﴾، بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى، ﴿ **فأهلكته** ﴾، فمعنى الآية: **مثل نفقات الكفّار وذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع أصحابه منه بشيء**، ﴿ **وما ظلمهم اللّهُ** ﴾، بذلك، ﴿ **ولكن أنفسَهم يظلمون** ﴾، بالكفر والمعصية.

قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تَتخِذُوا بطانةً من دُونِكم** ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لِما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم، وقال مجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافُون المنافقين فنهاهم الله تعالى عن ذلك، فقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تَتخِذُوا بطانةً من دونكم** ﴾ أي: أولياء أصفياء من غير أهل ملّتكم، وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبطنون أمرَه ويطّلعون منه على

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الله ذكر في سياق هذه الآية قوله: ﴿وإذا لقوكم قالوا آمناً وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ وهذه صفة المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع أصناف الكفار، ويدل على صحة هذا القول معنى الآية لأن الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهياً عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلاناً إذا اختصصته، ويقال فلان شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل أن الذي يخصه الإنسان بمزيد القرب يسمي بطانة لأنه يستبطن أمره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره ﴿من دونكم﴾ قبل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم، وقيل من للتبيين أي لا تتخذوا بطانة من دون أهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا أولياء ولا أصفياء من غير أهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى: ﴿لا يألونكم خبالاً﴾ يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لأن أصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق الإنسان فيورثه نقصان العقل ﴿ودوا ما عنتم﴾ أي يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ أي ظهرت العداوة من أفواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو إطلاع المشركين على أسرار المؤمنين ﴿وما تخفي صدورهم﴾ يعني من العداوة والغيظ ﴿أكبر﴾ أي أعظم مما يظهرونه ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ يعني الدالة على وجوب الإخلاص في الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ﴿إن كنتم تعقلون﴾ يعني ما بين لكم فتتعظون به. قوله تعالى: .

هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

﴿ها أنتم﴾ ها للتنبيه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور ﴿أولاء﴾ اسم للمشار إليهم في قوله ﴿تحبونهم﴾ والمعنى أنتم إليها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للأسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف ﴿ولا يحبونكم﴾ يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين، وقيل تحبونهم يعني تريدون لهم الإسلام وهو خير الأشياء ولا يحبونكم لأنهم يريدون لكم الكفر وهو شر الأشياء لأن فيه هلاك الأبد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما أظهروا من الإيمان وأنتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم لأن

ما لا يطّلع عليه غيرُهم، ثم بيّن العلّة في النهي عن مباطنتهم فقال جلّ ذكره ﴿ لا يألُونكم خَبالاً ﴾، أي: لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يُورثكم الشرَّ والفساد، والخَبالُ: الشرُّ والفساد، ونصب ﴿ خبالاً ﴾ على المفعول الثاني، لأن ﴿ يألو ﴾ يتعدّى إلى مفعولين، وقيل: بنزع الخافض، أي بالخبال، كما يقال أوجعته ضرباً، ﴿ وَدُّوا ما عَنِتُّمْ ﴾، أي يَودُّون ما يشقّ عليكم من الضرِ والشر والهلاك، والعنت المشقة، ﴿ قدْ بدتِ البَغْضاءُ ﴾ أي: البغض، معناه ظهرتْ أمارة العداوة، ﴿ من أفواهِهم ﴾، بالشتيمة والوقيعة في المسلمين، وقيل: باطّلاع المشركين على أسرار المسلمين، ﴿ وما تُخفي صدورُهم ﴾، من العداوة والغيظ، ﴿ أكبر ﴾، أعظم، ﴿ قد بيّنّا لكم الآياتِ إنْ كنتم تعقلون ﴾.

﴿ ها أنتم ﴾ ها تنبيه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور، ﴿ أُولاءِ ﴾ اسم للمشار إليه، يريد أنتم أيها المؤمنون، ﴿ تُحبّونَهم ﴾ أي: تحبّون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للأسباب التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة، ﴿ ولا يُحبّونكم ﴾، لما بينكم من مخالفة الدين، وقال مقاتل هم المنافقون يحبّهم المؤمنون

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بأن تفشوا إليهم أسراركم ولا يحبونكم أي لا يفعلون مثل ذلك معكم ﴿**وتؤمنون بالكتاب كله**﴾ يعني وهم لا يؤمنون وإنما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لأنه ذهب به إلى الجنس كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس والمعنى أنكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم ﴿**وإذا لقوكم قالوا آمنا**﴾ يعني أن الذين وصفهم في هذه الآية بهذه الصفات إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كإيمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود ﴿**وإذا خلوا**﴾ أي خلا بعضهم إلى بعض ﴿**عضوا عليكم الأنامل من الغيظ**﴾ الأنامل جمع أنملة وهي طرف الأصبع والمعنى أنه إذا خلا بعضهم ببعض أظهروا العداوة وشدة الغيظ، على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الأنامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الأمثال وإن لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب ﴿**قل موتوا بغيظكم**﴾ هذا دعاء عليهم أن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الإسلام وعزة أهله ومالهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا إلى الممات بغيظكم ﴿**إن الله عليم بذات الصدور**﴾ يعني به الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه وهي لكونها حالة في القلب منتسبة إليه كنى عنها بذات الصدور والمعنى أنه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر فأخبرهم أنه عليم بما يسرونه من عض الأنامل غيظاً إذا خلوا وأنه عليم بما هو أخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم. قوله عز وجل: ﴿**إن تمسسكم**﴾ أي تصبكم أيها المؤمنون وأصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل إلى شيء ماساً له على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب أي أصابه ﴿**حسنة**﴾ المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم وإصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معايشكم ﴿**تسؤهم**﴾ أي تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى ﴿**وإن تصبكم سيئة**﴾ أي مساءة من إخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم أو اختلاف يقع بينكم أو غدر ونكبة ومكروه يصيبكم ﴿**يفرحوا بها**﴾ أي بما أصابكم من ذلك المكروه ﴿**وإن تصبروا**﴾ يعني على أذاهم وقيل إن تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة ﴿**وتتقوا**﴾ أي تخالفوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه ﴿**لا يضركم**﴾ أي لا ينقصكم ﴿**كيدهم**﴾ أي عداوتهم ومكرهم ﴿**شيئاً**﴾ أي لأنكم في عناية الله وحفظه ﴿**إن الله بما يعملون**﴾ قرىء بالياء على

لِما أظهروا من الإيمان، ولا يعلمون ما في قلوبهم، ﴿ **وتُؤمنون بالكتاب كله** ﴾، يعني: بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم، ﴿ **وإذا لَقُوكُم قالوا آمنّا، وإذا خَلَوْا** ﴾، وكان بعضهم مع بعض ﴿ **عَضُّوا عليكم الأناملَ منَ الغيظ** ﴾، يعني: أطراف الأصابع واحدتها أنملة بضم الميم وفتحها، من الغيظ لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم، وعضّ الأنامل عبارة عن شدّة الغيظ وهذا من مجاز الأمثال، وإن لم يكن ثم عضّ ﴿ **قلْ مُوتُوا بغيظكم** ﴾، أي: ابقوا إلى الممات بغيظكم، ﴿ **إن اللّهَ عليمٌ بذاتِ الصدور** ﴾، أي: بما في القلوب من خير وشر.

قوله تعالى: ﴿ **إن تَمْسَسْكُم** ﴾ أي: تُصبكم أيها المؤمنون ﴿ **حسنةٌ** ﴾ بظهوركم على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم، وتتابع الناس في الدخول في دينكم، وخصب في معايشكم ﴿ **تسؤهم** ﴾، تُحزنهم، ﴿ **وإن تُصِبكم سيئة** ﴾، مساءةٌ بإخفاق سرية لكم أو إصابة عدوٍّ منكم، واختلاف يكون بينكم أو جدبٍ أو نكبة، ﴿ **يَفْرَحُوا بها وإن تَصبرُوا** ﴾، على أذاهم ﴿ **وتتقوا** ﴾، تخافوا ربكم ﴿ **لا يضرُّكم** ﴾، أي: لا ينقصكم، ﴿ **كيدُهم شيئاً** ﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وأهل البصرة ﴿ **لا يضِرْكم** ﴾ بكسر الضاد خفيفة، يقال: ضار يضير ضيراً، وهو جزم على جواب الجزاء، وقرأ الباقون بضمّ الضاد وتشديد الراء من ضرّ يضرّ ضرّاً، مثل ردّ يردّ ردّاً وفي رفعه وجهان. أحدهما: أنه أراد الجزم، وأصله يضرركم فأدغمت الراء في الراء، ونُقلت ضمة الراء الأولى الضاد وضمّت الثانية

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الغيبة والمعنى أنه عالم بما يعملون من عداوتكم وأذاكم فيعاقبهم عليه وقرىء بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى أنه عالم بما تعملون أيها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه ﴿محيط﴾ أي عالم بجميع ذلك حافظ لا يعزب عنه شيء منه. قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وإذا غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال﴾ قال جمهور المفسرين إن هذا كان في يوم أحد وهو قول عبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن إسحاق، وقال الحسن ومجاهد ومقاتل: إنه يوم الأحزاب ونقل عن الحسن أيضاً أنه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الأول أصح لقوله تعالى: ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والكلبي والواقدي غداً رسول الله ﷺ من منزل عائشة فمشى على رجليه إلى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن إسحاق والسدي عن رجالهما إن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فلما سمع رسول الله ﷺ بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبدالله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبدالله بن أبيّ وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليه فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا قاتلتهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله ﷺ هذا الرأي وقال بعض أصحابه يا رسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب لئلا يروا أنا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله ﷺ إني قد رأيت في منامي بقراً فأولتها خيراً ورأيت في ذباب سيفي ثلماً فأولتها هزيمة ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فإن أقاموا أقاموا بشر وإن دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الأزقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد أخرج بنا إلى أعدائنا، فلم يزالوا برسول الله ﷺ من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله ﷺ منزله ولبس لأمته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقال بئس ما صنعنا نشير على رسول الله ﷺ والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا إليه وقالوا: يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول الله ﷺ: لا ينبغي

اتباعاً، والثاني: أن يكون لا بمعنى ليس ويضمر فيه الفاء، تقديره: وإن تصبروا وتتقوا فليس يضرّكم كيدهم شيئاً، ﴿إنّ الله بما يعملُون مُحيط﴾، أي: عالم.

قوله تعالى: ﴿وإذْ غدوتَ من أهلك تبوّىءُ المؤمنين مقاعدَ للقتال﴾، قال الحسن: هو يوم بدر، وقال مقاتل: يوم الأحزاب، وقال سائر المفسرين: هو يوم أُحد، وقال مجاهد والكلبي والواقدي: غدا رسول الله ﷺ من منزل عائشة رضي الله عنها يمشي على رجليه إلى أُحُد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح، قال محمد بن إسحق والسدي عن رجالهما: إن المشركين نزلوا بأُحُد يوم الأربعاء فلما سمع رسول الله ﷺ بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أُبيّ ابن سلول ولم يدعُهُ قطّ قبلها فاستشاره، فقال عبد الله بن أُبيّ وأكثر الأنصار: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا إلى عدو قطّ إلاّ أصاب منّا ولا دخلها علينا إلاّ أصبنا منه، فكيف وأنت فينا فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق، وإن رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله ﷺ هذا الرأي، وقال بعض أصحابه: يا رسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب، لا يرون أنّا جُبنّا عنهم وضَعُفْنَا، وقال رسول الله ﷺ: «إني رأيت في منامي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الأربعاء والخميس وخرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة، وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار فصلى عليه ثم خرج عليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة. وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وأصحابه إلى أحد وأمر عبدالله بن جبير على الرماة. وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال رسول الله ﷺ اثبتوا في هذا المقام فإذا عاينوكم ولوا الأدبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله ﷺ رأى عبدالله بن أبي ابن سلول شق عليه ذلك وقال لأصحابه أطاع الولدان وعصاني ثم قال لأصحابه إن محمداً إنما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه أن أعداءهم إذا عاينوهم انهزموا فإذا رأيتم أعداءهم فانهزموا أنتم فيتبعونكم فيصير الأمر إلى خلاف ما قاله محمد لأصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين ألفا وكان المشركون ثلاثة آلاف انخذل عبدالله بن أبي ابن سلول بثلاثمائة من أصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله ﷺ نحو سبعمائة من أصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين. فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا في أن تكون هذه الواقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا أمر رسول الله ﷺ فأراد الله أن يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله من مخالفة رسول الله ﷺ وليعلموا أن ظفرهم يوم بدر إنما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله. ثم إن الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله ﷺ وشج وجهه يومئذ وكان من أمر غزو أُحد ما كان فذلك قوله تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك﴾ أي واذكر إذ غدوت من أهلك يعني منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من أهلك فنص الله تعالى على أنها من أهله تبوىء المؤمنين أي تنزل المؤمنين مقاعد للقتال أي مواضع ومواطن للقتال. وقيل تتخذ عسكراً للقتال ﴿والله سميع﴾ يعني لأقوالكم ﴿عليم﴾ يعني بنياتكم وضمائركم. قوله عز وجل:

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ

بقراً مذبوحة، فأوّلتها خيراً، ورأيتُ في ذُباب سيفي ثَلْماً فأوّلتها هزيمةً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة»، وكان يعجبه أن يدخلوا عليهم بالمدينة فيقاتلوا في الأزقّة، فقال رجل من المسلمين ممّن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أُحُد: اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله ﷺ من حبّهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله ﷺ، فلبس لأمته فلمّا رأوه قد لبس السلاح ندِمُوا، وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله ﷺ والوحي يأتيه، فقاموا واعتذروا إليه وقالوا: اصنع ما رأيتَ، فقال ﷺ: «لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمَته فيضعها حتى يقاتل»، وكان قد أقام المشركون بأُحد يوم الأربعاء والخميس، فراح رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعدما صلّى بأصحابه الجمعة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار فصلّى عليه رسول الله ﷺ، ثم خرج إليهم، فأصبح بالشّعب من أُحُد يوم السبت للنصف من شوّال سنة ثلاثٍ من الهجرة، فكان من حرب أُحُد ما كان، فذلك قوله تعالى: ﴿ وإذْ غدوتَ من أهلك تبوىءُ ﴾ تنزل المؤمنين ﴿ مقاعدَ للقتال ﴾ أي: مواطن، ومواضع للقتال، يقال: بوّأتُ القوم إذا وطنتُهم، وتبوؤا هم إذا توطؤوا، قال الله تعالى: ﴿ ولقد بوّأنا بني إسرائيل مُبوّأ صدق ﴾ [يونس: ٩٣]، وقال: ﴿ أن تبوَّآ لقومكما بمصر بيوتاً ﴾ [يونس: ٨٧] وقيل: تتخذ معسكراً، ﴿ واللَّهُ سميعٌ عليم ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ أي تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس كان جناحي العسكر وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد مع ألف رجل، وقيل في تسعمائة وخمسين رجلاً وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبدالله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلاثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعه أبو جابر السلمي وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبدالله بن أبي لو نعلم قتالاً لاتبعناكم وهمّت الطائفتان بالانصراف مع عبدالله بن أبي فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله ﷺ قال ابن عباس: أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال: إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴿والله وليهما﴾ أي ناصرهما وحافظهما ومتولي أمرهما بالتوفيق والعصمة. فإن قلت الهم العزم على فعل الشيء والآية تدل على أن الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما. قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس وإذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس هنا أولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس إنهم أضمروا أن يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله ﷺ مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق) عن جابر قال: نزلت فينا: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما﴾ قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم، وإنزاله فيهم آياته ناطقة مفصحة بأن الله وليهم وأن تلك الهمة التي هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ التوكل تفعل من وكل أمره إلى غيره إذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به، وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الأمر إلى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين أن لا يتوكلوا إلّا عليه وأن لا يفوضوا أمرهم إلّا إليه.

قوله عز وجل: ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به. ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر ﴿وأنتم أذلة﴾ جمع ذليل

﴿ إِذْ هَمَّتْ طائفتانِ منكم أنْ تفشَلا ﴾ أي: تَجْبُنا وتضْعُفا وتتخلّفا، والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى أُحُد في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشوط اتخذ عبد الله بن أُبي بثلث الناس ورجع في ثلاث مائة وقال علامَ نقتل أنفسَنا وأولادَنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي فقال: أنشدكم بالله في نبيِّكم وفي أنفسكم، فقال عبد الله بن أُبيّ: لو نعلم قتالاً لاتَّبعناكم، وهمّتْ بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أُبيّ، فعصمهم الله فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيمَ نعمتِه، فقال عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ هَمّتْ طائفتان منْكم أن تَفْشَلا والله وليُّهما ﴾ ناصرهما وحافظهما، ﴿ وعلى اللّهِ فليتوكَّلِ المؤمنون ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن يوسف عن ابن عيينة عن عمر عن جابر قال: نزلت هذه الآية فينا ﴿ إِذْ هَمّتْ طائفتان منكم أن تفشلا والله وليّهما ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة، وما أُحبّ أنها لم تنزل، واللّهُ يقول: ﴿ والله وليُّهما ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولقدْ نَصَركُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ ﴾، وبدر موضع بين مكة والمدينة وهو اسم لموضع، وعليه الأكثرون،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وهو جمع قلة وأراد به قلة العدد فإن المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر رجلاً والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك أنهم خرجوا على مواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد. وكان أكثرهم رجالة ولم يكن معهم إلاّ فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش في حال الكثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم ﴿**فاتقوا الله**﴾ يعني في الثبات مع رسول الله ﷺ: ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ يعني بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته. قوله عز وجل: ﴿**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**﴾ اختلف المفسرون في أن هذا الوعد بإنزال الملائكة هل حصل يوم بدر أو يوم أحد على قولين أحدهما أنه كان يوم بدر. قال قتادة: كان هذا يوم بدر أمدهم الله بألف من الملائكة كما قال: إن تستغيثون ربكم فاستجاب لكم: «أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين» ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر ههنا ﴿**بلى إن تصبروا واتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة**﴾ فصبروا يوم بدر وتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف كما وعد. قال ابن عباس: لم تقاتل الملائكة في معركة إلاّ يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون إنما يكونون عدداً أو مدداً، وقال الحسن: هؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين إلى يوم القيامة، وقال الشعبي: بلغ رسول الله ﷺ والمسلمين يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى ألن يكفيكم إلى قوله مسومين فبلغ كرزاً الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضاً بالخمسة آلاف وكانوا قد أمدوا بألف من الملائكة، وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب» واحتج لصحة هذا القول أيضاً بأن الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وظاهر هذا يقتضي أن الله نصرهم حين قال النبي ﷺ للمؤمنين: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولأن العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج إلى الإمداد أكثر. القول الثاني إن هذا الوعد بإنزال الملائكة كان يوم أحد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل. قال عمير بن إسحاق: لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله ﷺ وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل أتاه به فنثره وقال ارم أبا إسحاق ارم أبا إسحاق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل

وقيل: اسم لبئر هناك، وقيل: كانت بدر بئراً لرجل يقال له بدر، قاله الشعبي، وأنكر الآخرون عليه، يذكر الله تعالى في هذه الآية مِنَّتَهُ عليهم بالنصرة يومَ بدر، ﴿ **وأنتم أذلّة** ﴾، جمع: ذليل، وأراد به قلّة العدد فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فنصرهم الله مع قلّة عَدَدِهم وعُدَدِهم، ﴿ **فاتّقوا اللّهَ لعلّكم تشكرون** ﴾.

﴿ **إذْ تقولُ للمؤمنين ألنْ يكفِيَكُم أن يُمِدَّكُم ربُّكم** ﴾، اختلفوا في هذه الآية فقال قتادة: كان يوم بدر أمدّهم الله تعالى بألفٍ من الملائكة كما قال: ﴿ فاستجابَ ربُّكم أني مُمِدُّكم بألف من الملائكة ﴾ [الأنفال: ٩]، ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر ههنا، ﴿ **بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ مُنْزَلِين** ﴾.

﴿ **بَلَى إنْ تصبرُوا وتتقوا ويأتوكم مِنْ فورِهم هذا يُمدِدْكُم ربُّكم بخمسةِ آلافٍ مِنَ الملائكةِ مُسَوِّمين** ﴾ فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة كما وعد، قال الحسن: وهؤلاء الخمسة آلاف رِدْءُ المؤمنين إلى يوم القيامة، قال ابن عباس ومجاهد: لم تقاتل الملائكة في المعركة إلاّ يوم بدر، فيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون، وإنما يكون عدداً ومَدداً، قال محمد بن إسحق: لمّا كان يوم أُحُد انجلى القوم عن رسول الله ﷺ وبقي سعد بن مالك يرمي، وفتىً شابٌّ يتنبل له كلما فني النبل أتاه به فنثره، فقال إرم يا أبا إسحق مرتين، فلما انجلتِ المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرفه أحد، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فلم يعرف (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل، ولا بعد يعني جبريل وميكائيل» واحتج لصحة هذا القول بأن المدد كان يوم بدر بألف من الملائكة كما نص عليه في سورة الإنفاق ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا وأيضاً أن الكفار كانوا يوم بدر ألفاً أو ما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فإنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر فأنزل الله يوم بدر ألفاً من الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذٍ للمسلمين والهزيمة للكفار، وكان عدد المسلمين يوم أحد ألفاً وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب أن يكون المدد يومئذٍ للمسلمين ثلاثة آلاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلاً لعدد الكفار كما في يوم بدر. وأجيب عن الاحتجاج الأول لهذا القول بأن الله تعالى أمدهم يوم بدر بألف كما ذكر في سورة الأنفال ثم لما سمع أصحاب رسول الله ﷺ بإمداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بأن يمدوا بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك. وأجيب عن الثاني وهو أن الكفار كانوا يوم بدر ألفاً فأنزل الله ألفاً وفي يوم أحد كانوا ثلاثة آلاف فأنزل الله ثلاثة آلاف بأن هذا تقريب حسن ولله أن يزيد ما شاء في أي وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿**بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا**﴾ قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد فلم يمدوا ولو أمدوا لم يهزموا يومئذٍ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا إلاّ في يوم الأحزاب فأمدهم الله بالملائكة حتى حاصروا قريظة (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج إليهم قال: فإلى أين؟ قال ههنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي ﷺ» (ق) عن أنس رضي الله عنه قال: «كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة وقال عبدالله بن أبي أوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله ﷺ بغسل فهو يغسل رأسه إذ جاءه جبريل عليه السلام فقال: أوضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله ﷺ بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذٍ أمدنا الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحاً يسيراً» وقال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال بالصواب أن الله تعالى أخبر عن نبيه ﷺ أنه قال للمؤمنين: «ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة» فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لهم ثم

أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جدّه عن سعد بن أبي وقّاص قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحُد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشدّ القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد. رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال أخبرنا محمد بن بشر وأبو أسامة عن مسعرٍ عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن سعد يعني ابن أبي وقاص قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني: جبريل وميكائيل، وقال الشعبي: بلغ رسول الله ﷺ يوم بدر: أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمدّ المشركين فشقّ ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَنْ يكفيكم أنْ يُمدّكم ﴾ إلى قوله: ﴿ مُسَوِّمين ﴾ فبلغ كرزاً الهزيمةُ فرجع فلم يأتِهِمْ ولم يَمُدّهم، فلم يمدّهم الله أيضاً بالخمسة آلاف، وكانوا قَدِمُوا بألف، وقال الآخرون: إنما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه أن يمدّهم أيضاً في حروبهم كلّها، فلم يصبروا إلّا يومَ الأحزاب، فأمدّهم حين حاصروا قُريظة والنضير، قال عبد الله بن أبي أوفى: كنّا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله فلم يُفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله ﷺ بِغَسْلٍ فهو يغسل رأسه إذْ جاءه جبريل عليه السلام، فقال: وضعتم أسلحتكم ولم تضعِ الملائكة أوزارها؟ فدعا رسول الله ﷺ بخرقة فلفّ بها رأسه ولم يغسله، ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير، فيومئذ أمدّنا الله

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وعدهم بخمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بهم ولا على أنهم لم يمدوا بهم فقد يجوز أن الله أمدهم وقد يجوز أن لا يكون أمدهم ولا يثبت ذلك إلاّ بنص تقوم به الحجة في ذلك. وقد ثبت بنص القرآن أنهم أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة كما في سورة الأنفال وأما يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها بأنهم أمدوا وذلك أنهم لو أمدوا لم ينهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم. فإن قلت فما تصنع بحديث سعد بن أبي وقاص المتقدم في يوم أحد وأنه رأى ملكين عن يمين النبي ﷺ وشماله قلت إنما كان ذلك للنبي ﷺ خاصة لأنه صبر ولم ينهزم كما انهزم أصحابه يوم أحد. وأما التفسير فقوله تعالى: إذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال: إن هذا كان يوم بدر. قال نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة إذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم أحد يقول نظم الآية أن الله ذكر قصة أحد ثم أتبعه بقوله: «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة» فكذلك هو قادر أن ينصركم في سائر المواطن ثم رجع إلى قصة أحد فقال تعالى: ﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم﴾ ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالأمر مع بلوغ المراد أن يمدكم ربكم. الإمداد إعانة الجيش فما كان على جهة القوة والإعانة يقال أمده إمداداً وما كان على جهة الزيادة يقال. فيه مده مداً، وقيل المد في الشر والإمداد في الخير بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين إنما وعدهم الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات. بلى تصديق لوعد الله أي بلى نمدكم وقيل بلى إيجاب لما بعد ألن يعني يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية أن تصبروا أي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه ﷺ ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس: ابتداء الأمر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر. ومن قال معناه من غضبهم أراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر لأنهم رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم يوم بدر. يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل أراد معهم فمن قال إن هذا الإمداد كان يوم بدر قال: إن الله تعالى أمدهم بألف فلما سمعوا أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبي ﷺ للمسلمين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم الآية على تقدير أن يجيء للمشركين المدد، فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير ألف وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن أبي طالب قال: بينا أنا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أرَ أشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم أرَ أشد منها إلاّ التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت قبلها فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة وكانوا بين يدي النبي ﷺ وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة وكانوا عن يمين

تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة، ففتح لنا فتحاً يسيراً، وقال الضحاك وعكرمة: كان هذا يوم أُحُد وَعَدهم الله المَدَد إن صبرُوا فلم يصبروا فلم يُمدّوا، قوله تعالى: ﴿ أن يُمدّكم ربّكم ﴾ الإمداد: إعانة الجيش، وقيل: ما كان على جهة القوة والإعانة، يقال فيه: أمدّه إمداداً، وما كان على جهة الزيادة، ويقال فيه: مدّه مدَداً، منه قوله تعالى: ﴿ والبحرُ يمدُّه ﴾ [لقمان: ٢٧] وقيل: المدّ في الشر، والإمداد في الخير، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ ويَمُدُّهم في طُغيَانِهم ﴾ [البقرة: ١٥] ﴿ ونَمُدّ له من العذاب مدّاً ﴾ [مريم: ٧٩] وقال في الخير: ﴿ أني مُمدّكم بألفٍ منَ الملائكةِ ﴾ [الأنفال: ٩] منزَلين، وقال: ﴿ وأمددناكم بأموالٍ وبنين ﴾ [الإسراء: ٦] قوله تعالى: ﴿ بثلاثة آلافٍ من الملائكة مُنزَلين ﴾ قرأ ابن عامر تشديد الزاي على التكثير لقوله تعالى: ﴿ ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى: ﴿ لولا أنزل علينا الملائكة ﴾ [الفرقان: ٢١] وقوله: ﴿ وأنزلَ جنوداً لم تروها ﴾ [التوبة: ٢٦]، ثم قال: ﴿ بلى ﴾ نُمدّكم ﴿ إن تصبرُوا ﴾ لعدوّكم ﴿ وتتقوا ﴾ مخالفة نبيّكم ﴿ ويأتوكم ﴾ يعني المشركين ﴿ من فورهم هذا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

رسول الله ﷺ والريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله ﷺ وكنت عن يساره وهزم الله أعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل إلى الكثير. فقال لأن الله تعالى ذكر الألف في سورة الأنفال وذكر هنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف، وإن جعلناه على غزوة أحد فيكون المجموع ثمانية آلاف لأنه ليس فيها ذكر الألف المفردة ﴿مسومين﴾ قرىء بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو أراد أن الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فيهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة:

فتعـــرفـــونـــي أننـــي أنـــا ذلكـــم شـــاكـــي ســـلاح فـــي الحـــوادث معلـــم

ومن كسر الواو نسب الفعل إلى الملائكة والمعنى أنهم أعلموا أنفسهم بعلامات مخصوصة أو أعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر. وقال علي وابن عباس: كان عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي: كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم، وقال قتادة والضحاك: كانوا قد أعلموا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ في نواصي خيلهم وأذنابها وروي أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلانسهم ومغافرهم» ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا أنفسهم بسيما القتال. قوله تعالى:.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وما جعله الله﴾ يعني هذا الوعد والمدد ﴿إلّا بشرى لكم﴾ يعني بشارة بأنكم تنصرون فتستبشرون به ﴿ولتطمئن﴾ أي ولتسكن ﴿قلوبكم به﴾ أي فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم ﴿وما النصر إلّا من عند الله﴾ يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد، فإن النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض أن يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين أمدوا بهم وفيه تنبيه على الإعراض عن الأسباب والإقبال على مسبب

المفسّرين: من وجههم هذا، وقال مجاهد والضحّاك: من غضبهم هذا لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أُحُد من غضبهم ليوم بدر، ﴿ يُمْدِدْكم ربُّكم بخمسةِ آلافٍ مِنَ الملائكة ﴾ لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف، بل أراد معهم، وقوله: ﴿ مُسَوِّمين ﴾ أي: معلمين، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو، وقرأ الآخرون بفتحها، فمَن كسر الواو فأراد أنهم سَوّموا خيلهم، ومَن فتحها أراد به أنفسهم، والتسويم: الإعلام من السومة وهي العلامة، واختلفوا في تلك العلامة، فقال عروة بن الزبير، كانت الملائكة على خيل بُلق عليهم عمائم صُفر، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم: عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم، وقال هشام بن عروة والكلبي: عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم، وقال الضحاك وقتادة: كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنابها، ورُوِيَ أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «تسوّموا فإنّ الملائكةَ قد تسوّمتْ بالصوفِ الأبيض في قلانسهم ومغافرهم».

قوله تعالى: ﴿ وما جعله الله ﴾ يعني هذا الوعد والمدد، ﴿ إلّا بُشْرَى لكم ﴾ أي: بشارة لتستبشروا به ﴿ ولتطمئنَّ ﴾ ولتسكن ﴿ قلوبُكم به ﴾ فلا تجزعوا من كثرة عدوّكم وقلّة عددكم، ﴿ وما النصرُ إلّا من عند الله

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

الأسباب ﴿العزيز الحكيم﴾ يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لأن العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم فلا تخفى عليه مصالح عباده ﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا﴾ هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر، والمعنى أن المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفاً أي ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركناً من أركان الشرك بالقتل والأسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة أحد قال: قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا أمر رسول الله ﷺ ﴿أو يكبتهم﴾ أصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى أنه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة أو الإهلاك أو اللعن والخزي ﴿فينقلبوا خائبين﴾ أي بالخيبة لم ينالوا شيئاً من الذي أملوه من الظفر بكم.

قوله عز وجل: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾ اختلف في سبب نزول هذه الآية. فقيل: إنها نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من القراء بعثهم رسول الله ﷺ إلى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً وقنت شهراً في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول: اللّهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى عليه ليس لك من الأمر شيء إلى قوله فإنهم ظالمون (ق) عن أبي هريرة قال: «لما رفع رسول الله ﷺ رأسه من الركعة الثانية قال: اللّهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة «اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم أجعلها عليهم سنين كسني يوسف» زاد في رواية: «اللهم العن فلاناً وفلاناً لأحياء من العرب حتى أنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء الآية سماهم في رواية يونس اللهم

﴿ العزيز الحكيم ﴾ يعني: لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجند، فإن النصر من الله تعالى فاستعينوا به وتوكلوا عليه، لأن العزَّ والحُكم له.

قوله تعالى: ﴿ ليقطعَ طرفاً مِنَ الذين كفرُوا ﴾، يقول لقد نصركم الله ليقطع طرفاً أي: لكي يهلك طائفة من الذين كفروا، وقال السدي: معناه ليهدم ركناً من أركان الشرك بالقتل والأسر، فقُتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون وأُسر سبعون، ومَن حملَ الآيةَ على حرب أُحُد فقد قُتل منهم يومئذ ستة عشر وكان النصر للمسلمين حين خالفوا أمر الرسول ﷺ فانقلب عليهم، ﴿ أو يَكْبِتَهم ﴾ قال الكلبي: يهزمهم، وقال يمان: يصرعهم لوجوههم، قال السدي: يلعنهم، وقال أبو عُبيدة: يهلكهم، وقيل: يحزنهم، والمكبوت: الحزين، وقيل: يكبدهم أي: يصيب الحزن والغيظ أكبادهم، والتاء والدال يتعاقبان كما يقال سبت رأسه وسبده إذا حلقه، وقيل: يكبتهم بالخيبة، ﴿ فينقلِبُوا خائبين ﴾، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

قوله تعالى: ﴿ ليس لكَ مِنَ الأمرِ شيء ﴾ الآية، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قوم: نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من القرّاء بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أُحد ليُعلِّموا الناس القرآن والعلمَ أميرهم المنذر بن عمرو، فقتلهم عامر بن الطفيل، فوَجَدَ رسول الله ﷺ من ذلك وَجْداً شديداً، وقنت شهراً في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللّعن والسِّنين، فنزلت: ﴿ ليسَ لكَ مِنَ الأمرِ شيء ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا حبّان بن موسى أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

العن رعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم، فإنهم ظالمون وقيل إنها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا في سببها فقيل: إن عتبة بن أبي وقاص شج وجه رسول الله ﷺ وكسر رباعيته. (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾.

وقيل أراد النبي ﷺ أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه أن أكثرهم يسلمون وقيل إن النبي ﷺ لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه الآية. وقال العلماء: وهذه الأشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية في النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من أمر مصالح عبادي شيء الآ ما أوحى إليك، فإن الله تعالى هو مالك أمرهم فإمّا أن يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا أو يهلكهم ويعذبهم إن أصروا على الكفر. وقيل ليس لك مسألة هلاكهم والدعاء عليهم لأنه تعالى أعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من أمر خلقي شيء إلّا ما وافق أمري إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم، وقيل إن قوله أو يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفاً وقوله ليس لك من الأمر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ليس لك من الأمر شيء بل الأمر أمري في ذلك كله. قال بعض العلماء: والحكمة في منعه ﷺ من الدعاء عليهم ولعنهم أن الله تعالى علم من حال بعض الكفار أنه سيسلم فيتوب عليهم أو سيولد من بعضهم ولد يكون مسلماً براً تقياً فلأجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لأن دعوته ﷺ مجابة. فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعاً لكن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه إبقاءهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من بعضهم

أخبرنا معمر عن الزهري قال: حدّثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول: «اللّهمَّ العن فلاناً وفلاناً وفلاناً، بعد ما يقول: سمع الله لمَن حمده ربّنا لـك الحمد»، فأنزل الله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ ﴿ أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم فإنّهم ظالمون ﴾، وقال قوم: نزلت يوم أُحُد، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم بن الحجّاج أخبرنا عبد الله بن مسلم بن قعنب أخبرنا حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كُسرت رُباعيتُه يوم أُحد وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلتُ الدمُ عنه ويقول: «كيفَ يُفلحُ قومٌ شجّوا رأسَ نبيّهم وكسروا رُباعيته، وهو يدعُوهم إلى الله عزّ وجلّ»؟. فأنزل الله تعالى: ﴿ ليسَ لكَ من الأمرِ شيء ﴾، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم أُحُد: «اللّهمَّ العن الحارث بن هشام، اللّهمَّ العن صفوان بن أُمية»، فنزلت: ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم ﴾ فأسلموا وحَسُن إسلامُهم، وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن إسحق لمّا رأى رسول الله ﷺ والمسلمون يوم أُحُد ما أصابهم من جدع الآذان والأنوف وقطع المذاكير، قالوا لئن أدَالَنا اللّهُ تعالى منهم لنفعلنّ مثل ما فعلوا، ولنمثلنّ مثلة لم يمثلها أحدٌ من العرب بأحد، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقيل: أراد النبيّ ﷺ أن يدعو عليهم بالاستئصال، فنزلت هذه الآية، وذلك لعلمه فيهم بأن كثيراً منهم يسلمون. قوله تعالى: ﴿ ليسَ لكَ منَ الأمر شيء ﴾ أي: ليس إليك، فاللّام بمعنى ﴿ إلى ﴾ كقوله تعالى: ﴿ ربّنا إننا سمعنا منادياً يُنادي للإيمان ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، أي: إلى الإيمان، وقوله تعالى: ﴿ أو يتوبَ عليهم ﴾، قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم، أو: إلّا أن يتوب عليهم،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ذرية صالحة مؤمنة، ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والأسر وفي الآخرة وهو عذاب النار ﴿فإنهم ظالمون﴾ هو كالتعليل لعذابهم والمعنى إنما يعذبهم لأنهم ظالمون ثم قال تعالى: .

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ هذا تأكيد لما قبله من قوله ليس لك من الأمر شيء. والمعنى إنما يكون لمن له ما في السموات وما في الأرض وليس ذلك إلّا الله تعالى وليس لأحد معه أمر ﴿يغفر لمن يشاء﴾ بفضله ورحمته ﴿ويعذب من يشاء﴾ بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له في حكمه ولا معارض له في فعله ﴿والله غفور رحيم﴾ يعني أنه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلاً، وإنما يفعل ذلك على سبيل التفضل والإحسان إلى عباده لا على سبيل الوجوب عليه، لأنه تعالى لو أدخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولو أدخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾ أراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الأجل كان الرجل في الجاهلية إذا كان له على إنسان دين فإذا جاء الأجل ولم يكن للمديون ما يؤدي قال له صاحب الدين: زدني في المال حتى أزيدك في الأجل فربما فعلوا ذلك مراراً فيصير الدين أضعافاً مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك، وحرم أصل الربا ومضاعفته ﴿واتقوا الله﴾ يعني في أكل الربا فلا تأكلوه ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي لكي تسعدوا بثوابه في الآخرة لأن الفلاح يتوقف على التقوى فلو أكل ولم يتق لم يحصل الفلاح، وفيه دليل على أن أكل الربا من الكبائر ولهذا أعقبه بقوله تعالى: .

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ يعني واتقوا أيها المؤمنون أن تستحلوا شيئاً مما حرم الله. فإن من استحل شيئاً مما حرم الله فهو كافر بالإجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس: هذا تهديد للمؤمنين أن يستحلوا

وقيل: هو نسق على قوله: ﴿ ليقطعَ طَرفاً ﴾، وقوله: ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ اعتراض بين الكلامين، ونظم الآية: ليقطعَ طرفاً من الذين كفروا أو يكبتَهم أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء، بل الأمرُ أمري في ذلك كله.

ثم قال: ﴿ ولِلَّهِ ما في السمواتِ وما فِي الأرضِ يغفرُ لِمَنْ يشاءُ ويعذبُ مَنْ يشاءُ واللَّهُ غفورٌ رحيم ﴾.

﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا لَا تأكلُوا الرِّبا أضعافاً مضاعَفَة ﴾، أراد به ما كانوا يفعلونه عند طول أَجَل الدَّين من زيادةِ المال وتأخير الطلب، ﴿ واتَّقُوا الله ﴾ في أمرِ الرِّبَا فلا تأكلوه، ﴿ لعلَّكم تفلحون ﴾.

ثم خوَّفهم فقال: ﴿ واتَّقُوا النارَ التي أُعدَّتْ للكافرين ﴾.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما أوجب الله فيه النار قال بعضهم: إن هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه يجتنبوا محارمه. وقال الواحدي: في هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لأنه قال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين ﴿**وأطيعوا الله**﴾ يعني فيما أمركم به أو نهاكم عنه من أكل الربا وغيره ﴿**والرسول**﴾ أي وأطيعوا الرسول أيضاً فإن طاعته طاعة الله قال محمد بن إسحاق في هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله ﷺ يوم أحد ﴿**لعلكم ترحمون**﴾ أي لكي ترحموا وما تعذبوا إذا أطعتم الله ورسوله فإن طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة.

قوله عز وجل: ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**﴾ يعني وبادروا وسابقوا إلى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الأعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس: إلى الإسلام ووجهه أن الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل إلاّ بسبب الإسلام لأنه يجب ما قبله وعن ابن عباس أيضاً إلى التوبة لأن التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن أبي طالب: إلى داء الفرائض لأن اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال إلى جميع الطاعات وروي عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير أنها التكبيرة الأولى يعني تكبيرة الإحرام وقيل إلى الإخلاص في الأعمال لأن المقصود من جميع العبادات هو الإخلاص وقيل إلى الهجرة وقيل إلى الجهاد ﴿**وجنة**﴾ أي وسارعوا إلى جنة وإنما فصل بين المغفرة والجنة لأن المغفرة هي إزالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وقيل إشعاراً بأنه لا بد من المسارعة إلى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة إلى الأعمال الصالحة المؤدية إلى الجنة ﴿**عرضها**﴾ أي عرض الجنة ﴿**السموات والأرض**﴾ يعني كعرض السموات والأرض لأن نفس السموات والأرض ليس عرضاً للجنة والمراد سعتها وإنما خص العرض للمبالغة لأن الطول في العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها، والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت بأوسع شيء علمه الناس وذلك أنه لو جعلت السموات والأرض طبقاً طبقاً ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقاً واحداً كان ذلك مثل عرض الجنة فأما طولها فلا يعلمه إلاّ الله تعالى. وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة عظيمة قال الشاعر:

كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل

﴿ **وأطيعوا اللَّهَ والرسولَ لعلّكم تُرحمُون** ﴾، لكي تُرحموا.

﴿ **وسارِعُوا** ﴾ قرأ أهل المدينة والشام سارعوا بلا واو، ﴿ **إلى مغفرةٍ منْ ربكم** ﴾، بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي تُوجب المغفرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى الإسلام، ورُوِيَ عنه: إلى التوبة، وبه قال عكرمة، وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إلى أداء الفرائض، وقال أبو العالية: إلى الهجرة، وقال الضحاك: إلى الجهاد، وقال مقاتل: إلى الأعمال الصالحة. ورُوِيَ عن أنس بن مالك أنها التكبيرة الأولى، ﴿ **وجنّةٍ** ﴾ أي وإلى جنّةٍ ﴿ **عَرضُها السماوات والأرض** ﴾، أي: عرضها كعرض السماوات والأرض، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وجنّة عرضها كعرض السماءِ والأرض ﴾ [الحديد: ٢١] أي: سعتها، وإنما ذكر العرض على المبالغة لأن طول كل شيء في الأكثر والأغلب أكثر من عرضه، يقول: هذه صفة عَرْضِها فكيفَ طُولها؟ قال الزهري: إنما وصف عرضَها فأمّا طولها فلا يعلمه إلاّ الله، وهذا على التمثيل لا أنها كالسماوات والأرض لا غير معناه، كعرض السماوات السبع والأرضين السبع عند ظنكم، كقوله تعالى: ﴿ خالدين فيها ما دامتِ السموات والأرضُ ﴾ [هود: ١٠٧] يعني: عند ظنكم وإلاّ فهما زائلتان، ورُوِيَ عن طارق عن ابن شهاب أن ناساً من اليهود

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

والأصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة. وروي أن هرقل أرسل إلى النبي ﷺ: إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار قيل معناه والله أعلم بذلك أنه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل. وروى طارق بن شهاب أن ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده أصحابه فقالوا: أرأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والأرض. فأين النار؟ فقال عمر بن الخطاب أرأيتم إذا جاء الليل فأين يكون النهار وإذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا إنها لمثلها في التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى. فإن قلت قال الله تعالى: ﴿**وفي السماء رزقكم وما توعدون**﴾ وأراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب أهل السنة أنها في السموات وإذا كانت الجنة في السموات فكيف يكون عرضها السموات والأرض قلت المراد من قولنا إنها في السموات إنها فوق السموات وتحت العرش كما سئل أنس بن مالك عن الجنة أفي السماء هي أم في الأرض؟ فقال: أي أرض وسماء تسع الجنة قيل له: فأين هي؟ قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله ﷺ الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة: كانوا يرون أن الجنة فوق السموات السبع وأن جهنم تحت الأرضين السبع وقيل: إن باب الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات والأرض ﴿**أعدت للمتقين**﴾ أي هيئت للمتقين وفيه دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن.

قوله عز وجل: ﴿**الذين ينفقون في السراء والضراء**﴾ يعني في العسر واليسر لا يتركون الإنفاق في كلتا الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء. وسواء كان الواحد منهم في عرس أو في حبس فإنهم لا يدعون الإحسان إلى الناس فأول ما ذكر الله من أخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لأنه أشق على النفس. وكانت الحاجة إلى إخراج المال في ذلك الوقت أعظم الأحوال للحاجة إليه في مجاهدة الأعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل» أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلاّ سبغت أو وفت على جلده حتى تخفي ثيابه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلاّ لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع» الجنة الدرع من الحديد (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلاّ وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللّهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً» (ق) عنه أن

سألوا عمر بن الخطاب وعنده أصحابه رضي الله عنهم، قالوا: أرأيتم قولَهُ: ﴿ وجنّة عرضُها السماوات والأرض ﴾ فأين النار؟ فقال عمر: أفرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار، وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا: إنها لمثلها في التوراة، ومعناه أنه حيث يشاء الله، فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿ وفي السماءِ رِزْقُكم وما تُوعَدُون ﴾ [الذاريات: ٢٢] وأراد بالذي وعدَنَا: الجنة فإذا كانتِ الجنةُ في السماء فكيف يكون عرضُها السماوات والأرض؟ قيل: إن باب الجنة في السماء وعرضها السماوات والأرض، كما أخبر، وسُئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة: أفي السماء أم في الأرض؟ فقال: أيّ أرض وسماء تسع الجنة؟ فقيل: أين هي؟ قال: فوق السماواتِ السبعِ تحتَ العرش. قال قتادة: كانوا يرون الجنة فوق السماوات السبع تحت العرش، وأن جهنم تحتَ الأرضين السبع. ﴿ أُعِدَّتْ للمُتّقِين ﴾.

﴿ الذينَ يُنفقون في السرّاء والضرّاء ﴾، أي: في اليُسر والعُسر، فأول ما ذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة ذكرَ

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك» (ق) عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزية الجنة كل خزنة باب أي قل هلم فقال أبو بكر: فقال يا رسول الله ذاك الذي لا توي عليه قال رسول الله ﷺ إني لأرجو أن تكون منهم» قوله أي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوي الهلاك يعني ذاك الذي لا هلاك عليه.

وقوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ هو أن يمتلىء غيظاً فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية أنهم يكفون غيظهم عن الإمضاء ويردون غيظهم في أجوافهم وهذا الوصف من أقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ عن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الجورشاء» أخرجه الترمذي وأبو داود (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن خادماً لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء ﴿والعافين عن الناس﴾ يعني إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه فتكون الآية على العموم وقيل أراد بالناس المماليك لسوء أدب يقع منهم، فتكون على الخصوص وقيل يعفون عمن ظلمهم وأساء إليهم وهو قريب من القول الأول ﴿والله يحب المحسنين﴾ يحتمل أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل أن تكون للعهد فتكون إشارة إلى المذكورين في الآية والإحسان إلى الغير إنما يكون بإيصال النفع إليه وبدفع الضرر عنه وقيل الإحسان أن تحسن لمن أساء إليك فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة. وقيل المحسن هو الذي يعم بإحسانه كل أحد كالشمس والمطر والريح، وقيل الإحسان وقت الإمكان وليس عليك في كل وقت إحسان. وقيل الإحسان هذه الخصال المذكورة في هذه الآية فمن فعلها فهو محسن. ولما كانت هذه الخصال إحساناً إلى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فإن محبة الله تعالى للعبد أعظم درجات الثواب. قوله عز وجل: .

السَّخَاوَةَ. أخبرنا أبو سعيد الشِريحي أخبرنا أبو إسحق الثعلبي أخبرنا أبو عمر الفراتي أخبرنا أبو العباس أحمد بن إسماعيل العنبري أخبرنا أبو عبد الله بن حازم البغوي بمكة أخبرنا أبو صالح بن أيوب الهاشمي أخبرنا إبراهيم بن سعد أخبرنا سعيد بن محمد عن يحيىٰ بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «السخي قريبٌ منَ اللَّهِ قريبٌ منَ الجنةِ قريبٌ من النَّاس، بعيدٌ منَ النَّار، والبخيلُ بعيدٌ من اللَّهِ بعيدٌ منَ الجنةِ بعيدٌ منَ الناسِ قريبٌ من النَّار، والجاهلُ سخي أحبّ إلى الله من عابد بخيل». ﴿والكاظِمينَ الغَيْظَ﴾ أي: الجارعين الغيظَ عند امتلاء نفوسهم منه، والكظم: حبس الشيء عند امتلائه، وكظم الغيظ أن يمتلىء غيظاً فيردّه في جوفه ولا يُظهره. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذِ القلوب لدَى الحناجرِ كاظمين ﴾ [غافر: ١٨]، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحق الثعلبي أخبرنا أبو عمرو الفراتي أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الإسفرايني أخبرنا أبو عبد الله بن محمد زكريا العلاني أخبرنا رَوح بن عبد المؤمن أخبرنا أبو عبد الرحمن المُقْرِي أخبرنا سعيد بن أبي أيوب قال: حدّثني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كظمَ غيظاً وهو يقدرُ على أن ينفذَه دعاهُ اللَّهُ يومَ القيامةِ على رُؤوسِ الخلائقِ حتى يخيّره من أيّ الحُورِ شاء»، ﴿ والعَافِينَ عَنِ النَاسِ ﴾، قال الكلبي عن المملوكين سوء الأدب، وقال زيد بن أسلم ومقاتل: عمّن ظلمهم وأساءَ إليهم، ﴿ واللَّهُ يُحبُّ المُحسِنِينَ ﴾، عن الثّوري: الإحسان أن تُحسن إلى المسيء، فإنّ الإحسان إلى المُحسِن تجارة.

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه قال المؤمنون للنبي ﷺ يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم إذا أذنب ذنباً أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع أنفك أو أذنك افعل كذا فسكت رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في تيهان التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمراً فقال لها: إن هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له: اتق الله فتركها وندم على ذلك. فأتى النبي ﷺ وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية في رواية أبي صالح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ آخى بين رجلين أحدهما أنصاري والآخر ثقفي، فخرج الثقفي في غزوة واستخلف أخاه الأنصاري على أهله فاشترى لهم ذات يوم لحماً فلما أرادت المرأة أن تأخذه منه دخل على أثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الأنصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت: لا أكثر الله في الإخوان مثله وذكرت له الحال والأنصاري يسيح في الجبال تائباً مستغفراً، فطلبه الثقفي حتى وجده فأتى به إلى أبي بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجاً فقال الأنصاري: هلكت وذكر القصة فقال أبو بكر: ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما: مثل ذلك فأتيا النبي ﷺ فقال لهما مثل مقالتهما فأنزل الله عز وجل: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ يعني فعلة فاحشة خارجة عما أذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد، قال جابر: الفاحشة الزنا.

وقوله تعالى: ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ ظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقه واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة مما يكون فعله كاملاً في القبح وظلم النفس هو أي ذنب

قوله تعالى: ﴿ والذينَ إذا فعلُوا فَاحِشَةً ﴾ قال ابن مسعود: قال المؤمنون: يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منّا، كان أحدهمْ إذا أذنب وكفّارة ذنبه مكتوبةٌ في عَتَبةِ بابهِ، اجدعْ أنفك أو أُذنك، افعل كذا وكذا، فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال عطاء: نزلت في تيهان التمار وكنيته أبو معبد أتته امرأة حسناء، تبتاع منه تمراً فقال لها: إن هذا التمر ليس بجيد، وفي البيت أجود منه، فذهب بها إلى بيته فضمّها إلى نفسه وقبّلها، فقالتْ له: اتّقِ الله، فتركها وندم على ذلك، فأتى النبيّ ﷺ، وذكر ذلك له، فنزلتْ هذه الآية، وقال مقاتل والكلبي: آخى رسول الله ﷺ بين رجلين أحدهما من الأنصار والآخرة من ثقيف فخرج الثقفي في غزاة فاستخلف الأنصاريَّ على أهله فاشترى لهم اللحم ذات يوم، فلما أرادت المرأة أن تأخذ منه دخل على أثَرِها وقبّل يدها، ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه، فلما رجع الثقفي لم يستقبله الأنصاري فسأل امرأته عن حاله، فقالت: لا أكثر الله في الإخوان مثله ووصفت له الحال، والأنصاري يسيح في الجبال تائباً مستغفراً، فطلبه الثقفي حتى وجده فأتى به أبا بكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجاً فقال الأنصاري: هلكتُ، وذكر القصة، فقال له أبو بكر: ويحك أما علمت أن الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم، ثم أتيا عمر رضي الله عنه فقال مثل ذلك، فأتيا النبيَّ ﷺ فقال له مثل مقالتهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ والذينَ إذا فعلُوا فاحِشةً ﴾ يعني: قبيحة خارجة عمّا أذن الله تعالى فيه، وأصل الفحش القبح والخروج عن الحدّ، قال جابر: الفاحشة الزنا، ﴿ أو ظلمُوا أنفسَهم ﴾، ما دون الزنا من القُبلة والمعانقة والنظر واللمس، وقال مقاتل والكلبي: الفاحشة ما دون

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

كان ﴿ذكروا الله﴾ يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وأن الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الأكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه. وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله تعالى: ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ يعني لأجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين أن لا يعودوا إليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة ﴿ومن يغفر الذنوب إلاّ الله﴾ وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأنه لا مفزع للمذنبين إلاّ إلى فضله وكرمه وإحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على أن العبد لا يطلب المغفرة إلاّ منه وأنه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على إزالة ذلك العقاب عنه فثبت أنه لا يجوز طلب المغفرة إلاّ منه ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾ يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وأنابوا واستغفروا قيل الإصرار هو ترك الاستغفار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة» أخرجه أبو داود وقال: حديث حسن غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل ﴿وهم يعلمون﴾ قال ابن عباس: وهم يعلمون أنها معصية وأن لهم رباً يغفرها وقيل وهم يعلمون أن الإصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنب وقيل وهم يعلمون أن الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وإن كثرت وقيل معناه وهم يعلمون أنهم إن استغفروه غفر لهم قال ثابت البناني بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين إذا فعلوا فاحشة إلى آخرها.

فصل: في فضل الاستغفار

عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: إني كنت إذا سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ نفعني الله منه ما شاء أن ينفعني. وإذا حدثني أحد من الصحابة استحلفته فإذا حلف لي صدقته وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مؤمن أو قال ما من رجل يذنب ذنباً فيقوم فيتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلاّ غفر الله له ثم قرأ هذه الآية ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله﴾ إلى آخر الآية» أخرجه الترمذي أبو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لأسماء إلاّ هذا الحديث عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب» أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم (ق) عنه عن النبي ﷺ فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى قال: «إذا أذنب عبد ذنباً فقال: اللّهم اغفر لي ذنبي قال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنباً علم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: إن عبدي أذنب ذنباً فعلم أن به رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. وفي رواية اعمل ما شئت قد غفرت لك» قال عبد الأعلى لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة أعمل ما شئت عن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني

الزنا من قبلة أو لمسة أو نظرة فيما لا يحلّ، أو ظلموا أنفسهم بالمعصية، وقيل: فعلوا فاحشة الكبائر، أو ظلموا أنفسهم بالصغائر، وقيل: فعلوا فاحشة فعلاً أو ظلموا أنفسهم قولاً، ﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ أي: ذكروا وعيد الله، والله سائلهم، وقال مقاتل بن حيان: ذكروا الله باللسان عند الذنوب، ﴿ فاستغفَرُوا لذنُوبهم ومَنْ يغفرُ الذنوبَ إلاّ اللَّهُ ﴾ أي: وهل يغفر الذنوب إلاّ الله، ﴿ ولم يُصِرُّوا على ما فعلُوا ﴾ أي: لم يُقيموا ولم يثبتوا عليه، ولكن تابوا وأنابوا واستغفروا، وأصل الإصرار: الثبات على الشيء، قال الحسن: إتيان العبد ذنباً عمداً إصرارٌ حتى يتوب. وقال

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم وأتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها أي ما ظهر لك منها وقراب الأرض بضم القاف وروي بكسرها والضم أشهر وهو ما يقارب ملأها عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف» أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم قال حديث حسن صحيح على شرط البخاري ومسلم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره أو قال عسى أن يغفره الله إلاّ من مات مشركاً ومن قتل مؤمناً متعمداً» أخرجه أبو داود ا هـ. قوله عز وجل: .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾

﴿أولئك﴾ إشارة إلى من تقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ الآية ﴿جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار﴾ معنى الآية أن المطلوب بالتوبة أمران أحدهما الأمن

السدي: الإصرار: السكوت وترك الاستغفار. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزياتي أخبرنا حميد بن زنجويه أنا يحيىٰ بن يحيىٰ أنا عبد الحميد بن عبد الرحمن عن عثمان بن واقد العمري عن أبي نصرة قال: لقيت مولىً لأبي بكر رضي الله عنه فقلتُ له: أَسَمِعْتَ من أبي بكر شيئاً؟ قال: نعم سمعتُه يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما أصرَّ مَنِ استغفر، وإنْ عاد في اليوم سبعين مرّة». ﴿ وهم يعلمون ﴾، قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي: وهم يعلمون أنها معصية، وقيل: وهم يعلمون أن الإصرار ضارٌ، وقال الضحاك: وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب، وقال الحسن بن الفضل: أن لهم ربّاً يغفر الذنوب، وقيل: وهم يعلمون أنّ الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وإن كثرت، وقيل: وهم يعلمون أنهم إن استغفرُوا غَفَرَ لهم.

﴿ أولئكَ جزاؤُهمْ مغفرةٌ منْ ربِّهم وجنّاتٌ تجرِي مِنْ تَحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها ونِعْمَ أجرُ العامِلين ﴾، ثوابُ المطيعين. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الزيات أنا حميد بن زنجويه أنا عفّان بن مسلم أنا أبو عوانة أنا عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة الأسدي عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: إني كنت رجلاً إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً ينفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدّثني أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف لي صدّقته، وإنه حدّثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عبدٍ مُؤمنٍ يُذنبُ ذنباً فيُحسنُ الطَّهورَ ثم يقومُ فيصلّي ثم يستغفرُ اللَّهَ إلاّ غَفَرَ اللَّهُ له»، ورواه أبو عيسى عن قتيبة عن أبي عُوانة وزاد: ثم قرأ: ﴿ والذين إذا فعلُوا فاحشةً أو ظلمُوا أنفسَهم ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآية. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي أنا حميد بن زنجويه أنا هشام بن عبدالملك أخبرنا همّام عن إسحق عن عبد الله بن أبي طلحة قال: كان قاضٍ بالمدينة يقال له عبد الرحمن بن أبي عَمْرة وسمعتُه يقول: سمعتُ أبا هريرة يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ عبداً أذنب ذنباً فقال: أيْ ربِّ أذنبتُ ذنباً فاغفرْهُ لي، قال: فقال له ربُّه عزّ وجلّ: عَلِمَ عَبدي أنّ له ربّاً يَغْفِرُ الذنبَ ويأخذُ به،

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

من العقاب وإليه الإشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني إيصال الثواب وإليه الإشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الأنهار أي ذلك لهم ذخر لا يبخس وأجر لا يوكس ﴿خالدين فيها﴾ أي في الجنات ﴿ونعم أجر العاملين﴾ أي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة. قوله عز وجل: .

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الأمم الماضية بالهلاك والاستئصال لأنهم خالفوا الأنبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم أحد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع. لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك. وقيل سنن أي شرائع وقيل سنن أي أمم والسنة الأمة ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة بإمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لإهلاكهم ﴿فسيروا في الأرض﴾ أمر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف أحوال الماضين بقوله ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ فرغب أمة محمد ﷺ في تأمل أحوال الأمم الماضية ليصير ذلك داعياً لهم إلى الإيمان بالله ورسوله والإعراض عن الدنيا ولذاتها. وفيه أيضاً زجر للكافر عن كفره لأنه إذا تأمل أحوال الكفار وإهلاكهم صار ذلك داعياً إلى الإيمان لأن النظر إلى آثار المتقدمين له أثر في النفس كما قيل:

إن آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

غفرتُ لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنبَ ذنباً آخر فقال: ربِّ أذنبتُ ذنباً فاغفرْهُ لي، فقال ربّه عزّ وجلّ: عَلِمَ عَبدي أنّ له ربّاً يَغْفِرُ الذنبَ ويأخذُ به قدْ غَفَرْتُ لعبدي فليفعلْ ما شاء»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي أنا حميد بن زنجويه أخبرنا النعمان السدوسي أخبرنا المهدي بن ميمون أخبرنا غيلان بن جرير عن شهر بن حَوْشَب عن مَعْدِي كرب عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربّه تبارك وتعالى: «قال يا ابنَ آدمَ إنّكَ ما دعوتَني ورَجَوْتَني غفرتُ لكَ على ما كان منك، ابنَ آدمَ إنّك إنْ لقيتني بقُرابِ الأرضِ خطايَا لقيتُكَ بقُرابِها مغفرةً بعد أنْ لا تُشْرِكْ بي شيئاً، ابنَ آدمَ إنّك إن تُذْنِبْ حتى تبلغَ ذنوبُكَ عنانَ السماء ثم تستغفرني أغفرُ لك»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين الحسيني أنا عبد الله بن محمود بن محمود بن حسن الشرقي أنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر أخبرنا إبراهيم بن الحكم بن أبَان حدّثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: «مَنْ علمَ أني ذُو قُدْرةٍ على مغفرةِ الذنوب ما لم يُشركْ بي شيئاً». قال ثابت البناني: بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة ﴾ إلى آخرها.

قوله تعالى: ﴿ قدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِكُم سُنَنٌ ﴾، قال عطاء: شرائع، وقال الكلبي: مضتْ لكل أمة سُنّة ومنهاج إذا اتبعوها رضي الله عنهم، وقال مجاهد: قد خلت من قبلكم سُننٌ بالهَلاكِ فيمن كذّب قبلكم، وقيل: سُننٌ أي: أُمَمٌ، والسُّنّةُ: الأمّةُ، قال الشاعر:

ما عاينَ الناسُ من فضلٍ كفضلِكم ... ولا رأوا مثلكم في سالف السُّنَنِ

وقيل معناه: أهل السنن، والسنة: الطريقة المتّبعة في الخير والشر، يقال: سنَّ فلانٌ سُنّةً حسنةً، وسُنّةً سيئةً

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وفي هذه الآية تسلية لأصحاب رسول الله ﷺ وما جرى لهم في غزوة أحد يقول فإني إنما أمهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لهم في إهلاكهم ونصر محمد ﷺ وأوليائه وهلاك أعدائه. قوله عز وجل:.

﴿هذا﴾ يعني القرآن وقيل هو اسم إشارة إلى ما تقدم من أمره ونهيه ووعده ووعيده ﴿بيان الناس﴾ يعني عامة ﴿وهدى﴾ يعني من الضلالة ﴿وموعظة للمتقين﴾ يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لأن العطف يقتضي المغايرة والبيان هو الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد أن كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغي، والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين. فالحاصل أن البيان جنس تحته نوعان أحدهما الكلام الهادي إلى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وإنما خصص المتقين بالهدى والموعظة لأنهم المنتفعون بهما دون غيرهم.

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

قوله عز وجل: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ نزلت يوم أحد حين أمر النبي ﷺ أصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها أصحاب النبي ﷺ على الجهاد على ما أصابهم من الجراح والقتل. وكان قد قتل يوم أحد من الأنصار سبعون رجلاً ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ ومصعب بن عمير. ومعنى الآية ولا تهنوا أي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم لأنهم في الجنة ﴿وأنتم الأعلون﴾ يعني بالنصر والغلبة عليهم وأن العاقبة لكم وقال ابن عباس: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشعب فأقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا يعلوه علينا اللهم لا قوة لنا إلاّ بك» فثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله تعالى: ﴿وأنتم الأعلون﴾ وقيل وأنتم الأعلون لأن حالكم خير من حالهم لأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وأنتم تقاتلون على الحق

إذا عمل عملاً اقْتُدِي به فيه مِنْ خيرٍ وشر، ومعنى الآية: قد مضتْ وسلفتْ منّي سننٌ فيمن كان قبلكم من الأُممِ الماضيةِ الكافرة، بإمهالي واستدراجي إيّاهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجّلتُه لإهلاكهم، وإدَالةُ أنبيائي عليهم. ﴿ فسيرُوا في الأرض فانظرُوا كيفَ كانَ عاقبةُ المُكذِّبين ﴾، أي: آخرنا من المكذبين، وهذا في حرب أُحُد، يقول الله عزّ وجلّ: فأنا أُمهلهم وأستدرجُهم حتى يبلغ أجلي الذي أجّلتُه في نصرة النبي ﷺ وأوليائه وإهلاك أعدائه.

﴿ هذا ﴾ أي: هذا القرآن، ﴿ بيانٌ للناس ﴾، عامّة، ﴿ وهُدىً ﴾، من الضلالة، ﴿ وموعظةٌ للمتّقين ﴾، خاصة.

قوله تعالى: ﴿ ولا تَهِنوا ولا تحزنوا ﴾، هذا حثٌّ لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أُحد، يقول الله تعالى: ولا تَهِنوا أي: لا تَضْعُفوا ولا تجبُنوا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح، وكان قد قُتل يومئذٍ من المهاجرين خمسة منهم: حمزةُ بن عبد المطلب ومُصعبُ بن عُمير، وقُتل من الأنصار سبعون رجلاً، ﴿ ولا تحزنوا ﴾ أي: على ما فاتَكم، ﴿ وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ ﴾ بأن يكون لكم العاقبةُ بالنصر

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

وهم يقاتلون على الباطل. وقيل وأنتم الأعلون في العاقبة لأنكم تظفرون بهم وتستولون عليهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي إذ كنتم مؤمنين وقيل معناه إن كنتم مصدقين بأن ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فإنه حق وصدق.

وقوله تعالى: ﴿إن يمسكم قرح﴾ قرىء بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل إنه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل إنه بالفتح اسم للجراحة وبالضم ألم للجراحة الآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من أحد مع الحزن والكآبة يقول: إن يمسسكم أيها المسلمون قرح يوم أحد ﴿فقد مس القوم﴾ يعني في يوم بدر وقيل إن الكفار قد نالهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلاً وكثرت الجراحات فيهم ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ المداولة نقل الشيء من واحد إلى آخر يقال تداولته الأيدي إذا انتقل من واحد إلى آخر ويقال الدنيا دول أي تنتقل من قوم إلى آخرين ثم منهم إلى غيرهم والمعنى أن أيام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلاً وأسروا سبعين وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمساً وسبعين (خ) عن البراء بن عازب قال: جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً وهم الرماة عبدالله بن جبير. فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهزمهم الله. قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبدالله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ فقالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في أخراكم فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين رجلاً وكان النبي ﷺ قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً فقال أبو سفيان أفي القوم محمد؟ ثلاث مرات فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب؟ ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله إن الذي عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال إنكم ستجدون في القوم مثله لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي ﷺ ألا تجيبوه؟

والظفر على أعدائكم، ﴿ إنْ كنتُمْ مُؤمنين ﴾ يعني: إذْ كنتم، أي: لأنكم مؤمنون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشّعب فأقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللّهمّ لا يعلوه علينا، اللّهمّ لا قوّة لنا إلاّ بك»، وثاب نفرٌ من المسلمين رماةٌ فصعدُوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموها، فذلك قوله تعالى: ﴿ وأنتم الأعلون ﴾ وقال الكلبي: نزلت هذه الآية بعد يوم أُحُد حين أمر النبي ﷺ أصحابه بطلب القوم بعدما أصابهم من الحرج، فاشتدّ ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية، دليله قوله تعالى: ﴿ ولا تَهِنُوا في ابتغاء القوم ﴾ [النساء: ١٠٤].

﴿ إنْ يَمْسَسْكم قرحٌ ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿ قرح ﴾ بضم القاف حيث جاء، وقرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجُهد والجَهد، وقال الفرّاء: بالفتح اسم للجراحة، وبالضم اسم لألم الجراحة، هذا خطاب مع المسلمين حيث انصرفوا من أُحُد مع الكآبة والحزن، يقول الله تعالى: ﴿ إن يَمْسَسْكم قرحٌ ﴾، يوم أُحُد، ﴿ فقدْ مسَّ القومَ قرحٌ مِثْلُه ﴾، يوم بدر، ﴿ وتِلْكَ الأيامُ نُداولُها بينَ النّاس ﴾، فيومٌ لهم ويومٌ عليهم، أُديل المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسَرُوا سبعين، وأُديل المشركون من المسلمين يوم أُحُد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمساً وسبعين. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا محمد بن عبد الله النعيمي

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar

Ataunnabi.com

فقالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان. إن لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي ﷺ ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. قال البغوي وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال أبو سفيان يوم بيوم وإن الأيام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وإن جندنا لهم الغالبون فكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ يعني إنما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين إذا أصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أي ليعرفهم بأعيانهم إلاّ أن السبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعاً منهم لأن الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج إلى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عياناً ومشاهدة للناس والمجازاة إنما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم أولياء الله فأضاف علمهم إلى نفسه تفخيماً. وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لأن الحكم لا يحصل إلاّ بعد العلم ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ يعني وليكرم قوماً منكم بالشهادة ممن أراد أن يكرمهم بها وذلك لأن قوماً من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وأن يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فأرواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وأرواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمي شهيداً لأن الله تعالى شهد له بالجنة. وقيل سموا شهداء لأنهم يشهدون يوم القيامة مع الأنبياء

أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد أنا زهير أخبرنا أبو إسحق قال: سمعت البراء بن عازب يحدّث قال: جعل النبي ﷺ على الرَّجّالة يوم أُحد وكانوا خمسين رجلاً عبدَ الله بن جُبير، فقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تَبْرَحُوا مكانَكُم هذا حتى أُرسلَ إليكم وإنْ رأيتُمونَا هزمْنَا القومَ وأوطأناهم فلا تبرحُوا حتى أُرسل إليكم»، فهزمُوهم، قال: فإنّا واللّهِ رأيتُ النساءَ يشتددن قد بدت خلاخلهنّ وأسوقهنّ رافعات ثيابهنّ، فقال أصحاب عبد الله بن جُبير: الغنيمة، أيْ قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جُبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتينّ الناسَ فلنصيبنّ من الغنيمة، فلما أتوهم صُرِفتْ وجُوهُهم فأقبلوا منهزمين. فذلك قوله: ﴿ والرسول يدعوكم في أُخراكم ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، فلم يبقَ مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منّا سبعين، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ثلاث مرات، فنهاهم النبيّ ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه، فقال: أمّا هؤلاء فقد قُتلوا، فما مَلَك عمرُ نفسَه، فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءُك، فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سِجَال، إنكم ستجدون في القوم مُثلةً لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أُعلُ هُبَلَ أُعلُ هُبَل، فقال النبي ﷺ: «ألاَ تُجيبوه»؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا اللّهُ أعلى وأجلّ»، قال: إن لنا العُزَى ولا عُزَى لكم، فقال النبي ﷺ: «ألاَ تُجيبوه»؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»، ورُوِيَ هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي حديثه قال أبو سفيان: يومٌ بيوم وإن الأيام دُول والحرب سِجال، فقال عمر رضي الله عنه: لا سَواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. قال الزجّاج: الدولة تكون للمسلمين على الكفّار، لقوله تعالى: ﴿ وإن جندَنا لَهُمُ الغالِبُون ﴾ [الصّافّات: ١٧٣]، وكانت يوم أُحد للكفار

For More Books Click To Ahlesunnat Kitab Ghar